

المديح النبوي صلى الله عليه وسلم

عند شوقي وإقبال

رسالة قُدمت لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها



الإشراف

الدكتور محمد أكرم جوهديري

رئيس جامعة سر كودها

الإعداد

تسليم طيبه

القسم العربي، الكلية الشرقية، جامعة بنجاب، لاهور، باكستان

العام الجامعي: ٢٠٠٧م



## الإهداء

إلى :

سيدنا ومولينا ومحسن الإنسانية والمعلم الاعظم محمد  
صلى الله عليه وسلم الذي أخرج الناس من ظلمات الجهالة  
ونورهم بنور العلم .

وإلى :

أبي الكريم الشفيق وأمّي الحنون الذين بدعائهما  
المستجاب ورعايتهما البالغة استطعت أن أكمل دراستي إلى  
مرحلة الدكتوراه وقمت بإعداد هذا البحث العلمي . فجزاهما الله  
أحسن الجزاء ومدّ الله في ظلّهما .

وإلى :

أساتذتي المكرّمين الذين منحوني ثروة العلم والفهم  
والشعور . فجزاهم الله خير الجزاء (أمين) .



احمد شوقي

لي في مديحك يا رسول عرائس  
تيمن فيك، وشاقتها من جلاء  
(الهمزية النبوية: أحمد شوقي)



ارمغان حجاز

به مصطفى به رساں خویش را که دین همه اوست  
اگر به او نه رسیدی تمام بولهبی است  
(ارمغان حجاز: علامه محمد اقبال)

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه والحمد لله الذي أحيا بذكره قلوب عباده الصالحين، فقاموا لإحياء علوم الدين. والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد سيد الأولين والآخرين، وصفوة الأنبياء والمرسلين وأشرف المرسلين وقائد الغر المحجلين وعلى آله السادة الأكرمين وأصحابه الغر الميامين ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد: قال الله سبحانه وتعالى في مدح النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم:

﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ (سورة الشرح، الآية: ٤)

ولاريب أن القرآن كله في المدح النبوي صلى الله عليه وسلم وليس المديح النبوي عند الشعراء عبر العصور إلا امتثال وتحقيق لما تكفل به سبحانه وتعالى من رفع ذكره حبيبه وخليله محمد صلى الله عليه وسلم.

إن فن الشعر هو اسم لإظهار العواطف القلبية إن فن الشعر له مكانة قديمة بين الآثار الأدبية بسبب صلته بقريحة الإنسان وعلاقته بالشعور (أو بالإحساس). متى بدأ فن الشعر في العرب؟ لا نجد شيئاً عن تاريخه ولكننا نعلم أن عندما تعرّف فن الشعر على التاريخ تحوّل إلى صورة القصائد المحكمة والمرتبة. ونجد من نماذجها الطليعة في أشعار مهلهل بن ربيعة (ت حوالي ٥٣١م) وامرئ القيس (ت ٥٤٠م).

وهناك ثلاثة أقسام لفن الشعر. القسم الأول غنائي أو وجداني والقسم الثاني قصصي وبينما

القسم الثالث يعبر بشعر تمثيلي أو مسرحي وأما الشعر الغنائي من بين أقسام فن الشعر المذكورة فهو اعلاه. لأن الغناء هو أصل فن الشعر. إن العرب تحوز المؤهلات طبيعياً من بين الأمم السامية وتمهّن تمهراً كاملاً في هذا الفن. وقد اختبر الذكاء في كل اصناف الشعر. مثل: القصيدة والرثاء والمثنوي والرباعي والمخمس والرجز وغيرها.

ومن هذه الأصناف عندما نذكر القصيدة ندخل إلى حيز الظهور أن القصائد التي عرضت على المدح النبوي قد اكتسبت الشهرة في كل زمن. هذه الميزة مختصة بشخصية النبي عليه الصلاة والسلام فقط أن جميع الاشعار التي نُظمت في عظمة وكرامة النبي - سواء كانت في حياته عليه الصلوة والسلام أو بعد رحلته عليه الصلوة والسلام - قد اندرحت تحت فن المدح.

والشعراء في كل زمن كانوا يدركون أن فرض قصيدة في شان النبي سبب البركة والسعادة. وعندما نلقي نظرة إلى تاريخ المدح النبوي يظهر لنا أن الاسم الأول والبارز الذي اظهر من الشمس في عظمته عليه الصلوة والسلام، اسم عبدمناف بن عبدالمطلب المعروف بأبي طالب - وبعده يأتي اسم الأعشى في أيام الجاهلية. وكان الأعشى معترفاً بعظمته عليه الصلوة والسلام.

والشعراء المفلقون الذين زينوا أشعارهم بمدح النبي صلى الله عليه وسلم هم عبدالله بن رواحه وعبدالله بن الزبيري و أبو سفيان بن الحارث وكعب بن زهير وكعب بن مالك وحسان بن ثابت والنابغة الجعدي.

وكان لحسان بن ثابت مكانة ممتازة بين هؤلاء الشعراء. وهو شاعر الرسول لأنه كان يدافع عن الرسول عليه الصلوة والسلام بشعره ويحجب على ما قام به أعداء الإسلام بالاشعار في هجو النبي. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب أشعاره حبا جماً.

كما أننا نجد أن الشواعر في جميع العصور لم يتخلفن في انشاد القصائد فالسيدة آمنة والسيدة حليلة سعدية والسيدة أروى بنت عبدالمطلب والسيدة العاتكة بنت عبدالمطلب والسيدة صفية بنت عبدالمطلب وفاطمة الزهراء جديرات بالذكر من هؤلاء الشواعر.

وأتى من بعد الفرزدق والإمام أبو حنيفة وأبو العتاهية والصنوبري والمعري والشيخ عبدالقادر الجيلاني من بين الشعراء المعروفين في العهد الأموي والعباسي.

ويلوح اسم الإمام البوصيري في العصر التركي في الطليعة وهو الذي انشد الشعر في مدح

النبي في حالة الحلم وهو كان مفلوجاً . فأكرمه النبي صلى الله عليه وسلم بالبردة كجائزة وتقدير لشعره وإشتهرت قصيدته باسم قصيدة البردة للبوصيري .

ومن بين الأسماء الأخرى المعروفة لشعراء هذا العهد اسم أبي ترى وابن نباتة المصري والشيخ عبدالرحيم البرعي وابن خلدون وابن الحجر العسقلاني .

ونجد القصائد المدحية لعبدالباقي الآفندي ولعبد الحلیم اللوحي ولحازم القرطاجني ولمحمود السامي البارودي باشا ولعبد الحميد الخطيب من بين شعراء العصر الحديث للأدب العربي .

ومن أشهر ومألوف شعراء العصر الحديث أحمد شوقي بك وهو الذي قد فاز بلقب أمير الشعراء بسبب المحاسن الشعرية . وأنشد قصائد مختلفة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم . ومن قصائده تلك الهمزية النبوية ونهج البردة وذكرى المولد (الأولى) وذكرى المولد (الثانية) و دول العرب وعظماء الإسلام جديرة بالذكر، عندما نطالع شعر الشوقي الديني ندرك براهين وشواهد على ملكته الشعرية المفحمة بحب دين الإسلام ونبية صلى الله عليه وسلم. وإذا قمنا بدراسة المدح النبوي خلال الشعر العربي في شبه القارة الهندية الباكستانية لوجدنا عدداً غير قليل من شعراء هذا القطر الذين تناولوا هذا الفرض في شعرهم واستخدموا قرائحهم وأتوا بمعان مبتكرة في أساليب جديدة وأتوا في المدح النبوي بما لا يقل فناً عن الشعر السابق له.

ومن أبرز الشعراء الذين طرقتوا باب المديح النبوي في شبه القارة ونالوا البتول والتقدير لشعرهم باللغة العربية أو غيرها من اللغات المحلية ، الشيخ أحمد تهانسري وأمير خسرو وفخر الدين العراقي شهرة في عهد الغزنوي والسلاطين . وكذلك برزت أسماء الشيخ حامد الجمالي والشيخ عبدالحق محدث الدهلوي وشاه ولي الله و غلام علي آ زاد بلكرامي .

لقد نال العلامة محمد إقبال إعجاباً وتقديراً إلى بالغ الحد من بين شعراء شبه القارة الهندية الباكستانية . فقد ترك آثاراً مجيدة بشعره على الأمة المسلمة أجمعها ولم يكن شعره مقصوراً على أهل شبه القارة بل تعدى إلى جميع المسلمين العرب وغيرهم في جميع أنحاء العالم .

و كان محمد إقبال يملك قلباً ولوعاً بحب النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وشعره تعبير صادق عن رسالة الإسلام الخالدة مع كونه في ذودة وقمة باعتبار الجانب الفني أيضاً .

ولو استعرضنا تاريخ المديح النبوي في العصر الحديث لوجدنا شخصيتين بارزتين في هذا المجال أحدهما من بلاد مصر العربية وهو شوقي والآخر من القطر الأعجمي للبسيطة ، وهو إقبال وشعر إقبال و شوقي مع كونه مختلفا في اللغة حيث لم ينشد شوقي إلا بالعربية أما إقبال فقرض الشعر في اللغتين الفارسية والأردية إلا أنهما يتفقان في الأغراض السامية ويشتركان في جودة المعنى وابتكار الأسلوب . وهذا البحث المتواضع الذي نحن بصدده دراسة متأنية لشعر المديح النبوي لهذين الشاعرين الجليلين وأردت خلال هذا البحث إضافة قيمة وجديدة إلى الأدب المقارن بين اللغتين العربية والأردية اللتين تشتركان في كثير من الأمور من حروف الهجاء وطريقة الكتابة وغيرها. وأشكر الأستاذ الدكتور محمد أكرم جودهري المشرف على هذا البحث ورئيس جامعة سركوها في هذا الأيام على حسن إرشاد. وإشارته إلى هذا الموضوع الهام الذي لم يسبق إليه باحث من قبل.

وأرجو أن هذا البحث سيفيد الدارسين والباحثين في الأدب المقارن كما أنه يوضح ميزات الثقافتين العربية والباكستانية أو الهندية بتعبير واسع ويدعم العلاقات الأدبية والتعليمية بين هاتين الدولتين المسلمتين كما أنه يبرز تلك الجوانب الخفية من شعر هذين الشاعرين البارزين التي لم يتطرق إليها باحث من قبلي وبالأخص أسلوب المديح النبوي عند كلا الشاعرين . وإبراز ما يتفقان فيه وما يتفرد به لكل واحد منهما .

## منهج البحث

قد سعيت حتى الإمكان أن أستفيد من كل المصادر والمراجع الأساسية والمبدئية لتكميل هذه المقالة كي يمكن لي أن أبرز فن الشاعرين بين أحوال حياتهما ومدحهما كثيراً وكثيراً كي يتطلع قارئاً هذه المقالة كل نواحي حياتهما . أما طريقة السير في البحث فموجزة فيما يلي .

قد راعيت النكات التالية في ترتيب هذه المقالة .

١- قد جعلت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية مأخذاً مبدئياً واستشهدت من الآيات القرآنية والبراهين في الأمكنة المختلفة لهذه المقالة . كما إنني قد استشهدت فيها بأحاديث النبوية صلى الله عليه وسلم و وثقت بالصحاح الستة في صدد الأحاديث النبوية .

٢- قد ذكرت في هذه المقالة التفاسير بعد الآيات الكريمة والأحاديث النبوية وخاص بالذكر



تفسير ابن كثير وتفسير ابن هشام وتفسير الزمخشري وتفسير الطبري وغيرهم .

وقد بينت العناوين القارئة مفصلة في ضوء التفاسير قبل صقلها بين أبيات الشوقي وإقبال كني يتضح على القارئ بيان هذه المواقف والحقائق في الآيات القرآنية والتفاسير إيضاحاً كاملاً وإخبار بأسلوب ونهج الشاعرين هذين لبيان هذه الحقائق .

iii- قد استفدت من القصائد الأربعة التي نظمها الشوقي في المدح النبوي وهذه:

القصيدة الهمزية النبوية وذكرى المولد (الأولى) ونهج البردة وذكرى المولد (الثانية) كما إنني قد أخذت الأشعار الأخرى من الشوقيات حسب حاجة المقالة .

iv- أمّا كلام إقبال قد استفدت من التراجم العربية لكلام إقبال . إن كل كلام إقبال (الأردية والفارسية) موجود بصورة مترجمة وأشهر تراجمها : تراجم عبدالوهاب عزام والصاوي علي شعلان ومحيب حسين المصري وحسن ظأطاً وظهر ظأطاً وسمير عبدالحميد ابراهيمي وترجمة عبدالفتاح فرح .

قد عرضت بعض كلام إقبال في المقالة الذي لم أجد تراجمها العربية مثل كثير من شعر بانك درا وثلاثة أقسام للزبور العجم وقد سعيت أن أترجمها بنفسي . ومع ذلك قد وضحت بعض الكلمات التي تحتاج إلى التوضيح .

واشتمل هذا البحث على مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة وهي كما تلي .

### المقدمة

تتناول بيان موضوع الرسالة وأهميتها والأمور التي تتعلق بالعوامل والأهداف التي دفعت إلى كتابة هذه الرسالة وطريقة البحث وتنظيم الرسالة .

### الباب الأول : لمحة سريعة عن حياة شوقي

إن في هذا الباب قد ألقى ضوء على النواحي المختلفة لحياة الشوقي بأسلوب أن يقع نظر القاري على كل نواحي حياته ومع ذلك قد ذكرت كتبه الشعرية والنثرية بالتفصيل .

يشتمل هذا الباب على الفصول التالية:

الفصل الأول : نسبه وولادته

الفصل الثاني : نشأته الأدبية والثقافية

الفصل الثالث: رحلاته العلمية

الفصل الرابع: منفاه وعودته إلى وطنه وأثر نفيه وعودته في شعره

الفصل الخامس: اتصاله بالشعب ووفاته

### الباب الثاني: لمحة سريعة عن حياة إقبال

في هذا الباب قد القيت ضوء على النواحي المختلفة لحياة إقبال . وفيه كلام مفصل عن نسب إقبال وتاريخ ولادته ودراسته وثقافته . وكذلك ذكرت كتبه الشعرية والنثرية .

يشتمل هذا الباب على الفصول الخمسة وهي كما تلي:

الفصل الأول: نسبه وولادته

الفصل الثاني: نشأته الأدبية والثقافية

الفصل الثالث: رحلاته العلمية

الفصل الرابع: عودته إلى وطنه وتطور في شعره

الفصل الخامس: اتصاله بالشعب ووفاته

### الباب الثالث: موضوعات المدح النبوي عند شوقي وإقبال

بدأت هذا الباب ببيان عظم شأن النبي صلى الله عليه وسلم وعلو مكانته ونشأة المديح النبوي وتطوره في مختلف العصور ثم تطرقت إلى المديح النبوي عند شوقي وإقبال وحاولت إبراز المحاسن الفنية عند كلا الشاعرين وبيان يتفقا فيه وما يختلفان .

وإن هذا الباب مشتمل على فصول أربعة وهي كما تلي:

الفصل الأول: نبذة عن المدح النبوي عبر العصور .

الفصل الثاني: البيئة والأحوال التي دفعت شوقي وإقبال إلى المديح النبوي .

الفصل الثالث: الموضوعات التي تناولها شوقي وإقبال في المدح النبوي .

الفصل الرابع: الخصائص اللغوية والبلاغية في مدحهما للنبي صلى الله عليه وسلم مثل

الصورة والخيال والعاطفة والموسيقى وغير ذلك .

### الباب الرابع: المقارنة بين المديح النبوي لشوقي والمديح النبوي لإقبال

وقد ذكرت في هذا الباب مقارنة بين موضوعات مختلفة لمدح إقبال وشوقي للنبي صلى الله

عليه وسلم . وقمت في هذا الباب بإبراز أسلوب كلا الشاعرين والمحاسن الفنية لديهما.

وهذا الباب مشتمل على ثمانية فصول وهي :

الفصل الأول: ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم .

الفصل الثاني: الخوارق والمعجزات

الفصل الثالث: البعثة النبوية والوحي الرباني

الفصل الرابع: الهجرة النبوية وتأسيس الدولة الإسلامية

الفصل الخامس: الغزوات النبوية والجهاد في الإسلام

الفصل السادس: أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم

الفصل السابع: الإسلام وخصائصه

الفصل الثامن: القرآن الحكيم والحديث النبوي والسنة النبوية

وقد اتيت بخاتمة البحث في النهاية وذكرت أهمية هذه المقالة بعد ذكر الخلاصة لجميع

الأبواب .

وقد ذكرت فيها النتائج والاقتراحات المهمة التي توصلت إليها خلال هذه الدراسة . وفي

نهاية الطاف قمت باعداد فهرس فنية وهي كما يلي :

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الاعلام

فهرس الأماكن

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المحتويات

بأن موضوع مقالتي عن الشعر وعدد الشعر فيها كثيرة ولهذا لم أذكر فيها فهرس الأشعار.

### **الصعوبات التي توجهت خلال بحث هذه المقالة**

ومن الصعوبات التي واجهها خلال بحثي هذا هو عدم توفر المصادر والمراجع الأساسية عن

شوقي في المكتبات الباكستانية عامة إلا النزر اليسير . فبذلك واجهت صعوبة في جمع المعلومات

عن شوقي حياته وقته إلا أن الله يسر لي هذا العمل خلال رحلاتي العديدة المترامية الأطراف بجمع ما فيه كفاية ان شاء الله .

ولاشك أن إقبال معروف بين العرب وأكثر من كلامه قد ترجم بالعربية ولكن بضعة من اشعاره لم تترجم بالعربية فلذلك قد ترجمتها بنفسى وقابلت كثيراً من الصعوبات .  
والله الموفق والمؤيد ، وله الحمد والمنة والإحسان ، أحمدته وأشكر له في الآخرة والأولى ، فلولا مننه السابغة ونعمه البالغة ، وتوفيقه الكامل وتأييده التام لما كان يمكن لي أن أقوم بهذا المسؤولية الكبرى ولم يكن لطالب مثلي أن يتجرأ بتناول مثل هذا العمل العلمي ولكن الله سبحانه وتعالى تكرم عليّ وتفضل حيث فتح أمام عينيّ هاتين طريقاً للوصول إلى ما يرجع في مثل هذا الرسائل العلمية ، فله الشكر في الأولى والآخرة ، ثم إن واجب عرفان الجميل يقتضي أن أتوجه بالشكر إلى كل من أسدى إليّ عوناً وسهلاً لي صعباً ، وأخص بالذكر المشرف على هذا الرسالة الأستاذ الدكتور محمد أكرم جوهدرى (رئيس جامعة سر كودها) الذي فضّل بالإشراف على مقالتي هذه فإنني أقدم إليه بباقة متواضعة من الشكر الخالص والعرفان بالجميل على تلك المحبة والعطف الأبوي الذي جاني به خلال كتابة مقالتي . وهو الذي منحني فرصة ثمينة لكتابة هذا البحث العلمي فهو استاذ كريم وجيل يعترف بخدماته الكبيرة للقسم العربي والأدب العربي كل طالب اللغة العربية من باكستان وخارجها . إن المحاسن في هذا المقالة نتيجة إشراف الدكتور محمد أكرم جوهدرى ومعاقب النقائص بنفسى . وأدعو الله تعالى أن يمد ظله العطوف دائماً (أمين).

وهذا من اللازم أن اتقدم الشكر الواجب إلى أستاذي "الدكتور خالق داد ملك" وهو مستعد دائماً للمساعدة جميع الطلاب ومحبي اللغة العربية وأؤدي شكره بأنه أعطاني نبذه من وقته الثمين رغم كثرة أشغاله في كل آن .

لن أنسى أن أقدم خالص الشكر الجزيل واوافر التقدير إلى الدكتور حامد أشرف همداني لمدّ يد العون إليّ بصفاء القلب . ادعو الله تعالى أن يزيد و يبارك في علمه وعمله وعمره ويجزيه خير الجزاء (أمين).

كما أقدم الشكر الجزيل إلى الأستاذ حافظ مقيت جاويد الذي أرشدني إلى ما أحتاج إليه في

البحث .

كما اقدم الشكر الجزيل إلى الدكتور رفيع الدين الهاشمي الذي اكرمني بإرشاداته الثمينة عن

إقبال.

وفي النهاية أقدم الشكر والامتنان إلى والدي الكريم وأمي العزيزة الحنون (أدام الله عزهما

ومدّ ظلّهما - آمين) ومحمد جاويد وإخواتي خاصة انيس شهزادي وجبين طيبة وازكى عروج وزنيره

منعم وإخوتي المكرمين وأخص بالذكر مهروز محمد من صميم القلب.

والله أسأل أن يوفقني دائماً لخدمة كتابه الحكيم، وسنة نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم

وأن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، إنه ولي التوفيق، وهو نعم المولى ونعم النصير.

تسليم طيبه

## الباب الأول

## لمحة سريعة عن حياة شوقي

- |                         |               |
|-------------------------|---------------|
| نسبه وولادته            | الفصل الأول:  |
| نشأته الأدبية والثقافية | الفصل الثاني: |
| رحلاته العلمية          | الفصل الثالث: |
| منفاه وعودته إلى وطنه   | الفصل الرابع: |
| اتصاله بالشعب ووفاته    | الفصل الخامس: |

## الفصل الأول

### نسبه وولادته

أحمد شوقي (١٢٨٣هـ - ١٣٥٠هـ / ١٨٦٨ - ١٩٣٢م)

هناك أراضي عديدة في الدنيا اشتهرت بالخصائص المتنوعة، بعضها اشتهرت بزراعتها وأخرى امتازت في مجال اللعب وبعضها تفتخر بمبانيها وبعضها اكتسبت شهرة من حيث رجال العلم والفنون والفلاسة. أما أرض مصر، فهي اكتسبت شهرة من نواحي شتى؛ لأنها هي مهد العلم والأدب والحضارة والثقافة منذ العصور القديمة، فقد نبغ فيها رجال العلم والأدب، والعالم اعترف لهم الفضل والمجد في ميادين مختلفة من العلوم والفنون. وهؤلاء رجال قد نوروا المناطق العديدة بنور علمهم وفضلهم، ولا تزال مصر الحديثة تفتخر بهذه الرتبة الرفيعة العالية في العالم العربي. وفي العصر الحديث هناك عدة رجال تعد من الشخصيات الجليلة في مجال الأدب، ولا ريب أن أحمد شوقي من أبرزها وأشهرها في العرب، وهو أحد من أعماد الأدب، هو الشاعر الذي مزج القديم بالجديد وأضاف المواضع البديعة إلى الشعر العربي، مكّنه على الرتبة الرفيعة المرموقة في الفن والخيال حتى صار نطاقه أوسع وأشمل، وظهر كزهرة جميلة التي عطّرت جميع أنحاء مصر من عطرها.

وقال عباس حسن في كتابه:

”لو أن سائلا طلب إليّ أن أرشده إلى شاعر عربي يستغنى به عن غيره ويكتفى بشعره عن كل شعر، ما ترددت أن أرشده إلى ”شوقي“ ولو جاز لبعض المثقفين والطلاب، ممن ضاق وقتهم وعجزت وسائلهم أن يقتصروا على شاعر عربي واحد ما كان غير شوقي“ (١)

في ضوء هذا البيان سننظر من كلام شوقي أنه يمتاز بخصائص جامعة بالإجمال ويقدم لقارته ثروة الهدوء والحذب والسكينة، ويجد القارئ خلال قراءة كلام شوقي نفسه في بيئة السرو واللذة ولم يحسه ضيق الوقت والقلب، لا ريب أن الأرض لا تجود بولادة كشاعر شوقي إلا بعد قرون ويكون وجودهم سبب الافتخار لأرضهم ويلمعون على سماء العلم والأدب كالنجوم التي أشعتها تعجب العيون ويحيط جميع الكون في كلامهم ونجد جميع هؤلاء الخصائص الرائعة في كلامه. في ضوء هذا البحث نجد أننا نطلع على أحوال هذا الشاعر العظيم الذاتية وحياته الحافلة كي يمكن لنا تحليل العناصر التي كوّنت شخصيته الفريدة.

## اسمه

وهناك رواية مختلفة في تسميته واشتهرت رواية وهي فيما يأتي:  
 "كان اسمه أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي: أشهر شعراء العصر الأخير بلقب بأمير الشعراء" (١)

يقال له أحمد شوقي بن أحمد شوقي بك (٢) وقد اكتفى الدكتور محمد حسين هيكل والدكتور طه حسين بذكر اسمه وهو "أحمد شوقي" (٣)  
 ويقول أحمد شوقي بنفسه في مقدمة "الشوقيات":  
 "أنا أحمد شوقي بن علي بن أحمد" (٤)  
 أحمد شوقي كان اسم جدي وأنا حامل اسم جدي ولقبه (٥)

## ولادته

ويكون شعر شاعر مرآة أحواله والبيئة التي يولد بها وينشأ والطواقس تمرّ بقلبه وذهنه ودوافع الضواحي الذي رافد في تطبيق شخصيته يُرى فيها عكسه عكسا واضحا، لَمَّا نرى شاعرنا شوقي في هذه الصدد نجد أن شعره كشعر رجل غني بثروة هدوء القلب والتفأؤل، وأحوال بيئته التي وجد فيها رخاء الثروة كل حين، ولم يقابل الحزن والألم، وفتح شوقي عيونه في ترف ولهو، فإن نقول أن شوقي كان من الرجال الذين وجدوا ثروة في الوراثة فلم يخلوا من حقيقة.  
 ويقال في مهد من مهاد الترف والثراء ولد شوقي سنة ١٨٦٩م بالقاهرة (٦) ورواية أخرى ولد شوقي في القاهره عام ١٨٦٨م من أسرة تركية. (٧)

- ١- الزركلي، خير الدين: الأعلام. الطبعة السابعة، بيروت، لبنان: دار العلم للملايين. مايو ١٩٨٦م. ١٣٦/١
- أنظر أيضاً في، جواهر الأدب: أحمد هاشمي. مصر، ص ٩١
- وأيضاً بك، مردم الخليل: محاضرات خليل في انشاء العربي. سوريا، دمشق: شارع مسلم البارودي. بلون التاريخ. ص ٩٦
- ٢- الزيات، أحمد حسن: تاريخ الأدب العربي. لبنان: مكتبة الأنجلو المصرية. ١٦٥ شارع محمد بك فريد. ص ٣٦٩
- ٣- كحالة، عمر رضا: معجم المؤلفين. بيروت: دار احياء التراث العربي، ١/٢٤٦.
- ٤- نظم بك، شوقي أحمد: الشوقيات. الطبعة الثانية، مصر: مطبعة الاصلاح شارع محمد علي، ١٣٢٥هـ/١٩١١م. ٥/١
- ٥- نفس المرجع، ص ١٤.
- ٦- شوقي ضيف، الدكتور: الأدب العربي المعاصر في مصر. الطبعة الثالثة. القاهرة: دار المعارف ١١٩ كورنيش النيل. بلون التاريخ ص ١١
- ٧- شرارة، عبد اللطيف: شعراؤنا شوقي. بيروت: دار صادر دار بيروت للطباعة والنشر. ١٩٦١م، ص ٢٠
- وأنظر، عمر فروخ: كلمة في أحمد شوقي. الطبعة الثانية. بيروت: مطبعة منشورات مكتبة ميمنة للمعرض. ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م، ص ٥
- وانظر، Prop, Muhammad Munawwar, Iqbal Review, The potrait of Ahmad Showqi, vol,28, April, June 1987. No.1



ويذكر طه حسين سنة ولادة أحمد شوقي في كتابه كذلك:

”ولد أحمد شوقي سنة ١٨٦٨م، بباب إسماعيل حيث البأس والعزة وحيث الغنى والثروة، وحيث الترف والنعيم وحيث هذه العناصر الكثيرة المتبانية التي تبعث الحياة في ناحية من أنحاء النفس“ (١).  
وفى رواية أخرى: ”ولد أحمد شوقي سنة ١٨٦٨م في قصر الخديوي إسماعيل (ت ١٨٩٢م) وكان يعطف عليه ويدير بين يديه بدرات الذهب، ولقد كان أبوه متلافا فاهلك ما ورث عن أبيه، فكفلته في المههد جدته لأمه وكانت إحدى وصائف القصر في عهد إسماعيل. (٢).

وهكذا رأى خليل مردم بك:

”هو المصري بمولده وبمنشئه“ (٣)

وفي رأي شوقي ضيف:

”أنه مصري المولد ولكنه ليس مصري الموطن في الاصيل“ (٤)

وقال جبّور عبد النور عن مولده ومنشأه:

”أحمد شوقي شاعر مصري المولد سنة ١٨٦٩م والمتوفي ١٩٣٢م نشأ في بنية أرسقراطية ثرية“ (٥)

ولكن اختلف الرواية عن مولده عند الدكتور طه وادي، قال:

”أحمد شوقي ولد في ١٦ من أكتوبر سنة ١٨٧٠م.“ (٦)

واختلف النقاد ومؤرخو الأدب حتى فيما يتصل بسنة ميلاده وهل هي سنة ١٨٦٨م أم

١٨٦٩م أم ١٨٧٠م. (٧)

فذهب الدكتور طه وادي إلى أنه قد ولد في ١٦ من أكتوبر سنة ١٨٧٠م، وأخذ هذا التاريخ

١- طه حسين، الدكتور: حافظ وشوقي. الطبعة الأولى. مصر: مطبعة الاعتماد، ١٩٢٣م. ص ١٨٧

٢- انظر: الشوقيات، مقدمة الديوان

وانظر: الزيات، أحمد حسن: تاريخ الأدب العربي. ص ٥٠٠

٣- خليل مردم بك: محاضرات الخليل في إنشاء العربي. ص ٩٧

٤- شوقي ضيف: شوقي شاعر العصر الحديث. مصر، دار المعارف. بدون التاريخ. ص ٩

٥- عبد النور، جبّور: المعجم الأدبي. بيروت: دار العلم للملايين. ص ٤٩٨

٦- طه وادي، الدكتور: شعر شوقي الغنائي والمسرحي. ص ١١

٧- انظر، عباس حسن: المتنبي وشوقي. ص ٣٧

من شهادة الليسانس التي نالها أحمد شوقي من باريس في الحقوق (١)

### نسبه

عندما نلقي نظرة على نسبه فنجد مقامه مقاماً بارزاً من الآخرين وهو الذي لم تتكون شخصيته من أرض واحدة، ويتجمع الخصائص المختلفة من المناطق المتفاوتة ويشير دمه ويُدع في فكره، ولما ينثر قلمه لؤلؤ الحكمة والعلم والذكاء والبصيرة على صفحة الكتاب بمساعدة هذه الخصائص التي تدهش العقل.

والآن نطالع نسب شوقي بنظرة عميقة.

ويقول الدكتور شوقي ضيف عن نسبه:

”في مهد من مهاد الترف والثراء ولد أحمد شوقي سنة ١٨٦٩م لأب وأم تنحدر اليهما عناصر مختلفة، فقد كان أبوه يجري فيه الدم العربي والكردي والجركسي، وكانت أمه يجري فيها الدم التركي واليوناني، إذ كان أبوها تركيا من بطانة إبراهيم (٢) ومن خلفوه إلى إسماعيل (٣) وأصبح في عهده الأخير وكيلاً لخاصته، أما أمها فكانت يونانية من بلاد المورة“ (٤)

ونجد بنسبه أن في تكوين شوقي شوقياً يد الدوافع الداخلية مع الدوافع الخارجية، فإن لم يجد شوقي الخصائص المتنوعة من الوراثة، فلن يمكن له أن يلقب بلقب أمير الشعراء ولم يصل شهرته إلى علو السماء، ولكن من حُسن الحظ أنه وجد وراثة التي تغير نقائصه إلى محاسنه وحصل العلو والسمو والرفعة على كل خطوة.

ويقول شوقي مفتخراً بنفسه في مقدمة ديوانه ”الشوقيات“

”سمعت أبي رحمه الله يردأصلنا إلى الأكراد فالعرب ويقول أن والده قدم هذه الديار يافعا يحمل وصاة من أحمد باشا الجزائر إلى والي مصر محمد علي باشا وكان جدي وأنا حامل اسمه ولقبه يحسن كتابة العربية والتركية خطأ وإنشاءً فأدخله الوالي في معيته ثم تداولت الأيام، وتعاقب السلافة الفخام، وهو يتقلد المراتب العالية ويتقلب في المناصب السامية إلى أن أقامه سعيد باشا أميناً للحمارك المصرية فكانت وفاته في هذا العمل عن ثروة راضية بددها أبي في سكرة الشباب ثم عاش

- ١- طه وادي، دكتور: شعر شوقي الغنائي والمسرحي، ص ٥٣
- ٢- انظر، اسلام في شعر شوقي لأحمد الحوفي: الدكتور، جمهورية مصر العربية . المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة التعريف بالأمم . ١٩٧٢م ص ٤
- ٣- إبراهيم باشا، ١٧٨٩م . ١٨٤٨م
- ٤- إسماعيل باشا، ١٨٣٠م . ١٨٩٢م
- ٥- ”مورة“ هذه جزيرة في اليونان، فتحتها الترك في ١٨٤٥م وتأسس الإمارة العرب في سنة ١٨٢٩م. أنظر للتفصيل، شوقي ضيف، الدكتور: الأدب العربي المعاصر في مصر، ص ١١٥.

بعمله غير نادم ولا محروم وعشت في ظله وأنا واحده أسمع بما كان من سعة رزقه ولا أراني في ضيق حتى اندب تلك السعة فكأنه رأى لي كما رأى لنفسه من قبل أن لا أقتات من فضلات الموتى". (١)  
ثم يرد مزيداً قائلاً.

"أما جدي لوالدتي فاسمه أحمد بك حليم ويعرف بالنجده لى نسبة إلى نجدة إحدى قرى الأناضول وفد على هذه البلاد فتيا كذلك فاستخدمه والي مصر إبراهيم باشا من أول يوم ثم زوجه بمعتوقته جدتي التي أرثيها في هذه المجموعة وأصلها من مورة جلبت منها أسيرة حرب لا شراء وكانت رفيعة المنزلة عند مولاها وكان زوجها محبوباً عنده كذلك فمازالا كلاهما مغمورين بنعمة هذا البيت الكريم حتى توفي جدي وهو وكيل لخاصته الخديوي إسماعيل باشا فأمر بنقل مرتبه برمته إلى أرملته وأن يحسب ذلك معاشاً لا إحساناً، وكان الخديوي المشار إليه يقول عنهما "لم أر أعف منه ولا أقنع من زوجته ولو لم يسمه أبي حليماً لحامه لسميته عفيفاً لعفته".

ثم يقول:

"أنا إذاً عربي، تركي، يوناني، جر كسي بجدي لأبي أصول أربعة في فرع مجتمعة، تكفله لها مصر كما كفلت أبويه من قبل، وما زال لمصر الكنف المأمول والنائل الجزل، على أنها بلادي، وهي منشأى ومهادي ومقبرة أجدادي، ولدلي بها أبوان، ولي في ثراها أب وجدان، وبيعض هذا تحجب إلى الرجال الأوطان، أما ولادتي فكانت بمصر القاهرة". (٢)

ونجد في هذه الفقرة أن شوقي يبين نسبه ونفسه بكل تفصيل وبافتخار، فلم يترك إحدى نواحي حياته ظمناً، وفي ضوئه يسهل للكاتبين الكتابة في نفسه وشعره بسهولة، ولا يستغرق جهوداً لتفتيش مصادره ويمكن لهم أن يجعلوا أقوال الشوقي أساس تحقيقهم وبحثهم. كما يقول دكتور عمر فروخ:

"أسرة شوقي" من الأسر الطارئة على مصر، كان جد شوقي لأبيه من أكراد الجزيرة، أم مصر في أوائل القرن التاسع عشر بوصاة من أحمد باشا الجزائر والي عكاء ودخل في خدمة محمد علي باشا، وأما جده لأمه فتركي من الأناضول اسمه أحمد حليم دخل أيضاً في خدمة محمد علي باشا ثم تزوج إحدى معتوقاته وهي امرأة يونانية الأصل اسمها تراز (٣) سبيت في حرب المورة. ثم إن

١- نظم أحمد شوقي: الشوقيات. الجزء الأول، ص ١٤

٢- نظم أحمد شوقي: الشوقيات، ١/١٤، ١٥، وانظر، أحمد عبيد، ذكرى الشعراء. شاعر النيل وأمير الشعراء، الطبعة الأولى، دمشق: المكتبة العربية لأصحابها عبيد أخوان، بدون التاريخ ص ٤٢٦. وأيضاً، شوقي ضيف، الدكتور: الأدب العربي المعاصر في مصر. الطبعة الثامنة، ص ١١٠ وأيضاً، الزيات، أحمد حسن: تاريخ الأدب العربي، ص ٣٦٩.

٣- معتوقه إبراهيم باشا.

أحمد حلیم أصبح فيما بعد وكيلا على أملاك الخديوي إسماعيل الخاصة، ولما توفي، أمر الخديوي أن ينقل مرتبه برُمته إلى أرملته وأن يحسب ذلك معاشا لا إحسانا، أما والد الشاعر فاسمه علي. (١)

ثم يبين شوقي ضيف نسبة قائلًا:

”واشترك هذه العناصر (التركي واليوناني والعربي) فيه يدل على أنه ليس مصرياً خالصاً، هو مصري الموطن، أما الآباء والأجداد فليسوا مصريين، وأول من نزل منهم مصر جدّه لأبيه، وهو الذي سمى باسمه ”أحمد شوقي“ قدم هذه الديار في عهد محمد علي، فضمه إلى حاشيته، وكان يحسن العربية والتركية، ومنه ينحدر إلى شوقي الدم الكردي العربي والشركسي وتوالت الأيام وهو ينتقل في المناصب العالية حتى أصبح أميناً للجمارك المصرية في عهد سعيد (باشا) وتوفي وهو في هذه الوظيفة عن ثروة واسعة عاش في ظلها على والد شوقي وشوقي نفسه، وجاء بعد هذا الجد إلى مصر جد شوقي لأمه، فقد دخل البلاد شاباً لعهد إبراهيم باشا، واسمه أحمد حلیم النجدة لي نسبة إلى قرية بالأناضول تُسمى ”نجده“ فهو تركي، وأعجب به إبراهيم باشا على ما يظهر، فقر به منه، وزوجه معتوقة يونانية له تُسمى ”تمراز“ أسرت في حرب المورة، وهي بنت عشر سنوات“ (٢)

وبعد أن اطلعنا على نسب شوقي اطلاعاً عميقاً نصل إلى نتيجة وهي أن خصائصه الوراثية لعبت دوراً مهماً لجلاء كلام شوقي وتنويع فكره وإبداعه، ولم يخجل شوقي أن يستفيد من هذه الخصائص.

وكان شوقي حسن البخت بأنه وجد بيئة متنعمّة منذ طفولته وتمكّن من النفوذ إلى بلاط الملك بإخلاص عمله وعلو فكره وأقنع شوقي بنبوغه في مجال العلم والأدب وبلقب أمير الشعراء.

١- عمر فروخ: كلمة في أحمد شوقي، ص ٥، الطبعة الثامنة. وانظر أيضاً، الزيات، أحمد حسن: تاريخ الأدب العربي، ص ٣٦٩.

٢- شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث. ص ١٠٩.

## الفصل الثاني

### نشأته الأدبية والثقافية

#### بيئة شوقي العلمية وثقافته

ولد أحمد شوقي "بياب إسماعيل" وشبَّ في جواره ونشأ في حماه، وكان شوقي رجلاً ذكياً مندطفولته، وكان ولد في أسرة غنية وتأثر نفسه بالبيئة الاجتماعية والسياسية.

ويقول شوقي في مقدمة ديوانه:

"حدثني سيد ندماء هذا العصر المرحوم الشيخ على الليثي قال: لقيت أباك وأنت حمل لم يوضع بعد فقصص على حلما رآه في نومه فقلت له وأنا أما زح ليولدن لك ولد يخرق كما تقول العامة خرقاً في الإسلام، ثم اتفق أنني عدت الشيخ في مرض الموت وكانت في يده نسخة من جريدة الأهرام فابتدر خطابي يقول هذا تأويل رؤيا أبيك يا شوقي فوالله ما قالها قبل في الإسلام أحد قلت وما تلك يا مولاي قال قصيدتك في وصف (البال) التي تقول في مطلعها:

حف كأسها الحبيب فهي فضة ذهب  
وها هي في يدي أقرأها - فاستعدت بالله وقلت له الحمد لله الذي جعل هذه هي  
"الخرق" ولم يضربني الإسلام فتيلاً" - (١)

ولاريب فتح شوقي عينيه في بيئة ترف ولهو، ولكن والده كان قد أتلّف ثروته بإسرافه، فنشأ أحمد يسمع بتلك الثروة ولا يرى من آثارها إلا الأحاديث عنها، على أن جدته لأمه كفلته". (٢)

و كانت جدته اليونانية مشغوفة به تقوم على تربيته، وكانت مندعصر إبراهيم على صلة وطيدة بالقصر، وهي جدته التي حملت إليه الروح اليوناني وكانت تحبه وتؤثره، فكفلته وقامت على تربيته الأولى، وكانت منعمة مؤسرة، تعيش بياب إسماعيل فعاش معها الطفل حيث الترف والنعيم. ويقول شوقي عن جدته في ديوانه:

أحني عليّ من أبي	"لي جـدة تـرأف بي
تذهب فيه مذهبي	وكل شيء سـرّني
كلهم لا تغضب	إن غضب الأهل على
مشية المـؤدب	مشي أبي يومئذ إلى

١- أحمد شوقي: مقدمة الشوقيات، ١٥/١.

٢- عمر فروخ: كلمة في أحمد شوقي، ص ٥.

غضبان، قد هدد بالضرب      وإن لم يضرب  
 فلم أجد لي منه غير      جدّتي من مهرب  
 فجعلتني خلفها      أنجوبها وأحبتني  
 وهى تقول لأبي      بلهجة المؤنب  
 ويحّ له ويحّ له      ذا الولد المعذب  
 ألم تكن تصنع ما      يصنع إذ كنت صبي“ (١)

وجدته هذه هي التي فتحت أبواب العلم عليه، يعترف شوقي أن في إجلاء استعداداته العلمية والأدبية وفي نشأته على نهج شديد لعبت جدته دوراً مهماً أكثر من والديه، وذلك بأن والد شوقي ما كان له علاقة بالعلم، بل كان يظن من واجباته أن يضيع الوراثة رغم وسعتها، فأتلف كل الثروة التي وجدها من أسلافه، عندما رأت جدته حالته ففهمت أنه إن تربي شوقي تحت كفالة أبيه سيكون مثله، فرأت العافية في أن تكفله بنفسها منذ طفولته، لكي يكمل كل مدارجه من الضعف الفكري إلى قوته الفكرية بعافية وبسلامة، نرى هذه الخطوة من جدة شوقي كانت مملوءة بالحكم، وكانت امرأة كيسه ومدأكه للأمر، وعيونها الضعيفة كانت ترى المستقبل المنور لسبطها، وكانت تحرص على أن تربي سبطها على هذا النهج كي يستفيد منه راحة الأعصاب وهدوء القلب وينال مقاماً بارزاً في المجتمع.

وعملت على تدبيرها وأدخلته في القصر منذ صغره وهكذا بدأ حياته الأدبية. وعلى النحو الآخر كان شوقي متصفاً بخصائص وهبية و كان يمتاز من أطفال عمره وصارت فطائته أساساً لحسن حظه ونال مقاماً محموداً في القصر وتمتع على كل خطوة بمحبة وإقبال خاص من رئيس القصر.

ويبين شوقي دخوله مع جدته في القصر هكذا:

”حدثتني أنها دخلت بي على الخديوي إسماعيل وأنا في الثالثة من عمري وكان بصري لا ينزل عن السماء من اختلال أعصابه، فطلب الخديوي بكرة من الذهب ثم نشرها على البساط عند قدميه ف وقعت على الذهب اشتغل بجمعه واللعب به فقال لجدتي اصنعي معه مثل هذا فإنه لا يلبث أن يعتاد النظر إلى الأرض قالت هذا دواء لا يخرج إلا من صيدليتك يا مولاي، قال جيئني به إلى متى شئت إنى آخر من ينثر الذهب في مصر، ولا يزال هذا الارتجاج العصبي في الأبصار يعاودني و كان المرحوم الشيخ علي الليثي كلما التفت عينه بعيني ينشد هذا المصراع للمتنبي:

”محاجر مسك ركبت فوق زئبق“ (٢)

١- أحمد شوقي: الشوقيات، ١٦١/٤، وانظر أيضاً: عمر فروخ: كلمة في أحمد شوقي، ص ٤٠.

٢- أحمد شوقي: الشوقيات، ١٦١/٥، وانظر أيضاً: شراره، عبد اللطيف: شعراؤنا شوقي، ص ٧.

وقد أكمل مرحلة ابتدائية لتعليمه وتربيته في القصر، وقد اجتاز كل مراحل الارتقاء النفسية والذهنية في القصر، وأعمر شوقي قلبه بحب القصر وأهل القصر مع إرتواء عيون العلم والفنون، واستمرّ حبه للعلوم معه إلى وفاته، وما كان يمكن لأي الحزن والألم أن يتفرقه من حب القصر، بأن حياته كانت متصلة بالقصر منذ صغره، وولد بباب إسماعيل حيث البأس والعزة وحيث الغنى والثروة، وحيث الترف والنعيم وحيث هذه العناصر الكثيرة المتباينة التي تبعث الحياة في ناحية من أنحاء النفس، وتبعث الموت منها في ناحية أخرى وحيث هذه الاعتزاز بالنفس والازدراء للشعب وحيث هذه الاثرة التي تخيل إلى صاحبها أن كل شيء مسخر له، وأنه هو لم يسخر ألا يستأثر بنعيم العيش، نشأ شوقي في بيئته تلك فذهب إلى الكتاب ثم إلى المدرسة، فأما شوقي فقد كان يجد من بيئته الأرستقراطية ما يضعف في نفسه أثر الكتاب والمدرسة، فلماذا نستطيع أن نقول أن شوقي كان أرستقراطياً في أوائل عمره رغم صلته بالكتاب والمدرسة ولكن صار ديموقراطياً بعده وأرشد حبه للجاه والحشمة إلى القصر. وقد تعلّم ولكن في عزلة ونعيم وارتحل ولكن إلى حيث اللهو واللذة، وإلى حيث العلم والأدب والفن، وإلى حيث الطبعية المبتسمة. وعندما عاد شوقي إلى القاهرة بعد أن تلقى الدراسات العالية، فكان تمهّراً في العلوم البديعة والفنون الجديدة وكان اكتسب شعره مكاناً بارزاً وتضلع في القوافي والأوزان تضلعاً كاملاً، ثم كان بعيداً عن الحزن والألم ولأن الشعر قد يكون مترجماً كيفية القلب في الحقيقة وقلب شاعرنا لم يعرف الحزن والألم، فلماذا كان شعره صوت قلوب الشبان، ويجذب قراءه إليه كقوة مغناطيسية ويتمكن في قلبه ويهب شعره الحلاوة للأذان والفرحة للقلوب، وبرغم هذه الخصائص لا نجد في شعره أية صلة بالأمور العادية التي تتعلق برجل عام، لأن شعره كان محدوداً بالقصر ورئيس القصر آنذاك، فلماذا نجد في شعره تذكرة الأغنياء والوزراء الذين يبالغ في مدحهم لا شك فيه أن الشوقي تعلّم الطيران في ذلك العصر ولكن كان مقيماً طيرانه بالقصر فقط ولذلك نرى عامة الناس لا يعرفون لشوقي في ذلك العصر مكان كما كانوا يعرفون حافظاً (شاعر عصره)، لأن الحافظ كان قريباً إلى الناس وكانت مشاكلهم ومصائبهم أهم جزء لشعر الحافظ، وقال الدكتور طه حسين في هذا الصدد:

”وقد تقارب مولد الشاعرين، ولد أحدهما (شوقي) سنة ١٨٦٨م وولد الآخر (حافظ) سنة ١٨٧١م، تقارب مولدهما في الزمان ولكن نشأتهمما اختلفت أشد الاختلاف، ولد أحدهما بباب إسماعيل في الترف واللهو، ولد الآخر في ناحية مظلمة متواضعة من نواحي مصر، في أسرة مصرية لاحظ لها من غني ولا ثروة، لانصيب لها من بأس ولا سلطان، أسرة من هذه الأسر التي تمتلئ بها مدن مصر وقراها والتي تعودت منذ أيام المماليك أو قبل أيام المماليك أن تشقى ليسعد غيرها،

وأن تعمل ليكسل غيرها، وأن تتألم في صمت، وتحتلم المكروه في صبر وإذعان، ولكن أمر هذه الأسر كان قد أخذ يتغير في هذا الوقت، فأتيح لهذه الظلمة التي كانت تغمرها وتحيط بها أن تنقشع عنها بعض الشيء، وأتيح لهذا الشعور الذي كان مغلولاً أن يجد شيئاً من الحدة، وأتيح لهذا العقل الذي كان مغلولاً أن ينطلق من عقاله بعض الشيء“ (١).

نشأ شاعرنا الأول في هذه البيئة، فذهب إلى الكتاب ثم إلى المدرسة، ونشأ شاعرنا الآخر في البيئة الأخرى، وكل منهما تلقى العلم والأدب ولكنهما كانا منفردين حيث ميلانهم في الشعر، فأما شوقي فقد كان يجد من بنية الأرسقراطية ما يضعف في نفسه أثر الكتاب والمدرسة، وأما حافظ فقد كان مائلاً إلى ذكر الأمور العادية في شعره ونجد فيه صدًى الحياة العامة وأن نفس شوقي كانت أرسقراطية رغم صلته بالقلم والكتاب وكانت نفس الحافظ ديموقراطية خالصة، واضطرت ظروف الحافظ إلى الطرب، وأهدت نفس شوقي إلى القصر والتقى الشاعران آخر القرن الماضي في ميدان واحد... ميدان الشعر، وكان أحدهما قد تعلم ولكن في عزة ونعيم، وكان الآخر قد تعلم ولكن في فقر وبؤس.

ثم عاد كل من الشاعرين إلى القاهرة، فأما أحدهما فإلى حيث كان ينتظره المنصب واللعب والثروة والترف، وأما الآخر فإلى حيث كانت تنتظره البطالة والشوارع والمقاهي والفقر والشظف وسوء الحال، وهذا الهم الثقيل الذي يضاجع الفقير إذ أوى إلى سريره ويكشر له عن أنيابه إذا أراد أن ينظر إلى وجه الصبح، ثم يجلس على مائدة غير المتواضعة، وإذا أصبح فيكون نشيطاً ومملوءاً بعلو الهمة.

ويقول الدكتور ماهر حسن فهمي في كتابه:

”وعاد الشاعران إلى القاهرة في هذه الحال، واستقبل كل منهما أهل القاهرة بما أمكن أن تتغنى به نفسه من الشعر، وسمع أهل القاهرة غناء حافظ وغناء شوقي، فأعجبوا بشوقي وأحبوا حافظاً، وكذلك انتقل إعجاب القاهرة بشوقي إلى أهل مصر ثم إلى أهل الشرق العربي، ثم مات حافظ فحزنت عليه مصر والشرق حزن المحب، ومات شوقي فحزنت عليه مصر والشرق حزن المعجب“ (٢).

ويقول الدكتور شوقي ضيف عن نشأته:

- 
- ١- أحمد عبيد: ذكرى الشاعرين: شاعر النيل وأمير الشعراء، ص ٦٩٥.
  - ٢- أحمد عبيد: ذكرى الشاعرين- شاعر النيل وأمير الشعراء- ص ٦١-٦٩، انظر أيضاً: فهمي، ماهر حسن، الدكتور: شوقي شعره الاسلامي- القاهرة: دار المعارف بمصر: شارع ماسيرو. بدون التاريخ. ص ٤٨.



”ونشأ في بيئة أرستقراطية مترفة، وأخذ يختلف منذ سنة الرابعة إلى الكتاب، ثم انتقل إلى المدارس الابتدائية والثانوية، فكان ذلك فرصة له ليختلط بأبناء الشعب وحياتهم الديمقراطية، ولكنه سرعان ما كان يعود إلى بيئة وما بها من نعيم الحياة ولما أتم تعليمه الثانوي في سنة ١٨٨٥ م ألحقه أبوه بمدرسة الحقوق ليدرس فيها القانون وفي هذه المدرسة تعرف على أستاذه في العربية الشيخ محمد البسيوني (١) وكان قد أخذ يتفجر ينبوع الشعر على لسانه، فأعجب به أستاذه، وكان هو الآخر يجيد نظم الشعر إلا أنه لم يكن يفهم منه إلا مديح الخديوي. (٢) توفيق في المواسم والأعياد، فدفع تلميذه في هذا الاتجاه، وتخرج شوقي في قسم الترجمة سنة ١٨٧٨ م فعينه توفيق بالقصر، ثم أرسله إلى فرنسا ليدرس الحقوق، فانتظم في مدرسة بمونبلييه لمدة عامين، ثم انتقل إلى باريس، وظل بها عامين آخرين، حصل فيهما على إجازة نهائية، وهيت له فرص مختلفة ليذرع فرنسا طولاً وعرضاً وليزور لندن وبلاد الإنجليز، وكان طوال أقامته في باريس يشاهد مسارحها ويتصل بحياتها الأدبية، وأقبل على قرأه تكفوه هيجو ودي موسيه ولافونتين ولامرتين، وترجم للأخير قصيدة البحيرة شعراً“ (٣).

### نشأته الأدبية

نشأ شوقي في ظل بيت الملك بمصر، وفي بيئة أرستقراطية مترفة في أسرة غنية ولد بباب إسماعيل وشب في جواره ونشأ في حماه.

كتب أحمد شوقي في مقدمة ديوانه:

”أولم يكن من الغبن على الشعر والأمة العربية أن يحيا المتنبي مثلاً حياته العالية ثم يموت عن نحو مائتي صحيفة من الشعر، تسعة أعشارها لممدوحيه، والعشر الباقي، وهو الحكمة والوصف للناس، هنا يسأل سائل: وما بالك تنهى عن خلق وتأتي مثله؟ فأجيب أني قرعت أبواب الشعر وأنا لا أعلم من حقيقته ما أعلمه اليوم، ولا أجد أمامي غير دواوين للموتى لا مظهر للشعر فيها، وقصائد للأحياء يحذون فيها حذو القدماء، والقوم في مصر لا يعرفون من الشعر إلا ما كان مدحاً في مقام عال، ولا

١- هو محمد البسيوني البياني، (بياني كان حياً في سنة ١٨٨٣ م). انظر للتفصيل: معجم المؤلفين، ١٠٢/٩.

٢- الخديوي توفيق (١٨٥٢-١٨٩٣ م) محمد توفيق باشا بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي، انظر للتفصيل: الأعلام، ٦٥/٢.

٣- شوقي ضيف، الدكتور: الأدب العربي المعاصر في مصر، ص ١١٠، ١١١.

يرون غير شاعر الخديوي صاحب المقام الأسمى في البلاد، فما زالت أمني هذه المنزلة، أسمو أليها على درج الإخلاص في حب صناعتي و اتقانها بقدر الإمكان، وصولها عن الابتدال حتي وفقت بفضل الله إليها، ثم طلبت العلم في أوربا فوجدت فيها نور السبيل من أول يوم جعلت أبعث بقصائد المسماة "بالبحيرة" من نظم (لامرتين) وهي من آيات الفصاحة الفرنسية، ثم أرسلتها إلى الباشا المشار إليه في كراس ليطلع الجناب الخديوي عليها وأذا كنت لا أتخذ بشعري مسودات رجوت أني أحدها عنده بعد العودة الى مصر ثم عدت دون ذلك عواد، وجربت خاطري في نظم الحكايات على أسلوب (لافونتين) الشهير، وفي هذه المجموعة شيع من ذلك، فكنت إذا فرغت من وضع أسطورتين أو ثلاث أجتمع بأحداث المصريين وأقرأ عليهم شيئاً منها فيفهمونه لأول وهلة ويأنسون اليه ويضحكون من أكثره". (١)

ونجد في شعر شوقي أن أحوال حياته لم تستقر على نهج واحد، كانت مدًا و جزرًا طوال حياته ورأى الرفعة وانهار القصر بعينه، فكان ضروريا أن يطرأ التغير على فنه وفكره كما أن قلب شاعر يكون متحمسا جدًا، فلا يمكن له أن يعيش بدون شعور هذه التغيرات.

"فإنه قد شهد في حياته من التطورات السياسية والاجتماعية والأدبية الشعرية ما كان له أبلغ الأثر في تطور حياته ومواقفه ومجالات القول في شعره، بل وفنون الأدب التي عالجه، ويكفيه أنه عاصر ثورتين كبيرتين في حياة وطنه هما ثورة أحمد عرابي سنة ١٨٨٢، ثم ثورة الشعب المصري كله بزعامة سعد زغلول سنة ١٩١٩م ضد الاحتلال الإنجليزي، ثم شهد التحول التدريجي الكبير الذي حدث في وجدان الشعب العربي في مصر من ناحية التبعية للخلافة التركية إلى الشعور بالقومية العربية والنزعة الوطنية وهو الشعور الذي ظل يتصاعد حتى بلورته ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ في التحرر الوطني الكامل لكل قطر عربي من الاستعمار الأجنبي أيا كان نوعه تمهيداً للوحدة القومية التي نرجو أن تشمل العالم العربي كله من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي. وكان لابد لتلك الأحداث الكبرى من أن ينعكس تأثيرها على حياة أحمد شوقي واتجاهات تفكيره، واحساسه فضلاً عن اتجاهات فنه الشعري والأدبي وقوالبه وطرائق تعبيره وبخاصة وأنه قد ولد وترعرع في الفترة

التي أخذ يلتقي فيها ويتفاعل التياران الكبيران اللذان تقوم عليهما نهضة العالم العربي الحديث ونعني بهما تيار البعث والتيار الأوروبي“ (١).  
وهذه البيئة التي ساعدت شوقي في تكوين شخصيته كشاعر بارز تمكنت له أن يصادف الأحوال السيئة والظروف غير الملائمة بوجه طلق.

---

١- انظر: أحمد شوقي، أحمد زكي أبو شادي: أعلام الشهر العربي الحديث. بيروت: المكتبة التجارية للطباعة والنشر والتوزيع ص ٣٨.

## الفصل الثالث

### رحلاته التعليمية

#### تعليمه الابتدائي

كان شوقي عظيم الزاد من الثقافة، كثير القراءة، وشديد الحرص على تثقيف نفسه وأن يتقدم في مجال العلم والأدب وكان يدعو الناس الى العلم في قصائده، وهذا طبيعي، لأنه ذاق حلاوة الثقافة: شرقية وغربية، قديمة وحديثة، وعلم من تجارب الأيام أن العلم هو سر القوة، وما زال داعياً جيله إلى نهضة علمية.

ويقول الدكتور عمر فروخ:

”وفي الرابعة من عمره ١٢٨٩هـ / ١٨٧٣م دخل ”أحمد“ مكتب الشيخ صالح، ثم انتقل إلى ”المبتديان“ أي المدرسة الابتدائية، ثم إلى المدرسة التحضيرية، وفي عام ١٨٨٣م أدخله أبوه مدرسة الحقوق، ولكن لما انشأت الحكومة قسماً للترجمة في مدرسة الحقوق نفسها انتقل ”أحمد“ إليه ومكث عامين في قسم الترجمة ونال الشهادة النهائية عام ١٨٨٦م“ (١).

ويقول الدكتور شوقي ضيف في هذا الصدد:

”واختلف شوقي منذ الرابعة إلى مكتب الشيخ صالح، ثم انتقل منه إلى مدرسة المبتديان، فالتحضيرية، وفي هذه المدرسة أظهر تفوقاً ونبوغاً، فمنح المجانية مكافأة له، وتخرج فيها وعمره خمس عشرة سنة“ (٢).

ومن غير شك كان يختلط أثناء ذلك ببعض العناصر الديمقراطية من الشعب ولكن اختلاطه كان محدوداً، إذ كان لا يلبث أن يعود إلى بيعة الأرسطراطية، فتضعف إحساسه الديمقراطية المكتسبة، ويرجع إلى أرسطراطية الأصلية.

ويقول شوقي بنفسه عن دراسته في مقدمة ديوانه ”الشوقيات“:

”ودخلت في مكتب الشيخ صالح، وأنا في الرابعة وهي من أهلي جناية على وجداني أغفرها لهم ثم انتقلت منها إلى المبتديان فالتحضيرية فكنت التلميذ الثاني لهذه المدرسة وأنا في الخامسة عشرة وكان ناظرها المرحوم صادق باشا شنن قد حصل لي من النظارة على ”المجانية“ بوجه

١- عمر فروخ: كلمة في أحمد شوقي، ص ٦٥-٦٠.  
انظر أيضاً: أحمد الحوفي، الدكتور: أضواء على الأدب الحديث. الطبعة الأولى، القاهرة: دار المعارف ١١١٩ كورنيش النيل. ١٩٨١م ص ٨٩-٩٠. انظر: شوقي ضيف، الدكتور: الأدب العربي المعاصر في مصر- ص ١١٠-١١١. انظر: الزيات، أحمد حسن: تاريخ الأدب العربي، ص ٣٦٩.  
٢- شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث، ص ١١-١٢.

الاستثناء لا عن حاجة إليها ولكن على سبيل المكافأة ثم رأى لي أبي أن أدرس القوانين والشرائع، فدخلت مدرسة الحقوق وكان ناظرها المأسوف عليه فيدال باشا لايراني أهلاً لذلك بالسن فما زال أستاذاً وصديقي المهذب يحيى بك إبراهيم وكيل المدرسة يؤمئذ يؤيدني عند رئيسه إلى أن قبلت ثم لم يكفه ذلك حتى حصل لي من النظارة على مائتي قرش في الشهر فدرست الحقوق سنتين، ثم ارتأت الحكومة أن ينشأ بمدرسة الحقوق قسم للترجمة يتخرج فيه المترجمون الأكفاء فنصح لي الوكيل أن أدخل هذا القسم ففعلت، وأقمت به سنتين، ثم منحتني نظارة المعارف الشهادة النهائية في فن الترجمة". (١)

ويكتب عبد اللطيف في كتابه عن تحصيل علمه في هذه الألفاظ:  
 "تلقي شوقي دروسه الابتدائية في كتاب، أي في مدرسة قرآنية لاتعرف شيئاً من أصول التربية الحديثة، وانتقل منها إلى ما كان يسمى "المبتديان" ومن المبتديان إلى التجهيزية، حتى إذا بلغ السادسة عشرة من سنه، التحق بكلية الحقوق، وأنشئ في هذه الكلية، بعد عامين من التحاقه بها، فرع للترجمة دخله، وخرج منه بشهادة نهائية في الترجمة". (٢)

ويظهر من العلوم أن منهجين للتعليم كانا معروفين في مصر آنذاك:  
 التعليم الديني الشرقي في الأزهر، وكان خاصاً بالتراث الإسلامي وكان يتأثر بالقرون الوسطى، والعلوم المدرّسة فيها هي لغة وطب وفلسفة وغيرها، ولكن بصورة شاحبة ضئيلة.  
 والتعليم المدني الغربي، وهو تعليم أساسه على منهاج أوربا وقد بدأ تعليمه في عصر محمد علي، ولكن انقطع تعليمه في عهد سعيد وعباس ثم عاد إلى نشاطه الأول في عهد إسماعيل وبرزت مهاراته وقدراته بسبب تعليمه المغربي.

وحينما أتم تعليمه الثانوي ألحقه أبوه بمدرسة الحقوق، ليدرس القانون، وبعد مدة يسيرة لحق الخديوي توفيق، بعد أن تولى خديوي توفيق الرئاسة صار شوقي ساعده الأيمن، وترك أثراً على خديوي توفيق أثراً كثيراً بمواهبه العلمية وبذكائه، فقد فاز بحصول مكان عال في أيدي الخديوي التوفيق.

وأن الشعراء يتفاضلون بقوة الشاعرية، وحسن اختيار اللفظ ودقة المعاني، وقد كان الخديوي توفيق معجباً به وبشعره، وكان يريد خديوي منه أن يزداد استعداده الشعري وأن يروي

١- أحمد شوقي: الشوقيات، ص ١٦-١٧. وانظر أيضاً: طه وادي، الدكتور: شعر شوقي الغنائي والمسرحي، ص ١٦٨.

- وانظر أيضاً: شوقي ضيف: الأدب العربي المعاصر في مصر، ص ١١٠.

٢- شراره، عبد اللطيف: شعراؤنا شوقي، ص ٢٠.

نفسه ببحر العلم ومناهلها، فدفع كل تكاليفه العلمية وحثه على تحصيل العلم بدون أي تفكير عن معاشه وما أفنطه في أمنيته.

فأرسله الخديوي إلى فرنسا للدراسة العليا بعد تخرجه من مصر.

### سفره إلى فرنسا

وسافر شوقي في عام ١٨٨٧م إلى فرنسا على نفقة الخديوي لدراسة الحقوق، مع أنه لم يكن كثير الميل إلى الحقوق.

وكتب الخديوي إلى مدير البعثة المصرية في فرنسا لاستقباله على وصوله، وأخبره المدير أن الخديوي أمر له أن يقضي عامين في مونبلييه وفي باريس عامين آخرين.

والتحق شوقي بمدرسة الحقوق في مونبلييه، ولما انقضت السنة الأولى حاول أن يعود إلى مصر لزيارة أهله، فمنعه الخديوي، حتى لا يضيع من سنواته الأربع وكثرت له الدعوات من رفقاءه الفرنسيين في المدرسة خلال إقامته، فلبى دعواتهم وتصفح معالم الحضارة الغربية.

ولم يكن تنتهي السنة الثانية حتى أرسل إليه مدير البعثة في باريس مع الطلبة في رحلة إنجلترا ليقضي أكثر أيام العطلة بها، وأن الخديوي كتب إليه أن يصطحبه، فسافر إلى باريس، فسافروا جميعاً إلى إنجلترا حيث قضوا شهراً متفرجين في لندن وغيرها من المدن.

### حصوله على شهادة الحقوق

وفي السنة الثالثة في باريس أصيب بمرض شديد، ولما تماثل للشفاء، تشاور له الأطباء أن يقضي بعض أيام في الأفريقة، فاخترت الجزائر ومكث فيها أربعين يوماً، ثم عاد إلى باريس ليستأنف دراسة الحقوق، فقد استطاع على حصوله إجازته النهائية في آخر السنة الثالثة، وظل هناك ستة شهور، ثم رجع إلى فرنسا ونال شهادة في الحقوق سنة ١٨٩١م، ثم عاد إلى مصر.

ويقول عباس حسن في هذا الصدد:

”وأنه تلقى العلوم المختلفة في مصر والخارج، وأتاحت له رحلاته العلمية وغير العلمية أن يشاهد كثيراً من البلدان الإفريقية والأوروبية والآسيوية. وأن يطلع على حفالات ومدنيات متباينة وكانت هذه الدراسة في فرنسا أهم حادث في تكوّن شوقي، وبناء شخصيته وتركيز ثقافته، إذ تمكّن على يدها من التنقل في مختلف البلدان الأوروبية من بعد والاتصال بحياتها الثقافية عن طريق الفرنسية“ (١).

وينتهي شوقي دراسة المرحلة الثانوية في سن مبكرة (١٨٨٥م) ثم ينهي دراسة الحقوق والترجمة عن ”الفرنسية“ (١٨٨٩م)، وبعد إكمال دراسته رجع شوقي إلى مصر ولحق القصر.

ويقول عمر فروخ:

”ولمّا رجع إلى مصر عين رئيساً للقلم الأفرنجي في ديوان عباس حلمي الثاني، وقد ظل في هذا المنصب حتى نشوب الحرب العالمية. وقبل انصرام القرن التاسع عشر توفي علي، والد شوقي في سنة ١٨٩٥ م“ - (١)

### خدماته العلمية والأدبية

وانعقد مؤتمر المستشرقين في جنيف عام ١٨٩٤ م فأوفده الخديوي إليه مندوباً عن الحكومة المصرية، وهناك ألقى قصيدته الملحمة الشهيرة التي لخص بها ”تاريخ وادي النيل“ والتي توجد في ديوانه (الجزء الأول) من الشوقيات (طبع ١٩٥٣ م) وكان استحسن في معظم الأوساط والأقطار الأدبية.

وولى رئاسة القلم الأفرنجي بمعية الخديوي عباس حلمي باشا الذي كان كثير الرعاية له، وبقي في ذلك المنصب إلى أن شبت نيران الحرب العظمى (٢) وخاضت التركي غمارها مع الأوطان، وكان الخديوي لا يزال مقيماً في الآستانة وصار أكثر غضباً بالإنكليز فقصده الإنكليز أن يحرموه من منصبه وأن يولوا عمه (الأمير حسين كامل باشا) سلطنة مصر، فأبى كثير من الموظفين أن يعملوا على مناصبهم وفاء لمولاهم المخلوع. وكان شوقي أحدهم فأجبر على أن يغادر مصر في الفور فاختر الأندلس. وظل بها إلى آخر سنة ١٩١٩ م، فمناحواله بالعودة، فوصل أول سنة ١٩٣٠ م. وعاد إلى وطنه والحركة الاستقلالية التي كان يقودها سعد زغلول في ذروة ازدهارها، ومعركة المصريين مع الإنكليز المحتلين في زروة احتدامها، فتحوّل شعره إلى المناسبات السياسية والاجتماعية المختلفة، المتنوعة، المتعددة وأخذ ولاءه للقصر يتحوّل شيئاً فشيئاً إلى الجمهور، إلى الشعب، إلى الحركة الوطنية الاستقلالية، وجماهير العربية في مختلف الأقطار والبلدان تجد فيه شاعر قضاياهم، حتى إذا حل عام ١٩٢٧ م وطبعت طبعة ثانية ”الشوقيات“ وانعقد حفل تكريم توافد عليه شعراء العربية وأعلام ثقافتها من مختلف الديار، وأعلن فيه الحافظ إبراهيم بإمارته في الشعر وبأصالة نفسه ونيابته عن ”وفود الشرق“ وأنشد بيته الشهير:

”أمير القوافي قد أتيت مباعاً وهذي وفود الشرق قد بايعت معي“ (٣)

ما مضت خمس سنوات على مجده إلا خمس سنوات وانصرف خلالها إلى الحياة الأدبية بجدّ حال من السياسة ووظائفها، وتوجهه إلى النوع الأدبي الذي افتقده العرب في تاريخهم لدى

١- عمر فروخ: كلمة في أحمد شوقي- ص ٦٥، وأنظر أيضاً: الزيات: تاريخ الأدب العربي، ص ٣٦٩.

٢- في أغسطس سنة ١٩١٤ م وظلت إلى نوفمبر سنة ١٩١٨ م.

٣- ديوان حافظ إبراهيم: ١/٩٦ - (وانظر أيضاً: شراره، عبد اللطيف: شعراؤنا شوقي- ص ٢٠-٢٤).

احتكاكهم بالثقافة الغربية، وهو الشعر التمثيلي، فأخذ في وضع المسرحيات يحاكي بها ما عرفه لدى شعراء فرنسا من أمثال "راسين و كورني" وأخرج "مصراع كليو بطره" و "قمبيز" و "مجنون ليلي" و "عنتره" كما أخرج مسرحية نثرية "أميرة الأندلس" وظل طول حياته ينشد الشعر ويقف على خط واحد مع "امرؤ القيس" (١) و "المتنبي" (٢) و "أبي فراس" (٣) و "المعري" (٤)

### العوامل التي كونت شخصية أحمد شوقي كشاعر وأديب

وكان شوقي رجلاً ذكياً منذ طفولته، ولكن لا يمكن لنا ان نغض البصر من العوامل التي كونت شخصيته كشاعر وأديب-

وكان في أثناء دراسته للحقوق يتلقى نوعاً آخر من الدراسة الأدبية، فقد قرأ على شيخ حسين المرصفي وأستاذ البارودي أيضاً، وقرأ عليهم كتاب "الكشكول" لبهاء الدين العاملي وشعر البهاء زهير، كذلك اتصل شوقي في هذه المرحلة بالشيخ حنفي ناصف وقرأ عليه سنتين. وعلى نهاية دراسته الحقوقية صار نابغاً في الأدب أيضاً وعلم المصريون عن ولادة شاعر جديد بمصر. وينبغي لنا أن نذكر العوامل التي بها وصل شوقي إلى مكانة أدبية ومرتبة اجتماعية.

### العامل الأول

ويقول د. طه وادي:

"وكان من حسن حظّه أنه تتلمذ على حسين المرصفي، ثم حنفي ناصف وعبد الكريم سلمان ومعاصريه البارودي وغيره من شعراء البعث، وكل هؤلاء جعلوه يعمق صلته بالتراث القديم حفظاً ودراسة". (٥)

ويظهر من مقدمة الجزء الأول من الشوقيات وديوانه ما أخذ من أساتذته من القراءة والتأثر وما أخذ من شعراء العربية، أنه استوعب كل من سبقه بصفة عامة، وخاصة تأثر من المتنبي والبحري، حاول أن يتبع مسارهم الفني في قصائدهم الشهيرة وعلى الرغم ما لقي شوقي بالحضارة والأدب الأوربيين في فرنسا. أثناء البعثة الدراسية من أسبانيا. أثناء النفي إلا أنه ظل يستمد من "عروبة الفن" ماهية الشعر وأداته.

- ١- (امرؤ القيس: ت ٥٦٠م)
- ٢- المتنبي: ٣٠٣هـ-٣٥٤هـ.
- ٣- أبي فراس: ٣٢٠هـ-٣٥٧هـ.
- ٤- المعري: ٣٥٣هـ-٤٤٩هـ.
- ٥- طه وادي، الدكتور: شعر شوقي الغنائي والمسرحي- ص ١٢. وانظر: طه حسين: من حديث الشعر والنثر. مصر: دار المعارف، ١٩٥٧م.



## العامل الثاني

والذي وعاه شوقي، منذ وقت مبكر، أنه أعد نفسه ليكون كما قال عن نفسه:

شاعر العزيز وما بالقليل ذا اللقب

ولذلك لم ينشر في بدء حياته الشعر إلا في مدح الخديوي، بل كان يصرُّ أحياناً على أن يقدم له مدحته يدا بيد، ولعل السبب في هذا أنه ارتبط أسرته بالقصر، وفهمه التقليدي لوظيفة الشعر ماتاً من نفيه وتشريده، ولكن بيد وأن السبب الأهم هو أن فهمه التقليدي لما هية الشعر ووظيفته جعله يطمئن على وظيفة الشاعر "المادح" وقد حاول أن يعتذرون عن هذا الفهم في تقديم ديوانه. فيقول:

"إني قرعت باب الشعر وأنا لا أعلم من حقيقته ما أعلم اليوم، ولا أجد غير دواوين

للموتى لا مظهر للشعر فيها، وقصائد للأحياء يحذون فيها حذو القدماء، والقوم في

مصر لا يعرفون من الشعر إلا ما كان مدحاً في مقام عال". (١)

ولكن بعثه الخديوي إلى فرنسا لدرس الحقوق أوائل سنة ١٨٩١م، حيث قضى سنتين في

باريس وسنة في مونبلييه.

ويقول شوقي عن هاتين السنتين:

"طلبت العلم في أوروبا فوجدت فيها نور السبيل من أول يوم وعلمت أنني مسؤول عن تلك

الهمة التي يؤتيها الله ولا يؤتيها سواه، وأني لا أؤدي شكرها حتى أشاطر الناس خيراتها التي لا تحذ

ولا تنفذ وإذ كنت أعتقد أن الأوهام إذا تمكنت من أمة كانت لباغي أبادتها كالأفغان، لا يطاق لقاءه

ويؤخذ من خلف بأطراف البنان جعلت أبعث بقصائد المديح من أوروبا مملوءة من جديد المعاني

وحديث الأساليب بقدر الإمكان إلى أن رفعت إلى الخديوي السابق قصيدتي التي أقول في مطلعها:

"خدعوها بقولهم حسناء والغواني يغرهن الثناء" (٢)

وكان هدف توفيق من هذه البعثة أن يصقل موهبته لكي يكون شاعره "الخاص" المسبح

بحمده والمتحدث باسمه، لذلك يطلب منه في إحدى رسائله إليه:

"ويجب أن لا تشغلك دروس الحقوق التي يمكنك تحصيلها وأنت في بيتك بمصر

عن التمتع من معالم المدينة القائمة أمامك وأن تأتينا من مدينة النور (باريز) بقبس

تستضيء به الآداب العربية". (٣)

١- نظم أحمد شوقي: الشوقيات، ٧/١. (وانظر أيضاً: أحمد شوقي، أحمد زكي، أبو شادي: أعلام الشعر العربي الحديث، ص ٤٣.

٢- نظم أحمد شوقي: الشوقيات، ٧/١.

٣- نفس المرجع، ص ٨.

وأثناء إقامته في باريس تمتع شوقي بالمذاهب الأدبية والفنية المختلفة، فكانت هناك الواقعية والرمزية وبقايا الرومانسية، وإلى جوارها كانت الكلاسيكية لا تزال حية كما لا تزال حتى يومنا هذا وخاصة في الأدب المسرحي، ولما كانت المسرحيات التي تعرض الروائع الكلاسيكية هي التي تختصها الدولة، وذاع صيتها في العالم أجمع، فالظاهر أنها هي التي جذبت أحمد شوقي أكثر مما جذبت المسرحيات الأخرى، خاصة، وأن المسرحيات الكلاسيكية التي مسرحيات شعرية كلها على أن شوقي- فيما يبدو- كان يقف الأدب ومذاهبه موقف الهاوي المتذوق، يتأثر بشعراء أو محاسن فنهم، وليس بسمات محدودة لمذهب بعينه، وقد صرح منذ وقت مبكر بإعجابه بثلاثة شعراء فرنسيين على اختلاف اتجاهاتهم وهم: فيكتور هوغو (١)، لافونتين (٢) لامرتين (٣)، ولو كان من هؤلاء الشعراء الذين "كان يغنى فيهم" وننتهي إلى أن تأثر شوقي بالآداب الغربية لم يكن منظماً بحيث يبدو واضح المعالم في أدبه بصفة عامة، باستثناء شكسبير (٤) الذي تتبعه بدقة في مسرحيته عن كليوباتره. وهذه هي العوامل البارزة التي كونت شخصيته أحمد شوقي وهذه هي آثار تربيته التي تخرج فيها، واشتهر كشاعر عظيم.

### الفترة الثانية في حياته الأدبية

تبدأ الفترة الثانية في حياته الأدبية بعد العودة إلى مصر من أسبانيا، فاختلط شوقي بالشعب وأخذ ينشد نشيد الوطنية، وزين شعره بذكر أمجاد العرب والمسلمين وأدخل التدين فيه، ثم عالج الشعر التمثيلي فنظم رواياته المعروفة:

"مصرع كليوباتره" و "مجنون ليلي" و "قمبيز" و "على بك الكبير" و "عنترة" و "الست هدى"

الآن نلقي نظرة واحدة على مسرحياته التاريخية.

### مسرحياته التاريخية

أعجب شوقي بالمسرحيات المؤلفة في عصره وكتب شوقي سبع مسرحيات، منها ست مأس وواحدة ملهاة.

- ١- فيكتور هوغو (١٨٠٢م-١٨٨٥م) الشاعر الفرنسي هو الذي اشتهر بشعره الرومانتيكي وكانت تصنيفه "Les Misérables" التي ترجمه حافظ إبراهيم باسم "البوسار" طبع للمرة الأولى من مصر في سنة ١٩٠٣م.
- ٢- لافونتين (Lafontaine) (١٦٢١م-١٦٩٥م).
- ٣- لامرتين (Lamartine) (١٧٩٠م-١٨٦٩م) الشاعر المعروف بالرومانسيه بفرانس.
- ٤- شكسبير (١٥٦٤م-١٦١٦م)، الكاتب المسرحي المعروف في لغة الإنكليز.

وثلاث مآس منها كتب لغرس العاطفة الوطنية في المصريين وهي:

”مصرع كليو باتره“، و”قمبيز“ و”على بك الكبير“.

وثلاثاً أخرى تسترضى العواطف العربية والإسلامية وهي:

”مجنون ليلى“، و”عنتره“، و”أميرة الأندلس“.

أما الملهاة فتقوم على موضوع مصري شعبي.

لا نستطيع أن ننكر أنه درس المأساة الغربية وحاول أن يثبت قدرته على محاكاتها وتقليدها، درس شوقي المسرح الأوربي واختار لنفسه منه أصولاً وقواعداً كما حقه وهو شاعر فنان، وقد خالف بعض الحقائق التاريخية في غير مسرحية عامداً كما خالف بعض العادات العربية في ”مجنون ليلى“ و”عنتره“ وإنما فآخر بذلك لأنه أراد أن يمتلك عواطف الجمهور المصري، ثم كتب كليو باتره لا مثيل له في التاريخ، وسار شوقي على منهج الشعراء الذين ألفوا المسرحيات في الغرب، ولا شك أنه استفاد من المنهج المغربي في كتابة المسرحيات.

أما مصرع كليو باتره فتدور حول الحوادث البطالية في آخر أيامه البطالسة، وأما ”قمبيز“، فترجع حوادثها إلى عصر أعمق هو القرن السادس قبل الميلاد حين غزا قمبيز مصر وضمّتها إلى ممتلكاته، وأما ”على بك الكبير“، يتعلق بأحوال العصر العثماني في القرن الثامن عشر.

والآن نبين مسرحياته واحداً واحداً.

### (i) مصرع كليو باتره

ومصرع كليو باتره هي أولى مسرحيات شوقي، وقد حاول بها أن يعارض شكسبير في مسرحية المشهورة:

”أنطوني وكليو باتره“

والمأساة الموزّعة على أربعة فصول:

الفصل الأول فيها يبدأ المنظر في مكتبة قصر كليو باتره، حيث نجد ثلاثة من موظفين فيها وهم حابى وديون ولسياس، وكانوا ثلاثة هم المصريين، يصوّر التاريخ على لسان بلوتا رخوس كليو باتره في صورة حيّة رقطاء، بهيمة الذات والشهوات تدفع جسدها رخيصةً إلى كل صاحب مجد أو شرف رفيع، ورأى شوقي المصري ذلك، فأراد أن يبرز في مسرحيته بعض مواقف المملكة المصرية، واضطرّ إلى التحريف في بعض الحوادث حتى يصل إلى غايته، وهذا التحريف في حوادث التاريخ من حقه ما دام يبتغي غاية وطنية بمسرحيته، وليست المسرحيات مصدر أمن مصادر التاريخ، بل هي قصص يأخذ من التاريخ ويحرف فيه حسب ما يريد الشاعر، قدألف شوقي هذه المسرحية بعد

الحرب الكبرى، فكان طبيعياً أن يفكر في هذه المملكة المصرية، وأن لا يقدمها للجماهير مثلاً سيئاً لتضيق حقوق العباد، بل لتضيق البلاء نفسها، وإنما يقدمها وطنية محبة للوطن المصري تحي له ولعرشه، ولذلك فهو يجري على لسانه:

أموت كما عييت لعرش مصر      وأبذل دونه عرش الجمال  
ثم يقول:

قلت روما تصدعت فترى شط      رأمن القوم في عداوة شطر  
بطاها تقاسما الفلك والحي      ش وشيا الوعني ببحر وبر  
مؤقف يعجب العلا كنت فيه      بنت مصر وكنت ملكة مصر (١)

ولا شك أن هذه المسرحية لشوقي كلها مسرحية تاريخية، وقد حاول أن يبرز حوادث تاريخية فيها محاولة رائعة كما يعارض بها شكسبير بمسرحيته "أنطوني و كليو باتره" ويصور شوقي فيها تاريخ مصر.

### (ii) قمبيز

وألف شوقي هذه المأساة المصرية بعد المأساة السابقة بنحو عامين، وقد دارت حوادثها أيضاً في تاريخ مصر القديم، يبين في هذه المأساة أسطورة قديمة، تزعم أن قمبيز طلب من أمازيس فرعون مصر أن يبنى بابنته، وأجابه فرعون إلى طلبه، ولكنه لم يرسل بابنته إلى البلد الغريب، وإنما أرسل بابنة فرعون السابق له الذي قتله واستولى على العرش من بعده، وتصبح ابنة فرعون السابق زوجة لقمبيز دون أن تنبئه بحلية الأمر، ولكن سرعان ما تنكشف الحقيقة إذ يفّر من جيش أمازيس، وكان أكثره من الإغريق، ضابط إغريقي يدعى فانيس، ويولى وجهه نحو قمبيز وبلاطه، حيث يطلعه على حقيقة ما صنعه به فرعون مصر ويغويه على فتح بلاده، ويهون له من جيشها، فيكون الغزو الفارسي وتصبح مصر مستعمرة فارسية.

والمأساة مؤلفة من ثلاثة فصول:

يبدأ الفصل الأول بمنظر في غرفة قريبة من غرفة أمازيس، حيث نرى فتاته نفريت تغازل حارسه تاسو، وكان من قبل حارساً لفرعون المقتول وكان يغازل بنته نيتتاس وتعلق قلبها به على نحو ما تعلق به الآن قلب نفريت بنت أمازيس، ونرى نفريت تشكو لتاسو حظها وما جرى به القضاء. نشاهد في المنظر الثاني، وقد الفرس ينتظر ردّ أمازيس، ويتحاور أعضاؤه فيما رأوا بمصر ومن المصريين، وتجرى على ألسنتهم مدائح قوية عن شجاعتهم وعزتهم وفنهم، كأن يقول أحدهم:

"لهم مثل ما للأسد بالجنس عزة      ضواري الفلا عند الأسود كلاب

هم الشعب والناس الجنادل والحصى وتبر الشري والعالمون تراب

وكل الذي صاغوا من الفن آية وكل الذي قالوا هدىً وصواب" (١)

وما يزالون يكيلون المديح لمصر، غير أنهم يلاحظون قلة الجند فيها، كأنما هي ملك بلا حائط ولا عمد، وانهم يظنون أن عاصف بلادهم يمر عليها عاجلاً أو آجلاً فلا يبقى ولا يذر. ونتقل إلى المنظر الثالث لهذا الفصل، حيث يقيم فرعون للوفد الفارسي وليمة فاخرة مدّت عليها ألوان الطعام والخمور المختلفة، ويستعرض شوقي أثناء الوليمة بعض جوانب العادات والحياة المصرية، وفي ضحة الوليمة يتحدث بعض المصريين ساخطين على الجنود المرتزقة، وخاصة من الإغريق، وإن أحدهم ليقول لصاحبه منا:

"تأمل القصر منا وانظره أرضاً وسماء انظر ترا لاغريق فيه هم لفيف العظماء" (٢)

وشوقي في قميّز كان ممثلاً ولم يكن مغنياً وقد كثرت بها الحوادث والأشخاص، فضعف فنه الشعري، ولم نجد صوراً رائعة على نحو ما وجدنا في مصرع كليو باتره.

### (iii) على بك الكبير

وألف شوقي بعد مأساة "قميّم" مأساة الثالثة "على بك الكبير" وفي هذه المرة لا يختار مأساته من التاريخ المصري القديم، بل يختاره من التاريخ المصري الوسيط. إذ اختار موضوعها كما يبدو من عنوانها "على بك الكبير" الذي أصبح رأس المماليك وزعيمهم أواخر الحكم العثماني في القرن الثامن عشر، فعينه العثمانيون شيخاً على البلد، ووظيفة كانوا يقلدونها كبير المماليك، وكان طموحاً، ورأى ضعف الدولة العثمانية، فاستقل بمصر وحاول أن يمدّ سلطانه على الشام، فأرسل أحد أتباعه في جيش وهو محمد بك أبو الذهب، ليتم له ملك الشام كما تمّ له ملك مصر، وكان والي عكافي الشام يظاها، وانتصر محمد بك أبو الذهب، وفتحت الشام ولكن سرعان ما انقلب على سيده، واذ أغراه العثمانيون بملك مصر، فأحب أن تجري أنهارها من تحت سلطانه، وعاد في سرعة إلى مصر ولجأ على بك إلى والي عكاظهيره، غير أن أبا الذهب لم يلبث أن دسّ عليه عيون، فأسر في أثناء محاولته الرجوع إلى مصر وتوفّي بعد أيام.

ويقول دكتور شوقي ضيف عن هذه المسرحية:

"ومسرحية شوقي تتناول الحقبة الأخيرة من حياة البطل وما كان فيها من صراع بينه وبين تابعه، وهي تتألف من ثلاثة فصول وجيدة من حيث تصميمها ومن حيث تداخل نوع الصراع الذين امتدّ فيها، فقد استمر متشابكين ومتصلين اتصلاً منطقياً

١- شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث، ص ٢١٩.

٢- شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث، ص ٢٣٢.

واتصلت الحركة أيضا. وواضح أنها مسرحية تاريخية وقد اختار لها شوقي الحقبة الحظيرة من حياة علي بك الكبير، ولم يوزعها على حوادث مختلفة وأشخاص كثيرين، بل ركزها في حدود ضيقة فلم يمدأ طنابها إلى حقائق العصر كله، بل اكتفى ببعض هذه الحقائق وأختار شوقي أياما سوداء في تاريخ مصر لتمثيلاته القومية الثلاث، ومع ذلك لم يصور الشعب واحساسه الباطني بالظلم، صور مظالم المماليك حقا، ولكنه لم يصور أحساس الشعب العميق بوجود آلام والشروع في العالم وإيمانه بتغلب الشر على الخير“ (١)

### مأس عامة

وألف شوقي ثلاث مأس عربية هي ”مجنون ليلي“ و”عنترة“ و”أميرة الأندلس“ المأساتان الأوليان نظمها شعراً أما الثالثة فكتبها نثراً.

#### (i) مجنون ليلي

هي أولى المأسي العربية كتبها شوقي، ولا شك في أن هذه المسرحية خير مسرحياته استعداداً للغناء والموسيقى، ولو أن لنا موسيقى عربية كالموسيقى الغربية تحتمل التمثيل الغنائي وتضطلع به فكانت هذه المسرحية أروع وأبدع ما يقدم لتلك الموسيقى، وواضح أن البناء المسرحي لهذه القصة أحكم وأضبط إلى أبعد حدود الأحكام والضبط، فالصراع يبدأ بالأحداث والأقوال تنمو به وتنهض وما تزال فقد صور الشخصيات أبداع تصوير، إما بأقوالها أو بالأقوال التي تجري على لسان غيرها.

ويقول دكتور شوقي ضيف:

”ولم يبين شوقي مسرحيته من مواد خيالية، وإنما بناها من الأساطير العربية التي ألفت في القرنين الثاني والثالث عن الحب العذري الذي شاع في بادية نجد بين بني عامر وغيرهم من الأحياء والقبائل في أثناء العصر الأموي“ (٢)

#### (ii) عنترة

والمأساة العربية الأخرى التي ألف شوقي هي ”عنترة“ باحثاً عن موضوع عربي جديد لمأساة تكون عمادها، كما في ”مجنون ليلي“ الحب والصراع بينه وبين العادات العربية، ولم تخرج هذه المأساة في حياة شوقي، إنما خرجت بعد وفاته بنحو شهر، ومحورها عنترة البطل العربي الذي اشتهر

١- شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث ص ٢٤٠-٢٤٥.

٢- شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث - ص ٢٤٦، ٢٦٢. انظر: سيد قطب: كتب وشخصيات،

ص ١٣٩-١٤٤. انظر: عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي. بيروت: دار العلم للملايين، بدون التاريخ.

في العصر الجاهلي، وكان ابناً لجارية حبشية لسيد من سادات عبس يسمّى شداداً، وكان من عادات العرب حينئذ أن لا ينسبوا إليهم أبناء هم من الجواري الأجنبية وأن يجعلوهم عبيداً لهم، هكذا كان أبو عنتره، هو يابى أن يقبل عنتره كابنه. المسرحية تشتمل على أربعة فصول.

ويقول شوقي ضيف عن هذه المسرحية:

”ويسرد شوقي فيها العنصر الفكاهي واستطاع أن يستخدمه في رشاقة“.(١)

### (iii) أميرة الأندلس

وكتب شوقي مأساة عنتره نظماً ولكن تحول إلى كتابه نثراً وكتب مأساة أميرة الأندلس نثراً وليس بنظم، وأتم شوقي تأليف هذه المسرحية في الحقبة الأخيرة من حياته ويقال إنها بدأت في منفاه بالأندلس، وموضوعها هي العرب في تاريخ الأندلس، واختار معتمد بن عباد بطلاً لمسرحيته، وحياته المعتمد من خير الموضوعات الأندلسية الصالحة فهو في المسرحية مثال العربي الكريم الذي يغار لكرامته، وعرض شوقي في مسرحيته مواقف للغناء والرقص، ولكن غابت الأناشيد المطربة، ولم تظفر المسرحية منه بأنشوده واحدة، فظهرت عيوبه في المسرحية واضحة، وظهر أنه ليس لديه نظرات بعينها متناسقة في الحياة، إنما هي آراء يغلب عليها أن تكون حكماً منشورة، ولا تأخذ شكل تأملات وخبرات أو تحارب عميقه. وألف شوقي هذه المسرحية في خمسة فصول وينقسم كل فصل على مناظر.

ويقول شوقي ضيف في هذا الصدد:

”وإنما أظننا في تلخيص فصولها ليطلع القارئ على التفكك الذي يتناول بعض مواقفها، رأينا أن محاولة شوقي أن يداخل بين صراعين في هذه المسرحية وتتضح أيضاً معرفة شوقي بالأندلس في مختلف الجوانب من المسرحية، لا يستطيع شوقي أن يحدث حياة في عمله بدونه، وهنا في هذه المسرحية يحسن إلى حد بعيد الخيط الذي تمتدّ عليه الحوادث والأقوال والأفعال، ولم يكن شوقي من أهل الصبغة الفكرية، بل كان من أهل الصبغة العاطفية التي توقع شعراً وألحاناً لا كلمات وألفاظاً“.(٢)

### الملهاة

وألف شوقي الملهاة الواحدة، سماها ”الست هدى“ في أواخر أيام حياته، نجحت هذه الملهاة ولكن لم تلق نجاحاً غيرها من مأساته العربية، لسبب أنه تخلّص من بعض العيوب التي

١- شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث ص ٢٦٢-٢٧٥.

٢- شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث، ص ٢٧٥-٢٨٨.

لاحظناها في مسرحياته السابقة، فهذه الملهاة سريع الحوار والحركة، يبدو كأن شوقي تنبه إلى ضرورة الإعجاز والتركيـز في العمل المسرحي.

ويقول شوقي ضيف:

”وقد سلّطت أشعة كثيرة على بطلة الملهاة وبين شخصية كاملة للمرأة الثرية التي يطمع فيها الرجال، فلا يموت أحد أزواجها أو يطلقها حتى تستقبل زوجها جديداً، وقد أعطانا هيئتها وشبابها ودوافعها وعواطفها وانفعالاتها، وجسمها تجسيمياً أتاح لها حياة حقيقية، فلا نقرأ الملهاة حتى نشعر أننا تصرفنا على شخصية طريفة في مسرحنا الحديث“ (١).

ولا نبالغ إذ نقول أن هذه المسرحية هي تحفة ثمينة بين مسرحيات شوقي السبع.

### قصائده في مناسبات أخرى

ومن يتصفح الشوقيات يمكن له أن يلاحظ في وضوح أن شوقي لم يترك مناسبة إلا دون فيها الشعر، فهو لا يكتفي بالثناء والمديح لشعراء العرب القدماء، بل يحاول أن ينظم في كل حادثة تتصل بالشرق أم بالغرب، فنجد قصيدة من الجزء الأول في ديوانه بمناسبة تأجيل تنويع ملك إنجلترا ادوارد السابع لإصابة بدمل، والثانية في ذكرى كارنافون مكتشف مقبرة توت عنخ آمون، والثالثة في الاحتفال بأمين الريحاني حين وفد إلى مصر، والرابعة يناشد فيها سعد زغلول ووزير المعارف حينئذ أن يقوم بإنشاء في المصرية والخامسة في سبيل الهلال الأحمر والسادسة بمناسبة الإصلاح في الأزهر والسابعة في الاحتفال بأحمد حسين بعد عودته من رحلته في صحراء ليبيا والثامنة في الاحتفال بإنشاء نقابة الصحابة، والتاسعة قيلت في الاحتفال بإنشاء بنك مصر.

ونلاحظ في الجزء الثاني قصيدة بمناسبة قدوم خبيرين من باريس إلى مصر في سنة ١٩١٤م، وقصيدة ثانية عن شكسبير وثالثة بمناسبة كتاب فتح مصر الحديث لحافظ عوض، ورابعة عن مسجد أياصوفيا وخامسة عن غاب بولونيا وسادسة عن المرأة العثمانية وسابعة عن وصف جنيف وضواحيها وثامنة عن ميدان الكونكوردي، وتاسعة عن زيارة مصور لمصر، وعاشرة عن معرض الأزهار بباريس إلى غير ذلك من مناسبات.

والجزء الثالث خاص بالثناء ولكن نشاهد في الجزء الرابع قصيدة في افتتاح إنشاء الجامعة المصرية، وثانية عن الاحتفال بوضع الجزء الأول لمؤسسة بنك مصر، وثالثة عن افتتاح دار للبنك، ورابعة عن افتتاح دار أخرى، وخامسة عن مولد الأمير محمد عبد المنعم وسادسة عن مهداة له، وسابعة عن حريق ميت غمر وثامنة عن خطبة عن لغليوم عاهل ألمانيا أحدثت أزمة دولية، وتاسعة عن



حفلة افتتاح نادي الموسيقى الشرقي، وعاشرة عن تحية غليوم الثاني لصالح في القبر، ثم طائفة من الخصوصيات وقصيدة في فؤاد حين زار الحيزة سنة ١٩٣٢م (١).

### فترة المجد في حياة شوقي وفنه

ويعود شوقي إلى مصرفي أواخر سنة ١٨٩٣م بعد وفاة الخديوي توفيق ليعمل في معية عباس حلمي الثاني بعد أن أقنع به، ويقتربان بحكم تقارب السن بدرجة تذكرنا بعلاقة المتنبّي بسيف الدولة الحمداني (٣٣٧-٣٤٦) وتمتد الفترة من سنة ١٨٩٣م-١٩١٤م وهي سنوات مجد شوقي فناً وأدباً وفيما يلي نذكر مجده بالتفصيل -

### الناحية الاجتماعية

وكان شخصيته مرموقة في بلاط الخديوي وصار من أقرب المقربين إليه يوفده مندوباً عنه إلى الخارج، ويحضر في ندواته واجتماعاته السياسية باعتباره أحد رجاله، ونتيجة لهذا التقارب كان شوقي فيما يبدو (٢) من سياسة لمصر، وأنه كان مقتنعاً وراضياً، عن سياسة القصر ومدح الخديوي، وتحدّدت صلته برجال الأمة وزعماء السياسية بحسب قربهم أو بعدهم من القصر.

### الناحية الفنية

فقد ساهم شوقي، على تجديد وإحياء الشعر وابداعيات حديثة، بمحاولات كثيرة كما وكيفاء، فشعره في هذه المرحلة يمثل مرحلة متقدمة من مراحل إحياء الشعر العربي، التي بدأها البارودي - حيث أصبحت الجملة الشعرية صحيحاً لغة وأثرى خيالاً وأقوى تركيباً وخمّلها طاقة غنائية عذبة، موظفة عناصر التراث القديم ومطوّره لها، وهذه العودة إلى مصادر العروبة هي التي وحدت "الذوق" حول شعر شوقي، وأهله بالتالي ليكون أمير الشعراء العربي سنة ١٩٢٧. كذلك بعد أثناء هذه الفترة التي بداية للشعر "الوجداني" المعبر عن الذات مثل قصيدته "حديث عن النفس" (١٨٩٥م) وهو يبدوها بقوله:

"صحوت واستركتي شيمتي الأدب  
وبت تنكرني اللذات والطرب  
ويذكر فيها بعد ذلك:

أو شكت أتلف أقالمي وتلفني  
وما أتلت بنى مصر الذي طلبوا  
همورا وأ أن تظل القضب مغمده  
فلن تذيب سوى أغمادها القضب" (٣)

وهذه القصائد مع قلتها، في ديوانه، وأهميتها لم يقف عندها كثير ممن نشرها ديوانه، أو ممن

تناولوه بالتحليل والنقد.

- ١- انظر: شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث، ص ٢٩٠.
- ٢- نفس المرجع، ص ٢٩١.
- ٣- نظم أحمد شوقي: الشوقيات. انظر: طه وادي، الدكتور: شعر شوقي الغنائي والمسرحي، ص ١٩.

ويكاد ينفرد شوقي أيضا في هذه المرحلة بما يمكن أن نسميه بالشعر الوطني الذي يستلهم تاريخ مصر منذ الفراعنة مشيدا بحضارتها الخالدة، وتاريخها العريق، تعبيراً عن رغبة مصر في التحرر والاستقلال والقيام بدورها الحضاري المؤثر، وشعره في هذا المجال على الرغم من اطاره الغنائي تشع فيه سمة الطابع "الملحمي" المعبر عن وجدان أمة، من ذلك قوته في قصيدة "كبار الحوادث في وادي النيل" (١٨٩٦م) ما زال يكتب على هذا النهج ونظم قصائده المشهورة "فرعونيات" وكتب قصائد عن أبي الهول (١) النيل، توت عنخ آمون (٢) وقصرانيس الوجود.

وكذلك كثر شعره الإسلامي في هذه المرحلة بدرجة وهم فيها بعض الدارسين، محمد حسين هيكل، وغيره ممن أخذوا هذا الرأي عنه:

"أن شعره الإسلامي يعبر عن شخصيته "رجل مؤمن عامر النفس بالإيمان" بينما شعره في الغزل والخمر واللهو يظهره "رجل مادي" يرى في المتاع بالحياة ونعيمها خيرا آمال الحياة وغاياتها". (٣)

فاتهموه بازواج الشخصية، كما ظن آخرون أن شعره في الترك يعكس حيننا الى أصوله التركية التي ورثها عن أسرته، ولكن الحقيقة، فيما نرى، أن الشعر الإسلامي والتركي كان تعبيراً عن تيار سياسي قائم اذ ذلك، يروج له الخديوي عباس حلمي ومصطفى كامل زعيم الحزب الوطني، وكان هذا التيار يدعي الى فكرة "الجامعة الإسلامية" توحيداً للشعوب الإسلامية تحت ظل الخلافة التركية، ليكون في ذلك درء للاستعمار الأوروبي الذي اتسعت حدودها في المنطقة العربية، كما كان شعره الإسلامي في هذه الفترة، بالاضافة إلى ماله من قيم دينية وأخلاقية، وإشادة لا حدها بشخصية الرسول، إذ يعد شوقي أكثر مدحاله، تجسيدا لمشاعر وجدان العربي، انطلاقاً نحو النهضة والاتحاد، وفي هذا بعض ما جعل لشعره تأثيراً قويا على الشعب العربي حتى اليوم، إذ يمثل شوقي "شاعر النهضة" المتغنى بقيم القومية العربية.

ويقول د، طه وادي:

"وكتب في المنفى المسرحية الثرية الوحيدة "أميرة الأندلس" التي أعاد كتابتها ثانية حين سيطرت عليه فكرة الكتابة للمسرح في أواخر أيامه، نظم شوقي أيضا في المنفى "أرجوزته" الشعرية المطولة المعروفة باسم "دول العرب وعظماء الإسلام" وهي ضرب من الشعر التعليمي يؤرخ فيه للأمة العربية حتى نهاية العصر الفاطمي

- ١- أبو الهول: تمثال الحجر، يوضع قريب من اهرام جيزة، في مصر، يتشابه وجهه بالإنسان وجسده بالأسد.
- ٢- توت عنخ آمون: الفرعون المعروف في تاريخ مصر.
- ٣- طه وادي، الدكتور: شعر شوقي الغنائي والمسرحي، ص ١١.

وهذا الكتاب، رغم طوله ليست له قيمة فنية كبيرة". (١) وأشار شوقي بحضارة الإسلام وعظمة المسلمين وطالما يفتخر بجهودهم العلمية وبفضلهم على الغرب، كقوله:

حب السيادة في شمائل دينكم      والجهد روح منه والاقدام  
والعلم من آياته الكبرى إذا      رجعت إلى آياته الأقوام  
لو تقرؤون صغاركم تاريخه      عرف البنون المجد كيف يرام" (٢)  
كثيراً ما أشاد شوقي بالعلم، وهو متأكد بأن العلم وسيلة الفوز والقوة والسبيل إلى حياة السعادة والسيادة، وأنه ينشد الأمة وحارسها وحاميها الى العلم.

وقال شوقي:

"بالعلم تمتلك الدنيا ونضرتها      ولا نصيب من الدنيا لجهال  
والعلم يعتصم الملك الكبير به      كالغاب ما بين أساد وأشبال"  
وقال في حفل افتتاح الجامعة القديمة:  
"وألق في أرض منف أسّ جامعة      من نورها تهتدي الدنيا ينبراس  
ترك النفوس بلا علم ولا أدب      ترك المريض بلا طب ولا آس" (٣)  
ولهذا يتمنى أن يشجع ويرشد الشباب إلى مناهل العلم، وإلى بعث الثقة في نفوسهم لأن على أكتافهم تكون مسئوليات المستقبل، فلهذا يقول:

"هل علمتم أمة في جهلها      ظهرت في المجد حسناء الرداء  
فخذوا العلم على أعلامه      واطلبوا الحكمة عند الحكماء  
واطلبوا المجد على الأرض فإن      هي ضاقت فاطلبوه في السماء" (٤)

وعنده لا سبيل إلى المجد والرفعة إلا العلم، لأنه دعامة من دعائم النهضة، ولا قيمة للمال بغير علم، فالعلم هو الذي يثمر لمنفعة الناس، وإن الابتكار في الوسائل لا يمكن إلا بالعلم، وإن كانوا يريدون أن يحصدوا من زراعتهم أكثر من قيل فلا بد لهم أن يحصلوا العلم والصناعة المفيدة. وأهل مصر حينئذ كانوا غير مثقفين.

فيقول لهم:

١- طه وادي، الدكتور: شعر شوقي الغنائي والمسرحي، ص ١١-١٨.

٢- أحمد الحوفي، الدكتور: أضواء على الأدب الحديث، ص ٨٩-٩٠.

٣- نفس المرجع، ص ٩١.

٤- نفس المرجع، ص ٩٢.

”يا طالبا لمعالي الملك مجتهدا  
بالعلم والمال بيني الناس ملكهم  
”ورود الدعوة له ولمن بعده كقول:

أعد بالعلم سؤدها فياني وجدت العصر علما واختراعاً (١)

وكان شوقي بنفسه عالماً مثقفاً وعارفاً ولهذا جعل العلم موضوعاً مستقلاً في شعره. وهو يقول:

”العلم في فضله، أو في مفاخره  
إذمشت أمة في العالمين به

أبي لها الله أن تمشي بأغلال

يقبل للعلم عند العارفين به ماتقدر النفس من حُبِّ واجلال (٢)

فيظهر أنه يعرف قيمة العلم ويعرف مكانته، وكان خبيراً بقوة العلم والعلماء، فنرى بهذه الخصائص أنه نال مقام السمو والرفعة واكتسب شهرة دائمة واستمر مقامه هذا في العرب حتى الآن، وما أمكن للشعرا الآخرين أن يحصلوا على هذه المنزلة.

### تشابه الشعري بالمتنبي

واتفق العلماء المحدثون في عصرنا أن شوقي هو شاعر عظيم وهو شاعر الشعراء في العصر الحديد وعالج أكثر أصناف الشعر مثل المدح والغزل والرثاء والوصف. وذكر أحمد حسن الزيات في كتابه عن منزلة شوقي في الشعر: ”ويكاد النقاد يجمعون على أن شوقي كان تعويضاً عادلاً من عشرة قرون، خلعت من تاريخ العرب بعد المتنبي، لم يظهر فيها شاعر موهوب يصل ما انقطع من وحي الشعر ويجدد ما اندرس من نهج الأدب.“ (٣)

### امتياز في الشعر

يقول خليل مردم بك:

”وكان شوقي حريصاً على دينه ولغته وفنه، ويذكر كثيراً الأنبياء والخلفاء والكتب المنزلة والأماكن المقدسة (٤) ويمتاز شوقي بحذاقته طبعه ودقة حسه وسرعة ملاحظته قبل كل شيء ويكمل ذلك فصاحة أسلوبه وروعة بيانه وكرم ديباجته وكثرة الماء في شعره، وذوقه الموسيقي الشعري في ألفاظه وتراكيبه، فهو بذلك قد استكمل أدوات الشاعر الخليفة والكسبية، فهو اذن الشاعر حقاً.“ (٥)

١- أحمد الحوفي، الدكتور: أضواء على الأدب الحديث، ٩٣.

٢- عباس حسن: المتنبي وشوقي، ص ٣٥٠.

٣- الزيات، أحمد حسن: تاريخ الأدب العربي، ص ٤٨٤.

٤- الزيات، أحمد حسن: تاريخ الأدب العربي، ص ٣٧٠.

٥- خليل مردم بك: محاضرات الخليل، ص ٩٧-٩٨.

## الفصل الرابع

### منفاه وعودته إلى وطنه

#### صلة شوقي بالقصر

وقبل أن نتكلم عن منفاه يجب علينا أن نلقى نظرة على هذه الأسباب التي صارت أسباب منفاه، فنجد السبب الخاص، علاقته بالقصر، وكان شوقي رجل القصر وكان وفاؤه كله مختصاً بالقصر، وصلة شوقي بالقصر وثيقة جداً، لأنه ولد بباب القصر ونشأ في ظل القصر وقضى شبابه وكهولته ملتصقاً بالقصر، وحين كان سلطان القصر مطلقاً أو كالمطلق، ثم حين كانت حياة القصر التي تدور مستمرة بين الشعب الطامع بالحرية والانكليز المعتدين عليها، فليس غريباً أن يكتسب شوقي في حياته الأدبية والشخصية الاعتبار أو المنزلة عند الأمير التي تحمي صاحبه وتضمن له الظفر والسلامة معاً ولم لا تكون صلته بالقصر وثيقة، وهو لم يولد بباب إسماعيل فحسب، بل في أحضان الأسرة المالكة، التي قامت على تعليمه ونشأته في مراحل حياته المختلفة، إذ نراه يلتحق في طفولته بكتاب الشيخ صالح، حيث تعلم مبادئ القراءة والكتابة، ثم ينتقل منه إلى مدرسة المبتدئين الابتدائية في القاهرة ومنها إلى المدرسة التجهيزية أي الثانوية التي ينتهي منها في الخامسة عشرة من عمره ليلتحق بمدرسة الحقوق.

ويقول أحمد عبيد:

”ولما كانت هذه المدرسة العليا قد افتتحت عندئذٍ خاصة بالترجمة يتخرج فيه الطلبة بعد عامين، فقد نصحه القصر بأن يلتحق بهذا القسم لكي يعمل بعد انتهائه منه في إدارة الترجمة بهذا القصر، واستجاب أحمد شوقي طبعاً للنصيحة وعمل في إدارة الترجمة بالقصر لمدة عام، رأى بعدها الخديوي أن يرسله إلى فرنسا ليدرس القانون بجامعة مونبلييه لمدة عامين، فينتقل بعدها إلى باريس لإكمال دراسته في جامعتها، وليطلع على الآداب الفرنسية ويتصل بالحضارة الفرنسية، وهكذا ظل القصر يتعهده ويطويه تحت جناحه حتى استكمل ثقافته“ (١).

ويصبح شوقي شاعر الأمير إلا أن إقامته في فرنسا واتصاله بأدبها الإنسانية الواسعة لم يلبث أن فتح ناظريه على عوالم من الشعر والأدب أرحب بكثير من مدح الأمير وكل شعره حول أميره

١- أحمد شوقي، أحمد زكي أبو شادي: أعلام الشهر العربي الحديث. ص ٤١، ٤٢، وانظر أيضاً: أحمد عبيد.

ذكرى الشاعرين. شاعر النيل وأمير الشعراء. ص ٧٠٢، ٧٠١ وأيضاً في: طه حسين: حافظ وشوقي. الطبعة

الأولى. مصر: مطبعة الاعتماد، ١٩٢٣م، ص ١٩٣-١٩٤.

وكان وفاءه للقصر يؤكد دوماً بقوله:

”أخوان إسماعيل في أبنائه وقد ولدت بياب إسماعيلاً“ (١)

وشوقي أرسل من باريس همزيتة التي يمدح بها الخديوي.

”خدعوها بقولهم حسناً“.....

فطلب القصر إلى الجريدة الرسمية أن تسقط الغزل وتنشر المدح، وود الشيخ عبد الكريم

سلمان، لو أسقط المدح ونشر الغزل، فلم ينشر من القصيدة شيئاً، وعرف شوقي أن لا بد من

الاحتياط في التجديد“ (٢).

ويقول أحمد عبيد في هذا الصدد:

”ويمضي شوقي في هذه الطريق موظفاً في القصر شاعراً للأمير يمدحه كل ما دعا

إلى ذلك داعٍ وحين لا يدعو إلى ذلك داعٍ، يتفنن في هذا المدح فيجيد مقدماته

غزلاً ووصفاً ولا يجيد في المدح نفسه الا قليلاً“ (٣).

أما خصائص شوقي الأساسية أنه لا يشعر نفسه شعوراً كاملاً في فنه وكأنه يحس دائماً أنه

يعيش لغيره وقد بدأ حياته الفنية بإخضاعها للخديوي، فكان شعره الشخصي لم يكن يفكر فيه لنفسه

وإنما كان يفكر فيه لأمره.

وكان توفيق قد توفي وخلفه عباس، إن الخديوي عباساً كان يهمل شوقي بعض الإهمال

لاعتقاده، بل لأنهم أدخلوا على نفسه أن أحمد شوقي شاعر فقط وأنه هو رجل سياسي، وليس من

شك في أن شوقي أثناء هذه الحقبة من حياته كان يعيش بعيداً عن الشعب، فهو في القصر أو في برجه

العاجي، لا يفكر إلا فيما يفكر عباس فيه، وكأنه دواراة الريح، فهو يدور مع صاحبه حيث دار.

ويقول شوقي ضيف:

”نشأ شوقي بياب القصر، وعاش يجري في أثر أميره عباس، فهو لا يحس إلا بما

يحسه، ولا يشعر إلا بما يشعر به، فليس له احساس مستقل ولا شعور مستقل، وهو

لذلك يثور حين يחדش أميره ولا يثور حين يلطم الشعب على وجهه“ (٤).

وكان ربة شعره سحينة ولكهنا سحينة في قفص ذهبي هو القصر، تتغنى ولكن بغناء فاتر

متشابه بالمدح، وقد قيد شوقي ربة شعره هذه بنفسه منذ كان في باريس، فلما عاد إلى مصر ظهر أن

١- طه وادي، الدكتور: شعر شوقي، الغنائى والمسرحى، ص ١١.

٢- طه حسين: حافظ وشوقي- ص ٢١٢.

٣- أحمد عبيد: ذكرى الشاعرين- شاعر النيل وأمير الشعراء- ص ٧١٥.

٤- شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث- ص ٢٠.

القيد الباريسي لم يكن ثقيلًا كما ينبغي، فأضيفت إليه قيود وأغلال وأصبحت ربة الشعرأ سيرة الأمير لاتنطق إلا بما يريد وحين يريد وكان الأمير ذكياً وشاعره أيضاً ذكياً، وكان الأمير محتاجاً إلى إعانة بشوقي الذكي على تدبير أموره الخاصة، ويستطيع شوقي الذكي أن ينال حظوة الأمير بالسياسة إن لم يستطيع أن يجيب إليه الشعر، وكذلك يصبح الشعر سمة لشوقي لا صناعة، ويستحيل الشاعر إلى رجل من الحاشية، ورجل القصر يد ورجل الأمير.

يقول أحمد عبيد:

”وهو شاعر الأمير يجب أن يفكر ويتدبر فيما يحدث بينه وبين الناس من صلة، يجب أن يقيس صداقته وعداوته وقربه وبعده برضى الأمير وسخطه، وإذا فلن تكون بينه وبين طبقات الشعب المختلفة هذه الصلة الواضحة الصافية الصريحة، هذه الصلة التي تجمع بين قلب الشاعر وقلب الشعب، لن يحس شوقي من حياة الشعب وإن أحسه فلن يستطيع إلا الإعراض عنه، ليس شوقي ترجمان الشعب ولا لسانه، وإنما هو ترجمان الأمير ولسان الأمير، وما أشد ما كانت لتسع مسافة الخلف بين الشعب وبين الأمير“ (١)

وإذ كان أحمد شوقي ظل عاملاً بعد عودته من دراسته في فرنسا موظفاً في القصر الخديوي حتى أعزل الإنجليز عباس الثاني عن عرش مصر سنة ١٩١٤م ونصبوا السلطان حسين كامل حاكماً.

ويقول شوقي ضيف:

”وأخذ شوقي يد ورمع عباس في كل أهوائه السياسة، فتارة يمدح له الخليفة العثماني الذي كان يتغني رضاه، وتارة يلوم الإنجليز ويندبهم حين يغضبهم وينازعهم بعض السلطان“ (٢)

ومدائحه تدور حول الخديوي ما زالت توهي بينه وبين القصر أسباب الثقة والتقريب.

ونفى الإنجليز أحمد شوقي مع عباس الثاني حيث ظل منفياً في أسبانيا طوال الحرب العالمية الأولى، فإن أحمد شوقي لم يعتز بوظيفة في القصر بقدر ما اعتز بأن يعتبر شاعر القصر فيقول مفتخراً:

”شاعر العزيز وما بالقليل ذا اللقب“ (٣)

- ١- أحمد عبيد: ذكرى الشعارين- شاعر النيل وأمير الشعراء- ص ٧١٦، ٧١٧ وانظر أيضاً، طه حسين: حافظ وشوقي- ص ٢١٤-٢١٥ وانظر: شوقي ضيف: شوقي شاعر العصر الحديث- ص ٢٠.
- ٢- شوقي ضيف: الأدب العربي المعاصر في مصر- ص ١١١، وانظر: الزيات: تاريخ الأدب العربي- ص ٣٦٩.
- ٣- أحمد شوقي، أحمد زكي أبو شادي: أعلام الشهر العربي الحديث- ص ٤٢.

وهكذا نرى أن حياة شوقي قبل نفيه مغرقة في إطاعة الأمير ووجهه، وما زال مادحاً الأمير في شعره طول حياته.

### وظيفته

وعين رئيس القصر وظيفه شوقي في جزاء خدماته وحبه للقصر ورئيس القصر، وفرح شوقي بهذه الوظيفة التي استغناه من تفكير المعيشة كلها. وتمتع حياته بهذه الرعاية.

ويبين دكتور شوقي ضيف حبه للمال والرتب كذلك:

”وعاد شوقي إلى مصر، فعمل رئيساً للقسم الإفرنجي بالقصر، وأسرع أصبح شاعر عباس، بل أسرع أصبحت له حظوة كبيرة عنده، فقد جعل له تدبير كثير من الأمور وتصريفها، وأصبح مقصد طلاب الحاه والرتب والألقاب، وأمضى في هذا العمل الرتيب عشرين عاماً، هي زهرة حياته، ومن محاسن الصرف أنه تزوج بسيدة ثرية، كانت مثالا للزوجة الصالحة وقد رزق منها بابنيه على وحسين وابنته أمينة“ (١).

هكذا نرى أنه عاش في تنعمات واستفاد من حياة القصر جداً وأراح نفسه.

ويقول خير الدين الزرкли:

”ورجع شوقي إلى مصر في سنة ١٨٩٢م وكان قد توفى توفيق وخلفه عباس الثاني، فعين في القصر بقلم الترجمة، وأخذ يعيش في منزل أبيه يحي الحنفي معيشة رتيبة، لم يقطعها في أول حياته فيه سوى سفره ممثلاً للحكومة المصرية في مؤتمر المستشرقين الذي عقد في مدينة جنيف بسويسرا سنة ١٨٩٤“ (٢).

وكانت هذه الرحلة فرصة طيبة للشاعر حتى يحتلي المناظر الطبيعية البديعة هناك. ولما انفض المؤتمر سافر إلى بلجيكا لمشاهدة عاصمتها، وزيارة معرض في إحدى مدنها. وكان توفيق قد توفي وخلفه عباس. فلم ترج سوق شوقي عنده أول الأمر، ويوضح ذلك داود بركات، فيقول:

”وإن الخديوي عباساً كان يهمل شوقي بعض الإهمال لاعتقاده، بل لأنهم أدخلوا على نفسه أن أحمد شوقي شاعر فقط وأنه هو بحاجة إلى رجل سياسي، لما كان بينه وبين الإنكليز من الكفاح والجلاد، فاجتمع لإزالة هذا التوهم من صدره المرحومون: بطرس غالي (وقد كانت به نزعة للأدب والأدباء) وبشارة تقلا (صاحب جريدة الإهرام) ومصطفى كامل، وكان بطرس يطلب من الخديوي أن يسمح له بتوظيفه شوقي في الخارجية بضعفي مرتبه الذي كان يتناوله من قلم

١- شوقي ضيف، الدكتور: الأدب العربي المعاصر في مصر- ص ١١١.

٢- الزركلي، خير الدين: الأعلام، ١/١٣٦- وانظر أيضاً: عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ١/٣٦.



الترجمة في السراى، وكان بشارة تقلا باشا يعرض عليه مثل هذا العرض ليوليه تحرير الإهرام، وتأييداً لذلك وضع شوقي في مكانه من الأدب وإمارة الشعر (١) إلى أن قربه الخديوي وناط به كثيراً من المهام. فقام بها خير قيام، فأولاه ثقته، وقدمه على جميع رجاله". (٢)

### أثر وظيفته على نفسه

والآن ننظر كيف أثر وظيفته على نفسه وكان خديوي عباس رضي عن خروج شوقي من القصر، وأسلمه إلى بطرس غالي أو إلى بشارة تقلا، لكي تتغير أحاسيسه في الشعر وبعد ذلك صار مادحاً لعباس وأعماله من سنة ١٨٩٢م - ١٩١٤م في المواسم والأعياد، وعبثاً حاولت ربة الشعر في هذه الحقبة الطويلة أن تنبت في أجنحته ريشاً يستطيع به أن يرتفع عن الأرض ويحلق في السماء، وكان أجنحته لم تكن حينئذ من المتانة والقوة بحيث تحمل هذا الريش، فقد أصبح شوقي من الطيور المنزلية الأليفة التي لا تستطيع ارتفاعاً ولا تحليقاً في الجو، والتي تنتظر الحب يلقي إليها من صاحبها، فتعيش به هائلة راضية

ويصور شوقي ضيف بصورة واضحة كيفيته وحدوده بهذا الألفاظ:

"ولم تقف المسألة عند حد الحب، بل تجاوزته كثيراً، فان عباساً قربه منه، وجعله موضع ثقته ومفزع مشورته، وقدمه على جميع رجال حاشيته في القصر، وبذلك كان نافذا الكلمة مسموع الرأي، بل أصبح كأنه صاحب الأمر والنهي، يقصده طلاب الحاجات، وما أكثرهم، وتعنوله وجوه الوزراء ومن يطمعون في الرتب والألقاب، وليس من شك في أن شوقي أثناء هذه الحقبة من حياته كان يعيش بعيداً عن الشعب، فهو في القصر أو في برجه العاجي، لا يفكر إلا فيما يفكر عباس فيه، وكأنه دواة الريح، فهو يدور مع صاحبه حيث دار، وكان في عباس طموح واندفاع، فصارع الإنكليز وغازبهم، ووقف شوقي في صفه يغضب عليهم مع غضبه، ويرضي مع رضاه". (٣)

### أثر وظيفته في شعره

ورأينا في السطور السابقة، كيف أثر حب المال وحب الجاه على شخصيته والأنا نلاحظ

- ١- يشير إلى اشادة الإهرام بشوقي حينئذو تلقيها له بأمير الشعراء.
- ٢- أحمد عبيد: ذكرى الشعراء - شاعر النيل وأمير الشعراء - ص ٣٦٦ وانظر أيضاً: شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث - ص ١٦.
- ٣- شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث - ص ١٧، ١٨.

شعره وموضوعاته من جميع جوانبه ونواحيه لكي نرسم صورة واضحة لأحواله وكيفياته. فوجد لم يكن لشوقي من رغبة الا أن يكون ظلًا للأمير، وربما كان لفساد الحياة السياسية في مصر حينئذ أثر في توجيه شوقي، فقد نشأ وهو يرى القصر والأمير كل شيىء في حياة المصريين، فهما مصدر العز والذل، والخفض والرفعة، والجاه والسلطان، فأراد أن يقتحم هذا الحصن وأن يكون له مجال فيه، ولو أن الحياة كانت تجري في مصر على شكل آخر، فيه ديمقراطية، وفيه إيمان بالشعب وعمل صحيح على إحيائه، لكانت أحلام شوقي غير هذه الأحلام، ولما رأيناه يجري منضوباً تحت لواء الأمير يسبح بحمده آناء الليل وأطراف النهار.

وفي الفقرات الآتية يبين شوقي ضعفه وكيفية أميره كذلك :

”والظروف السيئة التي أحاطت بشوقي إذن هي التي ضيقته حدود شعره وجعلتها محفوفة بالأشواك في هذه الحقبة الطويلة من حياته التي تجاوزت عشرين عاماً، فلم يعد شوقي يملك نفسه، بل أصبح يملكه الأمير كما يملك أي شيء من ثروته، وليس من شك في أن عباساً لم يحسن ملك شوقي، فقد سخره لنفسه، وكان ينبغي أن يسخره لفننه، وكان ينبغي لعباس أن يصون كرامة شوقي وأن يمدّه بالمال الذي يريده، حتى يتقد هذا القبس المبارك في شاعره، إذن كنا نعد عباساً حامياً للآداب في عصره، ولكنه لم يصنع، ولم يحاول، بل استمر يشد البلبل من خيط في لسانه ليتملقه ويدهنه، ويغنيه بما يشاء ويهوى“ (١).

واستمر أحمد حسن الزيات هذا الموضوع ويقول:

”فظل صوت الشاعر يتقطع، ولم يستطيع أن يمدّه حيث ينبغي أن يمد، ولم يستطيع أن يعبر به نوافذ القصر، ولا أن يخرج به عن صورة المديح إلا قليلاً، فظل صوتاً ضعيفاً شاحباً، فيه جمال، ولكنه جمال الأسير، وفيه روعة، ولكنها ليست روعة البحر الضاري، وإنما روعة النبع الضئيل. وكان النبع كثيراً ما تفيض جوانبه وتندفق مياهه، فكان الشاعر يهدر بتاريخ مصر أو بالنيل أو بمديح الرسول ولكنه كان لا يلبث أن يهدأ أو أن يحف معينه، فيعود إلى سيده، يغنيه على قيثاره المديح ما يهوى من حمد وثناء وملق ودهان، ومعنى ذلك كله أن شوقي لم يكن يفرغ لنفسه أثناء

وظيفته في القصر، فكان شعره لأميره، وقلما نظم شيئاً لنفسه، فنفسه تجري في أثر مولاه، وهو عنها لاه، لا يكاد يردّها إليه إلا في الحين البعيد بعد الحين“ (١).

## التحول في شعره

وتعب شوقي عن موضوعاته في الشعر (أي مدح أميره فقط) لأنه وجد أن بموضوع واحد يكون مجال حياته محدوداً جداً، فأراد أن يقول شعراً في موضوعات مختلفة، وجربه فنه في ميادين شتى واستفاد من دراسته في فرنسا، فحاول الخروج من حصار التقليد ومدح الأمير. وبيّن شوقي ضيف كيفية نفسه ومحاولاته بهذه الألفاظ:

”ومن المحقق أن شوقي لم تكفل له حريته في هذه الحقبة، إذ كان مشدوداً بحكم وظيفته إلى القصر وصاحبه، ولكن مع ذلك حاول أن يفرغ لنفسه ولفنه، فنظم على ألسنة الحيوان شعراً على نسق ما قرأه في الفرنسية للشاعر لافونتين، وحاول محاولة أروع من تلك المحاولة، إذ قرأ عند بعض الشعراء الفرنسيين شعراً تاريخياً رائعاً من مثل أساطير القرون لفيكتور هيجو، فرأى أن ينظم على هذا المثال قصيدته الطويلة ”كبار الحوادث في وادي النيل“ وألقاها في مؤتمر المستشرقين الذي انعقد في سنة ١٨٩٤م، واستمر طويلاً في هذا الاتجاه، فنظم فرعونياته المشهورة في أبي الهول والنيل وتوت عنخ آمون وقصر أنس الوجود، ومدّ شعره إلى ينابيع الإسلام، فأسقى منها قصائد رائعة في مديح رسول الله من مثل الميمية التي عارض فيها بردة البوصيري، كما أسقى في شعره أحياناً من ينابيع العروبة، وكل ذلك معناه أنه كان يريد الانطلاق من قيود القصر وصاحبه والتحليق في آفاق أو سع وأرحب“ (٢).

فنجح في غايته وأخذ ينشد في موضوعات متعددة بدلا من مدح أميره فقط، ولكن ما معنى هذا أن حبه للأمير كان اختتم بقلبه، بل ظل قائماً حبه إلى وفاته وتحمل المشقة وواجه صعوبات في حبه.

## منفاه وعودته إلى وطنه

ولمات الخديوي توفيق وتولى العرش بعده ابنه الخديوي عباس ذاد في إكرامه وتقريبه، وجعله أنيس مجلسه، ورفيق رحلته، كشاعره الخاص، ثم اشتعلت الحرب العالمية الأولى والخديوي

١- الزيات، أحمد حسن: تاريخ الأدب العربي- ص ٥٠١.

- وانظر: ايلياوي: أعلام الشعر العربي الحديث. الطبعة الأولى، بيروت، المكتبة التجارية، ١٩٧٠م.

٢- شوقي ضيف، الدكتور: الأدب العربي المعاصر في مصر- ص ١١٢.

يصطاف وحده في بلاد الترك (وكانت مصر تابعة لهم من الوجهة السياسية، برغم احتلالها بالإنجليز) فأعلن هؤلاء حمايتهم عليها، ومنعوا الخديوي من الرجوع إليها، لاتهامهم إياه بأنه عدو لهم، وإنه تركي الهوى، راض عما فعله الترك من انضمامهم في الحرب إلى صفوف الألمان، أعداء المحتلين، وقد اضطهد الإنجليز كثيراً من الوطنيين، وشردوا المقربين إلى الخديوي، ومنهم (شوقي) فنفوه إلى بلاد الأندلس وظل بها إلى آخر سنة ١٩١٩م، ولقد خلع الإنجليز "الخديو عباس" في بدء الحرب العالمية الأولى، وحرّموا عليه دخول بلاده، وولوا مكانه السلطان حسين كامل، وأعلنوا الحماية على مصر وحكموها بالأحكام العرفية، وأطلقوا أيدهم في أموال الدولة، ورجالها وسائر مرافقها، فماذا قال أمير الشعراء في هذه المصائب؟ لقد استقبلها بقصيدته التي نفى بعدها، وهو عنوانها، السلطان حسين، ومطلعها:

"الملك فيكم آل إسماعيل      لا زال ملككم ويظلّ النيل

والتي يقول فيها:

سبحان من لا عزّ إلا عزّه      يبقى، ولم يك ملكه ليزولا  
لاستطيع النفس في ملكوته      إلا رضاً بقضائه، وقبولا  
الخير فيما اختاره لعباده      لا يظلم الله العباد فتيلاً

ويقول:

يأهل مصر، كل الأمور لربكم      فالله خير موئلا ووكيلاً" (١)

ويقول الدكتور عمر فروخ:

"ومع أن شوقي لم يكن من المشتغلين بالسياسة، فإن شعره كان خطراً على الاستعمار الذي كانت مصر ترزخ تحته، فلما شبّت الحرب العالمية (١٩١٤م) أبعده الإنجليز عن مصر، وفكر شوقي، أين يذهب، أيذهب إلى قسطنطينية، ولكن الحرب في قسطنطينية وأميريه وصديقه في قسطنطينية، هنا اختار ربة الشعر وطناً من أوطانها ففكر في أسبانيا واستقر في الأندلس، ولم تكن ربة الشعر فرحة ولا مبتهجة، وإنما كان محزون عميق الحزن، محزون على القصر، محزون على الوطن، محزون على هذه الآمال التي قضبت قضبا، وربة الشعر تحي النفوس، تحييها بالغناء الفرح وتحييها بالغناء الحزين، وقد يغنى ربة الشعر في الأندلس فأحيى نفوس المصريين، ووصل قديم العرب في الأندلس بجديدهم في مصر". (٢)

١- عباس حسن: المتنبى وشوقي- ص ٣٥٦.

٢- طه حسين: حافظ وشوقي- ص ٢١٧-٢١٨.

ويقول دكتور ماهر حسن فهمي:

”والواقع أن شوقي كان الشاعر المخلص للخديو وقد نفى لذلك“ (١).

وذكرنا قبل سبب نفى شوقي عن وطنه ونذكر الآن منفاه وأسبابه بالتفصيل:

وكانت أحداث تقلبت في مصر آنذاك، فصار تحت وطأة الإنجليز المستعمرين الذين

تسلطوا على المصريين، وكره كل المصريين تغلبهم وبدأوا رغبة في خلع طاعتهم.

وشوقي كان محب الوطن، ويحسب الوطن كالجنة النعيم، لما شغله نعيمها عن وطنه الذي

يهفوا إليه شوقاً وحينئذ، فما صبر على برحاء الشوق التي أذهلت نهاره وسهرت ليله، وكان شوقي

شاعر الخديوي عباس، أي أنه شاعر القصر، فهو شاعر الدولة الرسمي الذي ينطق عنها بحكم وظيفته

في القصر، كما يعبر بلسانه عن ألسنة أهله وعشيرته، ومن كان هذا شأنه فالتوقع منه أن أوجب

الواجب أن يغرس الغيرة والحماسة في نفوسهم ضد ظلم الإنجليز.

وهذا هو السبب الذي أقنع الإنجليز بأن وجود شوقي في مصر غير مرغوب فيه، لأنه يتهددهم

بما يكرهون، ويتوعددهم بما يشير عليهم الخواطر، وهذا عندهم ولا ريب شر مستطير، ولما شبت

الحرب العظمى الأولى عام ١٩١٤م، وكان الخديوي عباس غائباً بتركيا وأعلنت إنجلترا حمايتها

على مصر، وفي هذا حزني وعار ومهانة للمصريين، فأبت على الخديوي أن يعود إلى مصر لأنها تعلم

أنه موال لتركيا، وكانت إنجلترا في حرب معها فخلصته ورفعت إلى العرش السلطان حسين

كامل. (٢)

وكان شوقي يميل بطبعه إلى الخديوي عباس مما جعل الإنجليز يوحسون منه خيفة أو في

الأقل يدركون أنه صاحب رأي، ولا ريب ظنهم كان صحيحاً.

وقال شوقي في ذلك شعراً يعبر به عن نفسه ويتألم من أن يخون عهد مولاه الخديوي عباس،

كما أنه ألمح إلماحا إلى أن الإنجليز يبيتون شراً لأسرة محمد علي، وبذلك أدخل نفسه في غمار

السياسة وكان صاحب رأي ونزعة خاصة ضد الإنجليز، وترتب على ذلك حتماً أن يخشوا من رأيه

وشعره الذي لا بد يؤلب عليهم المصريون، فأصدروا أمرهم بنفيه من البلاد، ويبدو أنهم خيروه، فأختار

أن ينفى إلى الأندلس.

يُبين د. حسين محيب المصري النزاع بين الإنكليز وشوقي كذلك:

”وكان الإنجليز موقنين بأنه لهم عدو مبین، لأنه وطنية تدفع ولا شك دفعاً إلى

زعزعة احتلالهم لمصر، فبادروا إلى نفيه عن مصر في عام ١٩١٥م والحرب العظمى

١- فهمي، ماهر حسن، الدكتور: شوقي شعره الإسلامي، ص ٦٢.

٢- ١٨٥٢م-١٩١٧م.

دائرة الرحي، فطلب أن ينفي إلى الأندلس على الخيار وما كان من موجدة ولا  
سخط على مصر لأنها نفتته، فقد كان نفيه على غير رأي منها، وأبعده الإنجليز عنها  
ويرى أن مصر أمه الرؤم، تحنو عليه ويهيجها الشوق إلى عودته من غربته“ (١)

ولا شك أن الإنجليز نفاه عن وطنه لأنهم يحسون الخطر والشر منه، ولكن لما ننظر بنظر  
عميق، فنجد أن عداوته بالانكليز ما كانت شخصية ولكن في حُب أميره وفي حب وطنه، ولا يمكن  
له أن يرى وطنه تحت قدم الإنكليز وأميره في كيفية عدم القدرة، فأخذ ينشد الشعر مملوءاً بالغضب  
للانكليز وحباً للأمير، ولما يظهر قلمه مشاعر القلب الحزين بصورة شعر، فتحول أذهان قارئه وتثير  
الدم وتنزل الرعب في قلوب الإنكليز.

ويقول الدكتور عمر فروخ في هذا الصدد:

”وكان لشوقي فلسفة سياسية ولكن لم يكن له لون سياسي، ولا انتمى إلى  
حزب سياسي قط، بل ارتفع فوق الأحزاب كلها ولم ينصب أحداً من رجالها  
العداء، ولم يشأ شوقي أن يتعرض للقول في السياسة، مع أنه كان يتألم لحال مصر  
السياسة في ذلك الحين، حتى حملته الأيام على أن خلع الخديوي عباس حليمي  
(١٤ كانون الأول ١٩١٤م) لميله إلى تركية، ونصب مكانه السلطان حسين كامل  
بن إسماعيل.

فقال شوقي:

الملك فيكم آل اسماعيلاً لا زال ملككم يظل النيل  
وورد في القصيدة أبيات تحتمل التأويل وتحمل غمراً فاقتضى ذلك أبعاد شوقي عن  
مصر (أوائل سنة ١٩١٥م) فأختار أسبانية وأقام في برشلونة لا يسمح له بتبراحها  
حتى أعلنت الهدنة (١١ تشرين الثاني ١٩١٨) عندئذ ساحت شوقي في أسبانية العربية  
(الأندلس) عاماً أو نحو عام (١٩١٨-١٩١٩) رجع بعده ”إلى مصر“ (٢)

ويبين الدكتور شوقي ضيف منفاه بهذه الألفاظ:

”وأعلنت الحرب العالمية الأولى وكان عباس غائباً بتركيا، فمُنحه الإنجليز  
من دخول مصر، وأقاموا عليها السلطان حسين كامل، وأخذوا يبعدون عن القصر  
من يستشعرون الولاء لعباس، ولم يسكت شوقي بل نظم قصيدة تحدث فيها عن  
الحماية التي أعلنتها إنجلترا على مصر وقال فيها:

١- حسين مجيب المصري، الدكتور: الأندلس بين شوقي وإقبال- الطبعة الأولى، بيروت: المطبعة العصرية ١٩٩٩م. ص ٥٩-٦٠.

٢- عمر فروخ: كلمة في أحمد شوقي، ص ٧.

”ان الرواية لم تتم فصولاً...“

فنفاه الإنجليز إلى أسبانيا، وظل بها طوال الحرب هو وأسرته، وهنا أخذ ينظم قصائده في أمجاد العرب ودولتهم الزاهدة التي اندثرت في الأندلس، ويضمنها حيناً شديداً إلى وطنه“ (١).

## سفره إلى الأندلس

أنفاه الإنجليز إلى أسبانيا، فذهب شوقي هناك كارهاً، ولكن ما كان سفره مرتاحاً ولقي شدائد وواجه صعوبات مختلفة في الطريق، الآن نذكر سفره من مصر إلى الأندلس وصعوباته بالتفصيل:

ركب شوقي القطار من القاهرة وما كان في وداعه الا قلة ضئيلة من أهله وعشيرته ما يدرك منه أنه الطريد الذي أزعج عن وطنه بعنف شديد.

ومضى به القطار إلى ميناء السويس حيث ركب سفينة أسبانية صغيرة قادمة من جزر الفلبين، فاستقر فيها مع أسرته المؤلفة من زوجه وولديه علي وحسين، وابنته أمينة، وحفيده منها وكانت خادماتان معه وبذلك يكون شوقي مصحوباً بأهله الأقربين ومن يقوم على خدمته وراحته، كأنما رحل إلى الأندلس مبعداً عن مصر، وهذا يناقض ما أدر كناه من قلة مودعيه عند السفر، أي أنه أبعد مكرماً ولم يعنف به كطريد.

مامضى إلا يوم على مغادرة السفينة للسويس حتى هبت عاصفة هوجاء كانت سفينة شوقي منها جبال ترفعها ووهاد تهبط بها ودامت الحال على ذلك يومين متعاقبين.

ويبين د. حسين مجيب المصري كفيته وأسرته خلال هذه الحادثة:

”ولما وقعت هذه الحادثة، فانخلعت القلوب رعباً تحسباً للهلكة، وزاد الحالة هولاً على هول ما صعد الركب، ركب السفينة، من صيحات الفزع ممتزجة بنشيج وانتحاب الباكين واستغاثة المستغيثين الفزعين الداعين، واشتد على شوقي أن يرى ولديه فيما نلح قلبهما من فزع، وأشفق عليهما وسائر أفراد أسرته ما يتهددهما من سوء العاقبة مما جعل تلك السفرة عميقة الأثر في صميم نفسه، ثم سكنت العاصفة وهبت الريح رخاء، ولكن بعد أن لقي من الهول ما لا ينسى على الأيام، وكافينا أن نقول أن ربان السفينة شاء أن يتخوف من حمولتها ليدفع خطر الخوف عنها فطرح، في البحر ثيراناً جيئ بها إلى أسبانيا للزج بها في حلبات مصارعة الثيران، وهدأت

١- شوقي ضيف، الدكتور: الأدب العربي المعاصر في مصر، ص ١١٢. وانظر أيضاً: شوقي ضيف، الدكتور: شوقي

شاعر العصر الحديث، ص ٣١-٣٢.

العاصفة، إلا أن نفس شوقي لم تهدأ لأنه كان دائم التفكير في أمه العجوز التي خلفها في مصر وأصرت على البقاء فيها، وبذلك عدم قربها منه وحنوها عليه". (١)

ولذا ما كان لهدوء الجحوم من حوله وحول ذويه أن يعمق له الأثر في جوه النفسي، وألقت السفينة مرساتها في مرسيليا ثم زابتها إلى برشلونة، هذه الميناء التي تخيره شوقي كانت ميناء واحدة في أسبانيا المحايد على البحر الأبيض التي تتيح أن يسارع منه عائداً إلى مصر عند ما يسمح له من منفاه إلى العودة، فما كان يحسب شوقي في مصر أن الحرب ستمر أكثر من أشهر ستة لأن جيوش الترك على أهبة الاستعداد لتحرير مصر من جيوش الإنجليز فيها، وأتاح له أن يلمح في الأفق المظلم بصيصاً من أمل، وهكذا كان اليأس والرجاء يتجاذبان نفسه، عقب هذا السفر الرهيب الموحش وإن كان المأمول عنده أن الله سوف يرد غربته ويفرج عنه شدته.

يقول شوقي ضيف:

اختار شوقي لاقامته مدينة برشلونة، وكان برشلونة مدينة جميلة لها شهرتها بكل ما تثير الإعجاب كل الإعجاب بمدينة من المدن، وهي تعمرها الحركة وتنفض بالحياة وتعد لأسبانيا عاصمتها الثانية، وليلها ساهرة بمن يطلبون عن النفس الترويح وأصائلها وأمسياتها تزدهم بمن يتنزهون ويطلبون راحة من عناء وترويحاً من مشقة العمل، ذلك العمل الدؤوب الذي لا يكاد يفتتر ساعة من نهار ولا طائفة من الليل، ولكن شوقي كان يعيش في هذا الجو ولم يفتتن بجمال الطبيعة، ورونق الحضارة في برشلونة، بل كان ساهماً شارداً الفكر الذي يتلقاه من مصر، وكانت الحرب تشق عليه وكاد المال أن ينفد وتلك هي الطامة الكبرى التي لا يعرف شوقي كيف يواجهها ويدفع عنه شرها وبلاءها، وواجهه شوقي صعوبة اقتصادية جداً في النفي دون صعوبة سفره، ومنع الإنجليز عنه وظيفته والتي وقعت عليه الشدائد، وكان ولد في بئية الترف والنعيم، ولم يرى ضيق المال قط، والآن تلقى العناء والعسرة وتكبده الذي اتعبه، واضطر إلى محادثة بالإنكليز". (٢)

ويرسم د. محجب حسين المصري صورته البؤسة في المنفى ويقول:

"و جرى القضاء بأن يقع ما يحظره شوقي، فقد زعم الإنجليز أنه شعره وبيانه يقتدر على إثارة الخواطر في المغرب، ويلهب حماسة القوم هناك بشعره فيحرضهم على الخلفاء، وهذا سبب قوي يدفعهم دفعاً إلى التنكيل به وشفاء غيظهم منه وحدثنا قلت الصحف الإنجليزية هذا الزعم، فأصبح الظن عند الإنجليز يقيناً فقطعوا عنه المال، ووقع شوقي في ضيق أي ضيق وهو في بلد غريب نازح لا يعرف فيه من يواسيه ولا يمد له بالعون يداً، فيضطره ضيق ذات يده إلى أن يرهن حُلِيّ زوجته

١- المصري: محجب حسين، الدكتور: الأندلس بين شوقي وإقبال، ص ٦٢-٦٣. وانظر أيضاً: شوقي ضيف، الدكتور:

شوقي شاعر العصر الحديث، ص ٣٣.

٢- شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث. ص ٣٤.



وابنته، وكان لهذا وضعه الأليم في نفسه، ولكن شاء الله لشوقي أن يجد فرجاً من ضيق فاتصل بالسفير البريطاني في مدريد، وأظهره على حقيقة الحال وأقنعه بأنه مما يتهم به براء فأرسل اليه الإنجليز معاشه بعد قطعه عنه“ (١).

وفي منفاه كان شوقي يعيش في هم وغم وما أمكن له أن يقوم بعمل وازداد اشتياقه للشعر أن الفراغ ضاعف عليه ما غمره من أسى وطيرة فظل في جمود لا يقدر على شئ إلا أنه استنهض همته شيئاً ما ولم يجد لنفسه ملهاة ولا مسلاة إلا في نظم الشعر.

ولم ينطلق على سجيته ينشد الشعر الذي لا يقوله إلا شوقي... شاعر العربية غير مدافع، بل قال الشعر في تاريخ الإسلام وأعلامه وكان متراحياً في نظم الشعر بل أراد إلى أن يجري قلمه في التاريخ لأن شاعريته مرآة ظلمة قلبه فهو ينظم أجودو تطفوا قرارة نفسه كما قال في هذا الشعر:

”لما رمى الله بهذى الحرب	على نبي الشرق وعظماء العرب
تحركت سواكن الأقدار	والحردت عوامل الأقدار
وحكم الله بهجرة الوطن	وطالما ابتلى بها أهل الفطن
فكنت أستعدى على الهموم	بنات فكر ليس بالملوم
أستدفع الفراغ والعطالة	وبطل من يقتل البطالة“ (٢)

وخلال إقامته في الأندلس استفاد شوقي من علومها وفنونها ونبع في علومه وفنونه وبالتالي أبدع بها في كلامه.

ويقول د، مجيب حسين المصري:

”وشوقي لا يميل إلى محاولة البلاغة وتحسين العبارة وأسبابه، وإثارة النشوة في النفوس بالمحجب المطرب، ومن مظاهر الفراغ الذي شقى به شوقي في منفاه أنه حاول له دفعاً بقول شعر قاله لنفسه، وإذا استدفع الفراغ فهو فراغه، ولكن شوقي لم يكن وحيداً فريداً في الأندلس، بل كان رب دار كثر من يقطنونها من أفراد أسرته، ومن يقومون على خدمتهم ولهؤلاء حقهم عليه الذي لم يغفل عنه، فجعل شوقي من داره أشبه شئ بمدرسة لتعليم اللغات، فاتفق مع مدرس يأتي ليعلم ولده علياً وابنته أمينة اللغة الفرنسية واستقدم مدرسة تعلم ولده حسنا الألمانية، أما شوقي فاستقدم له من يعلمه الأسبانية، كما أنه تولى تعليم أبنائه جميعاً اللغة العربية، وبذلك تأتي له أن

١- المصري: مجيب حسين، الدكتور: الأندلس بين شوقي وإقبال، ص ٦٥.

٢- نظم أحمد شوقي: دول العرب وعظماء الاسلام، مصر: ١٩٣٣م، ص ٦. وأنظر أيضاً: المصري، مجيب حسين،

الدكتور: الأندلس بين شوقي وإقبال، ص ٦٧.

يدفع عنه وعن أهله كلاله الملالة ولو إلى حد". (١)  
والمسدة التي قضاها أحمد شوقي في الأندلس لها أثر بالغ في حياته الأدبية ويقول شوقي  
ضيف عن إقامته في الأندلس:

"وكانت أوقات الشاعر فارغة لمدة خمس سنوات، فقرأ كثيراً عن الأندلس، وملاً  
وعيه ولا وعيه بتاريخ أبطالها وشعرائها، فبدأ يكتب قصة "أميرة الأندلس" أو أخذ  
يعد نفسه لكتابتها، واختار لها حياة المعتمد بن عباس وزوجته الريمكيّة. (٢)

وظل بها إلى آخر سنة ١٩١٩م، فسمعه الإنجليز بالعودة.

### أثر الأندلس في حياته الأدبية

وإن الشاعر إذا نفى إلى أرض بعيدة أو أقام فيها لمدة لا بدله أن يتأثر من بيئة أجنبية، وهذا التغيير  
لا بد أن يترتب عليه في الأغلب لم يكن له من قبل وجود، ولولا ذلك لجرت على هذا الشاعر صفة  
الحمود والحمد لأن لم يتأثر بما حوله والأجدر أن يتأثر من أدب الأندلس بجميع أصنافه تأثراً كبيراً.

"وشوقي يحدثنا عن مغادرته برشلونة التي طال مكثه فيها منطوياً على نفسه، فلما

بلغت الحرب نهايتها فرح واستبشر وقام في نفسه أن يتجول في الأندلس طلباً

للفرجة بعد أن أيقن بأن الفجر سوف يتنفس بعد ليل طال". (٣)

وخلال إقامته في الأندلس كان الفرصة الذهبية له أن يطالع دراستها والإبداع في كلامه،  
وتحول موضوعات في شعره واختبار الذكاء في أصناف أخرى، واستفاد شوقي استفادة تامة وتغيرت  
فكرته فانطلق قلمه إلى الجوانب المختلفة والموضوعات المتنوعة.

ويقول د. محيب حسين المصري في هذا الصدد:

"فهو أشبه شئ بذلك البلبل الفريد الذي ظل حبيساً في قفصه طويلاً ثم فتح، فانطلق في الآفاق،

إن شوقي يحدثنا عن الأندلس وعن نفسه فيها ويظهرنا على الأطوار التي تعاقبت على نفسيته في منفعة

بهذا الشتر أو بذلك الشعر المثنور، أما أهم ما لشوقي من نثر، فهو مسرحية بعنوان: "أميرة الأندلس" أنها

ألقت أثناء مقام شوقي في برشلونة وذلك خلال الأعوام الثالثة الأولى التي قضاها في تلك المدينة وبذلك

تكون تلك المسرحية مؤلفة في أرض الأندلس مستوحاه منها، وعاد من منفاه إلى مصر، ومادة هذه

المسرحية من كتاب "نفع الطيب" للمقري ذلك الكتاب الذي حمله معه من مصر إلى برشلونة". (٤)

١- المصري، محيب حسين، الدكتور: الأندلس بين شوقي وإقبال، ص ٦٦-٦٧.

٢- شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث، ص ٣٤.

٣- المصري، محيب حسين، الدكتور: الأندلس بين شوقي وإقبال، ص ٨٥.

٤- نفس المرجع، ص ٨٦.

وتبرز شخصيته كمؤرخ خلال إقامته الأندلس وهذا ما هو يظهر من مقدمة مسرحية وهو يؤرخ العرب وآدابهم وسلالهم وعظمتهم وكان يليق له أن ينظر إلى تلك الآثار التي يراها بعين أمه أو يعرفها من بطون الكتب التي انطوت بأخبارها وأوصافها، وهذا هو السبب بالذي يمكن له أن يحصل مكانا مرموقا ولشوقي أرجوزة في دول العرب وعظماء الاسلام تعد معظم ما فاضت به قريحته في الأندلس و يحدثنا في أرجوزته سهلة بقوله:

”فكنت أستعدى على الهموم      بنات فكرليس بالملوم  
أستدفع الفراغ والعطالة      وبطل من يقتل البطالة  
حتى أراد الله أن ظمت      من سير الرجال ما استعظمت  
علما بما تبعث في الأحداث      جلائل الأعمال والأحداث“ (١)

ويقال عن هذه الأرجوزة:

”أنه كتب هذه الأراجيز على غلاف كتاب نحو اللغة الأسبانية ولهذا دلالة، أنه يؤيد أنه كان يشعر بالملل والضجر، أن مثل هذا الشعر، أى شعر الأرجوزة، لا يقتضي من الشاعر كداً للذهن وترديداً للروية والنحت من صخر إذا تيسرا الاعتراف من بحر، ولذلك أقبل عليه ملتمساً فيه مسلاة وملهاة“ (٢).

وعاد شوقي إلى مصر في سنة ١٩٢٠م، وقد هيات له الفرص أن يزور بلاداً وأفطاراً، فزار بلاد الترك، ولبنان، وسورية، وتحلت عبقريته كاملة بعد عودته من المنفى عند ما طلع على الناس قد نضج فكراً، وأصفى قريحة، وأقوى شاعرية، وأغرز إنتاجاً، فأنشد روائع الشعر، وبدائع النثر، وفواتن القصص المسرحية وغير المسرحية. فلم يظفر شاعر عربي معاصر بمثل ما ظفر به شوقي في شهرة.

ويقول الدكتور شوقي ضيف:

”إنما هو شاعر من حقه أن يخلق في أجواء الفن العليا منفصلاً عن حدود المكان، وملقياً عن كاهله حواجز الزمان، واننا لنأسى لهذه الثروة الكبيرة من شاعرية شوقي التي أضاعها فيما بين يديه من مناسبات ضيقة، كما نأسى لهذا الفيض العظيم من نيلنا الذي يتلاشي ويفنى سوياً في بحر الروم دون أن نفيد منه فوائد محققة“ (٣).

- ١- نظم أحمد شوقي: دول العرب وعظماء الاسلام، ص ٦٨.
- ٢- المصري، مجيب حسين، الدكتور: الأندلس بين شوقي وإقبال، ص ٨٨-٨٩.
- ٣- شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث، ص ١٧٤. وانظر أيضاً: طه حسين: حافظ وشوقي ص ٢٢٠-٢٢١. وانظر أيضاً: عباس حسن: المتنبي وشوقي، ص ٣٨-٣٩. وانظر: طبقات الشعراء. ط. القاهرة.

## أثر منفاه وعودته في شعره

وقبل النفي كانت حياته تجري على وتيرة واحدة من اللهو والمرح، واستقبل شوقي هذه الحقبة الجديدة بالحزن والألم، فليحزن شوقي، ليحزن من غربته، وليحزن لمضايقة الإنكليز له فيما يرسل إليه من أمواله، وليحزن على وظيفته في القصر، وليحزن على ما أصاب أميره عباس، وليحزن لهذا النفي والتشريد، فإن صوت شوقي يتكامل له اللحن، فقد كان البلبل، أسيراً من قبل، وكان لا يغني إلا مديحاً متشابهاً في أغلب أحواله، ولم يكن يعرف شيئاً من محن الحياة وآلام الناس، فالآن تتم له شعره، ويتم له صوته، وظل الشاعر في قلندر يرا حتى أعلنت الهدنة سنة ١٩١٨م، فأصبح من حقه أن يتحول في أسبانيا كما يشاء، فتنقل بين مدنها الكبيرة في قرطبة وأشبيلية وغرناطة، فذهب بيكيهم ويكي نفسه في قصيدته، وقد بدأها بحنينه إلى وطنه، يقول:

”اختلاف النهار والليل يُنسى      اذكر إلى الصبّ وأيام أنسى  
وسلا مصر هل سلا القلب عنها      أو أسأجرحه الزمان المؤسّي  
أحرام على بلا بله الدوّ      ح حلال للطير من كل جنس  
وطنى لو شغلت بالخلد عنه      نازعتني إليه في الخلد نفسى  
شهد الله لم يغب عن جفوني      شخصه ساعة ولم يخل حسيّ“ (١)

أنشد شوقي شعرا في الحنين إلى مصر وأهل وده فيها، وهو يشكو غربته ووحده وفراغه، وكأنه بذلك يعبر عن واقع حاله على نحو يختلف عنه فيما أسلفنا إيراده من أبيات له جعلها مقدمة كتابة المنظوم ”دول العرب وعظماء الإسلام“ بعث شوقي بأبيات إلى حافظ ابراهيم. يقول:

”يا ساكني مصر إنا لا نزال على      عهد الوفاء، وأن غبنا، مقيمنا  
هلا بعثتم لنا من ماء نهركم      شيئاً نبيل به أحشاء صادينا  
كل لمناهل بعد النيل آسنة      ما أبعد النيل إلا عن أمانينا“ (٢)

فهذا من كلام الشاعر يشعر بأنه ضاق ذرعاً بوحشة غربته ووجد نفسه غريباً، ويرد عليه حافظ مواسياً، فأخذ منه الأسي كل ما أخذه أراد أن يكون له مواسياً ابداً،

فقال:

”عجبت للنيل يدري أن بلبله      صاد ويسقى ربا مصرو يسقينا  
والله ما طاب للأصحاب مورده      ولا ارتضوا بعدكم من عيشهم لينا

١- شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث، ص ٣٤-٣٥.

٢- نظم أحمد شوقي: دول العرب وعظماء الإسلام، ص ٢٧.

فكان رد حافظ هذا عليه وارداً بالرى على ذي طمأ، وان كان المنهل سراياً، وبين شوقي وبين النيل بحار وقفار، ولكن واقع الحال ظل شديداً الوطأة عليه، وما وجد شوقي على طول المدى ما يشعب قلبه بالسلوان". (١)

وعاش شوقي في الأندلس منطوياً على نفسه معتزلاً عن الناس، وكان على غير المتوقع من شاعر مثله فقد كان المتوقع أن يطوف في أرض الأندلس، ويشاهد آثار العرب فيها، ويجعل من وصفه لها ما يشغله عن همه الذي استبد به واشتد عليه، ولكن وحشة الغربة كانت أشد وحشة عليه من كل شئ فحبسته في نطاق ضيق، وجعلت منه ذلك البلب المحزون الذي يئن ويحن في قفصه، يريد الانطلاق منه الى الروضة المعطرة.

ويبين د. مجيب حسين المصرى كيفيته كذلك:

"وذلك النأى الذي يحن إلى تلك القصباء التي انتزع منها فما كف عن النواح بعد أن أدرك أو كاد أن الإياب إليها شبه مستحيل، واتفق للخدوي عباس أن يكتب إلى شوقي من فيينا يعرض عليه رغبته في أن يلحق به في فيينا وله عليه أن يوصى سفارة النمسا في مدريد بأن تيسر له السفر في غواصته الألمانية، ولكن الشاعر لم يلق إلى ذلك بالا وأثر البقاء في الأندلس، وإيثار شوقي للبقاء في الأندلس ولو على مضض يزيدنا علماً بنفسيته المعتلة في تلك الفترة من حياته، فكان الظن بمثله في حاله وضيقة أن يخف إلى السفر، وينطلق من ذلك السجن الرهيب الذي حجب عنه نور الحياة، إلا أنه رهب أن يغامرو أن يغوض في جوف البحر بعد ما كاد يهلك فوق لجهته، وكأنما استسلم لليأس ولم يعد يتطلع إلى بسمه للرجاء، ورضي بقضاء الله خيرته وشره". (٢)

أما وتر الوطن فلم يكن بأقل براعة وحنقاً في النقر عليه، فوطنيات شوقي خليقة بأن تجمع وتدرس في المدارس لتنشئة الطلبة على حب الأوطان، فهو يقدر الوطن تقديساً ويتكلم عن العاطفة الوطنية كعقيدة دينية، لأن حب الوطن من الايمان، وهو الرجل المؤمن. فيقول في حب وطنه:

"أيا وطني لقيتك بعد يأس كأنني قد لقيت بك الشبابا  
ولو أنني دعيت لكنت ديني عليه أقابل الحتم المحابا  
يسرد الوطن في هذه الأبيات وفي غيرها منزلة الدين.

١- المصرى، مجيب حسين، الدكتور: الأندلس بين شوقي وإقبال، ص ٦٥

٢- نفس المرجع، ص ٦٨.

وسلا مصر هل سلا القلب عنها  
 وطني لو شغلت بالخلد عنه  
 وأسا جرحه الزمان المؤسي  
 نازعتني إليه في الخلد نفسي (١)  
 ويكاد يتغزل لوطنه في كل موضوع يعالجه حتى في خمرياته، فبينما هو ينشد في العيد طرباً:  
 ”رمضان وليّ هاتفا يا ساقى، مشتاقاً تسعى إلى مشتاق“ (٢)

ثم يقول:

وطنى أسفت عليك في عيد الملا  
 لا عيـدلي حتى أراك بأمة  
 وبكيت من وجد ومن اشفاق  
 نعم ان حب الوطن سجيته كل حر  
 ولالأوطان في دم كل حرّ  
 شمآء راويه من الأخلاق  
 وكان وجه لوطنه حبا شديداً  
 يد سلفت ودين مستحق

يقول مخاطب النيل:

لي فيك مدح ليس فيه تكلف  
 وقال يصف ليلة وهو منفي في الأندلس، ويذكر ألم الفراق والغربة:

”ونابغي كأن الحشر آخره  
 نطوى دُجاء بجرح من فراقكمو  
 تمينا فيه ذكراكم، وتحينا  
 يكاد في غلس الأسحار يطوينا  
 حتى يزول، ولم تهد أتراقينا  
 حتى قصدنا بها حسرى تقاسينا  
 ليشامتين، ويأسوه تأسينا“ (٤)

فهو حزين على ضعف مصر بسبب الاحتلال البريطاني، إذ تسلط الإنجليز على الجيش، واستأثروا برتبته العالية، على حين أن أبناء مصر بعيدا عنها، محرومون أن يؤملوا فيها، محترقون بالأسى من إهانة مصر وإهانتهم:

”أم هل يعدلك إلا ضاعة منة  
 انظر الى فتيانه ما شأنهم  
 جيش كجيش الهنديات ذليلاء  
 أوليس شأننا في الجيوش ضيلاء  
 ورفعت قومك فوقهم تفضيلا  
 مستقبلا لم يملكوا التأميلا (٥)

وليس ينسى أن يذكر كرومر بأن الجيش المصري الباسل هو الذي احتمل الألباء الجسام في

١- الشوقيات: ٦٥/٢.

٢- الشوقيات: ٩٢/٢.

٣- أحمد عبيد: ذكرى الشعراء: شاعر النيل وأمير الشعراء، ص ٣٥١.

٤- عباس حسين: متنبى وشوقي، ص ٤٦-٤٧.

٥- أحمد الحوفي: أضواء على الأدب الحديث، ص ١٢٧.

استعارة السودان، وأن الجيش الإنجليزي كان على هامش الفتح، ثم كان جزاء مصر وجيشها أن ادعت بريطانيا اشتراكها في فتح السودان، وأن أهملت الجيش المصري عامدة وأضعفته متعمدة: يقول:

”كن إلى الموت على حب الوطن من يخن أوطانه يوماً يخن  
 وطن المرء حماه المفتدى يذكر المنة منه، واليذا  
 قد عرفت الدار والأهل به كل حب شعبه من حبه“ (١)

وشوقي يفيض بالحنين إلى مصر ويزخر بالشوق إلى النيل وهو كأنما يتكلم عن نفسه، ولكنه في الواقع يتوجع لما يعاني وطنه من وطأة الظلم، ويتفجع لما تقاسي بلاده من قسوة الاضطهاد، وأنه ليبيكي ملاعب شبابه، وعهود صباه، حين يقول:

”اختلاف النهار والليل يُنسى فاذا كره إلى الصبا وأيام أنسي  
 وصفالي ملاوة في شباب صورت من تصورات ومس  
 عصفت كالصبا للعب ومدت سنة حلوة ولذة خلس“ (٢)  
 ثم يأخذ في الحديث عن مصر فيقول:

”وسلا مصر هل سلا القلب عنها أو أساجر حه الزمان المؤسي  
 كلما مرت الليالي عليه رق والعهد في الليالي تُقيسي  
 مستطار إذا البواخر رنت أول الليل أوعوت بعد جرس“ (٣)  
 وينبغي أن نطلع على روعة الحسن في قوله قبل قراءة خطابه للباخرة .

”وسلا مصر هل سلا القلب عنها أو أساجر حه الزمان المؤسي“  
 وانظر كيف وصف قلبه حين قال:

كلما مرت الليالي عليه رق والعهد في الليالي تقسي  
 مستطار اذا البواخر رنت أول الليل أوعوت بعد جرس

وهو لم يذكر أن قلبه كان يخفق كلما أو مض البرق، أو هب النسيم، كما كان يتحدث الأعراب، وإنما يصف ما يحسه الغريب على شواطئ المحيط وهبوب الريح، من أصوات البواخر في غسق الليل، ثم قال:

”يا ابنة اليم ما أبوك بخيل ماله مولعاً بمنع وحبس

١- عباس حسن: المتنبي وشوقي، ص ٣٤٨.

٢- أحمد شوقي: الشوقيات، ٤٥/٢.

٣- أحمد شوقي: الشوقيات، ٦٥/٢.

أحرام على بلابله الدو      خ حلال للطير من كل جنس  
كل دار أحق بالأهل إلا      في خبيث من المذاهب رجس“ (١)  
يقول زكي مبارك عن هذه الأبيات:

”والقارئ يتلقى هذه الأبيات الآن بشئ من الطمانينة، أما الذين قرأوها يوم  
قالها شوقي فلم فيها رأي، ومن كان في ريب من هذا فليذكر الأحكام العرضية، لا  
قدر الله لها رجعة، ولا كتب لها أوبة، فقد كنا نبتغي بقول شوقي:

أحرام على بلابله الدو      خ حلال للطير من كل جنس“ (٢)  
”ثم يتمثل شاعر مصر في الصورة الشجرة الوريقة، تفرقت عنها البلابل  
المفردة، ثم صارت مأوى للبوم، ومقيلاً للغربان، وكذلك كانت مصر في ذلك الحين،  
فكان شهيد الحرية محمد بك فريد، يرسل عساكرها لنيل ثرى مصر، وتنهل من سلبيل  
النيل، ثم لا تجاب له طلبه، ولا يد نومنه مأمول، في حين أن بلاد الفراغة كانت  
مفتوحة الأبواب لكل أئيم القلب، وقاح الوجه، خبيث اللسان، وسيظل قول شوقي:

أحرام على بلابله الدو      خ حلال الطير من كل جنس  
سيظل هذا البيت مثاراً للشجي والأسى، حتى تغدو تلك الشجرة ذات الظلال  
والأفنان، وهي للبلابل مأوى وللطواويس مقيل، أما قوله:

كل دار أحق بالاهل إلا      في خبيث من المذاهب رجس“ (٣)  
ثم يقول:

”يشجعي بها بعض الحلوق      ثم قال في خطاب الباخرة  
نفسى مرجل وقلبي مشراع      بهما في الدموع سيرى وأرسي  
واجعلي وجهك ”الفتار“ ومجرا      ك يد ”الشعر“ بين رمل ومكس  
وطني لو شغلت بالخلد عنه      نازعتني إليه في الخلد نفسي“ (٤)  
ثم يقول:

وهفا بالفؤاد في سلسبيل      ظمأ للسواد من عين شمس  
شهد الله لم يغب عن جفوني      شخصه ساعة ولم يخل حسي“ (٥)

- ١- أحمد شوقي: الشوقيات، ٤٦/٢.
- ٢- زكي مبارك، الدكتور: الموازنة بين الشعراء. الطبعة الأولى، مصر: المصطفى البايي الحلبي وأولاده، مارس ١٩٣٦م / ١٣٥٥هـ، ص ١٣٧.
- ٣- نفس المرجع، ص ١٣٨.
- ٤- أحمد شوقي: الشوقيات، ٤٦/٢.
- ٥- نفس المرجع، ٤٦/٢..



وأى نفس يمثلها شوقي في هذا الشعر البديع، إنه يمثل روح مصر، ولقد كانت مصر، ولا تزال، باباً من الفتنة. ولكن لم يئس شوقي من صورة مصر هذه ويؤمن أن تغيرت كيفياتها وحالاتها، فستكون جميلة رائعة.

ويقول وهو يتمثل الجزيرة والنيل:

”وكأنني أرى الجزيرة أيكاً  
نغمت طيره بأرخم جرس  
حسبها أن تكون للنيل عرساً  
قلبه لم يحن يوماً بعرس  
ليست بالأصيل حُلّة ومشى  
بين صنعاء في الثياب وقس  
قلدها النيل فاستعت فتواتر  
منه بالجسر بين عُري ولبس  
وأرى النيل كالعقيق بوادٍ —  
له وان كان كوثر المتحبي“ (١)

”وعاد شوقي من المنفى أواخر سنة ١٩١٩م“ (٢).

### التطور في شعره بعد العودة

وعاد شوقي من المنفى، فتغيرت فكرته وتحولت حياته الأدبية وأبدع في قلمه.  
يقول عباس حسن:

”وكان شوقي بارع خبير، وتزداد براعته وضوحاً، وخبرته جلاء، في قصائده التي صاغها بعد عودته من المنفى، تلك العودة التي كانت فاتحة حياة أدبية جديدة، تتسم بالنضج والكمال، والخصب، والسّمو إلى آفاق أدبية عالية، بعيدة المدى، ومن الخير أن نعرض صوراً من ألفاظه في مرحلتها:

الأولى والأخيرة، فاستمع إليها، وقف عند كل كلمة من كلماتها“ (٣).

وكان منفى شوقي عن القصر وعن وطنه أمكن له أن يكون ربة الشعر ليعبر من برجه المنعزل عن الشعب إلى أودية المنحدرة الملتفة حول النيل وجداوله وعيوننه وغدراننه، وما يجري في هذه أودية من أحلام وآمال وآلام دمائها تحتها الشعب من جروح وقروح.

وعاد شوقي إلى وطنه، فرأى دماء أهل مصر ملأت أرض الوطن وتسيل في كل أرجاء مصر، واستقبل الطلاب شوقي في فناء محطة القاهرة استقبالا رائعاً، وحملوه على الأعناق حتى سيارته وسالت الدموع من عينيه، فقد حول شوقي بصره من سماء القصر الذاهية إلى أرض مصر الدامية، وأخذ الوطن يحتضن ابنه، ويضمه إلى صدره، ولم يلبث أن استيقظ ضمير شوقي الوطني بعد أن ظل

١- زكي مبارك، الدكتور: الموازنة بين الشعراء، ص ١٣٩-١٤٠.

٢- طه وادي، الدكتور: شعر شوقي الغنائي والمسرحي، ص ١٧.

٣- عباس حسن: المتنبي وشوقي، ص ٩١.

يخطُّ طويلاً في نوم عميق، فكتب قصيدته "بعد المنفى" يعلن لقاء بوطنه، ويقول:

"ويا وطني لقيتك بعد يأس      كأنني قد لقيت بك الشبابا  
وكل مسافر سيؤوب يوماً      إذا رزق السلامة والإيابا  
ولو أنني دُعيت لكنت ديني      عليه أقابل الحتم المحابا  
أدير إليك قبل البيت وجهي      إذا فهت الشهادة والمتابا" (١)

وكان شوقي في الحقيقة خير مثال طراً على شاعرنا الحديث من تطور، فقد عاش مغنياً لا لوطنه بل لعواطفه، يغني عواطفه ومشاعره، فلما عاد من منفى لم يجد سيده، فتحول إلى موضوع جديد هو الشعب المصري والشعوب العربية، ولا يفكر في عواطفه وميوله وإنما يفكر في عواطف غيره، سواء أكان أميراً أم كان شعباً.

يقول الدكتور شوقي ضيف في هذا الصدد:

"فهو دائماً لا تعنيه نفسه، إنما تعنيه أشياء خارجة عنه، وكان الجمهور وكانت الصحف دائماً قبلته، حتى حين كان يغني للخديوي عباس، وحين كان يعتزل الناس في برجه العاجي أو الذهبي، فلم ينفك عنه اهتمامه بالجمهور والصحف، إنما الذي يلاحظ أن هذا الاهتمام يتطور وتختلف اتجاهاته مع مر الزمن، فهو يتم بالجمهور قبل الحرب الكبرى، فيغنيه التركيات، ويغنيه الإسلاميات ويغنيه تاريخه، كما يغنيه عروبة، ولكن لا تنحسر موجة الحرب حتى تفيض مع شعبه والشعوب العربية مشاعرة الوطنية والعربية، وهذا هو معنى أن شوقي يصور أو يوضح تصوير شاعرنا الحديث مع جمهور قرائه ومع الصحف التي يقول عنها في إحدى قصائده إنها آية العصر". (٢)

ومن يتصفح الشوقيات يستطيع أن يلاحظ في وضوح أن شوقي لم يترك مناسبة إلا دون فيها شعره، فهو لا يكتفي بالثناء والمدح على عادة شعراء العرب القدماء، بل يحاول أن ينظم في كل حادثة وفي كل مسألة طارئة سواء أكانت تتصل بالشرق أم بالغرب.

وكانت أوقات الشاعر فارغة لمدة خمس سنوات، فقرأ كثيراً عن الأندلس، وبدأ يكتب قصة "أميرة الأندلس" وأخذ شوقي يقرأ في الشعر الأندلسي ويظهر أنه أعجب بابن زيدون إعجاباً خاصاً. وذلك رأيناه يتعلق بابن زيدون ويحاول أن يعارضه في قصيدته المشهورة التي يث فيها حبه وحينه إلى فردوسه المفقود "ولادة" قره عينه، ونسج شوقي على منواله، فبكى واستبكى وذرف الدمع سخياً

١- شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث، ص ١٤٦.

٢- نفس المرجع، ص ١٦١-١٦٢.

وفيها يقول:

”لكنّ مصر وأن أغضت على مقية  
تاب الحنين إليكم في خواطرننا  
عند الدّلال عليكم في آمانينا  
في النائبات فلم يأخذ بأيدنا  
لم تنزل الشمس ميزاناً ولا صورت  
في ملكها الضخم عرشاً مثل واديننا“ (١)

وخلع شوقي عنه الحلة الرسمية واستيقظت روح الشاعر بعد سبات عميق وأخذت تنظم فيها حولها من عبر التاريخ الأندلسي وامتد البصر في أعماق تاريخ العرب، وأخذ شوقي يقرب إلى نفسه في الأندلس بأكثر مما كان يقرب إليها في مصر.

ويقول شوقي ضيف عن تطور في شعره:

”وعاد شوقي إلى وطنه، فوجد أرضه مخضبة بدماء الحركة الوطنية الذكية، ووجد كل شيء فيه يتحول ويتغير، ولا ندري هل فكر في العودة إلى القصر؟ ولكن المؤكد أن أبواب القصر لم تفتح له، فظل بعيداً مع الشعب، يعيش في حياته الحديدية، فلتفرحي ربة الشعر، ولتدقي البشائر، فإن طائرنا لن يعود رهين محبسه القديم، ولا رهين ذهب إسماعيل وأبنائه، فقد أخذ يرفرف حراً طليقاً في الفضاء، وأخذت أجنحته تلمح فيها ألوان اللطيف وهي ألوان لم تكن تستمد من القصر وأميره ولا من حياته الارستقراطية القديمة، وإنما كانت تستمد من دم الشعب التي سفحها راضياً في الحركة الوطنية المباركة سنة ١٩١٩م ومن آماله وآلامه، وأيضاً من آمال الشعوب العربية جميعاً وآلامها، أصبح شوقي إلى حد ما ديمقراطياً يعيش مع شعبه والشعوب العربية، وكان مظهر ذلك في حياته أن أغلق داره أو كرمته في المطرية، واتغذله كرمة جديدة في الجيزة، وفرغ لنفسه، وحياته الخاصة، ونزهاته المختلفة في النيل، وفي الإهرام، وفي إحدى نزهاته نظم قصيدته المشهورة:

أبا الهول طال عليك العصر      وبلغت في الأرض أقصى العمر  
وبنى في السكندرية بيتاسماه      ”درة الغواض“ وكان كثير الرحلة إليها“ (٢)

ونحن عندما نقرأ قصائده على سفح الأهرام (٣) وأبو الهول (٤) وتوت

- ١- شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث، ص ١٧١-١٧٢. (وأيضاً في: شراره، عبد اللطيف: شعراؤنا شوقي، دراسته تحليلية، ص ٢٥.
- ٢- شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث، ص ٣٦-٣٧.
- ٣- الشوقيات: ١٣/١.
- ٤- نفس المرجع: ١٣٢/١.

عنخ آمون (١) يهز السامع الشعور وتملكه نفس الشاعر فترفع به من مستوى الحياة الدنيا إلى سماوات الخلد، ذلك بأن شوقي يهديه المعنى الذي كانت تلمسه نفس السامع فلا تقع عليه، ويرس أمامه بوضوح وقوة وسمو خيال ونيل عاطفة كل ما ينبض به قلبه ويهتز له فؤاده. وليس معنى ذلك أن صياغة شوقي لا تفترق عن صياغة البارودي في شيء، فشعره أكثر سلاسة من شعر أستاذه، وكأنما أشربت روحه روح البحري، فموسيقاه أكثر صفاء وعزوبة من موسيقى البارودي، وكأنه كان يعرف أسرار مهنته معرفة دقيقة، وخاصة من حيث الصوت وما يتصل به من أنغام وألحان، ولعل ذلك ما جعل شعره أطوع للغناء من شعر صاحبه البارودي وحافظ معاً، فقد أكثر المغنون في عصرنا من تلحين شعره وتوقيعه.

ويقول الدكتور شوقي ضيف:

”وقصيدته النونية (٢) رائعة إلى الغاية قد صاغها على نسق قصيدة لا بن

زيدون وكذلك صاغ السينية على نسق قصيدة البحري في إيوان كسرى، ومعنى

ذلك أنه كان لا يزال في الأندلس شاعراً تقليدياً من بعض جوانبه، إذ يعنى ببعض

القصائد القديمة الرائعة، فيعارضها، وينظم من وزنها وقافيتها، وإن اختلفت القوالب

بالقياس إلى ما تؤديه، فإن القوالب القديمة عنده دائماً لا تستعصي على أداء ما يريد

من معان وأفكار، وهي لذلك تصبح عنده كياناً فنياً حياً، له روعته وجماله.“ (٣)

فهكذا أثر منفاه على كلامه وتطور في شعره واكتسب شهرة لا مثيل له وتمتع بلقب أمير

الشعراء.

١- الشوقيات: ١/٢٦٦.

٢- الشوقيات: ٢/١٣٩.

٣- شوقي ضيف، الدكتور: الأدب العربي المعاصر في مصر، ص ١١٨.

## الفصل الخامس

### اتصاله بالشعب ووفاته

#### لم تكن لشوقي شعبية في أول الأمر

فقد كان شوقي في حياته الاستقرائية بعيداً عن الشعب كل البعد، قريباً من ذوي السلطان كل القرب، ينطق بلسان الرعاة ولا ينطق بلسان الرعية، إلا إذا اجتمعت الأمة وأولى أمرها على بعض الشؤون التي يظهر تأثيرها فيهم على السواء، وأكثر ما يكون ذلك عند ما تكون البلاد غرضاً لسهام الأجانِب في السياسة أو في الحروب، فيتناسى الشعب في مصر أو في الدولة العثمانية بؤسة وجور حكامه، فإذا يبكى شوقي أو يغني في مثل هذه الحال، فقد حق له أن يقول:

كان شعري الغناء في فرح الشرق      وكان العزاء في أحزانه

وقصيدته التي خاطب بها اللورد كرومر سنة ١٩٠٧م على أثر الحفلة التي أقيمت لوداعه في

ملعب اللاويرة، تنطق بلسان صاحب العرش ولسان الأمة المصرية:

إياكم أم عهد إسماعيلاً      أم أنت فرعون يسوس النيلاً

وكذلك قصيدته "الأندلس الجديدة" التي قالها بعد سقوط ادرنة في أيدي البلغار

سنة ١٩١٢م، تعد من الشعر السياسي الاجتماعي الذي يعبر عن عاطفة الشعب والحكومة معاً، ولا

يقتصر تأثيره على الأتراك وحدهم بل يشمل المسلمين على الإجمال، على أن الشاعر لم يكن يتعد

في الشؤون الداخلية عن إرادة القصر في السياسة والاجتماع. (١)

ويقول الدكتور شوقي ضيف:

"وكان أهم ما يعجب عباساً فيه مدائح له في أعياد حكمه لمصر وفي كل

مناسبة كبيرة تمر به وأخذ شوقي يدور معه في كل أهوائه السياسيّة، فتارة يمدح له

الخليفة العثماني الذي كان يتغني رضاه، وتارة يلوم الإنجليز ويندد بهم حين

يغاضبهم وينازعهم بعض السلطان، ولم يكن شوقي حينئذ يختلط بالشعب، لذلك

تفوق عليه حافظ في ميدان الوطنية وما يتصل بها من عواطف الجمهور السياسيّة، إذ

كان ابن الشعب وكان يحس آلامه في عمق وقوة". (٢)

وقد حدث في هذه الحقبة من حياته تطور في فنه، فهو يعني أحياناً بالأوزان القصيرة ويوصف

الرقص والخمر في قصيدته:

١- شوقي ضيف، الدكتور: الأدب العربي المعاصر في مصر - ص ١١٠.

٢- نفس المرجع، ص ١١١.

”حَفَّ كَأْسُهَا الْحَبِيبَ فَهِيَ فِضَّةٌ ذَهَبٌ“ (١)

وشوقي في كل ذلك لم يكن يعنى بالجمهور عناية دقيقة، فهو شاعر القصر، وهو بعيد عن الجمهور بحكم أسرته الأرستقراطية وبحكم وظيفته الرسمية، ولكن خلال منفاه إلى أسبانيا، ينظم قصائد في حب وطنه وينشد شعر عن فردوسه المفقود، ويستشعر كبرياء قومه في أقوى صورة، كما نرى في مثل قوله:

”نحن اليواقيت خاض النار جوهرنا ولم يهن بيد التشتيت غالينا“ (٢)

ثم يقول:

”لم تنزل الشمس ميزانا ولا صعدت في ملكها الضخم عرشاً مثل وادينا“ (٣)

ويبين طه حسين كيفياته بعد العودة قائلاً:

”و حين تضع الحرب أوزارها في سنة ١٩١٩م ويؤذن للشاعر أن يعود إلى

وطنه، فيعود في سنة ١٩٢٠م قويا شديد النشاط، حتى يرى القصر فيحن إليه ويدنوا

منه، والقصر لا يعرفه ولا ينكره، وكان يسفك دم شعب المصري في سبيل الحرية

ويخفض الشاعر بصره إلى الأرض، لن يرى عليها ذهب إسماعيل ويرى أمته تراق

دمائها وتنتهك حرمتها، وتأمل في كل شيء ولكنها ترتقب الأمل من كل شيء!

يا للطبعية الخصبية! يا للقلب الذكي! هذا شاعر القصر يصبح شاعر الشعب“ (٤).

وكان شوقي لم يعن حينئذ عناية واضحة بحاضر وطنه، فإنه عنى عناية قيمة بماضيه، فكتب

ملحمته الرائعة ”كبار الحوادث في وادي النيل“ وكتب قصيدته اليتيمة ”أيها النيل“ وينشد فيها حنان

إلى وطنه وحريته.

ويقول شوقي ضيف في هذا الصدد:

”ولمع في بصره المتألق المتموج تاريخ وطنه كأنه قوس قزح يسطح في

السماء فصرخ من أعماقه، وذهب ينشد على قيثارته أغاني، يصور بها جمال هذا

القوس الرائع، أما حاضر الوطن فلم يعن به وكأنما كان من الضروري أن يخرج من

برجه العاجي وحياته الضيقة في القصر حتى يرى عالم وطنه المحجوب عنه، وحتى

١- أحمد شوقي: الشوقيات: ٩/٢. انظر أيضاً: شوقي ضيف، الدكتور: الأدب العربي المعاصر في مصر،

ص ١١٧-١١٨.

٢- أحمد شوقي: الشوقيات: ١٠٧/٢.

٣- نفس المرجع: ١٠٨/٢.

٤- طه حسين: حافظ وشوقي: ص ٢١٨، ٢١٩.

يخلع عنه نيرسيده، فلا يرى الشعب من خلال رغباته ونزعاته، بل يراه مستقلا على حقيقته، وخرج شوقي من البرج العاجي أو الذهبي، ولكنه لم يخرج إلى الشعب، بل خرج إلى المنفى في أسبانيا، وهناك أخذت الكأس تمتلئ بالعاطفة الوطنية، فقد أبعاد شوقي عن ملاعب شبابه، ورآها من بعيد يجثم عليها كابوس الاحتلال الذي يذيقها ألوانا من الذهب، فحن الطائر إلى روضه، وحكي ذلك في قوله الذائع:

وطني لو شغلت بالخلد عنه نازعتني إليه في الخلد نفسي“ (١)

### اتصاله بالشعب

ومن هنا تبدأ الدورة الثانية في حياته الأدبية فإنه لم يعد يفكر في القصر ولا في وظيفته فيه، فقد أصبح حُرًّا طليقا، وهياً له تراؤه أن ينعم إلى أقصى حد بهذه الحرية، فخلص لفنه ولشعبه وأخذ يغنيه أغاني وطنه رائعة، فشعره في هذه الدورة من حياته يفيض بالوحدة العربية من أبياته الدائرة في نوادي العرب ومجالسهم قوله:

ونحن في الشرق والفصحى بنورحم ونحن في الجرح والآلام إخوان  
وقوله:

كلما أن بالعراق جريح لمس الشرق جنبه في عمانه“ (٢)

فقد أخذ شوقي يرفرف حُرًّا طليقا في الفضاء وأخذت أجنحته تلمح فيها ألوان اللطيف وهي ألوان لم تكن تستمد من القصر وأميره ولا من حياته الأرستقراطية القديمة، وأصبح شوقي إلى حد ما ديمقراطياً يعيش مع شعبه والشعوب العربية، واتخذ له كرمة جديدة في الجيزة، وفرغ لنفسه، وحياته الخاصة ونزهاته المختلفة في النيل وفي الإهرام، وفي إحدى نزهاته نظم قصيدته المشهورة:

”أبا الهول طال عليك العصر وبلغت في الأرض أقصى العمر“ (٣)

واحتفظ شوقي بعد رجوعه من المنفى بخاصة الفنية المميزة له، وهي أن يكون شاعر غيره، كان شاعر عباس، فأصبح شاعر الشعب المصري، بل شاعر الشعوب العربية كلها، ينبض قلبه بأحلامها وآمالها وما تكون فيه من جهاد وثورات، وانصبَّ شوقي مع الشعب يغنيه آماله في الدستور النظام البرلماني وفي التعليم والجامعة وفي الجيش، وفي كل ما يحيش بنفسه من آمال وما يدور بفكره من خواطر، فليس هناك من حادث يمر به إلا ويستخلص له منه حكمة وعظمة وكانت له قوة

١- شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث، ص ١٤٥.

٢- شوقي ضيف، الدكتور: الأدب العربي المعاصر في مصر، ص ١١٣.

٣- شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث، ص ٣٨-٣٩.

نفاذة أو بعبارة أخرى عين بصيرة تستطيع أن تلمح ما يريده الشعب، فيسبق إلى الدعوة به، ويدعوا إلى الائتلاف والاتحاد بين الأحزاب في قصيدته المشهورة التي يقول فيها:

وهذي الضجة الكبرى علاماً	”إلام الخلف بينكم إلا ما
وتبدون العداوة والخصاماً	وفيم يكيّد بعضكم لبعض
على حال ولا السودان داما	وأين الفوز؟ لا مصر استقرت
إلى الخذلان أمرهم ترامي	تراميتهم فقال الناس قوم
فلم تحص الجراح ولا الكلاما	وكانت مصر أول من أصبتم
فلم نك مصلحين ولا كراما	ولينّا الأمر حزبا بعد حزب
ولم نعد الحزاء والانتقاما“ (١)	جعلنا الحكم توليةً وعزلاً

وشوقي بذلك إنما يعبر عن الشعب الحزين الذي نال بعض حقوقه. فلا عجب أن شغل شوقي بالشباب وأولاه عنايته، لأن الشاب هم أشبال اليوم التي يريسيها الوطن لغده المأمول، فالوطنية تقتضي إعدادهم لتحقيق الأمل العظيم المنوط بهم:

إن الشباب غدّ فليهدم لغد  
وللمسالك فيه الناصح الورع  
ولهذا يفديهم شوقي بابنيه، وإنه لفداء عظيم، ويدعوا الله أن يمد أجله ليسعد برؤيتهم وهم يحيون في وطنهم ينعمون به وينعم بهم، ويرفعون مكائته إلى ذروة العلا والمجد ويستبشر بهم خيراً، بأنهم سيعيدون إلى الوطن عزته وقوته.

فيقول:

”يا شباب الغد، وابناي الغدا	لكم، أكرم وأعزز بالفداد
هل يمد الله إلى العيش عسى	أن أراكم في الفريق العدا
وأرى تاجكم فوق الشها	وأرى عرشكم فوق ذكاء
من راكم قال مصر استرجعت	عزها من عهد خوخو ومنا
أمة للخلد ما تبني إذا	ما بنى الناس جميعاً للفناء“ (٢)

ولكنه قد ذاق الآن لذة الحرية وظهر فيه عنصره العربي وعنصره اليوناني، فهو يحب الهواء الطلق، وهو يحب الديمقراطية، وهو ينزل إلى الشارع ويطوف فيه حيث يلقي الناس ويتحدث إليهم ويسمع منهم ويشاركهم في لذاتهم وآلامهم.

ويبين طه حسين الرفعة له بعد اتصال الشعب ويقول:

١- شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث، ص ١٤٨-١٤٩.

٢- أحمد الحوفي، الدكتور: أضواء على الأدب الحديث، ص ١١٣.



”وبعد اتصال الشعب يرقى إلى السماء الشعر فإذا هو ترجمانهم الصادق ومرآتهم المجلوة الصافية، وكذلك الشعب قوي دائماً جذاب دائماً، منه رفعة العظيم وبه خمبول الخامل، رفع حافظاً حتى تنافس في قربه العظماء وجذب شوقي حتى فتن بعمامة الناس وأغمارهم، ولقد كان شوقي في أول أمره شاعراً أثراً يحب نفسه ويلتمس لها أسباب اللذة والنعمة، ثم شاعراً موظفا يقف ملكاته على الأمير والسلطان، ثم عاد إلى نفسه، ثم رد إلى شعبه، فأصبح شاعر الفن وأصبح شاعر الشعب“ (١)

### صيته في العالم العربي

وأهم ما يميز شعر شوقي في هذه الدورة الثانية من حياته أن تحول من القصر إلى الشعب، فصوّره في آماله الوطنية وحرركاته السياسية، ولم يعد شاعراً تقليدياً، بل أصبح شاعراً شعبياً، ولكن بطريقته الفنية الخاصة، وهي طريقة لم تعد تعتمد على معارضات الشعراء القدماء، وإنما تعتمد اعتماداً عاماً على الجزالة والتمانة.

ويقول شوقي ضيف عن هذه التطور:

”وكانت شهرته قد طبقت الآفاق، فأينما حلّ أقيمت له الاستقباليات، وكان بيته منتدى الآباء والشعراء وكبار رجال عصره، وقد زاره في عام ١٩٢٦م ”طاغور“ شاعر الهند الكبير، وقلما يفد على مصر زعيم عربي إلا ويزور الكرامة، وممن زاروها إسعاف النشا شبيبي أديب فلسطين والسيد الثعالبي الزعيم التونسي. واختير شوقي عضواً في مجلس الشيوخ، وفي سنة ١٩٢٧م أعاد طبع ديوانه الشوقيات، فأقيمت له بهذه المناسبة حفلة تكريم كبيرة، بل حفلات، اشتركت فيها الدول العربية جميعاً بمندوبين، نثروا رياحينهم بل اشتركوا جميعاً في وضع تاج إمارة الشعر العربي على رأسه، وممن ساهم في هذه الحفلات محمد كرد علي عن المجمع العلمي العربي بدمشق وشبلي ملاط عن لبنان وأمين الحسيني عن فلسطين وشكيب أرسلان وفند نبرج البلجيكي عن بلده، وأعلن حافظ باسمه واسم شعراء البلاد العربية البيعة لشوقي:

”أمير القوافي قد أتيت مبايعاً وهذى وفود الشرق قد بايعت معي“ (٢)

وعلى هذه الشاكلة حقق شوقي كل ما كان يطمح إليه من مجد أدبي، وأثناء ذلك كان يتصل

١- طه حسين: حافظ وشوقي، ص ٢١٩-٢٢٠. انظر أيضاً: احمد عبيد: ذكرى الشاعرين: شاعر النيل وأمير الشعراء، ص ٧٢١.

٢- شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث، ص ٣٩.

بالشعب وحياته الجديدة بعد نهضة الوطنية كما كان يتصل بشعوب البلاد العربية، فقد شارك السوريين في ثوراتهم الوطنية المختلفة وسجل هذه الثورات شعراً رائعاً، ولم يترك فرصة للإشادة بزعيم عربي أو حركة عربية إلا انتهزها، ونوه فيها بآمال العرب وظلم المستعمرين وما ينالونهم به من عذاب.

ويقول الدكتور شوقي ضيف:

”وأصبح شوقي أمل الشباب في مصر وسوريا وغيرهما، وأصبح شعره يردد في كل مكان ينطق أصحابه بالضاد، وظل يتربع عرش إمارة الشعر العربي بقية حياته، وحتى الآن لا يزال اسمه يدوي في آذان العرب كأنه تراثيل السحر“ (١).  
وعاش شوقي لشعره وفنه، ولم تبق أمنية تمنّاها إلا حققها له الدهر.  
ويقول طه حسين عن تطور في شعره:

”وتتقدم السن بشوقي وتكثر الحوادث من حوله ويشتد شاعريته النشاط، فإذا جناح شعره ينبسط حتى إذا أطل الشرق العربي كله، وإذا هو يرى في السماء الفن الخاص، يرى التمثيل ويرى الغناء فينفق بقية عمره في التمثيل والغناء، أما في الغناء فقد أجاد من غير شك، وأما في التمثيل فقد غنى فأطرب وأثر في القلوب“ (٢).

### سوء حظه

ولاريب أن شوقي نال مقام السمو والرفعة والعظمة واكتسبت شهرة في العالم العربي في ميادين الشعر والنثر، ولكن من سوء حظه أن وصل في شيخوخته إلى ما وصل إليه حافظ في شبابه، لأن شوقي سكت حين كان حافظ ينطق، ونطق حين اضطر حافظ إلى الصمت، أو لسوء الحظ، ليت الحافظ لم يوظف قط، وليت شوقي لم يكن شاعر الأمير قط، لقد أسكت حافظ ثلث عمره، وسجن شوقي أميره ربع قرن.

ويقول طه حسين في هذا الصدد:

”وخسرت مصر والأدب بسعادة هذين الشاعرين العظميين شيئاً كثيراً، وتتقدم السن بشوقي، وإنما فن الشعر والنثر يحتاج إلى الشباب ويحتاج إلى الدرس ويحتاج إلى القراءة الكثيرة، وقد أضاع شوقي شبابه في القصر وقد أضاع شوقي نشاطه ووحدة ذهنه قبل أن يفرغ للدرس وقد كان شوقي قليل القراءة فكان تمثله صوراً ينقصها الروح وإن حبها إلى الناس ما فيها من براعة في الغناء“ (٣).

١- شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث - ص ٤٠

٢- طه حسين: حافظ وشوقي - ص ٢٢١

٣- طه حسين: حافظ وشوقي، ص ٢٢١-٢٢٢ (وانظر أيضاً: أحمد عبيد: ذكرى لشاعرين - شاعر النيل وأمير الشعراء - ص ٧٢٢-٧٢٣).

## وفاة شوقي

وكان شوقي في أيامه الأخيرة يتمتع بصحة طيبة ولم يكن يشكو غير فقد شخصية الطعام، وقد فحصه أخيراً أحد الأطباء المعروفين فقرر أن صحته العامة لا بأس بها، ولكن التغذية ضعيفة، ونصحه بأن يعطي الجسم حاجته من غذائه.

ويبين أحمد عبيد وفاته وكيفية قبيل وفاته قائلاً:

”وكان يوم الخميس ١٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٣٢ م من الأيام التي أحس فيها بنشاط صحي مكنه من تناول طعام الغداء بشخصية، ثم ذهب للنزهة في السيارة إلى ضاحية مصر الجديدة وعرج على دار صديقه إسماعيل شيرين بك، مدير المطبوعات فلم يجده فيها فترك له بطاقته ثم قصد حوالي الساعة التاسعة إلى أحد المطاعم بالعاصمة فتناول عشاءه فيه، وتوجه على أثر ذلك إلى دار (الجهاد) فأمضى مدة فيها بالقرب من صديقه الكاتب الجري الأستاذ توفيق دياب، ووصل الفقيد إلى منزله في الحيزة حوالي الساعة الحادية عشرة ليلاً وأخذ مضجعة ولكنه استيقظ عند منتصف الساعة الثانية بعد منتصف الليل، فدق الجرس وحضر الخادم، فطلب إليه الفقيد أن يحضر ماء ساخناً وورق كافور، وكلفه استدعاء طبيين سماهما له وهما الدكتور برسكا والدكتور جلاد“.

ثم أمر الفقيد الخادم أن يوقظ السيدة قربنته وأنجاله، ففعل وهنا أحس الفقيد بالخاتمة فقال

لخادمه:

”إنى أشعر أن أمري قد انتهى فعليك أن تبلغ تحياتي وسلامي إلى أصدقائي الذين كانوا يزورونني هنا“.

وحضر آل الفقيد وهو بالنزع الأخير، ولما وصل الدكتور جلاد كان الفقيد قد أسلم روحه إلى بارئها في منتصف الساعة الرابعة صباحاً. (١)

فانطفأ هذا المصباح المنير الذي شَعَّ ضؤُه فملاً الآفاق نوراً، وكسا الدنيا بهجة وسروراً وذهب شوقي بعد أن كان اسمه ملء فم الدنيا، وشعره أدب العالم العربي ومفخرته على الأجيال الغابرة والحاضرة.

ثم يقول أحمد عبيد:

وما كاد يذاع نعي الفقيد في القاهرة حتى وجم الناس وعلتهم الكآبة وانتابهم الحزن

والجزع، وأذاعت نعي الفقيد في أندية العاصمة وبمعاهدها، فأوفد مندوباً ينوب عنه في تشييع جنازة الفقيد، كما أناب دولة رئيس الوزارة معالي وزير المعارف عنه وعن زملائه الوزراء في تشييع الجنازة. وأعلن أن بدء المركب الرسمي للجنازة سيكون في منتصف الساعة الخامسة بعد الظهر من ميدان الإسماعيلية، فحملته من داره بالحيزة إلى ميدان الإسماعيلية، وفي الساعة الرابعة ونصف تماماً نقل النعش من السيارة وحمل على الأعناق، ثم مشى خلف الجنازة المشيعون، وتملاً أنهر الشوارع وأرصفتها بخط طويل جداً وصلي على جثمان الفقيد في جامع الكخيا وقدام المصلين فضيلة الأستاذ التفتازاني، ولم ير عدد أكثر من المصلين على الفقيد، وبعد أن صلي عليه تقبل نجلا الفقيد الأديبان علي وحسين والأستاذ حامد العلايلي بك زوج كريمة عزاء جمهور المشيعين.

ثم يقول أحمد عبيد:

”ونقل نعشه إلى سيارة وتبعها خاصة الفقيد في سيارات كثيرة إلى مدفن العائلة بالسيادة نفيسة حيث أضعج في مرقده الأخير إلى جوار حمية المرحوم حسين شاهين باشا، ثم ألقى الأديباء الدكتور على العناني والأستاذ أحمد محفوظ والدكتور ناجي وفضيلة الأستاذ التفتازاني كلمات نثرية وشعرية في رثاء الفقيد، أن ينزل الفقيد منازل الرحمة الواسعة ويقعده مقعد صدق بين عباده الصالحين“ (١)

ويقول الدكتور شوقي ضيف على وفاته:

”ومن الغريب أن الأمراض كانت قد اصطلحت عليه في هاتين السنتين الأخيرتين، ويحدثنا كاتبه أن يعكف معه على قراءة القرآن الكريم وكتب الحديث النبوي، وكان يعجب خاصة بالغزالي ومؤلفاته والجبرتي وتاريخه، ولا بد أن نشير هنا إلى سماحة نفسه، وبشر وجهه، فقد كان ضحوك المحيياً، خفيف الروح، وكان يعجب بالدكتور محبوب ثابت وله معه فكاهات مثبتة في شوقياته. وأخيراً حول الساعة الثانية في ليلة ١٤ من أكتوبر سنة ١٩٣٢ م كفّ البلبل عن شدوه، فقد سقطت قيثاره الشعر من يده، ولبت روحه نداء ربه، وارتفع النواح والنشيج في مصر والأقطار العربية وخرجت الأمة المصرية الكريمة تشيع شاعرها بقلب ملهوف وعين جارية، وانبرى الكتاب والشعراء في مصر والشرق العربي يرثون الشاعر ويعزون الوطن في هذا العلم الذي طوى إلى الأبد وأقيمت له حفلات التأبين في كل مكان، وندبته الصحف العربية ندباً حاراً“ (٢)

١- أحمد عبيد: ذكرى الشاعرين- شاعر النيل وأمير الشعراء- ص ٣٠٧-٣١٠.

٢- شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث- ص ٤١.

ويقول طه وادى على وفاته:

”والمنصب الرفيع الذي شغله شوقي لا يزال شاعر منذ وفاته ١٩٣٢م حتى

اليوم“.(١)

ويقول طه حسين:

”مات شوقي فحزنت عليه مصر والشرق حزن المعجب“.(٢)

## تواريخ هامة في حياة شوقي

١٦ أكتوبر ١٨٧٠م

”تاريخ ميلاده كما جاء في شهادة الليسانس التي نالها من باريس في الحقوق“.(٣)

سنة ١٨٨٥م

دخل مدرسة الحقوق بعد أن أنهى المرحلة الثانوية، وبقي بها أربع سنوات يدرس

الحقوق والترجمة عن الفرنسية حتى سنة ١٨٨٩م.

٧ أبريل ١٨٨٨م

نشرت له أول قصيدة في الوقائع المصرية“ في مدح الخديوي توفيق.

سنة ١٨٩٠م

عينه الخديوي توفيق في ”قلم السكر تارية الخديوية“ قسم الترجمة.

١٨٩٠م - ١٨٩٣م

سافر في بعثة إلى فرنسا على نفقة توفيق ليكمل دراسته في الحقوق، قضاها بين

مونبيلية وباريس، وزار خلالها إنجلترا والجزائر وكثير من قرى الجنوب الفرنسي

ومدنه.

نومبر ١٨٩٣م

العودة من فرنسا، والعمل في ”قلم السكر تارية الخديوية“

سنة ١٨٩٦م

أوفدته الحكومة المصرية، ممثلاً لها في مؤتمر المستشرقين بسويسرا (جنيف)

١- طه وادى، الدكتور: شعر شوقي الغنائي والمسرحي- ص مقدمة الكتاب.

٢- طه حسين: حافظ وشوقي- ص ١٩٠ وانظر أيضا: شوقي ضيف: الأدب العربي المعاصر في مصر- ص ١٨٣

(وانظر: عمر فروخ: كلمة في أحمد شوقي- ص ٧-٨ وانظر: أحمد الحوفي: الإسلام في شعر شوقي- ص ٤.

٣- طه وادى، الدكتور: شعر شوقي الغنائي والمسرحي- ص ١٥٣.

حيث ألقى قصيدته "كبار الحوادث في وادي النيل" ثم سافر من هناك في رحلة إلى بلجيكا.

سنة ١٨٩٨ م

ونشر الجزء الأول من "الشوقيات" بمقدمة لشوقي "ويوجد نصفها في هذا الباب.

١٨٩٤م - ١٩١٤م

وتعد هذه المدة من أزهى الفترات في حياة شوقي، حيث كانت له مكانة سامية لدى الخديوي في مصر والخليفة في تركيا. وقد كثر فيها شعره في مدح الخديوي والخليفة. كما ظهر شعره الديني ترجمة للدعوة إلى الجامعة الإسلامية في ظل الخلافة التركية.

١٩١٥م - نهاية ١٩١٩م

فترة النفي في أسبانيا (برشلونة)

سنة ١٩٢٤م

وعين عضواً بمجلس الشيوخ بترشيح من سعد زغلول عن محافظة سيناء، وظل يشغل هذا المنصب حتى وفاته.

سنة ١٩٢٦م

زاره شاعر الهند الكبير "طاغور"

٢٩ أبريل ١٩٢٧م

مبايعة وفود الدول العربية وشعرائها له بأمانة الشعر، وقد أقيم الاحتفال بهذه المبايعة في دار "الأوبرا" بالقاهرة.

١٤ أكتوبر ١٩٣٢م

"مات شوقي عن اثنتين وستين سنة". (١)

تواريخ هامة في فن شوقي

سنة ١٨٨٨م

وأول مرة ينشر له شعر في "الوقائع المصرية" (٧ أبريل) وكان مدحاً في توفيق الخديوي.

سنة ١٨٩٣م

"على بك الكبير" مسرحية شعرية مطبوعة، ألفها في باريس سنة ١٨٩٢م، ثم أعاد

كتابتها سنة ١٩٣٢م، وأحدث بها بعض التغيير.

سنة ١٨٩٧م

”عذراء الهند أو تمدن الفراغة“ رواية نثرية لم تطبع في كتاب ويقال إنها طبعت، لكنها تعد ضائعة ولم أعثر لها على أى نص.

سنة ١٨٩٨م

نشر الجزء الأول من الشوقيات بمقدمة لشوقي ثم حذفت من الديوان فيما بعد، وقد أثبتناها وفاء للأمانة العلمية في هذا الباب.

سنة ١٨٩٩م

و”لادياس أو آخر الفراغة“ رواية نثرية تاريخية تدور أحداثها في عهد الفراغة، يصور فيها تمرد قائد الجند ”أمازيس“ على فرعون المستبد وانتصاره عليه، أعيد طبعا حديثا بمقدمة لمحمد سعيد العريان بعد وفاة شوقي.

سنة ١٩٠٠م

و”دل وتيمان“ (لم تطبع) رواية نثرية تنمى لرواية ”لادياس“ كتبها متأثرا برواية العالم المصر ولوجى جورج أيرس.

سنة ١٩٠٠م

”شيطان بنتاء ور“ أوليد لقمان وهدهد سليمان“ وهو محادثات قريية من أسلوب الحكى في المقامة. يناجى فيها ”بنتاء ور“ شاعر رميسس الأكبر. الذي تخيله في صورة نسر معمر لبد، أما شوقي فكان الهدهد، ويدور بين الأثنين الشاعر القديم والحديث حوار عن أحوال مصر في الزمان القديم والحديث. وقد نشر الكتاب حديثا بتحقيق وتقديم محمد سعيد العريان.

سنة ١٩١١م

ورقة الأس أو النضيرة بنت الضيزن رواية تاريخية، تمثل غاية نضج فن الرواية عند شوقي، وقد نشرت أخيرا بتقديم محمد سعيد العريان.

سنة ١٩١١م

”البخيلة“ مسرحية شعرية لم تتم ولم تطبع، وهذه الأجزاء موجودة في الشوقيات المحهولة.

سنة ١٩١١م

إعادة طبع الجزء الأول من "الشوقيات" بمقدمة شوقي.

١٩١٥م - ١٩١٩م

كتب إثناء النفي بالإضافة إلى شعر المنفى الذي يعد من أعذب شعره.

أميرة الأندلس: مسرحية نثرية ثم أعاد كتابتها فيما بعد.

دول العرب وعظماء الإسلام: أرجوزة شعرية تناول فيها تاريخ الإسلام ورجاله حتى

نهاية العصر الفاطمي. ويبدو أن شوقي قد تأثر فيها بأرجوزة الشاعر الأندلسي لسان الدين من الخطيب "رقم

الحلل في نظم الدول" نشرت ١٩٣٣م.

١٩٢٧م - ١٩٣٢م

تفرغ شوقي في هذه الفترة للمسرح فأنج:

مسرحية شعرية	"مصرع كليو باتره"
مسرحية شعرية	"مجنون ليلي"
مسرحية شعرية	"قمبيز"
مسرحية شعرية	"على بك الكبير"
مسرحية شعرية	"عنتره"
مسرحية شعرية	"الست هدى"
مسرحية نثرية	أميرة الأندلس"

سنة ١٩٣٢م

"أسواق الذهب" وهو يشتمل على موضوعات عامة مختلفة، بأسلوب نثري مسجوع،

إذ كان شوقي يرى أن السجع "شعر العربية الثاني" وهو قريب من حيث طريقة كتابته

من كتاب "أطواق الذهب للزمخشري" و"أطباق للذهب للأصفهاني".

"الشوقيات"

"وديوان شوقي يشتمل على أشعاره وطبع في أربعة أجزاء:

أ: كتب مقدمة محمد حسين هيكل لأول جزء من الشوقيات ويتناول قصائد في "السياسة

والتاريخ والاجتماع" وقد حدثت به تغيرات عن الطبعة الأولى، وقد أشرف على طبعه الشيخ

عبد العزيز البشري.

ب: أما الجز الثاني

فيتناول فيه قصائد في الوصف والنسيب والموضوعات المتنوعة.



ج: والجزء الثالث

فهو يدور كله حول الشعر الرثائي.

د: والجزء الرابع

طبع بعد وفاته بمقدمة محمد سعيد العريان ويشتمل قصائد متنوعة.

### ”الشوقيات المجهولة“

ويشتمل هذا الكتاب على جزئين وعلى كتابات مختلفة من تراث شوقي.

يقول طه وادي:

”والذي لم يجمع في ديوانه المتد اول، وقد جمعه وعلق على بعض موضوعاته

”محمد صبرى السريوني“ كما يحتوي على بعض موضوعات نثرية لشوقي، وقد

صدر عن دار الكتب المصرية سنة ١٩٦١م، ١٩٦٢م.“ (١)

### أربعة أدوار في حياة شوقي

ويقسم عبد اللطيف شرارة أربعة أدوار في حياة شوقي الشاعر وهي:

١- ”ما قبل ذهابه إلى فرنسا للدراسة حتى عام ١٨٩٨م.

٢- ما بعد دراسته حتى نفيه إلى أسبانيا.

٣- ما بعد عودة من المنفى حتى ١٩٢٧م.

٤- بعد ١٩٢٧م، حتى نهاية حياته.“ (٢)

### شخصية شوقي في نظرة واحدة

ونحن الآن نتكلم عن خصائص شوقي واحداً واحداً، وهي التي تشتمل على صورته، طبيعته، ذهنه

وأخلاقه وغيره. ويبين شوقي ضيف بيان زميله أحمد زكي صورة شوقي حين دخل مدرسة الحقوق.

فيقول:

”وكان في جملة الوافدين سنة ١٨٨٥م فتى نحيف، هزيل، ضئيل، قصير القامة،

وسيم الطلعة تقريباً، بعيون متألقة تحديقاً، ولكنها متنقلة كثيراً، فإذا نظر إلى الأرض

دقيقة واحدة، فللسماء منه دقائق متمادية، وإذا تلفت صوب اليمين فما ذاك إلا لكي

يرمي ببصره نحو الشمال، وهو مع هذه الحركات المتتابعة المتنافرة هادئ ساكن

١- طه وادي، الدكتور، شعر شوقي- الغنائي والمسرحي- ص ١٥٥-١٥٨ انظر أيضاً: شرارة، عبد اللطيف: شعراؤنا

شوقي- ص ٥١-٥٢ (وانظر أيضاً- عباس حسن: المتنبى وشوقي ص ٣٧-٤٢.

٢- شرارة، عبد اللطيف: شعراؤنا شوقي ص ٢٥.

وادع كأنما يتحدث بنفسه إلى نفسه، أو يتلاغى مع عالم من الأرواح، ما كان يلابسنا فيما نأخذ فيه من اللهو والمرح، ولا يتهافت معنا على تلقف الكرة بعد الفراغ من تناول الغداء، أو حينما نتنفس الصعداء لانتهاؤ مواقيت الدراسة“ (١).  
عند ما نتكلم عن شخصيته، فنجد أنه رجل قصير الحديث، ولكن عرفنا أنه مجنون جديد من مجانين ليلي، وليلاه هي الشعر، وهو مجنون بالشعر، مغرم ولا مفتون، فإن الغرام والفتنة من أيسر ما يعرض للأرباب القلوب.

وما كان حديث شوقي حديثاً عادياً ولكن مملوء بروعه، وكأنه يبحث عن شيء في لفائف قلبه، وحنايا نفسه، وأعماق ضميره،

وقد وصفه زكي مبارك وصفاً صادقاً حين قال:

”وينظم بين أصحابه فيكون معهم وليس معهم، وينظم في المركبة، وفي السكة الحديدية، وفي المجتمع الرسمي، وحين يشاء وحين يشاء، ولا يعرف جليسه أنه ينظم إلا إذا سمع منه بادئ بدء غمغمة تشبه النغم الصادر من غور بعيد، ثم رأى ناظره وقد برقا وتواترت فيهما حركة المحجرين، ثم بصر به وقد رفع يده إلى جبينه، وأمرها عليه إمراراً خفيفاً هينهة بعد هينهة فإذا قوطع في خلال النظم انتقل إلى أي بحث يباحث فيه حاضر الذهن صافية، جميل البادرة، كعادته في الحديث، ثم إذا استأنف ذلك المنظوم، ولو بعد أيام طوال عاد إليه، كأنه لم ينقطع عنه مستظهِراً ماتم منه حافظاً لبقية المعني الذي يضمه، ويكتب القصيدة بعد تمامها وربما تمت ونسيها شهراً، ثم ذكرها فكتبها في جلسة واحدة. ويكلف أحيانا بمعارضة المتقدمين ولا يندر عليه أن ينبرهم، لا يجهد فكره ولا يكده في معني أو مبني، فأما المعني فيحيثه على مرامه أو على أبعد من مرامه، ولا ينضب عنده لأنه سيخلصه من عقل فوار الذكاء، ومعارف جامعة إلى أفانين الآداب في لغات الأفرنج والأعراب، فلسفة الحقوق وحقائق التاريخ، وتنبهات فنية، استقاها من مطالعته في صنوف الكتب، واتخذها من ملحوظاته وسموعاته في جولاته بين بلاد الشرق والغرب، وأما المبني فله فيه أذواق متعددة بتعدد مقامات القول، ترى فيه من سج البحري، ومن صياغة أبي تمام، ومن وثبات المتنبي، وفي المجموع تجد صفة عامة للنظم وهي أنه نظم شوقي، ذلك شعر العبقرية والتفوق“ فشوقي، قلما يتحدث عن شعره،

١- شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث ص ١٢ أنظر أيضاً: أحمد عبيد: ذكرى الشاعرين- شاعر

وقلما ينشده، وإنما يوكل بانشاده من يتوسم فيه حسن الفهم، وحسن الأداء، وهذا المسلك، مع ما فيه من دلائل الحياء، غير مأمون العواقب وكثيراً ما أذى الشاعر وعاد عليه بالضرر البليغ، وعفا الله عن فلان وفلان". (١)

وكانت شخصيته كما يعرفه الناس كإنسان اجتماعي يخطئ ويصيب بين الحق والواجب.

### طبيعة شوقي

وأما طبيعة شوقي، فيها أثر من العرب وأثر من الترك وأثر من اليونان. والتقت كل هذه الآثار وما فيها من طبائع واصطلحت على تكوين نفس شوقي، فكانت هذه النفس بحكم هذه الطبيعة أو الطبائع أبعد الأشياء عن البساطة وأناها عن السذاجة، وهي بحكم هذا التعقيد والتركيب خصبة كأشد ما يكون الخصب، غنية كأوسع ما يكون الغنى.

ثم لم تكد هذه النفس الخصبة الغنية المتوقدة تتصل بالحياة حتى لقيت من حوادثها وتجاربها، ومن كنوزها وغناها ما يزيد ما خصباً إلى خصب وثروة إلى ثروة.

ويقول طه حسين عن طبيعته:

"وكان شوقي يحسن التركية وكان متقناً للفرنسية، قد برع فيها نطقاً وفهماً، وكان في أول أمره كثير القراءة حريصاً على الفهم، فقرأ كثيراً وفهم كثيراً وتمثلت نفسه ما قرأ وما فهم، وانضم إلى هذه العناصر التي كانت تتركب طبيعته عنصر جديد هو العنصر الفرنسي الذي عمل في عقله وخياله ومزاجه كله، ونمت العناصر الأخرى بالقراءة والحياة". (٢)

ويقول طه حسين:

ونجد بين معاصريه أدباء احترقوا الحزبية احترافاً، فهم كل يوم في حزب، ينتقلون مع الريح يميناً وشمالاً، ويدقون الطبل دقاعر يضاعفون اليوم لهذا الحزب، ثم ينصرفون إلى حزب آخر، ولم يكن شوقي يحب أن يعيش هذه المعيشة الملونة ألوان اللطيف، وكان في الوقت نفسه غنياً عن أن يرتزق بشعره فاعتزل الأحزاب وعاش مستقلاً.

"وكانت نفس شوقي أرستقراطية رغم ديموقراطية الكتاب والمدرسة، ووجهت السياسة شوقي نحو القصر". (٣)

ولكن ما يدل هذا أن شوقي لم يعرف الناس قط، بل هو بنفسه من شعب المصري وكان

١- زكي مبارك، الدكتور: الموازنة بين الشعراء- ص ١٢٢-١٢٤.

٢- طه حسين: حافظ وشوقي- ص ١٩٩، وانظر: عبدالوهاب أحمد: اثنا عشر عاماً في صحبة أمير الشعراء، القاهرة، مصر: ١٩٣٢م.

٣- طه حسين: حافظ وشوقي- ص ١٨٩.

يعرف أمانهم وآمالهم ويبين في شعره بالتفصيل.  
كما يقول طه حسين:

”وشوقي لم يواجه الناس بتجديد عنيف في الأدب قط، وهو لم ينهض  
لخصومة ناقد من نقاده، بل لم يجرؤ على أن يلقي نقاده بالعتب، وإنما كان يعاملهم  
معاملة الأرقام لا يلقاهم ولكنه يأخذهم من خلف بأطراف اليد، يغرى بهم ويؤلب  
عليهم ثم يلقاهم باسماء وادعاء ولا يتخرج من زيارتهم واستزارتهم كأنهم أحب  
الناس إليه، ولم يكن في حياته اليومية عدو ظاهر إنما الناس جميعاً أصدقاءه  
وخلصاؤه“.(١)

## ذكاءه

ويقول محمد كرد علي عن ذهن شوقي وسرعة خياله:

”ومرة منذ عشرة اعوام (سنة ١٩٢٢م) جاء من منزله في المطرية، فوجدني  
بالمكتب في الساعة الحادية عشرة ونصف، فأملئ على ثمانية وعشرين بيتاً من  
قصيدته التي مطلعها (قفى يا أخت يوشع خبرينا) ثم قال لي:

لا تبعد عني، حتى إذا جاءني شي أمليته عليك، وخرج يمشي حول العمارة، فكان كل بضع  
دقائق يعود فيملي على خمسة أو ستة أو سبعة أبيات وأخير دخل المكتب، وجلس على مقعد، وأخذ  
يمسر براحته اليسرى على رأسه، ففهمت أنه ينظم في سره، لأنه كثيراً ما كان يفعل ذلك أثناء النظم، ثم  
قال: اكتب، فكتبت، ونظرنا الساعة، فإذا هي الواحدة بعد ظهر.

وكل ذلك يدل في وضوح على سرعة شوقي في نظم الشعر وأن بديهته كانت مطواعة

سيالة، إنه كان يسرع في عمل العقيدة وإنجازها“.(٢)

١- طه حسين: حافظ وشوقي- ص ١٩٠-١٩٣

٢- شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث - ص ٦٤، ٦٦.

## الباب الثاني

### لمحة سريعة عن حياة إقبال

الفصل الأول: نسبة و ولادته

الفصل الثاني: نشأته الأدبية والثقافية

الفصل الثالث: رحلاته العلمية وعودته إلى وطنه

الفصل الرابع: العوامل التي كوّنت شخصيته محمد إقبال

الفصل الخامس: اتصاله بالشعب و وفاته

## الفصل الأول

### نسبه وولادته

العلامة محمد إقبال ١٢٩٣هـ - ١٣٥٤هـ / ١٨٤٤ - ١٩٣٨م.

ظهرت شخصية إقبال على سماء العلم والأدب كالشمس في آخر القرن التاسع عشر وفي بداية القرن العشرين ولم تشرق شبه القارة الهندية فحسب بل العالم الإسلامي كله.

ويقول الدكتور عبد الوهاب عزام عن شخصية إقبال:

”وإقبال ذلك الإنسان الذي سطعت شعلته باشتعال من حب الله عزوجل ورسوله الكريم، وتجوهرت ذاتيتها، فصحت ونطقت بالحكمة الربانية سريرتها، فأضات سبيل المعرفة عند ما انكشفت لها الأسرار، ونطقت بأجمل المعاني، من وراء حجب الغيب والأستار، فكان نطقها كلام الروح الذي تدركه القلوب بلا حواجز من لغة ولا حدود، فهذا القلب ينبض بالحق، ويحيا باليقين، لأن الوجدان قد أرهف، والروح قد شغلت، فكان تاجه من تاج عزة الإسلام.“ (١)

ولا ريب كان إقبال بطلاً من أبطال الإسلام ومن خدام الإسلام الذين أُرشدوا الأمة الإسلامية بشعره إلى طريق الحياة وسبيل النجاة.

ويثنى عليه الدكتور ظهور أحمد أظهر ثناء قائلاً:

”وكان إقبال من هؤلاء الآحاد الأفذاذ الذين قلما وجود الزمان بهم، هؤلاء القادة العظماء الذين قادوا البشرية إلى حياة أفضل وتقدموا بالحضارة البشرية شوطاً بعيداً وتركوا العالم على أحسن حال مما وجدوه عليها! من هؤلاء المصلحين المخلصين الذين كرسوا حياتهم لنفع بني آدم ووهبوا أنفسهم من أجل خدمة الإنسانية والقيم الخلقية من هؤلاء القادة الأفذاذ كان إقبال، شاعر الإسلام وشاعر الشرق، وشاعر الإنسانية كلها.“ (٢)

والعلامة محمد إقبال هو الذي قام لكشف الظلمة التي سيطرت على مسلمي شبه القارة الهندية والباكستانية وحثهم على العمل والحياة والجهاد والأمل واليقين وساعدهم لنيل مقام العزة والحرية والرفعة.

### نسبه

وكان إقبال ينتمي إلى أسرة براهمة (٣) كشمير تسمى سبرو (بكسر السين المهلة وسكون

الباء الموحدة وضم الراء وسكون الواو) وقد صرح بذلك هو نفسه في بعض الوثائق الخطية الرسمية

١- عزام، عبد الوهاب، الدكتور: إقبال، سيرته وفلسفته وشعره، ص ٣٥، انظر أيضاً: مؤتمر إقبال بدمشق: نداء إقبال. الطبعة الأولى، دمشق: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ١٩٨٦م ص ١١.

٢- أظهر، ظهور أحمد، الدكتور: إقبال العرب على دراسات إقبال، ص ٢.

٣- البراهمة وهم الطبقة العليا في المجتمع الهندي ويرأسون الحفلات الدينية وحفلات الزواج ودفن الموتى.

بخط يده ويذكر ابنه جاويد إقبال عن نسبه بلسانه :

”إنه كان قد سمع من والده- رحمة الله عليه- بأنهم ينحدرون من أسرة عريقة من البراهمة الكشميريين، إذن فالقبيلة التي ينتسب إليها إقبال هي قبيلة (سبرو) من أهل كشمير وأما أول من اعتنق الإسلام من آبائه فقد كان يعرف بلقب (بابالول حج) أو (لولى حاجى) (١) تدين بالهندوكية. (٢) وكان أسلاف إقبال وأصوله منتمين إلى جماعة محترمة من البانديت (Pandits) (٣) في كشمير، وقد اعتنق الإسلام أحد أجداده في عهد السلطان زين العابدين الياس بادشاه (١٤٢١م-١٤٧٣م) وكان تحوله من البرهمية إلى الإسلام على يدي الشيخ شاه الهمداني وهو من أئمة المسلمين في عهد الدولة المغولية، الدولة الكبرى الإسلامية التي قامت في الهند. ويقول الدكتور أحمد معوض:

”ولا يزال فرع من عائلته يقيم في كشمير، ويعرفون بالسبرو (Sapru) وهو لقب كانوا يطلقونه على من يتعلم القراءة أو من يعتنق الإسلام على أن والد إقبال كان يقول دوماً أن هذا اللقب إنما اخترعه البانديت في كشمير سخرية من اخوتهم الذين أداروا ظهورهم لعاداتهم السائدة في ذلك الوقت، والتفتوا عن الروابط القومية والدينية القائمة آنذاك إلى دراسة العلوم الإسلامية ولغاتها، وعلى مر الزمن أصبح لقب ”سبرو“ علماً على عشيرة خاصة، وأصبح أفرادها معروفين به، ويمتاز البانديت في كشمير بكاء متقد وفكر ثاقب وميل إلى الفلسفة، يضاف إلى ذلك عند السبر وإقبالهم على العلم وعدم تقيدهم بالتقاليد الجامدة وحرصهم على اختيار الأفضل الذي يوافق عقلهم ومنطقهم“ (٤) ويقول البروفيسور محمد منور عن نسبه:

”وينتمي إقبال إلى أسرة برهمية اعتنقت الإسلام زعيمها (بابالول الحاج) خلال القرن الخامس عشر الميلادي وذلك قبل مائة عام من إنشاء الأمبراطورية المغولية في الهند على يد الملك المغولي (ظهير الدين بابر) وقد هاجر جد إقبال (شيخ محمد رفيق) من كشمير فاستوطن مدينة سيالكوت، وكان أجداد إقبال بطبيعتهم يميلون إلى العبادة وكان أبوه (شيخ نور محمد) وأمه السيدة (إمام بي بي) معروفين بالصلاح والتقوى“ (٥)

- ١- جاويد إقبال، الدكتور: آباء إقبال وأصله، مجلة إقباليات (عربي) تعريب: أظهر، ظهور أحمد، الدكتور: العدد الأول ١٩٩٢م.
- ٢- عبدالسلام هارون، الدكتور: سرگزشت إقبال (حياة إقبال) (الأردية)، ط. لاهور، باكستان: ١٩٧٧م. ص ٣.
- أنظر أيضاً: جاويد إقبال: زنده رود (النهر الحي). الطبعة الثالثة، لاهور، باكستان: شيخ غلام علي ايند ستر ١٩٨٤م. ص ١٩.
- ٣- بندت اي رجال الدين الهنادكة، يطلقون هذا اللقب من أبناء بأسرتهم للتحريض والسخرية، وينبغي أن يكون بندت من أسرة برهمية.
- ٤- أحمد معوض، الدكتور: العلامة محمد إقبال حياته وآثاره، مصر: مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م. ص ١٤.
- ٥- محمد منور، بروفيوسور: حياة إقبال. تعريب: أظهر، ظهور أحمد، الدكتور، لاهور، باكستان: مطبعة إقبال أكاديمي ١٩٨٥م. ص ١.

ويبدو مما كتب إقبال إلى (الشيخ محمد دين فوق) من الرسائل الكثيرة بأنه أي الشيخ المذكور كان من أصدقاء إقبال وهو ممن تعارف على والد إقبال. وإما المعلومات عن أسرة إقبال التي كانت عند هذا الشيخ فإنما كانت قد بلغت إقبال عن طريق والده وقد استفاد الشيخ من هذه المعلومات وعول عليها في تأليف كتابه عن "مشاهير كشمير" والذي قد طبع في سنة ١٩٣٠م، وكذلك فإن هذه المعلومات نفسها كان الشيخ فوق قد سردها في مقال له عن (الدكتور الشيخ السير محمد إقبال) والذي كان قد نشر في مجلة الأردية الشهرية وهي (نيرنك خيال أي الفكر البديع) الصادرة من لاهور لشهري سبتمبر وأكتوبر عام ١٩٣٢م، حيث يصرح الشيخ فوق نسب إقبال ويجعل جاويد إقبال (ابن إقبال) أساس بيانه ويقول:

"إن حضرة الشيخ (أي إقبال) ينتمي إلى أسرة قديمة من بناديت كشمير أو براهمتها، وكان بعض آباءه قد اعتنق الإسلام قبل أكثر من مائة سنة وأصله من قبيلة سبرو". (١)

ومعناه بالسنسكريتية المتسابق إلى القراءة والدراسة من بين إخوانه وزملائه، وكتب إقبال إلى زميله "محمد دين فوق" مؤلف كتاب "مشاهير كشمير" في يناير عام ١٩٣٤م:

"ولقد سمعت من أبي أن براهمة كشمير كانوا يطلقون اسم "سبرو" سخرية وازدراء بإخوانهم الذين اشتغلوا بدراسة اللغة الفارسية والعلوم الإسلامية انصرفاً عن العصبية الدينية، وتخلياً عن ضغوط القومية الهندوكية، فصاروا جماعة مستقلة وعشيرة خاصة، معروفة بذكاء متنور وفكر ثاقب ويميل إلى الفلسفة والعلم". (٢)

وأما معنى "سبرو"، فبيّن لنا الدكتور جاويد إقبال قائلاً:

"وسبرو هو الشخص الذي يسبق غيره إلى التعليم والدراسة وأن حرف السين (في كلمة سبرو) قد جاء بمعنى التقدم والترقية في أكثر من لغة أو لهجة من اللغات الهندية المحلية وأما كلمه (برو) فهي مشتقة من نفس الأصل الذي اشتق منها (پژنا أي پژوهنا) من مصادر اللغات الهندية (ومن بينها اللغة الأردية) ومعناه: "القراءة" وكان والدي (المغفور له) يقول: بأن براهمة كشمير كانوا قد لقبوا بإخوانهم البراهمة، الذين تركوا تقاليدهم القديمة المتوارثة وعصبيتهم الدينية والقومية وكانوا في طليعة من أخذ يتعلم اللغات الإسلامية ومعارفها وكان هذا التلقيب من قبيل الإذراء والتعريض والإغراء، ثم اشتهرت تلك الفئة البراهمية كقبيلة مستقلة فيما تلا من العصور". (٣)

وفي الرسالة نفسها يعرف إقبال قومه (سبرو) ويقول:

- ١- جاويد إقبال، الدكتور: آباء إقبال وأصله. مجلة إقباليات: ص ٥٧-٥٨.
- ٢- جاويد إقبال، الدكتور: زنده رود (النهر الحى)، ١/١.
- ٣- جاويد إقبال، الدكتور: آباء إقبال وأصله. مجلة إقباليات (عربي) العدد الأول ١٩٩٢م، ص ٥٨-٥٩.



”إن (ديوان تيك شانند) الذي كان محافظاً في إحدى محافظات إقليم بنجاب والذي كان يرغب في فقه اللغات والبحث فيها كان قد لقيني في مدينة (أنباله) وأخبرني بأن (سبرو) قوم كانت لهم صلة بالملك الإيراني القديم المعروف (شابور) وأنهم (أى قوم سبرو) هم في الواقع من أصل إيراني وكانوا قد هاجروا من إيران فاستوطنوا كشمير في عصر متقدم جداً قبل الإسلام ثم انضموا إلى البراهمة وذلك بذكائهم وفطنتهم“ (١).

وبعد أن يسرد الشيخ فوق رسالة إقبال هذه في كتابه ذلك يوضح قائلاً، بأنه يوجد الآن في إقليم بنجاب أسر معروفة بين مسلمة وغير مسلمة يرجع أصلها إلى قبيلة (سبرو) ومن بين هذه الأسر المسلمة الموجودة في بنجاب كانت أسرة إقبال والتي كانت قد اعتنقت الإسلام في عصر الملك عالمكير المغولي. ويمكن أن نعرف مدة حرص إقبال ورغبته في تصديق ما سمعه عن أبيه حول أسرته وأجداده من رسالته التالية التي كتبها إلى شقيقه ”عطا محمد“ في الخامس من شهر أكتوبر عام ١٩٢٥م حيث قال:

”وإنني قد عثرت على مفتاح عن أسرتنا وأجدادنا وأن سيدنا (بابا لول حج) قد كان من كبار مشائخ كشمير ومتصوفتها المعروفين وذلك أنني قد وجدت بعض المعلومات عنه في كتاب (تاريخ كشمير) للخوارج أعظم وأن ما سمعه الوالد الكريم ويحكىه عن آبائه صحيح إذا أخذناه بنظرة الإجمال والعموم وأن القرية التي كانت مسقط رأس الحاج (بابا لول) اسمها (لوشرنه) بل هي قرية (شكو) من مديرية (أدون) في كشمير، وقد جاء فيما عثرت عليه في هذا الكتاب بأن الحاج (بابا لول) كان قد عاش اثني عشر عاماً خارج كشمير وتجول في البلاد، وإنه لم يكن على صلة طيبة مع زوجته ومن ثم زهد في الدنيا وتركها، فخرج من كشمير ثم إنه أعاد من سفره الطويل فانضم إلى أتباع سيدنا (بابا نصير الدين) ودفن بجوار شيخه“ (٢).

ونجد البيان التالي عن الشيخ بابا لول حج في ”باب ريشين“ على صفحة ٧٢ من كتاب ”تاريخ كشمير أعظمي“ (واقعات كشمير ١٧٥٥م) تأليف الخوارج محمد أعظم شاه:

إنه (أى الحاج بابا لول) كان من أهل قرية ”شكو“ من مديرية ”أدون“ وكان قد تزوج امرأة وكان لا يحب حديثها فخالعها مما جعل الحاج يزهد في الدنيا، فخرج حاجاً لبيت الله ثم تحول في البلاد اثني عشر عاماً حتى عاد إلى كشمير وبإشارة غيبية التحق باتباع سيدنا بابا نصير الدين حيث

١- جاويد إقبال، الدكتور: زنده رود (النهر الحي) ١/١٩، ٢٠٠٢.

٢- جاويد إقبال، الدكتور: زنده رود (النهر الحي) (الأردنية)، ١/٢٠، ٢١٠٢٠.

- انظر أيضاً: أحمد معوض، الدكتور: العلامة محمد إقبال، حياته وآثاره، ص ١٧-١٨.

- وانظر أيضاً: جاويد إقبال، الدكتور: آباء إقبال وأصله، مجلة إقباليات (عربي) العدد الأول ١٩٩٢م، ص ٦١-٦٢.

قضى ما بقي من أيام حياته في حضرة الشيخ وخدمته، ولما توفي دفن بجوار شيخه الكبير، ثم يقول صاحب "تاريخ أعظمي" على صفحة ٧٢ منه بالذات:

وإنه عاد إلى كشمير بعد اثني عشر عاماً وانضم إلى إتباع سيدنا بابا نصير الدين بإشارة غيبية وقضى ما بقي من عمره في حضرة شيخه وخدمته، ولم نستطيع العثور على اسمه الحقيقي إلا أنه كان معروفاً باسم لول حج أو لولي حاجي، وكان قد حج ماشياً غير مرة، وأما كلمة (لول أو لالا أو لال) بالكشميرية فهي تعبر عن الحب والتكريم كما يسمون الشقيق الأكبر (كالك لال) وأما مولده فهو "تشكو حليند" من مضافات مديرية (أدون) وقد كانت عيناه فيهما حول ورجلاه صعوجتين ولاح له ما جعله يتو إلى الزواج فتزوج امرأة إلا أن زوجته هذه ضحكت منه لما رأت صورته تلك ما جعله يكرها ويبغضها وخرج معترماً على السفر إلى أرض الحرمين الشريفين لزيارتهم، وبعد أن تشرف بهذه الزيارة وعاد إلى كشمير تقدم إلى حضرة بابا نصير الدين، وانضم إلى أتباعه وأثر حياة العزلة والوحدة ودفن بعد وفاته بمقبره شيخه ومرشده إلا أن البعض من المؤلفين يقول بأنه مدفون في قرية "زالرة" من مضافات مديرية "كام راج". وأما عن مهنته فقد كان من الفلاحين المزارعين ولكنه لما تزهد رغب عن هذه الأشياء كلها. وأما قبره فهو في حبانة: ضريح الشيخ نور الدين الولي بموضع يسمّى "تشرار" حيث دفن شيخه ومرشده بابا نصير الدين. ومن ثم يقول صاحب تاريخ أعظمي: إنه استراح بعد وفاته في حبانة "تشرار" بجوار شيخه". (١)

وإذا صح بأن "بابا لول حج" هو الحد الأعلى لإقبال فإن المعلومات التي وصلت إلينا تجعلنا أن نقول بأن ما قاله "ديده مري" (٢) "عن بابا لول حج" أصح مما أورده "مسكين" (٣) عنه لأن مقاله "مسكين" يشير إلى أن "بابا" كان قد قطع صلته بزوجه قبل أن يخلو بها وأنه قضى ما بقي من عمره في العزلة والعزبة. وينشأ السؤال حينئذ حول استمرار النسل وتسلسله.

ويقول الدكتور جاويد إقبال في هذا الأمر:

"وقد اتضح من البحث الذي قام به الشيخ فوق بأن "بابا" أصله من البراهمة ومن قبيلة "سبرو" ثم اعتنق الإسلام، إننا لا نعرف شيئاً عن اسمه الذي كان يعرف قبل أن يعتنق الإسلام وبما ذا

١- شاه ديد مري، محمد أعظم: تاريخ كشمير أعظمي، كشمير: سرينگر ١٧٥٥م، ص ٧٢. وانظر أيضاً: جاويد إقبال، الدكتور: زنده

رود (النهر الحي)، ص ٢٢. وانظر: جاويد إقبال: آباء إقبال وأصله: مجله اقباليات: (عربي)، العدد الأول ١٩٩٢م، ص ٦١، ٦٢.

٢- انظر: شاه ديد مري، محمد أعظم: تاريخ كشمير أعظمي.

٣- انظر: تحائف الأبرار في ذكر الأولياء الأخيار: لأبي محمد محي الدين مسكين. وهو كتاب ألف بعد نصف قرن

على وفاة "ديده مري"، ص ١٤٣.

سمي بعد أن أسلم ولم نعرف عنه شيئاً إلا ما وصل إلينا بلقبه والشئ الآخر الذي يمكن استنتاجه مما قاله "ديده مري" والشيخ فوق هو أن "بابا" قد يمكن أن يكون مسلماً قبل الزواج وإن قضى حقبة من الزمان مع زوجته ثم افترقا بالخلع وحينئذ يمكن بأن "بابا" كان أولادها وإن سلالته قد استمرت بصفة متواصلة متسلسلة". (١)

الآن يرفع سؤال ما ذا جعل "بابا" يترك دينه المتوارث ويعتق الإسلام؟ ومن الصعب على الإنسان أن يغير عقيدته أو ديانتة.

ويقول الدكتور جاويد إقبال في هذا الصدد:

"وإننا نستطيع أن نستنبط مما وصل إلينا من المعلومات عن حياته بأنه لم يغير دينه كرها وخوفاً من قوة أو سلطة، كما إنه لم يغير دينه وعقيدته رغبة في أغراض ما دية لأنه لو كان هذا التغيير قد حدث تحت ضغطة من هذه الضغوط لما كان له من الممكن أن يبلغ ما بلغه حب الإسلام ورسوله ﷺ ما جعله يخرج ماشياً للحج والزيارات المتعددة المتواصلة، ولو كان قد غير دينه لغرض مادي لوصلت إلينا البراهين والشواهد التي تشير إلى تحسين الحياه المادية بعد ذلك". (٢)

وقد كان حضرة "بابا لول الحاج" ينتمي إلى فئة البراهمة أو قبيلتهم التي لم تحفل بما لاقته من التعريض والتحقير وإنما استمرت في اهتمامها باللغة الفارسية واحتلت مكانة بارزة في آدابها ولعل حضرة كان يعرف اللغة الفارسية كأسلافه ومعاصريه من البراهمة وأن معرفته بهذه اللغة كانت قد أصبحت المفتاح الذي فتح عليه أبواب العلوم الإسلامية فدرسها بجهوده الذاتية ودراسته العميقة هي التي أحدثت في نفسه تغييراً ثورياً مما انتهى به إلى اعتناق الدين الإسلامي الحنيف كما أنه من الممكن أيضاً أن "بابا" لم يكن مقتنعاً بدين آباءه راضياً بما توارثه من العقائد أو أنه لم يكن من الذين يتبعون من العقائد والتقاليد المتوارثة وإنما يملكون فطرة تحرضهم على التحقيق والحث عن الحديد، ويذكر جاويد إقبال قول الشيخ فوق الذي يقول:

"وكان أجداد إقبال يعتقدون الإسلام قد كان نتيجة لحبهم وإعتقادهم في ولي من أولياء الله وإن ذلك الحب والاعتقاد، ولا تنزال ميزة تمتاز بها أسرة إقبال حتى اليوم على كل حال، فإنه من الممكن أن نعتقد بأن حضرة "بابا" كان قد تزوج في أسرة مسلمة بعد أن اعتنق الإسلام وقد لاحظنا أن "ديده مري" و"مسكين" يتفقان على أنه لم يكن على صلة جيدة مع زوجته وقد يمكن إنها كانت تضحك منه لأنه كان معوج الرجلين وأحول العينين، فتضايق بابا منها وتبرم فترك عائلته وزهد في الدنيا وهاجر من كشمير متوجهاً إلى أرض الحرمين، ثم قضى اثني عشر عاماً يحوب الآفاق ويتجول

١- جاويد إقبال، الدكتور: زنده رود (النهر الحي) ص ٢٥-٢٦.

٢- جاويد إقبال، الدكتور: آباء إقبال وأصله، مجلة إقباليات (عربي) العدد الأول ١٩٩٢، ص ٦٤، ٦٥.

في البلاد وهذه التفاصيل وإن كانت قليلة مجملة إلا أنها تعطينا صورة واضحة عن بابا وطبعه الحساس، حيث أصبح تصرف الزوجة وسلوكها معه سبباً محرضاً على الزهد في الدنيا وظواهرها والبحث عن الحق وجماله الباطني وكان قد أضاء قلبه، وضميره بنور الإيمان والإسلام بجهده الذاتي أو بتوجيه أحد من المتصوفة العارفين إلا إنه كان في حاجة إلى مرشد كامل من الأولياء يبايعه فيرضيه بما يسغي ويرويه بما يطلب ويشفي غليله بتوجيهه الروحي، ومن ثم تلقى الإشارة الروحية التي كان ينتظرها بعد أن عاد إلى كشمير من سفره الطويل الذي دام اثني عشر عاماً فأصبح من مريدي بابا نصير الدين وبذلك ارتبط بالسلسلة الريشية من المتصوفين وهذه المراجع كلها لاتنص على أولاد بابا وأحفاده ولعله قد قطع صلته نهائياً مع أولاده وأحفاده حين ترك الدنيا وزهد وارتبط بالسلسلة المتصوفة“ (١).

ثم يقول جاويد إقبال:

”وكان من سلالة الشيخ بابا لولي حاج“ رجل يسمى الشيخ محمد أكبر، وكان ورعاً تقياً، وبعد جيلين أو ثلاثة أجيال من الشيخ أكبر جاء الشيخ جمال الدين وكان للشيخ جمال الدين أربعة أولاد، وهم الشيخ محمد رفيق، والشيخ محمد رمضان، والشيخ عبد الله، والشيخ عبد الرحمن، وقد هاجر هؤلاء الإخوة الأربعة خلال حكم الأفغان في كشمير، من كشمير إلى البنجاب، واستقروا في بلدة سيالكوت طلباً للمعاش والتوسع في الرزق، والشيخ محمد رفيق أحد هؤلاء الإخوة الأربعة هو جد إقبال، فقد عمل في تجارة الأصواف والأقمشة في سيالكوت، وساعده فيه ابنه الأكبر الشيخ نور محمد المعروف بالشيخ تنهو وهو والد إقبال“ (٢).

فنحن نرى أن أسرة إقبال التي تقلبت في أحضان البرهمية وعاشت في أبراجها العاجية، ترى نفسها من سلالة الآلهة ومن دونها عبيد وحشم نراها بعد ثلاثة قرون قد أنجبت ”إقبال“ وهو الذي يقول:

”بمان رنگ و بوکو توڑ کر ملت میں گم ہو جا      نہ طورانی رہے باقی، نہ ایرانی، نہ افغانی“ (٣)

(يجب أن تفنى في دينك وملتك بعد أن تكسر أصنام اللون والدم،

حتى لا يبقى في العالم ”طوراني“ ولا ”إيراني“ ولا ”أفغاني“.

- 
- ١- جاويد إقبال، الدكتور: زنده رود (النهر الحي) ص ٢٦، ٢٧.
  - انظر أيضاً: جاويد إقبال، الدكتور: أباء إقبال وأصله، مجلّة إقباليات (عربي) العدد الأول ١٩٩٢، ص ٦٥-٦٦.
  - ٢- جاويد إقبال، الدكتور: زنده رود (النهر الحي)، ١/١٩-٢٠.
  - انظر أيضاً: أحمد معوض، الدكتور: علامه محمد إقبال، حياته وآثاره، ص ١٩-٢٠.
  - ٣- كليات إقبال: محمد إقبال: بانك درا. قصيدته: طلوع اسلام، لاهور باكستان: مكتبة جمال، المنزل الثالث حسن ماركيت، اردو بازار، ٢٠٠٥ م. ص ٤٨٠.

وقد أشار محمد إقبال في مواضع كثيرة في شعره إلى أنه من سلالة البراهمة وأنه لا يفخر بهذا الأصل بل يفخر أنه من سلالة البراهمة الذي أدرك من حقائق الإسلام وأسراره ما لم يدركه غيره.

ويقول إقبال معبراً عن هذه الحقيقة في ديوانه "ضرب كلیم" عن نفسه:

میں اصل کا خاص سومتاتی      آبا میرے لاتی و مناتی  
تو سید ہاشمی کی اولاد      میری کف خاک برہمن زاد (۱)  
وانسني فی الأصل سومتاتي      إلى مناة سلفي واللات  
وانت من اولادہاشمي      وطینتی من نسل برہمی (۲)

و أضاف قائلاً:

"میرا بنکر کہ درہندوستان نمی بینی      برہمن زادہ رمز آشنای روم تبریزاست" (۳)  
أنظر إلىّ فما ترى في الهند غير رجل من سلالة البراهمة عارف بأسرار الروم وتبريز.

ويقول في بيت آخر:

"کافر ہندی ہوں میں، دیکھ میرا ذوق و شوق      دل میں صلوة و درود، لب پہ صلوة و درود" (۴)

أنا من كفار الهندي وفي نظراتي ما لا تجده      وحماسة أغنيتي هدي من لحن قلبك ينشده

وصلاة الحب على شفي      وعلى خديك تؤده (۵)

ويعلن أنه محرم للأسرار، حيث يقول:

"میرا مرزا لیبیاست دل و دین باختہ اند      جزیرہمن پسری محرم اسرار کجاست" (۶)

(لقد تأمر الأمراء وأبناءؤهم بالقلب والدين في سبيل السياسة،      فأين محرم الأسرار غير ابن برهمي)

ويسجل إقبال هجرة أسلافه من كشمير إلى الهند في عدد أبيات منها:

"تنم گلے زخیابان جنت کشمیر      دل از حریم حجاز و نواز شیراز است" (۷)

- ۱- محمد إقبال، الدكتور: کلیات إقبال، ضرب کلیم، لاهور، پاکستان: شیخ غلام علی، ۱۹۷۳م. ص ۸۴۶.
- ۲- الترجمة العربية: عزام، عبدالوهاب، الدكتور: ضرب کلیم، ص ۲۵.
- ۳- ويقصد إقبال بالروم الشاعر الصوفي جلال الدين الرومي، ويقصد تبريز شمس الدين التبريزي مرشد جلال الدين الرومي. محمد إقبال: کلیات إقبال، زیور عجم، ص ۳۰. أنظر أيضاً: أحمد معوض، الدكتور: علامه محمد إقبال، حياته و آثاره، ص ۱۵-۱۶.
- ۴- محمد إقبال، الدكتور: کلیات إقبال بال جبریل (الاردية). لاهور، پاکستان: مكتبة جمال، ۲۰۰۵م. ص ۷۰۱.
- ۵- الترجمة العربية: زهير ظاظا، الأستاذ: جناح جبریل. لاهور، پاکستان: دار الإقبال للطباعة والنشر، ۱۹۸۹م. ص ۴۷۹.
- ۶- باقيات إقبال: في قصيده مسجد قرطبة، ص ۲۵۵.
- ۷- محمد إقبال: کلیات إقبال: پیام مشرق (فارسي): ص ۳۳۲. أنظر أيضاً: محمد اکرم أحمد علی، حافظ: الأمة الإسلامية العربية في شعر محمد إقبال. القاهرة: ۱۴۲۳هـ / ۲۰۰۲م، ص ۵۸-۶۰.

زهرة من رياض كشمير جسمي وبأرض الحجار قلبي أضاء  
وأغاني واللحون نمتها أرض شيراز (١) حبّ ذلك انتماء (٢)  
ويقول في هجرة أسرته من كشمير:  
”لقد هجر الدرّ أرض اليمن ونافحة المسك أرض الختن  
وبلبل كشمير في الهند ثار بعيداً من الروض خار الوطن“ (٣)  
أما نسب إقبال فهو مفتخر على أن يكون ابن البرهمن، يستضي مصباح الإسلام في قلبه و  
يعرف أسرار الإسلام وقد حرمه ابن رجال الدين، ولكن نجد إقبال يخجل حينما يقال له يا بانديت،  
أي برهمن، ويذكر احساسه هذا في بيت مثل:  
”إن ذكري الأيام الماضية تجعلني أحجل لأنها تذكرنني بعبادة الأصنام (فيما مضى)  
وما دامت غيرة الإسلام بجين إقبال متلاثة فإنه يخجل حين يقال له: يابانديت (أي برهمن)“ (٤)

## ولادة إقبال

وفي عام ١٨٧٧م، بزغ في سماء الخلود والمجد نجم ساطع لألاء، أخذ الرواء، ألا وهو نجم  
شاعرنا الفيلسوف، والعالم المبرز، والخطيب المفوه، والثائر البليغ، والمسلم الحق محمد إقبال.  
ويروى أن والده رأى قبل مولده حمامة بيضاء ناصعة تطير فتقع في حجره وتسكن إليه، و  
عبّرت الرؤيا أنه سيرزق ابناً عظيم الجد والإقبال يعلو على الناس (٥) ولد شاعر الإسلام (٦) في  
سيالكوت، إحدى مدن منطقة البنجاب في ثالث من ذي القعدة عام ١٢٩٤ للهجرة الموافق التاسع  
من نوفمبر عام ١٨٧٧م وذلك تاريخ ميلاده الرسمي لدى حكومة باكستان بعد موافقتها على التقرير  
المقدم من لجنة تاريخ ميلاد إقبال المركزية الحكومية، التي حددت مولده بهذا التاريخ.

- ١- شيراز من أعظم مدن إيران أول من بناها ”شيراز بن طهمورت“ وهي أغنى المدن الفارسية بالحدائق وينسب إليها جماعة من أهل العلم، وتقع على ارتفاع خمسة آلاف ومائتين من القدم.
- ٢- الترجمة العربية: عزام، عبد الوهاب، الدكتور: رسالة الشرق، ص ٣١٩.
- ٣- عزام، عبد الوهاب، الدكتور: محمد إقبال، سيرته وفلسفة وشعره. ص ١٥-١٦. وأنظر أيضاً: أحمد معوض، الدكتور: علامه محمد إقبال، حياته وآثاره. ص ١٥-١٦.
- ٤- أشرف وحيد، الدكتور: مجلة إقباليات (العربية) العدد الثاني، الثالث ١٩٩٤، ص ٧. وأنظر أيضاً: فقير وحيد الدين، سيد: روزگار فقير. (الأردية)، ٢/١٢١.
- ٥- عبد الوهاب عزام: إقبال، سيرته وفلسفة وشعره، ص ١٨.
- ٦- أطلق على إقبال هذا اللقب الأديب أحمد حسن الزيات، في مقال، في مجلة الرسالة المصرية.

وكانت الحكومة الباكستانية قبل ذلك تعتبر مولده في ٢٢ نوفمبر عام ١٨٧٣م (١) "ولكن يقول جاويد إقبال:

"من لجنة تاريخ ميلاد إقبال المركزية بذلت جهود جبارة في تحقيق هذا الأمر وقررت بعد دراسة الموضوع زهاء سنتين، أن إقبال ولد في التاسع من نوفمبر عام ١٨٧٧م. (٢)

## قضية تاريخ ميلاد إقبال

ولقد اشتد الاختلاف في تاريخ ميلاد إقبال واضطربت أقوال الكتاب عن سيرته في هذا الأمر وتفرقت بين أعوام ١٨٧٠ و ١٨٨٠ الميلادية، وظل الخلاف قائماً و كان إقبال على قيد الحياة فلم يلجأ إلى تعيين تاريخ ميلاده ولم يلتفت إلى تصنيفه ما أورده الكتاب من أقوال مضطربة في هذا الموضوع.

أول مقالة كتبها محمد دين فوق على حياة إقبال صدر في مجلة الكشميرية بلاهور باسم "أحوال إقبال" في السنة ١٩٠٩م، ذكر فيها أن إقبال ولد في ١٨٧٥ الميلادية.

أصدر أمير ذوالفقار علي خان في سنة ١٩٢٢م "نداء الشرق A Voice from the East" ذكر فيها عام ولادة إقبال ١٨٧٦م. و"الكتاب الثالث الذي أصدر في حياة إقبال كان باسم "الإقبال" لمنشي أحمد دين أصدر في ١٩٢٦م وعام ولادته إقبال فيه ١٨٧٥م "وفي مشاهير كشمير" تصنيف "لمحمد دين فوق" عام ولادته ١٨٧٥م، هذا الأمر جدير بالذكر أن الكتاب الثلاث كانوا ممن عامروا إقبال. وكانت روابطهم بإقبال عميقة جداً ولكن روابط محمد دين فوق بإقبال كان عميقاً جداً بالنسبة للأخرى". (٣)

نحن الآن نستعرض عن مولود إقبال في السنين العديدة في الكتب المختلفة بالتفصيل.

## ١٨٧٠م

- ١- "ضمخانه جاويد" ج الأول ص ٣٦٩، مطبوعه نولكشور ١٩٠٨م، كاتبه رام سرى رام "ولد إقبال في السنة ١٨٧٠م".
- ٢- "انتخاب زرين" ص ٢٤٥، مطبوعه في ١٩٢١م السر سيد راس مسعود.
- ولد إقبال في أغسطس ١٨٧٠م المطابق ١٢٨٧ هـ في مدينة سيالكوت.

- ١- وفي سنة ١٩٥٨م أصدرت حكومة باكستان طابع البريد التذكاري لمحمد إقبال، وكان مسجلاً عليه تاريخ ميلاده ١٨٧٣م.
- ٢- جاويد إقبال، الدكتور: زنده رود (النهر الحي)، ٣٦/١.
- ٣- وحيد قريشى، الدكتور: نقوش إقبال نمبر ٢. عداد ١٢٣ دسمبر ١٩٧٧م، مدير: محمد طفيل: صحيح تاريخ الولادة لعلامة إقبال (علامة إقبال كى صحيح تاريخ ولادته)، ص ٩.

٣- "قاموس المشاهير" ج الأول مطبوعة في ١٩٢٤م، نظامي بدايوني "ولد إقبال في السنة ١٨٧٠م".

### ١٨٧٢م

٤- "آثار إقبال" ص ١٧، المعهد الطباعة الأردنية حيدر آباد. موضوعها "حياة إقبال (إقبال كى زندگى)، مصنفه الدكتور خليفة عبد الحكيم، ومرتبه غلام دستگير رشيد. "ولد إقبال في ١٨٧٢م في مدينة سيالكوت.

### ١٨٧٣م

- ٥- جريدة يومية "انقلاب" (روزنامه) بلاهور، المؤرخ ٧ مايو ١٩٣٨م. "ولد إقبال ٢٢ فبراير ١٨٧٣م الموافق ٢٣/٢٤ ذى الحجة ١٢٨٩هـ.
- ٦- "تذكرة الشعراء المتغزلين" مطبوعة نقوش بلاهور ص ٥٨٠، معهد رواج الأردنية بلاهور، مرتبه: الشيخ محمد إسماعيل بانى بتى ١٩٥٦م. "ولد إقبال ٢٢ فبراير ١٨٧٣م في سيالكوت.
- ٧- "كليات اقبال" ص ٣، طبعها نسيم بك دبو لكهنؤ. "ولد إقبال في السنة ١٨٧٣م في سيالكوت.
- ٨- "كليات إقبال" ص ٣، مطبوعة نظامي پريس بدايون. "ولد إقبال في ١٨٧٣م في سيالكوت.
- ٩- "سيرة إقبال" ص ٢٥، محمد طاهر فاروقى الطبعة الثالثة ١٩٤٩م. "جاء إقبال من عالم العدم في عالم الوجود ٢٤ ذى الحجة ١٢٨٩هـ الموافق ٢٢ فبراير ١٨٧٣م، وهذا التاريخ المولود ثابت من سجل الولادة والأموات.
- ١٠- "ذكر إقبال" ص ١٠، عبدالمجيد سالك، طبعة نادى إقبال (بزم إقبال) بلاهور يونيو ١٩٥٥م. "ولد إقبال ٢٤ ذى الحجة ١٢٨٩هـ الموافق ٢٢ فبراير ١٨٧٣م، صدّقه حاكم المديرية سيالكوت بمراجع سجل الولادة والأموات"
- ١١- دائرة المعارف الأردنية، ص ٣٩، طبعة مطبعة فيروز وأبناء ه المحدودة الباكستانية. "ولد إقبال في بيت مؤدب في ١٨٧٣م في مدينة سيالكوت."
- ١٢- إقبال الشاعر الثائر، ص ٨، الدكتور نجيب الكيلاني، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م. "في عام ١٨٧٣م ولد محمد إقبال."
- ١٣- لمحة عن حياة اقبال، السيد تفضل علي، ص ٧، طبعه: قسم الصحافة والاستقلات. "ولد إقبال بمدينة سيالكوت في ١٩٧٣م."



- ١٤ - شاعر الشرق محمد إقبال، د، امجد حسين، سعيد أحمد، ص ٥، طبعة: سفارة جمهورية باكستان.
- ”ولد محمد إقبال في سيالكوت بالبنجاب عام ١٨٧٤م في عائلة تعيش على الزراعة نزع جدها الأكبر من كشمير“.
- ١٥ - پیام مشرق، الدكتور عبدالوهاب عزام، ص ١٧. أكاديمية إقبال الباكستانية.
- ”ولد محمد إقبال في سيالكوت سنة ١٨٧٣م“.

### ١٨٧٥م

- ١٦ - ”إقبال، اسمه وعمله“ ذكر إقبال (إقبال ان كانام اور كام، ياد إقبال) مرتبه: عمدة القرية غلام سرور، ”يولد إقبال في هندوستان عام ١٨٧٥م“.
- ١٧ - كليات إقبال (مقدمة الكتاب) محمد عبدالرزاق عليك طبع في ١٩٢٢م.
- ”كان ١٨٧٥م من التقويم العيسوي حين ولد إقبال في مدينة سيالكوت، بمنطقة منبت الرجال بنجاب“.
- ١٨ - ”تاريخ أدب اردو“ رام بابو سكسينه، ترجمه راجه محمد عسكري، ص ١٨٦.
- ”سنة الولادة ١٨٧٥م، و مقام الولادة سيالكوت و بلد بنجاب“.

### ١٨٧٦م

- ١٩ - ”إقبال كامل، مولانا عبد السلام ندوى، ص ٢.
- ”ولد سيدنا الدكتور في سيالكوت في سنة ١٨٧٦م“.
- ٢٠ - حديقة ألوان آلاف (گلستان هزار رنگ) سيد بهاء الدين أحمد، ص ٥١٦.
- ”ولد السير الشيخ محمد إقبال في ١٨٧٦م في مدينة سيالكوت“.
- ٢١ - مرأة الشعر، مولوى محمد يحيى، ج ٢، ص ١٧٢:
- ”بالحسن ظن أبصرت تاريخ ولادته ١٨٧٦م في مجلة واحدة وصارت بلغ كمالا هذا النقص ونعرف أن اسم والده كان نور محمد“
- ٢٢ - إقبال، شعره ورسالته، شيخ أكبر على، ص ١: (Iqbal his poetry and message by Sh. Akbar Ali, P.1)
- ”ولد إقبال في سيالكوت في السنة ١٨٧٦م“
- ٢٣ - تذكرة شعراء البنجاب، مرتبه، ملك محمد نسيم رضواني ١٩٣٧م، ص ٥٢.
- ”ولد إقبال في ١٨٧٦م في سيالكوت“.

- ٢٤- پیام اقبال (رسالة اقبال) عبد الرحمن طارق ص ٢٨، أكاديمية اقبال بلاهور.  
 "ولد اقبال في ١٨٧٦ م في سيالكوت، وكان عمره عند وفاته اثنان وستون سنة".

## ١٨٧٧ م

- ٢٥- نقوش اقبال- السيد أبو الحسن الندوي. ص ١٨.  
 "ولد اقبال في ١٨٧٧ م في مدينة سيالكوت ببنجاب".
- ٢٦- "النهرالحي" (زندہ رود) جاوید اقبال- ص ٨٨:  
 تاريخ الولادة الصحيح لإقبال في ٣ من ذي القعدة ١٢٩٤ هـ الموافق ٩ نوفمبر ١٨٧٧ م.
- ٢٧- يقول الدكتور وحيد قريشى:  
 "ولد اقبال في ٣ من ذي القعدة ١٢٩٤ هـ الموافق ٩ نوفمبر ١٨٧٧ يوم الجمعة". (١)
- ونوجز القول بأن الخلاف بين من اهتم بالتحقيق في هذه القضية من أقارب اقبال وغيرهم من الكتاب والباحثين، قد انحصر أخيراً في تاريخين وهما ٩ نوفمبر عام ١٨٧٧ م، و ٢٩ ديسمبر عام ١٨٧٣ م، وممن اختار الأول الشيخ إعجاز أحمد ابن أخي اقبال الأكبر الشيخ عطا محمد، فمن مقالته "تاريخ ميلاد اقبال" والسيد فقير وحيد الدين في كتابه "روزگار فقير" والدكتور جاوید اقبال "نجل اقبال" في كتابه "زندہ رود" ووريندر گرو ورفي كتابه (Muhammad Iqbal political thinker) (محمد اقبال مفكر "سياسي") وذلك هو التاريخ المعترف به رسمياً لدى حكومة باكستان. "ومن بين من ذهب إلى القول بالثاني، السيد خالد نظير صوفي، سبط أخي اقبال المذكور وابن حفيد أخته الكبرى السيدة "طالع بي، في كتابه" اقبال درون خانہ (اقبال: داخل بيته) والدكتور وحيد القريشى والدكتور، الانصاري والسيد عبداللطيف أعظمي، ودكتور نظير صوفي ردّ مفروضة تاريخ الولادة ٩ نوفمبر ١٨٧٧ م بألفاظ وثيقة، وفي توثيق بيانه هو قدّم عليه شجرة الأسرة وشهادة البلدية، وفيها تسجيل أن كانوا أربعة أولاد عند تنهوه (والد اقبال) من سنة ١٨٧٠ م إلى ١٨٧٦ م، في شهادة البلدية نحن ننظر أن لم يلد أولاد تذكير عند تنهوه بعد ولد ذكر ٢٩ ديسمبر ١٨٧٣ م وكيف يمكن بعد هذه الشهادة أن تكون ١٨٧٧ م كانت تاريخ ميلاد اقبال". (٢)

وبعد هذا البحث المختار عندنا من هذين التاريخين هو التاسع من نوفمبر عام ١٨٧٧ م الذي هو المهمول به رسمياً ورجّحه نجل اقبال الدكتور جاوید اقبال، ووجه صحته وترجّحه عندنا أن اقبالاً بين في سجل حياته الذي كتبه فمن بحثه "تطور الميثافزيقا في فارس" المقدم إلى جامعة ميونيخ

١- وحيد قريشى، الدكتور: تاريخ الولادة الصحيح لإقبال (اقبال كى صحيح تاريخ ولادت)، نقوش، رقم اقبال ٢،

عدد ١٢٣. ديسمبر ١٩٧٧ م.

٢- خالد نظير صوفي: اقبال درون خانہ (اقبال داخل بيته) الطبعة الأولى، لاهور، باكستان: اقبال أكاديمي، ٢٠٠٣ م.

بألمانيا، "لنيل شهادة الدكتوراه، أنه قد ولد في الثالث من ذى القعدة سنة ١٢٩٤ للهجرة (١٨٧٦م) في سيالكوت (البنجاب) وقد وجد الباحثون أن التاريخ الهجري الذي سجله إقبال بين القوسين فمن سجل حياته في البحث المذكور لا يوافق سنة ١٨٧٦م بل يوافق ٩ نوفمبر عام ١٨٧٧م حسب التقويم وكان إقبال يهتم بالتاريخ الهجري وكان يحبه أكثر من الميلادي جرياً على خطى آباءه، على ما حققه الدكتور وحيد القرشي. (١)

فالتاريخ الهجري الذي سجله إقبال فمن بحثه هو الصحيح والمعتمد عليه عندنا، ولكن إقبال اخطأ في تخمين التاريخ الميلادي وظن أنه يوافق عام ١٨٧٦م معتمداً على الذاكرة، دون رجوعه إلى تقويم، وكذلك سجل إقبال ميلاده عام ١٨٧٦م في جوازه حين سافر إلى أوربا للدراسة في عام ١٩٠٥م، كما سجل نفس العام في الجواز حين سفره إلى لندن لحضور مؤتمر المائدة المستديرة عام ١٩٣١م، فيتضح من ذلك كله أن تاريخ ميلاده إقبال حسب معرفته، هو الثالث من ذى القعدة عام ١٢٩٤هـ الموافق التاسع من نوفمبر عام ١٨٧٧م، وذلك التاريخ يوافق من إقبال في معظم مراحل الدراسة، فقد جاء سنة في وثيقة اجتيازه مرحلة المدرسة المتوسطة عام ١٨٩١م، إنه ابن خمسة عشر عاماً، فلا يكون إقبال في عام ١٨٩١م ابن خمسة عشر عاماً إلا إذا كان مولده في عام ١٨٧٦م وهذا التاريخ إذ اصحح رجوعاً إلى التقويم يتفق مع التاريخ الراجح وهو ٩ نوفمبر ١٨٧٧م وكذلك سجل إقبال في استمارة الالتحاق بجامعة البنجاب عام ١٨٩٦م - إنه ابن تسعة عشر عاماً ويصح هذا السن في ١٨٩٦م إذ كان مولده في عام ١٨٧٧م، فنظراً إلى بيانات إقبال المسجلة في مختلف مراحل حياته من الدراسة وغيرها. ويرجح عندنا أن تاريخ مولده الصحيح هو الثالث من ذى القعدة عام ١٢٩٤ للهجرة الموافق التاسع من نوفمبر عام ١٨٧٧ للميلاد، ومما يؤيد ذلك أن الشيخ إعجاز أحمد سمع من أخت إقبال السيدة كريم بي قولها بأنها سمعت من والدتها أن إقبال ولد في صباح يوم الجمعة، فمن بين جميع التواريخ المتنازع فيها في أمر مولد إقبال لا يقع في يوم الجمعة سوى الثالث من ذى القعدة عام ١٢٩٤هـ، وأما ما أثبتته السيد خالد نظير صوفي من خلال سجلات بلدية سيالكوت إنه لم يسجل فيها مولود ذكر لذي والد إقبال الشيخ نتهو بعد ٢٩ ديسمبر ١٨٧٣م وذلك المولود هو إقبال فليس ذلك حجة قاطعة لأن البلديات في الهند وباكستان لا تهتم حتى اليوم بتسجيل كل مولود لدى كل مواطن، فضلاً عن القرن السابق الذي كان يسوده التخلف والجهل، وقرر في ضمن هذا وثائق شرقية (ArchivOrientation) التي كتبها الأستاذ جان مارك (GanMark) المدرس بجامعة براغ (Prahag) (ستيسكو سلواكيا) ونقل كلامه لنا الأستاذ الدكتور محمد عبدالله چغتائي بقوله:

"There is absolutely no reason for us to disregard the date of Iqbal's birth as given by him, that is 3rd Ziqadha 1299 Ah, corresponding to 9th Nov. 1877. Although the municipal record of Sialkot town make no mention of his date"

”يحق لنا أن نتقاضي عن تاريخ ولادة إقبال الذي أشار إليه بنفسه في سجلات بلدية سيالكوت، أما التاريخ الذي حدده محمد إقبال بنفسه فهو كالتالي:

”ثلاثة من شهر ذى القعدة ١٢٩٩ هـ وانتهى به البحث إلى اعتماد يوم ٩ نوفمبر ١٨٧٧ م تاريخاً لميلاد محمد إقبال، وهذا التاريخ هو الذي صادقت عليه لجنة عينها بحكومة باكستانية لبحث الموضوع وتحتفل الحكومة الباكستانية بيوم ميلاده رسمياً وفق هذا التاريخ كل سنة“ (١).

## والدا إقبال أبوه

وكان الشيخ نور محمد والد إقبال يكنى بالشيخ نتهو”نت“ في الأردية بمعنى فتحة الأنف، و”ننهو“ بمعنى الحلقة التي تعلق بالأنف. وكان رجلاً صوفياً زاهداً، يهتز فؤاده رهبة وشفافاً، وتدمع عيناه خوفاً ووجلاً، كلما ذكرت الجنة والنار، وكما سمع أو قرأ عن أحوال الحشر، ورهبة يوم

- ١- عبد الله جغتائي، الدكتور: إقبال كى صحبت مين (في صحبة إقبال)، لاهور، باكستان: ١٩٧٧ م. ص ٦.
- أنظر: جاويد إقبال، الدكتور: زنده رود (النهر الحي) ص ١٤٥.
- وأنظر: محمد أكرم أحمد علي، حافظ: الأمة الإسلامية العربية في شعر محمد إقبال، ص ٦٦-٦٨.
- أنظر: فقير وحيد الدين، السيد: روزگار فقير- لطبعة السادسة، كراتشي، باكستان: لانن آرت بريس ليميتد. أبريل ١٩٦٦ م، ص ٢٢٩-٢٣٤.
- أنظر: عبد المجيد سالك: ذكر إقبال. لاهور، باكستان: بزم إقبال، ١٩٥٥ م. ص ١٠.
- أنظر: محمد دين فوق ”تاريخ إخوان الكشمير“، سرينگر، كشمير. ١٩٤٣ م. ٣٥/٢.
- أنظر: Varinder Grover: Muhammad Iqbal Political thinker of modern India. P-14-21
- أنظر: The Oxford history of India, Third Eddition 1961. P-805
- أنظر: تفضل علي، السيد: محمد إقبال لمححة عن حياة إقبال. القاهرة: قسم الصحافة والاستقالات سفارة باكستان. ١٩٥٦ م. ص ٧.
- أنظر: امجد حسين سعيد أحمد، الدكتور: شاعر الشرق محمد إقبال. الطبعة الأولى، مصر. القاهرة: سفارة جمهورية باكستان ١٩٩٧ م. ص ٥.
- أنظر: عزام، عبد الوهاب، الدكتور: پیام مشرق ص ١٧.
- أنظر: محمد سعيد جمال الدين، الدكتور: رسالة الخلود (جاويد نامه): ص مقدمة الكتاب.
- أنظر: محمد منور، بروفيسور: حياة إقبال، مجلة إقباليات (عربي) ص ١٣.
- أنظر: سمير، عبد الحميد إبراهيم، الدكتور: إقبال و ديوان أرمغان حجاز، ص ١٥.

الحساب وكان كثير التردد على مجالس الصوفية ورجال العلم والمعرفة، جعله اتصاله بهم عازماً بدقائق الطريقة وعلوم العقيدة والسنة متأدباً بآداب السلوك كافة ولذلك يقوم صديقه السيد مير حسن (ت ١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م) عن الشيخ نور محمد:

”إنه فيلسوف الذي لم يتخرج في مدرسة“ (١)

وكان على معرفة من أحكام الشريعة ومطالبها بقدر الحاجة، فكان يواظب على تلاوة كتاب الله الكريم وقد أمرأولاده بالمواظبة عليها كل يوم مؤكداً أنها تضمن الفوز في الدنيا والآخرة. وقد سأل السيد سليمان الندوي إقبالاً مرة عن سر بلاغته التي تكشفت معها غوامض الدين و معالم الحق وأوصلته إلى الذروة في أساليب التعبير التي ندر أن يصل إليها أهل العلم، فأجابته إقبال: ”يرجع الفضل في كل ما أنشأ به من شعراً أو نثراً إلى توجيهات أبي، فقد عودني تلاوة القرآن الكريم صباح كل يوم“ (٢).

يقول الدكتور أحمد معوض:

”وقد عمر الشيخ نور محمد زهاء مائة سنة، وشهد نجم إقبال يرتفع وصيته يذيع بين أعلام العلم والأدب والسياسة وتوفى في سيالكوت في السابع عشر من أغسطس ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م، ودفن في مقبرة الأمام صاحب، وقد فقد بصره أثر مرض قبل وفاته بعشرين سنة“ (٣).  
”وقد رحل والد إقبال ومرشده عن هذا العالم، وكلنا راحلون ولقد سأل هاتف الحق عن تاريخ الرحيل فقال:

أثر الرحمة، أحضان اللحد. (٤)

## أمه

وكانت والدة محمد إقبال السيدة إمام بي بي تقيه، أمينة، سخية، لم تعرف القراءة والكتابة لكنها كانت مواظبة على الصلوة والصوم، يمتلك قلبها بالإيمان والورع. (٥)  
وكانت معروفة بين النساء بالتقوى والأمانة وتدبير الأمور، فكانت نساء الحي يرجعن إليها

١- أحمد معوض، الدكتور: علامه محمد إقبال، حياته و آثاره، ص ٢١.

٢- نفس المرجع، ص ٢٢.

٣- نفس المرجع: ص ٢٥.

- محمد منور، بروفيسور: حياة إقبال. مجلة إقباليات، ص ١٣.

- وأنظر تقوى وورع والد إقبال في: ضياء الدين أحمد برلى: إقبال از عطيه بيكم- ص ١٦-١٩.

٤- محمد أكرم أحمد علي، حافظ: الأمة الإسلامية العربية في شعر محمد إقبال- ص ٥٨-٦٦.

٥- جغتائي، محمد عبد الله، الدكتور: إقبال كى صحبت مين (في صحبة إقبال) ص ١٢.

في حل مشاكلهن وتحكيم نزاعاتهن والحفاظ على أمانتهن، وقد توفيت قبل وفاة زوجها ست عشره سنة حيث انتقلت إلى رحمة الله تعالى في التاسع من نوفمبر عام ١٣٣٣هـ/١٩١٤. (١)

وقد رثاها إقبال بمرثية رائعة مطولة بعنوان ذكرى الوالدة المرحومة (والده مرحومه كى ياد ميس) بين بها بالغ حزنه والأسى ولكنها تفيض بالحكمة والفلسفة وتشرح قوانين الحياة والموت وأسرارها على وجه العموم، كما أثبتها الدكتور أحمد معوض في كتابه: العلامة محمد إقبال حياته وآثاره" نورد منها مايلي:

”كل زرة في الدهر رهن التقدير      أما التقدير ففي حجاب الجبر والعجز  
السماء مسخرة والشمس والقمر مسخران      والأنجم الزئيقية مسخرة في مسارحها أيضاً  
وآنية الزهر لا بدآن نكسر      والحضرة والوردة لا يمكن أن تموفي الحديقة أيضاً“ (٢)

ونحن الآن نشرح بعض الأبيات هذا النظم وكان من ضمنها.

”إنني يا والدتي في حيرة من إعجاز صورتك التي غيرت اتجاه طيران الزمان، فقد جمعت الماضي والحاضر سوياً، وأعدت إلى ذكريات الطفولة، عندما كنت غضناً صغيراً في حرك، وعندما كان فمي غير قادر على الكلام، والأن قد أصبحت أقوالي ذائعة في مكان وتمطر عيناى هذه اللآلي الثمنية في أبيات من الشعر رائعة بالغة في التأثير، فإن الإنسان مهما كبر في السن، وهما بلغ في مدارج العلم والمعرفة، ومهما حصل على معارج العزة والكرامة، فإنه يعود طفلاً ساذجاً في حضن أمه، ويشعر بمصاحبته كأنه عثر على الفردوس المفقود من جديد، وحصل على الخلاص من جميع آلام الدنيا، وبعد رحيلك يا أماه! من ينتظرني في وطني ومن يستبد به القلق إذالم يصل إليه خطابي، وعند ما أتى إلى تراب مرقدك، أصبح من ذا الذي يذكرني في الدعاء في منتصف الليالي، لقد كانت حياتك صفحة ذهبية عن كتاب الحياة، وكانت درساً متكاملأ في الدين والدنيا، ولقد بلغت أوج النجوم في الخط والسعادة بتربيتك ورعايتك وأصبح بيت أجدادي موضع العزة والكرامة، وبأسفاه! رعنتي محبتك طيلة عمري وعند ما أصبحت قادراً على رعايتك وخدمتك رحلت.

وقال إقبال في تلك المرثية فمن شرحة أسرار البعث بعد الموت، إن الإنسان لا يفنى بالموت، فإن بذر النبات إذا يدفن في التراب، ينبت من جديد شكل شجرة عالية جميلة.

لقد دفنوا في التراب البذور      فلم تفن في لحدها الهامد  
ولم تنطفئ نارها في الحياة      على طول مرقدها البارد

١- جاويد إقبال، الدكتور: زنده رود (النهر الحي)، ١/٢٥.

- وأنظر: أحمد معوض، الدكتور: العلامة محمد إقبال، حياته وآثاره، ص ٢٦.

٢- أحمد معوض، الدكتور: العلامة محمد إقبال، حياته وآثاره، ص ٢٦.

نما غصنها زاهراً واستفادت من الموت تجديد ذوق الحياة“ (١)  
وقد رثى أم إقبال الشاعر الأردني الكبير أكبر إله آبادي أيضاً، قال أكبر إله آبادي في رسالته  
التي أرسلها إلى إقبال:

”إن الصفات الطيبة النبيلة التي يمتاز بها إقبال وأسلوبه الذي حبه للأمة، وهذا الوعي بالذات  
وهذه العلاقة وهذا الحماس للمسائل الصوفية، هذا الأسلوب في الصداقة مع الآخرين، وهذا الإحترام  
للذات في إعزاز، كلها دليل واضح على أن أبويه كانا من الأتقياء والورعين الصوفيين المتصلين  
بالأسرار الإلهية ومن أصحاب البصيرة والمعرفة“ (٢).  
وهكذا تربى إقبال في أحضان والدين صالحين انعكس أثرهما على نشأته وسلوكه، فقد كان  
أبوه يقظاً لنبوغ ابنه يتعهده بتوجيه الفكر والسلوك معاً، ومما يذكره عنه الابن مبكراً قوله له حين رآه  
يكثُر قراءة القرآن من صغره:

”يا بني إن أردت أن تفقه القرآن فاقرأه كأنه أنزل عليك“ (٣)  
وقد كان إقبال بعد وصية أبيه هذه له مما أثر في حياته، وكان لأمه ورعها أثر كبير في سلوك  
ابنها حتى ليذكر أثرها فيه بقوله:

”ساميت النجم بتربيتك وكان فخراً لآباء والأجداد بيتك وكانت قدوة في الدين والدنيا. وقد  
كان إحساس إقبال بفضله والديه وأثرهما فيه عميقاً فكان دائم العرفان لهما بالجميل ويقول في  
شعره:

”ميتى أن أضع جبينى على أقدام الوالدين“ (٤)

- ١- الأعظمى، محمد حسن، وشعلان، الصاوي علي: الحياة والموت في فلسفة إقبال، كراتشي، باكستان: ١٩٦٩م. ص ٨٤-٨٦.
- ٢- فقير وحيد الدين، السيد: روزگار فقير (الأردنية)، ص ١٩٧.
- وأنظر: محمد عبدالله چغتاي، الدكتور: في صحبة إقبال (الدكتور)، ص ١٤.
- وأنظر: جاويد إقبال، الدكتور: زنده رود (النهر الحي)، ٢٥/٢٠.
- وأنظر: محمد أكرم أحمد علي، حافظ: الأمة الإسلامية العربية في شعر محمد إقبال ص ٥٨-٦٧.
- وأنظر: خليل الرحمن عبدالرحمن: محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية. الطبعة الأولى. مكتبة المكرمة: دار حراء. ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م. ص ٥٤-٥٥.
- ٣- عزام، عبدالوهاب، الدكتور: محمد إقبال سيرة وفلسفته وشعره، ص ١٧.
- ٤- أظهر، ظهور أحمد، الدكتور: إقبال العرب على دراسات إقبال، لاهور: المكتبة العلمية. ١٥ شارع مدرسة البنات، ١٩٧٧م. ص ٧٧.

## الفصل الثاني

### نشأته الأدبية والثقافية

#### بيئة إقبال ونشأته

ولد محمد إقبال في ٢٤ من ذى الحجة ١٢٨٩ هـ / ٩ نوفمبر ١٨٧٧م في أسرة مومنة وما يزال البيت الذي أبصر محمد إقبال النور موجوداً وباقياً كما تركه صاحبه يوم تركه الحياة. ويقول الدكتور ظهور أحمد أظهر عن نشأته في كتابه:

”وقد تميزت نشأة محمد إقبال بعوامل دفعت به إلى ميدان الإصلاح والتجديد في الفكر

والحركة الإسلامية:

(أ) - فقد هباه الله تعالى ذكاءً نادراً، وذهناً صافياً، وعقلاً واعياً، فكانت لهذه المواهب أثرها في نشأته واتجاهه.

(ب) - وتربى في أحضان والدين صالحين انعكس أثرهما على نشأته وسلوكه ، فأما أبوه كان متصوفاً عاملاً كادحاً في كسب رزقه يعمل لدينه ودنياه، وكانت أمه على صلاح وورع حتى أنها كانت تتحرج أن تأكل من وظيفة زوجها إذ كان يعمل مع رئيس عرف بأكل الرشوة، مع أن راتب وظيفة زوجها لم يكن من مال هذا الرئيس ولكن كذلك اقتضاها ورعها“ (١).

وتأثر محمد إقبال بأبيه وظل يحكي عنه قصصاً ونوادير لطيفة تكشف عن الزاد الروحي والصوفي لأبيه ورفيقه في مدارجه، وقد أشار إقبال إلى نصيحة أبيه ووصيته تلك عند ما سئل عن سرِّ بلاغته في الشعر والنثر، فأجاب قائلاً:

”يرجع الفضل في كل ما أنشأته من شعر أو نثر إلى توجيهات أبي رحمة الله، فقد عودني تلاوة القرآن الكريم بعد صلاة الصبح من كل يوم، وكان كلما رأيته سألتني عما أفعل، فأجيبه بأني أقرأ القرآن الكريم، وإذا كان يعاود إلقاء هذا السؤال في صبيحة كل يوم فأجيبه الجواب نفسه فقد دفعني الفضول والعجز إلى أن أقول لوالدي يوماً: أبي أنك تراني أتلو كتاب الله، فلم تسألني هذا السؤال وأنت تعلم جوابي، فقال رحمة الله: ”بل أردت أن أقول لك، اقرأ القرآن كأنه نزل عليك“ ومنذ ذلك الوقت بدأت أتفهم القرآن الكريم، أقبل على ودخل كلماته ومعانيه، فكان من أنواره ما اقتسبت ، ومن بحره ما نظمت“ (٢).

١- أظهر، ظهور أحمد ، الدكتور: إقبال العرب على دراسات إقبال، ص ٧٩-٨٠.

٢- عزام، عبدالوهاب ، الدكتور: محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره: ص ١٧. و أنظر أيضاً: أحمد معوض، الدكتور:

علامة إقبال، حياته وآثاره، ص ٢٢.



وكان للقرآن الكريم أثره عميقاً في نفس محمد إقبال وفي عقله وكذلك في فكره ومسلكه، وهذا ما ظهر جلياً فيما بعد على لسانه إذا تكلم وفي بيانه إذا كتب. وعند ما كان يتكلم، آيات الكتاب العزيز هي حجته وعند ما يكتب كانت هذه الآيات هي شواهد، فالقرآن الكريم كان معه إذا خلا إلى نفسه كما كان معه إذا التقى بالناس لقد أدرك محمد إقبال في القرآن الكريم أسراراً. فاختار أن يكون هذا الكتاب الإلهي دائماً بجواره. وهذا الاختيار لازم شاعر الإسلام إلى أن أدركه.

وكان القرآن الكريم الأستاذ الدائم لمحمد إقبال، وهو يؤمن أن الكتاب الذي هو مصدر حياتنا ومنبع قوتنا، ورأس مال أهل الحق، وفيه بداية ونهاية كل أمر. والقرآن الكريم هو الكتاب الذي يتضمن لنا الرقي في الحياة الدنيا والآخرة ويدل إلى سبيل النجاح ويرشدنا كيف نعيش وكيف نموت.

والشيخ نور محمد (أبوه) غرس شجرة حب المصطفى صلى الله عليه وسلم مع حب القرآن في قلب بنيه، وذلك يفتح بقصة تتعلق بحملة من نصائح أبيه المتصوف، أوردتها في منظومته "رموز بے خودي" وقد ساقها الدكتور عبدالوهاب عزام. (۱)

ويقول إقبال:

"وقع على بابنا سائل وقوع القضاء، ورفع صوته كأنه نقيب غراب، وأخذ يهز الباب! ولما ألمني تصايحه وإلحافه، خرجت إليه..... فأهويت على رأسه بضربة بعثرت ما بيده، مما جمعه طوال يومه، فلما رأى والذي تلك الحادثة اصفر وجهه الأحمر، وانحدرت الدموع نهراً على خديّ وقال:

گفت فرد امت خیر الرسل	جمع گردد پیش آن مولائے کل
در میان انجمن گردد بلند	نالہ ہالے این گدایے دردمند
اے صداقت مشکل از بے مهر کھی	من چه گویم چون میرا پرسد بینی
حق جوانے مسلمے با تو سپرد	کو نصیبے از دبستانم نبرد
از تو این یک کار آسان ہم نشد	یعنی آن انبار گل آدم نشد
باز این ریش سفید من نگر	لرزہ بیم و امید من نگر
برید رایس جورنا زیبا مکن	پیش مولا بنده را رسوا مکن
غنچه از شا خسار مصطفے	گل شو از بادبهار مصطفے
از بهارش رنگ و بو باید گرفت	بہرہ از خلق او باید گرفت (۲)
قال لي الوالد: يوم محشر	تلتقي أمة خیر البشر
وعلا في لَجّ هذا المحشر	صوت هذا السائل المنكسر

۱- سفیر مصر السابق في پاکستان.

۲- کلیات إقبال (فارسی) رموز بے خودي، ص ۲۸۸.

أيها الحائر في ذا الموكب  
 قد حباك الحق طفلاً مسلماً  
 هيّن الأشياء قد شقّ عليك  
 لحيتي البيضاء في الحشر انظر  
 لا تزدعبء أباك الوهن  
 أنت كمّ في فروع المصطفى  
 نظيرة من روضه فالتمس  
 ما جوابي حين يلحاني النبي  
 لم تنله من كتابي مغنماً  
 لم يصر ذا الطين إنساناً لديك  
 رعدتي في الخوف والحزن اذكر  
 عند مولاي غداً لا تحزني  
 فتفتح في ربيع المصطفى  
 وسنما من خلقه فاقتبس (١)

ويقول نجيب الكيلاني عن هذه القصة:

”في مثل هذا الجو والروحاني الزاخر بالإشفاق من يوم اللقاء، العامر بالحب الخالص لنبي البشر، المتأرجع بين الخوف من المصير المجهول، والرجاء في الغد المأمول في مثل هذا الجوعاش إقبال ينظر فيرى أباه لا يفتأ يتحس بأنامله المرتعشة الواهنة، تلك اللحية البيضاء التي تؤذن باقتراب الرحيل، وكأنني بإقبال، ذلك الفتى الغص اليافع، وهو يتلقى تلك الأنغام السلسلة تتدفق من فم أبيه في سهولة وغير تكلف، صادرة من أعماق روحه المؤمنة، نابغة من فيض نفسه الناصعة الورعة، فيتلقفها (إقبال) في سهولة وغير تكلف أيضاً ويتقبلها تقبلاً سريعاً طبيعياً، ثم تسري في قلبه وفؤاده، فتصير هذه المعاني لديه في الحياة. هي الاسلام والسعادة والنعيم الأبدي، والراحة في الدنيا والآخرة.“ (٢)

إن الجرعات الدينية النقية لهي الدواء الناجحة البشرية الحائرة، وإن في الكؤوس الروحية الخالصة لنشوة سامية تنفي عن الإنسان ظلمات، وتحجب عن عينيه أصنام اليأس، وترده إلى حظيرة الخير والحب والصفاء، ولطالما ارتشف إقبال من تلك الكؤوس فشفت من نفسه جراحاً، وأبانت له عن طريق سليم واضح وكشفت له عن أشياء، ما كان ليكشف عنها، وينعم بحمالها، لولا تلك الجرعات النافعة، وما أجمل قوله:

- ١- الترجمة العربية: عزام، عبدالوهاب، الدكتور: رموز نفي الذات، ص ٢٢٠-٢٢١.
- عزام، عبدالوهاب، الدكتور: محمد إقبال سيرته وفلسفة وشعره، ص ١٧-١٨.
- أنظر: أحمد معوض، الدكتور: العلامة محمد إقبال حياته وآثاره، ص ٢٢.
- أنظر: أظهر، ظهور أحمد، الدكتور: إقبال العرب على دراسات إقبال، ص مقدمة الكتاب.
- أنظر: نجيب الكيلاني: إقبال الشاعر الناثر، الطبعة الثالثة، القاهرة: مؤسسة الرسالة. شوارع سوريا ١٩٥٩ م. ص ١٦.
- أنظر: محفوظ، حازم محمد أحمد، الدكتور: محمد إقبال والقضية الفلسطينية، ص ٢٩-٣٠.
- أنظر: الهاشمي، رفيع الدين، الدكتور: علامه إقبال اورمير حجاز (الأردنية) ص ٢٢-٢٣.
- انظر: اله آبادي، بهار: تفسير إقبال (الأردنية). مطبعة دهلي: جمال برنتنك بريس، ١٩٨٢ م. ص ٥٨-٥٩.
- ٢- نجيب الكيلاني: إقبال الشاعر الناثر، ص ١٧.

”اليوم أسمعك احتدام مشاعري      وصراخ إيماني وصوت منايا  
المستحيل بد العيني ممكناً      سأرى الخليقة مارأت عينايها  
لم ألق في هذا الوجود سعادة      كموده الإنسان للإنسان  
لما سكرت بخمرها القدسي لم      أحتج إلى تلك التي في الحان“ (١)

وفي هذا الجو نبشاً إقبال وينمو مع حب المصطفى في قلبه وذهنه ويوقد مصباح لم يطفئه عواصف الزمن وظلمات الكفر.

(ج): لا ريب أنه تربى في أحضان الوالدين الصالحين وهذا من حسن حظّه أن أثناء مراحل تعليمه استفاد كثيراً من الأساتذة الأوفياء الأذكياء الذين كان لهم أثر كبير في رفعة فكره وسلوكه حتى أنه ليعبر كثيراً بالقول والعمل، وهو في تألق مجده، عن فضل وأثر هؤلاء الأساتذة فيه.

منهم: الأستاذ مير حسن الذي كان له أثره، بعلمه وسلوكه. في تربية إقبال. وتوجيهه إلى مواصلة طلب العلوم الحديثة بجانب العلوم الإسلامية، وقد أشاد به إقبال كثيراً في شعره.

ومنهم: السير توماس آرنولد صاحب كتاب ”الدعوة إلى الإسلام“ فقد تلمذ عليه إقبال في الهند وفي انجلترا حتى أن توماس اختاره ليخلفه في عمله بالجامعة حتى اضطر إلى الانقطاع عنه بعض الوقت، ولم يأل إقبال جهداً في توثيق صلته بالعلماء. (٢)

كما نال إقبال إعجاب أساتذته وزملائه وتلاميذه بسعة علمه وكثرة اطلاعه وسداد رأيه فاتجهت إليه الأبصار مبكراً، في لاهور اتصلت أسبابه بالأستاذ الانكليزي الشهير سرتهامس آرنولد وبالأستاذ عبدالقادر المحامي، والأديب الشهير وقاضي محكمة الاستئناف بعد وعضو مجلس الهند سابقاً، وكان أصدر أول مجلة علمية أدبية في اللغة الأردية، اسمها ”مخزن“ (٣).

وكان إقبال نظم قصيدته الأولى البديعة ”جبل همالة“ وهي فارسية التركيب إنجليزية الافكار، ونشرها الأستاذ عبدالقادر في مجلته سنة ١٩٠١م، ونظم عدة قصائد أدبية توجد في مجموع شعره الأول، وكان لها دوي في أندية الشعر والأدب، واجتلبت العيون نحو الشاعر الشاب المبدع، وفي هذه المدة حصل محمد إقبال على شهادة ما جتسير في الفلسفة بامتياز ونال وساماً وعين على أثره أستاذاً للتاريخ والفلسفة والسياسة في الكلية الشرقية في لاهور“ (٤).

- ١- نجيب الكيلاني: إقبال الشاعر الثائر، ص ١٩.
- ٢- أظهر إقبال اعتقاد قلبه لسير توماس آرنولد في نظمه ”ناله فراق“ ”بيانك درا“
- ٣- الشعر الغزلي الأولى لإقبال، التي طبعت في مجلة ”زبان“ دهلي في نوفمبر فهمتها الغزلي الطبع القديم ولكن سلسلة الطباعة المنظمة بدأت من تنفيذ مجلة ”مخزن“ في أبريل ١٩٠١م.
- أنظر: س، الف، واحد: فكر إقبال كما تعارف (الأردية) (أى افكار إقبال وأراوه) الطبعة الثالثة. لاهور، باكستان: منظور احمد برنتنك بريس، نياز احمد سنك ميل بليكيشنز، ١٩٨٤م.
- ٤- الندوي، ابو الحسن علي الحسيني: روائع إقبال، دمشق: دار الفكر: ١٩٦٠م. ص ١٥-١٦.

وكان إقبال في هذه المرحلة من عمره ينظم الشعر، وكان يرسل بين حين بعد حين شعره إلى الشاعر الأردنية الكبير نواب داغ الدهلوي (ت ١٩٠٥ م) بالمكاتبه، وكان الأستاذ داغ الدهلوي آنذاك، أستاذ حاكم ولاية حيدر آباد بجنوب الهند فأشعره بذلك فتوقف إقبال عن إرسال شعره له للإصلاح، وبعد مدة قصيرة رأى الأستاذ داغ الدهلوي:

”أن شعر إقبال لا يحتاج إلى مزيد من التنقيح والإصلاح واعتز بأن إقبال من تلامذته حين ذاع صيت شاعرية إقبال في جميع أنحاء الهند“.(١) وكان يفتخر إقبال بنفسه أن يكون تلميذ داغ.(٢) ولم ينس إقبال من أساتذته قط، بل ذكرهم دوماً وخلصهم في أشعاره، وها هو في قصيدة ”التجائي مسافر“ (تضرع مسافر) يعلن أمله في أن يجثو ثانية على أقدام أبويه، مثلما يعرب عن حبه ووده واحترامه وتقديره لمولانا السيد مير حسن، ويقول إقبال عن أستاذه:

”وكان من المنتسبين إلى آل البيت، ان شمع حضرة آل مرتضى مقدسة كالحرم، فهي التي مكنت أنفاسها برغم أملى من أن يذدهرو يتفتح، والتي نمت نورها الكريم ملكاتي النقدية“.(٣)

وكان إقبال يعد نفسه ”كتاباً حياً“ لمعلمه وكان يمتدح أيضاً مولانا شبلي نعماني(ت ١٩١٤ م)، ومولانا حالي(ت ١٩١٤ م)، ومولانا الكرامي (ت ١٢٠٠ هـ)، وداغ الدهلوي(ت ١٩٠٥ م) وكلهم من رجال الأدب.

وكان إقبال طالبا ذكيا وفطيئا، يمدحه أستاذه الدكتور آرنولد ويقول:

”إن طالبا مثل إقبال، يحيل أستاذه إلى محقق، والمحقق إلى باحث“.(٤)

وكانت أول أشعاره التي ألقاها في حشد من المستمعين قصيدته ”نالة يتيم“ ”أنة يتيم“ وكانت في الحفل السنوي لجماعة حماية الإسلام (انجمن حمايت اسلام) في لاهور، وقد استقبلت القصيدة استقبالا حسنا، ومست من القلوب شفافها، في العام التالي في الحفل السنوي قال قصيدته، خطاب يتيم به هلال عيد، وفي إحدى الجلسات الشعرية ألقى إقبال رباعية، عدها السامعون أجمل ما

- ١- خليل الرحمن عبدالرحمن: إقبال و موقفه من الحضارة الغربية، ص ٥٨-٥٩.
- أنظر: عزام، عبدالوهاب، الدكتور: محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره: ص ٢١.
- أنظر: طاهر تونسوي: حيات إقبال. لاهور: ندرت بريس، بدون التاريخ. ص ٢٢.
- أنظر: أحمد معوض، الدكتور: العلامة محمد إقبال، حياته وآثاره، ص ٣٤-٣٦.
- ٢- انتخاب مقالات إقبال: حيات وسيرة إقبال ايك اجمالى حكاكه (وصف محمل) مجلة (جرنل تافكر ونظر) ص ٩٨. اشاريه جرائد (جرنل تافكر ونظر): (يناير فبراير: ١٩٧٤ م).
- ٣- أحمد معوض، الدكتور: العلامة محمد إقبال، حياته وآثاره، ص ٣٤-٣٦.
- ٤- أحمد معوض، الدكتور: العلامة محمد إقبال، حياته وآثاره، ص ٣٨.
- وأنظر: افتخار أحمد صديقي، الدكتور: إقبال كاذهني ارتقاء (نمو إقبال الذهني) ص ٧٦.

سمعوا في تلك الجلسة على الاطلاق حيث قال:

”موتى سمجھ کے شانِ کریمی نے چُن لیے قطرے جو تھے میرے عرقِ انفعال کے“ (١)

”لقد التقطتها الرحمة الإلهية كما لو كانت لالى.

قطرات العرق التي تصببت مني عند ما شعرت بالخجل والندم:

وجرياً على عادة الشعر في عصره، اقتبس إقبال بعض الأشعار والأساليب الفكرية الإنجليزية

إلى الأردية، فتلقفتها الطبقات المثقفة وتلقفتها بخير ما يرجوه شاعر لقصائده و قطعاته، وفكر إقبال في

نظم ملحمة على طريقة ملتن (Milton) (ت ١٦٧٤ م) (الفردوس المفقود وغيره) فكتب إلى أحد

أصدقائه في سنة ١٩٠٣ م.

”بأن الوقت قد حان لذلك، إلا أن هذه الملحمة لم ترالنور“ (٢)

وهكذا كان إقبال نشيطاً من أوائل عمره ونشأ في بيئة دينية والأدبية التي صيقل استعداده

الفطرية، وخصائصه الذهنية، والتي يمكن لإقبال أن يكسب شهرة لانظير له في شبه القارة الهندية

والعالم الإسلامي والغير الإسلامي.

١- وأنظر: طاهر تونسوي: حياة إقبال (الأردية)، ص ٢٢.

- أحمد معوض، الدكتور: العلامة محمد إقبال حياته وآثاره: ص ٤٢-٤٣.

٢- نفس المرجع: ص ٢٢.

## الفصل الثالث

### رحلاته العلمية وعودته إلى وطنه

#### دراسة إقبال في الهند

بدأ إقبال دراسته في الهند و تلقى نور العلم والسعادة من مدنها وبقوة العلم نال شهرته في عالم الشرق والغرب، نحن الآن نستعرض مدارج تعليمه والمدارس والمناهل منها تلقى العلوم المفيدة والفنون المختلفة.

#### دراسته في سيالكوت

بدأ إقبال تعليمه في طفولته على أبيه، ثم التحق خلال السنة الخامسة من عمره بمدرسة في المسجد، كان قرأ فيها القرآن الكريم على المولوى أبى عبد الله غلام حسن، فحفظ كثيراً منه، وكان في كبره يعلم القرآن.

يبين ابو الحسن علي الحسيني الندوي شغفه و حبه للقرآن الحكيم كذلك.  
 ”وإن كثرة اقتباسه من القرآن الكريم في شعره تدل على أن كتاب الله كان دائماً على قلبه ولسانه“.(١)

فتلقى إقبال الدرس من المدرسة، حتى زارتك المدرسة يوماً المولوي السيد مير حسن وكان عالماً بارعاً في آداب العربية والفارسية والأردية والبنجابية، فعند ما وقع نظره على إقبال رأى دلائل العظمة والذكاء في وجهه، فسأل أستاذه عن أبيه، فأخبره بأنه ولد الشيخ نور محمد، وكان السيد مير حسن يعرف الشيخ نور محمد من السابق، فجاء إليه و عرض عليه أن يدرس بنفسه لإقبال منذ ذلك الحين، وكان والد إقبال يحب أن يتعلم ابنه العلوم الدينية في المدارس بالمساجد، ولكن المولوي السيد مير حسن لم يوافق الرأى، وقال:

”إن هذا الصبي لا يصلح له أن يدرس بالمساجد، بل إنه سوف يدرس في المدارس

العصرية“.(٢)

- ١- الندوي، أبو الحسن علي الحسيني: روائع إقبال: ص ٣ .
- أنظر: المصري، حسين محيب، الدكتور: قرآن وإقبال، القاهرة، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٦٥ شارع محمد فريد. ١٩٧٧ م. ص ٢١.
- وأنظر: الطرازي، عبد الله مبشر، تحت عنوان: الشاعر الإسلامي الكبير، محمد إقبال سيرته و شعره وفلسفته في الحياة والموت: مجلة إقباليات (عربي) العدد الاول ١٩٩٢، ص ١٠٠.
- ٢- عبد الرحمن خليل الرحمن: إقبال و موقفه من الحضارة الغربية. ص ٥٧.

ثم أدخله أبوه مدرسة البعثة الأسكوتية (١) ويقال إن أباه أدخله هذه المدرسة ليكون في رعاية صديقه العالم الجليل مير حسن الذي كان أستاذاً أديباً متضلّعاً في الأدب الفارسي وعارفاً باللغة العربية، وإقبال نبغ في هاتين اللغتين بفضل الشيخ سيد مير حسن الذي حاز بلقب "شمس العلماء" والذي كان من أصدقاء. (٢)

وقد امتاز إقبال بذكائه وجهده ففاق زملائه ونال جوائز كثيرة.

ورأى الأستاذ مير حسن من ذكائه بل من قوله و فعله ما زاده إعجاباً به، ومن نوادره أنه وهو في سن العاشرة، جاء إلى المدرسة متأخراً فسأل عن تأخره فقال:

"الإقبال يأتي متأخراً". (٣)

فاجتاز إقبال مرحلة المدرسة المتوسطة في عام ١٨٩١ م، ثم اجتاز مرحلة الثانوية في عام ١٨٩٣ م بتقدير ممتاز، واستحق الوسام والمنحة الدراسية، وبعد إكمال الثانوية التحق بكلية البعثة الاسكتلاندية في مايو ١٨٩٣ م واجتاز مرحلة الكلية المتوسطة (F.A) في عام ١٨٩٥ م بتقدير جيد، وإلى هنا انتهت دراسة إقبال في مدينة سيالكوت، لأن كلية البعثة الاسكتلاندية لم يكن قد بدأت تدريس مرحلة البكالوريوس (B.A) إلى ذلك الوقت، فترك إقبال بلده وانتقل إلى مدينة لاهور، (عاصمة بنجاب الغربية) لإكمال الدراسة هناك، وعمره نحو ثمانية عشر سنة، وكل هذا من فضل أستاذه. ويعترف إقبال بهذا ويذكر أستاذه بكل إحترام وعزة.

ويقول أبو الحسن علي الندوي في هذا الصدد:

"ولم ينس إقبال فضل أستاذه إلى آخر حياته". (٤)

فإنه أثنى على أستاذه شمس العلماء مولانا مير حسن في قصيدته المعنوية حينما إتجه في عام ١٩٠٥ م إلى انجلترا ليكمل دراسته العليا هناك، وإلى جانب ثنائه على أستاذه فقد دعا الله سبحانه و تعالى لتيسير سبل الحصول على العلم، فيقول على أستاذه:

١- Scottish Mission School.

٢- وللمزيد من التفاصيل راجع كتاب: س، محمود حسين: "مولوى سيد مير حسن" (بالأردية).

٣- عزام، عبد الوهاب، الدكتور: "محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره"، ص ١٩.

- أنظر: سيد أحمد، امجد حسن، الدكتور، إبراهيم محمد إبراهيم، الدكتور: شاعر مشرق محمد إقبال، ص ٢٠-٢١.

- أنظر: الطرازي، عبدالله مبشر، الدكتور: "الشاعر الاسلامي الكبير محمد إقبال. مجلة إقباليات (العربية) العدد الاول ١٩٩٢، ص ١٠٠.

٤- الندوي، أبو الحسن علي الحسني، مولانا: روائع إقبال، ص ٣.

- أنظر: عزام، عبد الوهاب، الدكتور: "محمد إقبال، سيرته وفلسفته وشعره"، ص ٣٢.

”إن شمعة بيت المرتضى (مير حسن) عتبة لى دائما كالحرم“، وقد مدح إقبال في أبيات أخرى كلامن حضرة داغ الدهلوي، مولانا شبلي نعماني ومولانا حالي باني پتي ومولانا جرامى“ (١).

## دراسته في لاهور

انتقل إقبال إلى لاهور في سبتمبر عام ١٨٩٥م، ولاهور هي إحدى المدن الكبرى من مدن الهند، ومدن الحضارة والعلم والفن، وكانت حين قصد إليها إقبال تعمل مجامعها في نشر الأدب محل الأدب الفارسي، وتألفت فيها مجامع أدبية تدعو إلى محافل ينشد فيها الشعراء عيون أشعارهم، ويسمى هذا ”مشاعره“ ويقول أبو الحسن علي الندوي:

”والمشاعرة عادة أدبية في باكستان والهند حتى اليوم“ (٢).

وفي كلية الحكومية بلاهور التقى إقبال بأستاذه الفيلسوف المستشرق ”توماس أرنولد“ (٣) وهو من خيرة من درسو الإسلام والتصوف الإسلامي وله مواقف كريمة في الدفاع عنه، ورحب الأستاذ بميل تلميذه إلى الفلسفة، فكان له خير مرشد ومعين، ونال بعد ذلك شهادة في الفلسفة ويذكر نجيب الكيلاني أهميته عند أستاذه قائلاً:

”وكثيراً ما كان الأستاذ توماس يفخر بكاء تلميذه، ويعتز بصداقته“ (٤).

ويقول الدكتور أحمد معوض في هذا الصدد:

”وكان إقبال يعد نفسه (كتاباً حياً) لمعلمه، ومن ثم فإنه عند ما عرض عليه لقب (السير) عرض عنه ولم يقبله إلا شريطة أن يمنح معلمه (مير حسن) لقب شمس العلماء، وكان اصرار إقبال سبباً في الوضوح لمشئية، فمنح مولانا السيد مير حسن، اللقب، على الرغم من أنه لم يكن له من الشهرة والصيت العلمي ما يسوغ هذا اللقب في نظر الحاكمين“ (٥).

١- شاه ولي، عبد الرحمن، ”محمد إقبال ١٨٧٧-١٩٣٨“، اسلام آباد، باكستان: مجمع البحوث الإسلامي ١٩٧٧م. ص ١٠-١٢.

٢- عزام، عبد الوهاب، الدكتور: محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، ص ٣٩.

- وأنظر أيضاً: الطرازي، عبد الله مبشر، الدكتور: تحت عنوان: ”الشاعر الكبير محمد إقبال، مجلة إقباليات (عربي)، العدد الأول ١٩٩٢، ص ١٠٠-١٠١.

٣- كان السير توماس أرنولد أستاذ اللغة العربية في جامعة لندن، ثم أستاذ الفلسفة في جامعة عليكرة في الهند، ثم في كلية الحكومية في لاهور، وكان أرنولد يلبس أحياناً لباس المسلمين فكان يدعى بمولانا أرنولد، وامتدحه خووجه حالي، فمن بيت له:

”بأنكم قد رأيتم كثيراً من شباب المسلمين في أزياء النصراني، ولكن أنظروا إلى هذا المسيحي يزين نفسه بقاء المسلمين“.

٤- الكيلاني نجيب: إقبال الشاعر الثائر، ص ٢٩.

٥- أحمد معوض، الدكتور: علامة محمد إقبال: حياته وآثاره، ص ٣٥.



والتحق إقبال بالكلية الحكومية في لاهور، واستمر في الدراسة حتى حصل على درجة البكالوريوس، وبرز في اللغة العربية والإنجليزية، ونال جوائز التفوق في السنة ١٨٩٧م، ثم وصل إقبال دراسة بالماجستير واختار الفلسفة للدراسة، فنال شهادة الماجستير فيها في عام ١٨٩٩م بتقدير جيد ولكن نظراً إلى أنه كان طالباً وحيداً نجح في تلك المادة بمنطقة البنجاب، واستحق وسام فضة، ويقول خليل الرحمن عبدالرحمن:

”وبجانب دراسة الفلسفة في الماجستير، التحق إقبال ضمن برنامج الدراسات المسائية بدراسة القانون أيضاً، ولكنه رسب في مادة الفقه في اختبار السنة الأولى، وفي العام القادم طلب أن يسمح له بحضور الاختبار بدون مواصلة الحضور في الصف ولكن لم يسمح له بذلك“ (١).

### اشتغاله بالتدريس بعد التخرج

وفرغ إقبال من تحصيل العلم في الكلية، فاختير لتدريس التاريخ والفلسفة في الكلية الشرقية. (٢)

ثم عين لتدريس الفلسفة واللغة الانجليزية بكلية الحكومية التي تخرج فيها، وقد نال إعجاب تلاميذه وزملائه وثقة وزارة المعارف بسعة علمه وحسن خلقه وسد ادرايه، واتجهت الأنظار إليه، وذاع ذكره، حتى صار من أساتذة لاهور النابهين.

وأنجز إقبال خلال تلك السنوات الأربع، أربعة أعمال من التأليف والترجمة وهي:

- ١- مقالة بالإنجليزية حول نظرية الوجدانية عند الشيخ عبدالكريم الجيلبي، طبعت سنة، ١٩٠٠م.
- ٢- الترجمة والتلخيص لكتاب المستراستوب ”تاريخ بريطانيا القديمة“.
- ٣- الترجمة والتلخيص لكتاب ”الاقتصاد السياسي“ لمستردوكره.
- ٤- تأليف كتاب ”علم الأقتصاد“ بالأردية.

وكان إقبال بقي في منصبه بكلية الحكومية حتى حصل على إجازة سنوات لإكمال الدراسة

في أوربا، ابتداءً من أول أكتوبر ١٩٠٥م“ (٣).

- 
- ١- عبدالرحمن، خليل الرحمن: إقبال وموقفه من الحضارة الغربية، ص ٥٩.
  - ٢- الندوي، أبو الحسن علي الحسني: روائع إقبال، ص ٣.
  - أنظر أيضاً: عزام، عبدالوهاب، الدكتور: محمد إقبال، سيرته و فلسفته وشعره، ص ٤٤.
  - ٣- عبدالرحمن، خليل الرحمن: إقبال و موقفه من الحضارة الغربية، ص ٦٢-٦٣.
  - وأنظر أيضاً: الأعظمي، محمد حسن، وشعلان، الصاوي علي: فلسفة إقبال والثقافة الاسلامية في الهند والباكستان، الطبعة الأولى. القاهرة: دار احياء الكتب العربية. ١٩٥٠م، الطبعة الثانية، دمشق: دار الفكر، ١٩٧٥م. ص ٣.

## سفره إلى بلاد أوروبا

عند ما عزم إقبال على السفر إلى أوروبا للتزويد من العلم، اتباعاً لمشورة السير توماس آرنولد، وسنه يؤمئذ اثنتان وثلاثون سنة، أخذ إقبال إجازة ثلاث سنوات من عمله في الكلية الحكومية بلاهور، ابتداءً من أول أكتوبر ١٩٠٥م، وقد تحمل مسئولية نفقاته في أوروبا أخوه الكبير الشيخ عطا محمد، الذي كان يشتغل مهندساً لدى مصلحة الأشغال العسكرية الهندية، وخرج معه بعض أصدقائه لتوديعه حتى دهلي، وبلغ إقبال وصحبه مدينة دهلي في سنة ١٩٠٥م، فاستقبلهم في محطة دهلي جماعة فيهم السيد حسن نظامي الدهلوي من أحفاد نظام الدين أولياء، وفي طريقه مرّ على مزار "السلطان همايون" ثاني ملوك الدولة المغولية، وهو أول مزار تُسبِّد لملوك هذه الدولة في الهند، فقد توفى أبوه بابر مؤسس الدولة في كابل ودفن فيها. ولما بلغ إلى مزار نظام الدين أنشد قصيدة باللغة الأردية إنشاداً شاجياً.

ويقول في هذه القصيدة بعد مدح نظام الدين:

"لقد فارقت الوطن لأتذوق لذة شراب العلم وأزود بالمعرفة والهدى، وإنني لأشكر الله تعالى بأنه لم يحوجني إلى غيره كشجرة بريّة في الصحراء تنتظر السحاب من السماء، فلا تحتاج إلى رعاية البستاني وسقايته، فأدعوا الله سبحانه وتعالى أن يهيني علماً وقوة ومكانة أمتاز بها بين أقراني وأن يوفقني للخير وخدمة خلقه، فلا أؤدي أحد في الدنيا بلسان قلبي، ولا أشتكى أحداً تحت السماء كما أدعوه تعالى أن يعيدني إلى بيتي بعافية وسلامة، فأضع جبیني على أقدام الوالدين اللذين رباني صغيراً وصيراني عارفاً بأسرار الحب والصدق". (١)

وقد سجل إقبال تفاصيل رحلته هذه ضمن مكاتيب إلى المولوي "انشاء الله خان" مدير مجلة "الوطن" بلاهور، بتاريخ ١٢ ستمبر، ٢٥ نوفمبر من عام ١٩٠٥م.

## دراسته في كمبردج

لقد وصل إقبال إلى كمبردج في ٢٥ سبتمبر ١٩٠٥م، ثم التحق بجامعة كمبردج بسرعة و بسهولة، بفضل جهود الأستاذ آرنولد الذي كان أستاذ اللغة العربية في جامعة لندن آنذاك، وبدأت دراسة إقبال في الجامعة من أول أكتوبر ١٩٠٥م، وبعد الالتحاق بالجامعة، كان على إقبال أن يسجل

- ١- عزام، عبد الوهاب، الدكتور: محمد إقبال، سيرته وفلسفة وشعره. ص ٢٧-٢٨.
- وأنظر: عبدالرحمن، خليل الرحمن: "إقبال وموقفه من الحضارة الغربية"، ص ٦٦-٦٧.
- وأنظر: الطرازي، عبدالله مبشر، الدكتور: المفكر الإسلامي الكبير العلامة الدكتور محمد إقبال، ص ٧.
- وأنظر: جمال الدين، محمد سعيد، الدكتور: رسالة الخلود أو جاويد نامه، ص ٤.
- وأنظر أيضاً: شبانه انجم: اورينتل كالج ميكرين مين ذخيره إقباليات (خزينة الإقباليات في مجلة الكلية الشرقية)، ص ٢٧-٢٨.
- وأنظر: مجهول: ذكرى محمد إقبال، ص ٩-١٠.

موضوعاً لرسالة لنيل شهادته الدكتوراة وأن يختار المشرف عليها، ولكن جامعة كمبردج لم تكن تمنح شهادة الدكتوراة في مادة الفلسفة في ذلك الحين، وبناء على اقتراح أستاذه مكتاكرت (mctaggert) سجل إقبال موضوع رسالة بعنوان في "تطور الميتافيزيقا في فارس". (١) (Development of Methphysics in Persia) في جامعة ميونيخ بألمانيا، ولكن الجامعات ألمانية كانت تطلب عادة أن يحضر الطالب محاضرات لمدة تتراوح بين ثمانية عشر شهراً و ثلاث سنوات بناء على سابق تحصيل الطالب، كما أنهم كانوا يطلبون عادة كذلك أن تكون الرسالة باللغة ألمانية أو اللاتينية، ولكن ادارة جامعة ميونيخ بفضل توصيات أساتذة إقبال بكمبردج، سمحت له بأن يكتب رسالته بالإنجليزية، إلا إنها اشترطت أن يكون الاختبار الشفوي بألمانية. (٢) وتركزت جهود إقبال في كمبردج على انجاز أهدافه من تقديم الرسالة إلى جامعة ميونيخ خلال ثلاثة أعوام من تسجيلها. (٣)

والحصول على شهادة بكالوريوس الشرف من جامعة كمبردج، ولقد عكف إقبال بكل جهوده على الدراسة وكتابة البحث خلال إقامته بكمبردج، حتى أنه كان يقضى إجازته في مقره بكمبردج، ولكنه إلى جانب دراسة بجامعة كمبردج- قد سجل نفسه في دراسة القانون بكلية لينكوليزان (lincoln's inn) بلندن. (٤) فكان يزور لندن بين حين وآخر، ويحكي الدكتور جاويد إقبال (نجل إقبال).

"أنه على ما نعرف أن إقبال قد أقام بكمبردج إلى يونيو ١٩٠٧م مشغلاً بكتابة بحثه، وكان يأتي لندن لحضور عشاءات محكمة "لينكوليزان" أو لحضور اختبارات المرحلة التمهيدية من دراسة القانون". (٥)

- ١- (Development of Methphysics in persia) "تطور الميتافيزيقيا في فارس" طبعة لندن ١٩٠٨م طبعة "بزم إقبال" الثانية بلاهور ١٩٦٣م "التجديد التفكير الديني في الاسلام" طبعة جامعة أكسفورد بلندن ١٩٣٤م والطبعة الثانية لمهد الثقافة الإسلامية بلاهور ١٩٨٦م)
- ٢- أنظر: الطرازي، عبد الله مبشر: الشاعر الإسلامي الكبير، محمد إقبال. مجلة إقباليات (عربي) العدد الأول ١٩٩٢، ص ١٠١. وانظر: خليل الرحمن، عبد الرحمن: إقبال و موقفه من الحضارة الغربية، ص ٦٧-٦٨.
- ٣- الندوي، أبو الحسن علي الحسني: روائع إقبال، ص ٣١.
- ٤- الندوي، عبد السلام، مولانا: إقبال كامل (الاردية)، لاهور، باكستان: آتش فشان بيليكيشنز ٤، غزني ستريت ١٩٩٢م. ص ٢٠-٢١.
- وانظر: محمد منور، بروفييسور: حياة إقبال. تعريب: أظهر، ظهور أحمد، الدكتور، ص ٢. انظر أيضاً: مجهول: ذكرى إقبال، ص ٩-١٠.
- ٥- خليل الرحمن، عبد الرحمن: إقبال و موقفه من الحضارة الغربية، ص ٦٨-٦٩.

## دراسته بألمانيا

غادر إقبال من كمبردج في يونيو ١٩٠٧م، وأقام في لندن، حتى انتقل إلى هيدلبرك بألمانيا في أواخر يوليو ١٩٠٧م، وقد منحته جامعة كمبردج "شهادة بكالوريوس الفخرية" في فلسفة الأخلاق نظراً لحضوره المحاضرات مدة عامين دراسيين، ويقول الدراني في كتابه: "ونال إقبال درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة ميونيخ في ٤ نوفمبر ١٩٠٧م وجرت المناقشة بألمانيا". (١)

وإن كانت الرسالة مكتوبة بالإنجليزية وسافر من ألمانيا بعد ذلك إلى لندن وأقام بها حتى عودته إلى الهند في يوليو ١٩٠٨م.

وهيدلبرك مدينة جامعية صغيرة على شاطئ نهر نيكرو بالقرب من جامعة ميونيخ، وقد أقام بها إقبال في مسكنها الجامعي إلى نوفمبر ١٩٠٧م، يعني الأربعة شهور تقريباً وقد تعلم بها اللغة الألمانية وشعرها وفلسفتها تحت توجيهات ثلاث أستاذات له وهن الأنسة "ينيشال" و"يجناست" و"ساست"، كما أنه استفاد من توجيه الأستاذ "ران" وابنته "الأنسة ران" في جامعة ميونيخ، وتحكي الدكتورة مائي (May):

"أن إقبال استكره في أول الأمر أن يتعلم من النساء الشابات ولكنه قبل ذلك حين عرف انهن يساعدن الطلاب أكثر من غيرهن". (٢) فتعلم إقبال منهن علوم نافعة .

وبعد الحصول على شهادة الدكتوراه في ألمانيا، عاد إقبال إلى لندن لإكمال المرحلة الأخيرة من دراسة القانون، فأكملها في مايو ١٩٠٨م وحصل على شهادة التخصص في الحقوق في أوائل يوليو. ثم رجع إلى بلاده، وامتدت فترة إقامة إقبال هذه بلندن تسعة شهور تقريباً، وفي أثناء ذلك حدث: "أن أضطر الأستاذ آرنولد إلى الانقطاع عن عمله كأستاذ العربية في جامعة لندن لبضعة شهور، فاختار إقبال ليحل محله أستاذ اللغة العربية لفترة امتدت ستة أشهر". (٣) هكذا اكمل إقبال مراحل تعليمه وظهر كمفكر مبدع وكشخصية بارزة في مجال العلم والأدب.

- ١- وراجع الباب الرابع والثامن والعاشر من: س- الف، الدراني، "إقبال يورب مين "أي" إقبال في أوربا" (بالأردية) وأنظر: محمد منور، بروفيسور، وأظهر، ظهور أحمد: حياة إقبال، مجلة إقباليات (عربي) العدد الأول: ١٩٩٢م، تحت عنوان، حياة إقبال، ص ٦.
- ٢- خليل الرحمن، عبد الرحمن: إقبال وموقفه من الحضارة الغربية، ص ٦٩-٧٠.
- ٣- خليل الرحمن، عبد الرحمن: إقبال وموقفه من الحضارة الغربية، ص ٧٠-٧١.
- انظر: محمد منور، بروفيسور: مجلة إقباليات. تعريب: أظهر ظهور أحمد، الدكتور. العدد الأول ١٩٩٢: ص ١٣-١٤.
- انظر: جمال الدين، محمد سعيد، الدكتور: شرح جاويد نامه (رسالة الخلود)، ص ٢-٤.
- انظر: المصري، حسين مجيب، الدكتور، جمال الدين محمد سعيد، الدكتور: روضة الأسرار لمحمد إقبال، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية ١٦٥ شارع محمد فريد ١٩٧٧م. ص ١٨. وانظر: عزام عبدالوهاب، الدكتور: محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، ص ٣٦.

## عودته إلى وطنه

لبث إقبال في أوروبا ثلاث سنين، ثم رجع إلى وطنه سنة ١٩٠٨م. ولما مرّ به هلي استقبله أصدقاؤه وعارفوه كما ودعوه قبل ثلاث سنين، وزار مزار نظام الدين أولياء. كما زاره حين سفره إلى أوروبا. (١) وبلغ إقبال لاهور في السابع والعشرين من حزيران سنة ١٩٠٨م واحتفل كثير من أهل لاهور بعد غيبة ثلاث سنين. (٢)

## اشتغاله بالمحاماة

وقد نال إقبال شهادة المحاماة في لندن، وبعد العودة في لاهور، واختار المحاماة كمهنة، وبلغ أعلى الدرجات في المحاماة بفضل ذكائه وعلمه وبيانه وخلقه، وأنه كان لا يقبل قضية حتى يعلم أن وكيله محق في القضية التي يوكله فيها وأنه يستطيع أن يأخذ له حقه، وصار محامياً حتى سنة ١٩٣٤م قبل وفاته بأربع سنوات، إذ اضطره المرض إلى تركها. ولم يكن هواه في المحاماة، فكان يقضى أكثر أوقاته وجل همه في تأليف الكتب ونظم الشعر.

ويقول مبشر الطرازي:

”وكان يحضر حفلات جمعية ”حماية إسلام“ السنوية وينشد فيها قصائده، ومنها ”العتاب والشكوى“ واشتكى فيها إلى الله على لسان المسلمين لما حل بهم، وذكر أعمال المسلمين الخالدة في سبيل نشر الإسلام وفي سبيل الجهاد والإصلاح.“ (٣) وسرع حفظ هذه القصيدة الرجال والنساء.

## اهتمامه بالتدريس

رجع إقبال إلى التدريس في الكلية الحكومية التي تخرج فيها، ويأخذ خمس مائة روبية كوظيفة، ثم استقال من الكلية بعد أن عمل بها نحو سنة ونصف واكتفى بالمحاماة. وحدث خادمه الوفي علي بنخش:

”سألته حين استقال من الكلية لما ذا استقلت؟ فأجاب: يا علي بنخش إن خدمة الإنكليز عسيرة، وأعسر ما فيها أنني لا أستطيع أن أحدث الناس بما في نفسي مادمت في خدمتهم، وأنا اليوم حرّ، ما شئت قلت وما شئت فعلت.“ (٤)

١- عزام، عبدالوهاب، الدكتور: محمد إقبال، سيرته وفلسفته وشعره، ص ٣١-٣٢.

٢- نفس المرجع: ص ٤٣-٤٤.

٣- الطرازي: عبد الله مبشر: المفكر الإسلامي الكبير محمد إقبال، ص ٧-٨.

- وانظر: الندوي، أبو الحسن علي الحسني: روائع إقبال. ص ٣٢.

٤- عزام، عبدالوهاب، الدكتور: محمد إقبال، سيرته وفلسفته وشعره، ص ٥٥.

- وانظر: الطرازي، عبد الله مبشر، الدكتور: الشاعر الإسلامي الكبير ممد إقبال. مجلة اقباليات (عربي) العدد الأول، ١٩٩٢م، ص ١٠٣.

- وانظر: الأعظمي، محمد حسن، وشعلان، صاوي علي: فلسفته إقبال شاعر الباكستان، ص ٣-٥.

- وانظر: حميد نسيم: علامة إقبال، همارے عظیم شاعر. كراتشي، باكستان: فضلي سنز المحدودة الذاتية، ١٩٩٣م

واستقالة إقبال من الكلية لم تقطع صلته بالجامعة، فكان يعمل في مجالسها، وقد لبث سنين عميد الكلية الدراسات الشرقية ورئيساً لقسم الدراسات الفلسفية، وكان ذائفة دائمة بالكلية الإسلامية في لاهور، وكذلك كان كثير الاهتمام بالجامعة الملوية في دهلي، كما عمل في مؤتمر المائفة المستديرة للنظر في إصلاح التعليم في الهند". وقد استمر محاولاته العلمية والاصلاحية لمسلي شبه القارة الهندية خاصة ولمسلي العالم عامة.

## دعوته إلى إنشاء باكستان

وبذل إقبال جهوده لتحرير مسلمي الهند وقام لدعوة انشاء باكستان وفي هذا الصدد رأس الدورة السنوية للرابطة الإسلامية في الهند التي عقدت في مدينة إله آباد في سنة ١٩٣٠م وألقى فيها خطاباً شهيراً، وبيّن فيه لأول مرة فكرة الباكستان بكل وضوح. (١)

وكذلك عمل إقبال في حزب الرابطة الإسلامية ومحمد علي جناح (الملقب بالقائد اعظم) كان رئيسه، وكتب إقبال إليه سنة ١٩٣٧م، فقال له فيه:

"إن خير وسيلة إلى الإسلام في الهند في هذه الأحوال أن تقسم البلاد على قواعد جنسية ودينية ولغوية، وإن المسلمين والهنادكة لا يمكن أن يسيروا في قافلة واحدة إذ لا يمكن أن يجتمع الفكر والإسلام". (٢)

وتحدث إقبال عن إنشاء باكستان ذات مرة لعلامة أبي الحسن الندوي في سنة ١٩٣٧م قبل إنشاء باكستان فقال:

"إن أمة لا تملك أرضاً تستند إليها لا دين لها ولا حضارة، فانما الدين والخصارة بالحكومة والقوة، وإن إنشاء باكستان هو الحل الوحيد للمشاكل التي يواجهها المسلمون في هذه القارة الهندية، وهي الحل الوحيد للمشكلة الاقتصادية، وأشار إلى نظام الزكوة وبيت المال في الإسلام". (٣)

فكان إقبال أول من دعا إلى تقسيم الهند بأن يكون للمسلمين بها موطن يخصهم وللهندادكة موطن يخصهم ونادى به محمد علي جناح وجاهد من أجله (٤) حتى قامت دولة باكستان الإسلامية سنة ١٩٤٧م. (٥)

- ١- مجهول: ذكرى محمد إقبال، ص ١٠.
- ٢- الطرازي، عبد الله مبشر، الدكتور: المفكر الإسلامي الكبير محمد إقبال، ص ٩-١٠.
- ٣- الندوي، أبو الحسن علي، الحسيني: روائع إقبال، ص ١٨.
- ٤- الطرازي، عبد الله مبشر، الدكتور: المفكر الإسلامي الكبير محمد إقبال: ص ١٠.
- ٥- أنظر: ترجمة خطب إقبال في كتاب "فلسفة إقبال والثقافة الإسلامية في الهند وباكستان".
- وانظر: مقالات: إقبال عالمي كانغريس، ٢ دسمبر إلى ٨ دسمبر، ج ٣، دانش گاه بنجاب، ١٩٧٧م.

وهكذا خدم إقبال بلاده وخدم الإسلام عن طريق الشعر والعلم وعن طريق المحاماة والسياسة، بل نجح في تأثيره في الرأي العام حتى أصبحت للمسلمين في شبه القارة الهندية دولة مستقلة ذات سيادة كدولة باكستان الإسلامية.

## محاضرات في أرجاء الهند

كان العلامة إقبال (١) دائم الاتصال بمعاهد العلم في لاهور وغيرها، وكانت الجامعات تدعوه إلى زيارتها والمحاضرة فيها. دعي إلى مدراس سنة ١٩٢٨م فألقى محاضرات هناك، وبدأ محاضراته التي أكملها من بعد في اله آباد وعليكره، والتي جمعت فسميت "إصلاح الأفكار الدينية في الإسلام". (٢) وهي أعظم كتب إقبال في الفلسفة.

## مشاركته في السياسة

فلسفة إقبال في السياسة فلسفة أمل وعمل، وجهاد وإقدام، ودعوة وعزة. فهي عون للأمم المجاهدة لحريتها وكرامتها، تبعث فيها النور والنار.

وقد توجه إقبال دعوته إلى البشرية عامة والمسلمين خاصة، وأخذ من التاريخ الإسلامي أمثلة لفلسفته وصورا لشعره، فقد كان شعر إقبال أنا شيد مسلمي الهند المجاهدين، أشعل في نفوسهم ثورة على سلطان الإنجليز، وقد شارك إقبال في سياسة بلاده بأقواله، وأفعاله ورأس مجامع سياسية وكان عمادا قويا لحزب الرابطة الإسلامية.

وألح عليه أصدقاؤه سنة ١٩٢٦م أن يشح نفسه في انتخاب الجمعية التشريعية في بنجاب، فأيدته الناس وانتخب بغير عناء، ولا تزال خطبة في هذه الجمعية شاهدة بعمله فيها، ودعا الناس إلى الإتحاد لخلاص البلاد من الإستعمار. (٣)

## التطور في كلامه

وقد اكتسب الكثير من الأفكار الحديثة التي كانت أوزان الشعر وقيوده توشك أن تضيق بها ولا تتحملها، لكن إقبال بما أوتي من لباقة وسعة أفق وامتلاك لناصية القول، استطاع أن يجعل الشعر أطوع له من بنانه، وأشد تلبية له من خادمه الوفي الأمين، وهكذا مزج إقبال الشعر بالعلم وخلط قواعد الفلسفة وقوانينها بخفة الخيال وروعته، فخرجت أوزانه قوية المعنى والمبني، أو كما يقول عنها:

"كفاح شديد و ضرب شديد فلا ترح في الحرب عرف الوتر" (٤)

١- يغلب على ألسنة الخاصة والعامة ذكر إقبال مع لقب "العلامة".

٢- The Reconstruction of Religious thought in Islam

٣- انظر: عزام عبد الوهاب، الدكتور: محمد إقبال، سيرته وفلسفته وشعره، ص ٥٢.

٤- نجيب الكيلاني، الدكتور: إقبال الشاعر التأثر: ص ٣٢، وانظر: الندوي، أبو الحسن علي الحسيني: روائع إقبال، ص ٣.

وعاد إقبال إلى وطنه، بعد أن لا حظ ذلك، كثير التحدّث عن الإسلام وثقافته، وشديد التحمّس في دعوة الشاب المسلم إلى التمسك بدينهم وجمع كلمتهم، فألقى عدة محاضرات في موضع الإسلام، بلندن نشرتها الصحف الهامة المعروفة وكانت مواضيع تلك المحاضرات مثل "الإسلام والتصوف" وأثر الإسلام على الحضارة الغربية، والإسلام والديمقراطية والإسلام والعقلانية وأمثال ذلك، وقد جمعت هذه المحاضرات ونشرت بعنوان "تجديد التفكير الديني في الإسلام". (۱)

وكذلك بدأ إقبال يشعر بآثاره النهضة والنشاط وملاحم الحياة الجديدة في كيان الأمة المسلمة، فأخذ يبشر بأن الحضارة الإسلامية هي التي سوف تسود العالم وتقود البشرية بعد انهيار الحضارة الأوربية فكان من ضمن المقطوعة المذكورة:

نکل کے صحرا سے جس نے روما کی سلطنت کو الٹ دیا تھا سنا ہے قید سیوں سے میں نے وہ شیر پھر، شیر ہوگا (۲)

(لقد سمعت من أصحاب المعرفة والكرامة أن ذلك الأسد الذي، قد قلب حكم الروم وقضى على حضارتها في السابق عقب خروجه من الصحراء، سوف يصحون من نومه من جديد".

والتغير الثاني الذي حدث في شخصية إقبال، خلال تلك الأيام، أنه بدراسة الفلسفة وبمطالعة الأوضاع السياسية والأحوال الواقعية التي كان يمرّ بها العالم وبالأخص العالم الإسلامي، يومذاك يكره الشعر والخيال ويزداد شغفه بالفلسفة والاقتصاد والقانون والسياسة يوماً بعد يوم، حتى إنه قرّر يوماً أن لا ينظم الشعر مطلقاً ولا يضيع وقته في الاشتغال فيه، وحين عرض إقبال هذه الفكرة على الأستاذ آرنولد لم يوافق عليها كذلك وقال:

"إن شعرك ليس خيلاً مجرداً بل إنه يؤثر على القلوب فيثير الحياة والنشاط فيها ويدعو الناس

إلى الكفاح والعمل، فلا ينبغي أن تهجره اطلاقاً". (۳)

فاستمر إقبال في تشييداً الشعر وفقاً لوصية أستاذه آرنولد صديقه الشيخ عبد القادر.

والتطور الثالث الذي طرأ على فكره أثناء تلك الفترة وتأثرت به شاعريته فيما بعد أنه أخذ يقرض معظم شعره بالفارسية بينما كان ينظمه قبل ذلك بالأردية فحسب، ومن أسباب تحوله إلى قول الشعر بالفارسية:

أولاً: إن أسلوب الشعر الأردّي المعروف إلى عصره، بينما اللغة الفارسية كانت تملك تراثاً

۱- ترجمة إلى العربية الأستاذ عباس محمود بهذا العنوان، ونشر في القاهرة ۱۹۵۵م

۲- كليات إقبال (بالأردية) علامه إقبال، ص ۱۴۰.

۳- عبد الرحمن خليل الرحمن: إقبال وموقفه من الحضارة الغربية. ص ۷۲.

- وانظر: اكبر على، الشيخ: إقبال، اس كى شاعرى اور پينغام (الاردية). الطبعة الأولى، لاهور، باكستان: كمال

بيلشرز، ۱۹۴۶م.



معروفاً في ذلك النوع من الشعر وقد ازداد إقبال معرفة به حين أعدّ رسالته "تطور الميثافزيقا في فارس".

ثانياً: إن مجال الفارسية كان أوسع من الأردية حينذاك، فإنها لغة تتكلم بها دولتان إسلاميتان إيران وأفغانستان وكانت تفهم كثيراً في الهند وكان يعرفها أهل تركستان و تركيا وعدة مناطق في روسيا، وكان السبب في هذا التغيير حادث حكاها السير عبد القادر:

"أن إقبال قد دعى في مجلس بلندن يسمع الحضور شيئاً شعره بالفارسية، فاعترف إقبال بأنه لم ينظم بعد شيئاً يعتد به بالفارسية ولكنه حين رجع إلى غرفة النوم، نظم مقطوعتين طويلتين بالفارسية، فمنذ ذلك الحين، أخذ إقبال يقرض شعره بالفارسية". (١)

بدأ العهد الأخير الذي انتهى إلى وفاته، وقد ازداد فيه فكره نضجاً، وأفق معارفه اتساعاً، وقد انتظمت دعوته، واتضحت رسالته، فنشرله عدة كتب بالفارسية، وقد أثر اللغة الفارسية لشعره لأنها أوسع من الأردية، وهي اللغة الإسلامية التي تلي اللغة العربية في الأهمية والانتشار في العالم الإسلامي، ويتكلم بها قطران مهمان إيران وأفغانستان، وتفهم في الهند، ويحذقها كثير من أهلها، وأهل تركستان وروسيا و تركيا، ونشر مجموعتين بالأردية، فأما الديوان الفارسية هي: "أسرار خودي" يعنى (أسرار معرفة الذات) و"رموز بيخودي" (أسرار فناء الذات) و"بيام مشرق" (رسالة الشرق) في جواب كتاب "جوته" "رسالة الغرب" و"زبور عجم" و"جاويد نامه" (رسالة الخلود) "و پس چه بايد كرد أى أقوام شرق" (الآن..... ماذا نصنع يا أمم الشرق) و"مسافر" و"أرمغان حجاز" (هدية الحجاز) وبالأردية "بال جبريل (جناح جبريل) "بانك درا" (صلصلة الجرس) و"ضرب كلیم" (ضرب موسى) وغير هذه الكتب، محاضرات ألقاها في مدينة "مدراس" طبعت باسم. (Reconstruction of religious thought in Islam) ومحاضرات ألقاها في جامعة كمبردج". (٢)

## التطور في شعره ونثره

بعد العودة إلى وطنه تغيرت فكرة إقبال وصار وجوده مخزن العلم والأدب وهكذا أبدع في قلمه، وعند ما يكتب مع هذا التنوع فكره، نرى تغير بين في كلامه، قبل ذهاب إلى أوروبا و بعد العودة إلى الوطن، وخلف إقبال وراءه مؤلفات عديدة باللغات الثلاث: الأردية، والفارسية والإنجليزية والآن نستعرض كلامه فيما يلي.

- ١- عبد الرحمن، خليل الرحمن: إقبال وموقفه من الحضارة الغربية، ص ٧٣.
- ٢- الندوي، أبو الحسن على الحسيني: روائع إقبال، ص ١٩. انظر أيضاً: محمد منور: أبحاث ذكرى إقبال الثموية، لاهور: جامعة سحاب، قسم الاقباليات. مطبعة المكتبة العلمية، ١٥ شارع ليك ١٩٨٢ م. ص ٥٤.

## في الشعرية

لإقبال تسعة دواوين وكتب أخرى، انظرها مرتبة على تواريخها:

رقم الاعداد	اسم تصانيفه	سنوات النشر	أرقام الطباعة	عدد
١	أرسرا خودي (بالفارسية)	١٩١٥ إلى ١٩٥٩	طبعة ٦ مراراً	١٣٠٠
٢	رموز بي خودي (بالفارسية)	١٩١٨	//	//
٣	پیام مشرق (بالفارسية)	١٩٥٨-١٩٢٣	٩ طبعة	١٨٠٠٠
٤	بانك درا (بالأردية)	١٩٦٢-١٩٢٤	٢١ طبعة	١١٤٠٠٠
٥	زبور عجم (بالفارسية)	١٩٥٩-١٩٢٧	٧ طبعة	١٦٤٠٠
٦	جاويد نامه (بالفارسية)	١٩٥٩-١٩٣٢	١٤ طبعة	٦٠٠٠
٧	مسافر (بالفارسية)	١٩٣٤	=	=
٨	بال جبريل (بالأردية)	١٩٦٢-١٩٣٥	١٢ طبعة	٦٢٠٠٠
٩	پس چه بايد كرد (بالفارسية)	١٩٥٩-١٩٢٦	١٠ طبعة	١١٠٠٠

### (نظمها حينما أغارت ايطاليا على الحبشة)

رقم الاعداد	اسم تصانيفه	سنوات النشر	ارقام الطباعة	عدد
١٠	ضربِ كلیم (بالأردية)	١٩٥٩-١٩٣٦	١٠ طبعة	٤٣٠٠٠
١١	ارمغان حجاز (بالأردية والفارسية)	١٩٥٩-١٩٣٨	٧ طبعة	٢٢٠٠٠

وقد طبعت تصانيف إقبال رحمة الله عليه كمايلي:

٣٠٥٠٤٠٠.

”ثلاثة مائة ألف و خمسه آلاف وأربعة مائة“ (١).

- ١- ترجمة: الأعظمي، محمد حسن: اللألي الإسلامية الغالية، من أفكار إقبال و سعدي العالية (العربية والاردية)، كراتشي، باكستان: عالمي تنظيم اتحاد العالم الإسلامي. ص ٣٠٨.
- وأنظر: وحيد الدين فقير، السيد: روزگار فقير (الأردية) ٢١٥/١-٢١٦.
- انظر: انتخاب مقالات إقباليات: حيات و سيرت إقبال (الاردية) ايك اجمالی خاكه (وصف محمل) ص ١١، وفهرس محلة (جرنل تافكر و نظر) ١٩٨٨ م.
- انظر: إقبال كى تصانيف (تصانيف إقبال) روزنامه مشرق (الجريدة اليومية المشرق) ١٢ يوليو ١٩٨٨.
- انظر: عزام، عبد الوهاب الدكتور: پیام مشرق. ص ٩.

ولا بأس علينا أن نعرض الآن كلامه بالموجز، لتعارف خصائص كلامه:

## ١- "أسرار خودي ورموز بي خودي" (أسرار الذات و نفي الذات) باللغة الفارسية

منظومتان على القافية المزدوجة، وهما منظومتان طويلتان يبين فيهما الشاعر فلسفته الأبنائية.

## ٢- "پیام مشرق" (رسالة الشرق) باللغة الفارسية

طبع هذا الديوان أول مرة سنة ١٩٢٣م، وكتب الشاعر فوق عنوانه: "ولله المشرق

والمغرب".

وكتب تحته: جواب ديوان الشاعر ألماني كوته. (١)

وفيها الأقسام الآتية:

١- شقائق الطور ٢- الأفكار ٣- الخمر الباقية

٤- نقش الفرنج ٥- الدقائق

وقد ترجمت هذا الديوان إلى العربية، وطبع في كراتشي. (٢)

## ٣- "بانك درا" (صلصلة الجرس) باللغة الأردية

وأما دواوينه الشعرية باللغة الأردية فأولها "بانك درا" أي صوت الجرس (١٩٢٤م)، فهو

يحوي المختار من شعره الذي يرجع إلى المراحل الثلاثة الأولى أو المبتدأة من حياة إقبال

الشعرية. (٣)

## ٣- "زبور عجم" بالفارسية

وهو من أجود شعرة وهذا الديوان منقسم في أربعة أقسام. وهذه الأقسام كلها تعرف باسم

زبور عجم، وقد جمعت في مجلد واحد عليه هذا العنوان، ولكن يتبين من العناوين الداخلية أن

القسمين الأولين هما زبور عجم، وألحق بهما القسمان الأخيران بعنوانين منفصلين. (٤)

وقد ألحق بهذه المجموعة مثنويان آخران هما (كلشن راز جديد) و بندكي نامه (كتاب

العبودية). (٥)

١- ١٧٤٩م-١٨٣٢م.

٢- عزام، عبد الوهاب، الدكتور: محمد إقبال، سيرته و فلسفته وشعره، ص ١٣٤-١٣٦. وانظر: أحمد معوض،

الدكتور: العلامة محمد إقبال، حياته و آثاره. ص ٢٢٩-٢٣٩.

٣- محمد منور، بروفيسور: حياة إقبال، ص ٣.

٤- عزام، عبد الوهاب، الدكتور: محمد إقبال، سيرته و فلسفته وشعره، ص ١٣٦-١٣٨.

٥- أحمد معوض، الدكتور: العلامة محمد إقبال، حياته و آثاره، ص ٢٥٣.

## ٣- جاويد نامه (رسالة الخلود) بالفارسية

ألف إقبال هذا الكتاب باللغة الفارسية و هو يعتبر ردا على مؤلف الشاعر الإيطالي (دانتي Danta) ويسمى مؤلفة *Devine Comedy*. صوّر إقبال في هذا الكتاب سياحته في الأفلاك يروده فيها جلال الدين الرومي، (١) حيث تشرف بقرب الإلهي والتجليات الربانية. ويخاطب في آخر هذا الكتاب ابنه جاويد و بذلك يبلغ رسالته إلى جميع الشباب كما يرشد الأجيال الجديدة بما يناسب ميولهم ومقتضيات عصرهم. (٢)

## ٦- مسافر باللغة الفارسية

ويقول عبدالوهاب عزام:

وفي سنة ١٩٣٤م نشر مسافر (باللغة الفارسية) وهي منظومة مزدوجة، سجل فيها ما جال فكره، وجاش في قلبه، حينما سافر إلى أفغانستان محيياً لدعوة الملك نادر شاه كما قدمت في الكلام على سيرته. وخاطب في هذه المنظومة نادر شاه، وقبائل الأفغان، وهو كثير الإعجاب بشجاعتهم وحريرتهم. (٣)

## ٤. "بالِ جبريل" (جناح جبريل) بالأردية

نشر هذا الديوان أول ما نشر في سنة ١٩٣٥م، وقد ترجم هذا الديوان إلى اللغة البشتوية نثراً ونظماً وإلى البنغالية.

ويقول عبدالوهاب عزام:

"والديوان قمة أشعار إقبال بالأردية، حيث يكشف من خلال قطعه و غزلياته وقصائده عن الحقائق والتعاليم والحكم التي تعين المرء والأمة على تثبيت الإيمان ودعم الإخلاص، وتحيل الأفراد إلى مؤمنين، مخلصين معتقدين في أمتهم، وتحصنهم من الإفتنان بالغرب وتقيهم منه" (٤)

## ٨- "پس چه بايد كردای اقوام شرق" (الآن..... ماذا نصنع يا أمم الشرق) بالفارسية

ويقول عبد الوهاب عزام في كتابه:

"منظومات مثنوية نشرت سنة ١٩٣٦م بعد أن استولت إيطاليا على الحبشة. وهذه

١- الشاعر العظيم في عهد العباسي، ولد في بغداد سنة ٨٣٦م وتوفي سنة ٨٩٦م.

٢- شاه ولي، عبدالرحمن: العلامة محمد إقبال (١٨٧٧-١٩٣٨)، ص ٤٦.

٣- عزام، عبد الوهاب، الدكتور: محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره. ص ١٤٠، انظر: أحمد معوض، الدكتور:

العلامة محمد إقبال حياته وآثاره، ص ٢٢٦-٢٢٧.

٤- عزام، عبد الوهاب، الدكتور: محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، ص ١٣٨-١٣٩.

المنظومات في جملتها حكمة بالغة، وشعر بليغ نفثهما الشاعر حين حزنه أحوال المسلمين، وحزنه مارأى من فنون الحضارة الأوربية، وخلالها وجور سياستها، وقسوة قاداتها، وعدوانهم على الأمم الضعيفة. (١)

## ٩- "ضربِ كلِّم" باللغة الأردية

وقد طبعت هذه المجموعة الشعرية لأول مرة في ١٩٣٦م وكان الدكتور "عبد الوهاب عزام" (٢) أول من ترجم هذا الكتاب إلى العربية..... في سنة ١٩٠٩م، ثم ترجمه إلى الفارسية الدكتور خواجه عبد الحميد عرفاني، وأيضا ترجم إلى البشتوية وإلى التركية.

ووصف الشاعر هذا الديوان بأنه إعلان بالحرب على العصر الحاضر. وقد صدره بأبيات إلى السير حميد الله خان، "حاكم بهوبال"، وبعد التمهيد ينقسم الديوان إلى ستة موضوعات وهذه الموضوعات هي:

- ١- "الإسلام والمسلمون
- ٢- التعليم والتربية
- ٣- المرأة
- ٤- الأدب والفنون الجميلة
- ٥- السياسة في المشرق والمغرب
- ٦- أفكار محراب كل أفغان

ويتضمن هذا الديوان فلسفة إقبال وآراءه..... (٣)

## ١٠- "أرمغان حجاز" (هدية الحجاز) باللغتين: الفارسية والأردية

هذا الديوان نشر بعد وفاة الشاعر، فيه آخر أفكاره، وختام نظراته، ولكن فيه منظومة مهمة عنوانها مجلس شوزاي إبليس.

وتضم هذا الكتاب على قسمين: "الأول منهما رباعيات ومقطعات بالفارسية، وأما القسم الثاني من المجموعة فبالأردية" وقد ترجم إلى اللغات المتعددة.

## مؤلفات إقبال النثرية

ولإقبال مؤلفات فكرية كتبها نثراً لا شعراً، ونوردها حسب أهميتها، لا حسب تسلسلها التاريخي.

### ١- تجديد التفكير الديني في الإسلام

ويتألف الكتاب من مجموعة محاضرات ألقاها إقبال باللغة الإنكليزية في مدراس وحيندر آباد وعليكورة (الهند) خلال عام ١٩٢٨م-١٩٢٩م، وقد نشرت المجموعة الأولى في لاهور عام ١٩٣٠م تحت عنوان:

١- عزام عبد الوهاب، الدكتور: محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، ص ١٤٠.

٢- سفير مصر في باكستان.

٣- أحمد معوض، الدكتور: العلامة محمد إقبال، حياته وآثاره، ص ٢٦٨-٢٦٩.

”ست محاضرات في تجديد التفكير الديني في الإسلام“ ونشرت المحاضرات في جامعة أكسفورد عام ١٩٢٤م مضافاً إليها محاضرة جديدة بعنوان ”تجديد التفكير الديني في الإسلام، عام ١٩٥٤م وطبعة ثانية عام ١٩٦٨م. وكتب إقبال مقدمة لمحاضراته هذه بدأها بقوله:

القرآن الكريم كتاب يعني بالعمل أكثر مما يعني بالرأى، ويقول بعد أسطر قليلة:

”ولقد حاولت في هذا المحاضرات التي أعدتها بناء على طلب الجمعية الإسلامية بمدراس وحيدر آباد وعليكره، بأن أحاول بناء الفلسفة الإسلام، إلى جانب ماجرى على المعرفة الإنسانية من تطوير في نواحيها المختلفة، واللحظة الراهنة مناسبة كل المناسبة لعمل كهذا“.(١)

ونلقي نظرة سريعة على هذه المحاضرات القيمة، لعلنا نلتمس بعض ما أراده إقبال في تحريك الفكر الإسلامي، وإيقاظه من سباته الطويل.

### المحاضرة الأولى: المعرفة والرياضة الدينية

يبين إقبال مصادر المعرفة الإنسانية، وأن القرآن الكريم يسوي بين نواحي الإدراك الإنساني كلها في الاستمداد منها لمعرفة الحقيقة النهائية، ويقول إقبال:

”ولا بد من أجل إدراك هذه الحقيقة، أن يصحب الإدراك الحسي هذا الإدراك الذي يسميه القرآن“.(٢)

وتكلم إقبال في هذه المحاضرة عن قيمة الإدراك الديني في المعرفة الإنسانية و بين قدر الإلهام، ولالإلهام في فلسفة إقبال مكانة عالية، وهو يرى أن الفكر والإلهام ليسا متنافرين، بل ينبعان من أصل واحد، وكل منهما يكمل الآخر، وفي الحق أن الداهية، كما يقول برغسون.

”ليست إلا ضرباً عالياً من التفكير“.(٣)

### المحاضرة الثانية: برهان الفلسفة المدرسية على وجود الله

”وهي الدليل الكوني ودليل العلة الغائبة، والدليل الوجداني ونقد هذه الأدلة من قبل الفلسفة الحديثة ويصل في النهائية إلى أن حقائق التجربة، تسوغ القول بأن ماهية الحقيقة ماهية روحية وينبغي أن نتصورها ذاتاً، ولكن مطمح الدين يسمو فوق مطلب الفلسفة، فالفلسفة نظر عقلي معنى الأشياء، أما الدين فيهدف إلى إتصال بالحقيقة أقرب و أوثق، فالفلسفة نظريات، أما الدين فتجربة حية ومشاركة وإتصال وثيق، وينبغي على الفكر لكي يحقق هذا الإتصال أن يسمو فوق ذاته“.(٤)

١- الترجمة العربية: عباس محمود: تجديد التفكير الديني في الإسلام- ج ٢- ص مقدمة الكتاب.

٢- الترجمة العربية: عباس محمود: تجديد التفكير الديني في الإسلام، ٧/٢.

٣- الترجمة العربية: عباس محمود: تجديد التفكير الديني في الإسلام، ٧/٢.

٤- نفس المرجع: ص ٧٤.

### المحاضرة الثالثة: الألوهية ومعنى الصلوة

يبين إقبال تصور إله في القرآن، ويقول: إن أكبر عناصر هذا التصور من وجهة فكرية خالصة، الخلق، والعلم والقدرة والبقاء. ويقول إقبال في هذا المحاضرة:

”وإن الحقيقة العليا ذات، ومن هذه الذات العليا تتجلى الذوات الأخرى بالخلق، والعالم في كل أجزائه، من الحركة الألية فيما نسميه، الذرة المادية إلى حركة التفكير الإرادية في الإنسان، وكل ذرة ذات حركة إلهية هي ذات مهما انحطت مكائنها في الوري“ (١)

وينتقل إقبال إلى الكلام في الصلوة فيقول ما خلاصته:

”والدين لا يقنع بالتصور فحسب بل يطلبه إتصلاً بمقصوده، ووسيلة هذا الإتصال العبادة أو الصلاة، الصلوة وسيلة إلى استنارة روحية تصرف بها الذات الإنسانية، هذه الجزيرة الصغيرة، إنها موصولة بحياة أوسع، وكون أفسح“ (٢)

### المحاضرة الرابعة: الذات الإنسانية حريتها وخلودها

يبين إقبال كيف عمت المسلمين جريه مشئومة على خلاف ما علمه الإسلام وأكدته من حرية الذات، ويقول:

”إن هذه الجبرية التي عرفها الأوروبيون في كلمة ”قسمة“ ترجع إلى غلبة الفكر الفلسفي وإلى المطامع السياسة وضعف نبض الحياة التي بثها الإسلام في نفوس المسلمين“ (٣)

ثم يقول إقبال:

”نشأت على خلاف دعوة أئمة المسلمين، جبرية مهلكة، وشاعت نظرية الأمر الواقع لتحصيل منافع لبعض الناس و تيسير مطامعهم، وليس هذا أمراً بدعاً فقد احتج فلاسفة محدثين على أن نظام رأس المال في الجماعة نظام أبدي، حدث مثل هذا في تاريخ المسلمين ولكن درج المسلمون على التماس، أدلة مذاهبهم في القرآن، ولو على خلاف معانيه الواضحة فكان للتأويل الذي يحتج به الجبرية آثار بالغة في الإضرار بالجماعة الإسلامية“ (٤)

### المحاضرة الخامسة: روح الثقافة الإسلامية

عند إقبال ينابيع المعرفة الإنسانية ثلاثة كما بين ذلك القرآن وهي:

الإدراك الباطن الطبيعية، والتاريخ والاستقاء من هذه الينابيع تبلغ الثقافة الإسلامية أنضر

١- عزام، عبدالوهاب، الدكتور: محمد إقبال، سيرته وفلسفة وشعره، ص ١٦٠.

٢- نفس المرجع: ص ١٦١.

٣- عزام، عبدالوهاب، الدكتور: محمد إقبال، سيرته وفلسفة وشعره، ص ١٦٢.

٤- نفس المرجع، ص ١٦٣.

صورها. وإن الفكر الإغريقي لم يحدر خصائص الثقافة الإسلامية، وإن فكرة ختم النبوة لم تعرف قيمتها في الثقافة الإسلامية إذ هي تدل على أن النبوة في الإسلام بلغت أوج كمالها، قد أبطل الإسلام سلطان الأحبار والرهبان، ودعا إلى الرجوع إلى العقل والإعتبار بالتجربة. وأعظم خصائص الثقافة الإسلامية توكيدها في الأنفس "تصور عالم متحرك" وسنن مستمرة.

ومن قواعد الهدى الإسلامي أن الأمم والجماعات مسؤولة عن أعمالها في هذه الحياة، ولهذا يكثر القرآن من قصص الماضين ويأمر بالنظر في تجارب الأمم غابرها وحاضرها ويقوم تعليم القرآن في هذا الشأن على أصلين:

الأول: وحدة الأصل الإنساني، ويبين القرآن كثيرا أن الناس خلقوا من نفس واحدة. والثاني: قوة الشعور بأن الزمان حقيقي و تصور الحياة سيرا مستمرا في الزمان، وإن يدرك قادة العقول والأرواح في الأمم حقيقة هذه الأصول الإسلامية يظفر الإنسان بعالم للمعيشة أفضل من هذا". (١)

### المحاضرة السادسة: مبدأ الحركة في بناء الإسلام

وتكلم فيها إقبال عن تصور الإسلام العالمي على أنه عالم حركة. وقال إن الإسلام ينكر أو أصرا الأنساب، ويعترف بالأواصر الروحية ويقرر أن حياة الإنسان روحية في كنهها ولا يمكن التطلع إلى أساس نفساني تقوم عليه الوحدة الإنسانية إلا إذا عرفنا أن الحياة الإنسانية روحية، وأن هذه الحياة الروحية دائمة في أصلها متغيرة في مظاهرها، فالجماعة الإنسانية ينبغي أن تقوم على أول دائمة في عقائدها وسننها متغيرة في مظاهرها وأحوالها والحركة في الجماعة الإسلامية بالاجتهاد وأن من أقوى أسباب ضعف المسلمين وإهمال وإبطال الاجتهاد. (٢)

### المحاضرة السابعة: هل الدين أمر ممكن؟

ذلك سؤال يشغل الإنسان في كل عصر ولا سيما في عصرنا، والعالم كله يلتمس أساسا يبني عليه وتام الناس وسلاستهم.

عند إقبال الدين في أعلى صورته ليس أحكاما جامدة ولا يتسير إلا بالدين تهيئة الإنسان المعاصر لحمل العبث الثقيل الذي يحمله إياه تقدم العلوم في عصرنا، والدين وحده يرد إليه الإيمان والثقة اللذين يسيران له اكتساب شخصية في هذه الدنيا والإحتفاظ بها في الآخرة، ولا بد للإنسان من الارتقاء إلى تصور جديد لماضيه ومستقبله، ويقهر هذه المدنية التي فقدت وحدتها الروحية بالتصادم الباطني بين الدين والمطامح السياسية.

١- عزام، عبد الوهاب الدكتور: محمد إقبال، سيرته وفلسفته وشعره، ص ١٦٣.

٢- نفس المرجع، ص ١٦٤.



والحق أن يسر الدين والعلم، على اختلاف وسائلها، ينتهي إلى غاية واحدة، بل الدين أكثر من العلم اهتماماً ببلوغ الحقيقة الكبرى. هذه نظرة عاجلة في بعض ماحوته هذه المحاضرات القيمة التي تحتاج من مفكرى الإسلام، والدعاة إلى الله، في هذا العصر العناية بها، وتحليل أفكارها، والاستفادة منها. (١)

## ٢- علم الاقتصاد

وهو أول كتاب لإقبال وضع بالأردنية في الاقتصاد، نشر هذا الكتاب لأول مرة في لاهور سنة ١٩٠٣م وقام بنشره مرة ثانية السيد ممتاز حسين تحت إشراف أكاديمية إقبال بكراتشي في سنة ١٩٦١م.

ويقول أحمد معوض:

”وأصله محاضرات كان يلقيها في الكلية الشرقية بلاهور قبل سفره لاستكمال دراسته في أوروبا وكذلك ألقى محاضرات حول هذه المادة في جامعة كمبردج“. (٢)

## ٣- تاريخ الهند

ووضع إقبال هذا الكتاب ليفيد منه التلاميذ في شبه القارة وألفه إقبال مع لاله رام برشاد بالأردنية وقد نشر في مدينة أمرتسر في سنة ١٩١٣م ويضم الكتاب سيرة الهند وأحوالها في الماضي والمحاضرة وعرضا للأماكن التاريخية المشهودة وتقسيم البلاد قديماً وحديثاً حتى نهاية القرن التاسع عشر وعلوم السنسكريتية وآدابها، وعلوم المسلمين وآدابهم“. (٣)

## ٤- الترجمة والتلخيص بالأردنية لكتاب

تاريخ بريطانيا القديمة للمستتر أستوب.

## ٥- التربة الوطنية

وترجم إقبال هذا الكتاب إلى الأردنية، في نطاق عمله بالكلية الشرقية في جامعة البنجاب، والكتاب أصلاً باللغة الإنجليزية من تأليف المستر ووكر Mr. Walker.

## ٦- أردو كورس (منهج دراسة الأردية)

ألفه إقبال بالاشتراك مع الحكيم أحمد شجاع لتعليم الأردية بالمدارس المتوسطة ونشرت الأجزاء الثلاثة في لاهور سنة ١٩٢٤م. (٤)

١- انظر: عزام، عبدالوهاب، الدكتور: محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، ص ١٦٥.

٢- أحمد معوض، الدكتور: علامة محمد إقبال، حياته وآثاره، ص ٢٢٦.

٣- نفس المرجع، ص ٢٢٨.

٤- نفس المرجع، ص ٢٢٧.

## ٧- آئينه عجم (مرأة العجم)

ومختارات من الشعر والنثر الفارسي جمعها إقبال لطلبة الثانوية ونشر الكتاب في لاهور سنة ١٩٢٨م. (١)

## ٨- تطور الميتافيزيقا في فارس

وهذا الكتاب، رسالة إقبال بالانكليزية، قدمها إلى جامعة ميونخ لنيل شهادة الدكتوراة في الفلسفة وقد نشره لأول مرة سنة ١٩٠٨م، وقد ترجم إلى الأردية والفارسية والبنغالية. (٢)

## ٩- خواطر شاردة

ويحتوي هذا الكتاب على ١٢٥ خاطرة في موضوعات متنوعة في الأدب والشعر والتاريخ والفلسفة والإقتصاد والثقافة، جمعها ولده جاويد إقبال ونشرها بلاهور سنة ١٩٦١م. (٣)

## ١٠- مقالات وخطب إقبال بالانكليزية والأردية

وقد كتبت وألقيت في مناسبات متعددة منها:

- i- مبدأ الوجدانية الإلهية عند الشيخ عبد الكريم الجيلبي مقالة نشرت سنة ١٩٠٠م.
  - ii- الإسلام كمثال خلقي و سياسي (محاضرة ألقاها في حفل جمعية حماية الإسلام السنوية ونشرتها سنة ١٩٠٩م).
  - iii- مسح إجتماعي للأمة الإسلامية (محاضرة ألقاها بجامعة عليكرة سنة ١٩٠٠م).
  - iv- الفكر السياسي في الإسلام مقالة بالانكليزية نشرت في سنة ١٩١١م.
  - v- مقالات متعددة للرد على القاديانية نشرت في الثلاثينات من هذا القرن.
  - vi- خطب متعدد ألقاها في المؤتمر الشرقي الهندي بلاهور سنة ١٩٢٨م، وفي الدورة السنوية للرابطة الإسلامية لعموم الهند، في مدينة اله آباد سنة ١٩٣٠م وخطبة الرئاسة للمؤتمر الإسلامي بالهند ألقىت بلاهور في سنة ١٩٣٢م.
  - vii- أحاديث وبيانات سياسية قدمها بصفته عضواً في المجلس التشريعي للبنجاب خلال سنوات ١٩٢٦م - ١٩٣٠م وأحاديثه بمناسبة مؤتمر المائدة المستديرة الثاني والثالث المنعقدين بلندن خلال سنوات ١٩٣١م - ١٩٣٢م.
- وهو بياناته خلال الفترة الأخيرة من حياته، مقالة في الرد على مقترحات مولانا حسين أحمد المدني التي ظهرت تؤيد إتحاد الشعب الهندي على أساس الوطنية وحديث بمناسبة بدء العام

١- أحمد معوض، الدكتور: العلامة محمد إقبال، حياته وآثاره، ص ٢٢٨.

٢- نفس المرجع، ص ٢٢٩.

٣- نفس المرجع، ص ٢٣٠.

الميلادي الجديد أذيع من محطة لاهور في أول يناير ١٩٣٨م إلى جانب مقالات كثيرة وأحاديث كثيرة جمعت بعد وفاته رحمة الله وهي:

☆ **مضامين إقبال**

للسيد تصدق حسين تاج، نشرت في حيدرآباد دكن في سنة ١٩٤٣م.

☆ **حرف إقبال**

للسيد لطيف أحمد شيرواني، نشرت بلاهور في سنة ١٩٤٨م.

☆ **مقالات إقبال**

للسيد عبد الواحد معيني، نشرت بلاهور في سنة ١٩٦٣م.

☆ **گفتار إقبال (حديث إقبال)**

للسيد محمد رفيق أفضل، نشرت بلاهور عام ١٩٦٩م.

☆ **أوراق كم كشته (الصفحات المفقودة)**

للسيد رحيم بخش شاهين، نشرت بلاهور في سنة ١٩٧٥م.

☆ **أحاديث إقبال و كتاباته و بياناته (بالإنكليزية)**

للسيد لطيف أحمد شيرواني، وقد نشرت لأول مرة في سنة ١٩٤٤م بالاسم المستعار للسيد

شيرواني "شاملو" ثم نشرت على الإضافة والتعديل في سنة ١٩٧٧م.

☆ **أفكار إقبال وخواطره (بالإنكليزية)**

للسيد شاهين حسين رزاق، نشرت بلاهور عام ١٩٧٩م.

١١- **رسائل إقبال**

إن إقبال كان فعالاً متحركاً كفاعل مع حركة المجتمع الفكرية والسياسية، كتب رسائل متعددة تزيد على ألف رسالة إلى الأصدقاء والعلماء والمفكرين والأدباء والزعماء السياسيين وغيرهم إذ يزيد عدد ما أرسلهم إقبال على مائة وخمسين شخصية، وتعبّر هذه الرسائل عن شخصيته وفلسفته في الحياة وقد جمعت هذه الرسائل ونشرت بعد وفاته رحمة الله عليه. وهي حسب ترتيب نشرها الزمني.

١٢- **شاد إقبال**

ونشرت بحيدرآباد دكن في سنة ١٩٤٣م، ورتبها الدكتور محي الدين القادري، تحوي تسعاً وأربعين رسالة وجهها إقبال إلى صديقه السير كشن برشاد شاد.

١٣- **رسائل إقبال إلى جناح**

وتضم ١٣ رسالة بالإنجليزية. وجهها إقبال إلى القائد محمد علي جناح خلال الفترة ما بين

مايو ١٩٣٦م ونوفمبر ١٩٣٧م، وقد نشرت لأول مرة في سنة ١٩٤٣م.

### iii- إقبال نامہ

ورتبها الشيخ عطاء الله ونشرت بلاهور في سنة ١٩٤٥م (الجزء الأول) وتتضمن ٢٦٧ رسالة موجهة إلى أشخاص متعددين.

### iv- رسائل إقبال إلى السيدة عطية فيضي

ونشرت بدلهلي في سنة ١٩٤٥م. وتحتوي على عشر رسائل بالإنكليزية.

### v- إقبال نامہ (الجزء الثاني)

ونشرت بلاهور في سنة ١٩٥١م، وتحتوي على ١٨٧ رسالة موجهة إلى أشخاص متعددين.

### vi- رسائل إقبال إلى خان نياز الدين خان

ونشرت بلاهور في سنة ١٩٥٤م، وتضم ٧٩ رسالة، وخان من أصحاب العلم والثروة في بلدة جالندهر.

### vii- رسائل إقبال إلى السيد نذير نيازي

ونشرت بكراتشي سنة ١٩٥٧م، تضم ١٧٩ رسالة، ونذير نيازي صديق إقبال وأستاذ سابق في الجامعة المليية بدلهلي.

### viii- أنوار إقبال

وتضم ١٨٥ رسالة، نشرت بكراتشي ١٩٦٧م.

### ix- رسائل إقبال وكتاباتہ (بالإنكليزية)

وتضم ٤٣ رسالة نشرت بكراتشي سنة ١٩٦٧م.

### x- رسائل إقبال إلى السيد الكرامي

وتضم ٩٠ رسالة من إقبال إلى صديقه الشاعر الفارسي مولانا غلام قادر كرامي نشرت بكراتشي ١٩٦٩م.

### xi- نوارِدِ إقبال

وتضم ٥٠ رسالة ونشرت في سنة ١٩٧٥م.

### xii- خطوطِ إقبال

وتضم ١١١ رسالة ونشرت بلاهور في سنة ١٩٧٦م.

## xiii- روح مكاتيب إقبال

وجمعها ورتبها محمد عبد الله قريشي، وضم ١٢٣٣ رسالة. (١)

هذه هي مجموعات رسائل إقبال التي كشفت حتى الآن، وأغلب هذه الرسائل موجزة مختصرة، عدا الرسائل الشخصية والعلمية والفكرية وهي مكتوبة باللغة سهلة ميسرة الفهم، وإقبال رحمة الله، فضلا عن هذه المؤلفات الشعرية والنثرية كان يفكر في تأليف كتب عدة وفي موضوعات متعددة، نوه عنها في رسائله الكثيرة وعزم إقبال على تأليف هذه الكتب دلالة على صدق إسلامه وحبه في الإصلاح العالم الإسلامي، ومن هذه المؤلفات وأهمها:

- |                             |                                 |
|-----------------------------|---------------------------------|
| ١- شروح للقرآن الكريم       | ٢- تاريخ الفقه الإسلامي وتجديده |
| ٣- تاريخ التصوف             | ٤- مستقبل الإسلام               |
| ٥- نقد نصوص الحكم لابن عربي | ٦- سيرة القلب والفكر            |
| ٧- تاريخ الأدب الأردني" (٢) |                                 |

ونجد منها أن كان إقبال محب العلم والأدب، يؤمن أن الأدب موهبة كبيرة من مواهب الله، وقوة عظيمة، يحدث به صاحبه الانقلاب في المجتمع، ويضرب به الأوضاع الفاسدة، فلا بد أن يكون في قلم الأديب والشاعر التأثير الذي كان في عصا موسى، وأن يؤدي رسالته في العالم. ويرى الدكتور محمد إقبال:

"أن نظام التعليم الحديث قد أحقق في أداء رسالته وأحقق في إنتاج جيل جديد بحسن الإنتفاع معلوماته، ويحسن استعمال مادته العلمية وثروته الثقافية ويضع كل شيء في محله، ويعيش حياة سعيدة مطمئنة، ويسخر التجارة والكهرباء، ويسخر الطاقة الذرية في الزمن الأخير ولا يملك نفسه وقوته، ويطير في الهواء كالطير، ويسبح في البحار كالسمك ولا يحسن أن يمشي على الأرض، وما ذلك إلا لأن التعليم قد اختل ميزانه، وفسد مزاجه". (٣)

ولهذا يتأكد إقبال على حصول تعليم ديني مع تعليم المادي لاستفادة من بركات وسعادات الإسلام وبهذه الفكر نال إقبال مقام السمو والعلو وكسب شهرة دائمة، وقام بخدمة المجتمع بشعره ونثره.

- ١- انظر: الهاشمي، رفيع الدين: خطوط إقبال، مقدمة الكتاب. وعبد الله قريشي: روح مكاتيب إقبال، ص مقدمة الكتاب. وسيد أعظمي: إقبال دانائے راز (معارف الإسراء) ص ١٢٦-١٢٧)
- ٢- انظر: محمد منور، بروفيوسور، تعريب: أظهر، ظهور أحمد، الدكتور: حياة إقبال، ص ٢-٧.
- وانظر: حياة إقبال، مجلة إقباليات (عربي) العدد الأول ١٩٩٢م، ص ١٤-١٩.
- وانظر: عزام: عبد الوهاب، پیام مشرق، ص ١٠.
- وانظر: عبد الرحمن، خليل الرحمن: محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية. ص ١٢٨.
- وانظر: زينت فردوس، مولانا غلام رسول مهر بحثيث إقبال شناس، مقاله ايم فل: اسلام آباد باكستان: الاقباليات: الجامعة المفتوحة لعلامة إقبال، ٢٠٠١م.
- ٣- الندوي، أبو الحسن علي الحسيني: روائع إقبال، ص ٤٦، ٤٩.
- وانظر: علوي، امجد سليم: مولانا غلام رسول مهر. لاهور، باكستان (اقباليات)، ١٩٨٨م.

## الفصل الرابع

### العوامل التي كوّنت شخصية محمد إقبال

ظهرت شخصية إقبال كعالم بارع وشاعر عظيم ومفكر بديع، ولكن كانت عدة عوامل التي أدت دورها في تكوين إقبال، فينبغي لنا أن نذكر العوامل والشخصيات التي كوّنت شخصيته.

#### أولاً: القرآن الكريم

أما الأستاذ العظيم الذي يرجع إليه الفضل في تكوين شخصيته وعقليته، فهو أستاذ كريم لا يخلو منه بيت من بيوت المسلمين، وقد وصل هذا المهتدي إليه بشق النفس وعلى جسر من الجهاد والتعب، كان سرور محمد إقبال باكتشاف هذا العالم الجديد من المعاني والحقائق أعظم من سرور "كولمبس" لما اكتشف العالم الجديد ونزل على شاطئه.

لقد كانت قراءة محمد إقبال للقرآن قراءة تختلف عن قراءة الناس ولهذه القراءة الخاصة فضل كبير في تذوقه للقرآن، وأثر به فكره وثقافته. ويقول إقبال:

"ويرجع الفضل في كل ما أنشد من شعر ونثر، فكان كل من أنوار القرآن". وعند ما زار إقبال أفغانستان أهدى للملك "نادر شاه" نسخة من القرآن وقد مها إليه قائلاً:

"إن هذا الكتاب رأس مال أهل الحق، في ضميره الحياة، وفيه نهاية كل بداية وبقوته كان علي فاتح خبير، فبكى الملك وقال: لقد أتى علي نادر خان زمان وماله أنيس سوي القرآن، وهو الذي فتحت قوته كل باب". (١)

ويقول الشيخ أبو الحسن علي الندوي:

"ولم يزل محمد إقبال إلى آخر عهده بالدنيا يغوص في بحر القرآن، ويطير في أجوائه ويجوب في آفاقه، فيخرج بعلم جديد إيمان جديد وإشراق جديد، وقوة جديدة وكلما تقدمت دراسته واتسعت آفاقه، أزداد إيماناً بأن القرآن هو الكتاب الخالد والعلم الأبدي وأساس السعادة ومفتاح الأقفال المعقدة وجواب الأسئلة المحيرة، وأنه دستور الحياة". (٢)

ويبين إقبال أهمية القرآن ويؤمن أن لانجاة المؤمن إلا بالقرآن ويجب على المسلم أن يتلو القرآن بالقلب والفهم لاستفاد من بركاته وسعادته، ولكنه حزين على حالة مسلم اليوم هو الذي ينسى مقصد حياته وتراث أجداده وغفل عن تلاوة القرآن وتفهمه وصار كسلان ويعيش حياة المترفين.

١- الندوي، أبو الحسن علي الحسني، مولانا: روائع إقبال، ص ٤٣-٤٤.

- انظر: محمد إقبال، العلامة: مشنوي "مسافر".

٢- الندوي، أبو الحسن علي الحسني، مولانا: روائع إقبال، ص ٤٢-٤٣.

ويقول إقبال في مقطوعة شعرية:

”وإنك أيها المسلم لاتزال أسيراً للمتزعمين للدين، والمحتكرين للعلم، ولا تستمد حياتك من حكمة القرآن رأساً، إن الكتاب الذي هو مصدر حياتك ومنبع قوتك، لا اتصال لك به إلا إذا حضرتك الوفاة فتقرأ عليك سورة يسين لتموت بسهولة فو اعجباً، قد أصبح الكتاب الذي أنزل ليمنحك القوة والحياة يتلى الآن لتموت براحة وسهولة“.(١)

وكانت مكانة القرآن عند إقبال جداً، حتى وصف بالشاعر القرآني وذلك لسببين: أولهما: أنه استسلم فلسفته كلها من القرآن الكريم، وقد أشار سمير عبد الحميد إلى ذلك بقوله: ”إن كل ما يفكر فيه إقبال، كان يفكر بعقل القرآن، وكل ما كان يراه، كان يراه بعين القرآن“.(٢)

وفلسفة إقبال حول الذات الإنسانية، استنبطها من القرآن الكريم، إذ أن كثيرا من الآيات، تذكر الذات الإنسانية في كينونتها وحريتها، و ثوابها وعقابها ونموها الروحي والعقلي.

ويقول إقبال هناك أمور ثلاثة واضحة كل الوضوح في القرآن“.(٣)

١- إن الانسان قد أصطفاه الله

﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ (٤)

٢- إن الانسان بالرغم من أخطائه جميعاً أريد أن يكون خليفة الله في أرضه.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (٥)

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ (٦)

٣- إن الإنسان أمين على شخصية حرة أخذ تبعثها على عاتقه.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا

الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (٧)

وفلسفة إقبال في الإنسان الكامل أخذها من القرآن، قال الله تعالى:

١- أنظر: سمير ، عبد الحميد إبراهيم، الدكتور :المقطوعة الشعرية من ديوان أرمان حجاز.

٢- ابراهيم سمير عبد الحميد ،الأستاذ : إقبال و ديوان أرمان حجاز، ص مقدمة الديوان.

٣- محمد إقبال ، علامه : الترجمة العربية : عباس محمود: تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص ١٩ .

٤- سورة طه، الآية: ١٢٢ .

٥- سورة البقرة، الآية: (٢)

٦- سورة الأنعام، الآية: ١٦٥ .

٧- سورة الاحزاب، الآية: ٧٢ .

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (١).  
وقال الله تعالى في موضع آخر:

﴿إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَىٰ أَنْ نَبْدِلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ (٢)

وهكذا نرى أن كلام إقبال كله ماخوذ من القرآن الكريم.

## ثانياً: السنة النبوية

ويرجع محمد إقبال الفضل في تكوين شخصيته، وتماسكه أمام المادة ومغرياتها وتيار الحضارة الغربية الجارف إلى الاتصال الروحي بالنبى ﷺ، وحب العميق له، وقد كان شديد الإيمان بالإسلام ورسالته، قوي العاطفة، شديد الإخلاص والإجلال لرسول الله ﷺ، متقانياً في حبه، مقتنعاً بأن الإسلام هو الدين الخالد الذي لا تسعد الإنسانية إلا به، وأن النبى ﷺ هو خاتم الرسل، والبصير بالسبل، وإمام الكل. وكما أن إقبال أخذ فلسفته من القرآن الكريم، فكذلك اقتبس كثيراً من أفكاره من السنة النبوية الشريفة، نورد منها على سبيل المثال للعصر.

نظرية إقبال عن الزمان، يورد الحديث الصحيح:

”لا تسبو الدهر فان الله هو الدهر“ (٣)

ويقول إقبال في كتابه ”تجديد التفكير الديني في الاسلام“:

”وهذا الزمان السابح في صمت يبدو لأنظارنا البشرية في صورة قلب الليل والنهار“ (٤)

ويعده القرآن إحدى آيات الله الكبرى.

﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (٥).

وهذا هو السبب في أن النبى قال: ”لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر“

انظر هذا الحديث في شعر إقبال:

زندگی از دهر و دهر از زندگی است لا تسبوا الدهر فرمان نبی است (٦)

الحياة الدهرية من عرفا ”لا تسبوا الدهر“ قول مصطفى (٧)

ولم يزل حب النبى ﷺ يزيد ويقوي بمرور الأيام، حتى كان في آخر عمره إذا ذكر النبى ﷺ

في مجلسه أو ذكرت المدينة، فاضت عينه، ولم يملك دموعه، وقد ألهمه هذا الحب العميق، معان

شعرية عجيبة، منها قوله، وهو يخاطب الله سبحانه وتعالى:

١- سورة ال عمران، الآية: ١١٠.

٢- سورة المعارج، الآية: ٤٠-٤١.

٣- رواه مسلم عن أبي هريرة، ورواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة بلفظ: ”يقول الله تعالى: ”يسب بنو آدم الدهر وأنا الدهر، بيدي الليل والنهار“، وروى بألفاظ مختلفة عن أبي داود والحاكم والبيهقي.

٤- الترجمة العربية: عباس محمود: تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص ٢٠.

٥- سورة النور، الآية: ٤٤.

٦- كلييات إقبال (فارسي) اسرار خودي، ص ١٧٠.

٧- الترجمة العربية: عزام عبد الوهاب، الدكتور: أسرار أثبات الذات، ص ١٧٥.



”أنت غني عن العالمين وأنا عبدك الفقير، فأقبل معذرتي يوم الحشر، وإن كان لا بد من حسابي، فأرجوك يا رب أن تحاسبني بنجوة من المصطفى ﷺ فاني استحيي أن انتسب إليه وأكون في أمته، وأقترف هذه الذنوب والمعاصي.“ (١)

وكان محمد إقبال كثر الإعتداد بهذا الإيمان، شديد الاعتماد عليه، يعتقد أنه هو قوته وميزته، وذخره و ثروته، وأن أعظم مقدار من العلم والعقل، وأكبر كمية من المعلومات والمحفوظات لاتساوي هذا الإيمان البسيط، يقول في بيت:

”إن الفقير المتمرد على المجتمع (يشير إلى نفسه) لا يملك إلا كلمتين صغيرتين، قد تغلغلنا في احشائه وملكتنا عليه فكره وعقيدته، وهما: لا اله إلا الله، محمد رسول الله. وهناك علماء و فقهاء، الواحد منهم يملك ثروة ضخمة من كلمات اللغة الحجازية، ولكنه قارون لا ينتفع بكنوزه.“ (٢)

وهكذا كلام إقبال مملوءة من أمثال النوادر من القرآن الكريم والحديث النبوي.

### ثالثاً: المصادر الغربية

ومكث إقبال بضعة عوام من عمره في أوروبا، فدرس علومها بقلب المفتوح والعيون، وكان إقبال حاضر البديهة و حريصاً على العلم، فتأثر من شخصياتها وعلومها، وسعى أطفأ عطشه للعلم حتى المقدور، نذكر الآن مصادره للعلم والشخصيات من الذين يتأثر به واحداً واحداً.

### الفلسفة اليونانية

إن إطلاع إقبال على الفلسفة الغربية، وجذورها الأولى في الفلسفة اليونانية أمر لاشك فيه، ولا غرابة في ذلك، لأن طالب الفلسفة لا بد له وأن يطلع على تاريخ الفلسفة في جميع العصور وأن يطلع على جميع الحدود الفلسفية في الكون والإنسان والحياة، ولكن هذا لا يدعو إلى القول بتأثر إقبال بالفلسفة اليونانية، وإن تشابه بعض التعابير، أو الافكار عند فيلسوفين، ليس دليلاً على تأثر أحدهما بالآخر.

فقد رأى البعض:

أن هناك شبه بين الإنسان الكامل (٣) عند إقبال والإنسان الكامل عند أرسطاليس. (٤)

- ١- الندوي، ابو الحسن علي الحسيني: زوائج إقبال، ص ٣٧.
- ٢- نفس المرجع: ص ٣٨.
- ٣- الانسان الكامل عند إقبال هو الذي متصف بوصف ”جوذي“.
- ٤- هو الفيلسوف اليونانية وعصره من ٣٨٤ ق م إلى ٣٢٢ ق م. وعند ارسطو طاليس: الانسان الكامل يقال له Superman لا يختلف كثير امن الانسان الكامل لإقبال. ومن شارحي ارسطاليس كانوا ”نكولاس (Nicolus) (القرن الأول ق م) بدمشق و افروديسياس (Aphrodisios) الكيزاندر (ت ٢٠٠ م) تهميستيس (Themistins) (القرن السابع ق م) جان فلويونس (John philoponus) و سميليس (simplicious) (القرن السابع ق م)

وذلك من خلال تشابه بعض العبارات بينهما: فمثلا يقول أرسطاليس:  
 "أنه يجب أن يكون (أى الانسان الكامل) في خدمة الناس ورغم هذا يكون خجلاً حين

تؤدي إليه خدمة". (١)

ويقول إقبال:

"الحذر من منة الغير الحذر" (٢)

ويقول أرسطاليس:

"ان شجاعته ورزينة مرضية، صوته عميق حديثه معروف". (٣)

ويقول إقبال:

"رقيق في حديثه قوي في عمله". (٤)

هذه هي العبارات التي تشير إلى تأثير إقبال بأرسطاليس عند من درس إقبال وهي لا تدل لا في قريب ولا بعيد إلى ذلك، مع العلم أن إقبال اقتبس تصوره يعنى "الانسان الكامل" من التصور الإسلامي ويشير دائماً إلى أن المسلم هو الانسان الكامل.

وإن صفات الشجاعة والرضانة والصوت الجميل ورقة الحديث وقوة العمل، أشار إليها

الرسول في أحاديث كثيرة. (٥)

## ١- جوته (Goethe Johannwalfgang Van) ١٧٤٩-١٨٣٢م

أعجب إقبال بجوته. الشاعر ألماني، وبأفكاره بعد مطالعة ديوانه "ديوان الغرب" الذي ألفه قبل مائة عام من نشر إقبال لديوانه "پیام مشرق" أى "رسالة الشرق". (٦) إذ أن جوته فضل القلب على العقل، وحاول التنسيق بين أفكار الشرق وأفكار الغرب، ونقد الغرب الذي فقد قلبه وروحانيته وانسانيته، وانغمس في المادة ومدح الشرق وروحانية ومافيه من أخلاق إنسانية، ودعا شعوب الشرق بعدم الانخداع بالغرب، وبمعرفة:

﴿وَلِلّٰهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ (٧)

وبعد مطالعة لديوان جوته ينظم ديوانه "پیام مشرق" في جواب ديوان الشاعر ألماني جوته

- ١- النجار، قطب الدين فهيم: محمد إقبال وصلته الثقافية بالعالم العربي وتأثره وتأثيره، ص ١٠١.
- ٢- كليات إقبال (فارسي) اسرار خودي، ص ٧٠. وإشارة إلى قصة عمر حين سقطت درته من يده وهو راكب فنزل ليأخذها ولم يرض أن يناوله يباها أحد.
- ٣- النجار، قطب الدين فهيم: محمد إقبال وصلته الثقافية بالعالم العربي وتأثره وتأثيره، ص ١٠١.
- ٤- كليات إقبال (الاردية) ضرب كلیم، ص ٨٨٩.
- الترجمة العربية: عزام عبد الوهاب، الدكتور: ضرب كلیم، ص ٤٣. إشاره إلى هذا الشعر:  
مع الصّحب لين كمنّ الحرير بعيد من المحكّ المؤمن  
حديد إذا ما طغى باطل جرى لدى المعرك المؤمن
- ٥- قال رسول الله ﷺ: أحسن الناس اسلاماً أحسنهم خلقاً، رواه الطبراني وأحمد و ابو يعلى ورجاله ثقات، وقال: "ان الله رقيق يحب الرفق" رواه مسلم، والأحاديث في هذا الباب كثيرة.
- ٦- ترجمه عزام عبد الوهاب الدكتور: "پیام مشرق" رسالة الشرق.
- ٧- سورة البقرة: ١١٥.

ويؤكد كثيراً من أفكاره، وكتب في مقدمته الثرية:

نظمت "بيام مشرق" لأجيب به الديوان الغربي لفيلسوف الحياة الألماني جوته الذي يقول فيه:  
 "هذه باقه من القصائد يرسلها المغرب إلى المشرق" ويتبين من هذا الديوان أن المغرب ضاق بروحانيته الضعيفة الباردة فتطلع إلى الاقتباس من صور الشرق (١) ويظهر من هذا الديوان أيضاً أن إقبال قرأ قصة "فاوست لجوته" أيضاً وقد أشار للقصة في مقطوعة له في "بيام مشرق، عنوانها "جلال وجوته" وكتب في الحاشية "شاعر ألمان جوته صاحب القصة المعروفة "فاوست" وفي هذه القصة بين الشاعر درجات تطور الإنسان في إطار من رواية قديمة عن العهد الذي كان بين الدكتور فاوست والشيطان، وقد بلغ فيها الفن درجة لا يدركها الخيال". (٢)

ولكن هل تأثر إقبال في ديوانه "جاويد نامه" فاوست". فيقول راشد الحيدري في مقاله "محمد إقبال والثقافة ألمانية":

"وكان تأثير فاوست" في روح إقبال أعمق مما كان تأثير كتاب من الأدب الأوروبي وظن أن هذا الكتاب الشهير. يصور المثل الأسمى للهمم الروحية التي تختص بها الملة ألمانية وأنه أقرب إلى الروحانية من الإنجيل، والواقع أن إقبال لم يتأثر "فاوست" من حيث المضمون أو الموضوع، سوي بعض المشاهد من حيث القالب الغني فقط". (٣)

ونحن مع الدكتور محمد سعيد جمال الدين حينما يقول:

"والواقع أننا إذا أمعنا النظر في هذا القول فسنجد الحيدري يقول:

"إن إقبال تأثر عن طريق جوته بالنبي ﷺ وهذا رأى غير مقبول فمن المعروف أن تأثر إقبال بالنبي ﷺ هو تأثر مباشر وأن جوته نفسه تأثر في كثير من آرائه بالأدب الإسلامي، فالفكرة إسلامية وليست أجنبية، ولا يستقيم أن نقول أن إقبال استقصى أفكاراً إسلامية من مصادر غربية". (٤)

## ٢- ليبنتز (٥)

وكان رياضياً وعالماً من الطراز الأول، قال بالجواهر الفرد أو الموناد أو الجوهر الروحي (٦)

يرى الدكتور مهدي علام:

"أن إقبال يوافق ليبنتز عند ما قال "بالموناد" أو الجوهر الروحي، وأن كل موجود حي، وليس

١- بيام مشرق، ص ١، وقد ترجمها عبدالوهاب عزام إلى العربية، رسالة الشرق.

٢- الترجمة العربية: عزام عبدالوهاب، الدكتور: بيام مشرق، ص ٢٤٦.

٣- نشر في مجلة "فكر وفن" العدد الثاني العام الأول ١٩٦٣، ص ٢٤-٣٤.

٤- جمال الدين محمد سعيد، الدكتور: رسالة الخلود أو جاويد نامه ص ٤٨.

٥- جوتفريد فلهلم، فيلسوف ألماني، ١٦٤٦-١٧١٦م.

٦- يوسف أكرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص ١٢٣-١٢٤.

بين الموجودات من تفاوت في الحياة إلا بالدرجة تبعا لمبدأ الاتصال الذي يستبعد الانتقال الفجائي، وهذا التفاوت بالدرجة هو بحسب درجة تميز الإدراك والدرجات أربع:

مطلق الحي، أى ما يسمى جمالاً، والنبات، فالحيوان، فالإنسان“ (١).  
ويقول إقبال:

كيف تنشأ النفس في داخل النظام الزماني والمكاني، إن تعاليم القرآن واضحة ككل الوضوح في هذا المعنى، إذ يقول:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (٢).

ويقول إقبال:

”وهذا “الخلق الآخر“ للإنسان يتكامل على أساس الجسم المادي، وهو مجموعة من وحدات روحية، بواسطتها تؤثر في دوماً روح أعمق فتمكنى من بناء وحدة من التجربة منسقة (٣).  
ويقول إقبال أيضاً:

”مصرفاً المادة“ هي طائفة من نفوس أو ذرات دنيا تتوالد عنها نفس أو ذات أعلى رتبة، عند ما يبلغ ارتباط هذه الأنفس وتفاعلها درجة معينة من التناسق“ (٤).

ويقول الدكتور ”مهدي علام“ يبدو في هذا القول، تأثيراً لـ”لينتر“، في إقبال قوياً، فالجوهر الفردي أو ”الموناد“ عند ”لينتر“ قوة متجهة إلى الفعل بذاتها حاملة على التلقائية أو هي حياة ونزوع ولها ضرب من الإدراك (٥) والذي أراه أن إقبال أخذ نظريته هذه من القرآن، وليس من ”لينتر“ وقد التقى معه في تفسير المادة فقط، مع العلم أن ”لينتر“ أخذ بعض آرائه من النصرانية، وأصول الدين النصراني إلهي وليس وثني، ولتقي النصرانية مع الإسلام في أصول الدين، أما الآيات القرآنية التي تشير إلى وجود الروح والإدراك في المادة، أو أن المادة مؤلفة من ذرات روحية، فيمكن أن نذكر منها ما يلي: قال الله تعالى:

﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (٦)

١- محمد إقبال علامة، الترجمة العربية: عباس محمود: تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص ١١٩.

٢- سورة المؤمنون، الآية: ١٢-١٤.

٣- محمد إقبال علامة، الترجمة العربية: عباس محمود: تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص ١١٩.

٤- نفس المرجع.

٥- محمد إقبال علامة، الترجمة العربية: عباس محمود: تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص ١٢١.

٦- سورة البقرة، الآية: ٧٤.

وقال الله تعالى:

﴿تَسْبِخُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (١)

﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ (٢)

﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (٣)

### ٣ نيتشة (فريدريك نيتشة) ١٨٤٤م - ١٩٠٠م

هو فيلسوف ألماني، وهو أديب مطبوع حشر في زمرة الفلاسفة لأنه فكري وكتب في الإنسان، وأخذ أركان مذهبه من شو بنهور ونظريته العود الأيوبي معروفة في الثقافة اليونانية. (٤) ورأى بعض الباحثين أنه متأثر إلى حد كبير بنيتشة في نظريته عن الإنسان الأعلى "سوبرمان" ويقول آخر. (٥)

إن كل من تعمق في دراسة فكر إقبال نجد أثر نيتشة على فكره، كما أن إقبال كان يرد اسمه حتى عام ١٩١٨م، أما إقبال فتأثر بنيتشة في نظرية الإنسان الكامل، فقد رد هو بنفسه على هذا القول في رسالته إلى نيكلسون، فيقول:

"ولقد علمت من الخطاب الذي كتبه إلى شفيع (٦) ماسرني وأتلج صدري فقد لاقت ترجمة أسرار نحودي الانكليزية رواجًا وترجيًا، إلا أن بعض الإنكليز قد أسأوا الفهم وقالوا بتشا به أفكاري وأفكار نيتشة، فهناك فرق بين نظريتي عن الإنسان الكامل وأفكار نيتشة عن "السوبرمان" إلا أنه لسوء الفهم خلط البعض بينهما، وجعلوا هما نظرية واحدة، لقد كتبت مقالاً قبل عشرين سنة عن "الإنسان الكامل" ويؤمها لم أكن سمعت عن نيتشة ولم أرمؤلفاته، ولقد أضفت هذا المقال إلى بحثي المقدم للدكتوراة "فلسفة عجم وعنوانه تطور ما وراء الطبيعة في إيران". (٧)

"الإنسان الكامل" عند إقبال تختلف عن الإنسان الأعلى أو السوبرمان عند نيتشة، فالإنسان الكامل عند إقبال يشرحه الأستاذ الندوي في كتابه الرائع "روائع إقبال" فيقول:

"إن الدكتور محمد إقبال يتمني للإسلام جيلاً جديداً، شابه طاهر نقي ضربه مرجع قوي،

١- سورة الاسراء، الآية: ٤٤.

٢- سورة الرعد، الآية: ١٣.

٣- سورة الانبياء، الآية: ٧٩.

٤- يوسف أكرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص ٣٨٥-٣٩١.

٥- هو الدكتور ظ، انصاري في "إقبال كى تلاش" (في بحث إقبال) ص ٦٢-٦٣.

٦- الأستاذ محمد شفيع، كان عميد الكلية الشرقية بلاهور.

٧- عزام، عبدالوهاب، الدكتور: محمد إقبال، سيرته وفلسفته وشعره ص ٧١.

يجمع بين حلاوة العسل ومرارة الحنظل، هذا مع الأعداء وذاك مع الأولياء، آمالة قليله، ومقاصده جليلة، يجمع بين جلال إيمان الصديق وقوة علي، فقر أبي زر، وصدق سلمان، يصطاد الأسود و يباري الملائكة، ويتحدي الكفر والباطل". (١)

وهذه الصفات كلها مقتبسه من القرآن وسنة النبي ﷺ وسيرته الصحابة رضي الله عنهم. (٢) ويقول الندوي:

"إن محمد إقبال يحدثنا في شعره بأن وجد الإنسان المنشود، وعرفه اتصل به، تفني في شعره بإنسانية وشخصية، إن الإنسان الكامل الذي وجده إقبال، فوجد فيه ما كان ينشده من معاني الإنسانية والقوة والحياء والجمال والكمال هو المسلم، فهو الضالة المنشودة والصورة الكاملة للإنسانية". (٣)

فأين هذا من الصورة التي يرسمها نيتشة للإنسان الأعلى (السوبرمان) فهو يحب الخطر والاضطراب والصدقة والقدرة والذكاء وبالنسبة للمقاصد الخلقية، يحب الحرية والعمل، وهو معجب بنفسه معتز بكرامته، ولكن بدون مبدأ أخلاقي، وإنسان نيتشة لا يعلم بقوانين المساواة والعدل ولا يعرف معني الرحمة والشفقة، فضلاً عن إلحاده بالله تعالى، أما فلسفة الذاتية عند إقبال فهي فلسفة إسلامية خالصة، وأنها ليست مقتسبة من نيتشة ولا من غيره، كما بين ذلك إقبال في رسالته إلى نيكلسون (٤) بل إنه يعترض على نيتشة في كثير من آرائه، يقول إقبال:

"أرى أن الحقيقة هي مجموعة الشخصيات أو الذاتيات وأن تأليفها الاجتماعي ينشأ من الجلال، ومن هذا الجلال (٥) ينشأ الانتظام والاتلاف آخر، هذا الجلال ضروري للبقاء الشخصي، وهو أعلى درجات الحياة، نيتشة ينكر البقاء الشخصي، وأخطأ في هذه نتيجة في تصور الزمان أو الدهر، هو لم يبحث في مسألة الزمان من الجانب الإنساني، وأنا على خلافه أعتقد أن البقاء الشخصي

١- الندوي، أبو الحسن علي الحسيني، مولانا: روائع إقبال: ص ٦٤، أنظر أيضاً عزام، عبد الوهاب، الدكتور: ديوان الاسرار والرموز، دراسة تحليلية سمير عبد الحميد ابراهيم . الطبعة الأولى، لاهور: مطبعة المكتبة العلمية شارع مدرسة البنات . ١٩٧٨ م ص ٢٤-٢٥.

٢- أحمد معوض، الدكتور: العلامة محمد إقبال، حياته وآثاره ص ٣٩١-٣٩٢.

٣- الندوي، أبو الحسن علي الحسيني، مولانا: روائع إقبال، ص ٦٤-٦٥.

٤- رينولد ألين نيكلسون، مستشرق الإنجليزي، عالم بالتصوف الإسلامي تعلم في كمبريدج وغيرها، ودرس العربية والفارسية، واشترك في نشر "تذكرة الأولياء" "للطار" و "اللمع" للسراج، و "ترجمان الأشراق، مقالات في التصوف لابن عربي، وله كتب بالانكليزية، منها "تاريخ الأدب العربية" و "متصوفو الإسلام" و "دراسات في التصوف الإسلامي" ترجمه إلى العربية ابو العلا عفيفي ونشرها، وترجمات من الشعر والنثر عن العربية والفارسية، وكان عصره، ١٨٦٨م إلى ١٩٤٥م.

٥- الجلال، من جلد: أي الصلابة.

أعظم الأمل ولا بد له من الجهد والكاملين، لهذا دعوت إلى الحركة والجد والكدح وكل ضروب العمل، بل الحرب، حتى تستحكم الذات ولهذا نهيت كل النهي عن جمود الصوفية وسكون الرهبان". (١)

وكذلك خالف إقبال نيتشة في نظرية "العود الأبدي" التي نادي بها الأخير، يقول إقبال: "بعد أن عرض النظرية، هذا هو مذهب نيتشة في العود الأبدي، فما هو إلا نوع من الألية أكثر جموداً، لا يقوم على حقيقة قام الدليل عليها "العود الأبدي". (٢) ويقول نيتشة:

"إن مجموع القوي الموجودة في الكون ثابت محدد لا يزيد ولا ينقص ومادام متناهيًا فإن مجموع الأحوال والتراكيب والتعبيرات والتطورات التي تحدث في هذه القوي ولو أنه هائل ولا يمكن تقديره عملياً، إلا أنه لا بد وأن يكون متناهيًا ومحددًا، ولما كان الزمان لانهائياً غير محدد فلا بد أن تأتي لحظة من لحظاته، هما كان من طول المدة السابقة عليها والتي مدت فيها الأحداث الكونية الممكنة كلها، فيها يعود كل تركيب سبق وجوده من قبل". (٣)

وخلاصة رأي إقبال في نيتشة، نجده في جوابه لأحد المتسائلين، وذلك لما أصدر إقبال ديوانه "بال جبريل" أي "جناح جبريل" قال له قائل:

وإني قرأت تصنيف نيتشة للمرة الثالثة ويخيل إلى أنني أقرأه من جديد، فهو طريف الفكرة عميقها قريب إلى الإسلام في بعض أصول تفكره ولعل أحدا لم يقدم إليه الإسلام في عرض سليم وتفكير صحيح، ولجهله بعبادي القرآن ألحد في فلسفته، ولعله نفر من المسيحية لأنه وجد فيها أن العمل الواهن الضعيف هو ابن الله، ورأى أن الأخلاق في المسيحية تبدو في صورة الضعف. فقال إقبال:

"ولقد أصبت اللباب وأدركت الصواب ولهذا السبب قلت عن نيتشة أن قلبه مؤمن وعقله كافر". (٤)

٣- برغسون (هنري برغسون) ١٨٥٩-١٩٤٢ م

هو فيلسوف الفرنسي ويتفق إقبال مع برغسون في نقطتين:

الأولى: وتتعلق بالمعرفة وهي أن الحقائق لا يصلها الإنسان إلا عن طريق الإلهام أو الحدث أو البداهة وهو المعرفة المباشرة.

١- محمد إقبال، علامه: ديوان الأسرار والرموز، ص ٢٥.

٢- محمد إقبال، علامه، الترجمة العربية: عباس محمود: تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص ١٣١.

٣- انظر: نيتشة لعبد الرحمن بدوي، ص ٢٥١-٢٥٢.

٤- علامه إقبال: بال جبريل: جناح جبرائيل ص: مقدمة الديوان.

والثانية: في مفهوم الزمن، وأنه حقيقة مستقلة أما النقطة الأولى والمتعلقة بالحدس كطريق للمعرفة، فقد سبق الغزالي وجلال الدين الرومي، برغسون في هذا، وحتى الفيلسوف ألماني كنط (١) له أثر عظيم في الفلسفة الحديثة أو الأخلاق أمتاز مذهبه بنقد العقل وبيان قصوره وهو القائل "شيئان يملأني اعجاباً:

السماء ذات النجوم فوق رأسي والقانون الخلقى في نفسي (٢)

قال بعدم استطاعة العقل الوصول إلى الحقائق بما وراء الطبيعة، يقول إقبال:

"وعلى أنه لا سبيل إلى انكار أن الدعوة التي نهض لها الغزالي تكاد تكون دعوة للتبشير بمبدأ جديد مثلها في ذلك مثل الدعوة التي قام بها كنط في ألمانيا في القرن الثامن عشر. (٣)  
ثم يقول:

"هذه الدعوة تتجلى بقصور العقل الإنساني في الوصول إلى الحقائق الدينية، فهدم بذلك ما

بناء أصحاب المذهب العقلي من قبل، وصدق عليه القول بأنه من أجل نعم الله على وطن". (٤)

ويتفق إقبال مع برغسون بأن الحدس والعقل، ليسا طريقتين متضادتين إلى المعرفة بل هما

يكملان بعضها البعض، يقول إقبال:

"وليس هناك من سبب يدعو إلى الظن بأن الفكر والبداهة متضادان بالضرورة فهما ينبعان من

أصل واحد، وكل منهما يكمل الآخر، فأحدهما يدرك الحقيقة جزءاً جزءاً أو الآخر يدركها في

جملتها، كلاهما يفتقر إلى الآخر لتجديد قواه، وكلاهما شهود نفس الحقيقة التي تنكشف الكل

منهما على نحوه يتلائم ووظيفته في الحياة، وفي الحق أن الداهة، كما يقول برغسون، ليست إلا

ضرباً عالياً من التفكير". (٥)

أما مسألة الزمان وإتفق إقبال مع برغسون في تصوره، ويقول إقبال في رسالته إلى نيكلسون،

عن تصور برغسون:

"إن الزمان ليس خطأ ممتداً إلى غير نهاية يتحتم علينا المرور به، فهذا التصور للزمان غير

صحيح، فالزمان الخالص لا يدخل فيه تصور الطول، أي لا نستطيع قياسه بمقياس الليل والنهار". (٦)

ولكن إقبال يختلف مع برغسون في القول بزمان مستمر لكل وقت وهذا الرأي قريب جداً

١- كنط: ١٧٢٤-١٨٠٤م.

٢- يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص ١٩٥-٢٤٥.

٣- محمد إقبال علامة، الترجمة العربية: عباس محمود: تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص ١١.

٤- نفس المرجع: ص ١١.

٥- محمد إقبال، علامة، الترجمة العربية: عباس محمود: تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص ٧.

٦- عزام، عبد الوهاب، الدكتور: محمد إقبال سيرته وفلسفة وشعره، ص ٨٢.



من الدهرية. (١) لكن إقبال وجد ضرورة إثبات الارتقاء في كل شئ يقول:

”لا يبقى أي شئ ولا يستقر على صورة واحدة، إن تركيب مزاج الزمان إنما هو من ذوق

الحدة“ (٢) ومن نقاط الخلاف أيضاً:

”أن برغسون يتوقف عند فكرة أن الذات دائماً في تطور وتقلب متواصل، وليس لها هدف

وغاية، فإنها إذا نصب أمامها هدف وغاية ينتهي دورها عند الوصول إلى تلك الغاية، بينما يرى إقبال

أنه لا بد من وجود الهدف والغاية داخل الذات، يعني تربيتها وتقويتها بالمعرفة والعشق والطاعة

والانضباط بالشريعة، وأخيراً بتمكينها من خلافة الله في الأرض“ (٣).

وفي مقطوعة لإقبال في ديوانه ”ضربِ كلِّم“ يخاطب سيداً مصاباً بالفلسفة مستكراً منه

ذلك، فيقول:

لو لم تول ذاتك النسياناً      لم تحملن زنار (برجسانا)

فكيف صاح تحكّم الحياة      وكيف يحتاز الزمان (الذات)

في عصي فلسفة الأشياء      قد مزجت بطيئتي وماني

أحاط إقبال بها تفصيلاً      وإن يكن عرفانه قليلاً

عاقبة العقل إلى شتات      فلسفة بعد من الحياة“ (٤)

هكذا نأخذ أن محمد إقبال تخرج في مدرستين، أما المدرسة الأولى، فهي مدرسة الثقافة

العصرية والدراسات الغربية، فلم يزل يتقلب في فصولها ودروسها ما بين الهند وانجلترا وألمانيا، ويقرأ

على أساتذتها البارعين ويرتوي من مناهلها حتى أصبح من أفاذ الشرق الإسلامي في ثقافته الغربية،

أخذ من علوم الغرب وثقافته وحضارته، من فلسفة واجتماع، وأخلاق واقتصاد وسياسة ومدنية غاية

ما يمكن لغربي متخصص، فضلاً عن شرقي متطفل، وبلغ بدراسة إلى أحشاء الفلسفة القديمة

والحديثة، هذا إلى توسع في الآداب الإنجليزية وألمانية والشعر الغربي في مختلف ادواره وعصوره

ودراسته الفكر الغربي في مختلف أطواره ومراحل حياته.

لو وقف إقبال عند هذه المدرسة واقتصر على ثقافتها ودراساتها لما زاد على أن يكون أستاذاً

كبيراً في الفلسفة أو علم الاقتصاد أو في الأدب أو في التاريخ، أو مؤلفاً كبيراً، أو محاضراً بارعاً في

١- الدهرية: نحلة تعتقد بدوام الدهر ولا تؤمن بيوم القيامة.

٢- محمد إقبال، علامة: إقبال و ديوان أرمغان حجاز، ص ٤٩-٥٠.

٣- عبد الرحمن، خليل الرحمن: محمد إقبال و موقفه من الحضارة الغربية، ص ١٥٥، ١٦١-١٦٨.

٤- عزام، عبد الوهاب، الدكتور: ضرب كلِّم، ص ١٠.

- وانظر: نونسوي، طاهر، السيد: إقبال اور مشاهير (الأردنية)، ص ١٨٩-١٩٨.

العلوم العصرية، أو أديبا، أو شاعراً مجيداً، أو محامياً ناجحاً في مهنته، أو قاضياً في محكمة أو وزير في دولة، ونفوذه في العقول والقلوب، يرجع إلى المدرسة الثانية التي تخرج فيها.

## البواعث الأخرى

ويقول أبو الحسن علي الحسيني الندوي في هذا الصدد:

”أنها مدرسة ماخاب من تعلم فيها، وما ضاع من تخرّج منها، أنها مدرسة لم تخرج إلا أئمة الفن المجتهدين، وواضعي العلوم المبتكرين، وقادة الفكر والإصلاح المجددين، الذين يشغلون المدارس ورجالها بتفهم ما قالوا، ودراسة ما كتبوا، وشرح ما خلّفوا، وتعليل ما ألفوا، وتأييد ما أثبتوا، وتفصيل ما أجملوا، فيتكوّن من كلمتهم كتاب، ومن كتابهم مكتبة، إنها مدرسة ما تعلّم التاريخ بل تلد التاريخ، وما تشرح الفكرة بل تضع الفكره، وما تنتخب الآثار بل تنتج الآثار، أنها مدرسة توجد في كل مكان وزمان، وهي أقدم مدرسة على وجه الأرض، أنها مدرسة داخلية تولد مع الإنسان، ويحملها الإنسان معه في كل مكان، هي مدرسة القلب والوجدان، هي مدرسة تشرف عليها التربية الألهية وتمدها القوة الروحية، قد تخرج محمد إقبال في هذه المدرسة، كما تخرج كثير من الرجال الموهوبين، وحدث عنها كثيراً في شعره، ورد إليها الفضل في تكوين سيرته وعقليته وأخلاقه وشخصيته، وصرح مراراً بأنه يدين لهذه المدرسة ما لا يدين للمدرسة الخارجية، وإنه لولا هذه المدرسة وتربيتها لما ظهرت شخصيته، ولما اشتعلت مواهبه، ولا اتضحت رسالته، ولا تفتحت قريحته. وقد حدّث عن معلمي هذه المدرسة وأساتذتها كثيراً وذكر فضلهم عليه“ (١)

## إقامته في أوروبا

ويبين عبدالوهاب عزام إقامته في أوروبا:

”وكان إقبال في أوروبا ذلك الحين كثير التحدث عن الإسلام وثقافته وحضارته وألقى محاضرات في الإسلام نشرتها الصحف الكبيرة، وقد دلت آراؤه وشعره من بعد، أنه لم يُعجب بحضارة أوروبا، ولم يخل عليه تمويهها ولا أبرق عليه لألّاؤها“ (٢)

”وفي أثناء ذلك، توسع إقبال في قرأته عن نيتشة (٣) وهيجل (٤) وشوبنهاور (٥) وغيرهم

١- الندوي، أبو الحسن علي الحسيني: روائع إقبال ص ٢٤.

٢- عزام، عبدالوهاب، الدكتور: محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، ص ٢٩-٣٠.

٣- ١٨٤٤م-١٩٠٠م.

٤- جارج وليهم فريدك هيجل الفيلسوف ألماني ١٧٧٠م-١٨٣١م.

٥- الفيلسوف ألماني ١٧٨٨م-١٨٦٠م.

وقارن بينهم وبين فلاسفة الشرق، أمثال ابن سينا (١) وابن رشد (٢) وابن عربي (٣) و جلال الدين الرومي (٤) والشيرازي (٥) وغيرهم من الفلاسفة والمتصوفين، ولقد أصبح إقبال بعد ذلك ضليعاً في الفلسفة وعلم الأخلاق، دارساً للقانون أعمق دراسة، وقد أعانه ذلك على بحث تاريخ الثورات الكبرى، كالثورة الفرنسية، وعرف عن كتب حضارة الغرب الحديثة، وعرف مقوماتها ودوافعها وأهدافها، وأدرك عيوبها وآخذها، وتيقن أنها نهضة مادية رائعة، لكنها نهضة عقلية لا قلب لها، ولا روح فيها". (٦)

ويقول إقبال عن دراسته في أوربا:

"وكننت كطائر يقع على شبكة فيقرض الحبال، ويأخذ الحب ويطير بسلام، يعلم الله أنني رحلت في هذه العلوم واكتويت بنارها، من غير أن أرزا في عقيدتي وخلقي وصلتي بك، وقد جلست في نارها شجاعة، وخرجت منها بسلامة كما كان شأن إبراهيم عليه السلام مع نار نمرود، لقد بقيت هذه الملة ذاهلاً عن نفسي، جاهلاً لشخصيتي، حتى لما وقع بصري على لم أعرف نفسي، لقد اقتطفت من علوم الغرب شيئاً كثيراً، وتناولت من حمرة حائته كأساً دهاقاً، ياله من صداع اشتريته، ولقد عشت بين علمائه وفلاسفته، وبين غيره الحسان، يالها من فترة صدعت رأسي، وكدرت بالي، ذلك لأنني نشأت في حضارة الحب والإيمان، خلأنا سبني ولا يملأ فراغ نفسي إلا العاطفة والحنان". (٧)

ثم يقول إقبال عن الحضارة الغربية:

"إن عينه بصيرة ولكنها جافة لا تدمع لقد زهدت في صحبته لأنه علم ولا هم، وأرض مقدسة ولا زمزم". (٨)

والآن ماهي النتيجة التي وصل إليها إقبال، قال للغربيين:

- ١- الفيلسوف الفرس، ١٠٣٧م-١٩٨٠م.
- ٢- الفيلسوف العربية، ١١٢٦م-١١٩٨م.
- ٣- عبد الوهاب بن العربي بن يوسف الفاسي، أبو الفضل، أديب من القضاة، مولده ووفاته بفاس، ١٦٠٠م-١٦٦٨م.
- ٤- أبو الحسن علي بن العباس بن جريج، المعروف ابن الرومي، ٨٣٦-٨٩٦م.
- ٥- عبد الحادي بن إسماعيل الشيرازي، ١٨٨٨م-١٩٦٢م.
- ٦- الكيلاني، نجيب، الدكتور: إقبال الشاعر الثائر، ص ٣١-٣٢.
- انظر: نيازي، نذير، السيد: دناك راز (الأردية)، (المعارف الاسرار)، ص ٢٩٤-٢٩٥.
- انظر: المحفوظ، حازم محمد أحمد عبد الرحيم: الحكيم الأمة و شاعر الاسلام علامة محمد إقبال، ص ٥٣-٥٥.
- ٧- الجوهري، عبد اللطيف: مع إقبال شاعر الوحدة الاسلامية، الطبعة الأولى، مصر: مكتبة النور، ٥ شارع الأهرام، أو كسي، ١٩٨٦م ص ١١٤.
- ٨- نفس المرجع، ص ١١٥.

”إن حضارتكم سوف تقتل نفسها بخنجرها

إن العرش لا يثبت على غصن لطيف ضعيف مضطرب (١)

لأنها حضارة كافرة القلب ضائعة الروح، وموازن القوي المادية هذه في تغيير و تبدل دائم، فهي إن كانت المغرب اليوم ولو أراد الغرب للبشرية خيراً، للتلافي ما وقع فيه من أغلاط، في وسائله وأهدافه وسياسته. ولدى إقبال الحضارة الشرقية خير من الحضارة الغربية بسبب خصائصها غير محدودة .

## الفصل الخامس

### اتصاله بالشعب ووفاته

#### اتصاله بالشعب

لقد عاش إقبال منذ بدأ حياته إلى نهايته لوطنه ولأصحاب وطنه، وكان خفق قلبه على حزن المسلمين وأحوالهم وفاضت عيونه بالدموع دائماً، وأنشد شعراً لشباب وطنه ودعاهم إلى التحرير وسعى حطم اغلال العبودية بشعره وهكذا اتصل إقبال بشعب وطنه.

ويقول سيد تفضل علي في هذا الصدد:

”لقد ظهر إقبال وعاش في فترة تدهور من التاريخ الإسلامي، وقد أحزنته هذه الحقيقة، كما حزن في نفسه تدهور أحوال المسلمين الذين شيدوا في فجر حياتهم الامبرا طوريات الواسعة، وقدموا للعالم رجالاً عظاماً أدهشوه بأفكارهم الجديدة وقوة شخصياتهم، وقد رأى إقبال في أحوالهم الحاضرة نقيضاً يعبت على خيبة الأمل، ومن هنا نشأ اهتمامه بمستقبل مسلمي العالم أجمع ومسلمي الهند بوجه خاص، وكان إقبال بوصفه مفكراً سياسياً أول مسلم هندي يعلم بدولة إسلامية، وهي الفكرة التي اعتبرها الكثير من فكره غير عملية بعيدة عن الواقع.“ (١)

و رأى إقبال المسلمين ضعفاء مستضعفين تركوا العمل والسعي وتخلفوا عن ركب التمدن، بل يئسوا من الرقي والتمدن، ومن هنا كانت دعوته إلى العمل والأخذ من الرقي ومدنية العصر مايناسب، ولم يخضع إقبال فقط لظروف زمانه، ولكنه أيضاً كان له القدرة على التحكم في هذه الظروف بل وتحريكها كيفما شاء، فكان بشعره وأفكاره وبصيرته من أهم العوامل المعركة للمجتمع الهندي في زمانه، فقد كان مصوراً رائعا وصادقا لأحاسيسه، وما يمر به المجتمع الهندي آنذاك من اضطرابات وتناقضات أحس قواد الأمة إزاءها بضرورة البحث عن الجديد وظهر عدم صلاحية الأقدار القديمة للمجتمع، وكانت هذه ضرورة فالبحت عن الجديد يمد جزوره ليصل إلى كل مجالات الحياة. وإقبال عاد شجنات كبيرة من المعارف والتجارب وبدأت حياته تتبلور داخل خبراته الواسعة في أوربا ومن خلال دراساته الشاملة عن الحضارة الغربية ومقوماتها ومحاسنها وعميوبها، بدأ إيقاظ شعور المسلمين ليبحث فيهم روحاً جديدة ويستعددهم لحمل رسالتهم الخالدة ويبدأ إقبال يدعو، بل إن من أهم معالم رسالته الدعوة إلى الإعتماد على النفس، كان إقبال يحس أن أكبر داء الشرق عامة وداء المسلمين خاصة، كان فقد ان عزة النفس وضياع علو الهمة، فأصبح الرضا بالمدلة شعارهم والصبر على الهوان من طبعهم لذلك يخاطبهم:

”اعرف حقيقتك أيها الزارع لأنك أنت الحب وأنت المزرعة وأنت الماء وأنت المحصول،

١- تفضل علي، السيد: إقبال، رائد من رواد الحركة الإسلامية، القاهرة: قسم الصحافة والاستقلات سفارة

هل يرتعش قلبك من خوف الطوفان مع إنك أنت الربان وأنت البحر وأنت السفينة وأنت الساحل، وأسفاه على جهلك لأنك أصبحت محتاجاً الى الساقى“ (١)

وقد أبرز شخصية إقبال في البداية كشاب متحمس للهند وأهل الهند، ثم تغير فكره تدريجياً واختلف تصوره للقومية شيئاً فشيئاً بدراسة العميقة للإسلام والفلسفة الغربية والشرقية على السواء، واستنتج في نهاية الأمر أنه لا بد من التغيير في الفكر، ولقد عاصر إقبال من المفكرين والشعراء من تناول قضية المجتمع الإسلامي وتراجع الحضارة الإسلامية من شبه القارة الهندية، كما عاصر مجموعة من المفكرين ساعدوه بلاشك في تكوين أفكاره وبلورة تصوراتهم وكان من هؤلاء الرجال: الشيخ “عبدالقادر” والشاعر “أكبر اله آبادي (من الهند)” والشاعر “حالي (من الهند)”.

ويقول، د، امجد حسين:

”أن إقبال تميز عن “أكبر اله آبادي في أنه لم يكتف بنقد الحضارة الغربية فقط وعن “حالي” في أنه لم ينبهر بالحضارة الغربية، ولم ينفر من الحضارة الشرقية ونستطيع أن نلمس هذا الفرق في أشعارهم جميعاً، كما أيد الله إقبال بأساتذة كبارا من الشرق والغرب مثل “مير حسن” والسير “أرنولد” الذين أثروه تأثيراً ظهر فيما بعد في أشعاره وفلسفته“ (٢)

وكان الإنكليز منذ أن وطئت أقدامهم البلاد الهندية في القرن السابع عشر وقبل أن يهدموا صرح الأباطورية الإسلامية سنة ١٨٥٧م يعتمدون على الهنادكة في تيسير سياستهم لأنهم كانوا يعلمون بأن المسلمين لن يخلصوا لهم لأنهم سلبوهم ملكهم، ولكن الهنادكة كانوا مخلصين للإنكليز وكانت كل سياستهم تدور حول الاستيلاء على الهند مباشرة أو تحت حكم الإنكليزي، وقد أخذ كثير من المسلمين في بادئ الأمر بالمؤتمر الهندي وانضموا إليه لأنهم ظنوا بأن الهنادكة يعملون للوطن وليس للهند وكية، ولكن العلامة إقبال أدرك بعين بصيرة وبماله من معرفة بما تنطوي عليه الديانة الهندوكية من عداة للإنسانية، بأنه من المستحيل أن يعمل الفريقان معاً لخدمة الهند ومصالح أهلها كلهم من غير تفريق بين دين وآخر، ولذا فإنه كان من دعاة خلق دولة إسلامية وأخرى هندوكية، وقد فهم بعض زعماء المسلمين والمتأخرين هذه الحقيقة، وانفقوا برأي العلامة إقبال، وفي مؤتمر اله آباد الذي انعقد سنة ١٩٣٠م تحت رياسة العلامة إقبال، قال في خطبته الافتتاحية بضرورة إقامة دولة إسلامية وأخرى هند وكية، وأصر على ذلك:

”لأن لكل من الفريقين آداباً وأخلاقاً وعادات وعقائد تختلف عن الفريق الآخر، وأن الهنادكة على الرغم من أنهم كانوا يعيشون في ظل الأباطورية المغولية وغيرها من الممالك الإسلامية التي ظهرت في الهند عيشة سعيدة يلقون فيها كل احترام ومحبة وتكريم من قبل المسلمين، فأنهم كانوا

١- ابراهيم، سمير عبد الحميد، الدكتور: إقبال وديوان أرمخان حجاز، ص ١٦٥-١٦٦.

٢- أحمد أمجد حسين، دكتور، وإبراهيم أحمد إبراهيم، دكتور: محمد إقبال شاعر مشرق، ص ٦-٧.

حاقدين على المسلمين لأنهم انتزعوا منهم ملايين الهنادكة الذين اعتنقوا الإسلام طائعين مختارين". (١)

وقد تأثر كثير من الزعماء بأقوال إقبال، فأصبحوا يفكرون عن إنشاء دولة مستقلة لمسلمي الهند. قال إقبال في خطبته بلندن حينما تولى في مؤتمر المائدة الستديرة رئاسة اجتماعه السنوية سنة ١٩٣٢م.

"أنا لا أقبل الوطنية كما تعرفها أوروبا، وليس أنكاري أياها خوفاً من أن تضر بمصالح المسلمين في الهند ولكن أنكرها لأنني أرى فيها بذور المادية الملحدة، وهي عندي أعظم خطر على الإنسانية في عصرنا، لا ريب أن الوطنية لها مكانها وأثرها في حياة الإنسان الأخلاقية ولكن العبرة في الحقيقة بأيمان الإنسان وثقافته وسننه التاريخية، وهذه هي في رأي الأشياء التي تستحق أن يعيش لها الإنسان ويموت من أجلها لا بقعة الأرض التي اتصلت بها روح الانسان اتفاقاً". (٢)

وكتب إقبال إلى محمد علي جناح الملقب بالقائد الأعظم رئيس الرابطة الإسلامية سنة ١٩٣٧م، فقال:

"أن خير وسيلة إلى الإسلام في الهند في هذه الأحوال أن تقسم البلاد على قواعد جنسية ودينية ولغوية". (٣)

وكان إقبال أول من دعا إلى أن تقسم الهند فيكون للمسلمين بهاموطن يخص لهم، إذ رأى محالاً أن يعيش سكان الهند جماعة واحدة أو جماعتين معاوتين.

### تصوير للشباب المسلم عند إقبال

وتصوير الشباب المسلمين عند إقبال كان واضحاً، ويؤقن إقبال أن الشباب كانوا قوة الوطن ورأس المال لقومهم وسبباً لاجتماع العالم الإسلامي في صف واحد، فينبغي لهم أن يتصفا بالخصائص المتنوعة.

وبين إقبال خصائص الشباب المسلم قائلا:

"هو طاهر نقي وضربه موجع قوي، إذ كانت الحرب فهو في صولته كأسد الثرى، وإن كان الصلح فهو في وداعته كغزال الحمى، يجمع بين حلاوة العسل ومرارة الحنظل، هذا مع الأعداء وذاك مع الأولياء، إذ تكلم كان رقيقاً، وإذا جدّ في الطلب كان شديداً حفيماً، وكان في حالتي الحرب والصلح عفيفاً نزيهاً، أماله قليلة، ومقاصده جلييلة، غني القلب في الفقر، فقير الجسم والبيت في الغنى،

١- حقي، إحسان، الدكتور: نداء إقبال، مؤتمر إقبال بدمشق، الطبعة الأولى، دمشق: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ١٩٨٦م. ص ٦٤-٦٥.

٢- عزام، عبد الوهاب، الدكتور: محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، ص ٣٨-٣٩.

٣- تونسوي، طاهر: حيات إقبال (الأردنية) (حياة إقبال)، ص ٢٢-٢٣. وانظر: أغا يمين، الدكتور: إقبال اور نژادنو (الأردنية)، مجموعة مقالات. الطبعة الأولى، لاهور، باكستان: ظفر سنز برنترز، كوبر رود، ١٩٨٦م. ص ٢٩-٣٠.

غيرور في العسر رؤوف كريم عند اليسر، يظماً أن ابدى له الماء منة، ويموت جوعاً أن رأى في الرزق ذلة، إذ كان بين الأصدقاء كان حريراً في النعومة، وإن كان بين الأعداء كان حديداً في الصلابة، كان طلاوندي، تفتتح به الأزهار وترف به الأشجار، وكان طوفاناً تصطح به الأمواج وترتعد له البحار، إذا عارض في سيره صخوراً وجبالاً، كان شلالاً، وإن مرفي طريقه بحدائق، كان ماءً أسلسالاً“ (١).

ويبين صفاته مزيداً قائلاً:

”يجمع بين جلال ايمان الصدق وقوة على، وفقر أبي ذر وصدق سلمان، يقينه بين أوهام العصر، كمصباح الراهب في ظلمات الصحراء، يعرف في محيطه بحكمته وفراسته وبأذان السحر، الشهادة في سبيل الله أحب إليه من الحكومات والغنائم يقتنص النجوم، ويصطاد الأسود، ويباري الملائكة، ويتحدى الكفرو الباطل أينما كانا، يرفع قيمته ويزيد في سعره، حتى لا يستطيع أن يشتره غير ربه، شغلته مآربه الجليلة، وحياة الجد والجهاد عن زينة الجسم والتألق في اللباس، وشعر بانسانية، فترفع عن تقليد الطاووس في لونه، والعندليب في حسن صوته“ (٢).

هذه صورة الشاب المسلم عند إقبال الذي يكون متصفاً بثروة ”خودي“ (الذاتية) وعرفاناً كاملاً.

## وصية اقبال للشباب المسلم

وكان إقبال متفكراً عن الشاب السلم المعاصر الذي قد أنسى مقاصده وآماله ومنصب أجداده وصار كسولاً، لا يحسن إقبال تصوير الشاب المسلم هذا، فيقول مخاطب لهم:

أنسيت عهداً كنت نجم سماءه	من قبل أن تجدد النجوم مدارا
أنسيّت أنك من سلالة أمة	داست قوافلها أريكة دارا
عرب الصحارى شمسها وغمامها	آساد غابتها حداة جمالها
وهبوا الشعوب بعدلهم مدنية	لم تشرق الدنيا بغير جمالها
نهضوا فكانوا للعصور كواكبا	ملكوا فكانوا للنوال بحارا
الفقر فخري من حديث بينهم	قد كان عنوانا لهم وشعارا
لو أن شعري كان ريشة مبدع	لم يُغن وصف مصور أو شاعر
كيف انتسبت لهم وأين ورثتهم	ليكون مجد الأمس مجد الحاضر
فكنوزنا في أرضهم ربح لهم	وخسارة نشقى بها في أرضنا
هيا سراعاً يا شباب الى العلى	حتى يرد العزم سابق عزنا“ (٣)

١- الندوي، أبو الحسن علي الحسيني: روائع اقبال، ص ٦٤.

٢- نفس المرجع، ص ٦٥.

٣- سعيد احمد، أمجد حسين، الدكتور، وإبراهيم، محمد إبراهيم، الدكتور: محمد إقبال شاعر مشرق، الطبعة

الأولى، مصر. القاهرة: سفارة جمهورية باكستان ١٩٩٧م ص ٧١-٧٢.



هكذا نرى أن كل آمال إقبال ارتبطت من الشباب المسلم وهو يتقن أن هو الشاب المسلم الذي قدر أن يتغير مقدر بنفسه ومقدر قومه بقوة جهد عقله، لونا المنصب الأولي الذي كانوا حاز أجدادهم وهو يمكن فقط بإيقاظ شعور الشباب المسلم، وقام إقبال بهذه مسؤولية، وأتم واجباته بأحسن طريق في حياته واتصل الشباب وأيقظ فهم الدين والقوم والقوة والعزة فيهم بشعره.

## حياة إقبال في نظرة واحدة

١٨٧٦م	”ولد في سيالكوت
١٨٩٠م	ذهب إلى لاهور لإكمال دراسته
١٨٩٧م	نال شهادة B.A
١٨٩٩م	نال شهادة M.A
١٩٠٥م	ذهب إلى لندن
	نال شهادة الدكتوراه في الفلسفة
١٩٠٨م	من جامعة ميونيخ
١٩٠٨م	رجع من لندن فعمل محاميا في لاهور
١٩٢٧م	انتخب عضوا في الجمعية التشريعية في بنجاب
١٩٣٠م	انتخب رئيس الرابطة الإسلامية
١٩٣١م	ذهب إلى مؤتمر المائدة المستديرة في لندن
١٩٣٢م (١)	والي المؤتمر الاسلامي في بيت المقدس

## سيرة إقبال

لقد كان إقبال رجلا تقيا ومحبا للعلم والأدب، وعاش للجمال والحق والخير، كان قيثاره علوية تهتف لبني الانسان في كل أمة، لأنه مسلم، ”والمسلم عند إقبال صاحب إيقاظ والفهم ويقول: ”المسلم كالشمس يتوهج ضوءها الساطع حيث طلعت..... وحاجة الكون إليه ليست أقل من حاجته إلى الماء والنور والحرارة، إن المسلم جسمه من تراب لكن قلبه من نور..... والمسلم في الحقيقة عالمية لا تعرف حدوده الطين والأرض، ليست دجلة والنيل إلا أموجا صغيرة في بحره المتلاطم، وكل ما كان لله من أرض وبلاد فهو بلده ووطنه.“ (٢)

ومن أخلاق إقبال ما وصفه به صديقه الأستاذ ”إحسان حقي الشامي“ (٣) بقوله:

١- عزام، عبد الوهاب، الدكتور: رسالة الشرق، ص ١٧.

٢- اظهر، ظهور أحمد، الدكتور: إقبال العرب على دراسات إقبال، ص ١٠١-١٠٢.

٣- إحسان حقي: كاتب إسلامي من سورية عاش من فترة طويلة في باكستان.

”وكان محمد إقبال لطيف المعشر، متواضعاً، أنيساً، هادئاً، قليل الكلام، وإذا تكلم تكلم بهدوء وبصوت منخفض، ولم أره في يوم من الأيام نائراً أو غاضباً، مهما كانت الأحوال، بل كان يتلقى كل شيء وكأنه عادي، لا يمكن أن يكون غير ما كان، وكان الداخل عليه إذا كان لا يعرفه لا يميزه عن غيره من جلسائه بشيء لما كان يتحلى به من بساطة وهدوء“ (١).

وكان إقبال رجلاً متواضعاً، زاهداً، غير مقبل على الدنيا ولا تهمه المناصب ولو طلبها لوصل فيها إلى أعلى المناصب، وكان لا يملك إلا بذلة واحدة يتعاهد بها بالإصلاح إذا أصابها تمزق ويكتفي من اليوم برغيفين رقيقين ولا يتناول العشاء إلا قليلاً، وكان عمله بالمحاماة، يقتصر على تأمين قوته فقط ولا يأخذ أجراً غالياً على مرافعاته، وكان لا يقبل المساعدة من أحد حتى أنه رفض مساعدة شهرية من آغا خان (٢) تقرر ٥٠٠ روية معتذراً بعدم حاجته إليها.

هكذا لا يحب إقبال أن يساعده أحداً إلا الله وهذه هي الصفة يريد إقبال أن يغرس في نفوس المسلمين. ويقول إقبال:

ليس غير الله يرجوا المسلم	وهو للناس جميعاً سلم
لا تبثن شكاة أحداً	لا تمدن إلى الخلق يدا
بالشعير اقنع ثقيل حيدراً	”مرحباً فاقتله وافتح” حبيراً (٣)
لا ترم رزق لئيم ينغص	يوسف أنت فأني ترخص (٤)
خفف الزاد، طريق وعر	ش ومت حراعداك الغرر
اجعل أقلل من الدنيا الشعار (٥)	وتعش حرابها كل الفخار (٦)

وهكذا فإن إقبال كان عالماً عاملاً، لا يكتفي بالكلام، وسلوكه، لا يتناقض مع مبادئه التي يؤمن بها، وعاش كأنه بقية من السلف الذين عاشوا لدينهم، ولم تغرهم الحياة الدنيا بزيتها وزخرفها.

- ١- الاعظمي، محمد حسن، الشعلان، الصاوي علي، الشيخ: الأعلام الخمسة للعشر الاسلامي. القاهرة: دار احياء الكتب العربية. بدون التاريخ، ص ١٣٧.
- ٢- وهو سلطان شاه محمد، آغا خان، ولد في نوفمبر ١٨٧٧، وكان أمام طائفة الإسماعيلية وعضو الرابطة الاسلامية وتلقب ”راية بنو امية“ من دولة شام في سنة ١٩٠١، ونال لقب ”وردة احمر“ و”وردة الأبيض“ من حكومة اندونيسيا وتوفي سنة ١٩٥٧م وقبره في مصر.
- ٣- مرحب: أحد رؤساء اليهود في حبير، قتله على بن أبي طالب في حبير. ثقيل: تشبه حيدر: على رضي الله عنه.
- ٤- يشير إلى يوسف عليه السلام الذي يرفع عن المناصب والمال في سبيل ايمانه ودينه.
- ٥- يريد به ما يروي عن عمر قوله: أقلل من الدنيا تعش حراً.
- ٦- الأعلام الخمسة للشعر الإسلامي، ص ١٣٨.

## التلقّب بـ"سير"

في سنة ١٩٢٢م، لما اشتهر كتابه "أسرار خودي" في أوروبا (١). قدم لاهور صحفي انكليزي ساح في الشرق وسمع صيت إقبال الأدبي في أوروبا وآسيا. فأشار على حكومة بنجاب أن تمنح الشاعر الكبير لقب "سير" فدعي إقبال إلى دار حاكم بنجاب الإنكليزي لأول مرة، وقد حكى أحد أصدقائه مرزا جلال الدين:

"أنه لم يرغب في إجابة الدعوة وأنه ألح عليه وحمله في عربته إلى دار الحاكم، ثم اقترحت له ألقاب أقل من رتبة سير فأباها، ثم عرض عليه لقب "سير" فرغب عنه ولكن أحد كبار أصدقائه النواب السير ذوالفقار علي خان (٢) أصر على قبوله، فقبل على شرط أن يمنح أستاذه مير حسن لقب "شمس العلماء" عند ما سئل الإقبال ما ذا صنّف أستاذه، فقال إقبال أنا (إقبال) بنفسه تصنيف أستاذه". (٣)

وقد أخذ بعض الناس إقبال بقبول هذا اللقب من الإنكليز واداعوا عنه أقاويل، ونشرت بعض الصحف نظماً ونثراً فيهما هزو بالشاعر الثائر داعية الحرية، وما كان بقبول هذا اللقب أثر ما في نفس الشاعر الفيلسوف وعمله وما زال طيلة حياته ينفث شعره في النفوس حياة وقوة ودعوة إلى الحرية وإيقاظاً للمسلمين خاصة، وتبصيرهم بمكانهم في هذا العالم ومكانتهم في تاريخ.

## مرض إقبال ووفاته

في سنة ١٩٣٥م توفيت زوجة إقبال، قرين حياته، الزوجة الصالحة التي قاسمته كفاحه وآلامه، فأحزنه موتها كثيراً، ثم أصيب بعلّة القلب التي استمرت تنقص من قوة جسمه تدريجاً، ولكنها لا تنال من عقله وروحه شيئاً، فلم ينقطع عن التفكير والبيان ونظم الشعر حتى الأيام الأخيرة

١- ترجمها (أسرار خودي) بروفيسور نكلسون باللغة الإنكليزية ونقاد المعروف مستراي، ايم فارستر علق على الاخبار بالتفصيل. هذه الكتاب في مجلة الأدبية "أتهيتم"، وبروفيسور دكنسن من كمبردج علق على الاخبار هذه الصيت الإقبال في جريدة "نيشي ويكلي".

٢- ولد ذوالفقار علي خان في لاهور سنة ١٨٧٦م، وكان زعيم مخلص، كتب كتاب على شخصيته ونظرية إقبال باللغة الإنكليزية. توفي ٢٦ مايو ١٩٣٣م، وقبره في سالبر كوئله.

٣- عزام، عبدالوهاب، الدكتور: محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، ص ٤١-٤٢.

- انظر: الندوي، عبدالسلام، مولانا: إقبال كامل (الأردية)، ص ٢٦-٢٧.

- انظر: روزنامه امروز (الجريدة اليومية "أمروز") ٧ نوفمبر ١٩٨٨.

- انظر: س- الف- واحد: فكر إقبال كما تعارف (الأردية) أفكار إقبال وأراؤه، ص ٢٣-٢٤.

- انظر: عبدالرحمن، خليل الرحمن: إقبال وموقفه من الحضارة الغربية، ص ٥٨-٥٩.

من عمره (١) واشتدت عليه العلة في الشهور الأخيرة من حياته وقد أشار إقبال إلى أمراضه في المكاتبتة المختلفة كتب الى الاصدقاء (٢) ويظهر بهم أن أصيب إقبال بمرض في الكلي عام ١٩٢٨م بسبب تكون الحصى في كليته، فأراد أن يذهب إلى أوروبا للعلاج ولكن اقترح عليه أحد أصدقائه أن يأخذ العلاج على طريق الطب اليونانى القديم، كما أشار عليه بعض الأصدقاء ه أن يختار لعلاجه الطبيب عبدالوهاب الأنصاري المعروف بالحكيم ناينا صاحب (الطبيب الأعمى) وكان الحكيم ناينا مقيما في الدهلي، فذهب إقبال إليه وأخذ علاجه حتى شفي من ذلك المرض، ولم يتكرر إلا قبيل وفاته في عام ١٩٣٧م ولكن أصابه مرض النقرس إثر ذلك، حتى لم يقدر على المحاماة وكان يتابع القضايا المتعلقة به في المحكمة حتى توقف عنها في عام ١٩٣٤م إذ أصيب بخفوت صوته وتضاؤلته حتى أصبح كلامه همسا.

وبيين عبد السلام الندوي طبيعة اقبال في كتابه كذلك:

”ذهب إقبال إلى المسجد الشاهي (الملكي) بلاهور لأداء صلاة العيد في صباح العاشر من يناير ١٩٣٤م في الملابس الخفيفة، وكان الطقس بارداً ورطباً للغاية، فأصابه البرد، إضافة إلى ذلك أنه أكل قدر من حلوى الشعيرة باللبن بعد أن رجع من الصلوة، فأصيب بالسعال والزكام الشديد ضبح صوته واشتدت مرضه، ودعا صديقه السير راس مسعود وزير التعليم في ولاية بهوبال يومذاك، فذهب إقبال إليه وأقام عنده خلال فترات متفرقة وهي يناير مارس ١٩٣٥م ويوليو أغسطس من نفس العام ومارس إبريل ١٩٣٦م، ولكن لم يعد إليه صوته بالعلاج الكهربائي أيضاً“ (٣)

وبدأ إقبال يشتكى من ضيق النفس وسرعته في نهاية عام ١٩٣٦م فحرب كافة أنواع العلاج المحلي والغربي، وظل تحت الرعاية التامة للطبيب ناينا والطبيب محمد حسن القرشي كما أنه أخذ علاجاً عند غيرهما من الأطباء البارعين ولكن لم تثمر جهودهم واشتدت المرض في إبريل.

ويكتب أبو الحسن الندوي في هذا الصدد:

”وكان الشاعر يشتكى أدواء يغلبها وتغلبه، وانحرفت صحته أخيراً، وظل أياماً طويلة رهين الفراش، ولم يزل لسانه يفيض بالشعر، ويملي الكتب، والمقالات ويقابل الأصدقاء والزوار والعواد ويحادثهم في الشؤون الإسلامية والعلمية ومما نشره في هذه الأيام، مقالة مستفيضة في الرد على

١- الندوي، أبو الحسن علي الحسيني: روائع اقبال ص ٢٤-٢٥.

٢- انظر: الطرازي: عبدالله مبشر، الدكتور: الشاعر الاسلامي الكبير: محلة اقباليات (عربي) العدد الأول ١٩٩٢م، ص ١١٦-١١٧.

٣- الندوي، عبدالسلام، مولانا: اقبال كامل (الاردية)، ص ٤٥-٤٩.

- وانظر: نداء اقبال مؤتمر اقبال بدمشق، كلمة ترحيب، مكتبة الاسد، ص ١٤-١٥.

القومية، تناقلتها الصحف وتحدث بها الناس، ومما قال قبل وفاته بأيام، جنة لارباب السم، وجنة للعباد والزهاد، قل للمسلم الهندي أبشر، فإن في سبيل الله جنة أيضاً". (١)

وما زالت مرض إقبال تشتد يوماً فيوماً وكان يقترب إلى الموت وهو متقد الفكر، قوي القلب، يصوغ عقله كلمات يوقظ بها النفوس النائمة، وينثر قلبه شراراً ليشعل به القلوب الهامدة وكان يعني بنظم كتابه "أرمغان حجاز" هدية الحجاز، وكان قلب الشاعر يهفوا إلى الحجاز وقد تمنى خاتمة كتابه "رموز بي خودي" أن يموت في الحجاز، ومما نظمه في أشهره الأخيرة.

نشان مرد مومن ياتو گويم جومدك آيد تبسم برب اوست

(آية المومن أن يلقي الردي باسم الثغر سرورا ورضا) (٢)

وروي عن راجه حسن، وكان مع إقبال ليلة وفاته، أنه اقبال رحمه الله أنشد قبل موته

بنحو عشر دقائق:

سرود رفته باز آيد كه نايد نسيمي از حجاز آيه كه نايد

سرآمد روزگار ايس فقيرى دگرداناي راز آيد كه نايد (٣)

أ يرجع من نعيمي ما تولي ومن أرض الحجاز الريح ؟ كلا

وهذا العمر بالهفي تقضى فهلا عاد من من أحببت هلاً (٤)

وبلغ مرض إقبال مبلغ الخطر في التاسع عشر من ذلك الشهر، وقال وهو يجود بنفسه:

"أنا لأحشي الموت، أنا مسلم، ومن شأن المسلم أن يستقبل الموت مبتسماً". (٥)

وكان ذلك آخر برهان إقامه على صدق الإسلام وإيمان المسلم وبقيته.

ولفظ نفسه الأخير في حجر خادمه القديم علي بنخش، وفاضت روحه في صباح

الحادي والعشرين منه قبيل طلوع الشمس وظل خادمه علي بنخش مستقيظاً معه تلك الليلة

فسمعه يقول:

"اللهم ههنا أحس بالألم وأشار إلى قلبه ثم أغمض عينيه مبتسماً متوجهاً إلى القبلة حتى لفظ

أنفاسه الأخيرة من الساعة الخامسة والربع صباحاً وغربت هذه الشمس التي ملأت القلوب حرارة

١- الندوي، أبو الحسن علي الحسيني: روائع اقبال، ص ٢١.

٢- ماخوذ من الترجمة العربية: عزام، عبد الوهاب، الدكتور: رسالة الشرق، ص: ٥. مقدمة الكتاب.

- وانظر: عزام، عبد الوهاب، الدكتور: محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، ص ٤٣-٤٤.

٣- كليات اقبال (فارسي) ارمغان حجاز، ص ٢٤.

٤- الترجمة العربية: المصري، د. حسين مجيب: هدية الحجاز، ص ٤٢٧.

٥- الندوي، أبو الحسن علي الحسيني: روائع اقبال، ص ٢١.

ونوراً قبل أن تطلع شمس ٢١ ابريل ١٩٣٨". (١) انا لله وانا اليه راجعون.

## تدفين إقبال

وكانت عيون المسلمين مملوءة بالحزن على وفاة شاعرهم القومي، ونعرف أن كانت كل عين مملوءة بدموع في ١٩٣٨ م ووجع الفراق كان يظهر من وجوه الناس، وسار مركب الجنازة في الساعة الخامسة من شارع علامه إقبال، قبل أن يسير مركب الجنازة ألقى ركن حاكم بنجاب مستر كرامت الله على جسده رداء الأزهار، وقدسد سرير بالقصب الكبيرة، لكي يمكن لكثير من الناس أن يضعوا أكتافهم بسرير الميت، أمام الجنازة كان علم الرابطة الإسلامية، ووراءه كان الآف من الناس عويل على ميتته، بلغ الجنازة من شارع السكة الحديدية إلى الكلية الإسلامية. (للأطفال) ولكن بعد خمسة عشر دقيقة نقلت من الكلية الإسلامية إلى المسجد الملكي بسبب الازدحام الكبير، حيث يصلي عليه الناس. بدأ التدفين في الساعة الثامنة وانتهى في الساعة العاشرة، وعاش إقبال حياة المسلم وعند وفاته استقبل الموت راضياً مسروراً بالإيمان القوي.

والحرف الأخير لفظه حكيم الأمة ومحِب رسول "إقبال" كان "الله" وبعد وفاة إقبال وصل أخوه الكبير عطا محمد إلى المسجد الملكي وكان يبكي ويقول:

"أريد أن أرى وجهه إقبال، لماذا كان إقبال قال لي مرة" عند ما يموت الرجل المؤمن، يرقص ابتسام على وجهه، أنا أريد أن أرى ذلك الابتسام على وجهه. ويروي خالد نظير صوفي عن والده:

"وكان إقبال مستريحاً على سرير الميت كأنه ينام، وكانت عيون مغلقة بلين والابتسام الخفيف كان موجوداً على شفته". (٢)

## عمره

وتوفى إقبال وعمره بالتوقيت الهجري:

- ١- أظهر، ظهور أحمد، الدكتور: إقبال العرب على دراسات إقبال، ص ١٠٥.
- انظر: عزام، عبد الوهاب، الدكتور: بيبام مشرق، ص ١٧.
- انظر: السيد جمال الدين، محمد سعيد، الدكتور: رسالة النخلود (جاويد نامه)، ص ٤.
- انظر: س-الف-واحد: فكر إقبال كما تعارف (الأردنية) افكار إقبال وآراءه، ص ٣٣-٣٤.
- وانظر: روزنامه امروز (الجريدة اليومية، امروز) ٧ نوفمبر ١٩٨٠ م.
- وانظر: عبدالرحمن، خليل الرحمن: إقبال وموقفه من الحضارة الغربية، ص ١٠٦.
- ٢- انظر: رضوان أحمد ساگر: علامه إقبال كما سفر آخرت (الأردنية) (رحلة إقبال إلى الآخرة)، روزنامه امروز، الجريدة اليومية "امروز" ٢٢ ابريل ١٩٩١ م.

سبعاً وستين سنة وشهراً وستة وعشرين يوماً.  
والحساب الشمسي، خمسا وستين سنة وشهراً وتسعة وعشرين يوماً“ (١).

## ضريح محمد إقبال

ويقول عبد الوهاب عزام:

”واختيرت لدفنه بقعة من الساحة الخارجية للجامع الملكي بلاهور الذي شيده الملك اورنك زيب عالمكير (ت ١١١٨ هـ / ١٧٠٧ م) فدفن في تلك البقعة بموافقة حكومة البنجاب الرسمية على ذلك، اتخذت هذه الخزانة لهذا الكنز، بل اتخذ هذا الصوان لهذا الكتاب الخالد“ (٢).

ثم يقول:

”وقد أهدى ملك أفغانستان ألواحاً من أئمن الرخام لبناء ضريحه، وعلى الضريح صفائح من المرمر، وقد كتب على شاهده أن محمد نادر شاه ملك الأفغان أمر بضع هذا الضريح اعترافاً منه ومن الأمة الأفغانية بفضل الشاعر إن في هذا الضريح الثاوي في حضانة المسجد الكبير، الذي بناه محيي الدين اورنك زيب، الذي بلغت دولة المسلمين في عهده أوج عزتها، والقائم على مقربة من الآثار الرائعة التي خلّفها ملوك المسلمين في قلعة لاهور الهائلة، إن في هذا الضريح لوحياً لا يفتر، وذكرى لا تنقطع من حاضر المسلمين وماضيهم، ومن معالي الإسلام وشعر إقبال، وأن شعر إقبال ليُجلى لقارئه حضارة الإسلام وتاريخه، في صور رائعة هائلة، ويفسر هذه الآثار المحيطة به تفسيراً جميلاً جليلاً، وأن من يقرأ شعر إقبال يستأنف في الإسلام وتاريخه نظراً، ويجد فيه تفكيراً“ (٣).

وقال الدكتور عبد الوهاب عزام بعض الأبيات عربية لضريح إقبال وقد وعد أوصياء إقبال أن يضعوها في جدار حجرة الضريح حين يتم بناؤها وهذه هي الأبيات:

عربي يهدي لروضك زهرا	ذافخار بروضه واعتزاز
كلمات تضمنت كل معنى	من ديار الإسلام في إيجاز
بلسان القرآن حطت فقيها	نفحات التنزيل والاعجاز
فاقبلها على ضالة قدري	فهني في الحق ارمغان حجاز“ (٤)

- ١- عزام، عبد الوهاب، الدكتور: محمد إقبال سيرته وفلسفة وشعره، ص: ٤٣-٤٤.
- وانظر: الشيخ الولي: محمد إقبال شاعر الإسلام: مجلة إقباليات (عربي) العدد الأول: ١٩٩٢ م. ص ١٧٩-١٨٠.
- ٢- عزام، عبد الوهاب، الدكتور: محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، ص ٤٥.
- ٣- عزام، عبد الوهاب، الدكتور: محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، ص ٤٦.
- ٤- عزام، عبد الوهاب، الدكتور: بياض مشرق، ص ٦-٧.

## صدي نعيه في الهند

حين انتشر نبأ وفاة إقبال في أرجاء الهند، عطلت دواوين الحكومة وأغلق التجار محلاتهم و تقاطر الناس زرافات و مشوا إلى بيت الراجل الفقيه "جاويد منزل". (١) بدأ قاداتها وزعمائها من المسلمين والهندوس ينعونه على السواء، بما فقدوا المرشد الهادي وافتقدوا الدليل الحادي، وبما حرموا هذا الينبوع الثراريل النهر الهدار، وقد رددت هذه الحسرة مقالاتهم، ورسائلهم وأشعارهم وشارك المسلمون غيرهم في الأسى عليه وأكبار فقده، وقراء العربية أكثرهم، لا يعرفون كبراء الهند وأدباءها، فأثبت هنا طرفاً من أقوالهم، وقد كان نبأ وفاة إقبال صاعقة وقعت على رأس الشاعر الهندي العظيم "طاغور" فما كان منه إلا أن يعبر عن ألمه الشديد للعالم بقوله:

"تركت وفاة إقبال في أدبنا خلايشه جرحاً مهلكاً ولن يشفى هذا الجرح إلا بعد زمن طويل غير محدد، إن مكانة الهند في العالم غير مكنية، فموت شاعر عالمي كإقبال مصيبة لا تحتملها البلاد، ومما قال طاغور".

لاريب عندي أن ما ناله شعر إقبال من قبول وصيت يرجع الى ما فيه من نور الأدب الخالد وعظمته ويؤسفني أن بعض النقاد وضع أدبي وأدب إقبال في ميزان المنافسة وجهد وأن يشيعوا أغلاطهم في هذا الشأن وهذا عمل لا يليق بالأدب الفسيح الذي يخاطب النوع الأنساني كله لأن في ساحة الأدب العالي يقوم الشعراء وأولوالفن في صف من الأخوة الإنسانية، ويقيني أنني و محمد إقبال عاملان للصدق والجمال والأدب، وبوفاة إقبال هذا الجرح لن يملأ إلا بعد مدة مديدة، وكان شعره من نورانية الأدب الخالد وعظمتة". (٢)

## قال القائد محمد علي جناح

كتب محمد علي جناح (ت ١٩٤٨م) إلى ابن إقبال بعد وفاته:

"ولقد كان إقبال شاعراً منقطع النظر، طبق صيته الأفاق، وستبقي كلماته ومساعدته لأمتة وبلده حية أبداً، وإن وفاته اليوم خسارة كبيرة للهند عامة وللمسلمين خاصة، وكان لي صديقاً ومرشداً وفيلسوفاً، وكان في أحلك الساعات التي مرت بالرابطة الإسلامية راسخاً كالصخره، لم

- ١- هي دار صغيرة، محتوية على طبقة واحدة، يلج داخلها إلى فناء صغير وإلى شمال كان حجرة إقبال، وكان ينام فيها ويكتب شعره ويمضى كثيراً من وقته.
- ٢- عزام، عبدالوهاب، الدكتور: محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره من ٤٦-٤٧.
- وانظر: الفلوجي، مهدي جمود: إقبال شاعر ومفكر، ص ٥٩-٦١.
- وانظر: مجموعه من الكلمات والخطب والمحاضرات التي ألقىت بمناسبة الذكرى المؤية لميلاد العلامة محمد إقبال.



ينزل لخطه واحدة قط". (١)

## وقال مولانا أبو الكلام آزاد (٢)

"ان وفاة إقبال لتثريفنا أشد الحزن فإن الهند الحديثة لم تستطع أنتاج شاعر أردي عظيم مثله، ولشعره الفارسي أيضا مكانة خاصة في الأدب الفارسي الحديث ، وإن وفاة لخسارة للشرق يأكلمه وليست للهند فقط، وبالنسبة لي شخصيا فاني فقدت صديقا قديما من أعز أصدقائي". (٣)

١- عبدالرحمن، خليل الرحمن: إقبال و موقفه من الحضارة الغربية، ص ١٠٨-١٠٩.

٢- وكان اسمه محي الدين أحمد، وكان وطنه دهلي، ولد في نوفمبر ١٨٨٨م في مكة، وتوفي ١٩٥٨م. اعطاه عبدالواحد خان لقب "آزاد" بعد الكتابة نظمه الأول، وتصنيفه كثيرة مثلاً ترجمان القرآن (مجلدتان) البيان، البصائر، غبار خاطر، نظامات، تذكرة، جامع الشواهد، مكاتيب، اسلام اور آزادي (اسلام والحرية) حضرت يوسف، اصحاب كهف، كاروان إقبال ومقالات آزاد وغيره.

٣- نداء إقبال مؤتمر إقبال بدمشق: كلمة ترحيب، مكتبة الأسد، ص ١٤-١٥.

- وانظر: الشيخ الولي: محمد إقبال شاعر الإسلام: مجلة إقباليات (عربي) العدد الأول ١٩٩٢، ص ١٨.

### الباب الثالث

## الموضوعات المدح النبوي عند شوقي وإقبال

- الفصل الأول: نبذه عن المدح النبوي عبر العصور
- الفصل الثاني: البيئة والأحوال التي دفعت شوقي وإقبال إلى المدح النبوي
- الفصل الثالث: الموضوعات التي تناولها شوقي وإقبال في المدح النبوي
- الفصل الرابع: الخصائص اللغوية والبلاغية في مدحهما للنبي صلى الله عليه وسلم الصورة والخيال والعاطفة والموسيقى وغير ذلك

## الفصل الأول

### نبذة عن المدح النبوي عبر العصور

قبل أن نستعرض نبذة عن المدح عبر العصور، علينا أن نبحث ما هو المدح النبوي و آثاره في تاريخ الإسلام و في المذاهب الأخرى السماوية و غير السماوية واهتمام الناس - مسلمين أو غير مسلمين سواء- إلى هذا النوع الأدبي أي المدح النبوي عبر العصور.

### ماهو المدح

يقول الدكتور عمر فروخ:

”المدح هو فن من فنون الشعر، كان الجاهليون يمدحون بالمكارم التي كانوا يفخرون بها“.(١)

وقال الدكتور شوقي ضيف:

”المدح في الجاهلية كان ضربين:

الأول: مديحاً للشكر والإعجاب، يغلب على أهل البادية كما نرى عند امرئ القيس وعند زهير بن أبي سلمى.

والثاني: مديحاً للتكسب يغلب على أهل الحضر وساكني الحضراء والمترددين على

الحضر، كما نرى عند النابغة والأعشى“.(٢)

وأنواع الشعر في الجاهلية كانت ثلاثة:

١- غنائي أو وجداني

٢- قصصي

٣- تمثيلي

### الشعر الغنائي أو الوجداني

وهو أن يستمد الشاعر من طبعه وينقل عن قلبه ويعبر عن شعوره.

١- فروخ عمر، الدكتور: تاريخ الأدب العربي. بيروت: دار العلم للملايين، بدون التاريخ. ٨٣/١.

٢- ضيف شوقي، الدكتور، تاريخ الأدب العربي، ص ٤٠.

## الشعر القصصي

وهو نظم الوقائع الحربية والمفاخر القومية في شكل قصة، كالإلياذة والشاهنامة.

## الشعر التمثيلي

وهو أن يعمد الشاعر إلى واقعة فيتصور الأشخاص الذين جرت على أيديهم وينطق كلامهم

بما يناسبه من الأقوال، وينسب إليهم ما يلائمه من الأفعال". (١)

والغنائي أسبق هذه الأنواع إلى الظهور، لأن الشعر أصله الغناء كما علمت، والإنسان إنما

يشعر بنفسه قبل أن يشعر بغيره، ويتغنى بعواطفه قبل أن يتغنى بعواطف سواه.

ويقول الدكتور شوقي ضيف في هذا الصدد:

"تعود العرب منذ العصر الجاهلي أن ينو هوا في أشعارهم بأشرفهم وذوي النباهة منهم

يتحدثون عن خصالهم النبيلة من الكرم والشجاعة والحلم والوفاء وحماية الجار كان يعد السيد

فيهم كاملاً إذا تغنى نباهته و مناقبه غير شاعر و مضوا على هذه السنة في الإسلام، فكل سيد فيهم

وذي مكانة يود لو يحظى بشاعريشيد به يسير الركبان بذكره". (٢)

و كان العرب لا يمدحون إلا مستحقاً به ويكتسبون به الثروه والشهرة.

ويقول أحمد حسن الزيات:

و كانت غاية الماد حين من قدماء الشعراء في الجاهلية إما شكر الممدوح لحسن صنعيه

وإما التباهي بمناقبه والافتخار بانتماء إليه". (٣)

وفي رأي الاسكندري:

والممدح هو الثناء على ذي شان بما يستحسن من الأخلاق النفسية كرجاحة العقل والعدل

والصفة والشجاعة وأن هذه الصفات عريقة فيه وفي قومه وتعداد محاسنه الخلقية كالجمال ولبسطة

١- الزيات، أحمد حسن، تاريخ الأدب العربي- ص ٢٧ وانظر: أحمد الهاشمي: جواهر الأدب- ص ٣٩١-٣٩٤.

وانظر: طه حسين، الدكتور: في الشعر الجاهلي، ط: القاهرة.

٢- ضيف شوقي، الدكتور: تاريخ الأدب العربي- ص ٤٠. وانظر: الرافي، مصطفى صادق: تاريخ آداب العرب.

ط: القاهرة.

٣- الزيات، أحمد حسن: تاريخ الأدب العربي، ص ٦٥. وانظر ابن سلام: طبقات الشعراء. ط: القاهرة.

## الحسب والعلم". (١)

وكان الشعراء يبالغون في مدح الممدوحين قبل الإسلام فلما جاء الإسلام ومنع الشعراء أن يبالغوا في المدح والثناء وعين حدود المدح ونهى عن الكذب والغلو في الشعر كما قال النبي ﷺ.

"ولا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله ورسوله". (٢)

## حقيقة المدائح النبوية

لو ألقينا نظرة على تاريخ الأدب العربي لبرز لنا أنه ما اهتم الشعراء من القدماء والمحدثين أي اهتماماً كثيراً بصنف هذا الفن الشريف في اللغة العربية بل كانوا يميلون إلى الرثاء والوصف والنسيب.

ويقول الدكتور زكي مبارك في هذا الصدد:

والمدائح النبوية من فنون الشعر التي أذاعها التصوف، فهي لون من التعبير عن العواطف الدينية، وباب من الأدب الرفيع، لأنها لا تصدر إلا عن قلوب بالصدق والإخلاص، وأكثر المدائح النبوية قيل بعد وفاة رسول ﷺ، وما يقال بعد الوفاة يسمى رثاء، ولكنه في رسول الله ﷺ يسمى مدحاً، كأنهم لحظوا أن رسول الله موصول الحياة، وأنهم يخاطبونه كما يخاطبون الأحياء، وقد يمكن القول بأن الثناء على الميت لا يسمى رثاء إلا إذا قيل في أعقاب الموت، ولذلك نراهم يقولون: قال حسان بن ثابت يرثي النبي ﷺ ليفرقوا بين حالين من الثناء: ما كان في حياة (رسول) وما كان بعد موت (ﷺ) بخلاف ما يقع من شاعر ولد بعد وفاة النبي ﷺ، فإن ثناؤه عليه مديح لارثاء، لأنه لا موجب للتفرقة بين حال وحال، ولأن الرثاء يقصد به إعلان التحزن والتضجع، على حين لا يراد بالمدائح النبوية إلا التقرب إلى الله بنشر محاسن الدين والثناء على شمائل". (٣)

وهكذا بدأ المادحون المدح النبوي بصدق القلب ومطهر الخيال والفكر، لأن شخصية

النبي جديرة أن تمدح به .

- ١- الاسكندري أحمد، العلامة: تاريخ الأدب العربي وتاريخه، مصر: دار المعارف . ١٣٣٥هـ/١٩١٦م. ص ٤٨.
- ٢- مشكوة المصابيح: ٥٩٣/٢. وانظر: أحمد بن محمد بن حنبل، الامام: المسند. دار المعارف ١٩٤٦م، ١/١٦٣.
- ٣- زكي مبارك، الدكتور: المدائح النبوية في الأدب العربي، مصر: مصطفى الباي الحلبي وأولاده، ١٩٣٥م ص ١٨.

وقال الله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١)

ويقول أحمد بهجت في كتابه:

”ولقد كان جوهر دعوات الأنبياء السابقين هو الاسلام، وكان عنوان رسالته هو الإسلام، فتأمل أنت أى اعجاز أن يكون العنوان جوهرًا، ذلك هو محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب، ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد وسيد أبناء آدم، وعبد الله ورسوله، ورحمة الله المهداة المبشر“. (٢)

### السيرة المحمدية سيرة تاريخية

الوصف الخاص الذي يتصف به سيدنا و نبينا محمد ﷺ ولم يحصل عليه غيره أنه كانت سيرته سيرة تاريخية ، أما غيره من الأنبياء، فلم تختتم النبوة بأحد منهم، ولم تكن سيرتهم خالدة، بل ولا محفوظة، وقد أرسلوا إلى أممهم خاصة، وإلى زمن خاص لأجل مسمى، ثم نسيت تلك السيرة وامحّت بكرّ ليليالي ومرور الأيام. إن الله أرسل من الأنبياء عشرين ألفاً ومائة ألف، فكم نبيا منهم نعرف أسماءهم؟ هل نعرف عن سيرتهم كثيرا أوقليلاً؟ أما محمد ﷺ فكان عظمته عند الله كثيراً، وخلق الله العالم لمحبو به ﷺ.

وروى عن شريح بن يونس أنه قال:

إن الله تعالى يحب اسم أحمد ومحمد، وعن ابن عباس، قال: على باب الجنة مكتوب أنا الله لا اله الا أنا ومحمد رسول الله، وذكر أنه وجد على الحجارة القديمة مكتوبا محمد تقى، وسيد امين. وروى عن جعفر بن محمد عن ابيه إذا كان يوم القيامة نادى مناد من يكرم اسم محمد، فليدخل الجنة لكرامة اسمه ﷺ“. (٣)

- ١- سورة الانبياء، الآية: ١٠٧
- ٢- بهجت، أحمد: أنبياء الله، ص ٣٧١.
- ٣- النبهانى، يوسف بن اسماعيل، الشيخ: جواهر البحار في فضائل النبي المختار. مصر: مصطفى الباي الحلبى وأولاده. ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م. ٤٢/١.
- وانظر: مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، النيسا بوري: الجامع الصحيح. كتاب الفضائل، باب: فضل اسم النبي. الطبعة الأولى، بيروت: دار احياء الكتب العربية ١٣٧٣هـ/١٩٥٥م. ٦٠/٧.

وهكذا يظهر عظمة سيدنا محمد ﷺ عند الله ، إن الله بدأ هذا الكون مع اسمه وأكمل دينه على حبيبه سيدنا محمد ﷺ. ونجد ذكر محمد ﷺ في أديان العالم. وهناك مذاهب عديدة في الدنيا، وهي تنقسم إلى قسمين:

وهي الأديان السامية والأديان اللاسامية.

وبعد دراسة هذه الأديان نصل إلى النتيجة أن لا نعرف عن أحوال حياة هؤلاء المبلغين بالتفصيل وكثير منهم لا يعرف الناس من حقائق أحوالهم إلا أسماءهم، وهم لا يحظون في كتب التاريخ بمكانة، وإنما تعد سيرتهم من علم الأساطير وخرافات الوثنية، ومع ذلك فإن سيرة أولئك الرجال توجد من التاريخ، بل لا يعرف التاريخ ازمنتهم، فضلاً عن أن تتعين في الزمن قرونهم أو تعرف من قرونهم سنوات حياتهم، ولكن سيرة محمد ﷺ محفوظة كاملة لا في الكتب الإسلامية، بل نأخذ ذكره أيضاً في الكتب المقدسة وكتب الأديان الأخرى. والقرآن الحكيم كله في المدح النبوي . الآن ننظر مدحه صلى الله عليه وسلم في القرآن الحكيم.

### مدح محمد ﷺ في القرآن الحكيم

أخبر الله تعالى في كتابه العرب، أنه بعث إليهم رسولا من انفسهم يعرفون فضله ومكانته، ويتحققون صدقه وأمانته، عزيزا عليه ما يهوي بهم في الهوان، حريصا على دخولهم إلى دار الايمان، شريف النسب فيهم، رؤوفا رحيفا بمؤمنيه، وقرن طاعته بطاعته في قوله تعالى:

﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (١)

واطلع في أفق التوفيق نجمه، ورحمة للعالمين به فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٢) فمن أصابه شيء من رحمته فقد فاز، وسماه فيه نورا، بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (٣)

و شرح بالرسالة صدره، ووضع عنه وزره الذي انقض ظهره، ورفع بذكره معه في الشهادتين

١- سورة النساء، الآية: ٨٠.

٢- سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

٣- سورة الأحزاب، الآية: ٤٥.

ذكره، وأظهر دينه على الدين كله وعظم أمره، ونعته في أم الكتاب بالصرط المستقيم وآتاه سبعا من  
المثاني (١)، وأكرمه بمنزلة محكمة المباني.

”آتاه سبعا شمس آياتها	اضحت بأفاق المدى واضحة
فيها معان سرها غامض	يعرفها ذوا الصفة الرابعة
سور كتاب الله ماحله	أعظم منها سورة صالحة
تختتم بالخير لقرائتها	وهي الأبواب الرضى فاتحة“ (٢)

وبعته حرزا للاميين، ووضع كتاب الأبرار به في عشرين، ورفعته إلى المحل الأسنى، وقربه منه  
فكان قاب قوسين أو أدنى، ونزه لسانه عن النطق بهواه، وفؤاده عن الكذب فيما رآه، وزكى جملته  
الجميلة وعصمها من الآفات، ولم يقسم بحياة أحد في قوله لعمر ك من الخلق سواه، وأيده بأظهر  
البراهين وابهر المعجزات، وارانده من تلك الرسل بقوله ورفع بعضهم درجات وأبعد العذاب عن أهل  
مكة، فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ (٣) وأمر الدين هم في حلية الإيمان به  
محلون، إن يصلوا ويسلموا عليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ﴾ (٤) و﴿أَعْطَاهُ  
الْكَوْثَرَ﴾ (٥)، ورد على عدوه بقوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (٦)، وظهره من الأقدار والأدناس، وبين  
علمته في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُعَصِّمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (٧)

”وحماه ممن كان يقصد ضره	بيد له مغلولة ولسان
ورعاه من نظر العيون بعينه	وكفاه شرطوارق الحدثنان
أمده بحراسة وعناية	محفوظة باللطف والاحسان

١- سورة الحجر، الآية ٨٧.

٢- النبهاني، يوسف بن إسماعيل، الشيخ: جواهر البحار في فضائل النبي المختار، ٩٩/٣.

٣- سورة الانفال، الآية: ٣٣.

٤- سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

٥- سورة الكوثر، الآية: ١.

٦- سورة الكوثر، الآية: ٣.

٧- سورة المائدة، الآية: ٦٧.



وهو الجدير بأن يعظم قدره عند التقدير مدير الأكوان“ (١)

وأحسن مخاطبته في سورة نون، ووعده فيها باجر غير ممنوع ولا ممنون، واثني عليه ثناء، وبالغ في التمجيد والتأكيد بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٢) واتحفه تبارك اسمه في سورة الفتح، بجزيل الصلات الواصلات والمنح، من ظهور وغلته، وعلو شرائع شريعته وكلمته، وخضوع من ترفع من أعدائه ولكبر، وغفران ما تقدم من ذنبه وما تأخر، واتمام النعمة عليه، وإرسال الهداية عليه، ونصره النصر العزيز، ونصب حال من حوله على التميز، وانزال السكينة على قلب من تابعه، ورضاه ممن تحت الشجرة من الصحابة، وكم له (ﷺ) من معارف معروفة ومآثر ماثورة.

”شهد الكتاب بأن أحمد مرسل من صاحب الملكوت جل جلاله

كم آية فيها اسمه يتلى وكم

والله أقسم صادقاً بخياته

سبحان من أولاه أنواع الولا

ازكى الصلاة عليه من رب العلا

ونصره بالرعب مسيرة شهر، وجعل له الأرض مسجد وطهوراً، واحل له الغنائم، ودفع به

العظائم، وبعثه إلى الناس كافة، وارسله بين يدي الساعة، وصرف عن الأذى وكتب اسمه على

العرش وعلى مواضع من الجنة، واعطاه أن لا تجوع امته ولا تغلب، وايدته بالبراعة واللسن، وركب

فيه كل خلق حسن.

”تبارك من حماه ومن حباه بحسن الخلق والخلق العظيم

واغنى أهل ملته بدرٍ أتى من بحر منطقته نظيم

وصيره لمن يرجوه كهفا وعرفه باصحاب الرقيم

وسدد قوله وبه هदानا جميعاً للصراط المستقيم“ (٤)

١- النبھاني، يوسف بن إسماعيل، الشيخ: جواهر البحار في فضائل النبي المختار، ص ١٠٠. وانظر: التهانوي،

اشرف علي، مولانا: حبيب خدا. الطبعة الثانية، لاهور: باكستان، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٥م.

٢- سورة القلم، الآية: ٤.

٣- النبھاني، يوسف بن إسماعيل، الشيخ: جواهر البحار في فضائل النبي المختار، ص ١٠٠.

٤- نفس المرجع، ص ٩٧، ١٠-١٧

وآتاه جوامع الكلم وخواصه، وحث على إتباع سنته وجماعته، وظهر دينه على سائر الأديان واطلعه على جميع المعارف، وحماه من العيوب والنقائص، وغفر له الماضي والمستقبل إذا المحبوب لا يؤخذ بالذنوب.

”هو الحبيب الذي انوار طلعتة تخفى إذا عاينتها الشمس والقمر  
هو الامام الذي مذآن طالعه سر الزمان به واستبشر البشر  
قد خص بالخلة المأنوس معهدا وبالمحبة ممن امره قدر  
لاغروان عادبالغفران مغتبطا إن الذنوب من المحبوب تغتفر“ (١)

ويقول سيد سليمان الندوي:

”لا ريب أن جميع الأنبياء كانوا شهداء ودعاة ومبشرين و منذرين، بيد أن هذه الصفات لم تكن سواسية في جميع الرسل، بل كان بعضها في بعضهم أظهر من أخواتها، فكان يعقوب وإسحاق وإسماعيل عليهم السلام قد غلبت عليهم صفة الشهادة وكانوا شهداء الحق، وغلبت على إبراهيم وعيسى صفة التبشير فكانا مبشرين، ومن الأنبياء من غلب عليه وصفه الانذار لمن خالف الحق وجحدته فكانوا منذرين كنوح وموسى وهود وشعيب، ومنهم من غلب عليه صفة الدعوة إلى الحق وامتاز بها أكثر مما امتاز بسائر النعوت الأخرى كيوسف ويونس عليهم الصلاة والسلام جميعا، وأما من كان جامعا لهذه الصفات كلها واتصف بها جميعا فكان مبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا وكانت حياته مملأى بهذه النعوت والشؤون وسيرته ممتازة بهذه الخصال والخلال، فهو النبي الجامع محمد لأنه بعث ليختتم الله به النبيين والنبوة، فأعطى الرسالة الأخيرة يبلغها إلى البشر كافة، فجاء بالشرعة الكاملة التي لا يحتاج البشر معها إلى غيرها، ولم تنزل من السماء إلى الأرض شريعة على قلب بشر بعد هذه الشريعة، فكانت نفس محمد جامع لجميع الأخلاق العالية وقد بعث ليتم مكارم الأخلاق“ (٢)

وذكر الله تعالى حبيبه ﷺ في كتابه العزيز بأسماء عديدة وبيّن مناصبه الجليلة الذين لاحظ

- ١- النهاني، يوسف بن إسماعيل، الشيخ: جواهر البحار في فضائل النبي المختار، ٣/٩٨-٩٩.
- وانظر: الحاج، مفتي أحمد يار خان: شان حبيب الرحمن من آيات القرآن. كراتشي، باكستان: ازهر بك دبو، بدون التاريخ.
- ٢- الندوي، سليمان، السيد: رسالة المحمدية، الطبعة الثانية. دمشق: مكتبة دار الفتح ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م. ص ٤٢-٤٤.

لأحد إلا سواه، ولن نبالغ قط إذا نقول أن كل قرآن في مدح محمد ﷺ .

## اسماء النبي وكناه وألقابه ﷺ

ينادي الله أنبياءه في القرآن الكريم باسماءهم كما يقول:

﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (١)

﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ (٢)

﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ (٣)

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ (٤)

﴿يَا ذَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ﴾ (٥)

﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ (٦)

﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ خُذْ وَتُفَاتِكُ وَالرَّافِعُكَ إِلَيَّ﴾ (٧)

ولكن لم ينادي في القرآن كله النبي الكريم "يا محمد صلى الله عليه وسلم" بل يخاطبه

باسمائه خصوصية، كمثل، يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ ﴿ (٨)

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ (٩)

﴿يَا أَيُّهَا الْمُرْسَلُ﴾ (١٠)

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ (١١)

١- سورة البقرة، الآية: ٣٥.

٢- سورة الصافات، الآية: ١٠٤.

٣- سورة هود، الآية: ٧٦.

٤- سورة طه، الآية: ١٧.

٥- سورة مريم، الآية: ٧.

٦- سورة مريم، الآية: ١٢.

٧- سورة ال عمران، الآية: ٥٥.

٨- سورة المائدة، الآية: ٦٧.

٩- سورة الأنفال، الآية: ٦٤.

١٠- سورة المزمل، الآية: ١.

١١- سورة المدثر، الآية: ١.

إن الله تعالى قد سمى نبيه محمداً باسماء كثيرة في القرآن العظيم وغيره من الكتب السماوية وعلى السنة أنبيائه عليهم الصلاة والسلام وفي أحاديث رسول الله وفيما اطلقته على أمته مما اشتهر وتلقى القبول، وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى لاسيما وهي أوصاف مدح دالة على ذلك بمعانيها.

وقد كتب علامة يوسف النبهاني (ت ١٣٥ هـ) في كتابه "حجة الله على العالمين" أسماء النبي (ﷺ) التي مذكورة في الكتب السماوية كمثل ما ذ (طيب طيب) فارقليط (فاروق حق و باطل) منحنماً (محمد) الحمطايا (حامي الحرم) أخوناج (صحيح سلام) قدمايا (سابق الأول) وأخرايا (آخر الانبياء).

نحن نذكر بعض أسماء النبي الواردة في القرآن الحكيم كمثل مُحَمَّدٌ (١) أَحْمَدُ (٢) الْمُزْمِلُ (٣) الْمُذْتَبِرُ (٤) الْبَشِيرُ (٥) النَّذِيرُ (٦) الدَّاعِي (٧) الصَّاحِبُ (٨) النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ (٩) السِّرَاجُ

- 
- ١- سورة ال عمران، الآية: ١٤٤، سورة الأحزاب، الآية: ٤٠، سورة محمد، الآية: ٢، سورة الفتح، الآية: ٢٩.
  - ٢- سورة الصف، الآية: ٦
  - ٣- سورة المزمل، الآية: ١
  - ٤- سورة المدثر، الآية: ١
  - ٥- سورة البقرة، الآية: ١١٩، سورة الاعراف، الآية: ١٨٨، سورة هود، الآية: ٢، سورة سبأ، الآية: ٢٨، سورة فاطر، الآية: ٢٤
  - ٦- سورة البقرة، الآية: ١١٩، سورة الاعراف، الآية: ١٨٤، سورة هود، الآية: ٢، سورة الحجر، الآية: ٨٩، سورة الحج، الآية: ٤٩، سورة الشعراء، الآية: ١١٠، سورة العنكبوت، الآية: ٥٠، سورة فاطر، الآية: ٢٣، ٢٤، سورة الاحقاف، الآية: ٩، سورة الذاريات، الآية: ٥٠-٥١، سورة الملك، الآية: ٢٦، سورة الاسراء، الآية: ١٠٥، سورة الفرقان، الآية: ١، سورة الأحزاب، الآية: ٤٥، سورة سبأ، الآية: ٢٨، سورة الفتح، الآية: ٨
  - ٧- سورة الأحزاب، الآية: ٤٦،
  - ٨- سورة النجم، الآية: ٢
  - ٩- سورة الاعراف، الآية: ١٥٧، ١٥٨

الْمُنِيرُ (١) الشَّاهِدُ (٢) الْمُبَشِّرُ (٣) الْمُعَلِّمُ (٤) الْمَزَكِّيُّ (٥) التَّالِيُّ (٦) الرَّؤُوفُ (٧) الرَّحِيمُ (٨)  
رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (٩) الْمُجْتَبَى (١٠) النُّورُ (١١) الْمُنْدَرُ (١٢) ظَهْرُ (١٣) الشَّهِيدُ (١٤) يَسِينُ (١٥)  
الصَّادِقُ (١٦).

وأسماء رسول الله وألقابه كثيرة، فمن أسمائه محمد وأحمد، وهما اسمان مخصوصان  
بالبطالع الاسعد، منع الله تعالى أن يسمي بهما قبل زمانه أحد من الناس، لئلا يدخل على القلوب  
الضعيفة شك والتباس وهو أحمد السامد والحمد السامد والمحمودين وأكثر الناس حمداً وهو حامل لواء  
الحمد يوم يحشر المتقين إلى الرحمن، ومنها الماحي والحاشر، والمقدس والظاهر، فالماحي الذي  
يمحي الكفر بكلمة، والحاشر الذي يحشر الناس على قدمه والنجم الثاقب والمصلح والعاقب، وهو  
الذي لاني بعده، والشاهد والمبشر والنذير، والداعي إلى الله بأذنه والسراج المنير، والمقفى والقثم  
والقشوم وهذا الاسم الأخير في آل بيته معلوم:

- ١- سورة الأحزاب، الآية: ٤٦
- ٢- سورة الأحزاب، الآية: ٤٥، سورة الفتح، الآية: ٨، سورة المزمل، الآية: ١٥
- ٣- سورة الأحزاب، الآية: ٤٥، سورة الاسراء، الآية: ١٠٥، سورة الفرقان، الآية: ٥٦، سورة الفتح، الآية: ٨، سورة الصف، الآية: ٦
- ٤- سورة ال عمران، الآية: ١٦٤، سورة الجمعة، الآية: ٢
- ٥- سورة ال عمران، الآية: ١٤٦، الجمعة، الآية: ٢
- ٦- سورة ال عمران، الآية: ١٦٤
- ٧- سورة التوبة، الآية: ١٢٨
- ٨- سورة التوبة، الآية: ١٢٨
- ٩- سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧
- ١٠- سورة ال عمران، الآية: ١٧٩
- ١١- سورة المائدة، الآية: ١٥
- ١٢- سورة الرعد، الآية: ٧، سورة ق، الآية: ٢، سورة النازعات، الآية: ٤٥
- ١٣- سورة طه، الآية: ١
- ١٤- سورة الحج، الآية: ٧٨
- ١٥- سورة يس، الآية: ١
- ١٦- سورة الزمر، الآية: ٣٣

”يا سيد أسماوه قد سمت  
ومن حوت ازهار ألقابه  
انت الذي انوار اعلامه  
تهدي إلى الحكمة اهل العلوم  
ومن له فضل أياديه لا  
تحصي وهل تحصي دراري النجوم“ (١)

ومن أسمائه المدثر والمزمل والمختار والمتوكل، والرؤوف الرحيم، والصراط المستقيم،  
والحق المبين والصادق الأمين، فالحق هو المحقق صدقه وأمره والمبين الذي تبين مابعثه به من جلّ  
ذكره، وطه ويس، ورحمة للعالمين، وسيد المرسلين، وخاتم النبيين وإمام المتقين وقائد  
الغرا المحجلين ونعمة الله على الخلائق، وعبد الله المعبد للطرائق ونبي الراحة والرحمة، ورسول  
التوبة وهي إشارة إلى مابعث به من القتال وما امر به ردع المشركين بحد النصال، وخليل الرحمن  
وحبيب الملك الديان، ومقيم السنة وروح الحق، والشفيع المشفع في الخلق، وصاحب الوسيلة  
والدرجة الرفعية والفضيلة، والحوض المورد، والمقام المحمود، والبراق والمعراج، والهاوة والتاج،  
وما المراد به تاج ملك مؤه بالذهب، بل العمامة لأن العمامة تيجان العرب:

”بك يا رسول الله يا علم الهدى  
وتشرف الألقاب والاسماء  
وبيمن طالعك السعيد قدومه  
ذهب الظلام وآيت الاضواء  
وبنصر نصلك سر كل موحد  
وبعز عزمك ذلت الأعداء  
سقى لامتك التي طابت لهم  
يقبهم بين الوري الاشياء“ (٢)

وهو عليه السلام ذوالجعة والسلطان، والعلامة والبرهان، ورب اللواء والقضيب، وراكب  
الناقة والنجيب، وسيد ولد آدم، والمهيمن، والفتاح والخاتم والمصطفى والمجتبى والكريم،  
وابوالقاسم وأبو ابراهيم، والنبي الامي والهادي والنور، والعروة الوثقى التي من تمسك بها نال  
الغبطة والسرور، والبارقليط وهو الذي يفرق بين الحق والباطل، وحمطايا حامي الحرم بالمرهفات  
والذوابل، انها اسماء على مسمى جليل وألقاب علت بذني فضل اثير وقد راثيلي، فمنها ماورد في

١- النبھاني، يوسف بن اسماعيل، الشيخ: جواهر البحار في فضائل النبي المختار ٣/١١٤

٢- نفس المرجع: ص ١١٥.

حديثه الصحيح، ومنها ما ذكر في القرآن الكريم باللفظ والتصريح، ومنها ما جاء في التوراة والأنجيل، ومنها ما عرف من الكتب البعيد عهدا من التنزيل، ومنها ما سماه الله به من أسمائه الحسنی وفي ذلك ما فيه من التعظيم الاسمی والتشريف الاسنی:

عند السرواة وعرفه معروف	”أسماءه سماته مطومة
مسطورة وجلاله موصوف	وخلاله مأثورة وخصاله
ابدا على قصاده معطوف	أكرم به سمحا عطا نواله
ألمن عنها والاذى معروف	براً امينا صادقا صدقاته
بفناء طيبة طيبها معكوف“ (١)	من عليه تحية مكة

وهكذا رأينا مدح محمد ﷺ في القرآن الحكيم، الآن ينبغي لنا أن نلاحظ مدح محمد ﷺ في لغة الشعر لكي نثبت أهميته من الزمن المتعددة، نحن الآن نستعرض نبذة المدح النبوي عبر الصور.

## نبذة المدح النبوي عبر العصور

### أوليات الشعر في مدح النبي ﷺ

كان عمه أبو طالب اول من قال الشعر في مدح النبي وهو عبد مناف بن عبدالمطلب بن هاشم من قريش، اشتهر بأسم أبي طالب ولد ٨٥ ق هـ وتوفي ٣ ق هـ، وبعد النبوة حين قام قريش على عداوة الرسول الكريم، جمع أبو طالب حميته ونصرته لابن أخيه وقال الشعر في مدح النبي الكريم ﷺ وذكر في اشعاره خصائص أسرته (بنى هاشم).

نقل ابن هشام في كتابه ”سيرة النبي“ - ستة أبيات بهذه القصيدة، ويقال عن هذه القصيدة. هي أول قصيدة في تاريخ مدح النبي ﷺ. بأن لم نجد قبل هذه القصيدة، أي بيت في المدح النبوي ﷺ.

ويقول في مدح النبي ﷺ:

”إذا اجتمعت يوماً قريش لمفخر  
فعبد مناف سرّها وصميمها

فإن حصلت أشراف عبد منافها ففي هاشم أشرافها وقد يمها

وإن فخرت يوماً فإن محمداً هو المصطفى من سرها وكريمها

وفي الأبيات الأربعة التالية لهذه القصيدة يشير إلى قريش:

”تداعت قريش عُثَّها وسمينها علينا، فلم تظفر وطاشت حلومها

وكننا قديماً لانقرظلامه إذا ماثنوا صعر الحدود نقيمها

ونحمي حماها كل يوم كريمة ونضرب عن احجارها من يرومها

بنا انتعش العود الذواء وإنما بأكنا فنا تندي وتنمي أرومها“ (١)

ونجد كثيراً من الأبيات لأبي طالب دفاعاً عن محمد ﷺ وبالأخص، القصيدة الطويلة،

التي مطلعها:

”ولما رأيت القوم لاودّفيهم وقد قطعوا كل العرى والوسائل“ (٢)

وتشتمل هذه القصيدة على خمسة وتسعين بيتاً، ومن أجود شعر أبي طالب في مدح النبي

صلى الله عليه وسلم، يقول:

”وأبيض يسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل“ (٣)

وقال زكريا بن يحيى الطائي في الجزء المنسوب إليه المشهور-

حدثني عمر بن أبي زحر بن حصين عن جد، حميد بن منهب قال:

قال جدي خريم بن أوس: هاجرت إلى رسول الله، فقدمت عليه منصرفه من تبوك،

فأسلمت، فسمعت عبد مناف بن عبد المطلب يقول: يا رسول الله إنني أريد أن امتدحك، فقال

رسول الله، قل فأنشأ يقول:

”من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الواق

ثم هبطت البلاد لا بشرأز ت ولا مضغة ولا علق

بل نطفة تركب السفين وقد الجم نسرأ وأهله الغرق

١ ابن هشام: سيرة النبي. بيروت: ١٩٦٩م. ١٥٦/١.

٢- نفس المرجع، ص ٢٠١، وانظر: للسهيلى: روض الأنف مع سيرة ابن هشام. ملتان، باكستان: المكتبة الفاروقية. ١٣٧٧هـ/١٩٧٥م. ص ١٧٣.

٣- سيرة ابن هشام، ٢١٣/١، وانظر: الروض الانف، ٥٥/٢، وانظر: البداية والنهاية، ٤٢٢/٣.



تنقل من صلب إلى رحم  
حتى احتوى بيتك المهيم من  
وأنت لما ولدت أشرقى الا  
فنحن في ذلك الضياء وفى الـ

إذا مضى عالم بداطبق  
خندف علياء تحتها النطق  
رض وضأت بنورك الأفق  
نور و سبل الرشاد نحترق" (١)

### قصيدة الاعشى في مدح النبي ﷺ

هو أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل، المعروف "الأعشى" ولد في "منفوحة" (إحدى قرية من يمامة) ونبغ في الشعر في صحبة خاله مسيب بن علس "عند ما سمع عن النبوة المحمدية (ﷺ) قال قصيدة في المدح النبوي ﷺ.

ويقول أحمد الحوفي عن هذه القصيدة:

"وربما كانت قصيدة الاعشى، إن صحت، من أوليات القصائد في مدح النبوي ﷺ، لأنها صورة من مدائح العصر الجاهلي، وليس بها مما يتصل بالإسلام إلا التقوى وتحريم الميتة وعبادة الأصنام، كقوله يخاطب ناقته بعد مقدمة القصيدة:

فأليث لا أرثي لها من كلاله  
متى ما تناخى عند باب ابن هاشم  
نبي يرى مالا ترون فذكره  
له صدقات ما تغب ونائل  
أجدك لم تسمح وصاة محمدا  
إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى  
ندمت على ألا تكون كمثلته  
فاياك والميتات لا تأكلفها

ولا من حفى حتى تزور محمدا  
تريحي و تلقى من فواضله يدا  
أنحار، لعمرى، في البلاد وأنجدا  
وليس عطاء اليوم مانعه غدا  
نبي الالة حين اوصى وأشهد  
ولا قيت بعد الموت من قد تزودا  
وإنك لم ترصد لما كان راصدا  
ولا تأخذن سهما حديدا لتفصدا

١- ابن هشام: السيرة النبوية، ١/١٩٥ انظر: ابن كثير، الحافظ: البداية والنهاية- كتاب سيرة رسول باب- ذكر نسبه الشريف و طيب أصله المنيف- الطبعة الأولى . لاهور، باكستان : المكتبة القدوسية . أهل الحديث ماركيت اردو بازار. ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م. ص ٢٥٢-٢٥٩.

وذا النسب المنصوب لا تنسكنه ولا تعبد الأوثان والله فاعبدا“ (١)

وبعد نقل هذه القصيدة يعلق عليها الدكتور زكي مبارك بقوله:

”ولكن هذا ليس من المدائح النبوية: أي ليس من الفن الذي ندرسه في هذا الكتاب، لأن الأعشى لم يقل هذا الشعر وهو صادق النية في مدح رسول (ﷺ) وإنما كانت محاولة أراد بها التقرب من نبي الإسلام، وآية ذلك أنه انصرف حين صرفته قريش، ولو كان صادقا ما تحول. فقد حدثوا أن قريشا رصدوه على طريقه، حين بلغهم خبره وسألوه أين يريد؟ فأخبرهم أنه يريد محمداً ليسلم، فأفهموه أنه ينهاه عن الزنا والقمار والربا والخمر، فقال: لقد تركني الزنا وما تركته، وأبدي زهادته في القمار، رجاء أن يصيب من النبي صلى الله عليه وسلم عوضاً منه، وقال عن الربا: مادنت ولا أذنت، وأبدي جزعه عند ذكر الخمر وقال: أولاً أرجع إلى صباية قد بقيت لي في المهراس فأشربها، فقال له أبو سفيان:

هل لك في خير مما همت به؟ قال وما هو؟

قال: نحن الآن في هدنة فتأخذ مائة من الإبل وترجع إلى بلدك ستلك هذه، وتنظر ما يصير إليه أمرنا، فإن ظهرنا عليه كنت قد أخذت خلفاء، وإن ظهر علينا أتيت، فقال ما أكره ذلك، وجمع له أبو سفيان من قريش مائة ناقة، فأخذها وانطلق إلى بلده، فلما كان بقاع منفوخة رمى به بعيره فقتله“ (٢).

وهذه القصة تدل على أن مدحه (لرسول الله) لم يكن إلا محاولة كسائر محاولات الشعراء الذين يكتسبون بالمديح، وليست قصيدته أثر عاطفة دينية قوية حتى تلحق بالمدائح النبوية. فكان نموذجاً للمدح النبوي في عهد الجاهلية.

١- الحوفي، أحمد، الدكتور: الإسلام في شعر شوقي، ص ٧٢، ٧٣ وانظر: فهمي: ماهر حسن، الدكتور: شوقي

شعره الإسلامي: ص ١٠٠-١٠١ وانظر: ديوان الأعشى الكبير: ص ١٣٥-١٣٧

٢- زكي مبارك، الدكتور: المدائح النبوية في الأدب العربي- ص ١٩-٢٠ وانظر: الندوي: عبد الله عباس: عربي

ميس نعتيه كلام (المدائح في الأدب العربي)- ص ٥١-٥٣ وانظر: الحوفي، الدكتور: الإسلام في شعر شوقي،

## المدح النبوي ﷺ في عصر النبوة

لما أضاءت بقعة الأرض بنور الإسلام. قام عدة من الشعراء بمدح النبي وقال الشعر في المدح النبوي ﷺ. الآن نستعرض بعض منها.

### مدح عبد الله بن رواحة للنبي الكريم ﷺ

كان عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الخزرجي الانصاري (ت ٨هـ) أحد أولئك اثني عشر نقيباً الذين قدموا من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة، وبايعوا على يد الرسول الكريم، وبعد الهجرة خدموا الرسول الكريم، كان شاعراً وبذل جميع مواهبه الشعرية لخدمة الإسلام سأله مرة، ماذا تصنع عند ماتحب أن تقول الشعر؟ فقال، أفكر جداً ثم أقول الشعر، بعد هذا قال عدة من الأشعار، وكان مقطعه:

فثبت الله ما أتاك من حسن      تثبتت موسى و نصراً كالذي نصروا

فأعجب النبي الكريم بهذا الشعر فقال: "وإياك فثبت الله. (١)

شهد عبد الله بن رواحة بدرأ وأحد والخنديق والحديبية وخبير، واستشهد في غزوة الموتة، وكان يقول في كل حرب: يا نفسي إلا تقتلي تموتي. وعند ما طاف الرسول الكريم عمرة القضاء قال عبد الله بن رواحة هذا الشعر:

"يارب لو لوانت ما اهتدينا      ولا تصدقنا ولا صلينا

فانزلن سكينه علينا      وثبت الأقدام أن لاقينا

إن الذين قد بغوا علينا      إذا ارادوا فتنه أيينا" (٢)

وقال في موضع آخر:

"روحي الفداء لمن اخلاقه شهدت      بأنه خير مولود من البشر

١- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله، حافظ: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ١/٣٥٥. وانظر: ابن الأثير،

عزالدين علي الجزري، المحافظ: اسد الغاية في معرفة الصحابة، ٣/١٥٧.

٢- الندوي، عبد الله بن عباس: عربي مين نعتيه كلام (المدايح النبوية في الأدب العربي) ص ٨٦-٨٨.

عمت فضائله كل العباد كما  
عمّ البرية ضوء الشمس والقمر  
لولم يكن فيه آيات مبينة  
كانت بديهته تُغني عن الخبر“ (١)

### شعر عبد الله بن الزبيري في مدح النبي ﷺ

كان عبد الله بن الزبيري (ت ١٥ هـ) من قبيلة ”بنى سهم“ من القريش وكان عدواً للإسلام في بداية أمره، وكان من أشعر الناس على رسول الله وعلى أصحابه بلسانه وبنفسه، واتفق الناقدون كلهم بأنه من أشعر شعراء قریش، وكان حاذقاً جداً في الهجاء وكان يعارض بحسان بن ثابت بشعره“ (٢) نور الله قلبه بنور الإسلام يوم فتح مكة، ثم قال في مدح الرسول أبياتاً بصورة الأزهار. فيقول:

”فاليوم آمن بالنبي محمد  
قلبي ومحظي هذه محروم  
فاغفر فدى لك ولدى كلاهما  
زلى فانك راحم مرحوم  
وعليك من سمة المليك علامة  
نورا غرو خاتم مختوم  
ولقد شهدت بأن دينك صادق  
حق وأنت في العباد جسيم  
والله يشهد أن أحمد مصطفى  
متقبل في الصالحين كريم“ (٣)

وقد اعترف في أبياته بما وقع فيه من هجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال معتذراً إليه:

يا رسول المليك إن لسانى  
راتق ما فتقت إذ أنا بور  
إذا أجاري الشيطان في سنن الغي  
ومن مال ميله مثبور  
أمن اللحم والعظام بما قلت  
فنفسى الشهيد أنت الغدير  
أن ما جئنا به حق صدق  
ساطع نوره مُضئ منير  
جئنا باليقين والبر والصدق  
وفي الصدق واليقين سرور  
أذهب الله ضلة الجهل عنا  
وأنا الرخاء والميسور“ (٤)

١- النبھاني، يوسف بن إسماعيل: المجموعة النبھانية. بيروت، لبنان: المطبعة الأدبية. بدون التاريخ. ٦٤/١.

٢- هو شاعر رسول ﷺ، وقام عند رسول الله وأجاب هجو القریش في حب رسول الله.

٣- سيرة ابن هشام، ٤/٤١.

٤- النبھاني، يوسف بن إسماعيل: المجموعة النبھانية، ٦٨/١.

## شعر أبي سفيان بن الحارث في مدح النبي ﷺ

كان أبو سفيان بن الحارث (ت ٢٠هـ) من بني هاشم وابن عم للنبي الكريم ﷺ، هو كان رجلاً وجيهاً وهو أخ النبي في الرضاعة لما ظهر نور الإسلام صارعدوا الرسول ﷺ، وكان شاعراً كاملاً، فقال الشعر في هجاء النبي ﷺ، وكان مباعداً للإسلام شديداً على من دخل فيه، فقال الرسول الكريم لحسان بن ثابت، أجب عنه.

فقال حسان:

ألا أبلغ أبا سفيان عنى مغلغلة فقد برح الخفاء (١)

فسكت أبو سفيان وقدم إلى النبي الكريم يوم فتح مكة ودخل في الإسلام وقال في مدح

النبي ﷺ:

لتغلب خيل اللات خيل محمد	”لعمرك أني يوم أحمل راية
فهذا أواني حين أهدي فأهتدي	لكا لمظلم الحيران أظلم ليله
على الله من طردته كل مطرد	هداني هاد غير نفسي ودلني
وأدعى وإن لم أنتسب من محمد“ (٢)	أصدوا أناي جاهداً عن محمد
	وقال على وفاة الرسول الكريم رثاءً:
وليل أفي المصيبة فيه طول	ارقت وبات الليلى لايزول
عشيتة قيل قد قبض الرسول	فقد عظمت مصيبتنا وجلت
يروح به ويغدو جبريل	فقدنا الوحي والتنزيل فينا
بما يوحى إليه وما يقول	نبي كان يجلو الشك عنا
علينا والرسول لنا دليل	ويهدينا فلا نخشى ضلالا
وليس له من الموتى عدل	فلم نرى مثله في الناس حيًّا

وفي حزن شديد قال مخاطباً فاطمة بنت رسول الله ﷺ:

١- أحمد الهاشمي: جواهر الأدب، ص ٣٩٤.

٢- النبھاني، يوسف بن إسماعيل، الشيخ: المجموعة النبھانية في المدائح النبوية، ١/٥٧.

أفاطم أن جذعت فذاك عذر

وإن لم تحزني فهو السبيل

فقبر أبيك سيد كل قبر

وفيه سيد الناس الرسول“ (١)

### قصيدة كعب بن زهير في مدح النبي ﷺ

هو كعب بن زهير بن أبي سلمى (ت ٢٦هـ)، أحد فحول المخضرمين ومادحي النبي الكريم.

يقول الدكتور أحمد الحوفي:

وإذا كان الشك يعتور مدحة الأعشى، فإن مدحة كعب بن زهير لرسول الله لا

يعتور هاشك، وقد بدأها كعب بغزل تقليدي تشوق فيه إلى محبوبته، ووصف محاسنها، ثم وصف

الناقة التي يود أن تنقله إليها، ثم انتقل إلى الاعتذار للنبي ﷺ، وطلب العفو منه عما اقترب،

ومدحه، وفي مدحه ملامح جديدة لم يكن الشعراء يمدحون بمثلها في الجاهلية، كحديثه عن

القرآن الكريم وعن هداية النبي ﷺ للناس وتأيبه من ربه“. (٢)

ويقول كعب في مدحه:

”أبئْتُ أن رسول الله أوعدني

والعفو عند رسول الله مأمول

مهلا هداك الذي أعطاك القرآن

فيها مواعظ و تفصيل

لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم

أذنب ولو كثرت عني الأقاويل

لقد أقوم مقاماً لو يقوم به

أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل

لظل يرعد ألا أن يكون له

من الرسول بإذن الله تنويل

حتى وضعت يميني لا أنا زعه

في كف ذي نقمات قبله القيل

لذاك أهيب عندي إذا أكلمه

وقيل إنك منسوب و مسئول

إن الرسول لنور يستضاء به

مهند من سيوف الله مسلول“ (٣)

١- النبهاني، يوسف بن إسماعيل، الشيخ: المجموعة النبهاية في المدائح النبوية، ٥٧/١.

٢- أحمد الحوفي، الدكتور: الإسلام في شعر شوقي، ص ٧٣.

٣- نفس المرجع: ص ٧٤.

## مكانة شعر كعب لرسول الله ﷺ

ويقول زكي مبارك في الأدب العربي عن مكانة واهمية مدح كعب في تاريخ المدح النبوي:  
 ”وقصيدة (بانت سعاد) التي قالها كعب بن زهير في مدح رسول الله، فإنها لم تنظم إلا في  
 سبيل النجاة من القتل وحديث ذلك، أن كعباً خرج هو وأخوه بجير إلى رسول الله حتى بلغ أبرق  
 العزاف، فقال كعب لبجير: الحق الرجل، وأنا مقيم ههنا، فانظر ما يقول لك؟ فقدم بجير على رسول  
 الله، فسمع منه وأسلم، وبلغ ذلك كعباً فقال:

من مبلغ عني بجيرا رسالة	فهل لك فيما قلت بالخياف هل لك
سقيت بكأس عند آل محمد	فانهلك المأمون منها وعلكا
وخالفت أسباب الهدى واتبعته	على أيّ شيءٍ ويب غيرك ذلكا
على خلق لم تلف أمّا ولا أباً	عليه ولم تدرك عليه أخالكا
فإن أنت لم تفعل فلست بأسف	ولا قائل إمّا عثرت لعالكا“ (١)

وبعث بها إلى بجير، فكره أن يكتمها رسول الله فأنشده إياها، ثم قال بجير لكعب:

”من مبلغ كعباً فهل لك في التي	تلوم عليها باطلا وهي أحزم
إلى الله لا العزى ولا اللات وحده	فتنجحو إذا كان النجاة وتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفليّ	من الناس إلا طاهر القلب مُسلم
فدين زهير وهو لا شيء دينه	ودين أبي سلمى عليّ محرّم“ (٢)

فلما بلغ الكتاب ضاقت به الأرض، وأشفق على نفسه، وأرجف به من كان في حاضره من  
 عدوّه، فقالوا: هو مقتول. فإما لم يجد من شيء يداً قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله، ثم خرج  
 حتى قدم المدينة، فنزل على رجل من جهينه، وغدا به إلى رسول الله حين صلى الصبح، فصلى معه،  
 ثم أشار له إلى رسول الله فقال:

هذا رسول الله، قم إليه فاستأمنه، فقام حتى جلس إليه، فوضع يده في يده، وكان رسول الله

١- زكي مبارك، الدكتور: المدائح النبوية في الأدب العربي، ص ٢٠.

٢- نفس المرجع.

لا يعرفه، فقال: يا رسول الله! إن كعب بن زهير قد جاء يستأ من منك تائباً مسلماً، فهل أنت قابل منه  
إن أنا جئتُك به، فقال رسول الله: نعم، فقال! أنا، يا رسول الله، كعب بن زهير! ثم أنشده القصيدة:

”بانت سعاد فقلبي اليوم متبول  
نبئتُ أن رسول الله أوعدني  
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة القرآن  
لا تأخذني بأقوال الوشاة، ولم  
فلما بلغ قوله:

”إن الرسول لنور يستضاء به  
في عصابة من قريش قال قائلهم  
زالوا، فما زال أنكاس ولا كشف  
يوم اللقاء ولا سود معازيل (٢)

فنظر رسول الله إلى من عنده من قريش، كأنه يوحي إليهم أن يسمعهم، حتى قال:

”يمشون مشى الجمال بهم يعصمهم  
ضرب إذا عدّد السود التنابيل (٣)

يعرض بالأنصار، لغلظتهم كانت عليه، فأنكرت قريش عليه وقالوا: لم تمدحنا إذا هجوتهم، فقال:

”من سرّه شريف الحياة فلا يزل  
في مقنب من صالحى الأنصار (٤)

”الباذلين نفوسهم لبنيهم  
يوم الهياج وسطوة الجبار

يتطهرون، كأنه تُسك لهم  
بدماء من علقوا من الكفار (٥)

١- زكي مبارك، الدكتور: المدائح النبوية في الأدب العربي، ص ٢١

٢- الانكاس: جمع نكس وهو الضعيف الذليل. الكشف: الذين لا يحسنون حمل الترس في المبارزة.  
المعازيل: جمع معزال وهو من لا سلاح معه.

٣- يعصمهم: يحميهم ويمنعهم، التنابيل: القصار، ورواية الديوان الجمال الزهر جمع أزهر وهو الأبيض. عدد: فروحين.  
انظر: طه حسين، أحمد أمين: المنتخب من الأدب العربي، ٣٧/١ - ٤٥.

وانظر: مرزباني، أبي عبد الله محمد بن عمران بن موسى-

تحقيق: عبد الستار أحمد فراج: معجم الشعراء- ص ٢٢٨-٢٣١

٤- المقنب: ألف وأقل، ورواية الديوان، كرم الحياة.

٥- زكي مبارك، الدكتور: المدائح النبوية في الأدب العربي- ص ٢٢.



فكساه النبي بردة، اشتراها معاوية بعد ذلك بعشرين ألف درهم، وهي التي يلبسها الخلفاء

في العيدين، زعم ذلك أبان بن عثمان بن عفان. (١)

لاقت قصيدة "بانة سعاد" رواجاو قبولاً.

ينقل القاضي محي الدين بن عبد الظاهر في موضع آخر.

"قد قال كعب في النبي قصيدة

فإن شملنا بالجوائز رحمة

كرحمة كعب فهو كعب مبارك" (٢)

ويقول شمس الدين النواجي قصيدته على وزن بانة سعاد في ٨٥٩ هـ يقول في اخير

هذه القصيدة:

"كعب له في مديح المصطفى قدم

وروضة ابن زهير طاب مغرمها

وإن نسجت على منوال بردته

فإنه كان مفتاحاً لباب هدى

إن لم افز بقبول في متابعتي

بانة سعاد فقلبي اليوم متبول" (٣)

يقول دكتور زكي مبارك:

"قصيدة كعب بن زهير قبولاً جداً في دوائر الصوفية والمشائخ. سمعت الصوفي الشيخ

كان يفتح مجالسه من هذه القصيدة ابداً، لما سئل عن سببه، فقال، في منامه سئلت من رسول الله

١- زكي مبارك، الدكتور: المدائح النبوية في الأدب العربي - ص ٢٢.

٢- ابن قتيبة، أبي محمد عبد الله بن مسلم: الشعر والشعراء. بيروت، لبنان: دار الثقافة للنشر والتوزيع. بدون التاريخ. ٨٩/١-٩١.

وانظر: أحمد الهاشمي: جواهر الأدب - ص ٣٩١-٣٩٤

وانظر: روزنامه مشرق (الجريدة اليومية - مشرق) ٢٩ ابريل ١٩٨٨ م تحت عنوان: "نعتيه ادب كى تاريخ، حضرت كعب بن زهير بهله نعت گو شاعر تھے" (تاريخ الأدب المدح، كان كعب بن زهير الأول المادح)

وانظر: ضيف، شوقي: تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، ص ٨٣-٨٦

٣- الندوي: عبد الله عباس: عربي مين نعتيه كلام (المدائح في الأدب العربي)، ص ٦٥-٦٧.

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ حَقِيقَةَ قَصِيْدَةِ الْكَعْبِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْبَبَهَا، وَلَأَنْ مِنْ ذَاكَ الْيَوْمِ مِنْ عَادَاتِي أَقْرَأُ هَذِهِ الْقَصِيْدَةَ لَيْلًا مَرَّةً". (١)

## مدح العباس بن مرداس

كان عباس بن مرداس (ت ٣٥هـ) من العرب ومن قبيلة بني سليم.

وقال العباس في مدح النبي ﷺ:

”ألا من مبلغ نحيلان عني  
بأن محمد عبد رسول  
وجدناه نبيا مثل موسى  
ثم يقول:

وسوف إفال يأتيه الحنير  
لرب لا يضل ولا يحور  
فكل فتى يخايه مخيو“ (٢)

يا خاتم النبأ إنك مرسل  
إن الإله بنى عليك محبة  
رأيتك يا خير البرية كلها  
ونوّرت بالبرهان أمرا مدمّسا  
نبي أتانا بعد عيسى بناطق  
رأيتك يا خير البرية كلها  
أميننا على الفرقان أول شافع  
فأنت المصطفى من قريش إذا سمعت  
إن الذي ورث النبوة والهدى  
أودي فمارو كان يعبد مرة

بالحق كل هدى السبيل هداكا  
في خلقه ومحمدا سّماكا  
نشرت كتابا جاء بالحق معلما  
وأطفأت بالبرهان نارا مضرّما  
من الحق فيه الفضل منه كذاكا  
توسّطت في القري من المجد مالكا  
وأخر مبعوث يجيب الملائكا  
غلاصمها تبغى القدوم الغوالكا  
بعد ابن مريم من قريش مهتدا  
قبل الكتاب إلى النبي محمد“ (٣)

١- زكي مبارك، الدكتور: المدائح النبوية في الأدب العربي، ص ٨٥.

٢- سيرة ابن هشام: ٤/٨١.

٣- النبهاني، يوسف بن إسماعيل، الشيخ: المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. ١/٧٤ وانظر: سيرة ابن

هشام: ٤/٥١.

## شعر كعب بن مالك في مدح النبي ﷺ

وكعب بن مالك (ت ٥٠ هـ) أحد الصحابة من الثلاثة الذين خلفوا من غزوة التبوك، وذكرهم الله سبحانه وتعالى في القرآن الحكيم.

لم نجد كثيراً من المدائح منه ولكن قصيدة قرأها في حضرة النبي الكريم، عند ما ذهب النبي الكريم من حنين إلى الطائف، وسمع هذه القصيدة، فقال: "لقد شكرك الله تعالى على قولك هذا يا كعب" لاحظ بضعة من الأبيات لهذه القصيدة:

نور مضى له فضل على الشهب	"فينا الرسول شهاب ثم يتبعه
فمن يحببه إليه ينج من ثب	الحق منطقته، والعدل سيرته
حين القلوب على رجف من الرعب	نجد المقدم مافي الهم معتم
كأنه البدر لم يطبع على الكذب	يمضى ويذمرنا عن غير معصيته
وكذبوه، فكنا اسعد العرب" (١)	بدالنا فاتبعناه نصدقه

ويقول في مكان آخر:

هو الرحمن كان بنا رؤفا	"نطيع نبينا ونطيع ربا
ونجعلكم لنا عضداً وريفا	فإن تلقوا إلينا السلم نقبل
ولايك أمرنا رعشا ضعيفا	وإن تابوا نجاهدكم ونصير
نسوقم بها سوقا عنيفا	بكل مهندلين صقيل
يقوم الدين معتدلاً حنفيا	لامر الله والإسلام حتى
ونسلبها القلائد والشنوفا	وتنسى اللات والعزى وود
ومن لم يمتنع يقبل خسوفا" (٢)	فامسوا قد أقرّوا واطمأنّوا

## شعر حسان بن ثابت في مدح النبي الكريم ﷺ

هو حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري (ت ٤٤ هـ)، ويكنى أبا الوليد وأبا الحسام، وأمه

١- الندوي، عبد الله عباس: عربي مين نعتيه كلام (المدائح في الأدب العربي)، ص ٩٨-١٠٠

٢- النبھاني، يوسف بن إسماعيل، الشيخ: المجموعة النبھانية في المدائح النبوية، ١/٦٦.

الفُريعة من الخزرج، وهو متقدم الإسلام في عهد الجاهلية، إلا أنه لم يشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم مشهداً، لأنه كان جباناً، وكانت له ناصية يسدلها بين عينيه وكان يضرب بلسانه روثة أنفه. (١) ولما هاجر النبي الكريم ﷺ إلى المدينة وأسلم الأنصار أسلم معهم ودافع عنه بلسانه كما دافع عنه قومه الأنصار بسيوفهم، وعاش حسان بعد رسول الله مُحبباً إلى خلفائه مرضياً عنه وعمراً قريبا من ١٢٠ سنة، وبقي أكثر حياته متمتعاً بشعوره وبعقله، حتى وهن جسمه في أواخر عمره وكف بصره، ومات في خلافة معاوية سنة ٥٧هـ. (٢)

### شعره

وكان حسان شاعر أهل المدر في الجاهلية وشاعر اليمانية في الإسلام، ولم يكن في أصحاب رسول الله ولا في أعدائه عند دعوته إلى الله أشعر منه، ولذلك رمى مشركي مكة من لسانه بالذاهية التي لم يكن لهم قبل بها فأوجعهم وأخر سهم من غير فحش ولا هُجر ولما أذن له النبي في هجائهم، قال له كيف تهجوهم وأنا منهم.

قال:

”أسلك منهم كما تُسَلُّ الشعرة من العجين“ (٣) وكان رسول الله ينصب له منبراً بالمسجد ويسمع هجاءه في أعدائه، ويقول: ”أجب عني اللهم أيديك بروح القدس“ (٤)

فقال قصيدة في المدح النبوي في رد أبي سفيان بن حارث، فيقول:

”هجوت محمدا فأحببت عنه      وعند الله في ذلك الجزاء

من مثل قوله:

وجبريل امين الله فينا      وروح القدس ليس له كفاء

١- ابن قتيبة، أبي محمد عبد الله بن مسلم: الشعر والشعراء، ٢٢٣/١.

٢- أحمد الهاشمي: جواهر الأدب، ص ٣٩٣.

٣- أخرجه البخاري في صحيح البخاري، في كتاب المناقب، باب: من أحب أن يسب نبيه، رقم

الحديث: ١٤٠٥، ١٨٢/٢.

٤- أخرجه مسلم في صحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه، ٤٥/٧.

ثم يقول في يوم بدر:

فينا الرسول وفينا الحق نتبعه  
حتى الممات ونصر غير محدود

مستعصمين بحبل (١) غير منجذم  
مستحکم من حبال الله مملود (٢)

فإنه كثير المدائح لرسول الله ولصحابته، والصبغة الإسلامية في مدائحه أوضح وأكثر ألواناً، كقوله:

”أغرّ عليه للنبوّة خاتم  
من الله مشهود يلوح ويشهد

وضم الاله اسم النبي إلى اسمه  
إذ قال في الخمس المؤذن أشهد

وشق له من اسمه ليحمله  
فدو العرش محمود وهذا محمد

نبي أتانا بعد يأس وفترة  
من الرسل والأوثان في الأرض تعبد

فأمسى سراجاً مستنيراً وها ديا  
يلوح كما لاح الصقيل المهند

وأندرننا ناراً وبشر جنة  
وعلمنا الإسلام فالله نحمد“ (٣)

وله مرث في الرسول الكريم تتضح فيها المعاني الإسلامية اتضحاً على نحو ما وجدنا في

مرثيته التي رواها أبو زيد الأنصاري والتي يقول فيها:

”وما فقد الماضون مثل محمد  
ولا مثله حتى القيامة يُفقد“ (٤)

وقد ختم مرثيه لرسول الله بالأمل في جواره، يقول:

”وليس هواني نازعا عن ثنائه  
لعلى به في جنة الخلد أخلد

مع المصطفى أرجو بذاك جواره  
وفي ينل ذاك اليوم أسعى وأجهد“ (٥)

وختم بعضها بالصلوة عليه:

”صلى الاله ومن يخفُّ بعرشه  
والطيبون على المبارك أحمد“ (٦)

١- وهو يشير إلى قوله تعالى: (واعصموا بحبل الله جميعاً)

٢- انظر: النبهاني، يوسف بن إسماعيل، الشيخ: المجموعة النبهانية في المدائح النبوية، ٦٠/١.

٣- ديوان حسان بن ثابت: ص ٧٨-٧٩. وانظر: النبهاني، يوسف بن إسماعيل، الشيخ: المجموعة النبهانية في المدائح النبوية، ٦٠/١-٦١.

٤- ضيف، شوقي، الدكتور: تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، ص ٧٧-٨٣.

٥- حسان بن ثابت: ديوان حسان بن ثابت. بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م. ص ٩٧.

٦- نفس المرجع: ص ٩٩.

## النابغة الجعدي في مدح النبي ﷺ

أبو ليلى حسان بن عبد الله بن قيس الجعدي العامري (ت ٥٨هـ) (١)

أحد القدماء المعمرين والشعراء المخضرمين، ووصف الخيل المشهورين قال الشعر في الجاهلية- ثم أجبل دهرا، ثم نبغ في الشعر عند ظهور الإسلام وبعده، ولذلك سُمي النابغة، وهو ممن فُكر في الجاهلية، وأنكر الخمر وما تفعل بالعقل، وهجر الأزلام والأوثان، وذكر دين إبراهيم، وصام واستغفر، ووفد على رسول الله ﷺ.

وعاش طويلا في الإسلام، فأقام زمنا مهاجرا حتى أيام عثمان، فأحس بضعف في نفسه، فاستأذن عثمان في الرجوع إلى البادية فأذن له، ومات بأصبهان سنة ٥٨هـ، بعد أن عمّر مائة وثمانين سنة.

### شعره

كان النابغة الجعدي شاعراً مطبوعاً في الجاهلية والإسلام، وله في الفخر والهجاء والمدح والثناء، ومن أشرفه قصيدته التي مدح بها الرسول الكريم وهي:

”أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى

ويتلو كتابا كالمجرة نيرا

أقيم على التقوى وأرضى بنعلها

وكنت من النار المخوفة أحذرا

ومنها في الفخر:

بلغنا السماء مجدنا وحدودنا

وانا لنرجوا فوق ذلك مظهرا

ولا خير في حلم إذا لم تكن له

بوادر تحمي صفوة أن يكذرا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له

حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا“ (٢)

ولما سمع رسول الله (بلغنا السماء.....البيت) قال له:

فأين المظهر يا أبا ليلى؟ قال الجنة، قال له إن شاء الله، ولما أتم قصيدته، قال له الرسول،

١- اختلف المؤرخون في اسمه، هل هو عبد الله ابن قيس أو قيس بن عبد الله أو حبان بن قيس.

٢- أحمد الهاشمي: جواهر الأدب، ص ٣٩٣-٤٠٧.

أجدت لا يفضض الله فاكـ فأتت عليه مائة سنة أو نحوها وما انفضت من فيه سن". (١)

## الكميت في مدح النبي ﷺ

وهو الكميت بن زيد، من بني أسد (ت ٦٠ هـ)، ويكنى أبا المستهل، كان أشعر شعراء الشيعة الهاشمية، نشأ بالكوفة بين قومه بني أسد إحدى قبائل العرب، وعرف الأدب والرواية، وعلم أنساب العرب وأيامها بمدارس العلم والأخذ عن الأعراب، وكان له جدتان أدركتا الجاهلية تقصان عليه أخبارها وأشعار أهلها، قال الكميت الشعر وهو صغير وكان لا يذيعه ولا يكتسب به، ويكتفي بحرفته تعليم صبيان الكوفة بالمسجد، ولما حصف شعره وقوي أثره، ولا سيما قصائد التي أعلن فيها تشييعه لبني هاشم وآل علي، فقال قصائده البليغة المطولة المسماة "بالهاشميات".

ويقول فيها:

"بني هاشم رهط النبي فأنني	بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب
خفضت لهم منى الجناح مؤدة	إلى كنف عطفاه أهل ومرحب
ومالى إلا آل أحمد شيعة	ومالى إلا مذهب الحق مذهب
بأى كتاب أم بائة سنة	يُرى حبهم عار اعلىّ ويُحسب" (٢)

ويقول الكميت في قصيدته:

"أسرة الصادق الحديث أبي القـ	اسم فرع القدامس القدام
خير حي وميت من بنى آ	دم طراً مأمومهم والإمام
خير مسترضع وخير فطيم	وجنين أقرّفي الأرحام
غلام وناشئاً ثم كهلا	خير كهلا وناشئ وغلام

١- ابن قتيبة، أبي محمد عبد الله بن مسلم: الشعر والشعراء، ١/٢٠٨-٢٠٩. انظر: الحوفي، أحمد، الدكتور:

الإسلام في شعر شوقي- ص ٧٤-٧٥. وانظر: شوقي ضيف، الدكتور: تاريخ الأدب العربي، عصر الإسلام.

القاهرة: دار المعارف ١١٩ كورينش النيل. ١٩٦٣ م. ص ١٠٠-١٠٤.

٢- أحمد الهاشمي: جواهر الأدب، ص ٤٠٩.

لوفدي الحُي ميتاقلت، نفسي ونبي الفدا لتلك العظام“ (١)

## المدح النبوي في عصر خلفاء الراشدين

أما أصحاب رسول الله فكانت صلاتهم بالنبي ﷺ قوية محكمة جداً وعند ما ننظر على حياة خلفاء راشدين، فنجد ما كانوا شعراء رسمياً، ولكن قالوا عدة من الأبيات في حب النبي ﷺ وهذه نموذج مملوءة بحبهم للنبي ﷺ، وفي السطور القادمة نستعرض أشعارهم.

### سيدنا أبو بكر الصديق

كان أبو بكر (ت ١٣ هـ) سابق الإسلام، مصدق رسالة محمد ﷺ، والرفيق الوفي، كان حبه بالنبي الكريم حبا شديداً، ويظهر مشاعره في لسان الشعر، روي شعر منه في كتب التاريخ والسير والأدب. (٢)

قال علي وفاة رسول الله ﷺ:

يا عين فابكى ولا تسأمي	وحق البكاء على السيد
فصلى المليك ولي العباد	ورب البلاد على أحمد
فكيف الحياة لفقد الجيب	وزين المعاشر في المشهد
فليت الممات لنا كلنا	فكنا جميعاً مع المهدي (٣)
أعتيق ويحك أن حبك قد ثوى	وبقيت منفرداً وأنت حسير
ياليتني من قبل مهلك صاحبي	غيبت في حدث عليّ صخور (٤)
ليت القيامة قامت بعد مهلكه	ولا نرى بعده مالا ولا ولدا

- ١- فهمي، ماهر حسن، الدكتور: شعره الإسلامي، ص ١٠٢. وانظر: الحوفي أحمد، الدكتور: الإسلام في شعر شوقي- ص ٧٦. وانظر: شوقي ضيف، الدكتور: تاريخ الأدب العربي، عصره الإسلامي، ص ٣١٥-٣١٩.
- ٢- طبقات الشافعية الكبرى، طبقات ابن سعد، كتاب العمدة وغيره، وفي عصر جديد "أشعار أبي بكر، لأمين الله وثير.
- ٣- ابن سعد: طبقات ابن سعد، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر دار صادر بيروت. ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م. ٢/٣١٩.
- ٤- نفس المرجع، ٢/٣٢٠.



كم لي بعدك من همّ يُنصبي  
إذا تذكرت أنّي لا أراك أبداً  
كان المصفاة في الأخلاق قد علموا  
وفي العفاف فلم نعدل به أحد (١)  
أجدك ما لعينك لا تنام  
كأن جفونها فيها كلام (٢)  
ثم يقول:

أمين مصطفى للخير يدعوا  
كضرب البدر زائلة الظلام (٣)

### مدح عمر الفاروق رضي الله تعالى عنه

كان عمر الفاروق (ت ٢٤هـ) أحد من الناس الذين يفهمون الشعر، وكان ناقداً جيداً، له نظرات عميقة في نقد الشعر وتفضيل بعض الشعراء على بعض، وروي بعض من الآيات منه كما يلي:

نبي صدق اتينا بالحق من ثقة  
وإني الأمانة ما في عوده خور  
فأمسى رسول الله قد عزّ نصره  
وأمسى عداه من قتيل وشارد  
ويظهر مشاعره في الرثاء كذلك:  
ما زلت مذ وضعوا فراش محمد  
كيما يُمرّض حائفنا أتوجّع (٤)

### مدح عثمان بن عفان (ت ٣٥هـ)

نجد كتب الأشعار تخلو من أشعاره، ولكن رتب عبد الستار المنور الملتاني مجموعة باسم "ديوان غني" في شبه القارة (الهندية) وفي هذه المجموعة نجد شعره، تشمل هذه المجموعة على أربعة وثمانين شعراً، ولكن هذه المجموعة لا يخلو عن الشبهات ولا يمكن لنا أن نعتد على هذه المجموعة.

يذكر يوسف بن إسماعيل البهائي شعراً واحداً منه، والذي قاله علي وفاة رسوله الكريم ﷺ:  
فيا عيني ابكي ولا تسامي  
وحق البكاء على السيد (٥)

١- طبقات ابن سعد، ٢/٣٢٠.

٢- البهائي، يوسف بن إسماعيل: المجموعة البهائية في مدائح النبوية، ٤٨/١.

٣- السبكي، أبو نصر عبد الوهاب: طبقات الشافعية الكبرى، ٤/١٦١.

٤- البهائي، يوسف بن إسماعيل: المجموعة البهائية في المدائح النبوية، ٤٨/١.

٥- نفس المرجع.

## مدح علي بن أبي طالب (ت ٤٠ هـ)

فصاحة اللسان وبلاغة الكلام من الخصائص الحسنة لسيدنا علي رضي الله عنه، وخطباته أكمل النموذج بنثره البليغ، نسب إليه كثير من الشعر وطبع ديوان كامل باسم "ديوان علي" نقل صاحب "سيرة ابن هشام" عدة من الأشعار باسمه ولكن ما اعتمد صاحب السيرة بنفسه على سنده، ويقول: "ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها". (١)

انظر بضعة الأبيات من ديوانه:

وقيت بنفسى خير من مطئ الحصى	ومن طاف بالبيت العتيق وبالبحر
اردت به نصر الاله تبتلا	واضمرته حتى أو سد في قبر (٢)
فأمسى رسول الله قد غنى نصره	وكان رسول الله ﷺ أرسل بالعدل
فجاء بفرقان من الله منزل	مبينة آياته لذوى العقل (٣)
فأصبح أحمد فينا عزيزا	عزيز المقامة والموقف (٤)
الهى بحق الهاشمي وآله	وحرمة ابرارهم لك تحشع
الهى فانشرني على دين أحمد	منيبا تقياً قانتا لك أخضع
ولا تحرمني يا الهى وسيدي	شفاعته الكبرى فذاك المشفع
وصل عليه ما دعاك مؤحد	وناجاك اخيار ببابك ركع (٥)

## مخدرات الإسلام

ونجد كثيراً من النساء في عصر النبي ﷺ يظهرن مشاعرهن وعقيدتهن في المدائح النبوية وينبغي لنا أن نبتدأ مدائح هؤلاء النساء بالسيدة آمنة، لأنه ظهر هذا القمر المنير ﷺ في مهدها.

- ١- سيرة ابن هشام، ٣٧٣/٢.
- ٢- ديوان سيدنا علي، ص ٥٤. وسيرة ابن هشام، ٣٧٣/٢.
- ٣- ديوان سيدنا علي، كانبور: المطبع المجيدي، ١٣٤١ هـ، ص ٩٦.
- ٤- سيرة ابن هشام، ٢٠١/٣.
- ٥- ديوان بديع البيان، لعلي عليه السلام مع بالترجمة الأردنية، لأبي الحسنات قطب الدين أحمد، ص ١١٥.

## سيدة آمنة رضي الله عنها

كانت السيدة آمنة بنت وهب (ت ٤٥ ق هـ) من بني زهرة من قريش، تزوجها السيد عبد الله بن عبد المطلب ولكن صارت أرملة في شبابها، وأعطاه الله تعالى الطفل المبارك، وذهبت إلى المدينة لزيارة قبر زوجها، ولما رجعت من مدينة ووصلت "أبواء" نظرت إلى طفلها وقالت:

بارك فيك الله من غلام      يا ابن الذي من حومة الحمام  
فانت مبعوث إلى الانام      تبعت في الحل وفي الحرام  
تبعت في التحقيق والإسلام      دين أبيك البرابراهيم (١)

ولما فوضت ابنها إلى سيده حليلة السعدية قالت:

أعيذه بالله ذى الجلال      من شر ما مرّ على الجبال  
حتى أراه حامل الحلال      ويفعل العرف إلى الموالى  
وغيرهم من حشوة الرجال (٢)

## السيدة حليلة السعدية (ت بعد ٨هـ)

كانت أمه الرضاعي، وقالت في ترنيمة الأم للصبي.

يارب إذا اعطيته فأبقه      وأعله إلى العلا وأرقه  
وادحض أباطيل العدا بحقه (٣)

## السيدة شيما بنت الحارث،

كانت شيما بنت الحارث (ت بعد ٨هـ) أختها من الرضاعة، وقالت بالسرور:

يارب أبق لنا محمداً      حتى نراه يافعا وامروا  
ثم نراه سيذا مسودا      واكتب اعاديه معا والحمد  
وأعطه غيراً يدوم أبداً (٤)

- ١- السيوطي، أمام جلال الدين عبد الرحمن: الخصائص الكبرى. بيروت: دار الكتب العلمية ١٣٢٠هـ، حيدر آباد، دكن، دهلي: المطبع المحتسباني. ١٣٧٨هـ. ٧٩/١.
- ٢- طبقات ابن سعد، ١/١١١.
- ٣- الخصائص الكبرى، ١/٥٩. وانظر: البهاني: حجة الله على العالمين. لائل بور: المكتبة النورية الرضوية. بدون التاريخ، ص ٢٦٠.
- ٤- ابن حجر عسقلاني، شهاب الدين أحمد: الاصابة في تميز الصحابة. ص ٣٣٦/٤. وانظر: البهاني: حجة الله على العالمين، ص ٢٦٠.

## أروى بنت عبد المطلب

وعمته أروى بنت عبد المطلب (ت نحو ٥١ هـ) أنشدت في مدح النبي ﷺ:

و كنت بنا برأ ولم تك جافيا	ألا يا رسول الله كنت رجاءنا
لبيك عليك اليوم من كان باكيا	و كنت بنا رؤوفا رحيمنا
على حدث أمسى يثرب ثاويا	أفاطم صلى الله رب محمد
وعمي ونفسي قصرة ثم خاليا (١)	فداء لرسول الله أمي وخالتي

## عاتكة بنت عبد المطلب

و كانت عاتكة بنت عبد المطلب عمته الأخرى التي قالت في مدح النبي صلى الله عليه وسلم:

يا عين فانهملى بالدمع واجتهدي	للمصطفى دون خلق الله، بالنور
من فقد أزهري ضافي الخلق ذي فخر	صاف من العيب والعاهات والزور
أنسى لك الويلات! مثل محمد	في كل نائبة مزب ومشهد
ام من لوحى الله يترك بيننا	في كل ممسى ليلة أو في غد
أعيني جودا بالدموع السواجلد	على المصطفى بالنور من آل هاشم
على الطاهر الميمون ذي الحليم والندى	وذى الفضل والداعى لخير التراجم
أعيني ما ذا، بعد ما قد فحجتما	به تكيان الدهر من ولد آدم (٢)
أقاكم بما جاء النبيون قبله	وما ابن اخي البر الصدوق شاعر (٣)

## صفية بنت عبد المطلب

و كانت صفية بنت عبد المطلب (ت ٢٠ هـ) عممة الرسول وأم زبير بن العوام وهي الاخت

الشقيقة للسيد حمزة رضي الله عنه. (٤)

- ١- طبقات ابن سعد، ٢/٣٢٥، ٣٢٦. ولكن نجد هذا الشعر باسم سيده صفية بنت عبد المطلب في "الاستيعاب" ص ١/٢١ وفي "الظريف الأديب"، الظريف شيخ عبد الأول بن علي الحونفوزي ص ١٣٦، ولعل هذا صحيح.
- ٢- طبقات ابن سعد، ٢/٣٢٦ - ٣٢٧.
- ٣- نفس المرجع.
- ٤- ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٨/٤١، ٤٢. والإصابة، ٤/٣٣٩، ٤٣٠، وأسد الغابة، ٥/٤٩٢، ٤٩٣.

قالت رثاء علي وفاة الرسول الكريم:

ليت شعري، وكيف أمسى صحيحاً  
أعظم الناس في البرية حقاً  
فأوحشت الأرض من فقدته  
وتبكى الأباطح من فقدته  
أعينى جوداً بدمع سجم  
على صفوة الله رب العباد  
ثم تقول:

بعدم أن بينا بالرسول القريب  
بسيد الناس جبه في القلوب  
وأى البرية لا ينكب  
وتبكيه مكة والأخشب  
بيادر غربا بما منهدم  
ورب السماء وبأدى النسم (١)

ثمال المعدمين وكل جار  
فاما تمس في جدت مقيما  
فاتح، خاتم، رحيم، رؤوف  
طيب العود والغريبة والتسليم

ومأوى كل مضطهر غريب  
فقد ما عشت ذاكرم وطيب  
صادق الفيل طسب الأثواب  
محض الأنساب وارى الزفاد (٢)

## سيدة فاطمة الزهراء

كانت سيدة فاطمة الزهراء (ت ١١ هـ) بنت رسول الله ﷺ وسيدة نساء أهل الجنة، أم الحسين، زوج علي، وكانت عاشت بعد وفاة الرسول الكريم ستة شهور فقط وقضت تلك الشهور في الحزن، وظهر هذا الحزن في أشعارها:

إننا فقدناك فقد الأرض وابلها  
فليت قبلك كان الموت صادفنا  
اغبرّ افاق السماء وكورّت  
والأرض من بعد النبي كيئة

وغياب مضرغبت عنا الوحي والكتب (٣)  
بما نعت وحالت دونك الكتب  
شمس النهار وأظلم العصران  
أسفاعليه كثيرة الأحزان

١- ابن سعد: طبقات الكبرى، ٢/٣٣٢، ٣٣٣.

٢- نفس المرجع، ٢/٣٢٨، ٣٣٠.

٣- ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد اندلسي: العقد الفريد، ٢/١٥٣، ١٥٤.

- يا خاتم الرسل المبارك وجهه  
صلى عليك منزل القرآن (١)
- فإن كنت عني في التراب مغيبا  
فما كنت عن قلبي الحزين بغائب (٢)
- أمسى نجدى للدموع وسوم  
أسفا عليك وفي الفؤاد كلام
- والصبر يحسن في المواطن كلها  
الاعليك فأنه مذموم
- لا عتب في حزني عليك لو انه  
كان البكاء لمقلتي يدوم (٣)
- ونال البيتان التاليان شهرة بالغة حيث تقول:
- ما ذا على من شمّ تربة أحمد  
أن لا يشمّ مدى الزمان غواليا
- صبت على مصائب لو انها  
صبت على الأيام صرن لياليا (٤)

### المدح النبوي في العصرين الأموي والعباسي

وبعد استعراض نموذج المدائح النبوية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وما بعد عند ما ننظر إلى العهدين الأموي والعباسي، نجد أن هذا العصر، هو الذي اشتهر بترويج الحضارة الإسلامية وثقافة الإسلام وعلومه وفنونه، إلا أننا نجد قليلا من الماد حين في هذا العصر، فنحن الآن نتكلم عن هؤلاء المادحين واحداً واحداً.

### الفرزدق في المدح النبوي صلى الله عليه وسلم

وهو أبو فراس همام بن غالب تميمي (ت ١١٠هـ)، ولد في بصره، وعاش حياته الابتدائية هناك، وتربى في مهد العلم والأدب حتى صارت طبيعته معتدلة للشعر، وقال الشعر في المدح النبوي صلى الله عليه وسلم. ويقول الدكتور زكي مبارك في هذا الصدد:

”أن مدح الفرزدق هو بداية الصدق في المدائح النبوية، ذلك بأن مدائح حسان وقعت في أيام كان مدح النبي فيها ينفع الشاعر ولا يضره، أما مدح النبي صلى الله عليه وسلم وأهله في أيام

١- ديوان سيدنا علي، ص ٦. ولكن نسب هذا الشعر إليه الكميّ من زيد الأسدي ”في“ العمدة، ص ٢٣/٢.

٢- نفس المرجع، ص ١٩.

٣- النبهاني، يوسف بن إسماعيل: حجة الله على العالمين، ص ٧١٢.

٤- معين كاشفي، ملا: مدارج النبوة في مدارج الفترة. سكه، باكستان: مكتبة نورية رضوية وكتورية ماركيت و مطبعة سراجي منشي نولكشور، لكهنو، ١٩٢٦م. ص ٢٨٦/٤.

الفرزدق، فكان باباً من الشريفتخ للمادحين، لأن تلك المدائح ما كانت تروق خلفاء بني أمية، وكيف تروقهم وهي تزكية لخصوم اولئك الخلفاء؟ إن أقوى حجة عند خصوم بني أمية كانت قرابتهم من رسول الله، فلا بدع أن يكون مدح رسول الله تنويها بشأن اولئك المعارضين. الم تر كيف غضب هشام وسجن الفرزدق؟

ثم يقول:

ومضى هذا أن السياسة كانت بدأت تستقل عن الدين بعض الاستقلال فمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله في نظر خلفاء بني أمية كان ضرباً من التمدد، وتعليل ذاك سهل، فموقف على بن حسين من بني أمية شبيه بموقف خلفه الشريف الرضى من بني العباس، والشريف هو الذي يقول:

ردوا تراث محمد ردوا ليس القضيب لكم ولا البرد

وتراث محمد كان أهم ما فيه ولاية أمر المسلمين، وقد انتزعت من آل البيت انتزعتها بنو أمية ثم بنو العباس، نقول هذا النس أثر الشجاعة الصوفية عند الفرزدق حين مدح على بن الحسين في حضرة هشام بن عبد الملك وقوله حين رفض العطية .

”مدحته لله تعالى لا للعطاء“

يذكر بالكميت، وقد دخل عليه جعفر بن محمد بعطاء وكسوة فقال:

”والله ما أحبكم للدنيا، ولو أردت الدنيا لأتيت من هي في يديه، ولكني أحبكم للأخرة،

فأما الثياب التي أصابت أجسامكم فأنا أقبلها لبركاتها وأما المال فلا أقبله“ - (١)

ويقول في المدح النبوي ﷺ:

هو جنة للمؤمنين ورحمة	قد عمّ كل موحد رضوانه
أو ليس لى في الغيب زورة أحمد	فنزيله قد فرّجت أحزانه
طوبى لمن هو مؤمن بمحمد	قد صحّ ما بين الورى إيمانه
من أين لى بالشعر مدحك في الورى	والله حصّك بالثناء قرآنه

لكن بمدحك قد يفوز مقيم  
بالممدح يرجو أن تكون شفيعه  
واحكم له يا مصطفى برضا إذا  
صلّى عليك اللّهُ والأملآك ما  
بالحبّ متبول الحشا ولهانه  
فاحسن لعبد ساءه عصيانه  
يوم القيامة قد علت ميزانه  
قد فاح من روض الرباريحانه" (١)

## الإمام أبو حنيفة

وهو النعمان بن ثابت (ت ١٥٠ هـ) الذي أسس الفقه الحنفي، وكان من التابعين، بأنه رأى كثيراً من الصحابة ونسب إليه كثير من الكتب، وقصيدته المدحية واحدة باسم، "القصيدۃ النعمانية" وطبعت في سنة ١٢٦٨ هـ من مطبع حجر آستانه.

وطبعت هذه القصيدة مراراً، وقد رتب في سنة ١٢٦٥ هـ باسم "مجموعة القصائد" من استنبول، فأدخلها في هذه المجموعة، ونجد كثيراً من الفضائل والشمالل النبوية في هذه القصيدة:

يا سيد السادات جئتك قاصدا	أرجو رضاك واحتمى بحماك
واللّهُ يا خير الخلائق أنّ لي	قلبا مشوقا لا يروم سواك
أنت الذي لولاك ما خلق امرء	كلاً ولا خلق الوري لولاك
أنت الذي لمّا توّسل آدم	من زلة بك فاز وهو أباك
لك معجزات اعجزت كل الوري	وفضائل جلّت فليس تحاكا
قد فقلت يا طه جميع الأنبياء	طراً فسبحان الذي أسواكا
واللّهُ يا يسّ مثلك لم يكن	في العالمين وحق من نّبأك
يا أكرم الثقيلين يا كثر الوري	جُرلى بجورك وارضني برضاك
أنا طامع بالجوّد منك ولم يكن	لأبى حنيفة في لانام سواك" (٢)

١- طه وادي، الدكتور: الشعر والشعراء المجهولون. الطبعة الثالثة، القاهرة: دار المعارف ١١٩ كورينش

النيل. ١٩٩٥ م. ص ٣٢٥-٣٢٦.

٢- اسحاق قريشي، الدكتور: المدائح النبوية في باكستان وهند. رسالة الدكتوراه، جامعة بنجاب، باكستان،

١٩٧٩ م. ص ١٩٠.



## محمد بن المستنير بن أحمد، أبو علي القطرب (ت ٢٠٦هـ)

وهو مؤلف القصيدة المدحية "المثلّت" التي تشتمل على سبعة وعشرين شعراً، ونقلها ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) في "معجم الأديباء"، ونجد فيها ذكر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم.

إليك، رسول الله، مناتحية	وصلّى عليك العابد المتّهجد
فأنت رسول الله هاد ومهتدٍ	نبي هدى للأنبياء مؤيد
فلا يقبل التوحيد إلا بذكره	ليقرنه، عند النداء الموحد
مطهر التركيب من كل آفه	مباركة الأفعال ما مثلها يد
تسلّم أحجار عليه فضيحه	إذا ما خلا في حاجة يتضرد
رحيم، رحيم يسّن متواضع	سخي حي عابد مترهد
وكان رسول الله خوف صفاتنا	يقصر فيه عن يقول فيهد" (١)

## أبو العتاهية

وهو أبو اسحاق إسماعيل بن القاسم (ت ٢١١هـ)، الشاعر المعروف في العهد العباسي، وكان موضوع شعره "الزهد والتقوى" وهو شاعر قادر الكلام، وكما يقول:

"لو شئت أن أجعل كلامي كله في شعر واحد، لفعلت". (٢)

وكان من خصائصه، أنه عرض هدية فنه في المدح النبوي ﷺ، بأنه يشعر أن ذات النبي رحيم كريم وينبغي لنا أن نمدحه.

فيقول:

"مرسل لو يوزن الناس به	في التقى والبر شالوا ورجع
فرسول الله أولى بالعلی	ورسول الله أولى بالمدح" (٣)

١- الندوي، عباس، سيد: عربي مین نعتیہ کلام (الأردنية) (المدح النبوية في الأدب العربي)، ص ١٣٢-١٣٥.

٢- الندوي، عباس، سيد: عربي مین نعتیہ کلام (الأردنية) (المدح النبوي في الأدب العربي)، ص ١٢٨.

- وانظر: طه حسين: تاريخ الأدب العربي، ص ١٢٣-١٢٧.

٣- الندوي، عباس، سيد: عربي مین نعتیہ کلام (الأردنية) (المدح النبوية في الأدب العربي)، ص ١٢٨.

وكان أبو العتاهية منفرداً في تجديد الفكر وابتكار المعنى.

على رسول الله مني السلام  
أحيا به الله قلوبا كما  
ما كان إلا رحمة للأنام  
أحيا موت الأرض صوب الضمام  
انظر كيفيته الإسلام على ضريح النبي المبارك.

سلام على قبر النبي محمد  
نبي هدانا الله بعد ضلاله  
نبي الهدى والمصطفى والمؤتد  
به لم نكن لولا هداه لنهتدي“ (١)

### الصنوبري في مدح النبي ﷺ

هو أحمد بن محمد بن الحسين بن مرار الضبي الحلبي الأنطاكي ، أبو بكر، اشتهر باسم الصنوبري (ت ٣٣٤هـ).

ويقول في مدح النبي ﷺ:

سيرا إذا لن تسيـرا  
محمّلات ظهـوراً  
عيراً تناقـل عيرا  
وموقـرات نـذورا  
زورا بيثـرب قـبرا  
زورا الـنبيّ وزورا  
زور الشـموس شـموس الـ  
محمداً وعـليا وشـبرا وشـبيرا  
ومن مـضى خـاتم الـرسـ  
ل والسراج المـنيراً“ (٢)

### أبو العلاء المعري (ت ٤٤٩هـ)

يقول أحمد الحوفي عنه:

”وأما أبو العلاء المعري فقد عرض أبياته في الدعوة إلى الحق والخير، وإلى التوحيد

الخالص، وفرضها عبادات ونوافل، وحثها على طهارة الجسم والملبس ونهيتها عن قذف

١- اسحاق قريشي، الدكتور: المدائح النبوية في باكستان وهند، ص ١٩٠.

٢- الضبي، أحمد بن محمد بن الحسين: ديوان الصنوبري. بيروت، لبنان: دار الثقافة . ١٩٧٠م. ص ٩٣-٩٦.

المحصنات وعن الخمر:

”دعاكم إلى خير الأمور محمد  
وليس العوالي في القضا كالشواغل  
هداكم على تعظيم من خلق الضحى  
وشهب الدجى من طالعات وآفل“ (١)

## من بديع النظم لابن الحيان في مدح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

”هو حيان بن خلف بن حسين بن حيان الأموى بالولاء، أبو مروان (ت ٤٦٩ هـ)، كان

صاحب لواء التاريخ في الأندلس، أفصح الناس بالتكلم فيه، وأحسنهم تنسيقاً له.“ (٢)

قال الشعر في المدح النبوي ﷺ في صورة تخميس:

تاج النسبوة خاتم الأنبياء صفوا الصريح خلاصة العلياء

نجل الذبيح سلالة العلماء بشرى المسيح دعاء ابراهيم

صلوا عليه وسلموا تسليماً

أوصاف سيدنا النبي الهادي مانا لها أحد من الأمجاد

فالرسل في هدى وفي ارشاد قد سلموا النبي تسليماً

صلوا عليه وسلموا تسليماً

البدر شق له ليظهر صدقه والشمس قد وقفت تعظيم حقه

والمزن أرسل إذ توسل ودقه فاحضر ما قد كان قبل هشيم

صلوا عليه وسلموا تسليماً (٣)

## الشقراطيسي (ت ٤٩٦ هـ)

ويقول أبو عبد الله بن أبي زكريا الشقراطيسي المغربي:

خير البرية من بدو ومن كفر واكرم الخلق من خاف ومنتعل

ألست أكرم من عيشي على قدم من البرية فوق السهل والجبل“ (٤)

١- أحمد الحوفي، الدكتور: الإسلام في شعر شوقي، ص ٧٦.

٢- الزركلي، خير الدين: الأعلام، ٢/٢٨٩.

٣- المقرئ: نفع الطب. بيروت، لبنان: دار الكتب العربي. بدون التاريخ. ٤/٤٤٢-٤٤٣.

٤- النبهاني، يوسف بن إسماعيل- المجموعة النبهانية. ٣/١٩٨.

هذه القصيدة تشتمل على خمسة وثلاثين ومئة شعرٍ .

## الأبيوردي

أبو المظفر محمد بن أحمد الأموي الأبيوردي (ت ٥٠٧هـ)، كان أديباً، شاعراً ومؤرخاً شهيراً، والأبيور أحدى مدن خراسان، التي تقع بين سرخس و نساء، فيه ولد الأبيوردي، صنّف عدة من الكتب، ومنها تاريخ أبيورد، تاريخ نساء، وديوان الشعر. ويشتمل هذا الديوان على ثلاثة أجزاء. الأول "النجديات" الثاني "العراقيات" والثالثة "الوجديات".

توجد في شكل المخطوطات، طبعت مقطعات الأبيوردي في سنة ١٢٧٧ هـ من القاهرة، وطبع ديوان في سنة ١٢١٧ هـ من نسان.

نظم الأبيوردي قصيدة لامية على معارضة "بانة سعاد" وذكر الشمائل النبوية باختصار:

تحكى شمائله في طيها زهراً      يفوح والروض موهوم ومشمول  
فمن احبهم نال النجاة بهم      ومن أبى حبههم فالسيف مسلول (١)

## الزمخشري

محمود بن عمر، ابو القاسم الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، ولد في زمخشر مدينة "خراسان" في سنة ٤٦٧ هـ، وتوفي في جرجانية "خوارزم" - أقام الزمخشري في مكة طول المدة، ولذا لقب بـ "جار الله" كان تصنيفه الكشاف في التفسير، "المعضل" في النحو "المستقى" في الأمثال وغيرها، وكان الزمخشري حاذقاً في اللغة العربية وكان يعرف الأدب العربي جيداً.

ويقول في مدح النبي ﷺ:

يهوي إلى قبر النبي محمد      خيياً كمارق الظلم النافر  
لله ميت بالمدينة قبره      قصر مشيد والقصور مقابر (٢)  
نظم على معارضة بانة سعاد ويقول:  
والحق فالحق ما جاء الرسول به      سيف على هام أهل الشرك مسلول

١- النبهاني، يوسف بن إسماعيل، الشيخ: المجموعة النبهانية، ٣/٣١، ٣٣.

٢- اسحاق قريشي، الدكتور، المدائح النبوية في باكستان و هند، ص ١٩٣.

فألله مالا لاقه صلب ولا رحم  
 محمد أن تصنف أدنى خصائصه  
 هو الذي أن يخالغ في نبوته  
 يا خاتم الرسل أن الطول منك على  
 إلا على الطهر والأنجاب مجبول  
 فيا لها قصة في شرحها طول  
 ريب فما القول بالتوحيد مقبول  
 واجى الشفاعة يوم الحشر مأمول (١)

### على بن محمد الصمداني الخوارزمي (ت نحو ٥٦٠هـ)

كان ملقباً بـ "حجة الأفاضل وفخر المشائخ، كنيته أبا الحسن، يقول شعراً جيداً، نظم على معارضة قصيدة "كعب بن زهير".

هدى إلى دين إبراهيم أمته  
 وكل أصحابه أهوى وأمنحهم  
 وكلهم بعقال الشرك معقول  
 وُدّي وصيفضهم في الدين مدخول (٢)

### الشيخ عبد القادر الجيلاني الحسني الحسيني (ت ٥٦١هـ)

نسب إليه كثير من الشعر و بعض القصائد، قال قصيدة لامية، ويقول فيها:

وكل ولي له قدم وإني  
 نبي هاشمي، مكى حجازي  
 على قدم النبي بدر الكمال  
 وهو جدي به نلت الموالى  
 وعبد القادر المشهود اسمى  
 وقال فى القصيدة الأخرى:  
 أفلت شمس الأولين وشمسنا  
 أبداً على فلك العلى لا تغرب (٤)

### المدح النبوي في العصر التركي

اتجه كثير من الشعراء إلى المدائح النبوية في هذا العصر، وذلك لأنه أثرت الحروب الصليبية على قلوب الشعراء وأذهانهم، وكانوا يعرفون تهديم هذه الحروب، فنجد آثار هذه الحروب في

١- اسحاق قريشي، الدكتور، المدائح النبوية في باكستان و هند، ص ١٩٣.

٢- نفس المرجع.

٣- النبهانى، يوسف بن إسماعيل: المجموعة النبوانة، ١٩٨/٣.

٤- نفس المرجع.

أشعارهم، بعد اغتصاب بيت المقدس، نشأ فيهم الحب لمقاماتهم المقدسة ونشأ الحب العميق للرسول الكريم ﷺ. فالآن نذكر أشهر هؤلاء الشعراء.

## الإمام البوصيري

هو محمد بن سعيد (ت ٦٩٤ هـ) بن حماد بن محسن بن أبي سرور بن حبان بن عبد الله بن ملاك الصنهاجي.

أنشد البوصيري قصيدة اشتهرت بقصيدة البردة. وذكر سبب نظمها وهو قد أصيب بفالج أقعده، فدعا إلى الله وتشفع، فلما كان في نومه رأى النبي ﷺ، فمسح وجهه بيده المباركة وألقى عليه بردة، فانتبه فإذا هو قد شفى من مرضه، فنظمها، وسماها لذلك بالبردة، تيمناً وتبركاً، فأنشدها الناس كذلك تيمناً وتبركاً:

نبي كامل الأوصاف تَمَّت	محاسنه فقليل له الحبيب
يفرج ذكره الكربات عنا	إذا انزلت بساحتنا الكرب
مدائح تزيده القلب شوقاً	إليه كأنها حلٌّ وطيب
كأن حديثه زهر نضير	وحامل زهرة غصن رطيب
وتستهدي القلوب النور منه	كما استهدي من البحر القلب
بدت للناس منه شمس علم	طوالع ماتزول ولا تغيب
وآداب النبوة معجزات	فكيف ينالها الرجل الأديب
وإن محمد الرسول حق	حسب في نبوته نسيب
أمين، صادق، برّ، تقي	عليم، ماجد، هاد وهوب
لا تقنطني يا نفس إنّ توسلي	بالمصطفى المختار ليس يُغيب
صلّى عليه الله إنّ صلّاته	فرض على كل الأنام مرتّب
أمدايح لي فيك أم تسييح	لولاك ما غفرا الذنوب مديح
لولا النبي محمد وعلومه	لم يعرف التحسين والتقيح
واقبل رسول الله عذر مقصرٍ	هو إن قبلت بمدحك الممدوح

فاكحل بطيف منه طرفاً جفنه بدموعه حتى يراه قريح“ (١)

## أبو تری

محمد الدين أبو عبد الله محمد بن الرشيد أبي بكر البغدادي، المعروف بأبي تری (ت ٦٦٢هـ) كان واعظاً معروفاً. اختار الطرق البديعة في المدائح النبويه، فنظم قصيدة تشتمل على واحد وعشرين شعراً بحروف الهجاء كلها إلا ألف المقصورة. ويقال له ”الوترى“ واشتهرت مجموعته بـ”القصائد الوترية“ وطبع من مصر في سنة ١٣١١هـ، نظم بعض المتعقدين تخميس على قصائده، مثل تخميس الوترية في مدح خير البرية لمحمد البغدادي (ت ٦٦٢هـ) تخميس على الأزعي (ت ٧٢١هـ) تخميس محمد الوراق (ت ٧٥٧هـ) وتخميس يوسف الروندي. (٢) ويقول:

”بمبحته كل النين بشرت  
ولا مرسل إلا له كان يخطب  
بتوراة موسى نعتة وصفاته  
وانجيل عيسى في المدائح يطيب“ (٣)

## ابن نباته المصري

كان ابن نباته المصري، جمال الدين محمد بن محمد، ولد في سنة ٦٨٦هـ وتوفي في سنة ٧٦٨هـ، وهو العالم والصوفي والأديب في عصره وقال الشعر في المدح النبوي بالعقيدة. فيقول:

وإن محمداً لحبيب انس  
وإن محمداً لحبيب انس  
وإن محمداً لحبيب انس  
وإن محمداً لحبيب انس  
وإن محمداً لحبيب انس  
وإن محمداً لحبيب انس  
وإن محمداً لحبيب انس  
وإن محمداً لحبيب انس

- ١- النبھانی، یوسف بن إسماعیل، الشیخ: المجموعة النبھانیة، ص ٣٥-٣٧، ٤١-٤٤، ٤٧، ٥٥، ٥٧، ٥٨.
- ٢- كحالة، عمر رضا: معجم المؤلفین، ١١٤/٩.
- ٣- النبھانی، یوسف بن إسماعیل، الشیخ: المجموعة النبھانیة، ٤٧/١.

ولثم حصى لتربته ذكي  
كان شذاه في نفسي كباء  
صفى الله يا ازكى البرايا  
بحبك في عقائد فا الصفاء  
عليك من المليك بكل وقت  
صلاة في الجنان لها أدا“ (١)

### الشيخ عبد الرحيم البرعي

هو عبد الرحيم بن أحمد بن علي البرعي اليماني (ت ٨٠٣هـ)، كان شاعراً متصوفاً، له ديوان شعر مطبوع، وأكثرها في المدائح النبوية.

يقول في المدح النبوي:

وفي اكناف طيِّبه هاشمي  
بصرف بالسماحة حيث شاء  
أمام المرسلين ومنتقاهم  
حوى الخيرات ختما وابتداء  
تناهي فخر كل اخي فحار  
ولن تلقى لمفخره انتهاء  
نبي ما رأته الشمس إلا  
وغضت عن محاسنه حياء  
عظيم أن تواضع عن علو  
كبير ليس يرضى الكبرياء  
رسول الله اعلى الناس قدراً  
وأكرمهم وأرحبهم فناء  
ومن لي أن أزورك بعد بعد  
صباحاً يا محمد أو مساحا  
عليك صلاة ربك ماتبارك  
صبنا نجد نسيماً أورخاء“ (٢)  
ثم يقول:

محمد سيد السادات من وطئت  
حجب العلا ليلة المعراج لعلاه  
مهدب الخلق والأخلاق بهجة  
تريك عن حسنه عنوان حسناه  
ومثله ما رأته عين ولا سمعت  
أذن ولا نطقت به في الكون أخواه  
يا سيدى يا رسول الله خذيدي  
في كل هول من الأهوال ألقاه  
والعفو أوسع من تقصير من قعدت  
به الذنوب فلم تنهض مطاياها (٣)

١- الندوي، عباس، عبد الله: عربي ميس نعتية كلام (المدائح النبوية في الأدب العربي)، ص ٢٠١-٢٠٤.

٢- نفس المرجع، ص ١٩١-١٩٤.

٣- البرعي، عبد الرحيم بن أحمد: ديوان البرعي في المدائح الربانية والنبوية والصوفية. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. ١١ يونيو ١٩٥٠م. ص ٣٨، ٣٩، ٤٤.



ويقول في موضع آخر:

سور المثنائي من حروف ثنائه  
ومحامد الأسماء من أسمائه  
والرسل تحشرت تحت ظل لوائه  
يوم المعاد ويستجير المحرم  
فبحقه صلوا عليه وسلموا (١)

## عبد الرحمن بن خلدون

هو عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، مصنف "مقدمة التاريخ" وقلبه كان مملوءاً

بالحب النبوي، فيقول في المدح النبوي:

فتؤم من أكناف يشرب مأمنا  
يكفيك ماتخشاه من تثيرب  
حيث النبوة أيها مجلوة  
تتلو من الآثار كل غريب  
سر غريب كيف يحجبه الثرى  
ما كان سر الله بالمحجوب  
يا سيد الرسل الكرام! ضراعة  
تقضى منى نفسي وتذهب حولي  
عاقبت ذنوبي عن جنابك والمنى  
فيها تعللني بكل كذوب  
هب لي شفاعتك التي أرجوبها  
صفاً جميلاً عن قبيح ذنوبي  
اني دعوتك واثقا باجابتي  
يا خير مدعو وخير مجيب  
قصرت في مدحي فإن يك طيبا  
فيما لذكرك من اريح الطيب  
ماذا عسى يبغي المطيل وقدحوى  
في مدحك القرآن كل مطيب" (٢)

## شعر أبي نواس في المدح النبوي

هو الحسن بن هاني (ت ٨١٠هـ) من اليمن، ومن خير شعره ما قال في محمد الأمين رثاءً

صلى الله عليه وسلم:

طوى الموت ما بيني وبين محمد  
وليس لما تطوي المنية ناشر  
و كنت عليه أحذر الموت وحده  
فلم يبق لي شيء عليه أحاذر

١- البرعي، عبد الرحيم بن أحمد: ديوان البرعي في المدائح الربانية والنبوية والصفوية، ص ٤٦.  
٢- الندوي، عبد الله عباس: عربي مين نعتيه كلام (المدائح النبوية في الأدب العربي)، ص ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٤.

لئن عمرت دور بمن لا تحبه لقد عمرت ممن تحب المقابر“ (١)

## الإمام الشهاب أحمد المقرئ

هو أحمد بن محمد المقرئ (ت بعد ٨٤٧هـ) شهاب الدين المغربي المالكي.  
ويقول في المدح النبوي:

تحية الله وطيب السلام	على رسول الله خير الانام
على الذي فتح باب الهدى	وقال للناس ادخلوا بالسلام
بدر الهدى، بحر الندى والسدى	وما عسى أن يتناهى الكلام
تحية تهزأ أنفاسها	بالمسك لأرضى بمسك الختام
تخصه مني ولا تنشتي	عن اهله الصيد السراة الكرام
وقدرهم ارفع لكنني	لم الف أعلى نفضه من كرام (٢)

ثم يقول:

يقولون لي لماركبت بطالتي	ركوب فتى جم الغواية معتدي
أعندك شيء تترجني أن تناله	فنلت نعم عندي شفاعة أحمد“ (٣)

## ابن حجر العسقلاني

شيخ الإسلام، الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) كتب  
مخطوطة في المدائح النبوية. وهي موجودة في دار الكتب المصرية.  
وكانت طبعت من استنبول وتوجد فيها مدائحه مملوءة بالحزن وبحب النبي صلى الله  
عليه وسلم.

وإن قنطت من العضيان نفس	فباب محمد باب الرجاء
نبي خص بالتقديم قدما	وآدم بعدي طين وماء

١- ابن قتيبة، أبي محمد عبد الله بن مسلم: الشعر والشعراء، ٦٩٨/٢.

٢- النبهاني، يوسف بن إسماعيل، الشيخ: جواهر البحارني فضائل النبي المختار، ٢٧٢/٣.

٣- نفس المرجع: ص ٢٧٣.

كريم بالحيا من راحتيه  
 نبي الله يا خير البرايا  
 وأرجو يا كريم العفو عما  
 ومن بمدحك ابن زهير كعب  
 فإن احزن فمدحك لي سروري  
 عليك سلام رب الناس يتلوا  
 يحود وفي المحيا بالحيا  
 بحاهك أنقى فصل القضاء  
 جنته يداى يا رب الحيا  
 لمثلي منك جائزة الثناء  
 وان اقنط فحمدك لي رجائي  
 صلاة في الصباح وفي المساء (١)

## العصر الحديث

العصر الحديث الذي يبدأ من ١٢١٣هـ/١٧٩٧م، ونجد كثيراً من الشعراء الذين مالوا ونظموا القصائد المتنوعة في مدح النبي . والآن نذكر أشهر هؤلاء.

## عبد الحلیم اللوجي الدمشقي

وهو مصطفى بن عبد الرحيم، أبوادعون اللوجي (ت ١٢١٧هـ)، الشاعر المعروف من دمشق، نقل العلامة النبهاني خمسة وأربعين شعراً منه في قافيه القاف، يقول:

سيد المرسلين ضاق الخناق  
 قد وهتنا من الليالي خطوب  
 وغدونا من الهموم سكارى  
 فتدالك بفضل جاهك أسرا  
 فأغثنا فالأمر ما لا يطاق  
 ذات بأس قد مرّ منها المذاق  
 ساءنا الإصطباح والاعتباق  
 فأعسى أن يسُرّها الإنطلاق (٢)

## عمر اليافي

ولد عمر بن محمد البصري اليافي (ت ١٢٣٣هـ)، أبو الوفا قطب الدين يافا في فلسطين، أقام مدة طويلة في غزة وتوفي في دمشق، ألف كثيراً من الكتب، وكان له ديوان ومنه:

يا ملا ذالورئ وخير عياد  
 ورجاء لكل دان قِصِّي

١- الندوي، عبد الله عباس: عربي مين نعتيه كلام (المدائح النبوية في الأدب العربي)، ص ٢٢٧، ٢٢٩-٢٣٠.

٢- إسحاق قريشي، الدكتور: المدائح النبوية في باكستان وهند، ص ٢٣٧.

حاش لله أن أكون مضاماً

بعد ما جئت للمقام العلى

يا رسول الاله عوناً على دهر

زمانى برتحه السمّهري (١)

## عبد الباقي آفندي

وهو عبد الباقي بن سليمان العمري الفاروقي (ت ٢٧٨ هـ)، كان شاعراً ومؤرخاً، وله ديوان باسم "الترياق الفاروقي" ألف كثيراً من الكتب، قال عدة من القصائد في مدح أهل البيت باسم "قصائد في مدح أهل البيت".

بجبهته كنت نوراً تُضئى	كما ضاء تاج على مفرق
ولو لأك ما رفعتك فوقنا	يدالله فسطاط استبرق
ولا نثرت كف ذات البروج	وخانير في لوحها الأزرق
خيالاً وقاطط لم يسبق	وياسابقا قط لم يلحق
فكان هبوطاً في عين الصعود	فلا زلت سخرراً ترتقى (٢)

## حازم القرطاجني

هو حازم بن محمد بن محمد بن خلف بن حازم الانصاري القرطاجني أبو الحسن (ت ٢٨٥ هـ) ولد سنة ثمان وستمائة. (٣)

قال في المدح النبوي:

نبي هدى قد قال للكفر نوره	الا أيها الليل الطويل الانجل
لقد نزلت في الأرض ملة هدية	نزول اليماني ذي العياب المحمل
فصلى عليه الله ما لاح بارق	كلمح اليدين في حبي مكلل
حكى طيب ذكراهم ومر كفاحهم	مداك عروس أو صلاية حنظل
لأمداح خير الخلق قلبي قد صبا	وليس صباي عن هواها بمنسل

١- النبهاني، يوسف بن اسماعيل: المجموعة النبهانية- ٣٤٩/١

٢- إسحاق قريشي، الدكتور: المدائح النبوية في باكستان وهند، ص ٢٣٨.

٣- القرطاجني، حازم: ديوان حازم القرطاجني- تحقيق: عثمان الكعاك، مقدمة الديوان، بيروت، لبنان: دار الثقافة، ١٩٦٤ م.

وكن في مديح المصطفى كمديح  
 وأمل به الأخرى ودنياك دع فقد  
 يقلب كفيّه بخيط موصل  
 تمتعت من لهوبها غير معجل (١)

## محمود سامي البارودي باشا

هو محمود سامي بن حسن بك حسنى باشا البارودي (ت ١٣٢٢هـ) - ولد في القاهرة سنة

١٢٥٥هـ، وعاش حياته في الترف، قال الشعر في المدح النبوي:

”محمد“ خاتم الرسل الذى خضعت  
 سمير وحي ومجنى حكمة وندى  
 له البرية من عرب و من عجم  
 سماحة وقرى عافٍ ورى ظم  
 قد أبلغ الوحي عنه قبل بعثته  
 فذاك دعوة إبراهيم (٢) خالقه  
 أكرم به وبآباء محجلة  
 قد كان في ملكوت الله مدّخرا  
 نور تنقل فى الألوان ساطع  
 له البرية من عرب و من عجم  
 سماحة وقرى عافٍ ورى ظم  
 مسامع الرسل قولا غير منكسّم  
 وسرّ ما قاله عيسى (٣) من القدم  
 جاءت به غرة في الأعصر الدّهم  
 لدعوة كان فيها صاحب العلم  
 تنقل البدر من صلب إلى رحم (٤)

## زكي مبارك

وكان زكي مبارك (ت ١٣٧١هـ) في أول عهده يكيل الشعر بالمكيال، فكانت القصيدة  
 من شعره تصل أحيانا إلى ثلثمائة بيت، وهو يرى نفسه أذكى الناس وأقوى للناس، وكانت نتيجة  
 هذا الفتون أن رأى الشعر أصفر من أن تقف عنده همته الطاغية، فأقبل على الدراسات الأدبية  
 والفلسفية ولم يعد ينظم الشعر إلا إذا جاشت النفس وفاض القلب، بحيث لا يستطيع الفرار من  
 شيطان القوافي والأوزان. (٥)

١- القرطاجيني، حازم: ديوان حازم القرطاجيني- تحقيق: عثمان الكعاك، مقدمة الديوان، ص ٩٠-٩٦.

٢- يشير إلى قوله تعالى ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ (سورة البقرة، الآية: ١٢٩)

٣- يشير إلى قوله جل ذكره ﴿مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (سورة الصف، الآية: ٦)

٤- أحمد الهاشمي: جواهر الأدب- ص ٥٠٠

٥- زكي مبارك: ديوان زكي مبارك، ص ١١-١٤.

ويقول في المدح النبوي:

والبدريطلع من سناك	والشمس تشرق من ضياءك
ن وما تقشّت على لمالك	وجمال فدك والحبيبا
ن وما تلوح به يداك	وعيونك النجل الحسا
ت ألدمن جدوى سواك	للوعدمنك وإن مطا
يم وإن نأى عني جداك	وأراك مولاي الرحيم
ب إلى التفاتك أو خطاك	وجباك تحنان القلو
حك يا حبيب وفي مساك	فأرى جمالك في صبا
رفلو حللت به حماك	قلبي لك المهد الوثي
ت على البقية من رجاك	إمانزلت به نزر
دت لي الليالي في هواك	إن عزني دهري وكا
يم وحلمه حتى آراك	ذودتها صبر الكري
ك فهل يُظلهارضاك (١)	فالروح مرجعها إلي

## عبد الحميد الخطيب

وهو عبد الحميد بن أحمد بن عبد اللطيف الخطيب (ت ١٣٨١ هـ)، متأدب متفقه، مولده بمكة، كان أبوه يعرف بالمنكباوي، نسبة إلى منكا بو (من بلاد جاوى). له نظم كثير لم يكن معروفا به في صباه، وكتب مطبوعة، منها "الإمام الملك العادل" جزآن في سيرة الملك عبد العزيز آل سعود، و"تفسير الخطيب المكي" أربعة أجزاء منه، و"مناجاة الله" جزآن و"سيرة سيدولد آدم" منظومة تائية و"أسمى الرسائل" في الدعوة الإسلامية. (٢)

ويقول في المدح النبوي:

رسول الله يا من قد حباه	إله العرش بالنعيم الحسام
-------------------------	--------------------------

- ١- زكي مبارك: ديوان زكي مبارك. الطبعة الأولى. القاهرة: مكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي، مطبعة حجازي بحوار قسم الجمالية. ١٩٣٣ م. ص ٧٥-٧٩.
- ٢- الزركلي، خير الدين: أعلام، ٢٨٤/٣، ٢٨٥.

وأتاه النبوة قبل منح الـ  
 وسوده على كل البرايا  
 وخاتم رسله للناس جمعاً  
 فأصبح رحمة وغدا بشيراً  
 وأكرمه فأوجب خفض صوت  
 فلاندعوه دعوتنا لبعض  
 ولانأتي بما يؤذيه حتى  
 وقال عليه صلوا يا عبادي  
 وبشير من أتاه وهو حي  
 بأن الله تواب رحيم  
 ثم يقول:

عليك سلام الله يا سيد الوري  
 ومن خصه المولى باسراء جسمه  
 إلى موضع جبريل أمسك دونه  
 وبلغت ما حملته من رسالة  
 ومن قدره عند الإله عظيم  
 إلى سدره فوق السماء تقيم  
 وقال مقامي هاهنا معلوم  
 إلى الناس طراً و الإله عليم (٢)

## مدح النبي في بلاد شبه القارة الهندية

علاقة شبه القارة الهندية بالإسلام قديمة، وقد ذكر رسول الله شبه القارة (الهند) في كثير من أقواله (٣).  
 وبشّر الرسول بالنجاة من النار من يغزو بلاد الهند (٤) وكان لهذا القول من النبي الكريم أثر

- ١- الخطيب، عبد الحميد، السيد: في حب الله ورسوله (مجموعه قصائد). الطبعة الرابعة . مصر: مطابع دار الكتاب العربي. ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م. ص ٢٦-٢٧
- ٢- الخطيب، عبد الحميد، السيد: في حب الله ورسوله (مجموعه قصائد)، ص ٩.
- ٣- وقد دخل خالد بن الوليد على رسول الله ومعه وفد من قبيلة بنى حارث من نجران وكان الرسول لا يعرفهم وعند ما راهم قال: من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند- (سيرة ابن هشام، ٤/ ١٦٤)
- ٤- وفي رواية عن غويان قال، قال رسول الله عصابتان من أمتي أحرزهما الله من النار، عصابة تغزوا الهند وعصابة تكون مع عيسى ابن مريم عند يوم القيامة (سنن النسائي، كتاب الجهاد، باب غزوة الهند، ٢/ ٦٣)

كبير على نفوس متبعيه.

وكانوا يتمنون أن يكونوا من الوفد المرسل إلى الهند وقال أبو هريرة:

”وعدنا رسول الله غزو الهند، فإن أدركتها أنفق فيها نفسي ومالي وأن أقتل كنت من أفضل

الشهداء وإن أرجع فأنا أبو هريرة. (١)

وكان أهل الهند بفطرتهم يحبون الشعر. ويقول أستاذ أحمد حسن الزيات في كتابه:

الهنود أمة قديمة والطبقة العليا منهم إخوان الفرس واليونان وقد نظموا ودونوا الأخبار شعرا

من قديم الزمان. (٢)

## المدح النبوي في العصر الغزنويين والسلاطين

إن الحقيقة التي لا يمكن إنكارها وهي أن اللغة عند ما تؤثر في بنية أجنبية، لا تتطور تطورا

سريعا وهي تسير خطوة بعد خطوة وفي آخر مراحل هذا التطور والتي بدأت علاقات أهل الهند مع

الملل الأخرى تنمو بعد هجوم ملك محمود الغزنوي على الهند وعرفت اللغة الفارسية بأنها لغة

الفاحين ولكن لانجد نموذجا كثيرا في كلتا اللغتين العربية والفارسية إلى العهد الغزنوي.

لقد أفلت شمس حكم الأسرة الغزنوية في سنة ٦٠٢ هـ وسيطر كثير من الأسر على الهند

إلى ٩٣٣ هـ، وهذا العصر يقال عصر السلطين، ومن حيث المجموع كان المجتمع الإسلامي ينعم

برخاء ومن ثم كثير من العلماء والصوفية من العرب والعجم سافروا إلى الهند وبدأ الأدب الديني

يتطور في الهند، وخاصة الشعر، ومن الشعراء الذين ذاع صيتهم الشيخ فخر الدين العراقي

(ت ٦٨٨ هـ) والشيخ أبو الفتح ركن الدين الملتاني (ت ٧٣٤ هـ) والقاضي عبد المقتدر التهانيسري

(ت ٧٩١ هـ) والشيخ أحمد التهانيسري (ت ٨٢٠ هـ) والشيخ بدر الدين الدماميني (ت ٨٢٧ هـ)

والشيخ أبو الفتح جونپوري (ت ٨٥٨ هـ) وأمير خسرو (ت ٨٢٥ هـ).

ونذكر أشهر الشعراء هذا العصر:

١- السنن النسائي: كتاب الجهاد، باب غزوة الهند. الطبعة الأولى. بيروت: دار الجبل. ١٤١١هـ / ١٩٩١م. ص ٦٣.

٢- الزيات، أحمد حسن: تاريخ الأدب العربي، ١/٢٤٥.



## الشيخ أحمد التهانيسرى

وكان الشيخ أحمد بن محمد التهانيسرى (ت ٨٢٠هـ) أحدا شعراء الهند، ولد في الدهلي،  
نظم كثيرا من القصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم .

ليس في الدين والدنيا وآخرتي	سوى جناب رسول الله معتمدي
ربّ الندى والجدى، والصالحات معا	طفلا وكهلا وفي شبّ وفي مرد
بالعلم مكتنف بالحلم متصف	باللطف ملتحف بالبرمؤتسد
بالفقر مفتخر بالزهد مشتهر	بالشكر متمزز بالحمد منجرد
خطاب مفصلة وضاح مكرمة	دفاع مظلمة من كل مضطهد
العدل سيرته والفضل طينته	فى البذل شيمته فى الوجد والوبد (١)

ويمدح النبي صلى الله عليه وسلم في موضع آخر قائلا:

محمد خير خلق الله قاطبة	هو الذي جل عن مثل وعن مثل
له المزايا بلا نقص ولا شبه	له العطايا بلا من ولا بدل (٢)

## المدح النبوي في العصر المغولي

وفي عام ٩٣٢هـ أفل نجم حكم السلاطين وقامت الحكومة المغولية، ولا حظ لهم في  
ترويج الشعر والأدب، وقلما نجد جهوداً فردية تعمل على ترويج الأدب وتشجيع الأدباء.

ولا نجد في مدح الرسول شعراً إلا عند الصوفية والعلماء، لأن جّل الشعراء كانوا يمدحون  
الملوك للتكسب فقط، وبعد وفاة الملك اورنك زيب عالمكير، عند ما بدأ اضمحلال حكم المغول  
قال الشعراء الشعر في مدح الرسول، ولكن يمكن لنا أن نقول أن معظم الشعراء المداحين لهذا  
العصر يعدون من طبقة العلماء والصوفية ومنهم الشيخ جنيد السنديلوي (ت ١٠٤٨هـ) والشيخ  
أحمد بن محمد الجوهري (ت ١٠٦٩هـ) والشيخ حامد الجمالي (ت ٩٤٢هـ) والشيخ أبو الفيض  
فيضى (ت ١٠٠٤هـ) والشيخ عبد الحق محدث الدهلوي (ت ١٠٥٢هـ).

١- الندوي، عبد الله عباس: عربي مين نعتيه كلام (المدائح النبوية في الأدب العربي)، ص ٢٥٩.

٢- النبهاني، يوسف بن إسماعيل، الشيخ: المجموعة النبهانية، ٢/٢١٥.

وأثر الشيخ حامد الجمالي قلوب الناس بأسلوبه الجميل، وقد نال بيته التالي شهرة واسعة

يخاطب فيه الرسول، ويقول:

موسى زهوش رفت بيك پرتوجمال      تو عين ذات في نگرى درتسمى

(وقد طار صواب موسى بسبب جلوة جمال الله فقط ولكنك تشاهد ذاته تعالى عين

المشاهدة مبتسما) (١)

وكذلك قال الشيخ عبد الحق محدث الدهلوي في مدح الرسول:

خسف القمر بجماله      عجز البشر بكماله

نطق العجز بجلاله      صلّوا عليه وسلموا (٢)

ونقدم الآن النموذج لبعض الشعراء من هذا العصر.

## الشاه ولي الله الدهلوي

كان اسمه أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي (ت ١١٧٦ هـ)، الشاه ولي الله وله اليد الطولى في

علوم القرآن والحديث والشعر خاصة في مدح النبي، وألف حجة الله البالغة، وإزالة الخفاء وغيرهما من الكتب.

والقصيدة البائية للشاه ولي الله في مدح النبي نالت شهرة في الناس:

فلمست اري الا الحبيب محمداً      رسول الله الخلق جم المناقب

ومعتصم المكروب في كل غمرة      ومنتجح الغفران من كل نائب

سلالة اسمعيل والعرق نازع      وأشرف بيت من لوى بن غالب

بشارة عيسى والذي عنه عبّروا      لشدة بأس بالضحوك المحارب

وأحسن خلق الله خلقاً وخلقة      وانفعهم للناس عند النوائب (٣)

١- توصيف أحمد: مدح النبي في شعر إقبال. رسالة الماجستير، جامعة بنجاب، باكستان، ١٩٩٩م. ص ٣٢-٣٣.

٢- نفس المرجع: ص ٤١.

٣- الندوي، عبد الله عباس: عربي مين نعتيه كلام (المدائح النبوية في الأدب العربي)، ص ٢٤٦ - ٢٥١.

## غلام علي آزاد البلگرامي

وكان غلام علي آزاد البلگرامي (ت ١٢٠٠هـ) عالما كبيرا وشاعرا مبتكرا، وكان يحب المصطفى حبا جما، وله دواوين عدة باللغات العربية والفارسية والأردية، وكان يلقب بـ"حسان الهند" نظم ديوان "السبع السيارة" ونحن ننقل عدة أبيات من الباب الثالث بهذه القصيدة، التي نظم في ذي القعدة ١١٨٧هـ.

قلبي حمام، بالمدينة، طائر  
لكن جسمي موثق في مصيد  
قالت بطرفاء الفلاة حمامه  
لم تمرحين وتفخرين، فأرشدني  
ويقول في موضع آخر:

أومأتين مكاتي  
قد كان منّا منبر لمحمد  
غوث الوري، غيث الندى، غرض المنى  
كهف الدرامل ملجاء المسترقد  
كحل العيون غبار نعل المصطفى  
وشراكها متمسك المستنجد  
إن الذين عيونهم مجلوة  
متمسكون بحبله المستحصد  
عطف النبي على العفاة كرامة  
نجنى الجننا من غصنه المتخوّد  
أسنى رسول الله مرتبة الهدى  
راقت جلالته مقام السؤدد (١)

## مدح النبي في العصر الحديث (١٢٧٤هـ حتى الآن)

يبدأ العصر الحديث في تاريخ مدح الرسول من حرب الحرية في ١٨٥٧م، وبعد هذا العصر في تاريخ مسلمي شبه القارة الهندية عصر الانتفاضة الشعبية وقد أثرت هذه الانتفاضات الشعبيه في مدح الرسول الذي يشتمل حوالي قرنا من الزمان.

ويقول، دكتور رياض مجيد:

"ولقد استخدم المادحون ذكر سيرة الرسول لإصلاح الأحوال، وجعلوا رسالته وسيرته

١- الندوي، عبد الله عباس: عربي مين نعتيه كلام (المدائح النبوية في الأدب العربي)، ص ٢٦٢-٢٦٦.

وسيلة لموضوع مداحهم بدلا من معجزاته وجماله“ (۱).

ومن الشعراء البارزين في ذلك العصر القائد المحنك في حرب الحرية، فضل حق خير:

آبادی (ت ۱۸۶۱ م). الذي كان يقرض الشعر بالعربية، ومولانا الطاف حسين حالي (ت ۱۹۱۴ م)

مولانا شبلى نعماني (ت ۱۹۱۴ م) والعلامة إقبال (ت ۱۹۳۸ م) ومولانا ظفر علي خان

(ت ۱۹۵۶ م) وحفيظ جالندھري (ت ۱۹۸۲ م) وغيرهم ومن العلماء والصوفية، مولانا أحمد رضا

خان (ت ۱۹۲۱ م) ومفتى غلام سرور لاهوري (ت ۱۸۹۰ م).

۱- ریاض مجید، الدكتور: عصر حاضر کے نعت گو، ص ۳۹۸.

- وانظر: أحمد توفيق، الدكتور: الصلاة والسلام. لاهور، باكستان: مكتبة جديد بريس، فاطمه جناح رود،

بدون التاريخ. وانظر: فرمان فتح پوري، الدكتور: اردو کی نعتیہ شاعری. لاهور، باكستان: آئینہ ادب جوک،

۱۹۷۴ م. وانظر: شفیق، شیخ محمد، مولانا: نفحات. کراتشي، باكستان ۱۳۹۲ھ. وانظر:

جلو آنوي، غلام محمد: مديحة النبي. فيصل آباد، باكستان: محمد يار وتو كتب خانہ،

۱۲۸۱ھ/۱۹۷۸ م.

## الفصل الثاني

## البيئة والأحوال التي دفعت شوقي وإقبال إلى المدح النبوي

### بيئة شوقي وأحواله

إذا نظرنا إلى بيئة شوقي وأحواله فنجد أن قبل ولادته كانت مصر التي هجمت عليها الفرنسيون في سنة ١٧٩٨م بعيدة عن الاحتكاك بدول أوربا خلافاً كان من مرور بعض التجار والمتأجر بأرضها في ذهابهم وعودتهم بين الغرب والشرق، وكانت بحكم خضوعها لاستبداد المماليك، تحت سيادة تركيا. تسود فيها الدسائس ويعمل كل من أمرائها لما يجر إليه النفع، فلما جاء الفرنسيون إلى مصر، وتغلغوا فيها، وسارت مع حملة الجنود حملة العلماء رأى المصريون مظهراً جديداً من مظاهر الحياة لم يكن لهم في تاريخهم الأخير به نظير. وكان من بينهم الأطباء والمهندسون والصناع والقواد، ومن بينهم قام رفاعة بك رافع وتلاميذه يحيون عهد الأدب العربي في مصر، ولكنها كانت حياة تحيط بها ظلمات ماضٍ طويل، لذلك كان سريان نورها ضئيلاً قصير المدى، لكنها مع ذلك كانت بدءاً له مابعد، فلما كان عهد إسماعيل سارت في سبيل النضج والقوة، ثم كانت الثورة العرابية وما تلاها من الحوادث مثار الشاعرية أكابر الشعراء من أمثال:

سامي باشا البارودي (١) وإسماعيل باشا صبري (٢) ووحيا لخيال شبان كان روح الشعراء أخذوا بنفوسهم، متهياً ليفيض منها ما ينفخ في الأدب العربي روحاً وقوة، وكانت الفترة التي انقضت ما بين الحملة الفرنسية في مصر ١٧٩٨م واحتلال الإنكليز إيها على أثر الثورة العرابية في سنة ١٨٨١م فترة تقلبات سياسية عجت بين الشرق والغرب والمسلمين والنصارى، كانت تركيا من قبل ذلك في عهد تدهور، فضعف تركيا هو الذي دفع محمد علي إلى غزوها، فأما المسلمون في

١- هو محمود السامى باشا البارودي بن حسن بك حسني، ولد في القاهرة سنة ١٢٥٥هـ، كان الشاعر مجيداً ونموذج شعره في فخر، حماسة ووصف جيداً، كتابه "مختارات البارودي" ينقسم في أربعة أجزاء وقد طبعت مجموعة شعره في مجلدين من مصر، وقد توفي سنة ١٣٢٢هـ.

٢- ولد هذا الشاعر على شاطئ النيل في سنة ١٨٤٥م، وشب في مهد العلم والأدب، يقول شعر بنفسه وينقيح كلام الأخرى، كان بيته مركز الشعراء في ذلك العصر، ولكن أصيب بمرض القلب ومات بسبب هذا في سنة ١٩٢٣م.

أقطار الأرض فلم يشتد حقدهم على محمد علي، ذلك بأن الدول الأوروبية كافة وروسيا خاصة، كانت لا تفتأتشن الغارة على الأتراك وتزيدهم ضعفا على ضعفهم وهذا الضعف والاضمحلال الذي أصيبت الدولة التركية به هو الذي جعل المسلمين لا يحقدون على محمد علي حين غزا الأتراك مسكين.

وبقول الشاعر:

”فإن كنت ماكولا فكن أنت آكلي والافأدركني ولما أمزق“ (١)

على أن الحرب التي شبت نارها بين روسيا وتركيا في سنة ١٨٧٧م، ولقد كان المصريون إلى ذلك العهد يعطفون على تركيا عطف غيرهم من المسلمين، ولكنهم كانوا أبداً يفكرون في استقلالهم عنها ويريدون تحقيقه، ولم يكن الأمل في ذلك بعيداً بعد الفرمان الذي استصدره إسماعيل باشا في سنة ١٨٧٣م واستقل فيه بإدارة الدولة، لذلك كان عطفهم على تركيا منبعثاً عن شعور ديني بحت لا أثر للتبعية السياسية فيه، فلما حطمت انكلترا اشتد المصريون عطفهم على تركيا، وثبت عندهم اليقين بأن الدول النصرانية تطارد دول الإسلام، وقويت فيهم النزعة الدينية، وكان من ذلك ما زاد النشاط في بعث الحضارة الإسلامية والأدب العربي في مصر، فوجد شوقي هذه العوامل السياسية والاجتماعية، وشوقي خلق شاعراً، والشاعر يتأثر أضعاف ما يتأثر سائر الناس، لذلك لكل هذه العوامل أثرباد في شعره وفي حياته.

أما شخصية الشوقي فيقول محمد حسين هيكل في مقدمة الشوقيات:

”نجد فيه رجلين، أحدهما مؤمن عامر النفس بالإيمان، مسلم يقدر أخوة المسلمين، ويجعل من دولة الخلافة قدسا تفيض عليه شئونه وحوادثه وحي الشعر والهامة، حكيم يرى الحكمة ملاك الحياة وقوامها، محافظ في اللغة يرى العربية تتسع لكل صورة ولكل معنى ولكل فكرة ولكل خيال. والآخر رجل دنيا يرى في المتاع بالحياة ونعيمها خير آمال الحياة وغاياتها.“ (٢)

أما شعره فقد تأثر من الشعر القديم مثلاً:

١- هيكل، محمد حسين: مقدمة الديوان (الشوقيات)

٢- هيكل، محمد حسين: مقدمة الديوان (الشوقيات)

أبو نواس (١)، والبتحري (٢)، وأبي تمام (٣)، والمتنبني (٤)، والمعري (٥)، والشريف الرضي (٦).

وأكبر ظني أن شوقي تأثر من المعري كثيراً، وإن كان المعري قد طرق في شعره أبواباً لم يطرقها عربي في فلسفة الحياة والاجتماع ومعاملة الحيوان. وقد نظم الحكم والسياسة والاشتراك والتدين، فصدف شوقي عن طريق المعري في ذلك كما رغب عن تكلفه في قوافي لزومياته إذ ليس من سجايا صاحبنا التعمق في الفلسفة ولا التكلف إلى هذا الحد.

ويقول أحمد عبيد:

”وقال شوقي الشعر في كل الأغراض عدا المحجون والتزهيد في الدنيا والهجاء،

فأما المحجون والتزهيد في الدنيا، فإن روح العصر واستكانة الشرق يصدان عنهما، أما

الهجاء فلم تطب نفس شوقي السمحة أن تورد شعره في هذا المورد البشع“ (٧).

وحت هذان العاملان شوقي على مدح الرسول الكريم:

فالعامل الأول: أثر الشعراء القدماء في شاعريته.

- ١- هو أبو علي الحسن بن هاني بن عبد الأول حكيم، كنيته الأولى كانت أبو علي ولكن اكتسب شهرة بكنية أبي نواس، ولد في سنة ١٤٥هـ وتوفي سنة ١٩٩هـ. (أحمد الاسكندري، أحمد أمين: المفصل في تاريخ الأدب العربي. القاهرة: ١٩٣٦م، ١/١٧٧).
- ٢- هو أبو عباد وليد بن عبد الله طائي البحتري، ولد في سنة ٢٠٦هـ على مبنج (مقام بين حلب وفرات) هو فصيح في لغة العربية، لقاء بأبي تمام، ثم ظل حياته مع أبي تمام، نال شهرة بشعره، وتوفي سنة ٢٨٤هـ.
- ٣- هو حبيب بن اوس طائي، ولد في قرية جاسم (دمشق) في سنة ١٨٨هـ، نال شهرة حتى لم يكتسب الشاعر الآخر بشعره درهما واحداً في حياته، توفي في سنة ٢٣١هـ.
- ٤- هو أبو طيب أحمد بن حسين متنبني، ولد في كوفة سنة ٣٠٣هـ في بيت مفلس ولكن كان ذكياً وفصيح اللسان منذ طفولته، كان يحب منصب والثروة. وأدعى بنبوة في حياة سيدنا محمد ﷺ وقتل في سنة ٣٥٤هـ).
- ٥- اسمه أحمد بن عبد الله بن سليمان تنوخي، ولد في معرة سنة ٣٥٣هـ، كان نجيب الطرفين، وحكيماً، وهو كان في سنة أربعة في عمره حتى ضاعت عينه اليسرى بمرض حصبة وتأثر به عينه اليمنى، ما كان يمكن له أن يتميز بين الألوان إلا اللون الأحمر، تعلم اللغة العربية ويكون حاذقاً فيه، بعد وفاة أبويه اختار حياة العزلة، وتوفي في سنة ٤٤٩هـ.
- ٦- هو أبو الحسن محمد بن الحسين موسوي، ولد في بغداد سنة ٣٥٩هـ كان حاذقاً في علم الفقه وعلم الفرائض، وقال شعراً في عشرين من عمره، كتب كتاباً على موضوع ”معاني القرآن“ ورتب كتاب ”نهج البلاغة“ فيه كلام أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب، وكان رجلاً متقياً وصالحاً. وتوفي في سنة ٤٠٤هـ ودفن في بيته في كرخ. (ماخوذ من الزيات، أحمد حسن: تاريخ الأدب العربي).
- ٧- أحمد عبيد: ذكرى الشعراء، شاعر النيل وأمير الشعراء، ص ٣١٦-٣٢٢.

والعامل الثاني: الأحوال في عصره.

فقد عرف شوقي النجاة من كل النوائب مضمرة في أن ندعو الرسول الكريم بكل إخلاص  
وبحب عميق ونزين أشعارنا بذكره الحميد.  
ولما ننظر ديوانه نجد أن شوقي كان أحسن نظماً وأجود شعراً في المدح النبوي وينظم عن  
حياة النبي وأخلاقه وسيرته المحمودة.

## بيئة إقبال وأحواله

وعندما بلغ إقبال سنه فوجد أن مسلمي الهند وأفغانستان - في أسوأ حال - وأنهم يعيشون  
تحت سيطرة الغربيين لا كلام لهم في رياستهم ومدتهم. وسعى مسلموا الهند لتحرير وطنهم في  
حرب التحرير التي تسببت في ١٨٥٧م، ولكن كل محاولتهم تكون فاشلة، وبعد هذا الحرب أخذ  
الإنجليزيون الثار منهم، وأغلقوا سبل الحياة عليهم.

ويقول الدكتور سمير عبدالحميد في هذا الصدد:

”بدأ الإنجليز بكل الوسائل غرس الأفكار الخبيثة في روح المسلمين،  
وحين فشلوا اتجهوا إلى التضيق عليهم في الرزق ونزع ملكية أراضيهم وتسليمها  
إلى الهنادكة، أما عن الأمراء المسلمين فقد تاهوا في الدنيا اللهو واللعب وعملوا  
على إرضاء الإنجليز بشتى الطرق، ويقابل هؤلاء جماعة الصوفية الذين عكفوا على  
صوامعهم تاركين الدنيا وما فيها ومن فيها. أما عن الشعراء - فقد حافظوا على  
تقاليدهم القديمة في قرض الشعر وبقي كل منهم تابع تحت ظلال زلف ليلاه.“ (١)

اتجه إقبال لمطالعة أحوال قومه في سنة ١٩٠٥م. وسافر إقبال إلى أوروبا لدراسة علياء في  
القانون في ١٩٠٥م فرأى بعيونه أحوال الشعوب الحية، وأخذ يوازنها بأحوال قومه المسلمين،  
الذين يذهبون كل عام للحج ويؤدون كل ما من شأنه أن يقربهم من الله، ومع هذا هم يعيشون حياة  
العبيدين، وأهل أوروبا رغم كفرهم يسودون العالم، ففكر إقبال فيه كثيراً ويرجع إلى الهند  
سنة ١٩٠٨م ويبدأ في التفتيش والبحث عن أسباب انحطاط المسلمين وتأخرهم. وأدرك أن سبب  
انحطاط المسلمين بعدهم عن دين الإسلام والقرآن الحكيم وخلو قلوبهم من حب الرسول ﷺ.



فأكد إقبال لتحصيل علوم القرآن الحديث واللغة العربية مهمة جداً لفهم القرآن والحديث،  
فننظر أن أشعاره وأفكاره وكلماته وحياته كلها لخدمة الاسلام، وكان إقبال يحب الاسلام والعرب  
واللغة العربية.

فهو قد درس العربية والفارسية على يد أستاذه الأول سيد مير حسن، أستاذ اللغة العربية  
والفارسية في سيالكوت. وكان يحب أن ينظم الشعر في اللغة العربية كي يتكلم مع إخوانه العرب  
خلال نظمه. وينقل أفكاره لهم وبلسانهم فنجده في ديوان (أرمغان حجاز) أي (هدية الحجاز)  
يدعو الله عز وجل أن يهبه النطق العربي ليظهر به أسرار الفكر.

ويقول إقبال مناجياً ربه جل وعلا:

لقد فتحت الحياة على يمين المسلم      وبنيت له حكمة الأسس والغد  
فاعط هذا العجمي النطق العربي      لكي يستطيع أن يظهر بجلاء أسرار الفكر (١)  
وإن كان إقبال هندياً ولكن تعمق العربية لأنه كان نشأ في بيئة إسلامية. فكان يحب إقبال  
اللغة العربية لأنها هي لغة القرآن والحديث ولغة ملايين اخوانه العرب.

”فتحدث إقبال عن الناقة وعن السبيل والصحراء، وأوراق النخيل ويشرب والناقة، القافلة،  
زمام، المقام، الخيمة“.(٢)

وكان تعلم العربية ليس لدراسة الشعر والتاريخ فقط بل تعلم العربية للاستفادة من مصادر  
الدين المبين وسيرة الرسول الكريم. وقرأ إقبال الشعر الجاهلي والإسلامي سواء. ونجد اشارات  
إلى امرء القيس (٣) وزهير بن أبي سلمى (٤) وعمر بن كلثوم (٥) في نظمه.  
وكذلك شعر العصر الإسلامي كمثلى كعب بن زهير (٦) وقيس بن الملوح (٧)

١- إبراهيم عبد الحميد سمير، الدكتور: ديوان أرمغان حجاز، ص ٨٤.

٢- نفس المرجع.

٣- هو امرؤ القيس، هو حندج بن حجر الكندي، من فحول شعراء الجاهلية ومن أصحاب المعلقات.

٤- هو ربيعة بن رباح مزني، شاعر جاهلي، اشتهر بالمديح والحكمة، توفي قبل البعثة النبوية، وهو من أصحاب المعلقات.

٥- هو أبو الأسود عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب التغلبي، سادقومه، وتوفي في الأواخر ٦م وهو من أصحاب المعلقات.

٦- هو كعب بن زهير بن أبي سلمى، أحد فحول المخضرمين ومادح النبي ﷺ قال قصيدته التي اشتهرت بالبردة، توفي سنة ٢٤هـ.

٧- قيس بن الملوح، اشتهر بشعر الغزل العذري، عاش في الإسلامى الأول.

والمتنبي (١) والمعري (٢) والبوصيري (٣) وغيرهم ونعرض للقارى الكريم نماذج من شعر إقبال التي تأثر فيها بالشعر العربي عامة.

يقول زهير بن أبى سلمى في معلقته:

”ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم (٤)

فيقول إقبال في ديوانه (الآن ..... ماذا نصنع يا أمم الشرق) ناصحاً العرب للتخلص من عبودية الغرب وسيطرته:

از فريب او اگر خواهی اماں استرانش راز حوض خود براں (٥)

اضرب خيامك في دنيا وجودك لا تقف بها عند اسم الدار والدمن

وادفع بناقيتك الميدان أسبق من ریح الصحارى وأنقذ وحدة الوطن (٦)

ويقول كعب بن زهير في مطلع قصيدته التي أنشأها أمام رسول الله:

بانث سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يغد مكبول

ثم يقول:

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول (٧)

يشير إقبال إلى هذه القصيدة في ديوانه الأسرار والرموز:

پیش پیغمبر چو کعب پاک زاد هديه آورد از بانث سعاد

در ثنائش گوهر شب تاب شب سفت سيف مسلول از سيوف الهند گفت (٨)

كعب الشاعر في خير العباد أنشد المدحة من بانث سعاد

- ١- المتنبي، هو أبو طالب أحمد بن الحسين الكوفي، الشاعر الحكيم وصاحب الأمثال السائرة، ولد سنة ٣٠٣هـ وقتل عام ٣٥٤هـ.
- ٢- المعري، هو أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان المعري التوحي، الشاعر الفيلسوف، ولد عام ٣١٣هـ وتوفي سنة ٤٠٩هـ.
- ٣- البوصيري: هو شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الصنياعى البوصيري صاحب البردة والهمزية، توفي سنة ٩٦٥هـ.
- ٤- زكي مبارك، الدكتور: المدائح النبوية في الأدب العربي، ص ١٨.
- ٥- كليات إقبال (فارسي): پس چه بايد كرد اي اقوام شرق، ص ٧٨.
- ٦- الترجمة العربية: المصري، صاوي شعلان: والآن ..... ماذا نضع يا أمم الشرق. الطبعة الأولى. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة. ٢٠٠٢م. ص ٣٨٤.
- ٧- زكي مبارك، الدكتور: المدائح النبوية في الأدب العربي، ص ٢١.
- ٨- كليات إقبال (فارسي): رموز بے خودي، ص ٢٥١-٢٥٢.

نظم الدر منيراً في ثناه من سيوف الله سيفاً قد دعاه (١)  
 وإقبال في ديوانه (الأسرار والرموز) أيضاً يمدح الأدب العربي ويدعو إلى التمسك بالإسلام.

فيقول:

فكر صالح در ادب می بایدت رجعتے سوء عرب می بایدت  
 دل به سلمائے عرب باید سپرد تادم صبح حجاز از شام کرد (٢)  
 من بفکر صالح في الأدب إرجعن يا صاح شطر العرب  
 سليمى العرب يا صاح اعشقا لترى صبح الحجاز اتلقا (٣)  
 ويورد إقبال بيتاً من البردة للبوصيري:  
 لم ادعا الله داعيناً لطاعته بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم

ويذكر في مقدمة قصيدة (الرسالة) فيها هذين البيتين:

پس خدا بر ما شریعت ختم کرد بر رسول ما رسالت ختم کرد  
 رونق از ما محفل ایام را اورسل را ختم وما اقوام را (٤)  
 ختم الله علينا شرعته وعلى المرسل فينا بعثته  
 محفل الأيام منايسم ختم الرسل لنا والأمم (٥)  
 وفي صورة أخرى يبين إقبال حالة المسلمين، وعدم نهوضهم بالعمل، ليصلوا إلى هدفهم

وذلك حبههم بالنبي بصورة قيس التائه في الصحراء يبحث عن ليلي، يقول:

قيس اگر آواره در صحراستے مدعايش محمل ليلاستے  
 تابود شهر آشنا ليلاے ما برنمی خيزد بصحرا پايے ما

١- الترجمة العربية: عزام، عبد الوهاب، الدكتور: أسرار نفى الذات. الطبعة الأولى. دمشق، بيروت: دار ابن

كثير. ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م. ص ٢٠٨.

٢- كليات إقبال (فارسي) إسرار خودي، ص ١٠٣-١٠٤.

٣- الترجمة العربية: عزام عبد الوهاب: أسرار أثبات الذات، ص ١٥٢.

٤- كليات إقبال (فارسي)، رموزي خودي، ص ٢٣٠.

٥- الترجمة العربية: عزام عبد الوهاب، الدكتور: أسرار نفى الذات، ص ٣٠٣.

- وانظر: النجار، فهيمي قطب الدين، الشاعر الإسلامي محمد إقبال والشعر العربي "الحندي المسلم"، ص ٩٧.

همجو جان مقصود پنهان در عمل      كيف و كم ازوے پذير دهر عمل (۱)  
 ”طاف قيس بن الصحارى ولها      قاصداً ليلاه يرجو وصلها  
 ما اقتفيننا في الصحارى أثرا      منذليانا أقامت في القرى  
 إنما المقصود روح العمل      كيفه والكم منه تجتلي“ (۲)

ثم يصور إقبال صورة المسلم العاجز، وقد ملأ قلبه باليأس، بينما غيره بلغوا أهدافهم في التقدم والرقي، مستخدمًا نفس الصورة السابقة، فيقول:

همرهانت پے به منزل برده اند      لیلی مضي ز محمل برده اند (۳)  
 بلغ السعي الرفاق المنزلا      أنزلوا ليلى و حطوا المحملا“ (۴)

ويقول إقبال في ديوانه الأخير (أرمغان حجاز) أي (هدية الحجاز) قصيدة بعنوان: (شعراء العرب) حين دعا إقبال شعراء العرب، بعد أن اطلع على شعرهم ودوا وينهم وأدبهم، أن يوجهوا شعرهم لخدمة الإسلام والمسلمين، وأن يبعثوا الروح والجهاد من جديد في العالم الإسلامي، كي يستيقظ من غفلته، ويقول:

بگواز من نواخوان عرب را      بهاءے کم نهادم لعل لب را  
 توهم بگذار آن صورت نگاری      مجو غير از خمير خويش پاری  
 بباغ ما برآوردی پروبال      مسلمان را بده سوزے که داری  
 بده با خاک او آن سوزو تابے      که زاپد از شب او آفتابے  
 نواک زن که از فيض تو او را      دگر بخشند ذوق انقلابے (۵)  
 وقل للشاعر العربي عني      لياقوت الشفاه البخس مني  
 أترسم صورة لا يا عزيز      لتعمل ما يحبذه الضمير

- ۱- کلیات إقبال (فارسي) رموزے خودي، ص ۳۰۲.
- ۲- الترجمة العربية: عزام عبدالوهاب، الدكتور: اسرار نفي الذات، ص ۲۲۵.
- ۳- وانظر: النجار، فهيمي قطب الدين، الشاعر الإسلامي محمد إقبال والشعر العربي ”الجندي المسلم“، ص ۹۸.
- ۴- کلیات إقبال (فارسي)، رموزے خودي، ص ۳۱۶.
- ۵- انظر: الترجمة العربية: عزام، عبدالوهاب، الدكتور: اسرار نفي الذات، ص ۲۳۰. النجار، فهيمي قطب الدين، الشاعر الإسلامي محمد إقبال والشعر العربي ”الجندي المسلم“، ص ۹۸.
- ۶- کلیات إقبال (فارسي)، رموزے خودي، ص ۱۵۶-۱۶۰.

وروضتنا خفقت بها جناحا      حنيفا خص بالقبس المنير

لتمنع ذاته نوراً وناراً      ليصبح ليله الداجي نهارا

وذاك اللحن فلتعزف بفيض      فذلك ذوق تبديل أثارا (۱)

فهذا هو شاعرنا الكبير محمد إقبال الذي أحب العرب لأنهم قوم النبي، وأحب لغتهم وأدبهم

وشعرهم، ويتغنى إقبال بأرض الحجاز، منبت الوحي، وأرض الجهاد الأول، مبينا حنينه إليها، فيقول:

”أشواقنا نحو الحجاز تطلعت      كحنين مغترب إلى الأوطان

إن الطيور وإن قفصت جناها      تنمو بفطرتها إلى الطيران“ (۲)

فهكذا ديوان إقبال كله مملوء من أشعار في حب النبي صلى الله عليه وسلم، يحث إقبال

فيها إلى استيقاظ المسلمين و شعره كله يدلنا أن ينبغي لنا أن نجعل حب النبي صلى الله عليه وسلم

جزء من حياتنا وفيه نجاة وشفاء من كل داء المجتمع والقلب والروح وعافية من كل شرور

ووسوس من الشياطين.

۱- الترجمة العربية: المصري، د. حسين مجيب: هدية الحجاز، ص ۴۶۷-۴۶۸.

۲- شعلان، الصاوي علي، الشيخ، والاعظمي، محمد حسن، الأعلام الخمسة للشعر الإسلامي.

- وانظر: النجار، فهم قطب الدين، الشاعر الإسلامي محمد إقبال والشعر العربي "الجندي المسلم"، ص ۱۷۹-۱۸۳.

- وانظر: المصري، د. حسين مجيب: إقبال والعالم العربي، مصر: مكتبة الانجلوية، ۱۹۷۶م.

- وانظر: بي، اے، ڈار: كلام إقبال پر عربی ادب کے اثرات، اقبال ریویو، لاہور، پاکستان. اقبال اکادمی،

ج ۹، ۱۳۸۸ھ/۱۹۶۸م.

- وانظر: أظھر، ظہور أحمد، الدكتور: إقبال عرب شعراء کی نظر میں. لاہور، پاکستان: مطبعة المكتبة

العلمية، ۳۰ نوفمبر ۱۹۷۷م.

## الفصل الثالث

### الموضوعات التي تناولها شوقي وإقبال في المدح النبوي

كما ذكرنا قبل أن شوقي كان رجلاً دينياً وكان قلبه مملوءاً بحب النبي ﷺ، فقد قال عدة من الأشعار في مدح النبي ﷺ، وهكذا نجد خمساً من قصائده في مدحه وهي مزينة بثروة الحكمة والذكاء، وعندما نطالع هذه القصائد نحس حبه العميق وصلته الوثيقة بشخصية محمد ﷺ.

الآن نحن نعرض تعريفاً موجزاً لهذه القصائد فيما يلي :

#### ١- نهج البردة

وتشتمل هذه القصيدة على مائة وتسعين بيتاً ومطلعها:

”ويم على القاع بين البان والعلم أحل سفك دمي في الأشهر الحرم“ (١)

وقد نظمها تذكراً لحج الخديوي العباس الثاني سنة ١٣٢٧هـ / ١٩١٠م. (٢)

وجدير بالملاحظة أنه لم يشر في القصيدة إلى الخديوي ولا إلى حجه قط.

#### ٢- ذكرى المولد

وتشتمل هذه القصيدة على تسعة وتسعين بيتاً وقد قالها سنة ١٣٢٨هـ / ١٩١١م. والتي مطلعها:

”به سحر يتيمة كلاجفنيك يعلمه“ (٣)

#### ٣- ذكرى المولد

ونظمه شوقي قصيدة أخرى بهذا الاسم في سنة ١٣٣١هـ / ١٩١٤م. والتي مطلعها:

”سلوا قلبي غداة سلا وتابا لعل على الجمال له عتابا“ (٤)

- ١- الشوقيات: ١/١٩٠.
- ٢- نشرت بالمؤيد في ١٤ المحرم الحرام سنة ١٣٢٨هـ و ٢٦ من يناير سنة ١٩١٠م.
- ٣- الشوقيات: ٣٨/١. وأنظر: أظهر، ظهور أحمد، الدكتور: أحمد شوقي كى نعتيه شاعري، (ماهنامه شام وسحر) نعت نمبر ص ٢٨٧.
- ٤- نشرت بمجلة الزهور في يونية سنة ١٩١٢م، ثم بجريدة عكاظ في مارس ١٩١٧م بالعدد ٤٤ من السنة الرابعة، ثم بكتيب (كرمة بن هاني) مع نهج البردة والهمزية النبوية المطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٩٢٣م. (الشوقيات، ٦٨/١)

## ٤- الهمزية النبوية

وتشتمل هذه القصيدة على مائة وإحدى وثلاثين بيتاً، والتي مطلعها:

”ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وثناء“ (١)

ونظمها سنة ١٣٣٤هـ/ ١٩١٧م، وقد ذكر بها سيرة النبي ﷺ بطريق احسن، وقد نقلها

على نهج البوصيري .

## ٥- أرجوزة طويلة

وأنشده شوقي أرجوزة طويلة باسم ”دول العرب وعظماء الإسلام“ خلال نفيه إلى الأندلس.

وتشتمل هذه القصيدة على ستة وعشرين و سبع مائة وألف بيت، ومطلعها:

”الحمد لله القديم الباقي ذي العرش والسبع العلا الطباق“ (٢)

وقد بين فيها سيرة النبي و خَلَقَهُ وَ خُلِقَهُ بالتفصيل.

## موضوعات مدح شوقي

ويمكن لنا أن نقسم موضوعاته المدحية تحت العناوين التالية .

١- الأوصاف الخَلْقِيَّة ٢- الأوصاف الخَلْقِيَّة .

٣- الأوصاف الدعوية /النبوية.

والآن نتكلم عن هذه الخصائص النبوية فرداً فرداً في شعره .

## ١- الأوصاف الخَلْقِيَّة

وقبل أن يبين شوقي أوصافه (ﷺ) الخَلْقِيَّة ، يصور ما سجله التاريخ من مظالم نارت بها الإنسانية قبيل بعثة النبي، والمفاسد الشائعة في الشرق والغرب، فالحكام كانوا طغاة، ورجال الدين بغاة. والأغنياء قليلون يستعبدون الفقراء وهم كثيرون. والشعوب تن من الحكم المطلق، ومن

١- الشوقيات، ٣٤/١.

- وانظر: ”أحمد الحوفي، الدكتور، الإسلام في شعر شوقي، ص ٨٣. وانظر:

Iqbal Review, The portrait of Ahmad Showqi, Editor, Prof Muhammad

Munawwar, p 117, vol 28, April-june1982.No1.

- وانظر: ايم اے، فيوض الرحمن، ايم: ترجمة الهمزية النبوية: امير الشعراء أحمد شوقي. لاهور باكستان:المكبة العلمية . بلون التاريخ

٢- شوقي، أحمد بك: دول العرب وعظماء الإسلام، ص ”مقدمة النظم“.

الجوار المهلك ، ومن تسخيرها كما تسخر الماشية . والأخلاق مجرحة والفضائل في جائحة ،  
والأبيان عقائد مزعجة وكهانة ووساطة والغاز ووثنية تنفى عن الإنسان ميزة العقل والفكر والرشد  
وسلامة الوجدان .

ولقد عرض شوقي لهذا (١) في تصوير شعري ، إذ جعل الشرق والغرب في ظلمات مطبقة  
وفي جهالة مهلكة ، وفي ضلالة عامة وفي حيرة في معرفة الخالق ، فهو إنسان في رأي قوم ونجم أو  
كوكب في رأي قوم ، ويقول في عقيدة آخرين:

ب وعمّ البرية الإدجاء	أظلم الشرق بعد قيصر والغر
يفتك الجهل فيه والجهلاء	فالورى في ضلاله متماد
أو شهاب أو صخرة صماء	عرف الله ضلة فهو شخص
ثان حتى انتهت له الأهواء (٢)	وتولى على النفوس هدى الأو

إلى أن قال :

لم يؤلف شتاتهن لواء	جاء للناس والسرايد فوضى
له والحق والصواب وراء (٣)	وحمى الله مستباح وشرع الل

فأنزل الله سبحانه وتعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم كرحمة وبركة لكل الإنسانية .  
فشخصية النبي هي سبب خلق الكائنات ولهذا فإن أول شيء في الخلق كان شمائله ، إلا أن بداية  
المديح كانت منذ أن شرف النبي العالم بمولده ﷺ وحسب تقاليد العرب بدأت التهاني  
والمباركات تسمع في كل مكان ، ويسأل أحد الحاضرين في عقيقته ﷺ عن اسم المولد فيجيبه  
جده عبدالمطلب قائلاً: محمداً ﷺ ، فيندهش أهل المجلس وينظر كل منهم إلى الآخر في الحيرة ،  
لقد أدهشهم وحيرهم هذا الاسم الفذ القليل التداول (٤) . ولما سئل جده عن سبب هذه التسمية  
الفريدة أجاب في لهجة موافقة :

١- أحمد الحوفي ، الدكتور: الإسلام في شعر شوقي ، ص ٢٨١-٢٨٤ .

- وانظر: امام علي : مناهل الأدب العربي ، مختارات من أحمد شوقي ، بيروت: مكتبة صادر المكتبة العلمية . بدون التاريخ .

٢- الشوقيات ، ٢٩/١ .

٣- الشوقيات ، ٣٠/١ .

٤- النبھاني ، يوسف بن إسماعيل ، الشيخ: الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية . المطبعة الأدبية ، بيروت



”أردت أن يحمد من السماء ويحمده الناس في الأرض.“ (١)

ويقول شوقي في اسمه المبارك :

محمد صفوة الباري ورحمته وبغية الله من خلق ومن نسّم (٢)

إن بيان الصفات ووصف الملامح الشخصية الخلقية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لهو أحب الموضوعات إلى قلوب شعراء المديح ، وقد أثار ذلك ما يوجد في القرآن الكريم وكتب الحديث والسيرورة من إشارات وتوضيحات وذكر البعض جمال النبي وحسنه ولرواية أم معبد الخزاعية (٣) أهمية كبيرة في هذا المجال ، وقد استفاد منها جميع شعراء المديح .

ولقد نظم الشعراء جميعاً تلك الروايات التي تبين العظمة النبوية والتي وصفت فيها الصفات النبوية العظيمة ، وقد ذكر رسول الله بنفسه حيثته المفردة والمتميزة عدة مرات ، وهناك خمس مميزات نجد لها ذكراً في أكثر كتب الحديث والتي تعلن عظمة النبي والمكانة الرفيعة وهي:

”نصرت بالرعب شهراً يرعب منى العدو مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي ادركته العلا فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبل واعطيت الشفاعة فكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة.“ (٤)

ويقول شوقي عن هذا الموضوع:

يا خير من جاء الوجود، تحية من مرسلين إلى الهدى بك جاء وا  
بيت النبيين الذي لا يلتقى إلا الحنائف فيه والحنفاء (٥)

- ١- الخصائص الكبرى، ١/٧٨، ٧٩.
- ٢- الشوقيات: ١/١٩٥.
- ٣- الاستيعاب، ٢/٧٧٤-٧٧٥.
- ٤- صحيح البخاري، كتاب الصلوة، باب: قول النبي: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً. الطبعة الرابعة. دمشق، بيروت: ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م. ١/٦٢.
- وفي كتاب تيمم، رقم الحديث: ٢١٧، ١/٥٧.
- ٥- الحنيف: الصحيح العقيدة إلى الإسلام وكل من كان على دين إبراهيم عليه السلام يقال له الحنيف، والجمع حنفاء والمؤنث حنيفة، وجمعها حنائف.

خير الأبوة حازهم لك (آدم) دون الآنام ، وأحرزت حواء  
 هم أدركوا عزّ النبوة وانتهت فيها إليك العزة القعساء  
 خلقت لبيتك ، وهو مخلوق لها إن العظام كفؤها العظماء  
 بك بشّر الله السماء فزينت وتضوّعت مسكابك الغبراء (١)

ويظهر شوقي عقيدته ومحبه لمحمد صلى الله عليه وسلم بكل جوانب ، ويفضله على  
 سائر الأنبياء عليهم الصلوات والسلام . فنجد جاذبية خاصة في آدابه صلى الله عليه وسلم وأقواله  
 وأفعاله وأحكامه وإرشاداته .

ولاريب أن إطاعة رسول الله فرض على كل مسلم ، فالمحبة روح الطاعة ، والطاعة بغيرها جسم  
 بلا روح ، لأن عواطف المحبة تمنح الطاعة والوقار والطاعة ثمرة الإيمان . التي لا تدرك بغير المحبة .  
 كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :

﴿فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده ولده﴾ (٢).  
 وكما قال :

﴿لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده ولده والناس أجمعين﴾ (٣).

ولاريب حب النبي صلى الله عليه وسلم دبّ في جسد الشوقي وجذوره عميقة ، واقتضاء  
 هذا المحبة أن يثبت شوقي عظمة النبي بطرق مختلفة ، ويبين في هذا الصدد القصة التي تتعلق بسفر  
 النبي صلى الله عليه وسلم في صباه مع عمه إلى الشام ، فمثلاً يذكر شوقي لقاءه صلى الله عليه  
 وسلم ببخيرا الراهب ، الذي أخبر بنبوته قبل أو انها ، ثم يذكر الشاعر المكان العظيم الذي نزل فيه  
 أول الوحي وهو غار حراء ، وروح القدس الذي جاء بالوحي ، وهكذا يريد شوقي أن يلقن قراء  
 قصيدته تأييد النبوة بالأدلة الواضحة منذ صباه .

وهو يقول :

لما رآه بحيرا (٤) قال : نعرفه بما حفظنا من الأسماء والسيم

١- الشوقيات : ٣٤/١ .

٢- صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب : حب الرسول ، رقم الحديث: ١٤ ، ١٧/١ .

٣- صحيح البخاري كتاب الإيمان ، حب الرسول ، رقم الحديث: ١٥ ، ١٧/١ .

٤- بحيرا ، بفتح الباء وكسر الحاء : الراهب النصراني المشهور .

سائل حراء ، وروح القدس : هل علما مصون سرّ عن الإدراك منكم (١)  
 ثم يبين محبة أصحاب الأديان الأخرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقول :  
 محبة لرسول الله أشربها قعائد الدير (٢) والرهبان في القمم (٣)  
 وبعد هذا ينثر قلمه اللؤلؤ النادر عن شخصيته .

ويقول عن جمال النبي :

أما الجمال ، فانت شمس سمائه وملاحة (الصيديق) منك أياء  
 والحسن من كرم الوجوه ، وخيره ما أوتى القواد والزعماء (٤)  
 وفي موضع آخر يقول :

البدر دونك في حسن وفي شرف والبحر دونك في خير وفي كرم  
 شم الجبال إذا طاولتها انخفضت والأنجم الذهر ما واسمتها تسم (٥)

فشوقي يجعله في البيت الأول فوق البدر حسنا وشرفا وفوق البحر خيرا وكرما ، ويجعله  
 في البيت الثاني أسمى من الجبال الشم قدرا ، وأروع من النجوم الزهر حسنا، ويفوق جماله على  
 جمال يوسف عليه السلام ، حتى إن جمال يوسف بالنسبة إليه شعاع منه وقال إنّ جمال الوجوه  
 تكريم ، وخير جمالها ما يمنحه الله القادة ، لأنهم يجتذبون به أتباعهم . ونجد أحاديث مختلفة في  
 في جمال النبي (٦) وأنه في جماله كالبدرو وجهه منير ولا مع .

- 
- ١- الشوقيات، ١٩٥/١ .
  - ٢- قعائد الدين : ملازمه من متنسكة النصارى ، والقمم : جمع قمة : وهي أعلى الرأس من كل شيء، والمراد بها هنا أعالي الجبل .
  - ٣- الشوقيات، ١٩٦/١ .
  - ٤- الشوقيات، ٣٥/١ .
  - ٥- الشوقيات : ٢٠٠/١ .
  - ٦- من ذلك ما ورد عن أبي هريرة أنه قال : مارأيت شيأ أحسن من رسول الله كأن الشمس تجري في وجهه .  
 (جامع الترمذي : أبواب المناقب، ٢/٢٢٨)
  - سئل البراء ، أكان وجه النبي مثل السيف؟ ، فقال : لا بل مثل القمر (صحيح البخاري : كتاب المناقب ، باب :صفة النبي، ٥٠٢/١) .
  - فنظرت إلى وجهه كأنه ورقة مصحف (أسد الغابة : ٣٣/١)
  - هو أجمل الناس وأبهامهم من بعيد وأحسنهم وأملحهم من قريب (الاستيعاب : ٢/٧٧٤)

وكان النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلم نعمة الله على الناس وهو أشد حياء من الناس وحياءه كالعذراء والبتولة .

ويقول شوقي عن حياءه ه :

نعم اليتيم بدت مخايل فضله      واليتيم رزق بعضه وذكاء  
في المهد يُستسقى الحيا برجائه      وبقصده تستدفع الباساء (١)

يقول في موضع آخر:

أنت الجمال بها ، وأنت المحتلى      والكف ، والمرآة ، والحسنا  
الله هيا من حظيرة وقده      نزلاً لذاتك لم يحجزه علاء (٢)

وهذا من فضائل النبي وصفاته الخلقية أن الله خلقه من قبل تخليق آدم وبعثه من آخر المرسلين وأكمل دينه الإسلام على بعثته ، فهو سيد المرسلين وأحسن الخالقين وأسوته أسوة حسنة لكل الإنسانية إلى يوم القيامة بدون تخصيص مسلم أو غير مسلم ، وهدايته كالنور في ظلمة هالكة . ووجوده كرحمة وسعادة بين المسلمين وغير المسلمين .

ويثبت شوقي فضيلته هذا قائلاً:

فالطف لأجل رسول العالمين بنا      ولا تزددومه خسفاً ولا تُسم  
يارب ، أحسنت بدء المسلمين به      فتمم الفضل ، وامنح حسن مختتم (٣)

وأتم الله نعمته في صورة محمد ﷺ . ويقال له سيد البشر ، ورحمة للعالمين ، ولا مثيل له

في كل حال ، ونجد هذه الحقيقة ثابتة في كتب الأحاديث . (٤)

- 
- ١- الشوقيات : ٣٥/١ .
  - ونجد في كتب الحديث : كان النبي أشد حياء من العذراء في خدرها فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفنا في وجهه .  
الصحيح المسلم : كتاب الفضائل ، باب كثرة حياءه ، ٢٥٥/٢
  - ٢- الشوقيات ، ٣٩/١ .
  - ٣- الشوقيات : ٢٠٨/١ .
  - ٤- من ذلك ما ورد أنه قال : أنا سيد البشر ولا فخر ، أنا أفصح العرب (العقد الفريد ، ٥٨/٢) .
  - أحسن الناس وجهها وأحسنهم خلقاً (صحيح البخاري : كتاب المناقب ، باب صفة النبي ، ٥٠٢/١)
  - بين كتفيه خاتم النبوة وهو خاتم النبيين (سيرة النبي لابن هشام ، ٨/٢)

## ٢ - أوصافه الخلقية

ولقد كان من واجب مادحي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يشيدوا بأخلاقه العظيمة ، لأنه المثل الأعلى في الأخلاق لجميع الناس في سلم وحرب وفي رضاء وغضب وفي سر و جهرو في فرح وحزن وفي يسر وعسر وفي رخاء وشدة كما قال الله سبحانه وتعالى:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (١)

وكان النبي بشرا يأكل ويشرب ، ويصحو وينام ، ويفرح ويحزن ، ولكنه الإنسان الكامل المتميز بأخلاقه السامية إلى أوج لم يدركه بشر، وقد أشاد شوقي بأخلاق النبي في عدة قصائد. فيبدأ شعر الشمائل ببيت يذكر فيه أمانة النبي وصدقه هكذا:

بسوى الأمانة في الصبا والصدق لم يعرفه أهل الصدق والأمناء (٢)

ثم ينتقل بعده إلى مدح جملة الشمائل والصفات .

فيقول :

يا من له أخلاق ما تهوى العلا	منها وما يتعشق الكبراء
لو لم تقم ديننا لقامت وحدها	دينا تضيئ بنوره الأناء
زانتك في الخلق العظيم شمائل	يسغرى بهنّ ويُولع الكرماء (٣)

يقول علي النجدي في كتابه:

”وشوقي يقصر إعجابه على الأخلاق ، ولكنه بعد لا يقصر عليها حديثه ، بل يضيف إليها بعض الأوصاف الذاتية أيضا ، فإذا هي فروع لا تقوم كما قامت قسيمتها على أصول ، ثم يأخذ الشاعر بعد ذلك في عرض الشمائل والأوصاف ، ويصور ما يأتي به من الشمائل والصفات ، كل في بيت أو شطر من بيت ، يصورها تارة بقياسها إلى شئ أو تشبيهها به . وتارة بإثبات الفضل لها على مثال من أمثلتها العالية، وتارة باطلاق معانيها أو تقييدها بأسمى الحالات ، أو وصفها بأبلغ الأوصاف“ . (٤)

١- سورة القلم ، الآية : ٤ .

٢- الشوقيات : ٣٥/١ .

وأصدق الناس لهجة (سيرة النبي لابن هشام : ٩/٢) .

٣- الشوقيات : ٣٥/١ .

٤- علي النجدي ناصف : الدين والاخلاق في شعر شوقي ، ص ١٢٧ .

ومن ذلك :

وإذا سخوت بلغت بالجود المدى	وفعلت ما لا تفعل الإنواء
وإذا عفوت فقادرا ومقدرا	لا يستهين بعفوك الجهلاء
وإذا رحمت فأنت أم وأب	هذان في الدنيا هما الرحماء
وإذا غضبت فإنما هي غضبة	في الحق لا ضغن ولا بغضاء
وإذا رضيت فذاك في مرضاته	ورضا الكثير تحلم ورياء
وإذا خطبت فللمنا برهزة	تعرو الندى وللقلوب بكاء (١)

ونلاحظ أن بعض المقاييس التي تخيرها هنا للحكم والتقدير ، هي من نوع القوالب اللفظية المأثورة ، ولا يخفى أنها لا تحسن أداء المعنى في كل الأحيان . وذلك كالأنواع في تقدير سخائه حيث يقول:

إذا سخوت بلغت بالجود المدى      وفعلت ما لا تفعل الأنواء

ولدى شوقي جوده عليه الصلاة والسلام أكثر وأعظم ويفضل جود النبي على المطر. (٢)  
ثم يذكر عفو النبي ﷺ ويقول عفوك ظاهر مبين ، حتى الجهلأ يعترفون بعفوك وانت تعفو  
حين تكون قادراً على الانتقام ويكون العدو تحت سيفك ، كما قال يوم الفتح :

﴿لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ (٣)

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٤)

وقال الله سبحانه وتعالى في مقام آخر : ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٥)

وقوله :

فإذا رحمت فانك أم وأب      هذان في الدنيا هما الرحماء

فقد قاس رحمة رسول الله صلى الله عليه وسلم برحمة الوالدين ، وهو المقياس المفضل  
المألوف لا يمكن لأحد أن ينكره أو يجهل مكانه ، فمن لم يجده من نفسه عاطفة ، رأه من حوله

- ١- الشوقيات : ٣٦/١. وانظر: علي النجدي ناصف : الدين والاخلاق في شعر شوقي ، ص ١٢٨ .
- ٢- نقوش : ٢٦٤/١٠ .
- ٣- سورة يوسف ، الآية : ٩٢ ، وانظر: مبار كפורى ، صفى الرحمن : الرحيق المختوم ، ص ٣٩٩ .
- ٤- سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٧ .
- ٥- سورة التوبة ، الآية : ٤ .

عملاً، والشاعر يقصر الرحمة في الدنيا على هذا النبع، ويجعل إليه منتهاها، فلا ملتصق لها إلا منه ولا كمال لها إلا فيه .

ويقول علي النجدي في هذا الصدد:

”وربما خطر بالبال أن تخالف المبتدأ و الخبر في الشطر الأخير من البيت . يغض من قيمته، أو يزحزحه شيئاً عن مكانته من الإحسان، لكن الواقع أن هذا التخالف هو سر البراعة فيه، أو سرها الحديد بالتشويه قبل سواه، فمعناه أن رحمة الوالدين تسع الأشقياء في الأرض فهما كان عددهم كبيراً، لأنهما بعطفان على الأنبياء طبعاً، ويعطفان على أشباههم رقة وتأثراً، وإذا لا ينبغي أن يؤخذ مأخذ الزوج في الحكم والأخبار، فليس ينبغي أن يكون المعول في ذلك على العدد وحده ولكن على القيمة والأثر معه أو عليها من قبله“ . (١)

ثم يذكر غضب النبي فهو للحق دائماً ولحماية الدين والدفاع عن الحق، فيقول إنها حرب مشروعة، ويعقب على هذا الرأي بحكمة متعارف على صدقها هي أن السموم تعطى دواء في بعض الأحيان، ومعنى هذا أن الحرب التي اضطر إليها النبي كانت علاجاً لا مندوحة عنه ليرى أعداء الإسلام من أمراضهم .

ثم يذكر شوقي شمائله الأخرى :

وإذا بنيت فخير زوج عشرة	وإذا ابتليت فدونك الأبناء
وإذا صحبت رأى الوفاء مجسماً	في بردك الأصحاب والخلطاء
وإذا أخذت العهد أو أعطينه	فجميع عهدك ذمة ووفاء
وإذا مشيت إلى العدا فغضنفر	وإذا جريت فانك النكباء
وتمد حلمك للسفيه مدارياً	حتى يضيق بعرضك السفهاء (٢)

ويذكر هنا شوقي شجاعة النبي، فهو كالغضنفر في تقدير شجاعته وهيبته، وكانت العرب يفتخرون بشجاعتهم وبسالتهم وثباتهم في الحرب ضد العدو، وانهم لا يخافون من الموت، حتى كانت الحرب تمر مائة عام أو أكثر من ذلك .

وقال ابن عمر رضي الله عنه :

- ١- علي النجدي الناصف، الدكتور: الدين والأخلاق في شعر شوقي، ص ١٢٤-١٢٩. وانظر: الريحاني، الأستاذ: العربية وشاعرها الأكبر. مصر: مطبعة المعارف ومكتبتها ١٣٧٤هـ/١٩٢٨م.
- ٢- الشوقيات: ٣٦/١.

”مارأيت أشجع ولا انجد، ولا أسخى من رسول الله ولا أجود“ (١).

ويقول أحمد شوقي إنه عليه الصلاة والسلام أشجع الناس ، ومن شجاعته أنه عندما ينزل على ماء وقبض عليه ، فليس يمكن لأحد من الملوك والقيصر أن يحصلوا منه شربة أو كأسا من الماء لشربهم ، وهكذا إذا جاء أحد تحت لوائه فليس لأعداءه أن يقتلوه :

وإذا حميت الماء لم يورد ، ولو أن القيصر والملوك ظماء  
وإذا اجرت فانبت بيت الله لم يدخل عليه المستجير عدا  
وإذا ملكت النفس قمت بيرها وان ماملكت يدك الشاء (٢)  
يقول أحمد الحوفي :

وكان النبي خطيباً مفرداً عظيم التأثير في قلوب سامعيه ، وكان قاضياً عادلاً لا يرتاب المحتكون إليه في عدالة حكمه ، وكان عظيم الحفاوة مما يحمي ، وعظيم الرعاية لمن يجير ، وكان المثل الأعلى في رعاية حق الإنسان في الحياة والكرامة ، فإذا امتلك عبداً أو أسيراً بره ورعاه ، وكان رحيماً لأصدقائه ، وكان أعظم الناس وفاءً بعهوده ودعوته ، وكان أعظم الناس هيبه في النفوس ، وقد أشاد شوقي بأخلاق النبي في نهج البردة ، فوصفه بالكرم والعلاء والبأس ، إعجاب الأبطال به حتى وإن كانوا من أعدائه ، ثم ذكر يتمه ، ورعاية الله له ، وهدايته للناس ، وتعليمه إياهم ، وتحريرهم من أغلال الجهل ، ووازن بين إحياء عيسى عليه السلام ميتاً وبين إحياء محمد عليه السلام أجيالاً من رقا والجهالة ، وقال إن الجهل موت وإيقاظ الجهال معجزة كإحياء الموتى“ (٣).

تهفو إليك وإن أدميت حبتها في الحرب ، أفئدة الأبطال والبهم  
محبة الله ألقاها وهيبته على ابن أمنة في كل مصطدم  
كان وجهك تحت النقع بدر دجى يضى ملتثماً أو غير ملتثم  
بدر تطلع في بدر فغرتة كغرة النصر تجلوداجي الظلم (٤)  
ثم يقول :

أخوك عيسى دعاميتا فقام له وأنت أحييت أجيالا من الزمم  
والجهل موت فإن أوتيت معجزة فابعث من الجهل أو فابعث من الرجم (٥)

١- النبهاني ، يوسف بن إسماعيل ، الشيخ : جواهر البحار ، ١٣١/٣ .

٢- الشوقيات : ٣٦/١ .

٣- أحمد الحوفي ، الدكتور : الإسلام في شعر شوقي ، ص ٢٨٠ .

٤- الشوقيات : ٢٠٠/١ .

٥- الشوقيات : ٢٠١/١ .



يقول أحمد الحوفي :

”على أننا نخالف شوقي في تنويحه بالمحاسن الجسدية ، ونرى أن قوله (بدر تطلع في بدر) .  
تخصيص لحال النبي في موقعة بعينها لا مبرر له إلا حرصه على الناس .  
أما قوله (كأن وجهك تحت النقع) فهو تصدير للبطولة في أعلى درجاتها ، لأنه وصف  
وجه النبي بالإشراق والإستبشار والتطلق حيث تعبس الوجوه وتكفهر“ . (١)

## الأوصاف الدعوية / النبوية

يذكر شوقي أوصافه (ﷺ) النبوية والدعوية بأسلوب جيد . ويبين كيف دعا الناس إلى دين  
الإسلام . وهناك يثبت عظمته النبوية أيضاً ، فيقول:

ق مينا ، وقومه الفصحاء	أشرف المرسلين ، آيته النط
ولبى الأعوان والنصراء	وأته العقول منقادة اللب
لم يؤلف شتاتهن لواء	جاء للناس ، والسرائر فوضى
وهبوط إلى الثرى ، وارتقاء	فلجبريل جيئة ، ورواح
سلبته النجوم والجوزاء	يحسب الأفق في جناحيه نور
له ضياء يهدى به من يشاء	تلك أي الفرقان ، أرسلها الل
ل ، كما ينسخ الضياء الضياء (٢)	نسخت سنة النبيين والرسـ

فقد أرسله الله سبحانه وتعالى لنشر أحكام الدين ، وكان هذا العمل صعباً جداً ، كل العرب  
كانوا مستغرقين في ظلام الكفر وعبادة الأصنام ، ولا يمكن لهم أن يتركوا دينهم الذي كانوا عليه  
بسهولة ، وكان رسول الله يفهم هذه الحقيقة ، فيبدأ دعوته من أسرته فدعاهم إلى دين الحق ، ولكن  
بضعة منهم أجابوا إلى دعوته . يقول شوقي:

وأصمّ منك الجاهلين نداء	لما دعوت الناس لبي عاقل
والناس في أوهامهم سجناء	أبو الخروج إليك من أوهامهم
ومن النفوس حرائر وإماء (٣)	ومن العقول جداول وجملامد

و كثير منهم رفضوا دينه وقاموا على عدائه . ولا يمكن لهم أن يسمعوا كلاماً ضد أصنامهم ،

١- أحمد الحوفي ، الدكتور : الإسلام في شعر شوقي ، ص ٢٨١ .

٢- الشوقيات ، ٣٠/١ .

٣- الشوقيات : ٣٨/١ .

وكانوا يمنعون الآخرين أن يسمعوا كلام رسول الله، وقالوا إنه ترك دين أجداده، وهو ناقص العقل فقالوا له ساحر و مجنون، (نعوذ بالله).

ويبين شوقي كيفيتهم تلك قائلاً:

أزري بمنطق أهله وبيانهم وحي يقصر دونه البلغاء

حسدوا، فقالوا: شاعر، أو ساحر ومن الحسود يكون الاستهزاء (١)

فآمن به قليل من الناس وكانوا مستضعفين في المجتمع ولما رأوا خصائص دين الإسلام مثلاً أخوة ومساواة بين الأمراء والضعفاء، فآمنوا به بقوة القلب وبقوة الإيمان.

هل كان حول محمد من قومه إلا صبّى واحداً ونساء

فدعا، فلبى في القبائل عصابة مستضعفون، قلائل أنضاء (٢)

ولكن لا يبالي النبي ﷺ أقوالهم وما فترت عزيمته، وكان يتوكل على الله وعلى ثبات همته، وصبر على كل إيذاء أعداءه، وتحمل كل النوائب. وبلغ رسالة الإسلام بالعزم والتوكل، فأيده الله وجعل دينه غالباً على كل الأديان العالمية.

تأمل أبيات شوقي:

نبي البر، بينه سبيلا وسنّ خلاله، وهدى الشعابا

تفرق بعد عيسى الناس فيه فلما جاء كان لهم متابا

وشافى النفس من نزعات شر وكشاف من طبائعها الذئابا

وكان بياناً له للهدى سبيلا وكانت خيله للحق غابا (٣)

والآن نستعرض موضوعات الشوقي الأخرى في مدح النبي صلى الله عليه وسلم.

**تشتمل قصائده المدحية على الموضوعات التالية:**

## الإسلام دين القوة والمجد

وتيقن شوقي أن دين الإسلام دين القوة والمجد، يحب العمل والعاملين، ويحثهم على

السجد والسعى، ودعا النبي ﷺ الناس إلى العمل واهداهم بيانه إلى الحق والخير، وكان بجيشه

١- الشوقيات: ٣٧/١.

٢- الشوقيات: ٤٠/١.

٣- الشوقيات: ٧١/١.

يذود عن الحق وعلم المسلمين طرقا لحصول المجد والقوة وجميع حياة سيدنا محمد ﷺ كانت  
 لنشر الإسلام وثروة المسلمين ، لأن تجارب الحياة تنادي أن السيادة لاتدرك إلا بقوة ، ولهذا  
 يؤكد شوقي على المسلمين أن يصبغوا أنفسهم بصبغة الله ويتبعوا سبيل رسول الله بكل إخلاص  
 لكي يزودوا أنفسهم بقوة الجهد والمجد والعزة .

فيقول:

وكان بيانه للهدى سبلا      كانت خيله للحق طلبا  
 وعلمنا بناء المجد حتى      أخذنا امرة الأرض اغتصابا  
 وما نيل المطالب بالتمنى      ولكن توخذ الدنيا غلابا  
 وما استعصى على قوم منال      إذا الإقدام كان لهم ركابا (١)

ولهذا لم يأل شوقي جهدا في توجيه المسلمين وإسداء النصائح لهم ، وحثهم على الأخذ  
 بأسباب العزة والمجد . فقال لهم:

”إن دينكم رفع منار الحضارة فاهتدى بها العالم مائة السنين ، وإن أجدادكم العرب  
 الأمجاد أقاموا بالإسلام دولة عظيمة ، وزانوها بالقوة والعزة والعلم والحضارة والعدل والخلق  
 الكريم ، يريد بهذا أن يستحثهم على استعادة ماضيهم المشرق وتاريخهم العريق“ . (٢)  
 ثم ينبه المسلمين إلى أن دينهم دين العمل ويضيف إلى ذلك أمثالا من تاريخ المسلمين  
 أنفسهم حينما كانت لهم السيادة على العالم ، ليتبين أن عزتهم موصولة بتدينهم الحق ، كما كانت  
 عزة أسلافهم موصولة بتدينهم الحق .

قال في قصيدته ”مرحبا بالهلال“ :

أمم الهلال مقالة من صادق      والصدق أليق بالرجال مقالا  
 من عادة الإسلام يرفع عاملا      ويسود المقدام والفعالا  
 ظلمته أسنة تواخذه بكم      وظلمتوه مفرطين كسالى  
 هذا هلالكم تكفل بالهدى      هل تعلمون مع الهلال ضللاء  
 سرت الحضارة حقبة في ضوئه      ومشى الزمان بنوره مختالا

١- الشوقيات : ٧٣/١ .

٢- أحمد الحوفي ، الدكتور : الإسلام في شعر شوقي ، ص ١٧٠ .

وبنى له العرب الأجاود دولة  
رفعوا له فوق السِّمَّاء دعائما  
الله جل ثناؤه بلسانهم  
وتخيّر الأخلاق أحسنها لهم  
كالرسل عزمًا والملائك رحمة  
عدلوا فكانوا الغيث وقعاً كلما  
كوالشمس عرشا والنجوم رجالا  
من علمهم ومن البيان طوالا  
خلق البيان وعلم الامثالا  
ومكارم الأخلاق منه تعالى  
والأسد بأسا والغيوث نوالا  
ذهبوا يمينا في الورى وشمالا (١)

ويثبت شوقي في هذه الأبيات أن العزة والعظمة والمجد والكرامة لا يمكن منالها إلا بالسعي والاجتهاد والكسب.

يقول ماهر حسن فهمي:

”فأراد شوقي أن يحث المسلمين مشيراً إلى هدى النبي الكريم وأن يتخلقوا بخلق النبي الكريم. فذكرهم بأن الرسول شيدلهم حصناً منيعاً من الأخلاق، فلما تجافوا عن حصنهم تهدم، فصاروا عزلاً ضعافاً، ثم عقب على هذا بحكمة وثيقة الصلة بالفكرة، هي أن الأخلاق منبع القوي، وذخر العزة ومصدر المهابة، يريد أن الأخلاق من شجاعة وحمية وإباء وإيثار وصبر، هي التي تحقق النصر والمجد والتفوق للأفراد والجماعات، وهي التي تميز أمة على أمة، وتعلو بفرد على فرد.“ (٢) فيقول:

سألت الله في أبناء ديني  
وما للمسلمين سواك حصن  
كأن النحاس حين جرى عليهم  
ولو حفظوا سبيلك كان نورا  
بنيت لهم من الأخلاق ركنا  
وكان جنابهم فيها مهيبا  
فإن تكن الوسيلة إلى أجابا  
إذا ما الضُرُّ مسَّهُم ونابا  
أطار بكل مملكة غرابا  
وكان من النحوس لهم حجابا  
فخانوا الركن فانهدم اضطرابا  
وللأخلاق أجدد أن تهابا (٣)

وكان لا يطيق أن يتقطع جزء من أرض المسلمين، أو يحتل حمى من وطنهم الكبير، ولعله كان يخشى أن تتول الحركة الصهيونية إلى ما آلت إليه من عدوان على حقوق العرب والمسلمين في فلسطين، فقال سنة ١٩٣١م قصيدة في رثاء مولانا محمد علي الزعيم الهندي المسلم الذي

١- الشوقيات: ٢٢٤/١.

٢- الفهمي، ماهر حسن، الدكتور: شوقي شعره الإسلامي، ص ١٥٠.

٣- الشوقيات: ٢٢/١.

دفن بالقدس ، افتتحها بتقرير أن بيت المقدس بلد للمسلمين وليس لأحد أن ينازعهم مفاتيح بابه :

بيت على أرض الهدى وسمائه      الحق حائطه وأسس بنائه  
الفتح من أعلامه والطهر من      أوصافه والقدس من أسمائه  
تحنو مناكبه على شعب الهدى      وتطل سدّته على سينائه  
من ذا ينازعنا مقالده بابه      وجلال سُدّته وطهر فنائه  
ومحمد صلى على جنباته      واستقبل السّمحات في أرجائه (١)

وكان كثيرا ما يصل بالدين نصائحه المتصلة بالعمل والجد والتفوق كنهيه العمال عن المسكرات ، لأنهارجس ، وأمرهم باتقان العمل ، لأن الاتقان يكسب ثوابا من الله ويرضى الناس ويطمئنهم ، وأمرهم بالاستقامة عامة لأنها تفتح أبواب الرزق ، فيقول:

إن للمتقين عند الله والناس ثوابا      أتقنوا يحببكم الله ويرفعكم جنابا  
واستقيموا يفتح الله لكم بابا صابا      واهجرو الخمر تطيعوا الله أو ترضوا الكتابا  
إنها رجس فطوبى لامرئ كف وتابا      ترعش الأيدي ومن يرعش من الصناعات خابا (٢)

فهكذا يحاول شوقي لاستيقاظ المسلمين من سباتهم العميق ويريد أن يزينوا أنفسهم بالأوصاف الحميدة لنيل قوة المجد والعزة بين الأقسام .

## ٢- تضرع ودعاء

ونجد كثيرا من أبيات شوقي مملوءة بالخشوع والخضوع ويؤمن بنصرة الله في كل نوائب. فقد افتتح قصيدته (كبار الحوادث في وادي النيل) التي ألقاها في المؤتمر الدولي بحنيف سنة ١٨٩٤م بوصف عام للسفينة والبحر والموج ، ثم تضرع إلى الله أن يكتب السلامة لركاب السفينة. فيقول:

همت الفلك ، واحتواها الماء      وحداها بمن تقل الرجاء  
ضرب البحر ذوالعباب حواليا      ها سماء قد أكبرتها السماء (٣)

ورأى شوقي في خياله أن الأمواج قد انقطعت ارتفاعها . وأن هديرها دعاء ، وأن هدوءها

١- الشوقيات: ١٢/٣.

٢- الشوقيات: ٩٥/١.

٣- الشوقيات: ١٧/١.

وانبساط مائها سجود وخشوع ، وأن البحار كلها كتاب حافل بتمجيد الله والإقرار بالآته .

قال شوقي:

رب إن شئت فالفضاء مضيق	وإذا شئت فالمضيق فضاء
فاجعل البحر عصمة وابعث الرحمة	مة فيها الريح الأنواء (١)
أنت أنس لنا إذا بعد الأنس	س وأنت الحياة والإحياء
يتولى البحار مهما ادلهمت	منك في كل جانب لالاء (٢)
وإذا ما علت فذاك قيام	وإذا ما رغت فذاك دعاء (٣)
فإذا راعها جلالك حرّت	هية فهسي والبساط سواء
والعريض الطويل منها كتاب	لك فيه تحية وثناء (٤)

ثم يحمده الله على بعثة نبيه (ﷺ) ، بأن وجوده سبب هداية للبشر ورحمة للعالمين ، وهو

الذي كشف الظلام الظاهر والخفي وطهر عقول ونفوس البشر من العقائد الفاسدة .

فيقول:

سبحانك اللهم خير معلم	علمت بالقلم القرون الاولى
أخرجت هذا العقل من ظلماته	وهديته النور المبين سبيلا
أرسلت بالتوراة موسى مرشدا	وابن البتول فعلم الإنجيلا
وفجرت ينبوع البيان محمدا	فسقى الحديث وناول التنزيلا (٥)

فدعا شوقي سبحانه الله وتعالى بكل إخلاص والخشوع والخضوع ، فتأمل الفاظ دعائه

فتجد فيها هبة الله وجلاله .

فقال في الدعاء الذي سماه "دعاء الصلاة العامة"

"اللهم قاهر القياصر، ومذل الجبابر، وناصر من لاله ناصر، ركن الضعيف ومادة قواة،

وملهم القوي خشيته وتقواه، ومن لا يحكم بين عباده سواه. هذه كنانتك فزع إليك بنوها، وهرع

١- الأنوار: جمع نور والمراد المطر .

٢- ادلهمت: أظلمت، لالاء: لمعان ونور .

٣- رغت: صوتت وضبحت

٤- الشوقيات: ١٧/١-١٨ .

٥- الشوقيات: ٢١٩/١ .

إليك ساكنوها هلالاً وصليباً ، بعيدا وقريبا ، شبانا وشيبا ، نجية ونجيبا ، مستبقيين كنائسك المكرمة التي رفعتها لقدسك أعتابا ، ميمين مساجدك المعظمة التي شرعتها لكرمك أبوابا ، نسألك فيها بعيسى روح الحق ، وبمحمد نبي الصدق ، وبموسى الهارب من الرق ، كما نسألك بالشهر الأبروالصائمي ، وليلة الأغر والقائمي ، وبهذه الصلاة العامة من أقباط الوادي ومسلميه ، أن تعزنا بالعتق إلا من ولائك ، ولا تذلنا بالرق لغير آلائك ، ولا تحملنا على غير حكمك واستعتلك“ . (١)

### ٣- التوسل والاستشفاع

ويبدأ شوقي بتوسله ، أو على حد تعبيره دعاءه بحديث رائق عذب ، يتوجه به إلى الرسول

الكريم ، فيناديه ، ويذكر بعض خصائصه ، ويكبر بره بأتمته ، وحد به عليها ، وايثاره لها:

يامن له عز الشفاعة وحده	وهو المنزلة ماله شفعاء
عرش القيامة أنت تحت لوائه	والحوض أنت حياله السقاء
تروي وتسقى الصالحين ثوابهم	والصحاحات ذخائر وجزاء
المثل هذا ذقت في الدنيا الطوى	وانشق من خلق عليك رداء (٢)

ثم يتوسل إلى النبي بمدحه ، وعرفانه لفضله على الناس ، وحسن بلائه في النهوض بهم

وإسعاد حياتهم ، ملتصقا أن يكون جزاءه على ذلك شفاعة مقبولة عند الله : فيقول :

لي في مديحك يارسول الله عرائس	تيمّن فيك وشاقهنّ جلاء
هن الحسان فإن قبلت تكرما	فهو رهن شفاعة حسناء
أنت الذي نظم البرية دينه	ماذا يقول وينظم الشعراء
المصلحون أصابع جمعت يدا	هي أنت بل أنت يد البيضاء (٣)

ثم يذكر قومه ، فيأسى لحالهم ، ويشكو إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما أصابهم من

تفرق الكلمة وإجذاب النفوس ، ومتابعة الهوى ، والإخلاق إلى الدعة ، والاعراض عن الدين وعن

الاهتداء بهدية المبين ، ثم يدعولهم أن بتداركهم الله بلطفه ، ويههي لهم من أمرهم صلاحا ورشدا.

فيقول:

١- أحمد الحوفي ، الدكتور : الإسلام في شعر شوقي ، ص ٥٢-٥٣ .

٢- الشوقيات : ٤١/١ .

٣- نفس المرجع .

ماجئت بابك مادحاً بل داعياً  
أدعوك عن قومي الضعاف لأزمة  
أدرى رسول الله أن نفوسهم  
متفككون فما تضم نفوسهم  
رقدوا وغرهم نعيم باطل  
ظلموا شريعتك التي نلتا بها  
مشت الحضارة في سناها واهتدى  
في الدين والدنيا بها السعداء (١)

فشوقي بسبب مواهبه ، ورسوخ ملكة الشعر عنده ، يجعل من نفسه لساناً لقومه يصف  
للرسول الكريم داء قومه ، ويسأل لهم الدواء ووسعة النظرة .

ويقول :

صلى عليك الله ما صحب الدجى  
واستقبل الرضوان في غرفاتهم  
خير الوسائل : من يقع منهم على  
سبب إليك فحسبي الزهراء (٢)

هكذا جعل شوقي وسيلة شخصية النبي صلى الله عليه وسلم لشفاء أمراض قومه ولحل  
مشكلاتهم بلسان شعره بالايمن القوي .

#### ٤- العاطفة الصادقة

وكان شوقي مؤمناً بالله ، محباً لرسوله ، معتزلاً بالإسلام ، فخوراً بمجد المسلمين ، فكان  
الشعر الديني الذي قرضه شوقي نابعا من العاطفة ، وهذه العاطفة الصادقة نبيلة سامية ، لأنها موصولة  
بالخالق سبحانه وتعالى ، ومتصلة بالنبي ﷺ وبمجد الإسلام والمسلمين ، وكان يحب النبي  
ويحب شمائله ، ويفرح بانتصاره ويسخط على أعدائه ، ويفخر بالشريعة الإسلامية ، ويباهي بمجد  
المسلمين وعدلهم وعلمهم وحضارتهم . ويأسى لضعفهم بعد القوة . وبهذا تدور العاطفة حول  
الحب والإجلال والإعجاب والفرح والحزن والفخر ، وهي كلها متصلة بالدين ، ثم إن عاطفته

١- الشوقيات : ٤١/١ .

٢- نفس المرجع .



الصادقة السامية تتصف بالقوة .

يقول أحمد الحوفي :

”وكان شوقي صادقاً في حبه لرسول الله ، وصادقاً في إعجابه بالشريعة الإسلامية ، وكان عظيم الإعجاب ببطولة المسلمين وحضارتهم وعدلهم وشديد الأسى مما نزل بالمسلمين من ضعف وتخاذل ، وقد تناول في نهج البردة هذا كله ، كما تناوله في قصائد أخرى“ . (١)

ويقول في ذكرى المولد التي مطلعها :

بـه سحر يـتيمه كـلا جـفـنيـك يـعـلمه (٢)

وفي الثانية التي مطلعها :

سلوا قلبي غـداة سـلا وتابا لعلّ على الجمال له عتابا (٣)

ويقول الدكتور أحمد الحوفي عن عاطفة شوقي :

”وماذا يقول في قصائده الإسلامية الكثيرة التي ابتهل فيها إلى الله ، وأشاد بالإسلام ، وازدهي بالفتوح الإسلامية ، وناصر الخلافة العثمانية على أنها الجامعة الإسلامية ، وبكاها لما أفلت شمسها بكاء الحزين المفجوع ، فكان شعره الديني بصدقه في حبه للنبي ، واجلاله لشريعته ، وفخاره بالإسلام“ . (٤)

## ٥- حب النبي صلى الله عليه وسلم

لا ريب أن غاية ومحرك قصائده المدحية وهو حب ذات النبي صلى الله عليه وسلم وشوقي كان رجلاً مؤمناً ، وكان إيمانه صادقاً أدى إلى اعتراف رفعة النبي صلى الله عليه وسلم وعظمته بقلبه وعقله .

فيقول :

ظلموا شريعتك التي نلنا بها مالم ينل في رومة الفقهاء (٥)

إن سر العظمة وعزة المسلمين في اتباع شريعة المحمدية .

فكان مدائح شوقي كانت نتيجة لهذه العقيدة وقوة الإيمان برسول الله .

- 
- ١- أحمد الحوفي ، الدكتور : الإسلام في شعر شوقي ، ص ٢٦٣ .
  - ٢- الشوقيات : ١٣٨ .
  - ٣- الشوقيات : ٦٨/١ .
  - ٤- أحمد الحوفي ، الدكتور : الإسلام في شعر شوقي ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ . وانظر : فهمي ، ماهر حسن ، الدكتور : شوقي شعره الإسلامي ، ص ١٨٤ - ١٨٧ .
  - ٥- الشوقيات : ٤٣/١ .

ويقول محمد حسين هيكل في مقدمة الشوقيات :

”وبحسبك أن تقرأ الهمزية النبوية ونهج البردة ، وقصيدته الهمزية النبوية التي مطلعها:

ولد الهدى فالكائنات ضياء      وفم الزمان تبسم وثناء

لترى في غير ابهام أنه انما أملت هذه القصائد قوة غلبت طبع الشاعر ، هي قوة الإيمان“.(١)

## ٢- الحصول على المجد والكرامة

وقال شوقي عدة من الشعر لحصول التظاهر والتفاخر والعزة ، وهذه من المجرعات

لشاعريته، يقول:

مدحت المالكين فردت قدراً      فحين مدحتك اقتدت السحابا (٢)

ويبحث دكتور شوقي ضيف عن ميل شعر ديني لشوقي ويقول:

وفي كثير من جوانب شعر شوقي يتردد هذا اللحن الديني وما يتصل به من تمجيد الإسلام .

ويشعر الإنسان في غير موقف في عاطفته ولكن ينبغي أن لا نبالغ في حكمننا على شوقي وعقيدته فنُدفع

عن الاشادة بقوة إيمانه، وشدة اعتصامه بدينه وقد كان يُعني الجماعة الإسلامية بهذا ونحوه“.(٣)

وبهذه قوته الإيمانى نال شهرة والكرامة والعزة في المجتمع الإسلامى.

## ٣- اعترافه بالتقصير وسؤاله للشفاعة

عاش شوقي حياة لهو ولعب ولكنه كان يؤمن بالقيم الإسلامية ، فهكذا بدأ نزاع في قلبه بين

العمل والنظرية، فحاول شوقي إنهاء هذا النزاع ، فقال الشعر في مدح النبي واعترف تقصيره وتسيل

دموع الندامة عن عينيه .

فيقول:

يا ويلتاه نفسي راعها ودها      مسودة الصحف في مبيضة اللم (٤)

وبعد هذا الاعتراف ينظر إلى رحمة الله وشفاعة رسول الله بعيون الأمل ويؤمن بنصرتهما ،

ومع هذا التصور ينتهي نزاع قلبه .

١- محمد حسين هيكل: مقدمة الديوان (الشوقيات : ص ١٤، ١٣).

٢- الشوقيات: ٧٢/١.

٣- شوقي ضيف ، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث ، ص ١٣٩ .

٤- الشوقيات : ١٩٣/١.

ويقول :

أن جل ذنبي عن الغفران لي امل  
القى رجائي إذا عز المجير علي  
إذا خفضت جناح الذل أسأله  
عزا الشفاعة لم أسأل سوى امم (١)

## ٨- فضائل النبي ﷺ

ويذكر شوقي فضائل النبي وعظمته في مدائحه ، كمثل شفاعته الكبرى ، حوض كوثر

وغيره ، كما يقول :

وصاحب الحوض يوم الرسل سائلة  
ثم يقول موضع الآخر :  
يامن له عز الشفاعة وحده  
عرش القيامة أنت تحت لوائه

متى الورد؟ وجبريل الأمين ظمي (٢)  
وهو المنزّه ماله شفعاء  
والحوض أنت حياله السقاء (٣)

## ٩- الاستغفار لذنوبه

وإذا كان شوقي قد اترف ذنوبا ، فإنه لم يقترفها عناداً أو جحداً ، بل اقترفها نزقا وغفلة مشوبة بالتغافل ، ولا بد أن صاحب العقيدة القوية يرجع على نفسه باللوم ، تائبا إلى الله مما اجترح . وهكذا فعل شوقي فإنه أقبل على الله معترفا بما اقترف ، خائفا من العقاب ، راجيا الستر والغفران ، لأنه كان يستر ذنوبه عن الناس فلا يعلمها الا الله وهو غفار الذنوب .

فيقول :

قدمت بين يدي نفسا أذنبت  
وجعلت أستر عن سواك ذنوبها  
وأتييت بين الخوف والإقرار  
حتى عييت فمن لي بستر (٤)

ومن ذلك مناجاته نفسه ، وتوجيهها إلى التقوى ، وأسأه على ما اجترح من ذنوب في قوله :

يا نفس دنياك تخفي كل مبكية  
وإن بدالك منها حسن مبتسم

١- الشوقيات: ١٩٤/١.

٢- نفس المرجع: ١٩٥/١.

٣- نفس المرجع: ٤١/١.

٤- نفس المرجع: ٩٢/٤.

ففي بتقواك فإها كلما ضحكت كما يفض أذى الرقشاء بالشرم (١)

## ١٠- إتباع الأسوة الحسنة في القضاء والقدر

وقد كان شوقي مؤمناً بقضاء الله وقدره يجد في الإذعان له راحة للنفس من بلا بلها ، وينادي بأن المؤمن لا يتسخط ولا يتبرم بما نزل به ، فإن الإسلام يأمر بالعمل والجد والحيطة فإذا جاء القضاء، بغير ما يؤمل المسلم فعليه أن يرضى ويصبر . ولأنه لا يعلم حكمة الله فيه . لأن الجزع لا يرد مافات ، ولأن الله حكمة في قضائه لا ندر كها .

وقال شوقي:

سبحان من لا عزالاعزه ييقى ولم يك ملكه ليزولا

لا تستطيع النفس في ملكوته الارضا بقضائه وقبولا

الخير فيما اختاره لعباده لا يظلم الله العباد فتبلا

وإذا أراد الله أمراً لم تجد لقضائه رداً ولا تبديلاً (٢)

وهو دائماً راض بقضاء الله، داع إلى الرضا به ، مقر بعجز البشر عن رده وباستعصاء سره عليهم .

فيقول :

مات قول في قدر بعض سننه الأبد

وهو في الحياة على كل خطوة رصد

يعثر الأنام به إن سمعوا وإن قعدوا

ينزل الرجال على حكمه وإن جحدوا

القضاء نقضت لها عقدة بدت عقد

أتعبت معالجهها واستراح معتقد (٣)

وكان إيمان شوقي بقضاء الله وقدره عميق الأثر في نفسه ، وكان رضاه به واضحاً في آرائه ، لهذا جزع من إقدام بعض الشبان على الانتحار ، وصور جزعه في قصيدة طويلة هداهم فيها إلى الحق ، وأعاد إليهم الثقة والأمل ، وبيّن لهم ما في الانتحار من معصية الله ، وثكل للوالدين ، واستخاط للناس ،

١- الشوقيات: ٢٤٢/١ .

٢- الشوقيات: ٢١٧/١ .

٣- الشوقيات: ٦٤/٣ .

وخسارة للوطن .

ويقول :

قاتل النفس ، ولو كانت له أسخط الله ولم يرض البشر

ساحة العيش إلى الله الذي جعل الورد باذن والصدر (١)

لا تموت النفس إلا باسمه قام بالموت عليها وقهر (٢)

فهكذا يدرس الاعتقاد بالله وقضائه وقدره واتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي احتمل كل نوائب ولكنه لم يشك أبدا وعاش حياة معتدلة ، فينبغي لنا أن نتبع الأسوة الحسنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

## ١ - الدعوة إلى العلم

وكان شوقي يؤمن أن العلم هو السبيل إلى الرقي وضمان إلى التقدم . وبما أن دور العلم في تقدم قوم ما لا ينكر أي ذي عقل سليم ، يهيمه أهمية كبيرة . ويبين شخصية محمد صلى الله عليه وسلم كمعلم كامل ويقول إن الله أنعم عليه ووهبه منصب العلم والنبوة ، وبقوة العلم قد نور كل العالم وهلك ظلام الجهل . فيقول :

آمنت بالعلم الذي أنت نوره ومنك أياديه ومنك مناقبه

تؤمن من خوف به كل غالب على أمره في الأرض والداء غالبه

فأمنت بالله الذي عزّ شأنه وآمنت بالعلم الذي عزّ طالبه (٣)

ثم يقول في موضع الآخر :

سبحانك اللهم خير معلم علّمت بالقلم القرون الأولى

أخرجت هذا العقل من ظلماته وهديته النور المبين سبيلا

وطبعته بيد المعلم تارة صدئ الحديد ، وتارة مصقولا (٤)

١- المراد بالورد والصدر ، الحياة والموت .

٢- الشوقيات : ١٥٤/١ .

٣- الشوقيات : ٨٧/١ .

٤- طبع السيف : صاغه ، وصدئ الحديد: أي غير مجلو ولا مصقول .

- أرسلت بالتوراة موسى مرشداً وابن البتول فعلم الإنجيلا (١)  
 وفجرت ينبوع البيان محمداً فسقى الحديث، وناول التنزيلا (٢)  
 علمت يونانا ومصر، فزالتا عن كل شمس ما تريد أفولا (٣)

في ضوء هذه الآيات نجد أن شخصية النبي صلى الله عليه وسلم عند شوقي كالشمس في سماء العلم والحكمة . فيلزم على كل انسان أن يطلب العلم لإضاءة حياته .

## ١٢ - خير الأنبياء

وكان شخصية النبي عليه الصلاة والسلام خير الأنبياء قاطبة لأنه من خيرتهم نسلا منذ آدم وحواء، فلما كان صفوتهم وكان خاتمهم صار خيرهم، وفي رأي بعض المتصوفة المغرقين في شطحاتهم وخیالهم أن النبي بغية الله من العالم والغاية المقصودة منه، وقد تأثر شوقي بهذه الفكرة فرددها كما تأثر بها البوصيري وكررها، وقال إنه صاحب الشفاعة العظمى يوم القيامة.

يقول شوقي :

- محمد صفوة الباري ورحمته وبغية الله من خلق ومن نسّم  
 وصاحب الحوض يوم الرسل سائلة متى الورود وجبريل الأمين ظمى  
 فاق البدور وفاق الأنبياء فكم بالخلق والخلق من حسن ومن عظم (٤)

وقال شوقي:

- يا خير من جاء الوجود تحية من مرسلين إلى الهدى بك جاء وا  
 بيت النبيين الذي لا يلتقي إلا الحنائف فيه والحنفاء  
 خير الأبوة حازهم لك آدم دون الأنعام وأحرزت حواء  
 هم أدركوا عز النسب وانتهت فيها إليك العزة والقعاء  
 خلقت لبيتك وهو مخلوق لها إن العظام كفؤها العظام (٥)

١- البتول: لقب السيدة مريم عليها السلام .

٢- التنزيل: القرآن الكريم .

٣- الشوقيات: ١/١٨٠-١٨١ .

٤- الشوقيات: ١/٢٣٦ .

٥- الشوقيات: ١/٣٤ .

ويتصل بهذا التفضيل عراقة النبي وشرف أرومته ، فهو من الذروة من قريش ، وهي ذروة العرب وقد شرفت به فازدادت علاء .

ويقول :

قد أخطأ النجم مانالت أبوته من سئودد بازخ في مظهر سنم

نموا إليه فزادوا في الورى شرفا ورب أصل لفرع في الفخار نمي

حواه في سبحات الطهر قبلهم نوران قاما مقام الصلب والرحم (١)

فبين شوقي تصوير محاسن الممدوح بالقول الجميل تصويرا كاشفا مميزا، يجلى شخصيته وخصائص نفسه في وضوح لا يشوبه إبهام ولا لبس.

ويقول :

الله قسّم بين الناس رزقهم وأنت خيرت في الارزاق والقسم

إن قلت في الأمر لا أوقلت فيه نعم فحيرة الله لا منك أو نعم (٢)

ونجد في "نهج البردة" أن شوقي يستشفع إلى الرسول الأكرم قبل المدح ويسترحمه ، وبعد ذلك يبدأ المدح من الشعر الثامن والأربعين ويفضّله على سائر الأنبياء ويقر بأنه هو صاحب منزلة الكرامة والشرف في الدنيا والآخرة .

فيقول :

وصاحب الحوض يوم الرسل سائلة متى الورود؟ وجبريل الأمين ظمى

سناؤه وسناه الشمس طالعة فالجرم في فلك ، والضوء في علم (٣)

ويذكر شوقي عن الشمائل كذلك :

البدر دونك في حسن وفي شرف والبحر دونك في خير وفي كرم

١- الشوقيات : ٢٣٦/١ .

٢- نفس المرجع .

٣- الشوقيات : ١٩٥/١ .

شم الجبال إذا طاولتها انخفضت  
والليث دونك بأسا عند وثبته  
والأنجم الزهر ماوا استمتها تسم  
إذا مشيت إلى شاكي السلاح كمي (١)

وقال في موضع الآخر:

يا أفصح الناطقين المناد قاطبة  
حديثك الشهد عند الذائق الفهم

حليت من عطل جيد البيان به  
في كل منتشر في حسن منتظم (٢)

وهكذا نجد عدة الأشعار المدحية، التي تشير حبه العميق لخير الأنام، فعواطف الحب كانت تموج في قلبه، فقد ذكر أجمل ذكر فضائله ومحامده وجعله وسيلة لبيان عظمته وكماله.

## الموضوعات التي تناولها إقبال في المدح النبوي

كان إقبال محب الرسول منذ طفولته وقد قال عدة أبيات في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، ما وجدنا قصائده مختص بمدح النبي كقصائد الشوقي، ولكن مع هذا ما وجدنا قصائده تخلو من حب النبي وشعور الإسلام، وكان قلب الشاعر يخفق بذكر النبي. وحب النبي كان يجري كالدم في روحه وجسده. ولهذا كان كل شعره مملوء بحب النبي وبمدح النبي، فقد تناول الموضوعات التالية في قصائده المدحية.

ولشعر إقبال ثلاث نواح وهي:

١- الأولى، هي الذاتية / معرفة الذات.

٢- والثانية: هي الشعبية

٣- والثالثة: هي وصف النبي

في السطور القادمة نستعرض هذه النواحي بالتفصيل:

١- الشوقيات: ٢٠٠/١.

٢- الشوقيات: ١٩٧/١.



## ۱۔ الناحية الأولى: خودی (معرفة الذات)

وتعني تأثراته وكيفياته مثل:

شوق تیرا گر نہ ہو میری نماز کا امام میرا قیام بھی حجاب میرا سجود بھی حجاب (۱)

إن لم تكن نُصب عيني في الصلاة فلا قامت على الزور في محرابها قدمي (۲)

وكان إقبال يرى النظرة الذاتية مهماً جداً لحياة الإنسان لأنها هي قوة الإيمان. وهي سبب

معرفة النفس التي هي درج السلم للمعرفة الإلهية، ولما يفقد الإنسان هذه النعمة فكأنه ميت لديه.

يقول إقبال:

خودی ہے زندہ تو ہے موت اک مقام حیات کہ عشق موت سے کرتا ہے امتحان ثبات

خودی ہے زندہ تو دریا ہے بے کرا نہ تیرا تیرے فراق میں مضطر ہے موج نیل و فرات

خودی ہے مردہ تو مانند کاہ پیش نسیم خودی ہے زندہ تو سلطانِ جملہ موجودات (۳)

(لو أن معرفة الذات حية، فالموت مقام في الحياة لأن العشق يختبر ثباتها الموت

لو تكن الذات حية، فبحرك لا شاطئ له وموج النيل والفرات يتوق لأن يندمج معك

لو تكن الذات ميتة فهي كأعواد القش أمام النسيم لو تكن الذات حية فهي سلطان كل الموجودات (۴)

ثم يلقي إقبال ضوءاً مزيداً على أهمية الذاتية أو الخودي، ويؤكد على نيل الصفة الذاتية في شعره.

ثم يقول:

خودی را از وجود حق وجودے خودی را از نمود حق نمودے

نمیدانم کہ این تا بنده گوهر کجا بودے اگر دریا نبودے (۵)

وجود اللہ اکسبها الوجودا فكانت مظهرها جاز الحدودا

أزها جوهرأ من جوف بحر سواه بمثله من لن وجودا (۶)

۱- کلیات إقبال (الاردية) بال جبریل: ص ۷۲۶.

۲- الترجمة العربية: زهير ظاظا، الأستاذ: جناح جبریل، ص ۵۰۲.

۳- کلیات إقبال (الاردية) ارمغان حجاز، ص ۱۱۰۴.

۴- الترجمة العربية: المصري، د. حسين مجيب: هدية الحجاز، ص ۵۲۶.

۵- کلیات إقبال، فارسی: ارمغان حجاز، ص ۲۳۴.

۶- الترجمة العربية: المصري، د. حسين مجيب: هدية الحجاز، ص ۴۸۹.

## فلسفة الذات أو فلسفة الخودي

يؤكد إقبال على الإهتمام بالذات في شعره، وكان إقبال بنفسه مستغرقاً في الاعتداد بذاته. وعنده بدون معرفة الذات لا يمكن لنا أن نعرف الله سبحانه وتعالى ونمدح رسولنا صلى الله عليه وسلم، ويرى إقبال أن السبب الكبير لانحطاط المسلمين وضعفهم هو نسيان وإهمال أو عدم معرفة ذاتهم و يظن إقبال منكر الذات أكبر من منكر التوحيد كقراً.

فيقول:

منكر حق نزد ملا كافر است      منكر خود نزد من كافر تراست (۱)  
منكر الله لدى شيخ كفر      منكر الذات لدي منه شر (۲)

أي أن منكر الذات أشد كفراً وأكثر شراً من منكر الله. وعند إقبال سبب كل نوائب الكون هو فقدان الخودي. أي عدم الاعتداد بالذات والنفس.

فيقول:

خودی کی موت سے مغرب کا اندروں بے نور      خودی کی موت سے مشرق ہے بتلائے جذام  
خودی کی موت سے روح عرب ہے بتب و تاب      بدن عراق و عجم کا ہے بے عروق و نظام  
خودی کی موت سے ہندی شکستہ بال و پر      قفس ہوا ہے حلال اور آشیانہ حرام (۳)  
من ممات الذات في الغرب ظلام      وبموت الذات في الشرق جذام  
من ممات الذات في العرب خمود      ولدى العجم عروق وعظام  
من ممات الذات في الهند جناح      هيض في الأقفاص والعش حرام (۴)

فیؤ کد إقبال علی تقوية الذات و علی تربية الذات و يذكر شروطاً لذلك، ومن المفيد أن نذكر

هذه الشروط الثلاثة. وهي الإطاعة، وضبط النفس، والنيابة الإلهية.

- ۱- کلیات إقبال فارسی: جاوید نامہ، ص ۳۸۰.
- وانظر: سليم اختر، الدكتور: إقبالیات کے نقوش (الأردنية). الطبعة الأولى، لاهور، باكستان: ابراهيم سنز برنترز، ۱۹۷۷م. ص ۲۴۷-۲۴۸.
- ۲- الترجمة العربية: المصري، د. حسين مجيب: رسالة الخلود، ص ۳۲۹.
- ۳- کلیات إقبال (الأردنية)، ضرب كلیم، ص ۹۴۳.
- ۴- الترجمة العربية: عزام، عبدالوهاب، الدكتور: ضرب كلیم، ص ۶۸.

## ١- الشرط الأول

هو الإطاعة والانقياد لأوامر الله سبحانه ، والعمل على تنفيذ ما أمر به ، والانتهاز عما نهى عنه ، لأنه هو الخالق الأعظم ، الذي يدري كنه تكويننا وسر خلقنا ، ودقائق طبيعتنا وخفايا سلوكنا ومشاعرنا وعواطفنا ، وشتان بين قدرة المخلوق الضعيف الواهي وعظمة الخالق القوي الجبار .  
يقول إقبال :

”ولا شك أن طاعة الإنسان لربه إذا كانت عن عقيدة ثابتة وإيمان راسخ ، فهي تملأ القلب سعادة ونورا ، فلو تصورنا مجتمعنا شأن كل افراده طاعة الله ، والعمل في حدود شرائعه وأحكامه ، فسنجد أن مثل هذا المجتمع لن يحدث فيه تصادم المنافع الخاصة وتصارع المكاسب الفردية ، بل سيكون مجتمعا متفاهما متوائما يعيش في ظل المودة والسلام.“ (١)  
ويقول إقبال في هذا الصدد :

خدمت و محنت شعار اشتراست	صبر و استقلال كار اشتراست
گام او در راه کم غوغاستے	کاروان را زورق صحراستے
نقش پایش قسمت هر بیشه	کم خور و کم خواب و محنت پیشه
مست زیر بار محمل می رود	پای کویان سوء منزل می رود
سر خود از کیفیت رفتار خویش	در سفر صابر تر از اسوار خویش (٢)
ألفه الكدّ شعار الجمل	شيمة الصبر وقار الجمل
صامت الأخفاف يمشي ماضيا	ذوق قافي البيديسري هاديا
نقشت وجه الصحارى أرجله	شارد النوم قليلا أكله
ثملا يخال المحمل	راقصا يقدم شطر المنزل
في المدى من راكبيه أصبر	هائم بالسير عجا يخطر (٣)

وعرض إقبال ”اطاعة“ بمثل الجمل ، والحمل مجسم صبر واستقامة وخدمة وجهد ، يسافر في قفرو ولا يبالي بما كله وراحته ، يأكل قليلا ويجهد كثيرا ، بل يقضي عدة أيام بدون أكل طعامه

١- الكيلاني ، نجيب ، الدكتور : إقبال الشاعر الناثر ، ص ٧٠ .

٢- كليات إقبال (فارسي) اسرار خودي ، ص ١٠٦ .

٣- الترجمة العربية : عزام عبدالوهاب : الدكتور : أسرار أثبات الذات ، ص ١٥٣ .

ويطيع سيده في أحوال الخير والشر، ويظن إقبال أن في المرحلة الابتدائية للتربية الذاتية ينبغي للإنسان أن يزيّن نفسه بهذه الأوصاف .

ثم ينصح إقبال الأمة الإسلامية باختيار صفة إطاعة الله ورسوله . ويحث على هذا قائلاً:

در اطاعت كوش اے غفلت شعار	می شود از جبر پیدا اختیار
ناکس از فرمان پذیری کس شود	آتش از باشد ز طغیان خس شود
بازاے آزاد دستور قدیم	زینت پاکن همان زنجیر سیم
شکوه سنج سختی آئین مشو	از حدود مصطفی بیرون مرو (١)
اجهدن في طاعة يا ذا الخسار	فمن الجیر سیدو الاختیار
بامثال الأمر یعلو من رسب	وهوى الطّاغى ولو كان اللهب
ارجعن يا حُرّ دستور قدیم	زینن رجلك بالقید الوسیم
شـلـدة في شرعنا لا تشكون	وحدود المصطفی لا تعدون (٢)

## ٢- الشرط الثاني

وهو ضبط النفس وهو وثيق الصلة بالشرط الأول. وبغير هذا الشرط، ضبط النفس، يحدث التنافر والتضارب بين صفات الذات ومقوماتها فتكون النتيجة سئية . وفكر إقبال في معنى الحديث النبوي الذي خاطب فيه الرسول أصحابه حينما عادوا من الحرب.

”رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، قالوا: وما الجهاد الأكبر يا رسول الله! قال: جهاد بالنفس“ (٣).

ولضبط النفس يجب علينا أن نسيطر على الشهوات وهوى النفس، ولهذا الأمر يلزمنا أن.

١- نعتصم بسيف لا اله الا الله بالقوة .

٢- نقوي قلوبنا بنور الصلاة .

٣- ونخلص من تنعم الجسد بنصر الصوم .

١- كليات إقبال (فارسي): اسرار خودي، ص ١٠٧.

٢- الترجمة العربية: عزام، عبد الوهاب، الدكتور: أسرار أثبات الذات، ص ١٥٣-١٥٤.

٣- أخرجه الترمذي في جامعه: كتاب فتن: باب ١٢، وأخرجه النسائي في سننه: كتاب الزكاة، باب ٤٩، وأخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الجهاد، باب فتن ٢٠.

٤- ونقطع جذر تصور الوطنية بنصر الحج وندرس درس الهجرة .

٥- ونقطع حب الثروة بالزكوة .

وبهذه العناصر نجد قوة ضبط النفس “ (١) .

انظر هذه الحقيقة في شعر إقبال :

لا اله باشد صدف گوهر نماز	قلب مسلم راحج اصغر نماز
در کف مسلم مثال خنجر است	قاتل فحشاو بغی ومنکر است
روزه برجوع وعطش شبخون زند	خیر تن پروری را بشکند
مومنان را فطرت افروز است حج	هجرت آموز وطن سوز است حج
حب دولت را فنا سازد زکوة	هم مساوات آشنا سازد زکوة (٢)
درة التوحيد ، فاحفظها الصلاة	حجك الأصغر ، فاعرفها الصلاة
في يد المسلم هذا الخنجر	يُقتل الفحش به والمنكر
يفتك الصوم بجوع وصدى	ضابطا بالقسط هذا الجسد
وينير الحج قلب المؤمن	هجرة الأهل به والوطن
بالزكاة العابد المال اذكر	علّمت حبّ المساواة البشر (٣)

### ٣- الشرط الثالث

هو نيابة الله في الأرض ، ونيابة الله لا تعني الحلول محله سبحانه لأن ذلك يستلزم خلو المحل وانعدام شاغله أولاً ، كما يقول الفلاسفة ، وإنما يعني نيابة الله القوة التنفيذية التي تتولى إجراء حدود الله وشريعته . أحكام القرآن ، وهذه القوة التنفيذية تتحلى بالعدل والرحمة وبعد النظر والإيمان العميق وتتجلى في الذات الكاملة القوية ، ويصور إقبال الذات في هذه المرحلة تصويراً دقيقاً فيقول:

”إن الذات أنذاك ستكون خالدة باقية وليست كلمات النجوم الفانية ، وإن محضها وغيبتها

١- زيب النساء سرويا : كلام إقبال مین انبياء كرام كا تذكره ، حضرت محمد إقبال كى نظر مین (الاردية) ، (تذكرة

الأنبياء الكرام في كلام النبي ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في عيون إقبال ) ، ص ٣٢٩ .

٢- کلیات إقبال (فارسی) اسرار خودی ، ص ١١٢ .

٣- الترجمة العربية ، عزام عبدالوهاب ، الدكتور : أسرار أثبات الذات ، ص ١٥٥ .

كلاهما خير بركة ، وأنها برئية من العبودية والرق لغير الله ، فتصبح الذات سيده الإنسان والجن ، ولا غرابة في ذلك ، فهي مكان النيابة لله عزوجل “ (١).

فيقول:

رأيت الكواكب لمحات نور	وذاتك بالعشق وهن خلود
تعالى ضميرك عن كل لون	فعمت من اللون كل القيود
وغيبة (ذاتك) ذكر وفكر	ومحضرها شعرها والنشيد
إذا أضمت الروح آلام رق	ففنك عبد رهين سجود
وإن عرفت قدرها كنت حقا	على الإنسان والجن رب الجنود (٢)

”فهي مرحلة يكون الإنسان فيها سيطرا على العالم، مسخرا قوى الكون، نافخا الحياة في كل شيء ، مجدداً شباب كل هرم ، يهب الحياة بأعجاز العمل ، ويجدد مقاييس الأعمال ، ويرد العالم إلى الأحاء والإسلام“ (٣).

ويبين إقبال ”الذاتية“ في مثنوي مسافر بالتفصيل .

ويقول:

هل تعلم سر دين المصطفى؟	هو أن كشف أسرار النفس هو الملك ذاته
ما الدين؟ اسرارك	فالحياة بدون معرفة النفس موت
المسلم الذي يعرف نفسه	هو الذي يجتبيها من وسط الدنيا
أنه مطلع على ضمير الكون	وهو سيف ، ”لاموجود إلا الله“
صيححاته في المكان والامكان	وتصل الأفلاك السبعة في فضائه
وما دام قلبه سرا من أسرار الله تعالى	فمن الظلم أن يجهل نفسه
الرجل الحي من فرغ داخله عما سوى الله	لأن له سراجا داخل وجوده من الذاتية
هو ثابت القدم في صراع الخير والشر	لأن ذكره سيف ، وفكره درع
ميلاد صبحه من صوته الذي ينبعث من روحه	وليس من نور الشمس المشرق

١- الكيلاني ، نجيب ، الدكتور : إقبال الشاعر الثائر ، ص ٧٢ .

٢- نفس المرجع .

٣- عزام ، عبد الوهاب ، الدكتور : محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره ، ص ٨٤ .

فطرته بلا جهات في عالم الجهات وهو الحرم، ويطوف حول الكائنات  
الشمس ذرة من غبار طريقه والكتاب شاهد على عروجه  
تفكر قليلا في القرآن والسنة وارجع البصر كرتين إلى نفسك أيها الجاهل  
وتعرف إلى مقام الذوق والشوق وصد القمر والشمس ولو كنت ذرة  
إعرف حقيقة هذا العالم الموجود وارفع من صوتك في عالمك  
تقوم الحياة على أساس الأمل فاعرف نفسك من آمالك  
لأن الأمل يحرك السمع والبصر والفؤاد ويجعل حفنة التراب روضة شقائق  
لأن الأمل يجعل الطين إنسانا ويجعل منا صحرما للأسرار  
وعندما تتطاير ذرة من ترابنا يهب الـذرة عرض الفلك  
لقد بنى إبراهيم الكعبة وجعل التراب ذهباً بنظرة منه  
فعمّر "بالذاتية" بذلك واجعل ترابك ذهباً" (١)

فيؤكد إقبال على معرفة النفس وإذا يعرف الإنسان قوة النفس فيغلب الكون ،  
وقد عرف إقبال نفسه بعد دراسة عميقة السنائي (٢) ، و عطار (٣) ، والرومي (٤) وابن  
عربي (٥) من الصوفية ، وهيكل (٦) ، وشو بنهار (٧) و نيتشه (٨) من حكماء الغرب ،

- ١- محمد إقبال : من مثنويات "المسافر" ، الترجمة العربية : عبدالفتاح فرح ، يوسف ومنصور ، محمد علاؤ الدين .  
الطبعة الأولى . القاهرة : المجلس الاعلى للثقافية . ٢٠٠٢ م . ص ٨١ - ٨٥ .
- ٢- طبيب السنائي ، كان اسمه محدود وكنيته أبو المحمد ، ولد ٤٦٤ هـ / ١٠٧١ م وتوفي ٥٤٥ هـ / ١١٥٠ م  
في غزنة .
- ٣- هو ، عطار ، فريد الدين محمد بن إبراهيم ، الشاعر الصوفي باللغة الفارسية . لم نعرف تاريخ مولده ووفاته حتماً  
ولكن أغلب الظن ، انه ولد سنة ٥١٣ هـ / ١١١٩ م وقتل علي أيدي مغول سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٣٠ م في نيشابور .
- ٤- هو أبو الحسن علي بن عباس بن جريح ، المعروف بابن الرومي ، وكان عهده ٢٢١ هـ - ٢٨٣ هـ / ٨٣٦ م - ٨٩٦ م .
- ٥- هو عبدالوهاب بن العربي بن يوسف الفأسي ، أبو الفضل ، مولده ووفاته بفاس وكان عهده ١٠٠٩ هـ -  
١٠٧٩ هـ / ١٦٠٠ م - ١٦٦٨ م .
- ٦- هو جارج وييلم فريدريك هيكل ، هو فلسفي من المانيا وكان عهده ١٧٧٠ م - ١٨٣١ م .
- ٧- هو آرتهر شو بنهار ، فلسفي ألماني ، وكان عهده ١٧٨٨ م - ١٨٦٠ م .
- ٨- هو فريدريك نيتشه ، فلسفي ألماني ، وكان عهده ١٨٤٤ م - ١٩٠٠ م .

وخاقاني (١) وبيدل (٢) من الشعراء الفارسية (٣).

ولكنه تأثر كثيرا بابن العربي من الصوفية، ونبش من الفلاسفة، وبيدل من الشعراء، ثم بعد دراسة القرآن الحكيم دراسة عميقة، عرف إقبال نفسه وصار إقبال "الإقبال" ونال مقام السمو والعلو في مجتمعه، ولهذا يؤكد على حصول معرفة النفس.

## معني الفقر عند إقبال

عاش سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حياة الفقر ولكن ما كان ذلك الفقر حياة الضعف والعسرة، بل حياة العزة والحشمة بقوة الذات ومعرفة النفس، ولهذا يبين إقبال في كلامه اصطلاح "الفقر" فيقول:

فقر قرآن اصل شاهنشاهي است	جز بقرآن ضخمي روباھي است
فكر را كامل نديدم جز بذكر (٤)	فقر قرآن؟ اختلاط ذكر وفكر
دون قرآن وملك ما استند	يصبح الثعلب ذياك الأسد
واهب الفكر الكمال كان ذكر (٥)	فقره ملك و ذكر ثم فكر
والفقر عنده هو اصطلاح مترادف للتوحيد، يقول إقبال:	
خودی ہے تیغ فسان، لاله الا الله (٦)	خودی کا سر نہاں لا الہ الا اللہ
سہ لاله الا الله	مسترفی الذات معنی بعید
شہ لاله الا الله (٧)	سيف الذات قاطع غير ناب

- ١- هو فضل اللين بليل خقاني شيرواني، لقبه كان "حسان لعجم" ولد في قرية شيروان عند آذربايجان سنة ١١٢٦م وتوفي سنة ١١٩٨م.
- ديوانه يشتمل على قصائد والمقطعات والرثاء والتصوف وغير كذلك.
- ٢- هو عبدالقادر، اشتهر باسم بيدل، ولد سنة ١٥٥٤هـ/ ١٦٤٤م في پشه (احدى المدن من الهند) في الأسرة الدينية، وتوفي سنة ١١٣٣هـ/ ١٧٢٠م في دهلي (الهند)
- ٣- وقار معين، سيد إقبال شناسي اور نيا زونگار (الأردية). لاهور، باكستان: ظفر ستر برترز شمع بلازه، ١٩٨٨م. ص ١٧-١٨.
- ٤- كلييات إقبال، فارسي، جاويد نامه، ص ١٥٠.
- وانظر أيضاً: سمير، عبدالحميد إبراهيم: ديوان الأسرار والرموز، ص ٣٦.
- ٥- الترجمة العربية، المصري د. حسين مجيب: رسالة الخلود، ص ٢١٤.
- ٦- كلييات إقبال (الأردية)، ضرب كليم، ص ٨٤١.
- وانظر: عبدالحميد إبراهيم، سمير: ديوان الأسرار والرموز، ص ٣٧.
- ٧- الترجمة العربية: عزام، عبدالوهاب، الدكتور: ضرب كليم، ص ٢٣.



ثم يقول :

چڑھتی ہے جب فکر کی شان پہ تیغ خودی      اک سپاہی کی ضرب کرتی ہے کار سپاہ (۱)  
نظرة النفسى للقلندر سيف      طبعته الذات التي يقتضيها  
واحد من جنودها الحق يغني      عن جيوش تخاف وهم الفناء (۲)  
بعد قراءة هذين البيتين والربط بينهما يتأكد لنا أن التوحيد والفقر مصطلح واحد .

يقول إقبال :

لا اله سرمایہ اسرار ما      رشتہ اش شیرازہ افکار ما (۳)  
لا اله السرفي أسرارنا      "لا اله" السمط من أفكارنا (۴)

الفقر لدى إقبال علم معرفة الأسرار والقوة ، وصاحب الفقر لا يخاف من الطاغوت وأصطدام الكفر، وجميع أعماله تدور حول لا إله ، وبسيف إلا الله يفتح خيبر ويعلن كلمة الحق عند فرعون ونمرود، يشرح إقبال "الفقر" ومقامه هكذا :

فقر ذوق وشوق وتسليم ورضا است      ما امينيم اين متاع مصطفى است  
فقر بر کروبيان شبخون زند      بر نواميس جهان شبخون زند  
بر مقام ديگر اندازد ترا      از زجاج الشاس می سازد ترا (۵)  
حاله ذوق وشوق ورضا      ثم تسليم لما الله قضى  
ياله كنزا به العيش صفا      فهو ميراث النبي المصطفى  
ليله المظلم للمجد سراج      يصنع الجواهر من أدنى زجاج  
يقهر المؤمن ناموس (۶) الفلك      فهو إنسان وفي النور ملك  
فلقد تنقل دنياك إلى      حالة أسمى وشأن أفضل (۷)

- ۱- کلیات اقبال ، (الاردية) ، بال جبریل ، ص ۶۶۹ .
- ۲- الترجمة العربية : زهير ظاظا ، الأستاذ ، جناح جبریل ، ص ۴۶۴ .
- ۳- کلیات اقبال (فارسی) رموز بے خودی، ص ۲۱۰ . وانظر: سمير ، عبدالحميد إبراهيم : ديوان الأسرار والرموز ، ص ۳۸ .
- ۴- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور: رموز نفی الذات ، ص ۱۹۵ .
- ۵- کلیات اقبال (فارسی) پس چه باید کرد اقوام شرق ، ص ۲۶ .
- ۶- ناموس : القانون أو الشريعة .
- ۷- الترجمة العربية : المصري ، صاوي شعلان : الآن - ماذا نضع يا امم الشرق ، ص ۳۵۸ .

ويتولد الفقر بقوة العشق الإلهي وعشق النبي، والمؤمن يفنى نفسه في ذات الإله كما يفنى قطرة الماء نفسه في البحر، ثم يفرق إقبال بين فقر المؤمن وفقر الكافر قائلاً:

فقر مومن چيست؟ تسخير جهات	بنده از تائير او مولا صفات
فقر كافر خلوت دشت و دراست	فقر مومن لرزه بحر و براست (١)
فقرنا معناه تسخير الجهات	واحتساب لجميع الكائنات
يرفع المؤمن فوق الشبهات	مظهراً أعلى لقدسي الصفات
فقر أهل الكفر هدم للفطر	ومجافاة لعمران البشر (٢)

### الناحية الثانية: الشعبية

ويذكر إقبال في هذا القسم أحوال الأمة بصدد مداولة الأيام ومنها: الرقي والذل إلى صفات القوة والنهضة حسب ازدياد حبهم للرسول صلى الله عليه وسلم .  
وكان إقبال رقيق القلب وذكي الفهم، والشاب المسلم وشعبيته كانت مهمة جداً عنده والجزء الخاص لشعره.  
وننظر في السطور القادمة هذه الموضوعات.

### إقبال ووحدة الأمة الإسلامية

وكان إقبال يحب الأمة الإسلامية، ويريد أن يصير المسلمون أمة واحدة. فالمسلم عند إقبال كالصقر درويش الطيور، قد يتخذ عشاً يأوى إليه ولكنه يطير في الأعالي وينتقل بين القمم ويتملك الأفاق الواسعة دون أن تملكه، فهو عبدالله وحده .  
ويقول حازم محمد المحفوظ:

”ولدى إقبال لا تناقض بين الوطنية الصادقة والأخوة الإسلامية الشاملة، فالإنسان بفطرته ينزع إلى حب مسقط رأسه حبا جماً، ولقد كان إقبال بنفسه محب الوطن صادقاً، فهو أحد من الرجال الذين بنوا وطنهم وكتبوا تاريخهم، ورأى إقبال رؤية الباكستان بعينه، التي رسم خريطتها ونشر فكرتها وقاد حركتها بين القائدين في إخلاص وإقدار، ولكن ذلك لم يشغله عن هموم أمته الكبيرة وجودها العالمي ورسالته الإنسانية، تلك هي النقطة الأولى .

١- كليات إقبال (فارسي): پس چه بايد كرد اے اقوام شرق، ص ٤٠ .

٢- الترجمة العربية: المصري، صاوي شعلان: الآن.....ماذا نصنع يا أمم الشرق، ص ٣٦٠ .

والثانية أن الأساس الذي تقوم عليه الوحدة الإسلامية عند إقبال هو الشريعة الإسلامية التي تخاطب الإنسان من حيث هو الإنسان ، لا تفرقه الأصول العرقية العنصرية ولا المشاغل الوطنية أو القومية ولا الفوارق اللسانية أو الثقافية“ .(١)

كما قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (٢)

وكما قال نبي الإسلام:

”المسلم أخوا المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة“ .(٣)

ومن ثم فإن هذه الشريعة هي النظام الوحيد القادر على تحقيق وحدة البشرية وصياغة الشخصية السوية وبناء الحضارة الحقيقية .

ويقول إقبال :

بك حقا كل بدء ختما	ختم الله إليك الأمم
وجريح القلب رفاء القلوب	كم تقي فيك كالرسول منيب
وعن الكعبة أبعدت السرى	لك طرف بالنصارى سحرا
من رنا الكون إلى طلعتها	يامن الأفلاك من هبوتها
أين تبغين مراد النظر	سرت كالموج دعوب السفر
وخذي عشك بين الشرر	كفراش في لظى الحب اصبري
جددي العهد بحب المصطفى (٤)	أحكمي العشق بروح قد صفا

١- المحفوظ، حازم محمد أحمد إبراهيم: الحكيم الأمة وشاعر الإسلام محمد إقبال، ص ٦٢ .

٢- سورة الحجرات ، الآية : ١٣ .

٣- صحيح البخاري ، باب المظالم ، رقم الحديث : ٣ ، وباب الإكراه ، رقم الحديث : ٧ .

- صحيح مسلم : باب البر ، رقم الحديث : ٣٢ ، ٥٨ ، ٥٩ .

- صحيح أبو داؤد : باب الإيمان ، رقم الحديث : ٧ ، وباب الإمارة : رقم الحديث : ٣٦ ، وباب الأدب : رقم الحديث : ٣٨ .

- صحيح الترمذي : باب الجلود ، رقم الحديث : ٣ ، باب البر ، رقم الحديث : ١٨ .

- صحيح ابن ماجه : باب التجارات ، رقم الحديث : ٤٥ ، باب الكفارات ، رقم الحديث : ١٤ .

٤- الترجمة العربية : عزام ، عبد الوهاب ، الدكتور : ديوان الأسرار والرموز ، ص ٧٧ ، ٧٨ .

وفي قصيدة "برلمان إبليس" في آخر ديوانه "ارمغان حجاز" أي هدية الحجاز ، يتنبأ بفشل كل الأنظمة الأخرى ويعبر عن تخوف رئيس الشياطين على نظامه الإبليسي الشرير من الشريعة الإسلامية ومن أمة الإسلام.

"إن كنت خائفاً (على لسان إبليس) فإنني أخاف أنه لا تزال شرارة الحياة والطموح كامنة في رمادها (أي في رماد هذه الأمة المسلمة) ولا يزال منها رجال تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، وتسيل دموعهم على خدودهم سحراً ، أنا لا أجهل أن هذه الأمة قد اتخذت القرآن مهجوراً ، وأنها فنت بالمال وشغفت بجمعه كغيرها من الأمم ولكنني أخاف أن قوارع العصر وهزاته ستوقد مضجعا ، وتوقظها وتوجهها إلى شريعة محمد صلى الله عليه وسلم". (١)

والثالثة : إن شرارة الحياة ، كما سماها "إقبال" التي تحفظ على هذه الأمة ووجودها وتشعل بمحبة محمد صلى الله عليه وسلم ، قد آمن "إقبال" طول حياته أن سر الأسرار في الحياة الإسلامية على الصعيد الفردي والصعيد الجماعي ، هو محبة المصطفى وكان كثيرا ما يردد ، "أن أنوار أوربا ومدينتها لم تخلب لبي أو تعشى بصري لأنني اكتحلت باسم المدينة". (٢)

لقد عاش إقبال طول حياته متغردا بترنمة محبة المصطفى والشوق إلى مدينته ، لقد طفح الكأس به في آخر حياته ، حتى إنه كلما ذكرت "المدينة" فاضت عيناه وانهمرتا بالدموع ، وكما تخيل معراج النبي في جاويد نامه أو رسالة الخلود.

"فيانه رحل إلى الحجاز ويتخيل نفسه مسافراً بين مكة والمدينة ، شرفهما الله ، تهوى به العيس ويسير به الركب على رمال كل ذرة من ذراتها حب يخفق "بمجد" فيطلب من السائق أن يمشي رويدا ، ويرفق بهذه القلوب الخفاقة ، ثم يتحدث إقبال بين يدي "الرسول" عن نفسه ، وعن بلاده ، وعن أمته ، ويطلب منه صلى الله عليه وسلم الكرم والشفاعة للأمة الإسلامية" (٣)

ولكن ما أمكن لإقبال أن ينظر مدينة الرسول بعيون الحقيقة ، وكل أمنياته لزيارة مدينة النبي

١- المحفوظ ، حازم محمد أحمد إبراهيم : الحكيم الأمة وشاعر الإسلام علامة محمد إقبال ، ص ٦٤ ، ٦٥ .

٢- المحفوظ ، حازم محمد أحمد عبد الرحيم : الحكيم الأمة وشاعر الإسلام علامة محمد إقبال ، ص ٦٦ .

٣- نفس المرجع .

تسيل مع دموعه (١).

ولكن كان قلب إقبال مسكناً لمحمد صلى الله عليه وسلم وحبه كان متاع حياته ، فينادى المسلم في قصيدته إلى الأمة في "ارمغان حجاز".

"وثق فؤادك بالهدى واسلك سبيل "المصطفى" اقطع منازل سفرك بخطر جديد وكبر في هذا الفضاء الأزرق ، لو أردت مقامك في هذا العالم ، فوثق قلبك بالحق واسلك سبيل المصطفى". (٢).

وجوهر الوحدة الإسلامية الرابعة والأخيرة في نظر "إقبال" هو التوحيد ، الثقافي والروحي في الأساس ، فيؤكد إقبال على هذا ويقر حفظ التوحيد ونشره مقصد الأمة الإسلامية .  
فيقول:

كلمة التوحيد منك المقصد	أنت للتكبير فيها توجد
دينه فيه الحياة الخالدة	لا تراها عن هده حائدة
أيها التالي الكتاب المنزل	تسمون ، لا تقعدن عن عمل
هو أحياسنة من أزرا	محدثا فيها إلا هال للورى
أيها الشارب من كأس الخليل	يا حمى النفس من طاس الخليل
سيف "لا موجود إلا هو" خذ	وبه الأصنام هذى فاجذذ
في ظلام الدهر أشرق للملا	وانشرن حقا عليك اكتملا
نحجلتا لك في اليوم العسير	حينما يسألك الهادي البشير
قد أخذت الحق عني مادهاك	لم تبلغه بحق لسواك (٣)

- ١- جاويد ، خادم علي: علامة إقبال باوجود خواهش كه حج نه كرسكه (ماحج إقبال على الرغم أمنيته) روزنامه (الجريدة اليومية) امروز ٩ يونيو ١٩٩١ م.
- وانظر: الندوي ، مولانا أبو الحسن ، روائع إقبال ، ص ١٧-٢١.
- وانظر: محمد ظريف ايم اے ، قاضي : إقبال قرآن كى روشنى مين (إقبال في ضوء القرآن)، ج ٢/١٣-١٤.
- ٢- المحفوظ ، حازم محمد أحمد عبدالرحيم : الحكيم الأمة وشاعر الإسلام علامة محمد إقبال ، ص ٦٨.
- ٣- سمير ، عبد الحميد ابراهيم: ديوان الأسرار والرموز، ص ١٢٨-١٢٩.

## الوحدة المتكاملة

أكد إقبال على أهمية "الوحدة الكاملة" وضرورتها في كلامه ويريد ها في أكمل صورة،

نجد صبغة هذه الوحدة في كلامه بصورة أحسن . يقول :

شوق میری لے میں ہے شوق میری مے میں ہے نغمہ اللہ ہو میری رگ و پے میں ہے (۱)

صلاة الحب على شفتي (وعلى خديك تورده)، الفتنة وجهك يو قد ها وأنا أشرح

ماتوقدوه توحيد الله لنا نور و حياة القلب توحده . (۲)

مادام المسلم يرفع هتاف التوحيد هذا لا يمكن لأحد أن يمحو وجوده من قرطاس الحياة

بأنه خليفة الله ونائبه وبهذا الدرس التوحيدي يريد إقبال حطم اصنام قلوبنا وأذهاننا ويظن إقبال أن

وحدة الملة لا بد منها لرقى المسلمين. فيقول:

فرد را ربط جماعت رحمت است	جوهر اور اکمال از ملت است
تاتوانی باجماعت یار باش	رونق هنگامه احرار باش
حرز جان کن گفته خیر البشر	هست شیطان از جماعت دورتر
فرد و قوم آئینه یک دیگر اند	سلك و گوهر، كهكشان، و اختر اند
فرد تا اندر جماعت گم شود	قطره وسعت طلب قلزم شود
فرد میگردد ز ملت احترام	ملت از افراد می یابد نظام (۳)
رحمة للفرد حجر الأمة	كامل جوهره في الملة
فألزمن الجمع جهدا المستطاع	في ذرا الاحرار كن مثل الشعاع
واحفظن ما قاله خیر البشر	كل شیطان من الجمع نفر
فردنا مرآته أمته	وكذا مرآتها صورته
وهماسلك نظام ودرد	أو نجوم تتجلى في النهر
قيمة الأفراد جدوي الملة	ومن الأفراد نظم الأمة (۴)

۱- کلیات إقبال (الأردنية)، بال جبریل، ص ۷۰۱.

- وانظر: سليم اختر، الدكتور: إقبالیات کے نقوش (الأردنية) (نقوش إقبالیات) ص ۲۴۷.

۲- الترجمة العربية، زهير ظاظا، الأستاذ، بال جبریل، ص ۴۷۹.

۳- کلیات اقبال (فارسی)، رموز بے خودی، ص ۱۹۸.

۴- الترجمة العربية، عزام، عبدالوهاب، الدكتور: رموز نفي الذات، ص ۱۹۰.

وكرر إقبال رسالة اتحاد بين المسلمين في كلامه مراراً وخاصة في أشعاره الابتدائية مثل شكوه، وجواب شكوه، وحضرة راه، وشمع وشاعر، طلوع الإسلام وغيره .

وكان رسالة إقبال لمسلمي العالم كله.

ایک ہوں مسلم حرم کی پاسبانی کے لیے نیل کے ساحل سے لے کر تاجاک کاشغر (۱)

و”ينبغي أن يكون المسلمون في صف واحد لحفاظة الحرم من شواطئ النيل إلى أرض كاشغر.

## إقبال والرجل المؤمن

الرجل المؤمن الذي يحلي نفسه بالطاعة وضبط النفس والنيابة إلهية، والرجل المؤمن لدى إقبال هو صاحب الإرادة والاختيار، والذي يغلب الدنيا ولا تغلبه، ويقهر الوجود ولا يقهره، ولا يهاب الموت بل يتسم له، إنه المؤمن الذي يسخر الكائنات ويخضع له الوجود، ويملك الكثير من عرض الدنيا، لكنه لا يستهويه أو يستعبده بل هو مع ملكيته للدنيا طليق منها، حر من قيودها، وهو ما يعبر عنه بالفقير أو القلندر .

ويقول :

”ومثل هذا المؤمن الكامل يظل يصعد في مدارج السمو والرفعة، محاولاً أن يتصف بصفات الله، ومحاولاً التقرب بصفاته الربانية إلى الذات المطلقة - ذات الخالق الأعظم، عندئذ إذا نطق هذا المؤمن الكامل، الذي يشق طريقه اللانهائي إلى الكمال، إذا نطق فبالصدق وإذا أتى عملاً كان صواباً، وإذا حكم حكماً كان عدلاً وحقاً“ . (۲)

فيتغننى إقبال بعزيمة المسلم، فيقول :

هو حلقه ياراں تو بریشم کی طرح نرم	رزم حق و باطل ہو تو فولاد ہے مومن
افلاک سے ہے اس کی حریفانہ کشاکش	خاکی ہے مگر خاک سے آزاد ہے مومن (۳)
مع الصّحب لين كمنّ الحرير	بعيد من المحك، المؤمن
حديد إذا ما طغى باطل	جرئ لدى المعرك، المؤمن
من الطين لكن على الطين يسمو	ويأبى على الفلك، المؤمن (۴)

۱- کلیات إقبال (الاردية) بانك درا، ص ۴۶۹ .

۲- الكيلاني، نجيب، الدكتور: إقبال الشاعر الثائر، ص ۲۳ .

۳- کلیات إقبال (الاردية) ضربِ كلیم، ص ۸۸۹ .

۴- الترجمة العربية: عزام، عبد الوهاب، الدكتور، ضربِ كلیم، ص ۴۳۰ .

ويعبر عن قوة الإيمان في، "شعارالمؤمن" فيقول:

لم أحن رأسي خاشعاً إلا لمن      يمينه الأحياء والأفناء  
فقري لخلاقي غني عن خلقه      فأنا الغني وأن غدوت فقيراً  
وأرى فناء العيش خير اللفتى      من أن يعيش على الغناء أسيراً (١)  
ثم يقول:

محكما كالجبال عش، لا ضعيفا      واهن النار طائشا كالهشيم (٢)  
ونجد إقبال كثيرا ما يخاطب المسلم الحق، الذي آمن بربه وعرف حق المعرفة، يطلب منه  
اليقظة والوعي والصحون نومه الطويل وعدم الخوف، لأن الله تعالى قال:

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٣)

وقال تعالى:

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا، وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٤)

وقال تعالى:

﴿قُلْنَا لَا تَخَفُ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ (٥)

ويبين إقبال هذه الحقيقة ويقول:

قلبه من لا تخف قلب سليم      حين يمضي نحوه فرعون كلیم  
ورده لا تحزنوا في المارق      أنتم الأعلون "تاج المفرق" (٦)  
وأن الأمة المسلمة لا تخاف الموت:

لا تخاف الموت هذه الامة      نحن نزلنا لديها حجة (٧)

ويشرح الأستاذ أبو الحسن الندوي فكرة إقبال للرجل المؤمن. تحت عنوان:

- ١- الكيلاني، نجيب، الدكتور: إقبال الشاعر الشاعر، ص ٧٣.
- ٢- عثمان امين، الدكتور: إقبال، رسالة محمد إقبال. القاهرة: قسم الصحافة والإستقلالات. سفارة باكستان. ١٩٥٦م. ص ٧٦.
- ٣- سورة يونس، الآية: ٦٣.
- ٤- سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.
- ٥- سورة طه، الآية: ٦٨.
- ٦- سمير، عبد الحميد: ديوان الأسرار والرموز، ص ١٠٨.
- ٧- نفس المرجع.



”تصوير للشباب المسلم“ .

”إن الدكتور محمد إقبال يتمنى للإسلام جيلا جديدا، شبابه طاهر نقي وضربه موجع قوي ، إذا كانت الحرب فهو في صولته كأسد الثرى وإن كان الصلح فهو في وداعته كغزال الحمى ، يجمع بين حلاوة العسل ومرارة الحنظل ، هذا مع الأعداء وذاك مع الأولياء ، إذا تكلم كان رقيقا رقيقا، وإذا جدّ في الطلب كان شديدا حفيا ، وكان في حالتي الحرب والصلح عفيفا ، آماله قليلة ، ومقاصده جليلة ، غني القلب في الفقر ، فقير الجسم والبيت في الغنى ، غيور في العسر، رؤوف كريم عند اليسر، يظن أن أبدى له الماء منة ، ويموت جوعا إن رأى في الرزق ذلة ، إذ كان بين الأصدقاء كان حريرا في النعومة وإن كان بين الأعداء كان حديدا في الصلابة ، كان طلاوندي ، تفتتح به الأزهار وترف به الأشجار ، وكان طوفانا تصطرع به الأمواج وترتعد له البحار ، إذا عارض في سيرة صحورا وجبالا ، كان شلالا ، وإن مرفي طريقه بحدائق ، كان مساء سلسالا“ . (١)

ثم يقول:

”يجمع بين جلال إيمان الصديق وقوة علي ، وفقر أبي ذر ، وصدق سلمان ، يقينه بين أوهام العصر كمصباح الراهب في ظلمات الصحراء ، يعرف في محيطه بحكمته وفراسته وبأذان السحر، الشهاداة في سبيل الله ، أحب إليه من الحكومات والغنائم . يقتنص النجوم ، يصطاد الأسود ، ويباري الملائكة . ويتحدى الكفر والباطل أينما كان ، يرفع قيمته ويزيد في سعره ، حتى لا يستطيع أن يشتريه غير ربه، شغلته مآربه الجليلة وحياة الجد والجهاد . عن زينة الجسم والتأنق في اللباس ، وشعر بانسانية ، فترفع عن تقليد الطاووس في لونه ، والعنديل في حسن صوته“ . (٢)

ويقول في موضع آخر:

”أيها المؤمن كن مثل أنسام الصبا تحمل العبير دون أن تحشم نفسها حمل الأوراق والأعواد والحطب . إن كنت بحرا فكن في صراع مع الحاضرة والبادية وإن كنت ظلًا فخذ مكانك على قيمة أوراق الورود وكن على يقين من أن سر الحق لا يحتجب عن أهل الحق . إن المؤمن كقطرة الطل حين قوي شوقها إلى الظهور فحلت عقدتها بيدها واستقرت بقوة ذاتها في ضمير نفسها ثم حملت متاعها وارتحلت من خلوة الافلاك إلى بطون الأصداف تختص بها

١- الندوي ، أبو الحسن علي ، السيد : روائع إقبال ، ص ٦٦ .

٢- الندوي ، أبو الحسن علي ، السيد : روائع إقبال ، ص ٦٨ .

ولكنها تنفست لحظة في أحضان السحر إلى أن استقرت في براعم النوار المتفتح للحياة“ (١).

ويقول إقبال:

كن مثل إبراهيم في الإيمان	حتى تزيل معابد الأوثان
الشعب بني عزة بكفاحه	ليشيد مجدًا ثابت الأركان
ولقد يظن به الجنون إذا أبدى	يوماتمرده على الطغيان
مافوق أرض الله شعب ظافر	بيلوغ آمال ونيل أماني
إلا إذا عقل الجنون وإنما	يحلون جنون الحب للأوطان
المؤمن المقدم يمضي قاهرا	بالعزة والإقدام دون تواني
وإذا ارتضى للذل أمسى كافرا	بالله أو بكرامة الأوطان
لا يترك الدنيا تعيش وشعبه	فيها قتيل الذل والحرمان
العطر مسترويسرى ظاهرا	كن أنت مثل العطر في البستان
لاتخذ عنك في الربى ألوانها	كن خاليا فيها من الألوان
قد ضل أهل القصر عن أرواحهم	لم يهتدوا إلا إلى الأبدان
فالدين إرضاء الدخيل وليس	مرضاة الاله الواحد الديان
لا تصحب في شرب كاسات المنى	إلا وفيا صادق الوجدان
لا ترجوا في ندماء غدر نشوة	ولو أن فيهم قيصر الرومان (٢)

فالمؤمن لا يخاف إلا من الله ومن يعيش في حظيرة لا اله إلا الله يتحرر من كل قيد وكل هوى. حتى يصير رضي الله إليه من كل شيء. بأركان الإسلام يأخذ مؤمن القوة والمجد، لأن كلمة التوحيد التي يفنى فيها صدف جوهرها الصلاة، والصلاة هي الحج الأصغر وهي في يمين المؤمن بمثابة الخنجر يقاوم به شيطان الفحشاء والمنكر.

أما الصوم فهجوم خاطف على تحكم الجوع وغيره من رغبات النفس أنه يحطم حدة الشهوات، والحج يقوى صلوات والروابط بين العبد والمعبود والمجتمع أيضاً وينقطع كل تفرقة بينهم. (٣)

١- شعلان، صاوي علي: إيوان إقبال: مختارات من شعره، ص ٤.

٢- شعلان، صاوي علي: إيوان إقبال: مختارات من شعره، ص ٥.

٣- نفس المرجع.

أما الزكاة فتحرق الطمع وحب المال وتعلم المساواة وتمنح المؤمن قوة ونورا من ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (١)

وبين إقبال صفات المؤمن الحق ويقول :

المؤمن الحق كان الله غايته	والله كان لديه السمع والبصرا
والأن أضحي آله المال كعبته	وخوفه الموت أفناه وما شعرا
يا مؤمنا بلقاء الله مالك في ذعر	من الموت قد اشبهت من كفرا
قد عاد قلبك ميتا بين أضلعه	كأنه في حنايا الصدر قد قبرا
من كان يحسب أن الموت هاوية	وأنه عدم يستاصل البشرا
فنار آماله ينحط عنصرها	إلى التراب ويلقى الموت محتقرا (٢)

وكان إقبال رجلا مومنا وصفات المؤمن هذه مأخوذة من القرآن الكريم ، وفيما يلي بعض

الآيات التي تعبر عن التصور الأساسي لفكرة الخلافة الإلهية وصفات الخليفة .

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (٣)

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ

فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ (٤)

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ

الْمُنْكَرِ﴾ (٥)

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ

مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (٦)

﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٧)

١- سورة آل عمران ، الآية: ٩٢ .

٢- شعلان ، صاوي علي : إيوان إقبال : مختارات من شعره ، ص ١٢٣ .

٣- سورة البقرة ، الآية: ٣٠ .

٤- سورة الفتح ، الآية : ٢٩ .

٥- سورة الحج ، الآية : ٤١ .

٦- سورة النور ، الآية: ٥٥ .

٧- سورة المجادلة ، الآية: ٢٢ .

﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (١)

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢)

﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

تَعْلَمُونَ﴾ (٣)

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (٤)

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (٥)

يقول نصير الدين:

”فتبين بتوضيح هذا أن رسالة إقبال هي في الحقيقة رسالة القرآن ، فيعتقد إقبال أن المسلم هو غاية هذا الكون ، خلق العالم له وخلق هو لله ، وهو خليفة الله في أرضه ، خلق لأجله العالم ، وعلمه الاسماء وحكمه في الأرض ، وأورثه خيراتها وخزائنها ، وألقى إليه بمقاليدها ، ويقتنع بأن العالم خلق له ، ويجاهد ويجتهد لتطبيق هذه العقيدة ، وتحقيق هذه الفكرة“ (٦).

فيقول إقبال:

”إن المسلم حي خالد ، لأنه يحمل رسالة خالدة ، ويحتضن أمانة خالدة ، ويعيش لغاية خالدة ، ويرى محمد إقبال أن المسلم موج من أمواج بحر الإسلام الخضم ، يأتي موج ويذهب موج ، وتتراحي الأمواج في أحضان البحر ، وتتلاشى في وجوده ، والبحر لا يتغير ، فبالبحر امتداد دائم ، وتسلسل قائم لأجزاء متغيرة ، كبحر الحياة وبحر الوجود ، تتبدل أمواجه ، وهم أفراد البشر ولا يتبدل كيانه“ (٧).

فيقول إقبال:

المؤمنون على عنا  
لا خوف يفزعهم ولا  
ية ربهم يتوكلون  
هم في الحوادث يحزنون

١- سورة المائدة ، الآية : ٥٦ .

٢- سورة منافقون ، الآية : ٨ .

٣- سورة الصف ، الآية : ١١ .

٤- سورة البينة ، الآية : ٨ .

٥- سورة البقرة ، الآية : ١٥٣ .

٦- نصير الدين سلطان أحمد: علامة إقبال شاعر الإسلام .مقاله الماجستير ، جامعة بنجاب ، باكستان ، أغسطس

١٩٨٥ م . ص ٦١ .

٧- نفس المرجع ، ص ٦٢ .

لا مرّ أضعفهم على  
لأراك في الإفصاح "ها  
هو مصطفى نور الرجا  
المؤمن الوثاب تعـ  
تلقاه عند شبابه  
في السلم قبل الحرب مسـ  
أعداؤكم يخشون سيـ  
ومرامهم أن تسرعوا  
حتى تروا نظراتهم  
وهناك يقتطفونكم  
"فرعون" يجتز الرؤوسا  
رونا" وفي الايمان "موسى"  
ءوسالب كنز الأمل  
صمه من الهول السكينة  
هر ما قد انحطت قواه  
لوب الشجاعة حائر  
ف يقنيكم قبل السيوف  
بالخوف من قبل الحتوف  
مثل الخناجر في الصدور  
من أرضكم قطف الزهور (١)

وبعد استعراض تصوير المسلم الحي الخالد ، يصور إقبال لنا تصوير المسلم في العصر الحديث الذي لا يعرف أسرار دينه ومعارفه ، وهو مشغول في اللهو واللعب ولا يبالي بالآخرين في المجتمع إلا بنفسه ، يجمع الدنيا وينسى الآخرة ، وبحر قلبه يخلو من تلاطم العشق وأمواج العمل ، ويتأسف إقبال على هذا المسلم الشاب ويقول بالحزن :

مسلمان تا بساحل آرميداست  
جز ايس مرد فقيرے درد مندے  
گه سنت او را كه آيد بوءے يارے  
چو آن سوز كههن رفت از دم او  
على شط يطول به الوقوف  
لمن غيرى أنا المسكين حقا  
ومن مناه للمحبوب عطرا  
تناسى قوله قيلت فمندا  
خجل از بحرو از خود نا اميداست  
جراحت هائے پنهانش كه ديداست  
كه دادا و را اميد نو بهار دے  
كه زد بر نيستان او شرارے (٢)  
فعن عمل وعن أمل عزوف  
على أسراره كان الوقوف  
وهذاك الربيع يرفُّ زهرا  
على قصبائه بالنار مرا (٣)

- ١- سعيد أحمد أمجد حسين ، الدكتور، وإبراهيم محمد إبراهيم ، الدكتور : شاعر الشرق محمد إقبال ، ص ١٩٩-٢٠٠ .
- ٢- كليات إقبال (فارسي) : ارمغان حجاز ، ص ١١٠ .
- ٣- الترجمة العربية : المصري ، د. حسين مجيب : هدية الحجاز ، ص ٤٥٢ .

ويفقد مسلم اليوم عظمة أسلافه ومقام أجداده ، وهو يهبط من السماء إلى الأرض بسبب بعده عن الدين والكتاب والسنة النبوية صلى الله عليه وسلم فكان مثل الشمس وصار الآن مثقال الرمل ، وينظر بعيونه الخالية إلى عظمتها الفارقة ويريد أن ينالها ولكن لا يعرف ماذا يصنع لينالها ، ويدرك إقبال كفيته هذه ويعرض طلبه إلى حضرة الرسول أن ينصره في كيفية هذه اليأس . فيقول:

مسلمان آن فقير كج كلاهه      رميد از سينه او سوز آهه  
دلش نالد! چرانا لد؟ نداند      نگاهه يارسول الله نگاهه (۱)  
وييدى المسلم المحبوب فقره      يُصعد مثل حر النار زفره  
شكامنه الفواد وليس يدري      فهبنا يارسول الله نظره (۲)

وإقبال بنفسه لم يئس من المؤمن ويفهم أن مسلم اليوم ينام نوم الغفلة والكسل وأنه ينسى غاية حياته ، ولكنه يؤمن اليقين الكامل أن في الحقيقة المسلم كالأسد وعندما استيقظ من نومه العميق استيطر على كل العالم وأزال ظلام الكفر كله ، فان غاية حياة المسلم إعلاء كلمة التوحيد وتنفيذ أحكامه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحويل المجتمع إلى مجتمع إسلامي .

فيقول إقبال مخاطبا للشباب المسلم :

اے کہ بانا دیدہ پیمان بستہ      همجو سيل از قيد ساحل رسته  
هستی حاضر کند تفسر غیب      می شود دیاچه تسخیر غیب  
هر که محسوسات را تسخیر کرد      عالمے از ذره تعمیر کرد  
کوه و صحرا دشت و دریا بحر و بر      تختہ تعلیم ارباب نظر  
اے کہ از تاثیر افیون خفته      عالم اسباب راوون گفته  
خیزو واکن دیدہ مخمور را      دون مخوان این عالم مجبور را  
غایتش توسیع ذات مسلم است      امتحان ممکنات مسلم است  
می زند شمشیر دوران برتنت      تابه بینی هست خون اندرتنت  
سینه را از سنگ زورے ریش کن      امتحان استخوان خویش کن  
حق جهان را قسمت نیکان شمرد      جلوہ اش بادیدہ مومن سپرد

۱- کلیات إقبال (فارسی) ارمغان حجاز ، ص ۵۶ .

۲- الترجمة العربية : المصري ، د. حسين مجيب :هدية الحجاز ، ص ۴۳۹ .

ذوفنو نیهائے تو گرد و تمام	تاز تسخیر قوائے این نظام
بر عناصر حکم او محکم شود	نائب حق در جهان آدم شود
کار تو اندام گیرد در جهان	تنگی ات پهنا پذیرد در جهان
یعنی این جمّازه را ما هار کن	خویش را بر پشت باد اسوار کن
جوئے آب گوهر از دریا بر آر	دست رنگین کن ز خون کوهسار
برق طاق افروز از سیلاب گیر	تابش از خورشید عالمتاب گیر
آن خداوندان اقوام کهن	ثابت و سیاره گردون وطن
نشہ زیر پرده صهبانگر (۱)	چشم خود بکش او در اشیانگر
کارها کالسیل قید الساحل	مؤمننا بالغیب غیر الغافل
وهو مفتاح لستسخیر الغیوب	ذلك الحاضر تفسیر الغیوب
ومن الذرة یخرج عالما	من یسخر عالم الحس سما
لوح تعلیم لأرباب النظر	کل مافی الکون من بحر و بر
عالم الحسّ جفته همته	أیها النائم طالت غفلته
لا تحقّر عالما قد حقرا	قم وفتح بصراً قد سکرأ
وامتحان لصفات المسلم	إنه توسیع ذات المسلم
لتری أن دمأ فی البدن	هو ییلوک بسیف الزمن
اختبر عظمک فی ذی الصّدمة	إضرب الصدر بقهر القوّة
وجلاها لعیون المؤمنین	جعل الحق الدنی للخیرین
لتری فیہ بأعلى مستوى	یتغی فی الکون تسخیر القوی
حکمه فی الأرض ماض حاکم (۲)	نائب الحق، بحق آدم
ولأعمالك فیها فسحة	لك من ضیقك، منها سعة
ألحمن هذا الجواد النّافرا	صهوّة الريح اعلونها آمرا
شق موج البحر عن درّیه	شق قلب الطور عن جوهره

۱- کلیات إقبال، (فارسی) رموز به خودی، ص ۳۱۲، ۳۱۳.

۲- یعنی أن الإنسان خلیفة الله فی الأرض بالحق، و حکمه فیها ناقد.

من شعاع الشمس ناراً فاقبس      ومن السيل بروق فاخلس (١)  
كلها يا صاح عبدان لكا      واما سخرت من أجلكا  
افتح العين وأنعم نظرا      أبصرن في الراح معنى مضمرا (٢)

ويريد إقبال من الشاب المسلم أن يغوص في بحر الإسلام ويبحث منه لؤلؤ حب النبي صلى

الله عليه وسلم ويزين نفسه بأحكامه وبأطواره ، ويعيش حياته على نهج الإسلام ، فيقول:

قلب را از صبغة الله رنگ ده      عشق را ناموس و نام و ننگ ده  
طبع مسلم از محبت قاهر است      مسلم از عاشق نباشد کافر است  
تابع حق دیدنش نادیدنش      خورد نش نوشیدنش خوابیدنش  
در رضایش مرضی حق گم شود      این سخن که باور مردم شود  
خیمه در میدان الا الله ذدست      در جهان شاهد علی الناس آمدست  
شاهد حالش نبی انس و جان      شاهدی صادق ترس شاهدان  
قال را بگذار و باب حال زن      نور حق بر ظلمت اعمال زن  
در قبائے خسروی درویش زی      دیده بیدارد خدا اندیش زی  
قرب حق از هر عمل مقصود دار      تاز تو گردد جلالش آشکار (٣)  
صبغة الله أنرفي قلبكا      والهوى والصيت دع في حبكا  
إنما المسلم بالحب قهر      مسلم لاحب فيه قد كفر  
غض بالحق ، وبالحق نظر      وله في الحق نوم وسهر  
في رضاه لرضا الحق فناء      كيف يرضى الناس هذا الادعاء (٤)  
في ربي التوحيد أرسى العمدا      وعلى الناس جميعا شهدا  
وعليه يشهد الداعي الأمين      شاهد أصدق كل الشاهدين  
فدع القال إلى الحال الجلي      وأضئ بالحق ليل العمل

١- استخراج الكهرباء من سيل الماء .

٢- الترجمة العربية: عزام ، عبد الوهاب ، الدكتور : رموز نفى الذات ، ص ٢٢٨-٢٢٩ .

- وانظر : اله آبادي ، بهار : تفسير إقبال ، ص ٤٨-٥٦ .

٣- کلیات إقبال (فارسی) ، اسرار خودی ، ص ١٥١ ، ١٥٢ .

٤- الحق : الله تعالى ، يبلغ المؤمن درجة يعني فيها رضا الحق في رضاه ، أي يكون رضاه رضا الحق .



وكن الدرويش في زيّ الأمير      ذاكراً لله يقظان الضمير  
واقصدن الحق في كل الفعال      يسطعن فيك من الحق جلال (١)

فقد نرى في ضوء كلام إقبال أن الرجل المسلم متصف بصفات الوفاء والأيثار والإخلاص والحق، هو مثال الخير والتضحية والحسن الكامل، هو رحمة الله على الأرض لكل إنسان ضعيفاً كان أو قوياً وبهذه الأوصاف حاز الإنسان منصب خليفة الله على الأرض.

## دعوة الأمة إلى حبّ النبي صلى الله عليه وسلم

وفي الرباعيات التالية يدعو إقبال الأمة الإسلامية إلى حبّ النبي صلى الله عليه وسلم وإتباع سنته.

بمنزل كوش ما تندمه نو      دريس نيلی فضا هر دم فززون شو  
مقام خویش اگر خواهی دريس دير      بحق دل بندوراه مصطفی او (٢)  
اقطع منازل سفرك كقمر جديد      واكبر في هذا الفضاء الأزرق  
لو أردت مقامك في هذا العالم      فأوثق قلبك بالحق واسلك سبيل المصطفى (٣)  
ثم يقول:

كشودم پرده را از روه تقدير      مشو نوميد و راه مصطفی گیر  
اگر باور ندارى آنچه گفتم      زدين بگریز و مرگ کافرے میر (٤)  
كشفت الستر عن وجه المصائر      بنهج المصطفى سر يا مسافر (٥)  
ومما قلت إن أضمرت شكاً      فمت يا من شككت وأنت كافر (٦)

ويوضح إقبال أنه لما نسى المسلمون سنة رسول الله، ونبذوا أحكامه من حياتهم، تحولت

الخلافة إلى الملوكية .

فيقول:

- ١- الترجمة العربية: عزام، عبد الوهاب، الدكتور: أسرار أثبات الذات، ص ١٦٧.
- ٢- كليات إقبال (فارسي): ارمغان حجاز، ص ١٢٤.
- ٣- الترجمة العربية: سمير، عبد الحميد إبراهيم: هدية الحجاز، ص ٢٩٥.
- ٤- كليات إقبال (فارسي): ارمغان حجاز، ص ١٢٨.
- ٥- النهج: الطريق. وإن أريد بالكلام خلاف ظاهره، فالمسافر في الاصطلاح هو من سافر بفكره في المعقولات والاعتبارات فعبّر من الدنيا إلى الآخرة.
- ٦- الترجمة العربية: المصري، د. حسين محيب. هدية الحجاز، ص ٤٦٠.

عرب خود را به نور مصطفی سوخت  
چراغ مرده مشرق بر افروخت  
وليكن آن خلافت راه گم کرد  
که اول مومنان را شاهي آموخت (١)  
بنور للنبي القلب أضرم  
أنار بشرقه ما كان أظلم (٢)  
ولكن الخلافة وسط تيهه  
فهذا المؤمنین الملك علم (٣)  
ويشير إقبال هنا إلى النقطة الثمينة أن الرسول واسطة بين الله والمخلوق ومن عرف حقيقته  
عرف ربه ولا يمنعه شئ من الوصول إلى الله .

مسلمان راهمين عرفان وادراك  
که در خود فاش بيند رمز لولاك  
خدا اندر قياس مانه گنجد  
شناس آن را که گوید ما عرفناك (٤)  
وعرفان و ادراك لمسلم  
وعينيه "بلولا" الذات يقم (٥)  
سما ربي سموّ عن قياس  
بقائل "ما عرفنا (٦) النفس أكرم (٧)  
فيثبت إقبال أن حب النبي صلى الله عليه وسلم هو السبيل الواحد للفوز والمجد في الدنيا  
وللعزة والكرامة في الآخرة .

### الناحية الثالثة : وصف النبي

يذكر إقبال في هذه الناحية أوصاف الرسول صلى الله عليه وسلم ومحامده وشعر إقبال  
مملوء بالحكم والبصيرة وفلسفة الحياة، ليست في شعره تأثرات وقتية بل شعره يقص لنا التدني أو  
العروج للأمة الإسلامية وجهود الحركات الإسلامية للنهضة. وهذه هي الصفات العظيمة التي  
لا توجد في الشعر الأردني فحسب بل في الشعر العربي والفارسي أيضاً .  
يقول في شعر إقبال المدح المتداول ولكنه يركز على السيرة الذاتية للرسول صلى الله عليه  
وسلم وشريعته وتذكير المسلمين بايفائهم لعهودهم بالرسول صلى الله عليه وسلم .

١- كليات إقبال (فارسي): ارمغان حجاز، ص ١٧٢ .

٢- يقصد العربي .

٣- الترجمة العربية: المصري، د. حسين محجب: هدية الحجاز، ص ٤٧٢ .

٤- كليات إقبال (فارسي): ارمغان حجاز، ص ٢٧٦ .

٥- التلميح إلى (لولاك لما خلقت الأفلاك) هكذا في الأصل .

٦- الإشارة إلى (ما عرفناك حق معرفتك) هكذا في الأصل .

٧- الترجمة العربية: المصري، د. حسين محجب: هدية الحجاز، ص ٤٩٩ .

والآن نستعرض شخصية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصفاته في شعر إقبال.

## مقصود إيجاد الخلائق

ومقصود إيجاد الخلائق لدى إقبال هو الرسول صلى الله عليه وسلم، وكل العالم الإنساني يدور حول هذا المحور وهو يوفق بين مدح الرسول وأحوال الأمة الإسلامية، هو يعرض عن الأساليب القديمة في مدح الرسول ويتكرر صورا جديدة في الثناء على النبي والتي بدأها أساساً الشاعر الهندي الكبير الطاف حسين حالي (ت ١٩١٤م) إلا أن إقبال وصل في الحسن والإبداع لهذا الأسلوب مبلغ الذروة.

ونجد نماذج لهذا الأسلوب خاصة في المنظومات "ذوق وشوق" "بلال" "حضور رسالتما مین" "صديق" وغيرها. ويذكر إقبال أحيانا وقائع من التاريخ الإسلامي وإلى جانب آخر يذكر سير أصحابه خصوصا سيدنا بلال ويقارن بينه وبين الإسكندر والقيصر ويثبت أن حب الرسول أفضل من السلطة والمناصب.

فيقول:

مردم چشم زمین یعنی وہ کالی دنیا	وہ تمہارے شہدا پانے والی دنیا
گرمی مہر کی پروردہ ہلالی دنیا	عشق والے جسے کہتے ہیں ہلالی دنیا
تیش اندوز ہے اس نام سے پارے کی طرح	غوطہ زن نور میں ہے آنکھ کے تارے کی طرح (١)
ورفع الذکر للمختار رفع	لقدرك نحو غايات الكمال
فكن إنسان عين الكون وشهد	مقامك عاليا فوق المعالي
بخنجر عزمك الوتّاب لاحت	على الأعلام أنوار الهلال
نداؤك في العناصر مستجاب	إذا دَوَّى بصوت من بلال
وعقلك في الخطوب أجل درع	وعشقتك خير سيف للفضال (٢)

ويرق قلب إقبال بذكر محمد صلى الله عليه وسلم. وروحه وعيونه مضطربة لرؤيته، فيطلب

من رسول الله في شعره نظرة الالتفات ويطلبه روح العشق البلالي قائلا:

١- كليات إقبال (الأردنية): بانك درا، ص ٣٦١.

٢- الترجمة العربية: المصري، صاوي شعلان: صلصلة الجرس، ص ١٠٩.

جان ما باشی واز مامی رمی	اے چو جان اندر وجود عالمی
موت در راه تو محسود حیات	نغمه از فیض تو در عود حیات
باز اندر سینه ها آباد شو	باز تسکین دل ناشاد شو
نرخ تو بالاؤنا داریم ما	از مقدر شکوه ها داریم ما
عشق سلیمان و بلال ارزان فروش	از تهید ستان رخ زیبا مپوش
باز مارا فطرت سیماب ده (۱)	چشم بیخواب و دل بیتاب ده
روحنا أنت ، و منّا تستر	أنت في الكون كروح مستتر
في هواك ، الموت محسود الحياة	منك فيه نغمة عود الحياة
عد فعمر ذي الصدور اليائسه	عد فسكن ذي القلوب البائسة
أنت تغلي السّعر والأيدي خلاء	إننا نشكو تصاريف القضاء
عشق سلمان امنحنا وبلال	عن فقير لا تحجب ذا الجمال
امنحنّا واضطراب الزئبق (۲)	عين سهد لفؤاد قلق

ولانجد في هذه المنظومات الأسلوب الصريح في المدح ولكن يستخرج ذلك من ذكر مآثر وبطولة الرسول وأصحابه وهذا الأسلوب أبلغ من غيره من الأساليب في التأثير الفعلي على الناس، ولا يسع كل شاعر أن يأتي بمثل هذا الأسلوب وفي بعض الأحيان نجد مدح الرسول بالطريقة التي مدحه بها ربه في القرآن .

قال الله سبحانه وتعالى:

﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (۳)

ويبين إقبال هذه الحقيقة كذلك:

حکم او بر خویشان کردن رواج	معنی دیدار آن آخر زمان
تا چو او باشی قبول انس و جان	در جهان زی چو رسول انس و جان
سنت او سرّے از اسرار اوست (۴)	باز خود را بین ، همین دیدار اوست

۱- کلیات إقبال (فارسی) اسرار خودی ، ص ۱۷۸ .

۲- الترجمة العربية : عزام ، عبد الوهاب ، الدكتور : اسرار أثبات الذات ، ص ۱۷۷ .

۳- سورة النساء ، الآية : ۸۰ .

۴- کلیات إقبال (فارسی) جاوید نامه ، ص ۲۴۲ .

هذه الرؤية معناها النبي يحكم النفس ، بذأ وهو الرضي  
 أنت في دنياك عش مثل الرسول ومن الخلق ستحظى بالقبول  
 ذاتك انظر إن هذا رويته سرّه السر العظيم سنّته (١)

وتبدأ فلسفة إقبال بمسئلة أفضلية الإنسان وهو يرى في هذا الجسد المصنوع من التراب  
 الممكنات المحيرة وهو يستند في فهمه بطبيعة هذا الإنسان بهذه الآية، قال الله تعالى:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (٢)

وهو يظهر تحير الملائكة أمام طبيعة هذا الإنسان وحتى عندما يصل إلى المصطفى ، يرى  
 الكرسي والعرش في متناوله، وبعد التحليل من هذه الناحية نرى أن شعر إقبال كله تفسير للحياة التي  
 بدت السموات خاضعة أمام علوها ، ويوضح إقبال هذه النقطة في بيان فلسفة الذات :

خودی کی جلوتوں میں مصطفائی خودی کی خلوتوں میں کبریائی  
 زمین و آسمان و کرسی و عرش خودی کی زد میں ہے ساری خدائی (٣)  
 إنها الذات عند ما تتجلى تنعم الناس في ظلال النبوة  
 إنها نفسها حجاب إله عند ما تأخذ الكتاب بقوة  
 تصل الذات قاب قوسين لكن لاترى نفسها بعرش وكرسي (٤)

ويقول نصير الدين :

”وهذا الأسلوب الذي اختار إقبال في شعره غريب وغير مألوف، عند ما نرى شعره من هذه  
 الناحية يبدو أن شكله الفلسفي غارق في الثناء على الرسول ، حيث تدوم مكانة إقبال بشعره ونرى أن  
 خصوصية أسلوبه في مدح الرسول تعطيه مرتبة المحتهد ، وهذا الأسلوب لا يحظى به الشعر العربي أو  
 الفارسي ومن ثم تكون مكانة إقبال بين الشعراء متفردة ، وهدفه من المدح هو إظهار عظمة الرسول  
 ﷺ وإيضاح أهمية وضرورة بعثه للناس ومن هذه الناحية يكون شعر إقبال كله يستحق أن يوصف  
 بمدح الرسول وبالأسلوب الذي يجعل مقصد النبوة وعظمة الرسالة موضوع شعره. وشئ آخر يميز  
 إقبال عن الشعراء الآخرين هو أنه لا ينحصر فقط في بيان الجمال والمعجزات وفضيلة الرسول على

١- الترجمة العربية : المصري ، د. حسين مجيب: رسالة الخلود، ص ٢٦٣.

٢- سورة التين ، الآية : ٤ .

٣- كليات إقبال (الاردية) بال جبريل ، ص ٦٨٠ .

٤- الترجمة العربية : زهير ظاظا ، الأستاذ ، جناح جبريل ، ص ٤٦٦ .

الأنبياء الآخرين، بل هو يضع أمامه خصائص النبوة وأكثر من هذا أنه يحمل في قلبه مشاعر الحب الخالص لرسول الله وهذا هو الشيء الذي نفخ روح الحياة في شعره“ (١).

## خصائص نبوته صلى الله عليه وسلم

ولاريب أنه بعث الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين وخاتم النبيين ومقامه بين الأنبياء كالقمر بين الكواكب وزين الله الأرض والسموات بوجود نبيه صلى الله عليه وسلم ويقول إقبال في هذا الصدد:

جلوه ات تعبير خواب زندگی	له ظهور تو شباب زندگی
ترك وتاجيك وعرب هندوے تو	شش جهت روشن ز تاب روءے تو
بندگان را خواجگی آموختی (٢)	در جهان شمع حیات افروختی
ورأت تعبير رؤياها الحياة	نضرت منك محياها الحياة
منك، والأقوام جمعاً تبع	الجهات الست نور يسطع
وحيوت الناس من رق نجاه (٣)	أنت اشعلت مصابيح الحياه

ويقول إقبال أن الشر والضرر والظلمة تتحول إلى الخير والنفع والنور بسبب اخلاق النبي الكريم ويسلك كل إنسان بدون الامتياز في خيط واحد وينمحي آثار الظلم والاستعباد وتغلق أبواب التفاخر بالحسب والنسب ويقوى الضعفاء. فذكر إقبال هذه الظواهر الحسنة في شعره:

از قريش ومنكر از افضل عرب	مذهب او قاطع ملك ونسب
باغلام خويش بريك خوان نشست	در نگاه او يکے بالا وپست
با کلفتان حبش در ساخته	قدر احرار عرب نشناخته
آبروے دودمانے ريختند (٤)	احمران با اسودان آميختند
يالدين منكر فضل العرب	في قريش بتّ أصلا للنسب
للخوان فهو يدعو عبده	الوضيع كالرفيع عنده
وَدّ أحبّاش غلاظ قد خطب	ما دري فضلا لأحرار العرب

١- نصير الدين سلطان أحمد: علامة إقبال شاعر الإسلام، ص ٧٢.

٢- كلييات إقبال (فارسي): رموز بے خودی، ص ٣٦٠.

٣- الترجمة العربية: عزام، عبدالوهاب، الدكتور: رموز نفی الذات، ص ٢٤٤.

٤- كلييات إقبال (فارسي)، جاويد نامه: ص ١٠٢.

- ولحمر القوم بالسود اجتماع      يا لعمرى عزُّنا هذا مضاع (۱)
- وداس النبي الكريم العبودية تحت أقدامه وبدله من قوة العزة والأمن وحطم أصنام الباطل  
وحرَّر الإنسان من عبودية الإنسان وكان هذا إحساناً عظيماً على الإنسان. ويقول إقبال:
- |                              |                             |
|------------------------------|-----------------------------|
| بود انسان در جهان انسان پرست | ناكس و نابود مند و زير دست  |
| سطوت كسرى و قيصر رهنش        | بندها دردست و پا و گردنش    |
| از غلامى فطرت او دون شده     | نغمه ها اندر نئه او خوں شده |
| تا امينه حق بحقداران سپرد    | بندگان را مسند خاكان سپرد   |
| شعله ها از مرده خاكستر كشاد  | كوهكن را پايه پرويز داد     |
| اعتبار كار بندگان را افزود   | خواجگى از كار فرمايان ربود  |
| قوت او هر كهن پيكر شكست      | نوع انسان را حصار تازه بست  |
| تازه جان اندر تن آدم دميد    | بنده را بازاز خداوندان خريد |
| زادن او مرگ دنياى كهن        | مرگ آتش خانه و دير شمن (۲)  |
| عبدالانسان اصنام البشر       | فهو في عدم و ذلّ محتقر      |
| قيصر العسف و كسرى قيّدا      | منه جيد اثم رجلا ويدا       |
| أضعف الرق لديه الهما         | لحنه في عوده سال دما        |
| وأمينا بعث المولى به         | سلم الحق إلى أصحابه         |
| بث في برد الرماد الشعلا      | فعلى برويز فرهاد علا (۳)    |
| سلب السلطان حزب الأمرين      | فسمما بالحق قدر العاملين    |
| عزمه هدّ قديمات الصُور       | وبنى حصناً جديداً للبشر     |
| بث روحايت الموتى بها         | وافتدى الأعبداً من أربابها  |
| مولد مات به العصر القديم     | وبيوت النار والوثن حطيم (۴) |

۱- الترجمة العربية: المصري، د. حسين مجيب: رسالة الخلود، ص ۱۸۲.

۲- کلیات إقبال (فارسی): رموزی خودی، ص ۲۳۳-۲۳۴.

۳- برویز ملک عظیم من ملوک الفرس، و فرهاد مهندس فارسی له مع برویز و جاریته شیرین رائعة في الأدب الفارسی.

۴- الترجمة العربية: عزام، عبد الوهاب، الدكتور: أسرار نفي الذات، ص ۲۰۴.

و یبین اقبال فی صدد خصائص النبی صلی الله علیه وسلم نقطة مهمة للحياة وهو اكتساب الرزق فی المجتمع بیده وبقوة العمل، و یحب اقبال من الطيور الصقر الذي لا یقبل لحم الميتة و یصیده بیده و بالسعی، فهكذا اقبال لا یحب الرجل الذي لا یکتسب رزقه بقرته و جهده ولا یرفع قدمه إلى میدان العمل وهو الكسول و ینظر إلى مائدة الأخرین و یبیع حميته بقطعة من الطعام .

و عند اقبال لا منزلة لمن لا یکد نفسه لکسب قوته فی المجتمع الإسلامي لأن مؤسس المجتمع الإسلامي أي النبی الکریم نفسه یؤمن علی کسب بیده كما راه عاملاً فی غزوة الأحزاب و غیرها من الغزوات. و قبل البعثة کان یعمل أيضا بیده، و یحب العمل، و اکتساب القلیل بالجهد و السعی خیر من اکتساب الكثير بغير حمية، و یبین اقبال هذه الفلسفة كذلك :

گرچه باشی تنگ روز و تنگ بخت	درره سیل بلا افگنده رخت
رزق خویش از نعمت دیگر مجو	موج آب چشمه خاور مجو
تا نباشی پیش پیغمبر خجل	روز فردای که باشد جان گسل
ماه را روزی رسد از خوان مهر	داغ بردل دارد از احسان مهر
همت از حق خواه و باگردون ستیز	آبروے ملت بیضا مریز
آنکه خاشاک بتان از کعبه رفت	مرد کاسب را حییب الله گفت
وائے بر منت پذیر خوان غیر	گردنش خم گشته احسان غیر
خویش را از برق لطف غیر سوخت	باپشیزے مایه غیرت فروخت
اے خنک آن تشنه کاندر آفتاب	می نخواهد از خضر یک جام آب
قلزم زنبیل سیل آتش است	گر زدست خود رسد شبنم خوش است
چون حباب از غیرت مردانه باش	هم به بحر اندر رنگون پیمانه باش (۱)
إن یکن فی الرزق والعجدّ عناء	وطغی حولک سیل من بلاء
لا ترم فی الأرض رزقا بالبکاء	لا ترحّ الماء من عین ذکاء (۲)
احذر الخزی امام المصطفی	یوم یخزی کل ساع ماوفی

۱- کلیات اقبال (فارسی) : اسرار خودی : ص ۷۲.

۲- لا تسأل الماء ولو من عین الشمس.



- |                           |                                |
|---------------------------|--------------------------------|
| من سماط الشمس يقات القمر  | فعليه وسم نعمها ظهر (١)        |
| جاهد الأيام والله استعن   | ماء وجه الملة البيضاء صن       |
| علم الناس الصدوق الصائب   | أن حبيب الله سباع كاسب (٢)     |
| ويح من يحمل ذلّ النعمة    | خافض الرأس لثقل المنة          |
| أرهق النفس بوقر الذلة     | بنقير باع تاج العزة            |
| مرحبا بالظمام الضحيان لا  | يسأل الخضر شرا با في الفلا (٣) |
| زاد في العسر مضاه حده     | هو يقظان وغاف جده (٤)          |
| كن حبابا (٥) من عطاء ينفر | فارغ الكأس بيحري زخر (٦)       |

ثم يمثل إقبال شجاعة النبي بكل افتخار ، وهو الذي قام في بحر العداوة والبغض والعداوة بقوة الإيمان واليقين وتحمل كل الإيذاء من السباب والفحش والمقاطعة من الكفار بطلق الوجه ولم تهافت قدمه من صراط المستقيم . وما تمنى لهم الشر حتى عندما تمكن له فتح مكة فما أخذهم على شرمهم وإيذاءهم التي كانوا يعاملون بها النبي الكريم وأصحابه الكرام . وعلم أمته درس الصبر والاستقامة في أحوال غير الملائمة بقوة الإيمان . ويقول إقبال في هذا الصدد :

- |                             |                               |
|-----------------------------|-------------------------------|
| اے کہ در زندان غم باشی اسیر | از نبی تعلیم لا تحزن بگیر (٧) |
| این سبق صدیق را صدیق کرد    | سر خوش از پیمانہ تحقیق کرد    |
| از رضا مسلم مثال کوکب است   | در ره هستی تبسم بر لب است     |
| گر خدا داری زغم آزاد شو     | از خیال بیش و کم آزاد شو      |

- ١- السمة التي على وجه القمر سمة اجتهاده نور الشمس .
- ٢- إشارة إلى الأثر : الكاسب حبيب الله .
- ٣- لا يطلب من الخضر شربة ماء ، وعند الخضر ماء الحياة كما في القصص .
- ٤- همته يقظانه وإن كان جده نائما .
- ٥- يتخيل الشعراء حباب الماء كأسا فارغة وهي في البحر ، فضرِب الشاعر الحباب مثلاً في العفة والإباء .
- ٦- الترجمة العربية : عزام ، عبد الوهاب ، الدكتور : أسرار أثبات الذات . ص ١٤٢ .
- ٧- إشاره إلى ما حكى القرآن الكريم من قول الرسول لأبي بكر في الغار : ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ . (سورة التوبة: ٤٠)

- قوت ایمان حیات افزایش دهد      ورد لا خوف علیهم بایدت (۱)
- چون کلیمه سوئے فرعون رود      قلب او از لا تخف محکم شود (۲)
- بیم غیرالله عمل را دشمن است      کاروان زندگی را رهن است
- عزم محکم ممکنات اندیش ازو      همت عالی تامل کیش ازو
- دشمنت ترسان اگر بیند ترا      از خیابانت چو گل چیند ترا
- بیم چون بنده است اندر پاه ما      ورنه صد سیل است در دریای ما
- لا به و مکاری و کین و دروغ      این همه از خوف می گیرد فروغ
- هر که رمز مصطفی فهمیده است      شرك را در خوف مضمردیده است (۳)
- یا سجين الغم أبصر و اسمع      من رسول الله "لا تحزن" و عی
- ذلك النصیح سرى في قلبه      فغدا الصديق صديقاً به
- نما المسلم مثل الكواكب      باسم في سعيه والتداب
- حرر النفس من الغم ودع      إن عرفت الله أنحلل الطمع
- قوة الإيمان تحيي فاعلمن      ورد "لا خوف علیهم" فاقرآن
- قلبه من "لا تخف" قلب سليم      حين يمضي نحو فرعون كلیم
- خوف غیرالله قتل العمل      وهو للأحياء قطع السبل
- وبه العزم يخاف الغيرا      وترى المقدم منه حذرا
- إن تجلّی لعدو خوفكما      هان كالورد، عليه قطفكما
- غلبا الخوف، وكم في بحرنا      من عباب مائج في دهرنا
- يزهر الخبّ به والملق      ونفاق القلب منه يورق
- كل من يفقد سرّ المصطفى      يحد الإشرک في الخوف اختفى (۴)

۱- إشارة إلى الآية: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا يَحْزَنُونَ﴾. (البقرة ۳۸)

۲- إشارة إلى قصة موسى وفرعون وقول الخالق عن موسى: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ (سورة طه: ۶۸)

۳- کلیات إقبال (فارسی) رموز خودی (ص ۲۱۶، ۲۱۷)

۴- الترجمة العربية: عزام، عبدالوهاب، الدكتور: أسرار نفي الذات، ص ۱۹۷-۱۹۹.

وبالإضافة إلى الصلوة والتسليم من متبعيه خالق الكون والحياة وملائكته له يصلون عليه كما

جاء في القرآن :

﴿إِنَّ اللَّهَ وَالْمَلَائِكَةَ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾. (١)

وينبغي لنا أن نتبع أسوته الحسنة في حياتنا بكل الخلوص . فلو خلت قلوبنا من هذا الخلوص وفيها أثرات الحب لغيره، فصلاتنا وسجودنا غير مفيدة وغير مثمرة، ولا يمكن لنا أن نقف أمام النبي يوم القيامة ، فيجب علينا أن نظهر قلوبنا وأذهاننا عن كل حبٍّ من سواه .

ويؤكد إقبال على اختيار الخلوص ويقول :

ز آستان كعبه دور افتاده ام	تا غلامم در غلامی زاده ام
از خجالت آب میگردد وجود	چون بنام مصطفی خوانم درود
سینه تو از بتان مانند دیر	عشق می گوید که اے محکوم غیر
از درود خود میالانام او (٢)	تاننداری از محمد رنگ و بو
لم یکن مهدي في أرض الحرم	قد بلوت الرق منذ الابتداء
حين يدعو باسمه الغالي فمي	من رسول الله يعروني الحياء
أم غدا صدرك للأصنام ديرا	لك قلب ومع القلب ضمير
تحت حكم الغيرلن تصنع خيرا	أنت للغاصب محکوم أسير
أكذب الأقوال مالم يبدُ فعلا	تدعى الحبَّ لخير الأنبياء
لم یکن للحبِّ أو للقرب أهلاً (٣)	وإذ لم يتبع القول اقتداء

## عشق النبي

ويستخدم إقبال كلمة العشق كثيراً في شعره ، ننظر ماذا يقصد إقبال بكلمة العشق .

يقول الدكتور نجيب الكيلاني :

”إن العشق في مفهومه المطلق هو الشيء الذي يقوي الذات وينميها، ويدفعها إلى الكمال

١- سورة الأحزاب : الآية : ٥٦ .

٢- کلیات إقبال (فارسی) ، مثنوي : پس چه باید کرد اے اقوام شرق : ص ٧٠ .

٣- الترجمة العربية : المصري ، صاوي شعلان : والآن .....ماذا تصنع ؟ يا أمم الشرق ، ص ٣٧٦ .

الخالد، والعشق معناه جذبك لشئي وطلبك إياه ، لتجعله جزءاً من نفسك ، وأسمى صور هذا  
"العشق" وأعلاها". (١)

"ولقد دلّ على أن هذا العشق بمفهومه الحق يدعنا نؤمن أيضاً بمذهبه في (الفردية) لأنه  
يعتقد أن العشق يجعل الطالب فريداً والمطلوب فريد أيضاً، فكيف ذلك؟ إنك إذا طلبت أو عشقت  
شيئاً وتمنيته فإن غيره لا يرضيك ، لذلك فإن ما تطلبه وتقصده فهو فريد في ذاته ، إذ أن غيره لن يقوم  
مقامه في اشباعك وارضائك". (٢)

والعشق هو الذي يثير الرغبة في الكائنات، ويوقظ فيها حمرة الحياة ، فتحس بنعمتها  
وجمالها وروعها ، وغاية العشق تقوية الذات ورفيها ، واليسير بها قدما نحو الحرية والكمال الخالد.  
ويقول إقبال:

علم مقام صفات عشق تماشائ ذات	عشق کی گرمی سے ہے معرکہ کائنات
علم ہے پیدا سوال ، عشق ہے پنہاں جواب	عشق سکون وثبات عشق حیات ومات
عشق کے ادنی غلام صاحب تاج وکین	عشق کے ہیں معجزات سلطنت و فقرودین
عشق سراپا یقین ، اور یقین فتح یاب (٣)	عشق مکان وکین ، عشق زمان وزمین
ثورة في الكائنات	من لهيب العشق ثارت
ق ، وللعلم الصفات	وشهود الذات للعشـ
وحياة وممات	ومن العشق ثبات
عشقنا خافي الجواب	علمنا سئول جلي
زانہ فقرودین	معجزات العشق ملك
لہ عرش مکیں	وعبيد العشق أدناهم
ومکان ومکیں (٤)	ومن العشق زمان
وبہ یفتح باب (٥)	إنما العشق یقین

١- نجيب الكيلاني ، الدكتور : إقبال الشاعر الثائر ، ص ٦٢ .

٢- نفس المرجع .

٣- کلیات اقبال (الاردية) ، ضرب کلیم ، ص ٨٥١ .

٤- هو من يحل في المكان ، وهو لا يستعمل في اللغة العربية كثيراً .

٥- الترجمة العربية : عزام ، عبد الوهاب ، الدكتور : ضرب کلیم ، ص ٢٧ .

- وانظر : نجيب الكيلاني ، الدكتور : إقبال الشاعر الثائر ، ص ٦٥-٦٦ .

فالعشق لازم للفوز والفلاح في الحياة ، فكان إقبال عاشقا للرسول ، حقا لم يكتب مدائح تقليدية في وصف النبي صلى الله عليه وسلم ، إلا أن في مؤلفاته المتأخرة قصيدة من وحي قصيدة البردة للبوصيري ، إذ ألم به مرض ، وكان إقبال في زيارة لإمارة بهوبال في الهند ، في الليلة الثالثة من شهر أبريل سنة ١٩٣٦ م ، رأى السيد أحمد خان (١) في منامه . وشكى له أحوال المسلمين ، فأشار عليه بأن يرفع شكواه إلى الله ، عزوجل ، متشفعا في قبول دعوته لأمته بمدح المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ولما قام إقبال من النوم وجد نفسه تفيض بمشاعر المحبة للرسول الكريم فجاد طبعه بقصيدة في المدح النبوي تشبه فيها بالشاعر العربي ، شرف الدين البوصيري (٢) ويطلب فيها شفاء لأمته الإسلامية “ (٣).

فالرسول صلى الله عليه وسلم عنده اهم آية وتجلّ لروح الإسلام ، ويقول إقبال :

”يمكن أن تنكر الله لكنك لا تستطيع أن تنكر الرسول“ (٤) فالرسول هو الذي قدم الإسلام وفسر ما تلقاه من وحي ، ويذهب إقبال مرارا وتكرارا إلى أن الرسول كان الإنسان المثالي ، أما شخصية الرسول فهي محورية في فكر إقبال في مجموعه ، وكتب في عام ١٩١٢ م في جواب الشكوى .

”أضئى العالم الذي طال اظلامه باسم محمد المنير“ (٥)

وهو أكثر دواوينه اهتماما بالسياسة وأكثرها توجهها نحو القرآن حيث يقول:

”حب الرسول يجري كالدم في عروق الأمة“ (٦)

وفي كتاب ”أسرار خودي“ ذكر الشاعر مقومات حياة الأمة الإسلامية والدعائم التي تقوم عليها، فذكر منها اتصالها الدائم بنبيها صلى الله عليه وسلم ، ولما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم اندفع الشاعر بمدحه . فقال أبياتا لا تزال تعد من غرر المدائح النبوية والأبيات الوجدانية .

- ١- السيد أحمد خان (١٨١٧-١٨٩٨م) أحد دعاة الإصلاح الإسلامي في الهند ، ومؤسس جامعة علي كره.
- ٢- البوصيري ، هو محمد بن سعيد بن حماد الدلاسي (٦٠٨ هـ - ٦٩٥ هـ) .
- ٣- كليات إقبال (فارسي) در حضور رسالت مآب، ص ٩٢ .
- ٤- كليات إقبال (فارسي) اسرار خودي، ص ١٣٠ .
- ٥- می توانی منکر یزدان شدن منکر از شان نبی نتوان شدن
- ٥- أنما ری شمل : أسرار العشق المبدع ، في كتابات محمد إقبال المحاضرة الخامسة في سلسلة محاضرات، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، لندن : متحف فيكتوريا وألبرت الملكي . ١١ نومبر ١٩٩٦ م . ص ١٩ .
- ٦- نفس المرجع .

ويقول :

”إن قلب المسلم عامر بحب المصطفى ﷺ، وهو أصل شرفنا، ومصدر فخرنا في هذا العالم، أن هذا السيد الذي داست أمته تاج كسرى، كان يرقد على الحصير، أن هذا السيد الذي نام عبيده على أسرة الملوك كان يبيت ليالي لا يكتحل بنوم، لقد لبث في غار حراء ليالي ذوات العدد، فكان أن وجدت أمة، ووجد دستور، ووجدت دولة، إذا كان في الصلاة فعيناه تهملان دمعا، وإذا كان في الحرب فيسفه يقطر دماً، لقد فتح باب الدنيا بمفتاح الدين، لم تلد مثله أم ولم تنجب مثله الإنسانية، الذي فتح على الأعداء باب الرحمة، وقال لا تثريب عليكم اليوم“ . (١)

وحب إقبال للنبي صلى الله عليه وسلم يزيد ويقوى مع الأيام، حتى كان في آخر عمره إذا جرى ذكر النبي في مجلسه أو ذكرت المدينة، فاضت عينه، ولم يملك دمعه وقد ألهمه هذا الحب العميق، معان شعرية عجيبة، منها قوله، وهو يخاطب الله سبحانه وتعالى :

”أنت غني عن العالمين وأنا عبدك الفقير، فأقبل معذرتي يوم الحشر، وإن كان لا بد من حسابي، فأرجوك يارب أن تحاسبني بنجوة من المصطفى صلى الله عليه وسلم، فإني استحيي أن انتسب إليه وأكون في أمته، واقترف هذه الذنوب والمعاصي“ . (٢)

وكان محمد إقبال كثير الاعتداد بهذا الإيمان، شديد الاعتماد عليه، يعتقد أنه هو قوته وميزته، وذخره وثروته، وأن أعظم مقدار من العلم والعقل، وأكبر كمية من المعلومات والمحفوظات لا تساوي هذا الإيمان البسيط، يقول في بيت :

”إن الفقير المتمرد على المجتمع، يشير إلى نفسه لا يملك إلا كلمتين صغيرتين، قد تغلغلتا في أحشائه وملكناه عليه فكره وعقيدته وهما: لا إله إلا الله، محمد رسول الله“

وهنالک علماء وفقهاء، الواحد منهم يملك ثروة ضخمة من كلمات اللغة الحجازية، ولكنه

قارون لا ينتفع بكنوزه“ . (٣)

وفي التصوف كان ”جلال الدين الرومي“ شيخ إقبال (٤) فكان شيخه العظيم، علمه أسرار

- ١- الندوي، أبو الحسن علي الحسيني: روائع إقبال، ص ٣٦. وانظر: المحفوظ، حازم محمد أحمد: إقبال شاعر الإسلام. القاهرة: دار البيان للطباعة والنشر، ١٩٩٩م.
- ٢- الندوي، أبو الحسن علي الحسيني: روائع إقبال، ص ٣٧.
- ٣- الغوري، عبدالمجيد: ديوان محمد إقبال، شكوى ومناجاة. الطبعة الأولى، دمشق، بيروت: دار ابن كثير. ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م. ص ٣٩٦-٣٩٧.
- ٤- هو أبو الحسن علي بن العباس ابن جريح، المعروف باسم ابن الرومي، الشاعر في العهد العباسي، ولد ٢٢١هـ وتوفي ٢٨٣هـ في بغداد.

الذات ، ولم يقتصر عليها بل علمه اسرار العشق ، "العشق أن تصبح حياتك سير اعلى الجمر" هو القسوة التي تدفع الناس إلى دين الحق ، يعرف إقبال جيداً أن ذلك العشق المشتعل يتجلى في دعاء الإنسان ، لكن الصلاة والدعاء لا يقومان من أجل الفرد ، فالفرد قد يدعو الله كما يشاء ، وليس له أن يشكو إذا لم يستجب الله لدعائه ، فالمهم أن الإنسان في اتصاله بما هو إلهي في مناجاته ، في تقربه من الإله الحي لا بد أن يتغير ، فالصلاة تحقق الفائدة عند ما يمنح الله الإنسان الفرصة ليعمل مع الله ، ويتقبل إرادة الله ، فتصبح هي إرادته ، وعندئذ فقط يمكنه أن يغير العالم بدعائه وصلواته .

ويشبه إقبال العشق بالنبي المصطفى ، والعقل الجاف هو أبولهب العقل الماكر من الشيطان ، أما الحب ، العشق فمن آدم ، وله بيت أجمل يحسن قراءة من المسلمين فهمه "العلم ابن الكتاب أما العشق فهو أم الكتاب" وتعني عبارة "العشق أم الكتاب" أن العشق أساس كل شيء هو الدافع وراء كل وحي أو كشف . يقول :

"العقل هو السؤال المكشوف والعشق هو الجواب المخفي" (١)

ولم يكف إقبال عن وصف هذا العشق في صور بديعة وباذخعة ، وفي الأبيات التالية خير تعبير

عن سر هذا العشق الجري :

بے خطر کوڈ پڑا آتشِ نمرود میں عشقِ عقل ہے جو تماشا لے لب بامِ ابھی (٢)

"العشق يقفز في نارا النمرود بلا تردد ، والعقل مازال ينظر من أعلى السقف" .

فالعقل يتأني ، ولا يجرؤ على افناء نفسه في لهب الحب ، لكن العشق لا يبالي ، لأنه يعلم أن

الطريق الصحيح هو الفناء في ناراله الحق تعالى :

وفي أبيات أخرى يستخدم مجازاً شهيراً من الشعر الفارسي الكلاسيكي ، صورة الملك

الفتاح محمود الغزنوي ، الذي فتح معبد الأوثان في سومنات بالهند ، ويقول :

جمله عالم ساجد ومسجود عشقِ سومنات عقل را محمود عشق (٣)

سجد العالم للعشق الجليل هو محمود (٤) لأصنام العقول (٥)

١- أنماري شمل : أسرار العشق المبدع ، ص ٣٣ . وانظر: الندوي ، صلاح الدين محمد شمس الدين ، الاتجاه الإسلامية

في شعر محمد إقبال ، قدم له ، المصري ، د . حسين مجيب . الطبعة الأولى . مصر : دار السلفية ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م .

٢- كليات إقبال : بانك درا ، ص ٤٩٥ .

٣- كليات إقبال (فارسي) اسرار خودي ، ص ١٦٤ . وانظر: أنماري شمل : أسرار العشق المبدع ، ص ٣٥ .

٤- السلطان محمود الغزنوي ، فاتح الهند الملقب مكسر الأصنام ، يعني : أن العشق كمحمود ، والعقول كأصنام .

٥- الترجمة العربية : عزام ، عبد الوهاب ، الدكتور : أسرار أثبات الذات ، ص ١٧٢ .

عند إقبال بناء العشق المحمدي على عناصر خمسة وهي :

- ۱- الإخلاص ، ۲- الثقة ، ۳- العمل ، ۴- الفقر ، ۵- حضور القلب
- الآن نلقي نظرة على هذه العناصر .

## ۱- الإخلاص

هو الجزء الأول لتصور العشق و يبين إقبال صفة الإخلاص ويقول :

صدق خليل بھی ہے عشق صبر حسین بھی ہے عشق  
 معرکہ ظلم و جور میں بدر و حین بھی ہے عشق (۱)  
 بالحب قدم ابراهيم واحده وابن الحسين على كف الحسين رومي  
 فسل حنيننا و بدرأ عن حروبهما كم ضرر الحب فيهما من فؤاد كمي (۲)

ولم يبدأ العشق بدون الإخلاص ، ويتقاضى الخلوص أن نبذل كل متاع حياتنا على رضا محبوبنا صلى الله عليه وسلم .

## ۲- الثقة

وعند إقبال العنصر الثاني لتصور العشق هو : "الثقة" وقد نال سيدنا إبراهيم عليه السلام ثروة الثقة واليقين بقوة العشق و فاز مقام العلو بعد النجاح في مجال العشق .  
 ويقارن إقبال بين العشق والعقل في مقام واحد . ويفضل العشق على العقل وبناء العشق على اليقين والثقة .

وعند إقبال اليقين والثقة كيفية النفس والذهن ، وبها يحول الأمر المحال إلى أمر ممكن وتنحل كل المسائل ، وأطلق إقبال على هذا اليقين اسم التقدير الإلهي . فيقول :

تیرے دریا میں طوفان کیوں نہیں ہے خودی تیری مسلمان کیوں نہیں ہے  
 عبث ہے شکوہ تقدیر یزداں تو خود تقدیر یزداں کیوں نہیں ہے (۳)

۱- کلیات اقبال (الاردية) بال جبریل : ص ۷۲۵ .

۲- الترجمة العربية : زهير ظاظا ، الأستاذ : جناح جبریل ، ص ۵۰۰ .

- وانظر : روزنامه نوائے وقت ، ۹ دسمبر ۱۹۹۶م ، تحت عنوان : طاہر القادري ، الذکور : إقبال اور تصور عشق (إقبال و تصور عشق)

۳- کلیات اقبال (الاردية) ، ارمغان حجاز ، ص ۱۱۱۴ .



لماذا لا يحتاج الطوفان بحرك لماذا لا تكون ذاتك مسلمة  
عبث تلك الشكوى من تقدير الله لماذا لا تكون أنت قدر الله (١)

### ٣- العمل

ولدى إقبال بناء العلم على ريب وبناء العمل على يقين، ويبين العلم العهد الماضي، بينما  
العشق اسم التخليق لعهد الغد، محل العلم "العقل" ومحل العمل "العشق".

ويراعى العقل النفع والضرر، بينما العشق يستغنى عنه، يقول إقبال:

عشق دم جبريل، عشق دل مصطفیٰ عشق خدا کا رسول، عشق خدا کا کلام (٢)  
ما الحب؟ ماهو؟ إنه وثبات أوقات الصفا في نفحة الوحي الأمين على فؤاد المصطفى (٣)

### ٤- الفقر

ولدى إقبال العشق هو الفقر، وينقد إقبال منكري الفقر الذين يفهمون العلم وسيلة لحصول المعارف فقط.  
فيقول:

علم کا مقصود ہے پاکی عقل و خرد فقر کا مقصود ہے عفت قلب و نگاہ  
علم فقیہ و حکیم، فقر مسخ و کلیم علم ہے جو یائے راہ فقر ہے دانائے راہ (٤)  
هي ترمي لصقل عقل وفكر وهو يرمي لصوغ عين و قلب  
هو درب بذاته مستقل وهي بحث على مجرد درب  
هو عند الصعاب عيسى وموسى وهي للناس فيلسوف وقاض  
هو للسرّو البصيرة روح وهي ليست سوى أقاويل ماض (٥)  
ثم يقول:

فقر ذوق وشوق وتسلیم رضا است ما امینیم، این متاع مصطفیٰ است (٦)

١- الترجمة العربية: سمير عبد الحميد إبراهيم، الدكتور: هدية الحجاز، ص ٥٣٣.

٢- کلیات إقبال (الاردية) بال جبریل، ص ٦٩٩.

٣- الترجمة العربية: زهير ظاظا، الأستاذ، جناح جبریل، ص ٤٧٨.

٤- کلیات إقبال (الاردية) بال جبریل، ص ٦٦٩.

٥- الترجمة العربية: زهير ظاظا، الأستاذ: جناح جبریل، ص ٤٦٤.

٦- کلیات إقبال (فارسی): پس چه باید کردای اقوام شرق، ص ٣٦.

- وانظر روزنامه نوائے وقت: الجريدة اليومية، نداء الوقت، ٩ دسمبر ١٩٩٦ م.

حاله ذوق و شوق و رضا      ثم تسليم لما الله قضى  
يالہ کنز ابہ العیش صفا      فهو ميراث النبي المصطفى (۱)  
ثم يقول:  
فقر کے ہیں معجزات تاج و سریر و سپاہ      فقر ہے میروں کا میر، فقر ہے شاہوں کا شاہ (۲)  
لیس یقوی علی القلندر دھر      قلبہ تحت عرشہ مستقرہ  
سرہ لیس فی العلوم ولكن      علمہ بالتجرد الحق سرہ (۳)  
فالفقر عند إقبال لیس باسم ترك الملابس ، وترك الزوجة واختيار الرهبانية ، بل هذا سکینة  
القلوب وسبب الافتخار لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

## ۵۔ حضور القلب

و یبین إقبال هذه الصفة و یقول :  
عقل گو آستان سے دور نہیں      اس کی تقدیر میں حضور نہیں  
دل بیٹا بھی کر خدا سے طلب      آنکھ کا نور دل کا نور نہیں  
بے حضوری ہے تیری موت کا راز      زندہ ہو تو بے حضور نہیں (۴)  
رغم أن العقل لا يمنعه قرب وبعد      إنه والحق، ما أهل للحضرة بعد  
اسأل الله تعالى والتمس عینا لقلبك      إنها أئمن ما تكسبه من فضل ربك  
أنا لا أنكر أن العلم للنفس حبور      هو فردوس ولكن فارغ ما فيه حور (۵)  
عند إقبال يتألف العشق بهذه خمسة عناصر . فيعطى البشر حياة لا تعرف الموت ، بل يكون  
الموت بنفسه له رسالة الحياة الأبدية .

فیقول إقبال :

”أن شخصية محمد صلى الله عليه وسلم كالبحر بدون الشواطئ وكل موجودات مملوءة  
بامواجها ، فيجب عليك أن تروی نفسك من هذا البحر لكي تلقى حياة الجديد“ . (۶)

- ۱- الترجمة العربية : المصري ، صاوي شعلان، الشيخ: والآن..... ماذا نضع ؟ يا أمم الشرق ، ص ۳۵۸ .
- ۲- کلیات إقبال (الأردية) ، بال جبریل ، ص ۶۶۹ .
- ۳- الترجمة العربية : زهير ظاظا ، الأستاذ ، جناح جبریل ، ص ۴۶۴ .
- ۴- کلیات إقبال (الأردية) ، بال جبریل ، ص ۶۰۷ .
- ۵- الترجمة العربية : زهير ظاظا ، الأستاذ : جناح جبریل ، ص ۴۴۰ .
- ۶- نوائے وقت (نداء الوقت ) ۱۴ ینایر ۱۹۹۵ م . تحت عنوان ”القادري ، محمد طاهر ، الدكتور : إقبال اور پیغام عشق رسول (إقبال ورسالة العشق محمد صلى الله عليه وسلم )

وعند إقبال عشق النبي سر الدين و وسيلة الدنيا وبدونه لا مقام للانسان لافي الدنيا ولا في

الدين ، فيقول إقبال :

”أيما تجد في الدنيا اللون والرائحة والحسن والجمدة ، فتنور بعشق المصطفى وكن أسير

حبه“ . (١)

فيؤكد إقبال على طاعة الله وطاعة الرسول . فكلاهما في منزلة واحدة . كما قال الله تعالى:

﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ . (٢)

ويرى إقبال أن طاعة الله والرسول الشرط الأول لتقوية الذات ، كما قال الله تعالى في القرآن

الحكيم : ﴿اطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٣)

أرشدنا إقبال إلى محبة الرسول وكتب كثيرا عن عشق الرسول وتعلم إقبال عشق النبي من

القرآن الحكيم .

قال الله تعالى :

﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (٤)

وحب إقبال لرسول الله كان حبا صادقا ولهذا يحب من أحب الرسول بقلبه ويذكرهم بكل

سرور وافتخار . وفيها قصتان .

الأولى : قصة غازي علم الدين ، هو الذي نال عقوبة الموت من المحكمة على قتل راجيال ،

وهو الذي نشر الكتاب بوقاحة في عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم . فكانت تاثرات إقبال واضحة

في هذه القصة فقال هذه الكلمة مرارا :

كنا مشغولين في أقوال فقط وولد النجار تفوق علينا ونال منزلة الشهادة في حب النبي صلى

الله عليه وسلم“ . (٥)

ثم يذكر قصة غازي عبدالقيوم ، الذي كان من كراتشي ، وقتل ”نتهورام“ من حيدرآباد

سنده وطبع كتاب باسم ”هستري آف إسلام“ (تاريخ الإسلام) واستخدم فيها كلمات

١- الفاروقي ، محمد طاهر ، الدكتور : إقبال اور محبت رسول (الأردنية) . الطبعة الثانية ، لاهور ، باكستان : طيب

إقبال برنترز ١٩٩٥ م . ص ١٢٠ ، ١٣٠ .

٢- سورة النساء ، الآية : ٨٠ .

٣- سورة آل عمران ، الآية : ١٣٢ . وانظر : سورة النور ، الآية : ٥٦ .

٤- سورة آل عمران ، الآية : ٣١ .

٥- وحيد الدين ، السيد : روزگار فقير (الأردنية) ، ٣٠/٢ .

غير الملائمة لشخصية النبي صلى الله عليه وسلم وشتم فيه الرسول صلى الله عليه وسلم فقتله  
عبدالقيوم بضروب السكينة الحادة ، فنال عقوبة الموت ، فجاء وفد من المسلمين عند إقبال لكي  
يستخدم اختياراته بتخفيف عقوبة عبدالقيوم ، فسكت إقبال لدقيقة ثم قال :

”ماذا يقول عبدالقيوم ، أهو يريد تخفيفاً في عقوبته ؟ فقال الوفد ، لا ، بل هو يقول ، ”أنا  
مطمئن بما فعلت ، وبهذا العمل تمنيت الشهادة واشتريت الجنة“ ، عند ما سمع إقبال هذا ، تغير وجهه  
فقال: إذا يقول ، يشتري الشهادة والجنة ، ولماذا أنا أكون حائلاً بينه وبين الشهادة ، هو سعيد ،  
وهذه رحمة الله ويختص الله بها من يشاء ، ثم سألت الدموع من عيونه “ (۱).

وتأثر إقبال بهاتين القصتين وبيّن تاثراته في ثلاثة أبيات ، التي طبعت في ”ضرب كلیم“

بعنوان ”لاهور وكراتشي“ .

ويقول :

موت کیا شے ہے فقط عالم معنی کا سفر	نظر اللہ پہ رکھتا ہے مسلمان غیور
قدر و قیمت میں ہے خون جن کا حرم سے بڑھ کر	ان شہیدوں کی دیت اہل کلیسا سے نہ مانگ
حرف لاتدع مع اللہ الہا آخر (۲)	آہ ! اے مرد مسلمان تجھے کیا یاد نہیں
مسلم ما آمرا	قد تولى الله عبد
لم روح سافرا	هو بالموت إلى عا
لخلود آثرا	كيف تفدون شهيدا
وأغلى جوہرا	دمه من حرم أعلى
نیسا مادری	آہ للمسلم غفلان
إلہا آخر (۳)	سرّ (لا تدع مع اللہ

يقول الدكتور رفیع الدین الهاشمی :

- ۱- وحید الدین ، السید: روزگار فقیر ، ۲/۳۱-۳۲.
- ۲- کلیات اقبال (الاردیة) ، ضرب کلیم ، ص ۹۰۷.
- وانظر: وحید الدین ، السید: روزگار فقیر ، ۲/۳۸-۳۹.
- سورة الشعراء ، الآية : ۲۱۳.
- ۳- الترجمة العربية ، عزام ، عبدالوہاب ، الدكتور: ضرب کلیم ، ص ۵۰.

”عند إقبال في المجتمع الإسلامي اسم محمد صَلَّى اللهُ عليه وسلّم اسم أعظم ، الذي يفتح قفل القلوب ، ويتغير الفشل إلى الفلاح والنجاة والظلمة في النور والحياة الصعبة إلى الحياة السهلة والسكينة“ . (۱)

ويقول إقبال :

سید کل صاحب أم الكتاب      یرد گیہا بر ضمیرش بے حجاب (۲)  
 (سید الکونین وصاحب أم الكتاب      وکل حجاب مکشوف علی ضمیرہ)  
 أي أنه يشاهد بالبصيرة كل ما في السموت والأرض . ثم يقول في مدح النبي:  
 هر که عشق مصطفی سامان اوست      بحر و بر در گوشه دامان اوست (۳)  
 (کل من يكون متاعه عشق المصطفی      يكون البر والبحر في طرف ذيله )  
 ويتقین إقبال أن حياة الملة ومحور الكون وطمأنينة الروح بفضل عشق المصطفی .  
 فيقول:

زانکه ملت را حیات از عشق اوست      برک و ساز کائنات از عشق اوست (۴)  
 (حياة الملة بسبب عشقه      وبهاء الكون بسبب عشقه)  
 وينصح إقبال الأمة الإسلامية قائلًا :

سوز صديق وعلی از حق طلب      ذره عشق نبی از حق طلب (۵)  
 ”اطلب من الله حرقه الصديق وعلی      واطلب من الله ذرة عشق النبي“  
 ثم يقول :

روح را جز عشق او آرام نیست      عشق او روزیست کورا شام نیست (۶)  
 ”لا يشعر الروح الراحة بدون عشقه      وعشقه كالنهار لا يسيطر عليه الليل“

ويحب إقبال أرض حجاز بأنها مدينة النبي ويريد إقبال أن يعيش حياته في مدينة النبي ويقرّ عيونته بمناظرها .

- ۱- الهاشمي ، رفيع الدين ، الدكتور : علامة إقبال اور مير حجاز (الأردنية) . مصر: دار السلفية . بدون التاريخ . ص ۱۷ .
- ۲- کلیات إقبال (فارسی) پیام مشرق ، ص ۲۴ .
- ۳- نفس المرجع ، ص ۲۶ .
- ۴- نفس المرجع ، ص ۲۸ .
- ۵- نفس المرجع ، ص ۲۶ .
- ۶- نفس المرجع ، ص ۲۸ .

وہنا يحضر إقبال علی ضريح المصطفى ويطلب منه كرمه وفضله بعد ذكر حرمانه .  
فيقول:

بهر دھلیز تو از ہندوستان آوردہ ام      سجلہ شوق کہ خون کردید در سیمک من (۱)  
إليك جئت في سجود وجد      سیمہاہ فوق جبہتی تفسور (۲)  
ثم يقول:

توت عشق سے ہر پست کو بالا کردے      دہر میں اسم محمد سے اُجالا کردے (۳)  
فباسم محمد شمس البرایا      أقيمت خيمة الفلك المنير (۴)  
ويقول في موضع آخر:

کی محمد سے وفا تو نے تو ہم تیرے ہیں      یہ جہاں چیز ہے کیا لوح و قلم تیرے ہیں (۵)  
فيامن هب للإسلام يدعو      وأيقظ صدق غيرته الوفاء  
سترفع قدرك الأقدار حتى      تشاهد أن ساعدك القضاء  
وقيل لك احتكم دنيا و آخری      وشانك والخلود كما تشاء (۶)

ويؤمن إقبال أن في رحي الظلم والبغي ، لا يجد مومن سلاحا إلا حب النبي ، يذود به عن  
نفسه ويرد به كيد عداه .

وفي قصائده يتحدث إقبال عن صفات النبي ويتمنى أن يتحلى المؤمنون بها . فيقول:

عزم و تسليم و رضا آموزدش      در جہان مثل چراغ افروزش  
من نمیدانم چہ افسوس میکند      روح را در تن دگرگون می کند  
صحبت او هر خرف را در کند      حکمت او هر تھی را پُر کند (۷)  
وحبه يعمر الصدور الخوالي      بقلوب جديدة الايمان

- ۱- کلیات إقبال (فارسی): پیام مشرق ، ص ۳۴۲ .
- ۲- الترجمة العربية: عزام عبدالوہاب ، الدكتور: رسالة الشرق ، ص ۳۲۰ .
- ۳- کلیات إقبال (الأردنية): بانك درا ، ص ۳۶۰ .
- ۴- المصري ، صاوي شعلان ، الشيخ: صلصلة الجرس ، ص ۱۰۹ .
- ۵- کلیات إقبال (الأردنية) ، بانك درا: ص ۳۶۲ .
- ۶- المصري ، صاوي شعلان ، الشيخ: بانك درا ، ص ۱۱۰ .
- ۷- کلیات إقبال (فارسی): پس چہ باید کرد ای اقوام شرق ، ص ۲۲ .

درسه العزم والرضا المحض والتسليم منه في السر والإعلان

كسراج يشق قلب الديو جير باهر الضوء ساطع البرهان

يصبغ الروح في الجسم بلون غير كل الرسوم والألوان (۱)

وهكذا نرى أن حياة إقبال كانت مملوءة لعشق النبي منذ طفولته إلى وفاته، ويقول أحد كبار نقاد

العرب (۲) إذا كان حسان شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم فإن محمد إقبال، شاعر الرسالة.

ولكن يقول السعيد جمال الدين:

”نقول أن ”محمد إقبال“ لم يكن شاعر الرسالة فحسب، بل كان كحسان رضي الله عنه

شاعر الرسول أيضاً، فكان إقبال بذلك شاعر الرسول والرسالة في عصرنا الحديث“ (۳).

- ۱- الترجمة العربية: شعلان، صاوي على، الشيخ: الأن..... ماذا نصنع يا أمم الشرق، ص ۳۴۹.
- ۲- هو الأستاذ أحمد حسن الزيات وألقى هذه الكلمة بجامعة القاهرة، سنة ۱۹۵۶ م.
- ۳- جمال الدين السعيد وسعيد أحمد، أمجد حسين: نخبة من آراء مفكري العرب حول محمد إقبال، ص ۶۳.
- وانظر إقبال وعشق النبي في كتب التالية:
- صديقي، شمس الدين، الدكتور، وجعفري، مرتضى اختر، الدكتور: مجله خيابان دانائے راز، ۱۹ اکتوبر ۱۹۷۷ م، بشاور، ص ۲۶۴-۲۸۸. وانظر: سليم اختر، الدكتور، إقباليات کے نقوش (الأردنية)، ص ۶۷۵-۶۸۶.
- منظور جاوید خان، الدكتور، كلام إقبال اور عشق رسول (الأردنية) روزنامه (الجريدة) امروز ۲۰ نومبر ۱۹۸۸ م.
- حافظ لدهيانوي، عشق رسول مقبول اور علامه اقبال، نوائے وقت (نداء الوقت) ۲۴ اکتوبر، ۱۹۹۶ م.
- اصغر يعقوب، ذکر إقبال، ص ۴۲، ۴۵، ۴۷.
- عابد علوي عابد، السيد، شعر إقبال، ص ۲۰۷-۲۱۰.
- شمس تبريز خان، مولانا (نقوش إقبال (الترجمة الأردنية)، روائع إقبال، لأبو الحسن علي ندوي، سيد مولانا) ص ۲۸، ۲۹.
- مقصود أحمد، حب رسول اور تصور مومن (الأردنية) روزنامه (الجريدة امروز) ۲۰ مايو ۱۹۹۰ م.
- عبدالحميد إبراهيم، سمير: أرمغان حجاز، ص ۲۹۹.
- عبدالحميد إبراهيم، سمير، ديوان الأسرار والرموز، ص ۳۴.
- سعيد بدر: عشق رسالتاب اور إقبال (الأردنية) روزنامه (الجريدة) امروز، ۲۱ اکتوبر ۱۹۸۸ م.
- أنور سديد، الدكتور: إقبال شناسی اور ادبی دنیا، ص ۱۳۹-۱۴۸.
- صديقي، إفتخار أحمد، الدكتور: عروج إقبال، شخصیت اور فکروفن کے ارتقاء کا دور بلور جائزہ (الأردنية) ص ۱۴۰-۱۴۳.
- أحمد گیلانی، حورشيد، علامة إقبال جن کا سرمایہ هستی تھا، فقط عشق رسول، ص ۳۰۹-۳۱۴، من مجموعہ مقالات بين الأقطامي فكر إقبال سيمينار، ۷، ۸، نومبر ۱۹۹۶ م. وانظر: رسائل إقبال إلى الأصدقاء، تحت موضوع حب رسول. بنام غلام میران شاه، إقبال نامه، ۱/۲۲۲. بنام سراس مسعود، إقبال نامه، ۱/۳۸۲. بنام مولانا اکبر اله آبادي، إقبال نامه، ۲/۶۸. وبنام صالح محمد، إقبال نامه، ۲/۳۹۷. معين الرحمن، سيد، الدكتور: جهان إقبال، ص ۹۰.
- رحيم بخش شاهين، الدكتور: علامة إقبال سيرت و پیام (الأردنية) الجريدة امروز ۲۸ يونيو ۱۹۹۱ م.
- إقبال اور عشق رسول، عشق رسول إقبال کی شاعری کا محور ہے (أساس كلام إقبال على عشق الرسول) روزنامه الشرق، ۱۰ يونيو ۱۹۹۱ م.
- خادام حسين، تحمل حسين: إقبال کی نثری تحریروں میں عشق رسول کی ضیاباریان (الأردنية) ضیاء عشق النبي في نثر إقبال، ص ۵۵۴-۵۵۹. مجلة الكلية الشرقية بجامعة بنجاب، جشن إقبال نمبر ۱۹۷۷ م.
- تحسين فراقی، الدكتور: علامه اقبال اور ثناء خواجه، ص ۱۰۵ إلى ۱۲۵.

## حقيقة "عبده" أم حقيقة محمدية صلى الله عليه وسلم

ويبين إقبال "الحقيقة المحمدية" صلى الله عليه وسلم بلسان الحلاج (١) الذي تحدث عن الحقيقة المحمدية قبل أحد عشر قرناً قريباً في تأليف رسالة الخلود فقد أشار الحلاج إلى المعراج النبوي وتحدث عن أوصافه ونوره الذي خلق قبل كافة الموجودات .

فقال :

"همته سبقت الهمم ووجوده سبق العدم ، واسمه سبق القلم ، لأنه كان قبل الأمم ، ما كان في الآفاق وراء الآفاق . وهو سيد البرية الذي اسمه أحمد ، ونعته أوحده" . (٢)

ثم يسأل زنده رود أي إقبال ، ما سر هذا الجوهر المسمى المصطفى ، أهو إنسان أم جوهر في الوجود؟ ذلك الذي نادراً ما يأتي إلى الوجود؟

ويرد عليه الحلاج قائلاً:

"إن الدنيا لتحنى الجبين أمامه ، لقد سماه الله نفسه عبده"

وعبده فهو إنسان وجوهر في نفس الوقت ، وأن جوهر ليس عربياً ولا عجمياً، هو إنسان وما

زال أقدم من الانسان" . (٣)

في شعر إقبال :

خويش را خود عبده فرموده است	پیش او گیتی جبین فرسوده است
زانکه اوهم آدم وهم جوهر است	عبده از فهم تو بالاتر است
آدم است وهم ز آدم اقدم است	جوهر او نه عرب نه اعجم است

١- هو الحسين بن منصور أبو مغيث ، كان من عظام فلاسفة الإسلام ، وكبار الصوفيين الزهاد، أصله من البيضاء، بفارس، عاش في خلوات الصوفية لا سيما مع الجنيد وسهل التستري ، اتهم بالزندقة والقول بالحلول، فحكم عليه ، وسجن ثمان سنوات ثم عذب وصلب عام ٣٠٩ هـ / ٩٢٢ م ، له كتب كثيرة ، لم يبق منها "إلا" كتاب الطواسين " في شرح مذهبه الذي أنشأ في التصوف ، وأثار حوله الجدل ، فقدمه البعض وكفره آخرون . (الغوري، عبدالماجد ، السيد: ديوان محمد إقبال).

٢- محمد سعيد جمال الدين ، الدكتور : رسالة الخلود (جاويد نامه ) ص ٢٣١ .

٣- نفس المرجع



عبده صورت گرتقديرها اندرو ويرانه هاتعميرها (١)  
 عفرالعالم خدّا عنده نفسه سمّى النبي عبده“  
 عبده فهمالديك تبهر إنه الإنسان وهو الجوهر  
 ليس من عرب وليس الاعجما آدم بل كان منه الاقدما  
 عبده قد شگلت هذا القدر بالفيافى الخصب منها قد ظهر (٢)

ثم يذكر اقبال على لسان الحلاج بعض صفات الذات الالهية على ”عبده“ فهو يقول:

عبده هم جانفزا هم جانستان عبده هم شيشه هم سنك گران  
 عبد ديگر عبده چيزه دگر ماسراپا انتظارا ومنتظر  
 عبده دهر است و دهر از عبده است ماهمه رنگيم او بے رنگ و بوست  
 عبده با ابتدا بے انتهاست عبده را صبح و شام ما كجاست  
 كس ز سرّ عبده آگاه نيست عبده جز سر الا الله نيست (٣)  
 احييت الأرواح وهي تقتل والزجاج، وهي صخر يثقل  
 غير عبد ”عبده“ فلتعتبر وله اطال انتظار المنتظر  
 عبده الدهر و كان الدهر منها كلنلون ويناى اللون عنها  
 ولها البدء ومن غير انتهاء مالدبها مثل صبح أو مساء  
 مادرى الإنسان قط سرّها سر الا الله كان ذكرها (٤)

”فعبده مشكل ومصور للأقدار، فيه الصحارى والخرائب، وفيه الأماكن المزدهرة العامرة،  
 وعبده يحي الروح ويأخذها، عبده زجاج وهو حجر ثقيل، فهو المحي والمميت، وهو مظهر  
 الرحمة الالهية (زجاج) كما أنه مظهر للغضب الإلهي (حجر ثقيل) العبد شئ وعبده شئ آخر، أما  
 عبده فقد كان الله ذاته تعالى شأنه، ينتظر عندما دعاه ليلة الاسراء والمعراج لرؤيته، ويستطرد الحلاج  
 في نسبته بعض الصفات الإلهية إلى عبده قائلا: عبده هو الدهر والدهر من عبده، إننا كلنلون وهو

١- كليات اقبال (فارسي) جاويد نامه، ص ٢٣٨.

٢- الترجمة العربية: المصري، د. حسين مجيب: رسالة الخلود، ص ٢٦٢.

٣- كليات اقبال (فارسي) جاويد نامه، ص ٢٤٠.

٤- الترجمة العربية، المصري، د. حسين مجيب: رسالة الخلود، ص ٢٦٢.

## بلالون ورائحة.

وعبده ذو بداية ولا نهاية له ، وعبده ذو بداية لأنه مخلوق ، ولا نهاية له لأنه متحرر من قيود الزمان والمكان ، إنه ليس مثلنا مكبلاً بأغلال الزمان والمكان. و"عبده" ليس سوى سر الاله "أن سره هو لا اله الا الله ، أنه سر إلهي ، ومعرفته معرفة الله ذاته". (١)

ثم يصل هنا إلى مرحلة التصريح .

فيقول :

لا اله تبيغ و دم او عبده	فاش ترخواهي بگو هو عبده
عبده چند وچگون كائناات	عبده راز درون كائناات
مدعا پيدانگردد زين دو بيت	تانه بينى از مقام مارميت
بگزر از گفت وشنود اے زنده رود	غرق شد اندر وجود اے زنده رود (٢)
لا اله السيف وهي حده	ولتصريح ولتقل هو عبده
عبده كنه جميع الكائناات	عبده فيها معان مغلقات
ولهذا الشعر معنى ما فهمت	قبل فهم قول ربي مارميت
دعك من هذا الكلام زنده رود	امض وليغرقك ذياك الوجود (٣)

كما يذكر الله تعالى في القرآن الحكيم :

﴿وَمَا رَمَيْتْ إِذْ رَمَيْتْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ (٤)

ويقول سعيد جمال الدين في هذا الصدد:

"ويمكننا أن نقول أن إقبال حاول أن يجري بعض التعديل على مذهب الحلاج في هذا الصدد، فقد نسب الحلاج إلى نفسه جميع الصفات الإلهية عدا صفة الألوهية والربوبية ، وهو يناجى ربه "لا فرق بيني وبينك إلا الالهية والربوبية" ولكن إقبال يعمد بين مذهب غالب في رحمة للعالمين باعتباره غاية التخليق وخاتم النبيين ، وبين أنا الحق عند الحلاج باعتباره تجلياً للذات الإلهية نفسها بأغلب صفاتها في نفس إنسانية .

١- محمد سعيد جمال الدين ، الدكتور ، رسالة الخلود ، ص ٢٣٣ .

٢- كليات اقبال (فارسي) جاويد نامه ، ص ٢٤٠ .

٣- الترجمة العربية: المصري ، د. حسين مجيب : رسالة الخلود ، ص ٢٦٢-٢٦٣ .

٤- سورة الانفال ، الآية : ١٧ . أي لم تقتلوهم بيدربقوتكم ولكن الله قتلهم بنصره اياكم ..... وما رميت يا محمد عين القوم إذ رميت بالحصى ، فان كفاً من الحصى لا يمكن أن تملأ عيون الجيش العظيم أن كان الرامي من البشر ، ولكن الله رمى ليقهر الكافرين .

ويخرج منها بنظرية عبده هذه التي شرحها على لسان الحلاج وبين الحلاج "الحقيقة المحمدية" كما ورد في كتاب أخبار الحلاج:

أ أنت أم أنا هذا في الهين      حاشاك حاشاك من اثبات اثنين  
فأين وجهك عني حيث كنت أرى      فقد تبين ذاتي حيث لا أيني  
وأين وجهك مقصود بناظرتي      في باطن القلب أم في ناظر العين  
بيني وبينك أني يزاحمني      فأرفع بأنيك أينى من البين

فيقول في شرح هذا الأبيات "لا يسلم لاحد معناها إلا لرسول الله استحقاقا ، ولى تبعا". (١)  
وهذه هي حقيقة العبد لدى إقبال .

### في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم

لقد عاش الدكتور محمد إقبال شاعر الإسلام وفيلسوف عصره مدة حياته في حب النبي ،  
والأشواق إلى مدينته ، وتغني بهما في شعره الخالد وتمسك إقبال بسنة المصطفى بكل حياته و وجد  
أنه يعصم الإنسان من الزلل.

ويقول في بعض أشعاره :

"لم يستطع بريق العلوم الغربية أن يبهز لبيّ ويعشى بصري ، وذلك لأنني اكتحلت بأثم  
المدينة المنورة".

ويقول:

"مكثت في أتون التعليم الغربي ، وخرجت كما خرج إبراهيم من نار النمرود". (٢)

ويقول :

"لم يزل ولا يزال فراعنة العصر يرصدونني ، ويكمنون لي ، ولكني لا أخافهم ، فأنا أحمل اليد  
البيضاء..... لا تصبحوا إذا اقتنعت النجوم وانقادت لي الصعاب ، فأنتني من أتباع ذلك السيد العظيم الذي  
تشرفت بوطأته الحصباء ، فصارت أعلى قدراً من النجوم ، وجرى في إثره الغبار ، فصار أعبق من العبير". (٣)  
فقد طفح الكأس في حب النبي في آخر حياته ، فكان كلما ذكرت المدينة فاضت عينه

١- محمد سعيد جمال الدين ، الدكتور : رسالة الخلود (جاويد نامه) ص ٢٣٤ .

٢- جمال الدين ، محمد السعيد أحمد ، أمجد حسين : نخبة من آراء مفكري العرب حول محمد إقبال . القاهرة :  
سفارة باكستانية . بدون التاريخ . ص ٦١ .

٣- نفس المرجع ، ص ٦٢ .

- وانظر : الندوي ، أبو الحسن ، العلامة : روائع إقبال ، ص ٢٥ .

وانهمرت الدموع ولكن مع هذا الحب لم يقدر له الحج وزيارة الرسول بحسبه الضعيف الذي كان من زمان يعاني الأمراض والأسقام . ولكنه رحل إلى الحجاز لرفعة فكره وشعره العذب وقلبه الجنون، وحلّق في أجواء الحجاز، وتحدث إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم بما شاء قلبه ووجهه، وأخلصه ووفاءه ، وتحدث إليه عن نفسه وعن عصره ، وعن أمته ، وعن مجتمعه .

ويقول الندوي في هذا الصدد:

وقد فاضت في هذا الحديث قريحة الشاعر، وانفجرت المعاني ، والحقائق التي كان الشاعر يغالبها ويمسك بزمامها ، فكان شعره في النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه من أبلغ أشعاره وأقواها ، وكان حشاشه نفسه ، وكان تصويرا لعصره ، وتقريراً عن أمته ، وتعبيراً عن عواطفه “ (۱).

ويتخیل إقبال أنه سافر إلى مكة والمدينة ثم يخاطبه إلى رسوله الكريم ويقول :

گرد تو گردد حریم کائنات	از تو خواهم يك نگاه التفات
ذکر و فکر و علم و عرفانم توئی	کشتی و دریا و طوفانم توئی
آهوائے زار و زبون و ناتوان	کس به فتراکم نه بست اندر جهان
کار ایس بیمار نتوان برد پیش	من چو طفلان نالم از داروے خویش
چون بصیری از تو می خواهم کشود	تا بمن باز آید آن روزے که بود
مهر تو بر عاصیان افزون تر است	در خطا بخشى چو مهر ما در است
اے وجود تو جهان را نوبهار	پر تو خود را دریغ از من مدار
خود بدانی قدر تن از جان بود	قدر جان از پر تو جانان بود
تا ز غیر الله ندارم هیچ امید	یا مرا شمشیر گردان یا کلید
تیشه ام را تیز تر گردان که من	محتی دارم فزون از کوهکن
بنده را کونخواهد ساز و برگ	زندگانی بے حضور خواجه مرگ (۲)
یا من تطوف الکائنات حول حرمة	أرجوا منك نظراً لثبات
أنت في ذکري وفکري و علمي و عرفاني	وأنت سفینتني و بحري و طغاني
فما أشبهني بغزال عاجز ضعيف	لکنه لم يقع في شرك أحد من العالمين

۱- الندوي ، أبو الحسن علي الحسن : روائع إقبال ، ص ۱۱۷-۱۱۸ .

۲- کلیات إقبال (فارسی) پس چه باید کرد ای اقوام شرق ، ص ۹۶-۹۸ .

وعلاج هذا المريض صعب للغاية  
فأريد منك حلّ هذه المشكلة مثل البوصيري  
رباه إن عفوك أوسع من ذنوب العاصين  
يا رسول الله إن وجودك ربيع للعالم  
حياة الجسم من الروح  
فماذا دام ليس لي في غير الله أمل  
فأعط فأسى حدا حدا  
أن العبد الذي لا يريد من الدنيا متاعا  
حياته بغير حبك موت (١)

## الحضور في حضرة الرسول

وعندما يصل إقبال في تصوراتهِ ديار حبيبه يخاطب صاحب الرسالة قائلاً:

بجشم من نكهة آورده تُست  
فروع لا اله آورده تست  
دو چارم كن به صبح من رآنى  
شيم راتاب مه آواره تست (٢)  
جبوت العين بالبصر البصير  
وقوله "لا إله" كفيض نور  
وفجراً فلتهب من "من رآني" (٣)  
فليلى منك ذوالبدر المنيرا (٤)  
جهاں از عشق و عشق از سينه تست  
سرورش از مے ديرينه تست

- ١- محمد إقبال: من مثنويات: "والآن ماذا نصنع يا أمم الشرق: الترجمة العربية: يوسف عبدالفتاح فرح، ص ٧١-٧٢.
- وانظر: تحسين فراقى، الدكتور: علامة إقبال اور ثنائى خواجه، تحت عنوان: "جستجو" (الأردنية)، ص ١٣٠-١٤١.
- ٢- كليات إقبال (فارسي) ارمغان حجاز، ص ١٠٠.
- ٣- اشارة إلى القول جاء فيه (مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى اللَّهَ) كذا في الأصل.
- ٤- الترجمة العربية: المصري د. حسين مجيب: هدية الحجاز، ص ٤٥٠.

جزایں چیزے نمیدانم ز جبریل کہ او یک جوهر از آئینه تست (۱)  
 ومن عشق لنا الدنيا بصدرك وتفرح فرحه نشوی بصدرك  
 فمن جبریل؟ انی لست أدري أبعدت جوهرأ مـرآة صدرك (۲)  
 ويريد إقبال أن يستمر في مخاطبته بالرسول صلى الله عليه وسلم ولكنه يفكر أن هذا المقام  
 أرق من العرش يستلزم أدبه ، فيطرق رأسه ويعرض عرضه قائلاً:

زبان ما غریبان از نگاهيست حديث درد منداں اشك و آهيست  
 كشادم چشم و بر بستم لب خویش سخن اندر طریق ما گناهيست (۳)  
 غریب ، لي لسان وهو نظره وذوالم تكلمه بعبره  
 فمي أو صدت ، بالعینین أرنو فشرعی لا یجیز القول مرّه (۴)  
 الآن يفكر إقبال في طلب روية حبيبه وهو متيقن بقبول طلبه :

دریس وادی زمانی جاودانی زخاکش بے صور روید معانی  
 حکیمان با کلیمان دوش بر دوش که این جاکس نگوید ولن ترانی (۵)  
 بوادینا خلود للزمان بلاصورنمت فيه المعانی  
 حکیم دائماً آخی کلیمآ لسان ساکت عن (لن ترانی) (۶)  
 هنا يفيض الشاعر بمكنون صدره مخاطباً رفيقه في السفر :

بیای هم نفس باهم بنالیم من و تو کشته شانِ جمالیم  
 دو حرفے بر مراد دل بگوئیم بیایه خواجه چشمان را بمالیم (۷)  
 أنیس الروح بادلنی شکاتی وقل مثلی "بذی حسن مماتی"

- ۱- کلیات إقبال (فارسی) ارمغان حجاز ، ص ۱۰۴ .
- ۲- الترجمة العربية :المصري، د. حسين مجيب: هدية الحجاز ، ص ۴۵۰ .
- ۳- کلیات إقبال (فارسی) ارمغان حجاز ، ص ۸۴ .
- ۴- الترجمة العربية : المصري ، د. حسين مجيب : هدية الحجاز ، ص ۴۴۶ .
- ۵- کلیات إقبال (فارسی) ارمغان حجاز ، ص ۵۶ .
- ۶- أراد إقبال قوله تعالى سورة الاعراف، الآية: ۴۳ ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ ..... وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الترجمة العربية: المصري، د. حسين مجيب: هدية الحجاز ، ص ۴۳۹ .
- ۷- کلیات إقبال (فارسی) ارمغان حجاز ، ص ۵۴ .

لنمسح موضع القدمين“ فاهمس ”بأجفان رقاق دامعات (۱)  
 والشاعر هنا بشدة لوعة الحب يأخذ في كنس ديار الحيب بأهدا به وكذلك يدعوا الملك  
 عبدالعزيز آل سعود الذي كان سلطان الحجاز آنذاك إلى حب المصطفى قائلاً:  
 توهم آن مے بگير از ساغر دوست که باشی تا ابد اندر بردوست  
 سجودے نيست اے عبدالعزیزاين برويم از مژہ خاک در دوست (۲)  
 إليك الرّاح من كأس الحيب لتسكن دائماً قلب الحبيب  
 آيا هذا (المليك) (۳) إذا سجود لتكنس مقلتي دار الحيب (۴)  
 ويقول الشاعر في حضرة سيد العالمين وأراد أن يهديه شيئاً ولكن ما يجد هدية تليق إهداءها  
 إلى الرسول إلا القلب المضطرب على أحوال المسلمين:

دميد آن لا اله از مشست غبارم که خونش مي تراود از کنارم  
 قبولش کن زراه دل نوازی که من غير از دلے چيزے ندارم (۵)  
 وهذي زهرة نبتت بُترجي بدت في حمرة من ذوب قلبي  
 تقبلها، بهذا القلب رفقا فلي قلب، وهذا القلب حبسي (۶)  
 ثم يذكر مرضه المعنوي القديم:  
 فقيرم از تو خواهم هر چه خواهم دل کوهے خراش از برك کاهم  
 مرادرس حکيمان در دسر داد که من پرورده فيض نگاهم (۷)  
 فقير فلتحقق لي رجائي هيشمي اجعله قلبا في الفضاء  
 سئمتُ الدرس يلقيه حكيم فلي من نظرتي فيض الذكاء (۸)

- ۱- الترجمة العربية: المصري، د. حسين مجيب: هدية الحجاز، ص ۴۳۸.
- ۲- کلیات إقبال (فارسی)، ارمغان حجاز، ص ۱۱۶.
- ۳- في الأصل اسم أحد الملوك.
- ۴- الترجمة العربية: المصري، د. حسين مجيب: هدية الحجاز، ص ۴۵۳، ۴۵۴.
- ۵- کلیات إقبال (فارسی) ارمغان حجاز، ص ۱۰۶.
- ۶- الترجمة العربية: المصري، د. حسين مجيب: هدية الحجاز، ص ۴۵۱.
- ۷- کلیات اقبال (فارسی) ارمغان حجاز، ص ۹۰.
- ۸- الترجمة العربية: المصري، د. حسين مجيب: هدية الحجاز، ص ۴۴۷.

ويطلب إقبال من رسول الله نظرة سخية نزيل ما بداخله من زيغ الحضارة الغربية الزائفة:

نه باملا نه باصوفى نشينم      تو ميدانى كه من آنم ، نه اينم  
نويس ”الله“ بر لوح دل من      كه هم خود راهم او رافاش بينم (۱)  
اناصوفى والملا أجافي      وتعلم من أكوان بلا خلاف (۲)  
على صفحات قلبى ”الله“ فاكتب      لأشده وذاتى بالشغاف (۳)

و كذلك يطلب إقبال لابنه جاويد أن يشملہ الرسول بنظرة منه :

ز شوق آموختم آن هاؤ هوے      كه از سنگے كشايد آبجوئے  
هميس يك آرزو دارم كه جاويد      ز عشق تو بگيرد رنگ و بوے (۴)  
من الأشواق ثائرتي لتنظر      فللأنهار من حجر تفجر  
وليت ابني بعشقتك في دوام      يُزَيِّن بالتلُّون والتعطر (۵)

ومن هنا يأخذ إقبال في وصف حال المسلمين ، فالمسلم لم يبق في دمه الحرارة ولا الوهج وقلبه أسير بزخارف الأشياء وباب القلب مغلق ووجهه وعيناه خاليتان من النور والسرور كما يذكر أن الملوك كلهم بدون صفات الامير.

هنوز ايس چرخ نیلی كج حرام است      هنوز ايس كارواں دور از مقام است  
زكار بے نظام اوچه گويم      تومی دانى كه ملت بے امام است (۶)  
جرى فلك على غير المرام      شكاة الركب من بعد المقام  
أفي هذا كلام ليت شعري      وهذا الشعب كان بلا إمام (۷)  
تب و تاب دل از سوز غم تست      نوائے من ز تائير دوم تست

- ۱- کلیات إقبال (فارسی) ارمغان حجاز ، ص ۹۲ .
- ۲- الملا : كلمة تركية مأخوذة عن العربية (مولی). وهي بمعنى الشيخ والمعلم والقاض . والشاعر يطلقها على الشيخ والفقیه وغير الصوفی .
- ۳- الترجمة العربية : المصري، د. حسين مجيب: هدية الحجاز ، ص ۴۴۸ .
- ۴- کلیات إقبال (فارسی) ، ارمغان حجاز : ص ۱۱۴ .
- ۵- الترجمة العربية : المصري ، د. حسين مجيب : هدية الحجاز ، ص ۴۵۳ .
- ۶- کلیات إقبال (فارسی) ارمغان حجاز ، ص ۶۰ .
- ۷- الترجمة العربية : المصري، د. حسين مجيب : هدية الحجاز ، ص ۴۴۰ .



بنالم زانکه اندر کشور هند نديدم بنده کو محرم تُست (۱)  
 عذابك منه كم ذقت العذابا بك الألعان لي كانت عذابا  
 حزين، مارأت عينا ي يوما بأرض الهند قط لك الصحابا (۲)  
 ويرشد إقبال إلى تعاليم الإسلام كي يجد المسلمون منزلة رفيعة في العالم:

فقيران تا بمسجد صف کشيدند گريبان شهنشاهان دريدند  
 چو آن آتش درون سينه افسرد مسلمانان بدرگاهان خزيدند (۳)  
 فقير ركعة لله صلى طغاة أو بغاة من أذلا  
 وتلك النار إن خمدت بصدر إلى عتبات من ظلموا تولى (۴)

ثم يقول:

دل ملا گرفتار غمے نیست نگاهے هست در حشيش، غمے نیست  
 ازان بگریختم از مکتب او که در ريك حجازش زمزمے نیست (۵)  
 في قلب لملا الغم حلاً وهل بالدمع بل العين بلا  
 أولي من مجالسه فراراً أزين حجازه بالبئر؟ كلا (۶)

ثم يقول:

بآن بالے که نجشیدی پریدم بسوز نغمه هائے خود تپیدم  
 مسلمانے که مرگ از وے بلرزد جهان گردیدم وأورانديدم (۷)  
 وتمنحني جنا حاكي أطيروا وألعاني خفقت بها سعيرا (۸)

۱- کلیات إقبال (فارسی): ارمغان حجاز، ص ۵۸.

۲- الترجمة العربية: المصري، د. حسين مجيب: هدية الحجاز، ص ۴۳۹.

۳- کلیات إقبال (فارسی): ارمغان حجاز، ص ۷۲.

۴- الترجمة العربية: المصري، د. حسين مجيب: هدية الحجاز، ص ۴۴۳.

۵- کلیات إقبال (فارسی): ارمغان حجاز، ص ۹۲.

۶- الترجمة العربية: المصري، د. حسين مجيب: هدية الحجاز، ص ۴۴۸.

۷- کلیات إقبال (فارسی): ارمغان حجاز، ص ۷۶.

۸- السعير: النار.

فهل من مسلم يخشاه موت أطلت، وما وجدت، أنا المسيرا (١)  
فهكذا يعرض إقبال حاله وحالة المسلمين في حضرة رسول الله ويطلب منه دواء لكل داء  
المسلمين .

هكذا نرى أن كل حياة إقبال مضت في حب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان جبه  
حبا واثقا و غليظا ولكن مع ذلك لم يقدر أن يرى بيت حبيبه وشوارعه بعيون الحقيقة والشعور،  
وكانت كيفية إقبال كالسلك التي أبعد عن البحر وكانت مضطربة لاتصال البحر، وتوفى إقبال في  
هذه كيفية بعيون الشوق وبقلب الحزين وبأمني غير كامل .

## الفصل الرابع

**الخصائص اللغوية والبلاغية في مدحهما للنبي صلى الله عليه وسلم ،**

**الصورة والخيال والعاطفة والموسيقى وغير ذلك**

**الخصائص اللغوية والبلاغية في مدحهما للنبي صلى الله عليه وسلم**

بعد استعراض نموذج كلام شوقي وإقبال وكيفيتهما في مدح الرسول ﷺ ، نتحدث الآن عن الخصائص اللغوية والبلاغية في كلامهما ، ليتبين لنا بكل تصريح ، من هو الفائق من الجهة الفنية على الآخر. فتكلم عن خصائص كلام الشوقي في المدح النبوي صلى الله عليه أولاً.

### خصائصه الفنية

أما خصائص شوقي الفنية فهي منقسمة إلى نوعين عظيمين:

”الف : الخصائص التقليدية . ب: والخصائص الأصيلة .

أما الخصائص التقليدية فهي التي تظهر عموماً في قصائده التي عارض بها ”المشهورات“ في الشعر العربي . كنهج البردة . و”الهمزية النبوية“ على معارضة للبوصيري .

فإذا نظرنا معارضاته تبين لنا أن شوقي يطبع على غرار الشاعر الذي يعارض قصائده في الوزن والقافية وفي الألفاظ والتراكيب وفي المعاني والأغراض وفي الديباجة . ولقد كان يتقدم شوقي ذلك الشاعر في المعنى ويتأخر عنه في اللفظ .

على أن لشوقي في شعره الغنائي والروائي وفي نثره (في الترسل والرواية) خصائص أصيلة مطبوعة بشخصيته وجارية على سليلته ومعروفة بها بأسلوبه. (١)

### خصائصه المعنوية

لم يكن شوقي غواصاً في المعاني كأبي تمام وابن الرومي ، ولم يكن شاعراً وجدانياً خالصاً كعمر ابن أبي ربيعة وأبي فراس وإنما كان كما قال هو عن نفسه :

رُبَّ جار تلفتت مصرتولي — له سوال الكريم عن جيرانه  
بعثني معزياً بماقي — وطني أو مهناً بلسانه

١- انظر: عمر فروخ ، الدكتور: كلمة في أحمد شوقي . الطبعة الثانية ، بيروت: مكتبة منيمنة ، المعرض ،

كان شعري الغناء في فرح الشر ق وكان العزاء في أحزانه (١)

ويقول عمر فروخ:

”فهو شاعر مصور ”ما“ حوله و معبر عن شعور ”من“ حوله يتناول المعاني القريبة البارزة الشائعة يكسوها روحاً نبيلاً وديباجة جميلة، فشعر شوقي قريب من النفوس لأن أغراضه ومعانيه قريبة من النفوس . إن أمجاد الشرق وفتوح العرب وثناء الإسلام، كل هذه خلعت على شعر شوقي بهاء وجذبت إليه القلوب“.(٢)

ونظر الآن أشهر خصائصه المعنوية:

١- ارستقراطية في الشعر

وكان شوقي ارستقراطي النزعة في شعره، ينظر إلى الدنيا من عال، ولم ينحدر يوماً ما بشعره إلى أراضئ الدهما، مع أن شعره كان يرضيهم من غير أن يفقهوه تماماً.

٢- شاعر مطبوع

ولا شك في أن شوقي شاعر مطبوع كعمرو أبي نواس والبحثري وابن الرومي، أجاد في كل فن طرقة سواء أطلال فيه أم لم يطل.

٣- سعة الإطلاع

ومع أنه كان شاعراً مطبوعاً فإنه لم يهمل الإطلاع على كل ما يراه في دهره، فإذا أراد النظم في موضوع ما استعد لذلك بدراسة واسعة.

٤- طول النفس

وشوقي ميّال إلى إطالة القصائد في جلاء الموضوعات التاريخية خاصة، فإن قصيدته الكبرى ”دول الإسلام“ تشبه أن تكون ملحمة، ثم أن قصيدته ”كبار الحوادث في وادي النيل“.(٣) تبلغ مائتين وتسعين بيتاً، وقصيدته ”نهج البردة“ (٤). نحو مائتي بيت.

٥- لباقتة

ومع أن شوقي كان كثير الاعتداد بنفسه بادي الرأي في الحياة باتجاهه الديني والقومي، فإنه كان لبقاً في تصريف أغراضه: مدح أناساً ولم يغضب خصومهم، ومدح الإسلام وانتقد المسلمين،

١- عمر فروخ، الدكتور: كلمة في أحمد شوقي، ص ١٣.

٢- نفس المرجع.

٣- الشوقيات، ١/١-٢٠.

٤- الشوقيات، ١/٢٤٠-٢٥٨.

وأجاد وصف المسيح وعاتب بعض المسيحيين ، وقال في الشعر الديني وفي الخمر على السواء فلم يستأمنه أحد ، وأغلب الظن أن شوقي بلغ في حياته مرتبة أقر له بها الناس ، وانقلبت أحقادهم نحوه إعجاباً وإذعانا لشاعريته .

#### ٦- العنصر الغربي

وأجاد شوقي التركية والفرنسية وأكثر من الاطلاع على ما فيهما من أدب أصيل أو منقول إليهما ، وفي شعر شوقي موازنات كثيرة بين الأدبين العربي والغربي من حيث المعاني والأسلوب . (١)

### خصائصه اللفظية

وكان شوقي في الحقيقة فناناً ذا مرتبة عالية في مدائحه ، ويصوغ معانيه تحت حاجة فنه ووقته ، وينتج فيها العظمة كفاية بقدر الوقة واللطافة على الموضوع المناسب ، ويلهب أسلوبه بالعمق والشعور ، وهو متبرع في استعمال الكلمات ، ويزين شعره بتشكيله وبتشبيهه البديع على درجة عالية . وهكذا نالت مدائحه مقاماً مرموقاً في المجال الفنية ، حتى قال شوقي ضيف عن نهج البردة:

”أما البردة فقد خفق لها قلب العالم الإسلامي كله“ . (٢)

فيقول شوقي شعرا في المدح النبوي بأسلوب جيداً .

لي في مديحك يا رسول عرائس      تيمن فيك وشاقهن جلاء

هن الحسان وإن قبلت تكرماً      فمهورهن شفاعاة حسناء (٣)

لا يبين شوقي أحوال حياته (صلى الله عليه وسلم) وصفاته من جهة تاريخية فقط بل يثبت

عظمته ورفعته بلسان الشعر ، كما يقول في واقعة المعراج:

تغشى الغيوب من العوالم كلما      طويت سماء قلّدتك سماء

في كل منطقة حواشي نورها      نون وأنت النقطة الزهراء

الله هياً من حظيرة قدسه      نزالاً لذاتك لم يجزه علاء (٤)

والآن نذكر خصائصه اللفظية فيما يلي :

١- انظر: عمر فروخ ، الدكتور : كلمة في أحمد شوقي ، ص ١٣- ١٥ .

٢- شوقي ضيف ، الدكتور : شوقي شاعر الحديث ، ص ١٣٨ .

٣- الشوقيات : ٤٣/١ .

٤- الشوقيات : ٤١/١ .

## التعبير عن العواطف

يقول أحمد الحوفي:

أول ما يتميز به الأدب القوي الصادق وهو تعبير عن العاطفة أو العواطف التي تجيش بنفس الأديب ، والأدب الذي لا ينبع من العواطف أدب زائف ، يعوزه الصدق الشعوري ، وتعوزه الحرارة ، وقد يروق بهرجه وطلاؤه ، ولكنه لا يبهر النفس ولا يستشير المشاعر ، فكان شعره الديني الذي قرضه نابعا من عاطفته ، كان عاطفته صادقة ، لأن شوقي . كما تبين من حياته . متدين ، مؤمن بالله ، محب لرسوله ، معتز بالإسلام ، فحوز بمجد المسلمين ، أسيف على فقدانهم ما كان لهم من عزة وسلطان ، تواق إلى استرجاع ماضيهم العظيم .

ولم يكن في بيئته أو وظيفته أو حياته ما يضطره إلى أن ينهج هذا النهج وهذه العاطفة الصادقة نبيلة سامية ، لأنها موصولة بالخالق سبحانه وتعالى ، ومتصلة بالنبي ومرتبطة بالشريعة ومجد الإسلام والمسلمين ، ذلك أنه يتהל إلى الله ، ويخضع لقدرته ، ويرجو عفوه ، ويستغفر من ذنبه ، ويحب النبي ، ويعجب بشمائله ، ويفرح بانتصاره ، ويسخط على أعدائه ، ويفخر بالشريعة الإسلامية ، ويباهي بمجد المسلمين وعدلهم وعلمهم وحضارتهم ، ويأسى لضعفهم بعد القوة وبهذا تدور العاطفة حول الحب والإجلال والإعجاب والفرح والحزن والفخر ، وهي كلها متصلة بالدين .

ثم إن عاطفته الصادقة السامية تتصف بالقوة ، ومن مظاهر قوتها أنها تهيج في نفس القراء أصداء لها ، وأنها ثابتة في النص كله ، وإذ كانت درجة حدتها تختلف من مقطع إلى آخر أو من بيت إلى بيت فإن هذا الاختلاف لا يشعر القارى ، بأن العاطفة تتواري أو تغيض . (١)

### عاطفة شوقي وأثر الشعراء القدماء فيها

ولقد يتصل بقوة العاطفة ، مانجده من صور خيالية آثرها شوقي في تعبيره عن عاطفته . ولقد يخطر بالبال في هذا المجال أن شوقي قد حاكى البوصيري بنهج البردة ، فقد شهد على نفسه مرات بأنه اقتدى به واحتذاه ، ونفى أنه قصد المعارضة والمباراة .

ويقول الدكتور أحمد الحوفي:

”والحق أنه لا يصح الحكم على عاطفته بالزيف ؟ اعتمادا على أنه حاكى البوصيري في نهج البردة ، ونظر إليه في الهمزية ، لأنه لم يحاكه في حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإعجابه به ، وإنما حاكاه في وزن قصيدته وفي رويها ، إذ أن شوقي كان متدينا عامرا لقلب بدينه ، وكان صادقا في حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصادقا في إعجابه بالشريعة الإسلامية ، وكان عظيم

الإعجاب ببطولة المسلمين وحضارتهم وعدلهم وكان شديد الأسى مما نزل بالمسلمين من ضعف وتحاذل ، وقد تناول في نهج البردة هذا كله ، كما تناوله في قصائده أخرى . فهو إذا استوحى نفسه ويستمد من قلبه“ . (١)

وإن جاز لأحد أن يتهم شوقي باصطناع العاطفة في نهج البردة لأنه اقتدى بالبوصيري ، أو جاز اتهامه بالتكلف في الهمزية لأنه نظر إلى همزية البوصيري ، فماذا يقول في ذكرى المولد التي مطلعها :

بـه سحر يـتيمـه      كـلا جـفـنـيـك يـعـلـمـه (٢)

وفي الثانية التي مطلعها :

سـلـوا قـلـبـي غـداة سـلا و تـابـا      لـعل عـلـى الجـمـال لـه عـتـابـا (٣)

وماذا يقول في قصائده الإسلامية الكثيرة التي ابتهل فيها إلى الله ، وأشاد بالإسلام ، وازدهي بالفتوح الإسلامية . وناصر الخلافة العثمانية على أنها الجامعة الإسلامية .

ويقول الدكتور أحمد الحوفي في هذا الصدد:

”أليس من الجائز أن شوقي حينما هم بمدح رسول الله خطرت له بردة البوصيري فقرأها ، ثم أنشأ قصيدته على شاكلتها ، فكانت عاطفته أسبق من عزيمته على محاكاة الشكل ؟ وأيا كان الأمر فإن مشابهة شوقي للبوصيري لا تنهض دليلا على اصطناع شوقي لعاطفته لم تكن تعمر قلبه ، لأن في شعره الديني ما يشهد بصدقه في حبه للنبي ، وإجلاله لشريعته ، وفخاره بالإسلام .

وعلى كل حال نحن نعترف بأن شوقي لم يعن في شعره بتصوير نفسه ذلك أن شعره حال من الأحاسيس ، والعواطف الذاتية . إن شعره يتحول إلى ما يشبه المرّد . ويصبح شيئا جافا خاليا من كل وميض وبريق للفن كأنه الصحراء الهامدة ، وفي شعر شوقي في تاريخ مصر وما شمل من العواطف والأخيلة“ . (٤)

ويقول الدكتور شوقي ضيف :

”إن شعره في تاريخ مصر والتاريخ يتحول إلى شعر وفن وقصيدته ”كبار الحوادث في وادي

١- أحمد الحوفي ، الدكتور : الإسلام في شعر شوقي ، ص ٢٦٣ .

٢- الشوقيات : ١٣٨/٢ .

٣- الشوقيات : ٦٨/١ .

٤- أحمد الحوفي ، الدكتور : الإسلام في شعر شوقي ، ٢٦٤ .

النيل“ هي آية شعره الأولى المنزلة، فقد صور فيها عصر بناء الأهرام وخلفاتهم تصويراً مبدعاً، إذ تحدث حديث المؤرخ الذي ينفعل مع التاريخ وقد ذهب يصرخ، (١).

وبنيننا فلم نخلّ لبانٍ وعلونا فلم يجزنا علاء  
وملكنا فالما لكون عبيد والبرايا بأسرهم أسراء (٢)  
وتعرّض لما أذاعه مؤرخو اليونان عن استبداد الفراعنة بشعبهم في بناء الأهرام، ورخص  
حججهم ونقض أدلتهم متحمساً، ثم خطا نحو عصر الرعاة المظلم، فتأسف وتحسر قائلاً:  
لبثت مصرفي الظلام إلى أن قيل مات الصباح والأضواء  
لم يكن ذاك من عَمِي، كل عين حجب الليل ضوءها عمياء (٣)  
ثم يقول شوقي ضيف:

”ولم تلبث أضواء الفجر أن انتشرت، فظهر رميسس، ثم دخلت مصرفي الظلام ثانية لعهد  
الفرس وقمبيز، واستنقذها الإسكند واحتط الإسكندرية، وكانت دولة البطالسة ثم احتلال الرومان،  
وكل ذلك يجسّمه شوقي وكأنه مثال، فالتاريخ يعاد خلقه، يعيده خيال موسيقار مبدع وهو لا ينسى  
دخول موسى وعيسى مصر ولا دخول الإسلام، فيقف وقفة طويلة عند الأديان، وينطلق في مصر  
الإسلامية، فيختار أروع عصورها، وهو عصر الأيوبيين وصلاح الدين، ويعرض لعصر العثمانيين  
وحملة نابليون“ (٤).

ويقول شوقي:

علمت كل دولة قد تولت أنناسمُّها وأنا الوباء (٥)  
ويتحدث عن الأسرة العلوية وعن سعيد وموافقته على مشروع ويلبس في حضر قناة السويس  
ليصل البحرين الأحمر والأبيض، ويقول:

جمع الزاخرين كرها فلا كما نا ولا كان ذلك الالتقاء  
أحمر عند أبيض للبرايا حصّة القطر منهما سوداء (٦)

وهذه الملحمة التي كتبها شوقي والتي تعدّ أمّ ديوانه لتعلّى اسمه في سماء مصر الحديثة، ولم

١- شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث، ص ٥١-٥٥.

٢- الشوقيات: ١/١٨.

٣- الشوقيات: ١/٢٠.

٤- شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث: ص ٥٦.

٥- الشوقيات: ١/٣٣.

٦- نفس المرجع.



يقتصر شوقي على هذا اليتيمة النادرة ، فقد كتب قصيدة في "النيل" طبقت شهرتها الخافقين ، وتغنيها في عصر الحاضر أم كلثوم فيشدو بها الشيوخ والأطفال في مصر ، وهو يستهلها على هذا النمط الرفيع:

من أي عهد في القرى تتدفق      وبأي كف في المدائن تغدق  
ومن السماء نزلت أم فجرت من      عليا الجنان جدا ولا تترقرق (١)

يقول شوقي ضيف:

"ويزاوج مزاجه رائع بين مكوّنات فنه من موسيقى و خيال وعاطفة وطنية ، ويتغنى غناءه الفخم الذي يشبه أروع الشبه "بسمفونيات" بيتهوفن ، فالقصيدة سمفونية كبيرة ، يعرف فيها تاريخ الفراعين وما شادوا من أهرام ، أصلها ثابت في الأرض ، وفرعها سامق في السماء ، ويشدو بمواكب نصرهم ، وكيف كانت تأتي جيوشهم بملوك الأرض مقرّنين مصفّدين ، ويتحدث حديثاً معجّباً عن عروس النيل وعبادة آسيس وحج المصريين القدماء إلى آلهتهم وقبورهم ، وحضارتهم البازخة ، ولا ينسى تابوت موسى وقصة يوسف وإخوته ومريم وعيسى ونزول الإسلام في الوادي ، فكل ذلك يرسمه في لوحته الكبيرة ، حتى يعطي النيل شخصيته المعنوية بجانب شخصيته الحسية.

وكما كان شعر شوقي يمتاز بالخيال الرائع والموسيقى الدفاقة ، فإنه يتصف كذلك بالعاطفة الرقيقة والإحساس المرفه ، ويتجلى ذلك في شعره الذي نظمه في ابنته "أمينة" وفي هرّته الصغيرة ، كما يتجلى في شوقه وحنينه إلى وطنه الذي بثه في شوقه وحنينه إلى وطنه الذي بثه في قصائده بمنفاه من مثل قوله في سينيته". (٢)

وسلا مصر هل سلا القلب عنها      أو أسا جرحه الرمان المؤسّى  
وطني لو شغلت بالخلد عنه      نازعتني إليه في الخلد نفسي  
شهد الله لم يغب عن جفوني      شخصه ساعة ولم بخل حسي (٣)

## أسلوبه

عكف على الشوقي النماذج العباسية الحية عند أبي نواس والبحترى وأبي تمام والمتنبي

- ١- الشوقيات: ٦٥/٢.
- ٢- شوقي ضيف ، الدكتور: الأدب العربي المعاصر في مصر ، ص ١١٦.
- ٣- الشوقيات: ٦٥/٢.

والشريف الرضى وأبي فراس وأمثالهم ، وكان إعجابه شديداً بالبحثري والمتنبي خاصة ، وسرعان ما اهتدى إلى أسلوبه ، وهو أسلوب يسلك نفس الدروب التي سلكها البارودي من قبله ، أسلوب كما يقوم على الاحتذاء للقوالب العباسية ، ولا يجد صاحبه حرجاً في أن يعارض أصحابها ، بل يعلن ذلك إعلاناً كما كان يعلنه سلفه فتلك أمانة الإجابة الفنية ، وهي إجابته تقوم على بعث الصياغة القديمة وإحيائها.

ويقول شوقي ضيف في هذا الصدد:

”وعلى هذا النحو استطاع شوقي أن يكون لنفسه أسلوباً أصيلاً ، أسلوباً لا يتحرر من القديم ، ولكن في الوقت نفسه يعبر عن الشاعر وعصره وكل ما يريد من معان وأفكار وهو أسلوب يقوم على الجزالة والرصانة والمتانة والقوة ، بحيث تؤلف الكلمات ما يشبه البناء الضخم الشاهق ، وهو في ذلك يقترب من ذوق البارودي بأكثر مما كان يقترب حافظ ، فقد كان بحكم نشأته في الشعب يميل أكثر منهما إلى لغته فكان يستخدم في كثير من شعره لغة الصحف السهلة ، أما شوقي والبارودي جميعاً فكان يميلان إلى تقليد العباسيين ، وكان لذلك أكثر منه محافظة على التقاليد الفنية الموروثة“ . (١)

وقد بلغ من حب شوقي للترك أنه كان يعتبرهم مجموعة فضائل لا تشوبها نقیصة ، على أن شوقياً..... وأن كان شاعراً مصرياً ، وشاعر العرب ، وشاعر المسلمين . وكان فيه الازدواج بين حب الحياة ومتاعها والإيمان ونعيمه له ذاتيته التي لا تخفى ، فهو شاعر الحكمة العامة ، وهو شاعر اللغة العربية السليمة ، وإنك لتعجب أكثر الأحيان حين ترى عنوان قصيدة من قصائده ثم لا تجد في القصيدة غير أبيات معدودة تدخل في موضوع العنوان ، بينما سائرها حكمة أو غزل أو وصف أو ما شاء لشوقي هواء ، وما أحسب شاعراً بالغ في ذلك ما بالغ شوقي ، مثال ذلك قصائده مثل : لجان التموين ، والانقلاب العثماني (٢) و بين الحجاب والسفور . (٣)

ويوجد في غير هذه القصائد الثلاث ما يظهر منه مثله قشيطان شوقي أشد حرصاً على متاعه بالشعر للشعر منه بموضوع خاص ، أما القصائد التي يملك موضوعها أبياتها جميعاً فهي القصائد التي يملك موضوعها شوقياً ، فأنساه نفسه ، بما كان له في هذا الموضوع من لذة ومتاع ، وما أفاضه

١- شوقي ضيف ، الدكتور : الأدب العربي المعاصر في مصر ، ص ١١٤ - ١١٥ .

٢- مقدمة الشوقيات : ١٥/١ ، ومن ديوانه : ١١٩/١ .

٣- نفس المرجع : ص ١٢٦ .

على شاعريته من وحي والهام .

## الأخيلة والصور والمعاني

وقد يكون غلو شوقي أكثر وضوحاً في جانب اللغة منه في جانب المعاني ، فهو بمعانيه وصوره وخيالاته يحيط مما في الغرب بكل ما يصيغه الطبع الشرقي وترضاه الحضارة الشرقية، أما لغته فتعمد على البعث القديم من الألفاظ التي نساها الناس وصاروا لا يحبونها لأنهم لا يعرفونها، ولعل سر ذلك عند شوقي أن البعث وسيلة من وسائل التجديد ، بل لقد يكون البعث أكد وسائل التجديد نتيجة ما يوجد من أرباب اللغة ، ممن يفيضون على الألفاظ القديمة روحاً تكفل حياتها ، والبعث لها إلى جانب ذلك من المزايا أنه يصل ما بين مدينة دراسة ومدينة وليدة ، يجب أن تتصل بها اتصال كل خلف بسلفه .

ويقول دكتور أحمد الحوفي:

” ومن ذا ترى من أرباب اللغة قديراً قدرة لشوقي على أن يبعث في الألفاظ القديمة روحاً تكفل لحياتها في الحاضر وتفيض عليها من ثوب الشعر ما يجعلها تتسع لما لم تكن تتسع له من قبل من المعاني والأخيلة والصور . واللغة العربية هي حتى اليوم لغة التفاهم بين سبعين مليوناً من أهل هذا الشرق العربي ، وهي حيّة وستبقى أبداً حيّة ، ولكن كل حياتها يحتاج إلى أن يبعث الله لها أمثال شوقي ليزيدوا تلك الحياة قوة وروعة وجمالاً . (١)

## التشبيه

نجد تشبيهات كثيرة في كلام شوقي وأما تشبيهاته فبعضها جيد رائع ، لأن شوقي لم يقمه على تشابهه في المظهر بل أقامه على تشابه المشبه والمشبه به في وقعهما على النفس وأثرهما في الشعور .

وينال مادة لتشبيهاته من الفطرة ومنها يحب جبال والشمس والقمر والكواكب والبحور،

كقوله في وصف الحديث النبوي :

أما حديثك في العقول فمشرع والعلم والحكم الغوالي والماء (٢)

١- أحمد الحوفي ، الدكتور : الإسلام في شعر شوقي ، ص ٢٧٣-٢٧٩ .

٢- الشوقيات : ٣٧/١ .

ذلك أن الظمان يستطيب مشرع الماء ، بل يجد فيه حياته وكذلك المسلمون يستطيعون الحديث النبوي ، ويحدون فيه رشادهم وإنقاذهم من الضلال ، وإذا كان المشرع يقدم لواردية ماء يحيي ، فإن الحديث النبوي يكفل لواردية حياة العقل والوجدان ، وبعض التشبيه قديم مطروق كقوله:

وإذا مشيت إلى العدا فغضنفر      وإذا جريت فإنك النكباء (١)

ثم يقول:

”كان وجهك تحت النقع بدر دجى“ (٢).

ثم يقول:

سناه و سناه الشمس طالعة      فالحرم في فلك والضوء في العلم (٣)

ويذكر اللؤلؤ والجواهرات لبيئة الثراء .

حليت من عطل جيد البيان به      في كل منتشر في حسن منتظم (٤)

ذكرت باليتم في القرآن تكرة      وقيمة اللؤلؤ المكنون في اليم (٥)

ويستعمل شوقي الفنون الجميلة في تشبيهاته لبديع الفكر والقوة ، فيما يأتي :

الف : ولأوضح المشبه بطريق احسن ولقوة في التشبيه يأتي أكثر مشبه به من الأحد . كما يقول:

والخلق يفتك أقواهم بأضعفهم      كالليث بالبهيم أو كالحوت بالبلم (٦)

لما خطرت بدلا لتفوا بيدهم      كالشهب بالبدر او كالجند بالعلم (٧)

ب: وبعد الذكر التشبيه الكامل يزيد فيها هكذا أن يتغير معنى التشبيه وهذا التوسيع أعطاه

الحسن الجذاب والحدة بالذي دهش القاري.

١- الشوقيات: ٣٦/١.

٢- الشوقيات: ٢٤١/١.

٣- نفس المرجع، ٢٤٦/١.

٤- الشوقيات: ص ٣٨.

٥- الشوقيات: ص ٢٤١.

٦- الشوقيات: ص ٢٣٨.

٧- الشوقيات: ص ٢٣٩.

كما يقول :

المصلحون اصابع جمعت يداً هي أنت بل أنت اليد البيضاء (١)

ج: يشبه حالة مختصة المشبه بحالته الأخرى ومختلفة . كما يقول :

والرأى لم ينض المهند دونه كالسيف لم تضرب به الآراء" (٢)

## الاستعارة

وأما الاستعارة ، فكثيرة . قوله في وصف الحديث النبوي .

كما يقول :

جرت الفصاحة من ينابيع النهى من دوحه وتفجر الإنشاء (٣)

وقوله في وصف الشريعة :

مشت الحضارة في سناها واهتدى في الدين والدنيا بها السعداء (٤)

وكل استعاره من هذه مبنية على تشبيه جيد ، ومن الكناية قوله في مدح النبي صلى الله عليه

وسلم :

وإذا خطبت فالمنابر هزة تعرو الندى وللقلوب بكاء

وإذا صحبت رأى الوفا مجسماً في بردك الأصحاب والخلفاء (٥)

وقوله في وصف النبي بالتقدم على الأنبياء السابقين .

ويقول :

نظمت أسامي الرسل فهي صحيفة في اللوح واسم محمد طغراء

اسم الجلالة في بديع حروفه ألف هنالك واسم طه الباء (٦)

١- الشوقيات: ٤٣/١ .

٢- الشوقيات: ٣٨/١ .

- وانظر: أحمد الحوفي ، الدكتور: الإسلام في شعر شوقي ، ص ٢٨١ .

٣- الشوقيات: ٣٦/١ .

٤- الشوقيات: ٤١/١ ، وانظر: أحمد الحوفي ، الدكتور: الإسلام في شعر شوقي ، ص ٢٨٢ .

٥- الشوقيات: ٣٦/١ .

٦- الشوقيات: ٣٤/١ .

ولكن الصورة قد تجيء مفككة غير منسجمة الأجزاء .

كقوله في وصف الحديث النبوي:

أما حديثك في العقول فمشرع والعلم والحكم الغوالي الماء  
جرت الفصاحة من ينابيع النهى من دوحه وتفجر الإنشاء  
في بحر له لسابحين به على أدب الحياة وعلمها إرساء  
أتت الدهور على سلافته ولم تفن السلاف ولا سلا الندماء (١)  
ويقول أحمد الحوفي عن فكر شوقي كذلك:

”فالحديث النبوي مورد للعلم والحكمة ، ثم دوحه ، ثم ينبوع ، ثم بحر ، ثم خمر ، وفي هذا خلط في الصورة وبعد عن الملاءمة ، ولو أنه صورته بواحد من هذه وأكمل الصورة بما يلائمها ل جاءت منسقة مكتملة ، وقد تجيء غير مقبولة ، كقوله :

العرش تحتك سُنة وقوائمها ومناكب الروح الأمين وطاء (٢)

فهذا تصوير فيه غموض ومجازة للحد ، لأن موضع العرش تحت النبي صلى الله عليه وسلم غير مفهوم ، ولأن العرش ليس له باب وأعمدة ، ثم كيف يستساغ أن يقف النبي صلى الله عليه وسلم على مناكب جبريل؟ إن هذه صورة لا تليق بالحامل ولا بالمحمول ..... ومثل قوله في وصف الحديث النبوي :

أتت الدهور على سلافته ولم تفن السلاف ولا سلا الندماء (٣)

لأنه لا يليق تصوير الحديث النبوي وسلطان بلاغته بالخمر ، ولا يصح تصوير دراسية والمعجبين بما تضمن من روعة وهداية وتشريع بشاربي الخمر ، لأن المقام أجل ولأن الخمر حرام في الإسلام ، إلا إذا أراد الخمر الصوفية وهي رمز للوجد عند الصوفي .

وكان طبيعة شعر شوقي جامدة وتجري على عمود الشعر العربي من حيث كثرة الأخيلة ، وتحويل صورها إلى أصداف من التشبيهات والاستعارات وهي أصداف قد تلمع ، ومألت قصيدته بالتشبيهات والاستعارات المادية هي ”الربيع و وادئ النيل“ و”بجمال في التصور“ . (٤)

١- الشوقيات : ٣٧/١ .

٢- الشوقيات : ٣٩/١ .

٣- الشوقيات : ٣٧/١ .

٤- انظر : أحمد الحوفي ، الدكتور : الإسلام في شعر شوقي ، ص ٢٨٣ .

## الألفاظ والتراكيب

قال الحوفي :

”شوقي بارع في انتقاء الألفاظ ملائمة للعاطفة موائمة للفكرة ، ومن هنا كثرت في شعره الديني مفردات مستقاه من الدين أو موصولة به .

ومن هذه الكلمات : الهدى ، الروح ، الملائ ، العرش ، السدرة ، الوحي ، الملائكة ، الرسل ، اللوح ، القلم ، الحنائف ، النبوة ، الفرقان ، التوراة ، الأنجيل ، التوحيد ، الشفاعة ، الشريعة ، الرضوان .  
أما التركيب فإن طباعة العام الجزاله والفتحامة “ (١) .

ولم يشد من هذا الحكم إلا قصيدته في ذكرى المولد التي مطلعها :

بـه سحر يـتيمـه      كـلا جـفـنـيك يـعـلمـه (٢)

فإن عبارتها رقيقة غاية الرقة ، واستعمال كلمة ”حظيرة“ في قوله :

اللـه هـيأ مـن حـظـيـرة قـدسـه      نـزلا لـذاتـك لـم يـجـزه عـلاء (٣)

وقوله :

والعـرش يـزهـو و الحـظـيـرة تـزدهـي      والـمـنتهـي والسـدرة العـصماء (٤)

ويقول أحمد الحوفي :

”لأن الحظيرة جرين التمر والمحيط بالشئ خشبا أو نصبا ومكان الغنم وإن جاء في معانيها

المعجمية ”حظيرة القدس هي الجنة“ (٥)

وكان شوقي يعد شاعر معروفا ونجد الإسلام في شعره ، ولكن التقليد قد غلب على أكثر

شعره .

ويقول الزيات في هذا الصدد :

وكان شوقي صاحب قوة الوصف والتصوير وعنده الخيال الخصب ودقة المعاني وتنوع

١- أحمد الحوفي ، الدكتور : الإسلام في شعر شوقي ، ص ٢٨٦ .

٢- الشوقيات : ١٣٨/٢ .

٣- الشوقيات : ٣٩/١ .

٤- نفس المرجع : ٣٤/١ .

٥- أحمد الحوفي ، الدكتور : الإسلام في شعر شوقي ، ص ٢٨٦ .

الأغراض ، وله أيضا صلاحية حسن اختيار الألفاظ وتأليفها ما يرفعه إلى أريكة الشعر السامية ، وله تأثير واضح في شعراء معاصريه ومقام أرفع غير مستنكرة“ (١).

## الجناس

وقال الحوفي :

”وكان شوقي يحفل بالجرس ، ويؤثر التعبير المتميز بموسيقاه وانسجام مفرداته وتلاحق رناتها ، ومن هنا كثر الجناس في شعره ، على أنه قلما كان يعتسف التحنيس أو يترصد له متغاضيا عن جودة الفكر أو العبارة“ (٢)

من الجناس قوله:

وإذا بنيت فحـير زوج عشرة      وإذا ابتنيت فدونك الآباء (٣)  
وقوله:

قد نال بالهادي الكريم وبالهدى      ما لم تنل من سعوددسينا (٤)  
وقوله:

وجد الزعاف من السموم لأجلها      كالشهد ثم تتابع الشهداء (٥)

## الطباق

وكان شوقي يحتفي بتوضيع فكرته ، وكان يعنى بجلاء عاطفته ، ومن وسائله إلى ذلك مقارنة الشيء بغيره ، وموازنة النقيض بنقيضه ، ومن هنا كثرة الطباق في شعره ، وقلما جاء طباقه متكلفا أو مزدولا ومن أمثله ذلك قوله:

وإذا أخذت العهد أو أعطيته      فجميع عهدك ذمة ووفاء (٦)

١- الزيات ، أحمد حسن : تاريخ الأدب العربي ، ص ٣٧٠ .

٢- أحمد الحوفي ، الدكتور : الإسلام في شعر شوقي ، ص ٢٨٦ ، ٢٨٧ .

٣- الشوقيات : ٣٦/١ .

٤- نفس المرجع : ٣٧/١ .

٥- نفس المرجع : ٣٨/١ .

٦- نفس المرجع : ٣٦/١ .



وقوله :

لما دعوت الناس لبي عاقل وأصم منك الجاهلين نداء (١)

وقوله:

كانت لجند الله فيها شدة في أثرها للعالمين رخاء (٢)

## حسن النسق

شوقي بارع في استعمال الفاء في عطف كلمات كثيرة يرتب بعضها على بعض ، وقد كان شوقي صاحب افتنان في حسن النسق بعامه .

كقوله :

قل لبيان بنى فشاد فخال لم يجز مصرفي الزمان بناء

وقوله:

وقيل الثغرة فاتأدت فأرست فكانت من ثراك الطهر قاما

وقوله :

نظرة فابتسامه فسلام فكلام فموعدا فلقاء (٣)

## الترصيع

أما الترصيع هو السجع في البيت الواحد ، وهو ضرب من الإيقاع الصوتي والانسجام الموسيقي ، وقد عده البلاغيون أعلى أنواع السجع ، لأن التابع في الكلمات ورنين مقاطعها يطبع التعبير بطابع صوتي رنان يستطيه السمع وتستحليه النفس ، ولا شك أنه يزيد الشعر موسيقى ، لأن الأصوات تتكرر في البيت مضافة إلى تكرار القافية والوزن ، فتجعله شبيها بفاصلة موسيقية متعددة النغم .

ويقول أحمد الحوفي :

و"إن الترصيع يكتسب جماله من قدرته ومن طواعيته ، فإذا كثر أو تكلفه الشاعر ثقل ، لأن

١- الشوقيات : ٣٨/١ .

٢- الشوقيات : ٣٨/١ .

٣- أحمد الحوفي ، الدكتور : الإسلام في شعر شوقي ، ص ٢٩١ .

الإسراف في التجانس قبيح في الموسيقى والشعر . لذلك كان قدامة بن جعفر على حق في قوله إن الترصيع يحسن إذا اتفق له في البيت موضع يليق به ، وإنه معيب إذا تواتر واتصل في الأبيات ، لأنه دال على التعمد والتكلف ، و وافقه أبو الهلال في هذا الرأي ، وقال إن القدماء ارتكبوا هذا فبانت على أبياتهم سمة التعسف ، وقلما عمد شوقي إلى الترصيع “ (١).

## الموسيقى في شعره

كانت الموسيقى أروع خصال شعر شوقي الفنية فلا نستمتع إلى شئ من شعره حتى نعرفه و ثبتت في نفسنا نغماته التي تتوالى نغمة حلوة بجانب نغمة حلوة ، وبلا أي غلو نستطيع أن نقول أن شعره يؤلف أروع ألحان عرفت في عصر الحديث ، إذ يعتصر من الألفاظ والأساليب خير ما فيها من ألحان ، نسغه في ذلك فطرة موسيقية رائعة .

وهذا الحفلة الموسيقية في شعره تسندها عنده خصلة التصوير البارع ، ويعرف كيف يفيد من كنوز التشبيهات والاستعارات .

ويقول شوقي ضيف:

” وخلق شوقي موسيقياً ، له إذن لا تباري في سماع الألفاظ وتأليف الألحان الشعرية ، ولو أنه لم يتجه إلى الشعر لكان مغنياً أو موسيقاراً من الطراز الأول ، وإذ كان معجباً بالغناء والمغنين من جهة ، وكان شعره نفسه حلاوة موسيقية ساحرة من جهة ثانية ، فتألف الفنان . وجاء شوقي والشعر المصري ينتقل عند محمود سامي البارودي (٢) من فلك الجمود والركود إلى فلك التحرر والتعبير الصادق ، فكان كالشجرة الطيبة تنبت في الأرض الكريمة .

فتثبت فيها جذورها ، وتخرج منها ساقها وأغصانها ، وتستوي أوراقها وأزهارها وثمارها ، وكان القدر ساق البارودي ليكون رائد الطريق لشوقي ، فلم يلبث حين فتح عينيه على الوجود الفني أن رأى مصاحبه يضيء ، فسار على هديه واحتذى على أمثله ونماذجه .

وكان البارودي قد خلع عن شعره كل العقد التي كان يجعل فيها الشعراء من قبله أمثال

١- أحمد الحوفي ، الدكتور : الإسلام في شعر شوقي ، ص ٢٩١-٢٩٢ .

- وانظر: شوقي ضيف ، الدكتور : فصول في الشعر ونقده . الطبعة الثالثة . مصر : دار المعارف . بدون التاريخ . ص ٣٣٨ .

٢- كان شاعراً شهيراً مصرياً في آخر القرن التاسع عشر .

الدرويش والخشاب ومن حوله أمثال الساعاتي وعلى الليثي ، ونفخ فيه روحاً جديدة من الأصالة، وأزال عنه كل ما يعوقه من أعشاب البديع، فانفجر النبع، وتدفق الشعر والفن. وكلنا نعرف كيف أن البارودي رجع بالشعر إلى أساليبه القديمة الرصينة ، وكيف أخرج من حيز المعاني المحفوظة التي ترصّ رسّاً إلى فسحة واسعة من التعبير عن العواطف والعصر وحوادثه النفسية ، فكان بذلك رائد نهضتنا الشعرية الحديثة“.(١)

ثم يقول:

”وتخرج شوقي في شعره وعلى ديوانه ، فلم ينحرف إلى بديعيات ولا إلى مبالغات ، بل اتخذ مذهب أستاذه في صبّ قواليه ونحت تراكيبه ، وهي في حملتها تتألف من الألفاظ الجزلة المتبينة ، وقد انفتحت أمامه آفاق وعوالم جديدة ، إذ أتقن الفرنسية ودرس القانون وسرّح الطرف في مجال الضرب ، ومع ذلك كله ظلت قوالبه من بداية شعره إلى نهايته فخمة ، كأنها أهرام وطنه ، أو كأنها فخور هذه الأهرام ، وتصفح ديوانه ”الشوقيات“ فستجد الكثرة من قصائده كأنها قصور مشيدة ، فهي بناء ضخّم يشدُّ بعضه بعضاً .

وهو بناء مصقول ، ليس فيه نبو ولا شنوذ ، أحكمت ألفاظه ، أو أحكمت صخوره ، أبدع إحكام ، بل قد يكون التعبير بالبناء عن قصائد شوقي مضلاً ، إلا إذا مهمنا كلمة البناء على أنها العمل الفني الكبير ، على نحو ما يعبر الموسيقيون عن ”سيمفونية“ خاصة بموسيقار شهير ، بأنها عمارة بازخة“.(٢)

فالموسيقى غالباً رنانة ضخمة حلوة ، إذ كان شوقي يعرف دائماً كيف يستخرج من ألفاظ اللغة كل ما تملك من رنين أو جرس ، أو بعبارة أدق كل إمكاناتها الموسيقية ، وكانت تسعفه في ذلك ثقافة واسعة باللغة ، حتى ليحكي كاتبه أنه كان يحفظ مواد كاملة من المعاجم اللغوية . والأداء الموسيقي الباهر حقاً هو أروع النخصال في شاعريته ، إذ استطاع أن يستخرج من قيثارة الشعر العربي أرقن وأرق ما تحمل في باطنها من أنغام وألحان.

## القافية

ويقول أحمد الحوفي:

ولعلّ أهم عناصر الموسيقى في الشعر هو القافية ، وإن ترى أن شوقي قد تباعد في شعره كله

١- شوقي ضيف ، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث ، ص ٤٦ .

٢- نفس المرجع ، ص ٤٧ .

عن الحروف التي لا تلائم القافية ، لأنها ثقيلة على اللسان والأذن ، أو لأنها خالية من الرنين ، وهي الخاء والصاد والغين والثاء والذال والزاي والشين والطاء والظاء . وإذا كان نظر الفحول من الشعراء قد تكلفوا هذه القوافي إظهار البراعتهم اللغوية واقتدارهم على الصّعب الذي تحاشاه أكثر الشعراء فإن شوقي قد سلم من هذا التورط الذي لا طائل من ورائه ، ثم إنه إلى ذلك بارع في الملاءمة بين شطري البيت بحيث يستدعى أوله آخره ويعاتق عجزه صدره ومن هنا جاءت قوافيه متمكنة لا قلق فيها ولا حشو ولا اعتساف ولا شك أن مرد هذا التمكن إلى سلامة فطرته وصفاء قريحته ورهانة حسه وثرائه اللغوي واقتداره على التعبير ولعه بالتجويد وكلفه بالجرس والتغنيم من ذلك قوله :

ولد الهدى فالكائنات ضياء      وفم الزمان تبسم وثناء (١)  
فالشطران متكاملان أنما تكامل ، لأن الفرحة بمولد النبي ﷺ عمت فشملت الكائنات  
والزمن .

وقوله يصف ارتفاع الأمواج بأنه قيام الله ، ويصف هديرها بأنه دعاء :

فإذا ما علت فذاك قيام      وإذا ما رغت فذاك دعاء (٢)  
لأن القيام للعبادة والدعاء متناسبان مترابطان ، وقوله في التضجع على أدرنة لما استولى عليها  
البلغار:

يا أخت أندلس عليك سلام      هوت الخلافة عنك والإسلام (٣)  
ففي الشطر الأول وداع حزين ، وفي الشطر الثاني بيان للفاجرة وفقدان أدرنة التي ودعها ،  
وقوله في ضرورة الحرب التي لا مفر منها :

الحرب في حق لديك شريعة      ومن السموم الناقعات دواء (٤)  
لأنه جعل الحرب الحامية للعقيدة وللحقيقة قانونا مشروعاً لحماية البشر من الضلال والشرك  
وتطهير قلوبهم من الأباطيل ، وعقب على هذا بأن السموم المهلكة يتخذ الدواء منها أحياناً . (٥)

١- الشوقيات : ٣٤/١ .

٢- الشوقيات : ١٧/١ .

٣- الشوقيات : ٢٣٠/١ .

٤- الشوقيات : ٣٨/١ .

٥- أحمد الحوفي ، الدكتور : الإسلام في شعر شوقي ، ص ٢٨٥ .

## العروبة في شعر شوقي

يقول الدكتور أحمد الحوفي:

”ما كاد القرن التاسع عشر يتنفس صباحه حتى جعلت حماسة العرب إلى الوحدة تتأجج، وشرع أدباءهم يدعون إلى الوحدة، ويتلهفون على تحقيقها بعد أن انفصمت عرى الخلافة العثمانية، وسارع العرب إلى مجاهدة المحتلين، ليتحرروا من أوهاق الاحتلال البغيض. ولقد طالما جلجل شعراء العصر الحديث بالعروبة من الخليج إلى المحيط، حاملين على الاستعمار الذي حرّب العمران، وقوّض البنيان، وقعد بالعرب عن مجارة الزمن، ونفت في قوامهم سموم الضعف والانقسام، وكاد ينسيهم ماضيهم المجيد وعزتهم الموروثة. وتنبه شوقي إلى أن اللغة أقوى رابطة في روابط القومية. وأعظم سبب في جمع شمل الأمة، ونصح لهم أن يتعلموا اللغة العربية، ويصطنعوها لغة ثانية لهم، ليتقربوا إلى العرب بوسيلة أخرى مع قرب الدين، قال في سنة ١٩٠١ م.

شمل اللغات لدى الأقوام ملتئم      والضاد فينا بشمل غير ملتئم  
فقرّبوا بيننا فيها وبينكم      فإنها أوثق الأسباب والذمم (١)  
ثم يرد مزيد قائلًا:

”ولم يكن شوقي خياليا في دعوته الترك إلى أن يستعربوا، أو إلى أن يتعلموا اللغة العربية ليتدانوا إلى العرب، لأنهم كانوا في عهدهم الأول يتعلمون اللغة العربية، ويتكلمون بها ويضعون مؤلفات فيها، مثل الفيروز آبادي و أبي السعود، وملا خسرو والجامي وحاجي خليفة وابن كمال باشا. هكذا شعره كان مفيدا جدا لروابط بين أقوام مختلفة“ (٢).

### التعبير بالتصوير

وتنحصر عظمته الفنية على نبوغه في ذكر تصوير ما حوله. وهو حاذق على تقديم تصوير تحليلي (Analytical) وعلى تصوير غير تحليلي (Synthetical) وهو يسرد منظر ما بكل الموضوع وجزياته في يبرز من جزو صورة كاملة.

يقول شوقي في قصة معراج:

تغشى الغيوب من العوالم حكما      طويت سماء قلدتك سماء  
في كل منطقة حواشي نورها      نون وانت المنطقة الزهراء

١- أحمد الحوفي، الدكتور: أضواء على الأدب الحديث، ص ٧-٨.

٢- نفس المرجع.

أنت الجمال بها وانت المحتلى والكف والمرأة والحسنة  
 الله هياً من حظيرة قدسه نزلا لذاتك لم يحزه علاء  
 العرش تحتك سلسة قوائماً ومناكب الروح الأمين وطاء (١)  
 وكان شوقي أحسن تصويراً تركيبياً، كأنه يعرف كيف يضمّ مناظر مختلفة إلى منظر واحد،  
 يظهر نبوغه ذلك الوقت لما يركب بضعة مناظر من عالم الحس والشعور وبضعة من العالم السماوي.  
 ولكن بقوة الفكر ادغم شوقي كل المناظر في هيئة الحس والشعور. حيث رسم حركة الورى وزينته  
 على ولادة رسول الكريم ﷺ هكذا.

أثنى المسيح عليه خلف سمائه وتهللت واهتزت العذراء  
 الحق عالى الركن فيه مظفر في الملك لا يعلو عليه لواء  
 ذعرت عروش الظالمين وزلزلت وعلت على تيجانهم أصداء  
 والنار خاوية الجوانب حولهم خمدت ذوائبها وغاض الماء  
 والأى تترى والخوارق رحمة جبريل رواح بهاغداء (٢)

## غزارة التخيل والفكر

ويصنع شوقي تصوير الحقيقة بالألوان الجميلة على ستار الخيال بقوة التخيل وهو حاذق فيه .  
 ويقول شوقي ضيف :

”صور و اشباح متحركة تفد عليك من كل جانب ، وكأنها تريد أن تأخذ عليك كل طرفك حتى

تعلن اعجابك بصاحبها .“ (٣)

ويخلّق شوقي منظراً جميلاً لإظهار عظمة ولادة النبي صلى الله عليه وسلم ويقول:  
 ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وثناء  
 الروح والملاء الملائك حوله للدين والدنيا به بشراء  
 والعرش يزهو والحظيرة تزدهي والمنتهى والسندرة العصماء

١- الشوقيات : ٤١/١ .

٢- الشوقيات : ٣٧/١ .

٣- شوقي ضيف ، الدكتور : شوقي شاعر العصر الحديث ، ص ٤٩ .

وحديقة الفرقان ضاحكة الربى  
بالترجمان شذية غناء  
والوحي يقطر سلسلاً من سلسلٍ  
واللوح والقلم البديع رواء  
نظمت اسامي الرسل فهي صحيفة  
في اللوح واسم محمد طغراء  
اسم الجلالة في بديع حروفه  
الف هنالك واسم طه الباء (١)  
ويقول شوقي ضيف في هذا الصدد:

”إن الإنسان ليخيّل إليه إنه لم تكن تفوته (أي شوقي) لفتة أو حركة لشيء أو لصورة إلا  
اخترنها في ذاكرته ، ودعاها في حافظته ليلقى بها عند الحاجة رسماً أو لوحة باهرة“.(٢)  
ثم يقول :

”فإنك تراه صورة كاملة ، وكان خيال شوقي على هذه الشاكلة الطائرة التي تضم شيئاً بعيداً  
بعد شيء بعيد ، وهو لذلك خيال متألق ففيه هبات السماء ، واشعاعات الشعر التي ترجعنا من دنيانا  
الحسية إلى دنيا حالمة واهمة ، وكان يعرف كيف يذيع ذلك حتى في داخل الحقائق نفسها“.(٣)

## إيجاز واطناب

ومدائح شوقي أمثلة جيدة الإيجاز والاطناب ، ويبين معاني كثيرة في الفاظ قليلة ، وشعره الواحد  
يحمل حقائق وصوراً عديدة ويحس القارئ نبوغه وبديع فكره ومهاراته خلال مطالعة شعره .  
كما يقول:

بك بشر الله السماء فزينت  
وتضوعت سكابك الغراء  
أثنى المسيح عليه خلف سمائه  
وتهللت واقفرت العذراء (٤)  
ثم يقول:

أما حديثك في العقول فمشرع  
والعلم والحكم الغواي الماء  
هو صبغة الفرقان نفحه قدسه  
والسين من سوراته والراء (٥)

١- الشوقيات : ٣٤/١ . وانظر: شوقي ضيف ، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث ، ص ٤٩ .

٢- شوقي ضيف ، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث : ص ٥٢ .

٣- نفس المرجع .

٤- الشوقيات : ٣٦/١ ، ٣٧ .

٥- نفس المرجع : ٣٩/١ .

## صنائع وبدائع

وقد زين شوقي شعره بالصنائع والبدائع اللفظية وقد استعمل أقسام الإبهام باللطافة خاصة .

كما يقول في شعره :

بدر تطلع في بدر فغرته كغرة النصر تجلوداجي الظلم (١)

ثم يقول :

ذكرت باليتم في القرآن تكرمه وقيمة اللؤلؤء المكنون في اليتم (٢)

هذا مثال جيد لحسن التعليل ، و نجد بعض أمثال الإبهام فيما يلي :

الخييل تأبى غير أحمد حامياً ومها اذ ذكر اسم خيلاء (٣)

يوحى إليك الفوز في ظلماته متابعاتجلى به الظلماء (٤)

وقد لاحظنا خصائص كلام شوقي في الصفحات السابقة . والآن نبين خصائص كلام إقبال

بالإجمال .

## خصائص شعر إقبال

### أسلوبه

وكان إقبال شاعرا منفردا في تاريخ المسلمين كله . وأنشد أيضاً في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم كشعراء الإسلام الذين سبقوه ويظهر في شعره ولوعة حبه للرسول وكذلك قلقه الشديد لما آل إليه أمر الأمة وكذلك مؤثرات الحضارة الأوروبية ، وتصوراتهم لمفهوم الوطنية الضالة ومستعمرات المسلمين وتدهور أحوال الأمة الإسلامية ومخاطبته للرسول ﷺ عن هذه الأحوال .

ويقول صادق نسيم عن شعر إقبال :

”حلال حديثه عن الفلسفة والأدلة الكلامية عند ما يصل إلى ذكر الرسول ينسى نفسه“ (٥)

وفي عشق النبي يقول مخاطباً للإنسان ، مثل :

١- الشوقيات : ٢٤١/١ .

٢- الشوقيات : ٢٤١/١ .

٣- نفس المرجع ، ٤١/١ .

٤- نفس المرجع ، ٣٩/١ .

٥- الحريدة الشهرية ، أدبيات ، أبريل ، ١٩٨٠ ، ص ٢٤ . تحت عنوان : إقبال منفرد نعت گو ، لصديق نسيم .



قوتِ عشق سے ہر پست کو بالا کر دے دھر میں اسم محمد سے اجالا کر دے (۱)

فباسم محمد شمس البرایا اقيمت خيمة الفلك المنير (۲)  
و كذلك بالفارسية :

به مصطفی به رساں خویش را که دین همه اوست اگر به او نه رسیدی تمام بولهبی است (۳)

(عليك أن تصل بنفسك إلى النبي فإن الدين كله فإن لم تصل إليه، فكل هذا يعد، من أعمال أبي لهب) (۴)

## التحليل الفني للأسلوب

ومن المعروف أن العاطفة هي التي تشرح لنا خواص الصورة الأدبية الصالحة للتعبير عنها وإثارتها، وأول ما يبدو من ذلك أن لغة العاطفة يجب أن تكون مألوفة جزالة بعيدة عن المصطلحات العلمية والكلمات الغريبة ما دامت الدراسة العلمية أو التحليلية لا يوجد في بحث الإحساس الأدبي ولا بد أن يكون القصد إلى العواطف عن طريقه غير مباشرة أي افتراضية رمزية والرباعيات التالية تعطي تفسير:

زمن هنگامه ده این جهان را دگرگون کن زمین و آسمان را

ز خاک ما دگر آدم برانگیز بکش ایس بنده سود و زیاں را (۵)

أثر دنياك خذ مني المثيرا بها التغير فاجعله الكييرا

لك الإنسان فخلق من ثراها أبر من كان للمال الأسيرا (۶)

ثم يقول:

نگاه تو عتاب آلود تا چند بتان حاضر و موجود تا چند

۱- کلیات إقبال (الأردية) بانك درا، ص ۳۶۰.

۲- الترجمة العربية، المصري، صاوي شعلان، صلصلة الجرس، ص ۱۰۹.

۳- کلیات اقبال (الأردية) لومغان حجاز، ص ۱۱۴۰. (شعر هذا بلسان الفارسية).

۴- الترجمة العربية: المصري، د. حسين مجيب: هدية الحجاز، ص ۵۴۴.

۵- کلیات إقبال (فارسی) ارمنان حجاز، ص ۱۸.

۶- الترجمة العربية: المصري، د. حسين مجيب: هدية الحجاز، ص ۳۲۵.

دريـن بتـخانـه اولاد ابراهيم نمك پرورده نمرود تا چند (١)

إلام بعين عتبك أنت تنظر وأصنام لديك إلام تحضر

لأبناء الخليل رأيت دارا ونمرود يرثهم ويكفر (٢)

ثم إن العبارة تختلف باختلاف العاطفة فإذا كانت عاطفة متوسطة أو قصيدة تعبر عن الإعجاب بالوردة ، احتاجت إلى سهولة العبارة وجمال الصور والإيجاز الكافي وإذا كانت عميقة خالدة تتصل بأصول الحياة وطباع الناس إقتضت تعبيراً جزلاً شديداً وصوراً محكمة قد تكون تمثيلاً أو كنايات أو مطابقة أو نحوها وقد تعوزها بساطة القول وتعدد الصور الخيالية لطرافتها وحاجتها إلى الإسهاب ، ويتمثل هذا في قصيدة إقبال التي قالها في رثائه لصديقه مسعود فهمي تمتاز بفخامة وعظمة الأسلوب الأدائي ثم الموسيقى ونغمة الشعر ، فبناء القصيدة يمتاز بالاصالة فهي تنمو من خلال الأسلوب والبيان الذي يرتفع فوق مستوي المقالة العادية فهناك التنوع الخصب في الأسلوب الذي يشمل التعبيرات الأليفة التي تسير جنباً إلى جنب مع التأملات الفلسفية ولكن الأسلوب يظل رائعاً باستمرار ، والواقع أن جمال الأسلوب يجعل القصيدة إحدى روائع المراثيات في اللغة الأردنية ، فإقبال قد أعطانا أجود ما يمكن أن يعطى .

## الصورة الأدبية

ويقول سمير عبدالحميد:

والصورة الأدبية مرتبطة بالمعاني اللغوية للألفاظ ويرتبط بها الموسيقى ومعانيها المجازية وحسن تأليفها معا بحيث يكون من ذلك كله تأثيران .

أحدهما معنوي عاطفي والثاني موسيقى :

ويعين في قوة العاطفة وسرعة تأثيرها وهذا يسمى حسن النظم أو جمال الأسلوب ، والعاطفة تختلف باختلاف الأدباء . ويتبع ذلك اختلاف الصورة الأدبية التي تؤدي هذه العواطف والشعراء يتبادلون الشيء الواحد معجبين به ولكن سبب الإعجاب أو مستواه مختلف بينهم . فإذا بصور أدبية متباينة للشعور الواحد في أصله المتعدد بتعدد المشتركين فيه ، وهاهو إقبال يتحدث عن فكرة الموت .

١- كليات إقبال (فارسي) ارمغان حجاز ، ص ٢٤ .

٢- الترجمة العربية: المصري ، د. حسين مجيب : هدية المجاز ، ص ٤٢٧ .

سرود رفته باز آید که ناید  
 سر آمد روزگار ایس فقیرے  
 نسیم از حجاز آید که ناید؟  
 دگر دانای راز آید که ناید؟ (۱)  
 و من أرض الحجاز الريح؟ کلا  
 وهذا العمر يا لهفي تقضى  
 فهلاً عاد من أحببت هلا؟ (۲)  
 ثم يقول إقبال :

چه خوش صحرا که شامش صبح خندا است  
 قدم ای راهرو آهسته ترنه  
 شبش کوتاه و روز او بلند است  
 چو ماهر ذره او دردمندا است (۳)  
 مساء مثل فجر قد تبسم  
 تمطی صبحها واللیل أظلم  
 تمهل إن خطوت علی رمال  
 کقلبي کلها قلب تألم (۴)

ومن هنا نصل إلى نتيجة أن هناك شدة ارتباط بين المادة والصورة أو بين اللفظ والمعنى أو بين الفكرة والعاطفة من ناحية، والخيال واللفظ من ناحية ثانية وأن أي تغيير في المادة تستتبع نظيره في الصورة والعكس صحيح وأن الأدب القوي الخالد يقوم على صدق الشعور وصحة التفكير ثم الرغبة الصادقة في نقلهما إلى القراء كما هي والقدرة البيانية المتجلية في الصورة الأدبية وكلما كانت الصور الأدبية رائعة كلما استطاع الشاعر أن يجسد الأفكار وتشعر بالمعنويات كأنها محسوسات نكاد نلمسها كما أنه يستطيع في سهولة ويسر أن ينطلق من المحسوسات إلى المعنويات وأن يمزج بين الطبيعية والحياة والنفس الإنسانية في صورة متكاملة تجمع عمق التأمل إلى روعة التصوير". (۵)  
 ويقول إقبال :

نم اشك است در چشم سیاهش  
 همای مے کو ضمیرم را بر افروخت  
 ولم سوز دز آه صبح گاهش  
 پیایے ریزو از موج نگاهش (۶)  
 ترقرق دمعها سود العیون  
 ومن زفرتها كانت شجونی

۱- کلیات إقبال، (فارسی) ارمغان حجاز، ص ۲۴.

۲- الترجمة العربية: المصري، د. حسين مجيب: هدية الحجاز، ص ۴۲۷.

۳- کلیات إقبال (فارسی) ارمغان حجاز: ص ۵۰.

۴- الترجمة العربية: المصري، د. حسين مجيب: هدية الحجاز، ص ۴۳۶.

۵- سمیر، عبدالحمید ابراهیم: ارمغان حجاز، ص ۹۴.

۶- کلیات إقبال (فارسی)، ارمغان حجاز، ص ۴۸.

مدام اضرممت في القلب نارا بنظرتها كموج يحتويني (١)

## الوزن والقافية والموسيقى

ويقول عبدالوهاب عزام عن موسيقى إقبال:

”وميدان الشاعر ليس هو اللفظ من حيث أنه صوت أو أصوات اصطلاح على معناها وإنما مجالاته في تركيب هذه الأصوات بحيث تنسجم وتتوافق انسجاماً وتوافقاً لا يأتي من طبيعة اللفظ كما أن مجالاته في ارتباطات هذه المعاني لأنه لا مجال لإبداع الفن في اللفظ نفسه، ويتجلى أثر الإحساس الموسيقي في شعر إقبال في التوسع في الأوزان المناسبة، وأوزان شعر إقبال هي الأوزان الفارسية كلها وهي أوزان أخذها شعراء الفرس عن الأوزان العربية وتصرفوا فيها و زادوا عليها، والقوافي الفارسية كذلك، أما عن أنواع القوافي ففيها الرباعيات وهي تحتل الجزء الأعظم من أرمغان حجاز. فالجزء الفارسي جميعه عدا بعض القطع التي ذكرها ضمن النظم الأردني، نظم على طريقة بعدد الرباعيات، أو في دواوين إقبال جميعها.

لا بد من نغمة ربيبة الجنون، هي حريق في شفاف القلب، إن في الألحان لمقاما تسمع فيه بغير لفظ الكلام، والنغمة المضيئة هي سراج الفطرة في كل ظلام، معناها يخلق كل صورة، وكل ناغم بغيرها جئة هامة، ونغماته شرار نار خامدة“ (٢).

## البلاغة والفصاحة

ومن أهم الخصائص المشاهدة في شعر إقبال هو بلاغته وفصاحته المشبوبة بالعاطفة الواضحة الحليمة دون مجهود، فهو في هذا يصل إلى قمة علوية، بالإضافة إلى الإتساق اللحني في اللغة مهما كان الموضوع يطرقه، ونشاهد نفس تدفق الافكار المغلضة باللغة الجميلة بحيث يجد الفرد صعوبة في أن يفرق.

هل هذا هو روعة الفكر نفسه أم روعة التعبير، أي منهما هو مصدر البهجة والروعة، وبصرف النظر عن القيمة العظيمة لفكره فإن شعر إقبال نال الشهرة نتيجة للألفاظ المنتقاة والخيال الحي المشرق المضحك بالحيوية، فقد نجح إقبال نجاحاً ملحوظاً في إعطاء فلسفته أداءً شعرياً، وقوة

١- الترجمة العربية: المصري: د. حسين محيب: هدية الحجاز، ص ٤٣٦.

٢- عزام، عبدالوهاب، الدكتور: محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، ص ١٥٥-١٥٦.

وجسدة خياله ، تعتبر مآثره لفصاحته وبلاغته الفريدة و وفرة الموسيقى ، نشاهدها في كل بيت كتبه  
كما نشاهد الغنى والفتنة حتى في مثنوياته فإن فصاحته وبلاغته تقدم روعة وجمالاً متدفقا . وقد قرر  
أحد أصدقاء إقبال أن إقبال كان حين ترد عليه حالة التأليف فإن تدفق الشعر يبدو متواصلا مستمرا ،  
وهذه التلقائية كانت نتيجة لسجية الشعرية وتوجد البلاغة الرائعة في كل ما كتب بل أن وهج وحرارة  
الإلهام لهم يتفاعل أبدا .

وينقل سمير قول د. يوسف حسين في كتابه:

و"إن كلام إقبال يمثل أمام أعيننا جوهر البلاغة في المعاني والألفاظ فقد قدم الصور  
المجردة بروعة فائقة في قالب الحياة والحركة واختار شكل الإستعارة لأفكاره وصوره المحسوسة  
فكثيرا من الشعراء كتبوا الكثير من الأشعار فيما يتعلق بزوال الحسن إلا أن إقبال قد كشف النقاب في  
منظومته "حقيقت حسن" عن الجوهر الأبدي للكائنات بطريقة نادرة فريدة ومن ناحية المحاسن  
اللفظية والمعنوية تعد من أحسن منظوماته" (١).

خدا سے حسن نے ایک روز یہ سوال کیا      جہاں میں کیوں نہ تو نے مجھے لازوال کیا  
ملا جواب کہ تصویر خانہ ہے دنیا      شب دراز عدم کا فسانہ ہے دنیا (٢)  
سأل الجمال الله ذات يوم      لماذا لم تخلدني في هذه الدنيا  
فأجاب الله : هذه الدنيا كالمرسم      إنها اسطورة ليل العدم الطويل (٣)

"ولأن هذه الدنيا خلقت من ألوان التغيير فالجميل هو ذلك الشيء الذي حقيقة الزوال ، كان  
القمر في مكان قريب فسمع هذه المحادثة ، وأشاع هذا بين الفلك وسمعتة نجمة السحر وبعد أن  
سمع نجم السحر هذا الكلام ، قاله للندی فعرف كاتم أسرار الأرض كلام الفلك فترقرقت الدموع في  
الأزهار من رسالة الندى ودما قلب البرعم الصغير من الغم، وذهب الربيع من البستان باكيا والشباب  
الذي جاء منشرحاً خرج متألماً" (٤).

فالشاعر يشير في هذا النظم إلى أن الحياة خاضعة للتغيير والتبدل وكذلك الحسن والشباب أيضاً  
لايستغني عن التغيير ، فالزمان خالقهم وهو مستعد أيضاً لإزالتهم وهذا ناتج عن تصور إقبال لحقيقة  
الذات المتعلقة بالزمان . فالذات عبارة عن التغيير الدائم والتغيير الملىء بأسرار العمل قابل للحدوث في  
الزمان لكنه يبقى في الداخل إلى الأبد لأنه يكون ما فوق الزمان ، وبسبب التغيير تنال الذات سموها .

١- سمير ، عبدالحميد ، إبراهيم :ارمغان حجاز ، ص ٩٦ .

٢- كليات إقبال (الاردنية) : بانك درا ، ص ١٩٢ .

٣- الترجمة العربية : سمير ، عبدالحميد إبراهيم : ارمغان حجاز ، ص ٩٦ .

٤- نفس المرجع .

وفي شعر إقبال نماذج عمدة للصور الشعرية يضع فيها الحياة الساكنة وهي تنوق إلى الإضطراب والنشاط ويعبر عن خيال رائع لم يطرقه أحد من قبل كما أنه في عرضه للمنظر يعطى صورة الفطرة من سرّ الالفاظ وفي منظومته "كشمير" نظم شعرا جسده به الحقيقة أمام الأعين فاستعمل بدقة الوزن والبحر المناسب للمضمون.

يقول سمير عبدالحميد :

"أن إقبال ملك التشبيه وأردنا مثالا لذلك فلنره في منظومته "جگنو" ... وكذلك في "بزم أنجم" وقد استخدم إقبال في الإستعارة والكناية ألفاظا خاصة للقادة السياسيين مثل : خاك باز، مورومگس، إبليس كے فرزند (ابن الابليس) وارث جنكيز و پرويز، ثم لفظ خودي ودلالته وقد ذكر المرحوم ظهير الدين علوي (١)، أمثله لذلك في كتاب خيابانِ اقبال. (٢) ونكتفي هنا فقط بالإشارة إليه.

## ابتكارات إقبال في الشعر

### التجديد في التعبيرات الشعرية

#### ١- الشعر الفارسي

يقول سمير عبدالحميد:

ومظهر الحدة شيء ملحوظ في شعر إقبال على الرغم من أنه لم يكن حقيقة ضد مقاومة التمسك بالتقاليد فهو يستخدم كلمات خاصة واصطلاحات ليبر عن أفكاره الأصيلة ، بعض هذه الإصطلاحات ابتكرها وبعضها استخرجها من القديم فأحالتها إلى حالة جديدة تماما، وعبارات إقبال أيضا تمثل حجر الأساس لقنطرة الإلهام الشعري ولأن نزع حجر الأساس بسبب السقوط المفاجئ للقنطرة الداخلية لذا فلو حاولنا استبدال الكلمة الأساسية أو الإصطلاح الأساسي بآخر، فإن التعبير الفني ينهاروا التعبير بالنسبة للتجربة الشعرية يعتمد على الكلمات والمصطلحات التي تشكل جوهر الفكرة ذاتها وعلى سبيل المثال ، فإن كلمة "قلندر" أنه هي المحور الذي يرتكز عليه سحر وهذا البيت:

١- العميد السابق لجامعة علي كره .

٢- سمير ، عبدالحميد ، إبراهيم : ارمغان حجاز ، ص ٩٨ .

”مررت ”بالبيت“ من الخارج لكنني قلت كل ما في البيت

كيف أن قلندراً مثلي قد قال ما لم يقال من قبل“

فكلمة ”قلندر“ عند إقبال ترمز إلى الرجل الذي يتحدى التقاليد والشكليات وإقبال يجعل هذا البوهيمي ممثلاً في الناظر الذي يمكن أن يعرف أسرار البيت دون الدخول فيه وتعبيره هذا يفرض بنفسه وزنه وأهميته ، هذا من ناحية الفكرة إلا أن كلمة قلندراً أنه تعطي سحراً جديداً وتهب الشعر حياة حقيقة“.(١)

## الشعر الأردني

وأما ناحية الشعر الأردني فإن لغة إقبال في شعره الأردني صافية نظيفة سهلة . وهذه السلاسة والنقاء أو جدت في فنه الحسن والجاذبية ، خلق إقبال اصطلاحات جديدة في اللغة تماماً كما فعل في الفارسية كما اتسع الأدب الأردني بما أدخله من استعارات وتشبيهات حديثة ، فصور الطبيعية في شعره الأردني ونظم عن ”الهملايا“ وصور الفراشة والبلبل وغيرها حيث يوجد قوة التصوير سواء من ناحية الخيال والفكر أو البيان والإبداع بالتشبيهات والاستعارات الرقيقة .

يقول سمير عبدالحميد :

وأدخل إقبال المضامين القديمة في إستعمالات حديثة وذلك في المضامين الدينية مثل كافر ، دين داري ، پيران حرم ، مقدر ، عرش برين ، ملت بيضاء ، طواف ، حج ، زكاة ، روزه ، نماز ، أذان ، جماعت ، حرم ، توحيد ، جهاد ، يد بيضاء ، مسيح ، جمال ، جلال ، نور كلیم ، خليل ، معجزة ، وحي ، زنار ، مصحف ، جبريل وغيرها .

وهذا بالإضافة إلى آلاف المصطلحات الجديدة التي استحدثها إقبال مثل :

حدی خوان ، افتراق بولهبي ، شيوه هائي خانقاهي ، بازيجه تاويل . رسم وراه ، خانقهي ، سرور أزلي ، حضرت يزدان ، فطرت أحرار ، قباپوش و كلمة داري ، مجاهدانه حرارت ، علم لاهوتي ، شيخ كليسا ، نمازي قيام ، محروم يقين ، گلبانگ أنا الحق ، رسم شبيري ، بوئي رهباني ، مسيح ب صليب ، فقر و راهبي وغيرها .

أما المصطلحات الفلسفية فقد استحدثها إقبال لشرح المسائل الفلسفية في أشعاره ومن بينها :

معركة بود ونبود ، نظام هست ونبود ، طلسم شش جهت ، زمان ومكان ، صفات ذات حق ، عين ذات حادث ، قديم ، قلب ونظر ، عرفان ، لازماني ، وحدت أفكار وکردار ، مشاهدة ، ثبات ، بقاء ، فناء ، نقش گر حادثات ، غياب وحضور ، مقام كبرياء ، طلب صادق ، انداز آفاقي ، مقامات ، آه و فغان ، نشاط رحيل ، فكر حكيمانه ، گرمي أفكار ، اندیشه بے باك وغيره .

وبين المصطلحات السياسية :

دست دولت آفرين ، أعضائي مجالس ، مجلس شوري ، دهریت ، سلطاني ، سياست افرنگ ، جوابگی خوئی غلامي ، ملوکیت پرويز ، أمير قافله وغيرها .

ومن بين المصطلحات المتنوعة :

لاله كاری ، طلسم سامري ، تقدير أمم ، خارا شگافي ، قنديل رهباني ، آهنگ ، فقر غيور ، ضرب کلیم ، بال جبريل ، شراب زندگی ، حیاتِ زندي ، سرود بربط هستي ، جدت ، خاتم هستي ، آئينه دار هستي ، ذوق آگهی مست ، شراب تقدير ، ذوق تبسم ، كشاكش پيهم ، ذوق جستجو ، لذت خودي ، صبح دوام ، زندگی جهان ، ضربت روزگار ، فيض شعور ، تقدير حواس ، ذوق فردا ، لذت امروز ، تسخير جهات . كاروانِ زند ، نشاط رحيل ، رسم شاهبازي ، طائر لاهوتي ، لذت يكتائي ، كوكب تقدير ، سهرنھاني وجود ، تقاضائ وجود ، آئين مكافاتِ عمل ، داغ آرزو ، تقويم حيات ، عيار ممكنات وغيرها“ .(١)

ومن الجدير بالذكر هنا أن اللغة الفارسية كانت منبعاً رائعاً للكلمات والمصطلحات للتعبير عن أفكاره ، ويقال أن هذا أحد الأسباب التي جعلته يبدأ الكتابة بالفارسية .

## التجديد في القوالب الشعرية

يقول سمير عبد الحميد في هذا الصدد :

” وأنواع المقاطع الشعرية المستخدمة في النظم الفارسي والأردني قياسية بشكل عام إلا أن إقبال نتيجة لحاجته إلى أنواع أكثر في إيقاعات النظم فقد استحدث عدة أشكال جديدة من القطع الشعرية . ومثال تجديد إقبال هذا نراه في منظوماته ” زيور “ فمع اللازمة ( العبارة التي تتكرر على نحو موصول في القطعة ) ” انهض من السبات العميق “ فإنها تحتوي قطع تتكون كل واحدة منها ستة أبيات .



والأربعة الأولى بنفس القافية ونفس الوزن . والبيت الخامس له وزن أطول والسادس له وزن أقصر وكل من البيت الخامس والسادس يتطابق في القافية مع الأبيات الأولى وتكرر في كل قطعة . وفي منظومته "سرود انجم" فإن كل قطعة تتكون من خمسة أبيات . الأربعة الأولى بنفس القافية وفي نفس الوزن لكن البيت الخامس في وزن مختلف ولا يتطابق في القافية مع الأبيات الأخرى . ويتكرر هذا مع نهاية كل قطعة .

وفي منظومة "إنقلاب" تتكون القطعة من أربعة أبيات في القطعة الأولى ، فإن الأبيات الأربعة الأولى تتطابق في القافية ، ولكن في بقية القطع ، فإن الثلاثة أبيات الأخيرة فقط تكون متطابقة في القافية .

والكتابة عن هذا الموضوع لا يمكن أن تستوعب كل ما جرده إقبال إلا أن هذه الإشارة كافية لإيضاح هذه الخاصية في فن إقبال الشعري والنعمة الختامية الملائمة لأشكال القطع الشعرية تحتاج إلى إستصاء للأسباب أكثر تفصيلا من هذا وعلى سبيل المثال في منظومة "سرود انجم" تناسب القافية متدفقة لتبين الهدؤلا الحركات السريعة للنجوم إلا أنه في منظومته "إنقلاب" نرى القافية متواتبة والنعمة الختامية متمهلة مترتبة ناعمة لتصور الوصل التدريجي للثورة .

وأكثر منظوماتها في بحر الرمل المثلث المحذوف "فاعلاتن فاعلاتن فاعلن" والمنظومات الأربعة الأولى في بانك درا ، هماله ، گل رنگين ، عهد طفلى ومرزا غالب . في هذا البحر كما أن هناك عدة منظومات من منظومات الدور الأول في هذا البحر وهي:

خفتگان خاک استفسار ، سید کی لوح تربت پر ، رفعت ای بزم جهان ، ناله فراق و داغ ، وفي الجزء الثاني من بانك درا نجد أربعة منظومات وفي الجزء الثالث تسع عشرة منظومة في هذا البحر ومنها:

شمع اور شاعر ، والده مرحومه کی یاد میں ، حضر راه ، وهي من المنظومات الذائعة وكذلك منظومة "جبريل وإبليس" وهي النظم الثامن لبال جبريل ، وفي منظومات بال جبريل يوضح إقبال بعض جوانب فكره المليئة بالجدبات حيث يستلزم التوازن وحسن ترتيب "الأوتاد والأسباب" وفي أركان النظم فيخلق هذا نغمة رائعة سهلة سلسلة بتوازن الأركان وروعة الأداء مما يدفع القارئ إلى الأنسياب في التجربة الفكرية جنبا إلى جنب مع التجربة الشعرية للشاعر ومن هنا دقق إقبال في

ترتيب أركان البحر ليخلق الأداء الرائع والتوازن بالإضافة إلى النغمة والإنسجام ويعد هذا من الخصائص المشتركة لبحوره المحببة ، وأعجب إقبال كثيراً ببحر الرمل المثلث المنخبون المقطوع "فاعلاتن فاعلاتن فعلاتن فعلاتن فعلمن" وهذا الوزن هو وزن الكثير من الغزليات والمنظومات الشهيرة خاصة في الأردية فبالإضافة إلى "شكوى وجواب شكوى" نجد عدة منظومات في القسم الأول ، والثاني والثالث لبانك درا ، إذ أن هذا الوزن يصلح لأداء مختلف سلسلة الأفكار بطريقة تمتاز بدرجة كبيرة من الترتم كما أن لهذا الوزن قدرة على أداء المضامين الغزلية". (١)

## التجديد في الخيال

والخيال هو الموهبة الطبيعية الخاصة بالشعراء ، فخيال الشاعر من ناحية يعبر عن الفكرة العقلية والروحية في شكل معين ومن ناحية أخرى مع المعنى الأسمى الذي يراه. ومن هنا فإن كل الشعراء بالضرورة يمتلكون الخيال والفرق بينهم هو - فقط - في مسألة الدرجة ، وإقبال كفنان قد وهب أرفع القوي التخيلية سواء في إبتداع المعاني أو الخواطر تماماً مثل التأويل والتفسير، فالشعراء في جميع اللغات قد كتبوا عن "الواحدة" لكن معالجة إقبال لهذا الموضوع مملوءة بمثل هذا العنصر المشير للشفقة الذي لا يخطئ أبداً في تحريك العاطفة الحية في أي قارئ وفي إثارتها:

"ذهبت إلى شاطئ البحر وقلت للموج المضطرب  
 أنك دائماً في احتياج أي مشكلة لديك  
 توجد آلاف اللاتي اللامعة في جيبي  
 لكن هل تملك مثلي جوهر القلب في صدرك  
 اضطرب وهرب بعيداً عن الشاطئ ولم يقل شيئاً  
 وأخذت نفسي إلى حضرة الله ومررت بالشمس والقمر" (٢)

وقلت :

"لا توجد ذرة في دنياك تعرفني  
 العالم خال من القلب وقبضة غباري هذه هي كل القلب  
 إن الروضة جذابة لكنها لا تناسب أغنيتي  
 جاءت الإبتسامة على شفثيه لكنه لم ينطق شيئاً" (٣)  
 فالخيال متنوع مما يخدم في تقوية التأثير العاطفي المركز وإنسجام الخيالات ، يؤكد عن طريق حقيقة أنها جميعها ناتجة عن نفس الشعور الكامن في الشاعر لكن الخيال التفسيري والذي تفوق فيه إقبال ، يدرك القيمة أو المغزي الروحي فيقدم موضوعه عن طريق تقديم صفات تكمن فيها

١- سمير ، عبدالحميد ابراهيم: ديوان ارمغان حجاز، ص ٩١ .

٢- الترجمة العربية : سمير ، عبدالحميد ، إبراهيم : ديوان ارمغان حجاز ، ص ٩٢ .

٣- الترجمة العربية : سمير ، عبدالحميد ، إبراهيم : ديوان ارمغان حجاز ، ص ٩٣ .

القيمة الروحية وعلى سبيل المثال يقول في قطعة بعنوان "الندى".

"في قميص الذهر الجميل توجد إبرة الشوكة

مع أن هناك شوك إلا أنه محروس من الرفقاء

مع كل هذا العشق المسعور

هو في حزن الصديق

ووجوده من الربيع . (١)

فعن طريق عرض صفات الشوكة يشير الشاعر في الإنسان الشجاعة التي تمكنه من مواجهة الصعاب والآم الحياة ، وفوق هذا فإن الحياة تكون ناقصة دون ذلك ، والعلاقة بين الخيال والعاطفة علاقة متلاصقة جدا ولذا فإن العاطفة العميقة ترق الخيال والمنظر الخيالي يرقق العاطفة ومن هنا فإن الدرجة العالية للخيال تتطابق عامة مع تطور العواطف وأن قوة المخيلة العالية عند إقبال تدل على أن عواطفه عميقة لكنها سليمة ومضبوطة .

## رومانية وكلاسيكية

ولا يخلو كلام إقبال من رومانية وكلاسيكية ، هما جزو لا ينفك لشعره . ومجلة "مخزن" مهم جدا في تحريك الرومانية لشعر الأردني ، تأثر هذه مجلة كثيرا من الشعراء وكان إقبال أحد منهم، ونجد رومانية في منظوماته "ايك آرزو" و"هماله" أكثر منظوماته في الدور الثانية لشاعريته حاملة هذه الخصائص ومنها "محببت" "حقيقت حسن" و"ايك شام" نموذجاً جيداً لتصوير الرومانية . أما جهة الفنية فميلانه إلى التغزل .

## التشبيهات الجمالية في شعر إقبال

ونجد التشبيهات الجمالية في شعر إقبال متشرة وفكره الديني أيضا مملوء بحسن التشبيهات كما نراه في شعره . وكان إقبال يحب الجمال والحسن في الكلام نثراً أو شعراً ونجد في شعره ميمزه إقبال هذه صراحة واضحة كما نرى فيما يلي :

عروج آدم خاكي سے انجم سہے جاتے ہیں کہ یہ ٹوٹا ہوا تارا مہ کابل نہ بن جائے (٢)

١- سمير ، عبد الحميد إبراهيم : ديوان أرمغان حجاز، ص ٩٤ .

٢- كليات إقبال (الأردنية) بال جبريل : ص ٥٤٦ .

آدم الأرض في صعود غريب  
ربما صار للسموات بدرأ  
مٹا دیا میرے ساقی سے عالم من و تو  
ساقی ما حصل الذي أبغيه  
القلب منشغل بما عطيته  
ولهذا النجوم طرّاً تمور  
ربما عاد نجمه المكسور (۱)  
پلاکے مجھ کو لے لا الہ الا هو (۲)  
الذات عالمها متى نلغيه  
عمن يغنيه ومن يسقيه (۳)

ثم يقول:

ہر کوئی مست سے ذوق تن آسانی ہے  
حیدری فقر ہے نے دولت عثمانی ہے  
وہ زمانے میں معزز تھے مسلمان ہو کر  
لأي مآثر القوم انتسبتم؟  
فأين مقام ذي النوريس (۵) منكم  
وفقر علي الأواب هلا  
أقمتم في الذنوب وفي الخطايا  
وهم ستر و اعيوب الخلق فضلا  
أنظر إلى هذا الشعر:

یہ مال و دولت دنیا، یہ رشتہ و پیوند  
مال دنیاك والبنون خداع  
هي أصنام واهم قد براها  
بتان و ہم و گمان، لا اله الا الله (۷)  
كله لا اله الا الله  
وهمه لا اله الا الله (۸)

نجد عديدة تشبيهات في هذا الصدد، ولكن نكتفي على هذه .

۱- الترجمة العربية: زهير ظاظا، الأستاذ: جناح جبريل، ص ۴۱۱ .

۲- کلیات اقبال (الأردنية) بال جبريل، ص ۵۵۲ .

۳- الترجمة العربية: زهير ظاظا، الأستاذ: جناح جبريل، ص ۴۱۳ .

۴- کلیات اقبال : (الأردنية) بانك درا، ص ۳۵۶ .

۵- هو لقب الخليفة الراشد سيد عثمان بن عفان رضي الله عنه .

۶- الترجمة العربية: المصري، صاوي شعلان، صلصلة الجرس، ص ۱۰۶ .

۷- کلیات اقبال : (الأردنية) ضرب كلیم: ص ۸۴۱ .

۸- الترجمة العربية: عزام، عبدالوهاب، الدكتور: ضرب كلیم، ص ۲۳ .

## استعارة

وقد استخدم إقبال الاستعارة حيث نرى إقبال يترك استخدام التشبيه ، والاستعارة أكثر

استخداماً في شعر إقبال من التشبيه كما يظهر من الأبيات التالية :

حديث بندۂ مومن دل آویز	جگہ پُر خون ، نفس روشن ، نگہ تیز
میسر ہو کسے دیدار اُس کا	کہ ہے وہ رونق محفل کم آمیز (۱)
حديث العبد المؤمن يتعلق بالقلب	الكبد ملئي بالدم ، النفس مضیعة ، النظرة حادة
كيف تتسیر روية المؤمن الذي يضئ المحفل	فهو لا يختلط بنا إلا قليلاً (۲)
هو حلقۂ یاراں تو بریشم کی طرح نرم	رزم حق و باطل ہو تو فولاد ہے مومن (۳)
مع الصّحب لین کمس الحریر	بعید من المحلک ، المومن (۴)
حديد إذا ما طغى باطل	جرئ لى المعرك ، المومن (۵)
قہاری و غفاری و قدوسی و جبروت	یہ چار عناصر ہوں تو بنتا ہے مسلمان (۶)
فیہ قدسیة إلى جبروت	ومن القہرفیہ والغفران
إن تؤلّف هذی العناصر كان	المسلم المتعلی علی الحدثنان (۷)
ثم يقول في وصف المؤمن :	
یہ راز کسی کو نہیں معلوم کہ مومن	قاری نظر آتا ہے ، حقیقت میں ہے قرآن (۸)
لست تدري بسرّہ فتراه	قارئاً وهو صوره القرآن (۹)
تازہ میرے ضمیر میں معرکہ کہن ہوا	عشق تمام مصطفیٰ ، عقل تمام بولہب (۱۰)

۱- کلیات إقبال (الأردنية) ارمغان حجاز ، ص ۱۱۲ .

۲- الترجمة العربية: المصري ، دكتور حسين مجيب : هدية الحجاز ، ص ۵۳۲ .

۳- کلیات اقبال (الأردنية) : ضرب کلیم ، ص ۸۸۹ .

۴- القافية مردوفة بكلمة "المؤمن" والروي الكاف التي قبلها .

۵- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : ضرب کلیم ، ص ۴۳ .

۶- کلیات اقبال (الأردنية) : ضرب کلیم ، ص ۹۱۳ .

۷- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : ضرب کلیم ، ص ۵۳ .

۸- کلیات إقبال (الأردنية) : ضرب کلیم : ص ۹۱۳ .

۹- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور ، ضرب کلیم ، ص ۵۳ .

۱۰- کلیات إقبال (الأردنية) : بال جبریل : ص ۷۲۷ .

الفکر من حیث تأتیہ أبو لہب  
 والحبِّ حیث یكون المصطفیٰ یدہ  
 وکلّہ کلّہ مکر من الأمم  
 وکلّہ کلّہ من مقلتیہ نمی (۱)  
 نغمہ ہندی ہے تو کیا، لے تو مجازی ہے میری  
 عجی خم ہے تو کیا، نے تو مجازی ہے میری  
 صنّع الحجاز وکرمہا الفینان  
 أنا أعجمی الدن لکن خمرتی  
 لکن هذا الصوت من عدنان (۳)  
 إن کان لی نغم الہنود ولحنہم

وہكذا لاحظنا أن يستعمل شوقي تشبيهاً واستعارات في شعره بكمال جيد.

وبعد مطالعة ميزات كلامهما (شوقي وإقبال) نصل إلى النتيجة أن إقبال و شوقي كانا أجود

الشعراء وكلاهما استخدمتا الاصطلاحات الجديدة في كلامهما . هما بارعان في مجال الشعر، ولهذا

يقال أحدهما (شوقي) أمير الشعراء ويقال آخرهما (إقبال) شاعر الإسلام.

۱- الترجمة العربية: زهير ظاظا، الأستاذ: جناح جبريل، ص ۵۰۲.

۲- کلیات إقبال (الأردنية): بانك درا، ص ۲۹۹.

۳- الترجمة العربية: المصري صاوي شعلان: صلصلة الجرس، ص ۱۰۰.

## الباب الرابع

## المقارنة بين المديح النبوي لشوقي والمديح النبوي لإقبال

الفصل الأول:	ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم
الفصل الثاني:	البعثة النبوية والوحي الرباني
الفصل الثالث:	الخوارق والمعجزات
الفصل الرابع:	الهجرة النبوية وتأسيس الدولة الإسلامية
الفصل الخامس:	غزوات وجهاد النبي صلى الله عليه وسلم
الفصل السادس:	أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وشمائله
الفصل السابع:	الإسلام وخصائصه
الفصل الثامن:	القرآن الحكيم والحديث النبوي والسنة النبوية

## الفصل الأول

### ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم

ولقد أنعم الله علينا إذا بعث فينا محمد صلى الله عليه وسلم، وكانت ولادته سعيدة ومباركة، وهو سرور الكونين، سيد الثقلين . نبي الحرمين ، وهو رحمة للعالمين ، كما جاء في القرآن الحكيم .

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١)

ولد النبي صلى الله عليه بمكة اشرف البلاد، وأكرمها على الله سبحانه وعلى العباد، ومن بحر بحرتها ظهرت درته اليتيمة، وفي افق سمائها طلعت شمس طلعتة الوسميه، و بركاتها نامية وموارد فضائلها طامية وهو دعوة أبيه إبراهيم وبشارة عيسى عليه السلام والتسليم، و صفوة سلالة قريش وصميمها ونخبة بني هاشم راحلها ومقيمها، وأشرف العرب بدواً وحضراً، وأفضلهم بيتاً وأعزهم نفراً، من قبل أبيه ذي النسب الزاكي نور نضرته، وجهة أمه ذات الحسب الزاهر ضوء زهرته“ (٢).

واختلف في عام ولادته صلى الله عليه وسلم واتفق كثير من علماء الإسلام على أنه ولد في عام الفيل، وحكي الاتفاق عليه، والمشهور أنه بعده بخمسين يوماً وقيل: بأربعين وقيل: بعشر سنين وقيل: غير ذلك .

ثم لدى الجمهور أنه ولد في شهر ربيع الأول: فقيل: ثانية، وقيل: ثامنة، وانتصر له كثيرون، قيل: وهو اختيار أكثر المحدثين، وقيل: عاشره، وقيل: ثاني عشرة، وهو المشهور وقيل غير ذلك“ (٣).

وروي في حديث مسلم: أنه ولد يوم الاثنين، (٤) وهو صريح في أنه ولد نهاراً أي عقب

١- سورة الانبياء، الآية: ١٠٧ .

٢- النبهاني، يوسف بن اسماعيل: جواهر البحار . ١٠٠/٣، ١٠٢ .

٣- انظر مولده في ”سيرة ابن هشام، ١٧١/١، وطبقات ابن سعد، ١٠٠/١ . وتاريخ الطبري، ١٥٥/٢، وسيرة ابن

كثير، ١٩٧/١، والبداية والنهاية، ٢٥٩/٢، زاد المعاد، ٧٦/١ .

٤- أخرجه مسلم، في الجامع الصحيح: كتاب الصوم: باب، انتخاب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة

وعاشوراء والاثنين والخمسين . ١٦٦/٣ .



الفجر كما ورد في رواية ضعيفة (١) وقال البدر الزركشي (٢) أنه ولد نهاراً .

## وصف ولادة رسول الكريم عند شوقي وإقبال

صور شوقي مولد النبي صلى الله عليه وسلم بما يستحقه من تعظيم وتبجيل وجمال وجلال، لأنه خير بشري للانسانية الذين مازالوا على الصراط المستقيم ، نبدوا الحق والعدل والخير ، فالكائنات كانت مسرورة بمولده صارت ضياء ، وهذا أبلغ من صيرورتها مضئية ، والزمان بمولده صار ابتساما ، وهذا أبلغ من صيرورته مبتسما ومثنيا، وجبريل والملائكة في بهجة يبشرون به الدين والدنيا، والعرش والسموات في عيد ، والقرآن الكريم معد للإيحاء به ، وهو في جماله وتنوعه وخيره للبشر كحديقة متفتحة الورد والزهر عبقة الرائحة ، والوحي يقطر عذبا من عذب ، واللوح المحفوظ يفيض حسنا وبهاء على ولادة خير الرسل .

ويقول الدكتور أحمد الحوفي في هذا الصدد:

”وقد صور شوقي هذا بأن أسماء الرسل في اللوح المحفوظ صحيفة واسم النبي محمد (ﷺ) طغراء في هذه الصحيفة لكننا لانستجيد قوله أن اسم الله تعالى هناك ألف ، واسم محمد باء، يريد بهذا التصوير أن يسمو بقدر النبي على أقدار الأنبياء ، لأن هذا التصوير قد يوهم التسامي بالنبي عن البشرية وتقريبه من العظمة الألهية ، إذ كانت الباء بعد ألف في الترتيب الهجائي .

- ١- هي رواية ، نقلها القسطلاني في المواهب . بيروت : المكتب الاسلامي ، ١٣٧٣هـ / ١٩٩١م . ٢٧١/١ ، والشافي في سبيل الهدى . بيروت : دار الكتب العلمية . ١٩٩٣م . ٤١٠/١ ، وابن عساكر في تاريخه ، ٢٥٤/١ .
- ٢- هو أبو عبدالله ، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي الشافعي المتوفى سنة ٧٩٤هـ . وراجع لقول الزركشي : شرح المواهب ، ١٣٥/١ .
- انظر : للتفصيل المزيد الكتب التالية .
- سميع عاطف الزين : قصص الانبياء في القرآن الكريم المختار من مجمع البيان الحديث ، خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم . بيروت ، لبنان : دار الكتاب اللبناني مكتبة المدرسة . ١٩٨٢م . ١٧٠/٨ ، ١٨٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ١٠٠-١٠٢ .
- وانظر: عزيز ملك : تذكاري نبي ، قرآني آيات كى روشنى مين (ذكر النبي ، في ضوء آيات القرآنية) ، ص ٢٥ ، ٢٠ ، ١٩ .
- ابن كثير ، أبي الفداء اسماعيل ، الامام ، السيرة النبوة . بيروت ، لبنان : دار احياء التراث العربي ، بدون التاريخ . ١٨٣/١ ، ١٨٤ ، ١٩٨ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٦ .
- البيهقي : دلائل النبوة . القاهرة : دار النصر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ، ١٣ شارع سعد الله بالدرب الاحمر . ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م . ١/٦٣ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٦٩ .
- منير البعلبكي : حياة محمد ورسائله . الطبعة الثانية . بيروت : دار العلم للملايين . ١٩٦٧م . ص ٥٤-٥٥ .
- محمد إسماعيل إبراهيم : الصلوات على النبي . الطبعة الثامنة . مصر : مطبعة الاعتماد ، ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م . ص ١٢١ .
- حسب ارشاد : مولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم . لاهور ، باكستان : ملك دين محمد تاجر كتب ، السوق الكاشميري . ١٩٢٦م . ص ٩ .
- الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد قدم له : طه عبدالرؤوف ، أعلام النبوة ، ص ١٩٠-١٩١ .
- ابن جوزي ، عبدالرحمن بن علي : العلل المتناهية في الاحاديث الواهية . ١٦٥/١-١٦٦ .

ثم يقول:

ويبين شوقي تصوير البهجة بمولد النبي في قصيدته ، فقال إن الله بشر به السماء فأزينت ، وأنعم به على الأرض فتعطرت ، وأنه استهل جميل القسمات ، بشيراً بنصرة الحق وهداية البشر وتجميلهم بمكارم الأخلاق ، وقال إنه ولد وعلى وجهه الكريم نور النبوة وعلامة من جده إبراهيم ، وأن السيد المسيح أتى عليه والسيدة مريم فرحت به ، وأن يوم مولده فخر الزمان ونصرة للحق ويظهر أن شوقي تأثر هنا ببعض سابقه من مؤرخي السيرة ومن ما دحي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ تحدثوا عن مولده هذا الحديث وأشباهه وما نلوه في ذلك الخيال الذي لا يكاد يخلو من ألوانه مولد عظيم“ (١).

وقال شوقي:

ولد الهدى فالكائنات ضياء	وفم الزمان تبسم وثناء
الروح والملائك حوله	للدين والدنيا به شراء
والعرش يزهو الحظيرة تزدهي	والمنتهى والسدرة العصماء
وحديقة الفرقان ضاحكة الربا	بالترجمان شذية غناء
والوحي يقطر سلسلا من سلسل	واللوح والقلم البديع رواء
نظمت أسامي الرسل فهي صحيفة	في اللوح واسم محمد طغراء
اسم الجلالة في بديع حروفه	ألف هنالك واسم طه الباء (٢)

يقول النحدي ناصف عن هذه الاشعار:

”يأخذ شوقي مولود النبي حادثاً كونياً فذا ، وفرح له كل شئ في الأرض والسماء ، ويصور تصورات بالفن العالي ، بل نفحات من التصوير الملهم ، لا نرى عند غيره شبيها لها في هذا المقام. أنظر قوله:

ولد الهدى فالكائنات ضياء      وفم الزمان تبسم وثناء  
ويبدأ شوقي قصيدته بالفكر البديع والخاطر الأجود . ولن يكون لها نظير في الآخرين أبد الزمان ، فهو مولد الهدى الذي ليس كمثل هدى ، الهدى الذي سطع على الكائنات ، فإذا هي ضياء متأللي ، ليشع النور ويبدد الظلام. فلا حيره ولا ضلال ، الهدى الذي جعل من فم الزمان تبسماً وثناء فلا يرى إلا مبتسماً ، ولا يسمع إلا مثنياً ، فلم يبق التبسم والثناء منذ ذلك اليوم حالين عارفتين من أحواله ، تقومان به حيناً ، وتفارقانه حيناً آخر ، ولكنها تلازمه إلى غير زوال ، كأنهما قوامه ومادة وجوده ، ثم نلاحظ مرة أخرى هذين البيتين أيضاً :

نظمت أسامي الرسل فهي صحيفة      في اللوح واسم محمد طغراء

١- أحمد الحوفي ، الدكتور : الإسلام في شعر شوقي ، ص ١٠١ .

٢- الشوقيات : ٢١/١ .

اسم الجلالة في بديع حروفه ألف هنالك واسم محمد طه الباء ونرى هذه الصورة البديعة وتظهر بها كرامة النبي ومنزلته عند ربه ومقامه بين الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين . ونلاحظ في البيت الأخير إلى حسن التناسب بين الألف والباء ، حتى ما يكاد السامع يصل إلى كلمة (ألف) أول الشطر الأخير دون أن يدرك في غير تردد أن نهاية هي كلمة (الباء) بل لا يكاد يتحذر على كثير أن يأتوا بهذا الشطر كله في غير تلبث ولا خلاف ثم انظر إلى لطف الإشارة فيه بكلمة (هنالك) فالحديث الآن عن مغيب مكنون ، لا تدركه الأذهان إلا تخيلاً ، فليس أصلح لتوجيهها إليه ، وابتعائها لمثله من هذه الإشارة المستطيلة الغامضة يشار بها إلى أبعد بعيد ، إلا أن كلمة الحظيرة في قوله:

والعرش يزهو والحظيرة تزدهي والمنتهى والسدرة العصماء

كلمة غثة نازلة فضلاً عن أنها لا معنى لها ولا حاجة إليها ، وكلمة الترجمان في قوله:

وحديقة الفرقان ضاحكة الربا بالترجمان شذية غناء

قد أضعفت تشبيه الفرقان بالحديقة ، وقللت من قيمته ، فضاحة الربا ، وتشذية وغناء ، من خصائص المشبه به ، وحشدها ، معه على هذه الصورة حقيق أن يمثله للنفس تمثيلاً واضحاً . وأن يطيل ملازمتها له ، واشتغالها به ، فتتسى معه المشبه جملة أو تكاد . (١)

ثم يقول:

”غير أن ذكر الترجمان في أثناء هذه الخصائص حقيق أن يقطع على النفس خيالها ويصدها شيئاً عن متعة الاسترسال فيه والإصابة منه حتى النهاية ، لغرابته في هذا الموضع بحكم ملاءمته للمشبه وصلته به ، فكان ينبغي أن يغفل الشاعر ذكره ، أو أن يتبدل منه لفظاً آخر يكون بالمشبه به أشبه ، وإليه أميل“ . (٢)

ولا حظنا تصور شوقي عند ولادته صلى الله عليه وسلم ، الآن نلاحظ ولادته صلى الله عليه وسلم لدى إقبال . فلم نعرف في آداب الشعوب الإسلامية في العصر الحديث شاعراً عبّر عن محبته العميقة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم بأساليب شتى وطرائق متنوعة ، كما عبّر الشاعر الإسلامي الكبير محمد إقبال .

”فما من ديوان من دواوين هذا الشاعر يخلو من أثر لهذا الحب العميق ، هو حب فريد في نوعه ، عميق في مدلوله ، يأخذ بجمجا مع القلوب“ . (٣)

ولكن محمد إقبال ليس له ديوان خاص في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ولا نجد له قصائد طويلة كما نجد عند شوقي بل نجد الأبيات المدحية في شعره متفرقة .

١- علي النجدي ناصف : الدين والأخلاق في شعر شوقي ، ص ١٠٨ .

٢- نفس المرجع .

٣- محمد سعيد جمال الدين ، الدكتور و امجد حسين سعيد الله ، الدكتور : نخبة من آراء مفكرى العرب حول محمد إقبال ، ص ٥٦ .

وإقبال شاعر متفرد في تاريخ مديح الرسول صلى الله عليه وسلم وتفردة هذا بسبب موضوعاته ومضامينه التي اختارها لمدح الرسول وشعره كله يدور حول حب الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكن تلك الأبيات فيها يذكر أو يخاطب أو يستغيث الرسول، معراج شعره. ويظهر في شعره ولوعة حبه للرسول وكذلك قلقه الشديد لما آل إليه أمر الأمة وكذلك مؤثرات الحضارة الأوروبية ، وتصوراتهم لمفهوم الوطنية الضالة، ومستعمرات المسلمين وتدهور أحوال الأمة الإسلامية.

ويقول شفيح منصور عن شعر إقبال:

”وخلال حديثه عن الفلسفة والأدلة الكلامية عندما يصل إلى ذكر الرسول ينسى نفسه.“ (١)  
ومقصود إيجاد الخلائق عند إقبال هو الرسول صلى الله عليه وسلم وكل العالم الإنساني يدور حول هذا المحور، وولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم موجب بركة وسعادة ، وقبل ولادته كان العرب كله في فضاء المنافرة والبغضاء وكانت في القبائل عداوة شديدة بينهم ولكن النبي رحمة للعالمين صلى الله عليه وسلم جعلهم أسوة مودة وشفقة واختار لهم صبغة التوحيد والرسالة وصاروا نفس واحدة على أساس كلمة طيبة لا اله الا الله محمد رسول الله ونسوا اختلافاتهم من الحسب والنسب واللون والوطن، وهذا ليس أقل من معجزة ظهرت بيد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم. فيقول إقبال في ولادة الرسول الكريم.

مرد حق از آسمان افتد چو برق	هيزم او شهر ودشت غرب وشرق
ماهنوز اندر ظلام كائنات	او شريك اهتمام كائنات (٢)
رجل الله يلوح مثل برق	حطبا يجعل من غرب وشرق
نحن كنا في ظلام الكائنات	وهو ذو حذق بحل المعضلات (٣)

تأمل هذا الشعر ، كيف يصور إقبال ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويشبهه بالبرق التي تكشف كل ظلام الكون وتنثر النور ، ثم ناداه (صلى الله عليه وسلم) إقبال باسم رجل الحق . ووجود الكون بسببه، وقد بعثه الله سبحانه وتعالى رحمة للعالمين و سراجاً منيراً وهو الذي يطفى بنوره ظلمة الكفر والجور والضلالة .

وهذا فكر إقبال متشابه بفكر شوقي ، ولكن تصورات إقبال أبداع من شوقي ، بأن لدى شوقي عند ولادة الرسول الكريم تصوير الكائنات منورة ومبتسمة، ولكن عند إقبال وجوده بنفسه كالبرق وضيء الكون في لمحة واحدة .

١- صادق نسيم : اقبال مفرد نعت گو ، (إقبال مادح مفرد) ماهنامه ادبيات ، ص ٢٤ ، أبريل ١٩٨٠ م.

٢- كلييات إقبال (فارسي) جاويد نامه : ص ٢٠٥ .

٣- الترجمة العربية ، المصري ، د. حسين مجيب: رسالة الخلود ، ص ٣٣٣ .

وقال شوقي عن شرف نسب النبي عليه السلام :

خير الأبوة حازهم لك آدم      دون الأنام وأحرزت حواء  
هم أدركوا عز النبوة وانتهت      فيها إليك العزة القعساء  
خلقت لبيتك وهو مخلوق لها      إن العظام كفؤها العظماء (١)  
فتحدث شوقي طويلا عن مولده عليه السلام قبل أن يتحدث عن نسبه الشريف، والترتيب الطبيعي يقتضيه فيما أرى، أن يقدم ما آخر ويؤخر ما قدم، وهو كذلك يداخل مراحل الموضوع بعضها في بعض.

ويقول النجدي ناصف :

”فإذا هي مختلطة متشابكة، ولا يتبين لشي منها كيان، ولا تقوم حدود، فقد بدأ القصيدة بالمولد وآثاره ثم تركهما إلى أبوته، غير أنه لم يمض أمامه إلى هدفه في اطراد، بل عاد بعد أبيات“ (٢)  
ويقول في قصيدة أخرى:

أشرق النور في العوالم لما      بشرتها بأحمد الأنبياء  
باليتم الأمي والبشر المو      حي إليه العلوم والأسماء  
قوة الله إن تولت ضعيفا      تعبت في مراسه الأقوياء  
أشرف المرسلين آيته النط      ق مينا وقومه الفصحاء  
لم يفه بالنوابغ الغر حتى      سبق الخلق نحوه البلغاء  
وآتته العقول منقاده الل      ب ولى الأعوان والنصرء (٣)

وهنا نجد شوقي أبرع في تصوير البهجة، لأنه أضفى السرور على الكون كله، وجعل الدهر فرحا ضاحكاً، وتصوير جبريل والملائكة مستبشرين بالمولد مبشرين به، وصور العرش والحظيرة وسدرة المنتهى في زهو، ثم تخيل السماء مزدانة، والأرض عبقة، وتخيل وجه النبي مشرقاً بنور الحق ورونق النبوة وجعل مولد نصرته للحق وإعلاء له.

ويقول إقبال عن شرف نسب النبي عليه السلام :

او كلیم و او مسیح او خلیل      او محمد او کتاب او جبریل  
آفتاب كائنات اهل دل      از شعاع او حیات اهل دل (٤)

١- الشوقيات: ٣٤/١.

٢- علي النجدي ناصف: الدين والأخلاق في شعر شوقي: ص ١١٦.

٣- الشوقيات: ١٤/١.

٤- كليات إقبال (فارسي) جاويد نامہ: ص ٣٨٨.

والكليم (١) والمسيح والخليل (٢) والمحمد والكتاب (٣) ، جبريل نورها وهاب هاتيك الحياة (٤) هم بقبر اندر دعا گويم تيرا (٥) واطلت لك في قبري دعائي (٦) تامل هذه الألفاظ:

وه دانه سبل ختم الرسل مولاي كل جس نه هو سيد الانبياء هو خاتم الرسل هو مركب من نور يمشى أمام الركب ثم يقول:

نگاه عشق وستی میں وہی اول وہی آخر هو أول الميدان هو آخر الدرب هو رحمة القرآن للناس أعطاها هو سيدي ياسين هو مالكي طه (١٠)

ونجد في هذه الاشعار ، يفضل إقبال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الأنبياء بطريق أحسن ، وهو حبيب الله ، وهو سر الدين ، ويهدي كل الناس إلى سواء السبيل ، كتابه (القرآن) الكتاب الآخر من الكتب السماوية ، ويكمل دين الإسلام بنبوته . وتفخر كل الموجودات على بعثته ، هو وسيلة النور في طرق المظلمة . ثم يقول عنه (صلى الله عليه وسلم) إقبال بأنه الفرقان ، يسين وطه ، وهي ميزته التي لم ينلها سواه في الورى والخلاصة أننا نرى تصويراً جيداً لمقام وشرف النبي عند إقبال بأسلوب جيد.

١- الكليم : موسى عليه السلام .

٢- الخليل : ابراهيم عليه السلام .

٣- الكتاب هنا : هو القرآن الكريم .

٤- الترجمة العربية : المصري ، د. حسين مجيب : رسالة الخلود ، ص ٣٣٣ .

٥- كلييات إقبال (فارسي) جاويد نامه ، ص ٣٨٨ .

٦- الترجمة العربية : المصري ، د. حسين مجيب : رسالة الخلود ، ص ٣٣٥ .

٧- محمد اقبال ، علامة : بال جبريل ، ص ٣٩ .

٨- الترجمة العربية : زهير ظاظا ، الأستاذ : جناح جبريل ، ص ٤٢٤ .

٩- محمد اقبال ، علامة : بال جبريل ، ص ٣٩ .

١٠- الترجمة العربية : زهير ظاظا ، الأستاذ : جناح جبريل ، ص ٤٢٤ .

## الخوارق التي ظهرت عند ولادته

وتوجد اخبار شتى في كتب السيرة عن الخوارق التي ظهرت عند ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد لهج بها كثير من الشعراء الذين مدحوا الرسول ، واحتفى بها البوصيري، وسار شوقي على نهجه، لأنه حاكاه في "نهج البردة" ونرجح أنه نظر إليه في الهمزية النبوية . فلا عجب إذا في أن يختص شوقي بعض الخوارق بالتنويه ، كما اختص بعض بشائر المولد، من هذه الخوارق تصدع شرفات ايوان كسرى (١) كأنما كان مولد النبي نذيرا بتقويض صروح الاستبداد والوثنية والفساد.

ويقول شوقي ضيف:

"وقد صور شوقي ذلك بأن البشارة بمولد النبي سرت في الشرق والغرب مؤذنة بمشرق الحق والخير والعدل والتوحيد الخالص في دياجير الضلال والشر والعسف والشرك، فهي إذا نور يشق الظلمات ، وتخيل ايوان كسرى أناسي تدرك وتعى وتقدر ما سينزل بها من ضربات الحق لا من معاول الهدم ، فقال إنها ريعت لمولد الرسول ، وما من شك في أن معاول الحق أشد تقويضا، وأبقى أثرا وأقسى نكايه من معاول الهدم ، لأن معاول الهدم قد تقوض باليا ليقوم في مكانه جديد، وقد تهدم قبيحا ليحل بدله جميل ، ولكن الذي تقوضه معاول الحق لا بقاء له ولا قيامة ، وإذا كانت شرفات الإيوان قد ريعت فإن الإيوان كله قد ريع ، وسكان الإيوان قد أحسوا بالفزع كما أحسن به الطغاة جميعاً من عرب ومن عجم". (٢)

ويقول شوقي:

سرت بشائر بالهادي ومولده	في الشرق والغرب مسرى النور في الظلم
تخطفت مهج الطاغين من عرب	وطيرت أنفوس البساغين من عجم
ريعت لها شرف الايوان فانصدعت	من صدمة الحق لا من صدمة القدم (٣)
وتحدث عن خمود نار المجوس ، وعن جفاف الماء في بحيرة ساوة وعن الخوارق بعامة، فقال:	
ذعرت عروش الظالمين فزلزلت	وعلت على تيجانهم أصداء
والنار خاوية الجوانب حولهم	خمدت ذواتها وغاض الماء

- ١- قصر عظيم بالمدائن ، هو الذي بكاه البحري في سنيته ، وليس لتصدع شرفاته ذكر في سيرة ابن هشام لكنه ورد في تاريخ الطبري (١٣١/٢) وذكر الحلبي في (انسان العيون) المعروف بالسيرة الحلبية أن ايوان كسرى انشق وسقط منه أربع عشرة شرفة (انسان العيون ، ٧٨/١) وكذلك ذكر الزيني وحلان في السيرة النبوية على هامش انسان العيون، ٤٧/١، وهما يشهدان بأبيات للبوصيري من الهمزية.
- ٢- ضيف ، شوقي: شوقي شاعر الحديث ، ص ١٣٧.
- ٣- الشوقيات: ٢٤٧/١.

والأى تترى والخوارق جمة جبريل رواح بهاغداء (١)  
وتحدث عما قيل من أنه عليه الصلاة والسلام ولد مرفوع الجبهة إلى السماء، وبين كتفيه  
خاتم النبوة .

ويقول شوقي:

بدا تستقبل الدنيا به خيرا توسّمه  
يحملها تهللّه ويحليها تبسمه  
إلى الرحمن جبهته ونحو جلاله فمه  
وفي كتفيه نور الحق وضاح دروسمه (٢)

وهنا نلاحظ أن شوقي صور البشائر بالمولد النبوي تعم الشرق والغرب في سرعة وبهجة  
وانتصار على الشرك والظلم والفساد، كأنها نور بيدد الظلمات، وعقب على هذا بأنها تخطف قلوب  
الطغاة والبغاة، وروعت شرفات الإيوان فانصدعت من خشية الحق وقوته، وهو في قوله (يعت لها  
شرف الإيوان) يتمثله إنسانا يرتعد خوفا، ويدل على شدة فزع من في الإيوان، وكذلك قوله (ذعرت  
عروش الظالمين) فيه تشخيص وفيه دلالة على ذعر الملوك وجزعهم.

أما إقبال فيذكر خوارق النبي صلى الله عليه وسلم عند ولادته فيما يلي:

سوختى لات و منات كهنه را تازہ كردى كائنات كهنه را  
در جهان ذكر و فكر انس و جان توصلوت صبح، تو بانگ اذان (٣)  
يا من هدمت اللات والعزى وحررت الحرم وبنيت أعلى أمة تهدي بسيرتها الأمم  
ذكر الاله ويقظة الوجدان في انس و جان من فيض وحيك يا صلاة الصبح يا صوت الاذان (٤)

وقبل ولادته كان العرب مشغولين في عبادة الأصنام، ولكن مع ظهوره (صلى الله عليه  
وسلم) جاء الحق وهدمت الأصنام الباطلة في جوف الكعبة، كما لا يمكن للنور والظلمة الإقامة معاً،  
هكذا نور الحق اغتصب ظلمة الكفر، ويظهر إقبال وجوده (صلى الله عليه وسلم) كشمعة الهداية  
والقمر المنير، والشمس المتقدمة ونوّرت منها كل الدنيا وطلاب الهداية يتقربون إليه ولقد قضي على  
من صدّ عن الهدى أو اختار الظلم والضلالة.

١- الشوقيات: ٣٥/١.

٢- انظر: الحوفي، أحمد: الإسلام في شعر شوقي، ص ١٠٠.

- وانظر: الضيف، شوقي: شوقي شاعر العصر الحديث، ص ١٣٧-١٣٨.

٣- محمد إقبال: علامة: مثنوي پس چه بايد کرد اے اقوام شرق. (در حضور رسالتاب)، ص ٣١.

٤- الترجمة العربية: المصري، صاوي شعلان، الشيخ، والآن. ماذا نصنع يا أمم الشرق، ص ٤٠١.



ثم يقول :

آية كائنات كما معنى ديرياب تو نكلے تیری تلاش میں قفلہ ہائے رنگ و بو (۱)  
 في آية الخلق أنت السر لا أحد ولو تحليت ما أبقيت من عصم  
 لأجل معنك ما تلقى وما لقيت قوافل القوم في الوديان والأكم (۲)  
 ثم يقول:

لوح بھی تو قلم بھی تو، تیرا وجود الکتاب  
 گنبد آگینہ رنگ تیرے محیط میں حباب  
 عالم آب و خاک میں تیرے ظہور سے فروغ  
 زڑہ ریگ کو دیا تو نے طلوع آفتاب  
 شوکت سحر (۳) و سلیم (۴) تیرے جلال کی نمو  
 فقر جنید (۵) و بایزید (۶) تیرا جمال بے نقاب (۷)

اللوح أنت وما في اللوح من قدر وكل ما فيه من سطر ومن كلم  
 لو تنطق القبة الزرقاء ما كذبت بأنها ذرة في بحرك العرم  
 لك الجلال الذي لم تبق روعته من ملك سنحار إلا عبرة الندم  
 لولا جمالك ماذا الق جنيد نوى ولا أهيل على طيفور بالتهم (۸)

ويثبت إقبال بطريق أحسن أن بهجة الوری بسبب تخليق محمد ﷺ، ويؤكد على أن نمدح رسولنا لا بلساننا فقط بل بقلبنا وبعميق روحنا، ويجب علينا أن نتبع أسوته الحسنة في كل مجالات حياتنا، ويلزم علينا أن نختار صحبة الأبرار والكبار لتعمير الروح والوجدان، وهذا فيمكن لنا أن نقطف أزهار الطمانينية من حديقة حياتنا.

- ۱- کلیات إقبال (فارسی) بال جبریل، ص ۱۱۶.
- ۲- الترجمة العربية: زهير ظاظا، الأستاذ: جناح جبریل، ص ۵۰۱.
- ۳- سنحار: ملك ايران من أسرة سلجوقية.
- ۴- سليم: ملك التركية (ت ۱۵۱۲م) وهو سلطان سليم الأول من التركية.
- ۵- جنيد: صوفي عظيم، وهو من بغداد (ت ۹۱۹م).
- ۶- بایزید: صوفي عظيم، المعروف بایزید بسطامي (ت ۸۷۵م).
- ۷- محمد إقبال، علامة: بال جبریل، ص ۱۱۶.
- وانظر: روزنامه نوائے وقت (الجريدة اليومية، نداء الوقت) تحت عنوان، محمد شريف بقا: ميلاد النبي اقبال كى نظر میں (مولود النبي في عيون اقبال، ۴ نوفمبر، ۱۹۸۸م).
- ۸- الترجمة العربية: زهير ظاظا، الأستاذ: جناح جبریل، ص ۵۰۲.

وفي سلسلة اتباع رسول صلى الله عليه وسلم ينقل لنا إقبال مثال با يزيد بسطامي ، وهو الذي انكر أكل البطيخ طيلة حياته، وذلك لأنه لا يعرف كيف أكله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

يقول إقبال :

كامل بسطام در تقلید فرد اجتناب از خوردن خربوزه کرد (۱)

اجتنب بسطام من أكل البطيخ لأنه لا يعرف كما أكله نبينا صلى الله عليه وسلم.

ولهذا يهتم إقبال باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وحبه حباً جماً . (۲)

۱- کلیات إقبال (فارسی) اسرارو رموز، ص ۶۸.

۲- عبدالواحد معینی ایم اے ، سید، و عبداللہ قریشی: مقالات إقبال . الطبعة الثانية ، لاهور : طفیل آرت برنترز سرکلر

رود ، ۱۹۸۲ م ص ۲۳۶-۲۴۵.

## الفصل الثاني

### البعثة النبوية والوحي الرباني

بعث الله الأنبياء والرسل إلى الناس لهدايتهم ولكي يرشدوهم إلى الصراط المستقيم الذي يرشد إلى الجنة فأعطى البعض منهم الكتب والصحائف وفضل بعضهم على بعض .  
وأول إنسان وهو آدم عليه السلام على الأرض كان نبياً أولاً وبعث في كل أمة النبي أو الرسول كما جاء في القرآن .

﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (١)

وأخر الأنبياء هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بعثه الله إلى كافة الناس إلى يوم القيامة .  
ونجد ذكره في الكتب السماوية السابقة كما يظهر من قول عيسى عليه السلام .

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ، وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (٢)

وها هو القرآن الكريم ، بعد قرون في سلسلة الزمان، يحفظ تلك البشارة مصدقا لها ولحاملها، تماماً كما نطق بها عن ربه العزيز الجليل ، وعلى لسانه ،لسان السيد المسيح بالذات .  
ولقد تحققت البشارة عندما بعث الله ، من قلب الجزيرة العربية ، محمد بن عبد الله رسولاً بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ويشفي الناس من أمراضهم النفسية والاجتماعية ، وليزيل عن عقولهم أوهام المعتقدات البالية، ويقتلع من قلوبهم أدران الوثنية الزائفة، وموضحاً السبل القويمه التي تمكن الإنسان من التكامل الذي يوصله إلى أعلى المراتب الإنسانية .  
فيفوز بالسعادة في حياته الدنيا ، ويضمن حسن العاقبة في حياته الآخر .

وهذه هي البشارة التي بشر بها عيسى بن مريم عليه السلام للإنسانية رسول الله ، ولكن لم يكن اختياره هو بالذات لهذا التكليف من دون سائر النبيين والمرسلين . وهذه البشارة دلالة مميزة وأساسها على ثلاثة دلائل وهي:

١- "الأولى : هي أن حامل البشارة قد تميز بخاصته لم تعرف لغيره من سائر بني آدم على

الإطلاق ، سواء كانوا رُسل الله إلى الأرض .

١- سورة طه، الآية: ٧.

٢- سورة الصف ، الآية: ٦.

٢- والثانية: هي أن البشارة لم تتناول شأننا معيّنًا من شئون الكون، ولا حفلت بأمر محدد من أمور الناس والخلائق، بل اقتصرت على مشيئة الله بأن يختم رسله الكرام، برسول يكلفه بحمل شريعة تشمل كل الشؤون، من بداية خلق الكون إلى نهايته وتحتوي جميع المسائل التي تعرض للبشر، وسائر الأمور المتعلقة بحياة الناس وطرق عيشهم.

٣- أما الدلالة الثالثة فهي: أن البشارة قد جاءت في صورة إعلام وبمثابة تبشير وإنذار. إذن فالبشارة لا تقتصر على أمة واحدة، ولا شعب معين بل هي تخاطب جميع المؤمنين في مشارق الأرض ومغاربها، لأن الرسول المبشّره سيكون رسول للإنسانية بكاملها<sup>(١)</sup>. هذه هي بعض دلالات البشارة ومزاياها، والله علام الغيوب، وهو الذي يعلم السر وأخفى، أن محمد بن عبدالله، سيكون ذلك الإنسان الذي لا يحفل بشئ إلا إذا كان حقا، ولا يأبه لأمر إلا إذا كان خيرا، ولا سلك طريقا إلا إذا كان قويا، ولا يأتي عملا إلا إذا كان صوابا، فكان الجدير بخلائقه الإنسانية الكاملة أن يكون المعد لحمل الرسالة المتكاملة، وهكذا خطت في اللوح المحفوظ نبوته، وكرّست عند الله كرامته، وكانت في التنزيل من التوراة والإنجيل بشارته، تلك هي الحقيقة التي كانت في علم الله منذ الأزل، فاختر محمد صلى الله عليه وسلم لرسالته الكريمة. يروي الإمام مسلم بسنده عن رسول الله، أنه قال:

”إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد اسماعيل بنى كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشا. واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفاني من بني هاشم“<sup>(٢)</sup>.  
لقد اصطفاه الله من بني هاشم، ليحمل الرسالة الكبرى الرسالة العامة الخاتمة، رسالة الإسلام.

### البعثة النبوية والوحي الرباني عند شوقي وإقبال تبتله بغار حرا وبعثته

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعتكف في غار حرا، ليخلو إلى نفسه، ويفكر في حالته، متشوقا أن يهديه ربه إلى الدين القويم، وكان بهذا يبرأ من دين قومه، وينطبع على الطهر الذي يسبق الرسالة العظمى ويؤهله لها.

قال شوقي: إن غار حرا كان الموضوع الذي اختاره النبي للتبتل، ولكن الغار وجبريل الذي ينزل بالقرآن الكريم لم يكونا يعلمان شيئا من ذلك السر العظيم الذي لم يعلمه إلا الله تعالى، وهو إعداد النبي للرسالة، وكان النبي ينتقل بين منزله في مكة وبين الغار، ويخطو خطوات لم يكن يدري

١- سميح عاطف الزين: قصص الأنبياء في القرآن الكريم المختار من مجمع البيان الحديث، خاتم النبيين محمد. ٧/٨ - ٩.

٢- مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، النيسابوري، الجامع الصحيح: كتاب الفضائل، باب فصل نسب النبي وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، ٧/٥٨. وانظر: الملتاوي، حسن كامل: رسول الله في القرآن الكريم، ص ٧ - ٨.

أحد ما وراءها من شرف لبطحاء مكة ، وكان النبي يقضي ليله في الغار وحيدا ، ولكنه في أنس أنيس وطمأنينة تشرح صدره وتسعد نفسه كأنما يناجي جبريل ويسامره ، لأنه كان يشعر أن الله اجتباه ، وأثره بالمحبة والهداية . ويقول:

سائل حرا وروح القدس هل علما      مصون سرّ عن الإدراك منكم  
كم جئمة وذهب شرفت بهما      بطحاء مكة في الإصباح والغسم  
ووحشة لابن عبد الله بينهما أشد      هي من الانس بالأحباب والهشم  
يسامر الوحي فيها قبل مهبطه      ومن يبشر بسيما الخير يتسم (١)

ثم بدأ الوحي ، وبدأت الرسالة ، ونزل جبريل على النبي بقوله تعالى:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ..... عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (٢)

وهو إيذان لم يسبق إلى رسول من قبل ، فعلم النبي أنه قد اختير للرسالة ، وأن الله قد ناط به إعلان التوحيد ، فصدع بأمر ربه ، وشرع يدعو قومه إلى عبادة الرحمن ، وترددت دعواته المطهرة في أرجاء مكة وفي أسماع قريش .

ولم يكن من السهل على قريش أن تستجيب للإسلام الذي يسفه عقولها ، ويلغى أوثانها ، ويسطل كثيرا من عاداتها ونظمها ، ويحارب ما درج عليه السادة من أثره واستعباد للضعفاء ، فحارت في أمرها كما يقول شوقي ، ودفعتها حيرتها إلى أن تفرقت في السهل والجبل ، وجعل الناس يتساءلون عن النبي الذي وصم كبارهم وشبابهم بالجنون لأنهم يعبدون أصناما ينحتونها بأيديهم ويغفلون عن عبادة الخالق القادر ، وكذبه أكثرهم واتهموه بأنه شاعر أو مجنون أو ساحر .

وهم بتكذيبهم يناقضون أنفسهم ، لأنهم ما عرفوا عن محمد إلا أنه صادق ، وما عرفوه إلا أمينا منذ كان صغير السن ، حتى إنهم لقبوه الأمين . (٣)

١- الشوقيات: ٢٣٦/١ .

- وانظر: أحمد الحوفي ، الدكتور: الإسلام في شعر شوقي ، ص ١٠١-١٠٢ .

٢- سورة علق: ١-٤ .

٣- كانت قبائل قريش قد جرأت الكعبة وهدمتها ثم جمعت مجارة لبنائها وجعلوا يبنونها حتى بلغ البناء موضع الركن ، الحجر الأسود ، فاخصموا فيه ، كل قبيلة تريد أن تستأثر برفعه ، وكادوا يقتتلون ، وقضوا على ذلك أربع ليال أو خمسا ، ثم اجتمعوا وتشاوروا وتناقضوا فاتفقوا على تحكيم أول من يدخل من باب المسجد ، فكان أول داخل عليهم رسول الله ، فلما رآه ، قالوا هذا الذي رضينا ، هذا محمد ، فلما انتهى إليهم وأخبروه ، قال لهم: هلم إلى ثوبا ، فأتى به ، فأخذ الحجر فوضعه فيه بيده ، ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعوه جميعا ، ففعلوا حتى إذا بلوا به موضعه وضعه بيده ، ثم بنى عليه ، وكان ذلك قبل البعثة بثماني عشرة سنة (سيرة ابن هشام، ٢٠٩/١ ، وتاريخ الطبري ، ٢٠١/٢) .

قال الشوقي :

ونودي اقرأ تعالى الله قائلها  
هناك أذن للرحمن فامتلات  
فلا تسل عن قريش كيف حيرتها  
تساء لوا عن عظيم قد ألم بهم  
يا جاهلين على الهادي ودعوته  
ويقول أحمد الحوفي في هذا الصدد:

”ولكن وصف شوقي لقريش بالحيرة ، وبالنضرة في السهل والجبل ، دهشة من الدعوة واضطراباً من المفاجأة واستعظاماً ما أصابهم لا يكفي في تصوير ما أصاب القوم من جزع وفزع ، لأنه على إجماله وإيجازه يعوزه التصوير الذي يرسم الواقع ويجسمه ، وقد كان الواقع أشد من الحيرة ، وأعنف من النضرة في السهل والجبل . ثم إن تساؤلهم عن أمر النبي بعد وصفهم بالحيرة والتفرق في السهل والجبل لا يلائم هذه الحيرة الشاهدة لأن التساؤل فيه روية وتمهل وامتلاك للصواب ، وكان الأولى أن يوصفوا بشيء آخر غير التساؤل“ . (٢)

وهكذا يصور شوقي تصويراً رائعاً بعثته ونبوته بأسلوب جيد وألفاظ مبتكرة ، ويعكس نبذة تاريخية لعهد النبي ، ويشرح وجهة نظر أهل العرب ويثبت عظمة النبي بالوثوق .  
أما إقبال فيبين كيفية رسول الله صلى الله عليه وسلم قبيل البعثة ويقول كان النبي صلى الله عليه وسلم يعيش حياة المنفرد في غار حرا ، وكان مشغولاً في تدبر الكون وكانت نتيجة هذه حياة العزلة والتدبر ، بعث الله جبريل عليه السلام إلى محمد رسول الله ، واصطفاه للرسالة والنبوة . وهكذا نورت غار حرا بنور الإسلام وبدأ سلسلة الوحي .

ويبين إقبال خلوة النبي صلى الله عليه وسلم في غار حرا كذلك :

مصطفى اندر حرا خلوت عزيز  
نقش ما را در دل او ريختند  
مدتی جز خویشتن کس را نديد  
ملتی از خلوتش انگیختند  
می توانی منکر یزدان شدن  
مده فی الغار ظل المصطفى  
منکر از شان نبی نتوان شدن (٣)  
غیر آثار لذات ما اقتضی  
رسمنا قد أغرقوا في مهجته  
وأقاموا أمة من خلوته

١- الشوقيات : ٢٣٧/١ .

٢- أحمد الحوفي ، الدكتور : الإسلام في شعر شوقي ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

٣- کلیات إقبال (فارسی) جاوید نامه ، ص ١٣٠ .

وعلى إنكار ربّ إن قدرنا كل فضل المصطفى حتما عرفنا (۱)  
ثم يقول:

حفظ هر نقش آفرین از خلوت است خاتم او رانگیں از خلوت است (۲)  
خلوة تحفظ كل من صنع جوهرأفي خاتم كانت لمع (۳)  
وهذا خیال الإقبال يشابه خیال الشوقی ، هما یذکران فی شعرهما غار حراء ، لأنها المحور الأساسی للرسالة المحمدیة صلی الله علیه وسلم .

ثم یذکر إقبال رحمة النبی صلی الله علیه وسلم ، وهو الذی تکبّد العناء لراحة أمته ، وفکر فی ذاته فی الخلوة ، وفهم حقیقة الإنسان وأهمیته ، ولنهضة أمته من الخمود إلى الرقی أعطاه الدستور الحدید ومن یتبع هذا الدستور سیفوز فوزاً عظیماً .  
ویذکر إقبال هذا قائلاً:

بوریا ممنون خواب راحتش تاج کسری زیر پاء امتش  
در شبستان حرا خلوت گزید قوم و آئین و حکومت آفرید  
ماند شبها چشم او محروم نوم تابه تخت خسروی خوابید قوم (۴)  
آثرت سحق حصیر عفته وعلت تیجان کسری أمته  
خلوات فی حراء خلقتا أمة منها و حکما مشرقا  
کم لیال قد قضاها ساهدا فحبا الأمة ملکا خالدا (۵)

ما نجد هذا الفکر عند شوقی فی الأسلوب ، بل یذکر شوقی بعد بعثة النبی صلی الله علیه وسلم عداوة القریش بطرق مختلفة بالعموم كما ذکرنا من قبل ، یذکر إقبال أيضاً عداوة القریش وبغضهم وحسدہم معارضین دین الإسلام ومؤسسه صلی الله علیه وسلم ، ولكن یذکر إقبال کل هذا بأسلوب بديع وألفاظ عجيبة . ماذا یصنع دین الإسلام بدین الطاغوت ، اسمع بلسان أبي جهل (نائب الطاغوت) . وهو ینوح علی تهدم دینه (الکفر) قائلاً:

سینه ما از محمد داغ داغ از دم او کعبه را گل شد چراغ  
از هلاک قیصر و کسری سرود نوجوانان راز دست ما ربود

۱- الترجمة العربية : المصري ، د. حسین محیب : رسالة الخلود ، ص ۲۰۳ .

۲- کلیات إقبال (فارسی) جاوید نامه ، ص ۱۳۰ .

۳- الترجمة العربية : المصري ، د. حسین محیب : رسالة الخلود ، ص ۲۰۳ .

۴- کلیات إقبال (فارسی) أسرار خودی ، ص ۶۰ .

۵- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : أسرار أنبات الذات ، ص ۱۳۹ .

ساحر و اندر كلامش ساحرى است  
 تا بساط دين آبادر نورد  
 پاش پاش از فريتش لات و منات  
 دل بغائب بست و از حاضر گست  
 صدرنار تلظت من محمد  
 ويهلك الروم او كسرى تغنى  
 ساحر والقول منه ساحر  
 وبساط دين آباء طوى  
 حطم اللات فكانت كالفتات  
 ناط منه القلب بالغيب الكنين  
 اين دو حرف لا اله خود كافرئ است  
 با خداوندان ما كرد آنچه كرد  
 انتقام ازوے بگيراي كائنات  
 نقش حاضر را فسون او شكست (١)  
 فسراج الكعبة الوضاء أحمد  
 سلب الفتیان طراً من يدينا  
 وبقول "لا إله" كافر  
 وأذاق ما عبدناه التوى  
 منه فلتقتص كل الكائنات  
 ومحا الحاضر بالسحر المبين (٢)

وهذا من حسن كلام الإقبال وخياله، إنه يذكر خصائص الإسلام بلسان عدو الإسلام، وهو يبين أن مكة أصبحت بلد الإسلام والتوحيد، وطهر بيت الله للطائفين والقائمين والركع والسجود، وحرمت عبادة الأصنام والأوثان الجاهلية، فلا اللات، ولا مناة، ولا هبل، ولا العزى، ولا أساف، ولا نائلة (٣) وقام المؤذن على شرفات الحرم ينادي بأعلى صوته خمس مرات: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله " وذهبت نخوة الجاهلية، وتعظمها بالآباء، وأصبح الناس يعتقدون أنهم من آدم، وآدم من تراب، فلا فضيلة لأحد على الآخر، وبدأ الناس يتلون:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ﴾ (٤)

وشاهد أبو جهل تغييراً واضحاً في حديث الناس، وآدابهم وعاداتهم، وأخلاقهم، وسلوكهم، وعقيدتهم، فلم ير عرفاً جاهلياً، أو نزعة عربية، أو نصرةً قومية، يتعلق بها سيد بني مخزوم، ويقرُّ عيناً، ورأى أن الحياة القديمة قد نسخت وأبطلت، وأنشئ مجتمع جديد قام على أساس من العقيدة، والخلق، والفضيلة، والتقوى، وتغيرت الموازين والقيم، وتغيرت عقول الناس ونفوسهم.

ولقد كان يرى في الدين "الجديد" الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم الخطر والضرر

١- كليات إقبال (فارسي) جاويد نامه: ص ١٠٠.

٢- الترجمة العربية: المصري، د. حسين مجيب: رسالة الخلود، ص ١٨١-١٨٢.

٣- كان أكثرها أصنام قريش، والتي كانت لغيرها كانت قريش تعظمها، راجع ابن هشام وابن الكلبي.

٤- سورة الحجرات، الآية: ١٣.



على الدين الذي قام على تقديس القومية الضيقة ، والعصبية القرشية، والنظام الجاهلي الذي يقوم على النسب والوطن، وتفضيل الدم والعرق ، ويرى العالم كله في حدود "المملكة القرشية" التي قامت في مكة ، ولا يعني بخارج هذه الحدود.

إن دينه (محمد صلى الله عليه وسلم) حثف للوطنية والقومية ، إنه من قريش ، ولكنه لا يفضل حرراً على عبد، وغنياً على فقير ، وعربياً على عجمي ، يجلس مع مولاه على مائدة واحدة ، ويأكل معه، لقد اختلط الأحرار البيض بالعبيد السود وانمحي الفرق بين الغني والفقير.

ولا شك في أن هذه المؤاخاة بسبب بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ورسالته . يبين إقبال فيوض الرسالة كذلك :

از رسالت در جهان تكوين ما	از رسالت دين ما آئين ما
آن كه شان اوست يهدي من يريد	از رسالت حلقه گرد ما كشيده
حلقه ملت محيط افزاسته	مركز او وادى بطحاسته
ما ز حكم نسبت او ملتيم	اهل عالم را پيام رحمتيم
از ميان بحر او خيزيم ما	مثل موج از هم نميريزيم ما (١)
بالرسالات بدا تكويننا	شرعنا منها ومنها ديننا
ذاك من "يهدي إليه من يريد"	حلقة منها حوالينا يشيد (٢)
حلقة ذات محيط يعجز	ساحة البطحاء فيها مركز (٣)
نحن مما جمعنا أمة	أرسلت للناس فيها الرحمة
موجنا في بحرهما متصل	موجة من موجة لا تفصل (٤)

ويشرح خليل الرحمن في ضوء كتاب إقبال "تجديد التفكير الديني في الإسلام" معنى النبوة

لدى إقبال قائلاً:

"أن النبوة ضرب من الوعي الصوفي ينزع ما حصله النبي في مقام الشهود إلى مجاورة حدوده ، وتلمس كل سانحة لتوجيه قوي الحياة الجمعية توجيهاً جديداً ، وتشكيلها في صورة متحدثة ، فالمركز المتناهي من شخصية النبي صلى الله عليه وسلم يغوص أغواراً لا نهائيتها لطيفو ثانية مفعماً بقوة جديدة تقضى على القديم وتكشف عن توجيهات للحياة جديدة ، وهذا الاتصال بأصل

١- كليات إقبال (فارسي) رموزي خودي، ص ٢٢٨.

٢- إشارة إلى الآية: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾ سورة الحج ، الآية: ١٦.

٣- بطحاء: مكة .

٤- الترجمة العربية: عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور: رموز نفي الذات، ص ٢٠٢.

وجوده ليس خاصاً بالإنسان بأي حال من الأحوال“ (١).

ثم يقول:

”أن نبي الإسلام يبدو أنه يقوم بين العالم القديم والعالم الحديث ، فهو من العالم القديم باعتبار مصدر رسالته، وهو من العالم الحديث باعتبار الروح التي انطوت عليها ، فللحياة في نظره مصادر أخرى للمعرفة تلائم تجاهها الجديد ، ومولد الإسلام ، كما أرجوا أن أتمكن من إثباته لكم بعد قليل إثباتاً تطمئنون إليه ، هو مولد العقل الاستدلالي، أن النبوة في الإسلام تبلغ كمالها الأخير في إدراك الحاجة إلى إلغاء النبوة نفسها“ (٢).

ثم يوضح إقبال طبعية الوحي باعتباره الصلة القائمة بين الله والنبي صلى الله عليه وسلم، ويرى أنه ظاهرة عامة من ظواهر الوجود ، فالظواهر البيولوجية والفيولوجية في عالمي الحيوان والنبات إنما تستمد اتجاهها الخلاق ، والقرآن نفسه يستعمل الوحي لعوالم مختلفة ، كقوله تعالى:

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ (٣)

”وهكذا يعتبر إقبال النبوة ظاهرة طبيعته أملت المراحل التطورية للبشرية ، ففي طفولة البشرية كانت القوي الروحانية تتطور أحياناً إلى ذروة الوحي النبوي لتوجيه الناس و تحقيق مصالحهم، فالنبوة التي هي ثمرة القوي الروحانية الفطرية ، كانت وسيلة للاقتصاد في التفكير وتمييز النافع من الضار، غير أنه بنمو ملكة العقل والتفكير لدى الإنسان أخذت الحياة نفسها تعمل لكبت تلك القوي التي لا تعتمد في معارضها على التفكير الاستدلالي ، وهكذا عرفت الإنسانية في تاريخها طورين عظيمين :

- ١- طوراً اعتمدت فيه على قواها الروحية ، ممثله في الوحي.
- ٢- طوراً نسخ ذلك الطور السابق وتميز باعتمادها على القوي العقلية المنظمة ، ورسول الإسلام صلة وصل بين الطورين أو العالمين ، عالم الفطرة وعالم العقل ، فهو من عالم الفطرة باعتبار مصدر رسالته وهو الوحي ، وهو من العالم الحديث ، عالم العقل ، باعتبار مضمون رسالته يعني ما احتوته رسالة الإسلام، والنص القرآني من دعوة صريحة إلى استعمال العقل ، وحث على النظر في الكون ، بحيث اعتبرت هذه الدعوة فريضة دينية قائمة“ (٤).

١- محمد إقبال: تجديد التفكير الديني في الإسلام: ترجمة: عباس محمود، ص ١٤٣.

٢- نفس المرجع، ص ١٤٤.

٣- سورة النحل، الآية: ٦٨.

٤- محمد إقبال: تجديد التفكير الديني في الإسلام، ترجمة: عباس محمود، ص ١٤٢-١٤٤.

- وانظر: محمد الكتاني: محمد إقبال، مفكر إسلامياً، ص ٧٣، ٧١.

وهكذا ينص إقبال على أن النبوة في الإسلام تبلغ كمالها الأخير في إدراك الحاجة إلى الغاء النبوة نفسها ، وهو أمر ينطوي على إدراكها العميق لاستحالة بقاء الوجود معتمداً إلى الأبد على زمام يقاد منه ، وأن الإنسان لكي يحصل كمال معرفته لنفسه ، ينبغي أن يترك ليعتمد في النهاية على وسائله هو ، وأن مخاطبة القرآن للعقل وحثه على التجربة على الدوام ، واصراره على أن النظر في الكون والوقوف على أخبار الأولين من مصادر المعرفة الإنسانية كل ذلك صور مختلفة لفكره انتهاء النبوة". (١)

### مناقشة رأي إقبال في النبوة

ثم خليل الرحمن ينقد على رأي إقبال في النبوة ويبين بالبراهين كذلك :  
وإذ انظرنا في تفسير إقبال للنبوة نظرة دقيقة، وجدنا أنه أخطأ في عديد من الأمور، منها:  
أولاً: أن النبوة ليست ضرباً من الوعي الصوفي، كما توهم إقبال، فإن الله تعالى يختار النبي من عباده ويصطفيه من بينهم حسب إرادته وحكمته. فإنه تعالى أعلم حيث يجعل رسالته، فالنبوة موهبة ومكرمة وتكليف من الله تعالى يهبها لمن يشاء من عباده ويحملها من يختاره منهم: كما يقول الله تعالى:

﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (٢)

على خلاف امر الوعي الصوفي فإنه يحصل عليه بممارسة الرياضة الصوفية كل من يجتهد في الحصول عليه، فالنبوة مرتبة لا يمكن أن يتشرف بها أحد من اختياره وكسبه ورياضته، ويقول الله تعالى:

﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ (٣)

والوعي الصوفي يمكن الحصول عليه بالكسب والاجتهاد وإذا كانت الولاية بالمصطلح الصوفي، ليس من الضروري الحصول عليها بالكسب والاجتهاد، مع أنها أدنى رتبة من النبوة، فليس كل صوفي ولياً، كما أنه ليس كل ولي صوفياً، فكيف بالنبوة؟ ويوهم تفسير إقبال للنبوة المبين في "تجديد التفكير الديني" أنه يمكن التشرف بها بالكسب والاجتهاد وذلك خطأ واضح، فإن الأنبياء قد وهبوا النبوة مفاجأة، مثل قصة سيدنا موسى عليه السلام، فإنه لم يكن على معرفة أن الله تعالى قد اختاره للنبوة حتى لحظة أن رأى ناراً في طور سيناء، وكلمه الله تعالى وأخبره باختياره نبياً، وكذلك سيدنا محمد لم يكن على معرفة من أنه سوف يختار للنبوة حتى إذا نزل عليه الروح الأمين في جبل حراء، وألقى إليه رسالة الله تعالى، يقول الله تعالى:

١- خليل الرحمن عبدالرحمن: محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية. ص ١٨٢-١٨٣.

٢- سورة الشورى، الآية: ١٣.

٣- سورة طه، الآية: ١٣.

١- ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (١)

٢- ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ ..... مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (٢)

وبعد نزول الوحي رجع الرسول صلى الله عليه وسلم إلى البيت وهو خائف ، يقول: زملوني و دثروني ، فلو كان الوحي نوعا من وعي يتحصل بقطع المدارج الصوفية وسلوك المناهج الروحية المعتادة لدى الصوفية، لما حدثت تلك المفاجأة عند نزول الوحي في أول الأمر، على سيدنا محمد وسيدنا موسى عليه السلام، ففي هذا التفسير انخدع إقبال بأراء الصوفية الذين يفسرون النبوة والولاية بتفاسير ليس لها برهان منزل من الله تعالى ، حتى قد اغتر بعضهم إلى حد أنه قال إننا معشر الصوفية أفضل من الأنبياء لأن اتصالنا بالله تعالى مباشر و اتصال الأنبياء به تعالى يحتاج إلى واسطة وهي الملائكة.

ثانيا: أن إقبال لم يشرح في تفسيره كيفية نزول الوحي بواسطة الملائكة والروح الأمين، فإن الروح الأمين هو الذي يقوم بنقل الوحي إلى الأنبياء ، ولم يشر إقبال في تفسيره إلى هذه المسألة مطلقا. ثالثا: يوهم تفسير إقبال كأن النبوة عمل خاص للنبي وله فيه رغباته وتصرفاته وليس ذلك حقا، فإن النبي مأمور بأوامر الله تعالى . فإنه تعالى يريبه للتجرد إليه والعمل من أجل مرضاته حتى لم تعد للنبي رغبة ذاتية ، ولو للهداية ، فقد قال تعالى:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٣)

وقال:

﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ (٤)

وقال: ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو ..... ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ﴾ . (٥)

وقال :

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ (٦)

والفارق الذي أوضحه إقبال بين عمل الصوفي وعمل النبي من أن عمل الصوفي يبقى فرديا و عمل الرسول ينتقل إلى المجتمع ، صحيح ولكن عمل الرسول ليس من عند نفسه ، فإن الرسول عاد خائفا حين نزل عليه الوحي في بدأ الأمر وقال دثروني و زملوني ولم يقل إنني مارست هذه التجربة، فتعالوا ، أيها الناس ، وأوجدوها في حياتكم .

١- سورة الجمعة، الآية: ٤ .

٢- سورة إبراهيم، الآية: ١١ .

٣- سورة القصص، الآية: ٥٦ .

٤- سورة الرعد، الآية: ٤٠ .

٥- سورة القصص، الآية: ٨٦ .

٦- سورة آل عمران، الآية: ١٢٨ .

رابعاً: لا شك في أن للعقل دوراً بالغاً في بناء المجتمع وتوجيهه وتطوير العلوم والتجارب ولكن له مجال محدد وليس في استطاعته إقامة ميزان ثابت يميز به الحق من الباطل ، فدور العقل في الإسلام مقيد بالوحي والأمة والمسلمة مسؤولة أن تحمل رسالة الإسلام في ضوء ذلك الوحي المنزل، وليس العقل في المنهج الإسلامي حراً طليقاً في تصرفاته يحرم ما يشاء ويحلل ما يشاء كما يوهم تفسير إقبال هذا ، والواقع أن إقبال متأثر ومنخدع في رأيه أن العقل حل محل الوحي في العصر الحاضر ، بأفكار الغربيين ، والواقع كذلك أن هذا الرأي لا يمثل وجهة نظرة الشاملة في هذا الشأن ، فإنه قد أعطى القرآن الكريم حقه والسنة النبوية حقها في أكثر من موضع من دواوينه ومقالاته، فقال مثلاً، فمن منظومته ”رموز اللاذاتية“

”إن دين محمد مصطفى هو دين الحياة وشرعه شرح لنظام الحياة ، وإذا فقدت الأمة أسوة الرسول تفقد وجودها وبقاءها (١) .

وقال كذلك ، تحت عنوان:

”إن الأمة لا تنتظم بدون شريعة وشريعة الأمة المحمدية القرآن الكريم:

از تلاوت بر تو حق دارد کتاب  
توازو کامے کہ می خواہی بیاب (٢)  
لکتاب اللہ حق فاقرآن  
کل ما تبغیہ ، منہ فاطلبن (٣)  
وقال :

از یک آئینی مسلمان زنده است  
پیکر ملت ز قرآن زنده است  
ماہمہ خاک و دل آگاہ اوست  
اعتصامش کن کہ جبل اللہ اوست  
چون گہر در رشتہ او سفته شو  
ورنہ مانند غبار آشفته شو (٤)  
وحدة الشرع حياة الأمة  
فمن القرآن روح الملة  
نحن طین وهو قلب لا جرم  
هو ”جبل اللہ“ من شاء اعتصم  
فانتظم في سلكه كالدرر  
أو غبارا في الريح انتشر (٥)

١- عبدالرحمن ، خليل الرحمن : محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية ، ص ١٨٤-١٨٥ .

٢- کلیات اقبال (فارسی) رموز بے خودی، ص ٢٧٢ .

٣- الترجمة العربية: عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور: رموز نفی الذات ، ص ٢١٦ .

٤- کلیات اقبال (فارسی) رموز بے خودی ، ص ٢٧٨ .

٥- الترجمة العربية: عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور: رموز نفی الذات ، ص ٢١٧-٢١٨ .

- وانظر : خليل الرحمن عبدالرحمن : محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية ، ص ١٨٢-١٨٥ .

- وانظر: عبدالحمید ابراهيم ، سمير : رسالة النخلود ، ص ١١٣-١١٤ .

- وانظر: قاضي محمد ظریف ، ایم ای : اقبال قرآن کی روشنی میں (الأردنية) ، ص ٢٥٧-٢٦٧ .

- وانظر: كلام إقبال میں انبیاء کرام کا تذکرہ (حضرت محمد إقبال کی نظر میں) (الأردنية) ، ص ٣١٢-٣١٤ .

- وانظر: استاد عزیز أحمد : أفكار إقبال أربع محاضرات حول الدكتور إقبال ، ص ٢٩-٣٠ .

## جهود إقبال في الرد على القاديانية في مسألة ختم النبوة

وقام إقبال ببذل جهود جبارة في الرد على القاديانية القائلة بأن سلسلة النبوة لم تنته برسالة محمد ﷺ، ففي مايو ١٩٣٥م نشر إقبال مقالة في الرد على القاديانية، تحت عنوان "القاديانية والمسلمون" فقام الزعيم الهندوكي البانديت جواهر لال نهرو، يرد عليه مدافعاً عن القاديانية فكتب إقبال عدة مقالات بالإنجليزية في جواب نهرو، دافع فيها عن مسألة ختم النبوة برسالة محمد ﷺ ببالغ حماسة وحكمه.

ويقول خليل الرحمن عن جهاد إقبال في ردّ القاديانية:

"ولصاحبنا (إقبال) مآثر جليلة أخرى في باب الدعوة الدينية والدفاع عن حرمة الدين المبين، لا تنسى أبد الدهر، ولو لم يكن من أعماله الجليلة الخالدة إلا هذه المآثرة العظيمة لكفته فخراً في الدنيا وذخراً في الآخرة، إلا وهو موقفه الجليل المشهور بازاء النحلة القاديانية الضالة المعضلة، في السنين الأخيرة من حياته. إن الزعيم جواهر لال نهرو وكتب مقالاتين. ينكر فيها على الجمعيات المسلمة الدينية حركتها ضد القاديانية ويؤيد جانب القاديانية، وفي مثل هذه الأحوال انبرى المسلم المؤمن محمد إقبال للدفاع عن حظيرة الإسلام وردّ كيد القاديانية في نحورها، وتطهير الدين المبين من أرجاسها وأدناسها، فنشر تصريحات عديدة في الصحف، بين فيها مؤقف الإسلام بازاء هذه النحلة المارقة التي تؤمن بنبوة الغلام القادياني الكذاب، وكشف عن عورات القاديانيين وأمام اللثام عن خدماتهم للاستعمار البريطاني وتمسكهم بأذياله". (١)

ويشرح إقبال ختم نبوة صلى الله عليه وسلم في شعره:

بر رسول ما رسالت ختم كرد	پس خدا بر ما شریعت ختم کرد
او رسل را ختم و ما اقوام را	رونق از ما محفل ایام را
داد ما را آخریں جامے کہ داشت	خدمت ساقی گری باما گذاشت
پردہ ناموس دین مصطفی است	لا نبی بعدی از حسان خدا است
تا ابد اسلام را شیرازہ بست	حق تعالی نقش هر دعوی شکست
نعره لا قوم بعدی می زند (٢)	دل ز غیر الله مسلمان بر کند
وعلى المرسل فینا بعثه	ختم الله علينا شرعته
ختم الرسل بنا والامم	محفل الأيام منایسم
جامه الآخر فینا خلفا	خدمة السّاقی إلینا صرفا

١- خليل الرحمن عبدالرحمن: محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية، ص ١٨٦-١٨٧.

٢- کلیات اقبال (فارسی) رموزے خودی، ص ٢٣٠.

”لأنبي بعد“ فضل عرفنا إنه حرمة دين المصطفى  
كل دعوى بعدهم للأفن أحكم الإسلام طول الزمن  
ماسوى الحق قلاه المسلم قائلًا: ”لاقوم بعدى“ فاعلموا (١)  
فبين إقبال أن سلسلة النبوة ختمت على الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وأمه  
آخر أمة، وشريعة الإسلام هداية للإنسان إلى يوم القيامة .

### طواسين النبوة الأربعة عند إقبال (بوذا، ذردشت، المسيح، محمد ﷺ)

وقد كتب إقبال في ”جاويد نامه“ بحوثًا حول هؤلاء المذاهب وبين رابطة تنتظم هؤلاء  
الأديان جميعًا ويوضح مسألة الخير والشر في نظرة كل من هذه الأديان وفي الأخير يثبت عظمة  
الإسلام ونبيه على الأديان الأخرى وأنبياء هم.  
الآن نحن نستعرض فكرة هذه الأديان في هذه الصد:

هناك رأيان في وجود الخير والشر وبعض الأديان يدعي بكون الخير وحيدًا وينكر وجود  
الشر ولكن البعض منها يؤمن لوجود الخير والشر في وقت واحد ولكن كلهم فشلوا إذ وقعوا في  
الإفراط والتفريط في وجود الخير والشر.  
وفي رأي إقبال:

”إن ينقسم تاريخ الإنسان على وجه الأرض تقسيمًا جديدًا على أساس الرسالات السماوية،  
وذلك أن النبوة لها دور أساسي في توجيه التاريخ، وكل دور تاريخي بارز، أو بعبارة أخرى كل  
حضارة أصيلة في تاريخ الإنسان، إنما تولد وتنمو في حضن نبي ﷺ، ويحاول إقبال هنا تطبيق هذه  
الفكرة بتقسيم التاريخ الإنساني إلى عصور أربعة هي عصور: بوذا، و ذرتشت، ومسيح ومحمد  
صلى الله عليه وسلم“.(٢)

ويبدو أن إقبال لم يجعل نظرة هذه الأديان إلى قضية الخير والشر أساس هذا التقسيم، لم  
تشغل فكر إقبال إلى هذا الحد ولكن الذي شغله حقًا ذلك الخطأ في فهم الحياة. حتى عصر الرسالة  
المحمدية حيث اكتملت معرفة الإنسانية، عن طريق الوحي الخاتم، بالحياة ودور الإنسان فيها.  
وعند البوذية إن العالم كله شر ويدعي بوذا أن ما هو في الدنيا هو رجز، فبقاء الإنسان أن لا  
يميل إليها، ولا يشغل إليها، وينبغي أن يختار البعد عنها والتحرر منها، فمع هذا الفكر ظهرت  
الرهبانية، وبدأ متبعوا بوذا يعيشون بعيدين عن الدنيا ومنفردين.

وجاء عصر الزردشتية وكانوا يزعمون أن الخير والشر كلاهما موجودان في الدنيا، وهكذا  
آمن الزردشتيون بالثنوية وبوجود إلهين، فحدث بعض الرقى في فهم الإنسان للحياة حيث دعا

١- الترجمة العربية: عزام، عبد الوهاب، الدكتور: رموز نفي الذات، ص ٢٠٣.

٢- افتخار أعظمي: جاويد نامه (رسالة الخلود)، ص ١١٠.

زردشت إلى نبذ الخمول والعزلة كما دعا إلى الحركة والتجمع ، لا إلى العزلة والزهد، لكن متبعي  
 ذردشت اخطأوا وفي تهويلهم من شأن المشكلات التي يواجهها الإنسان لكي يصبح صالحا  
 للحصول على الحياة النقية والصالفة .

وهكذا بدأ صراع بين المادية والزهد ، وهكذا برز كثير من الحضارات في الدنيا وغابت . ثم  
 جاء الحضارة المسيحية وذلك الوقت العالم كان يشتمل على وجود الخير والشر معاً . فعند  
 المسيحية ، سرالفوز و فلاح العالم في هذا الأمر أن يؤمن بدين المسيح عليه السلام وهو دين الخير  
 كاملاً .

ولا شك أن المسيحية نجحت في تهذيب الحياة ولكنها همها على حياة الفرد فأصبحت  
 عاجزة عن إدراك العلاقات الإنسانية والاجتماعية . وهكذا هذا التهذيب أيضاً لم يصدق في قوله و ما  
 وافق مقتضيات العصر .

فهكذا ثلاثة أديان فشلت في التطبيق بين الماده والروح و وقعت في غابة الإفراط والتفريط .  
 ويبين إقبال ، بعد الذكر والبحث عن هذه الأديان عظمة الإسلام ويثبت ، كيف يحل الإسلام هذه  
 المسألة أي وجود الخير والشر وتطبيقه ، وهو يقول :

” وجاء محمد صلى الله عليه وسلم فانتقلت المشكلة من هذا الطابع الميتافيزيقي البحث  
 واتخذت شكلاً واقعيًا تمثل في معالجة الإسلام ، ولقد عالجت الشريعة المحمدية هذه القضايا  
 بأسلوب من شأنه أن يشحذ ما لدى الإنسان من ملكات خلاقه مبدعه لكي يستطيع تسخير الكون  
 باعتباره خليفة الله في أرضه ، ولكي يفوز في النهاية بالخلود والسعادة فيحقق الخير المنشود الذي بدأ  
 بعد التجارب الإنسانية السابقة بعيد الحق “ . (١)

فالدين الإسلامي دين كامل والهداية لكل قوم وهذا الدين دين رحمة وجاء به رحمة للعالمين  
 كما يذكر إقبال :

نوع انسان را پیام آخريں حامل اور حمة للعالمين (٢)

ذا بلاغ آخريں لمرسلين قد تلاه ”رحمة للعالمين“ (٣)

فقد أكمل الله دين الإسلام على محمد صلى الله عليه وسلم ، وقال شريعته الشريعة الكاملة  
 وفيها تعليمات الأديان كلها وفرض علينا أن نتبع شريعته في كل مجالات حياتنا ، لكي نفوز في الدنيا  
 والآخرة ، ونكسب محبة الله ورسوله .

١- افتخار أعظمي : جاويد نامه (رسالة الخلود) ، ص ١١٧ .

٢- كليات إقبال (فارسي) رموز بے خودی، ص ٢٧٠ .

٣- الترجمة العربية : عزام ، عبد الوهاب ، الدكتور : رموز نفي الذات ، ص ٢١٥ .



ويقول إقبال في إتباع شريعة المحمدية ﷺ :

در شریعت معنی دیگر مجو	غیرضو در باطن گوهر مجو
این گهر را خود خدا گوهر گراست	ظاهرش گوهر بطونش گوهر است
علم حق غیر از شریعت هیچ نیست	اصل سنت جز محبت هیچ نیست (۱)
لا تقل في الشرع معنی مضمّر	لیس إلا النور تحوي الدرر
جوهر ابداع في القادر	جوهر باطنه والظاهر
لیس علم الحق غیر الشرعة	لیس غیر الحیب أصل السنة (۲)

وفي ضوء هذه الأشعار نفهم أهمية وضرورة اتباع شريعة الإسلام وسنة النبي بطريق أحسن .  
وخلال مطالعة شعر إقبال نجد أنه يذكر بعض نواحي رسالة محمد صلى الله عليه وسلم التي لم يذكر شوقي في شعره .

۱- کلیات إقبال (فارسی) رموز به خودی ، ص ۲۷۸ .

۲- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : رموز نفي الذات ، ص ۲۱۸ .

## الفصل الثالث

### الخوارق والمعجزات

#### ذكر خوارق النبي والمعجزات في كلام شوقي وإقبال

قبل أن ننظر الخوارق والمعجزات في كلام شوقي وإقبال ، ننظر ماهي المعجزة وماهيته: المعجزة عند جمهور العلماء من الأصول هي خرق العادة، التي تظهر على يد النبي صلى الله عليه وسلم كدليل وحجة لتحقيق نبوته، لأن الأدلة العقلية لا تكاد تؤثر في الأفراد الذين يعتقدون في الظواهر فقط ، فظهور الخوارق والمعجزات تكون عوناً كبيراً في سبيل إثبات النبوة والاستسلام لها ، ولذلك كثير من الأنبياء والرسل قد أتوا المعجزات حتى تتحقق عظمة نبوتهم ومثل الأنبياء الآخرين قصص الله نبينا صلى الله عليه وسلم بالمعجزات والخوارق. وهذه الخوارق تسمى بالمعجزات في المصطلح الديني وعددها في حياة النبي عليه التحيات والتسلميات بكثير ، ونجد ذكرها في كتب الحديث كلها.

وكان ذات محمد صلى الله عليه وسلم المعجزة الكبرى بنفسه ، ومن قبله أرسل الله تعالى أنبيائه رحمة لقومهم وزمانهم . وأرسله الله تعالى رحمة للعالمين ، جاء رحمة مطلقة لقومه وزمانه ، ولمن يجرى بعده من الأقسام والازمنة على تعاقب الأيام وتتالي الدهور ، كما جاء في القرآن الحكيم:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١)

ويقول أحمد بهجت في هذا الصدد:

”ولقد كان جوهر دعوات الأنبياء السابقين عليه هو الإسلام، وكان عنوان رسالته هو الإسلام، فتأمل أنت أي إعجاز أن يكون العنوان جوهرًا، ذلك هو محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب، ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد. وسيد أبناء آدم، وعبد الله ورسوله ، ورحمة الله المهداة المبشر“. (٢)

وحكمة الله تعالى أن يؤيد كل رسول بمعجزة أو معجزات تصدق دعواه ، وثبتت لقومه أنه مبعوث من الله ، ليؤمن به من يؤمن عن هوى وبيئته واقتناع ، فقد بعث موسى عليه السلام إلى قوم برعوا في الكيمياء والسحر ، فأبطلت معجزاته سحرهم .

وقال الله تعالى في القرآن الحكيم :

﴿قَالَ الْقَوْمَ فَلَمَّا الْقَوْمَا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَرَهُبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ . وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ . فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . فَعَلَبُوا هَذَاكَ

١- سورة الأنبياء ، الآية: ١٠٧ .

٢- أحمد بهجت : أنبياء الله . الطبعة الثالثة ، القاهرة ، بيروت : دار الشروق للطباعة والنشر ، ابريل ١٩٧٥م ، ص ٣٧١ .

وَأَنْقَلَبُوا صَغِيرِينَ . وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْجِدِينَ . قَالُوا أَمِنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ . رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١﴾

وبعث عيسى إلى قومه بالخوارق والمعجزات ، يذكر الله تعالى معجزاته في الآيات التالية بلسانه:

﴿إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَنُفِّخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا

بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (٢)

فلما اجتبي الله محمدا للرسالة تطلع قومه إلى ضرب من هذه المعجزات المادية .

ويذكر الله تعالى شبهات قوم محمد صلى الله عليه وسلم وجوابه من الله تعالى بقوله هذا:

﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفَيْكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرؤه ، قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ (٣)

ومعنى هذا صرفهم عن التحدى المادي لأنه صار لا يلائم البشرية بعد أن تقدمت وتطورت

وصلات جديرة صارت بإعجاز فكري ، عقلي بياني . وفي ذكر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم

يقول البيهقي في كتابه:

”وأنت إذا تأملت معجزاته وباهر آياته وكراماته عليه الصلاة والإسلام وجدتها شاملة للعلوى

والسفلى والصّامت والناطق والساكن والمتحرك والغائب والحاضر والباطن والظاهر والعاجل

والأجل إلى غير ذلك مما لو عدّ لطلال كالرمي بالشهب الثواقب ، ومنع الشياطين من استراق السمع ،

وتسليم الحجر والشجر عليه صلى الله عليه وسلم . وشهادتها له بالرسالة ومخاطبتها له بالسيادة

وحنين الجذع ، ونبع الماء من كفيه ، وانشقاق القمر ، ورد العين بعد العور ، ونطق البعير والذئب ،

وكانور المتوارث من آدم إلى جبهة أبيه وما سوى ذلك من المعجزات التي تداولتها الرواة مما لو

أعملنا انفسنا في حصرها نفسي المدي في ذكرها ، ولو بالغ الأولون والآخرون في احصاء مناقبه

لعجزوا عن استقصاء ما حباه الكريم من مواهبه صلى الله عليه وسلم“ . (٤)

فمن معجزاته ما جاء به من القرآن المجيد ، كتاب أحكمت آياته ، وفصلت كلماته ، وبهرت

مطالعه ، وزهرت مقاطعه ، وظهرت بدائعه ، وأضاءت ديباجة عبارته ، ورست قواعد إيجازه واعجازه ،

واعتدل حسن نظمه ، وزها فريد حكمه وحكمه ، وحسن ترصيعه وترصيفه ، وخص بالبيان والبديع

تأليفه ، وادهش النواظر بطلاوته وحرك اللسن بوصف حلاوته ، وسلب الالباب اسلوبه الغريب:

”كتاب يخص المؤمنين بوعدده ويحيي قلوب العارفين بوعظه

١- سورة الأعراف ، الآية: ١١٥-١٢٢ .

٢- سورة آل عمران ، الآية: ٤٩ .

٣- سورة بني إسرائيل ، الآية: ٩٣ .

٤- البيهقي : دلائل النبوة ، ص ٢٦٩-٢٧٠ .

- وانظر: أحمد الحوفي ، الدكتور: الإسلام في شعر شوقي ، ص ١٠٤-١٠٥ .

ويهدي سناهدى لتالي حروفه ورامقها بين الرقوم بلحظه  
 لقد حارت الأفكار من حسن نظما وسر معانيه وجوهر لفظه  
 فسقياً لمن يقفومناهج حقه ورعيّاً لعبد عد من أهل لحفظه" (١)  
 إن الله قد اعطاه المعجزات الخاصة التي لم تعط لأحد سواه ، كما قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً . وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾ (٢)

فقد جعل الله تعالى ذات رسول الكريم محبوبه وأعطاه كل الفضائل والصفات والمعجزات التي تختص به فقط.  
 ويلتزم شعراء في شعرهم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته ، ونجد شعر عديد في هذا  
 الموضوع ، أما صاحبنا شوقي وإقبال فذكرا أيضا معجزات النبي صلى الله عليه وسلم في كلامهما .  
 فأشاد شوقي في قصيدته معجزات النبي مثلا:

تحدث عن نبع الماء من بين أصابع النبي صلى الله عليه وسلم لارواء صحبه العطاش (٣)  
 وعن تظليل السحابة له (٤)، وعن نسيح العنكبوت على فتحة غار ثور و تعيش الحمام على بابه لما  
 اختبأ النبي صلى الله عليه وسلم بالغار هو و صديقه أبوبكر رضي الله عنه في هجرتهما من مكة إلى  
 المدينة (٥). وتعقبها قريش ، لكنها ضلت مكانهما ، وكتب الله لهما النجاة ، كما يذكر الله سبحانه

١- النهاني : جواهر البحار ، ٣/١١٦-١١٨ .

٢- سورة الأحزاب ، الآية: ٤٥-٤٦ .

٣- لا يذكر ابن هشام عنه في كتابه "السيرة النبوية" في سيرة ابن هشام ولا الطبري في تاريخه لكنه مذكور في إحياء  
 العلوم الدين للغزالي (٣٤١/٢) وبهامشه عن البزار والطبراني من حديث ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه  
 وسلم كان في سفر ، فشكا أصحابه العطش ، فقال : اتوني بماء ، فأتوه بإناء فيه ماء ، فوضع يده في الماء فجعل  
 الماء ينبع من بين أصابعه .

٤- في سيرة ابن هشام وفي تاريخ الطبري: أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج مع الركب إلى الشام قبل البعثة ، فلما  
 نزلوا ببصرة كان بها راهب اسمه بحيرة ، فنزلوا قريبا منه ، قال ابن هشام : "ويزعمون أن رسول الله في الركب  
 حين اقبلوا وغمامة تظله ، ثم اقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريبا منه ، فنظر بحيرة إلى الغمامة ، حين أظلت الشجرة  
 وتهصرت أغصانها على رسول الله حتى استظل بها فلما رأى بحيرة ذلك نزل من صومعته ثم أرسل إليهم وأولم  
 لهم وسأل محمدا عن أمور من حاله في نومه وأمور كلها ، فوافقت إجابته ما عند بحيرة من صفته ، ثم نظر إلى  
 ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه ، فأخبر أبا طالب بأن ابن أخيه هذا سيكون له شأن عظيم ، وحذره اليهود لأنهم  
 لو رأوه وعرفوا فيه ما عرف لبغوه سرا(ابن هشام ، ١/١٩١ ، والطبري ، ٢/١٩٥) وفي سيرة الزهري أنه حبر من  
 يهود تيماء وفي المسعودي أنه من عبدالقيس واسمه سرجس (الروض الأنف ، ١/٢١٨)

٥- لا ذكر لهذا في سيرة ابن هشام وما ذكر الطبري في كتابه عن هذه الواقعة ، لكنه في كتب متأخرة ، كالروض  
 الأنف : ذكر قاسم بن ثابت في الدلائل ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل الغار وأبوبكر معه أنبت الله  
 بابه شجرة حجبت عن الغار أعين الكفار ، وفي مسند البزار أن الله تعالى أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار ،  
 وأرسل حمامتين فوقفتا على فتحته ، وأن ذلك مما صدا المشركين عنه . (الروض الأنف ، ٤/٢)

وتعالى في القرآن الحكيم:

﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذَا أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ، إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ، وَأَيْدِيَهُمْ يَجُودٌ لَمْ تَرَوْهَا، وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (١)

وجاء في وصف أبي بكر للاختفاء في الغار قوله:

”كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغار، فرأيت آثار المشركين، فقلت يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه: يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما“ (٢).  
أما الغار فقد تحدث شوقي عنه بالعجب من العصبية المشتركة التي اقتضت آثار النبي، وساء لهم كيف عموا عن آثاره الوضئية الدالة على ميسره؟ وكيف صموا عن سماع همسه المسيح المرتل للقرآن الكريم؟ وكيف ظنوا نسج العنكبوت على فتحة الغار قديما يحول بين الغار ومن يدخله؟ وظنوا الحمام الصغار طيرا كبيرا أقام منذ زمن بعيد؟.

يقول الدكتور أحمد الحوفي في هذه الصدد:

”ولقد عموا عن ذلك كله وصموا، فعادوا باللغات، حتى لقد أنفت الأرض التي يمشون عليها من أن تطأها أقدامهم، فلعتهم وعادوا بالخيبة الذليلة كأنهم باطل هزمه جلال الحق ولولا رعاية الله للنبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ما سلما من عصبية الشرك، ولولا حماية للنبي صلى الله عليه وسلم ما قام للإسلام صرح، فقد ادرع النبي وصاحبه بجناح الله، ومن يدرع بجناح الله يسلم“ (٣).  
ويقول شوقي:

”سل عصبية الشرك حول الغار سائمة	لولا مطاردة المختار لم تُسم
هل أبصرو الأثر الوضاء أم سمعوا	همس التساييح والقرآن من أمم
وهل تمثّل نسج العنكبوت لهم	كالغاب، والحائمات الزغب كالرحم
فأدبروا وجوه الأرض تلعنهم	كباطل من جلال الحق منهزم
لولا يدالله بالجارين ما سلما	وعينه حول ركن الدين لم يقم
تواريا بجناح الله واستترا	ومن يضم جناح الله لا يضم“ (٤)

١- سورة التوبة، الآية: ٤٠.

٢- أخرجه مسلم بن الحجاج في الجامع الصحيح: كتاب: فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب: من فضائل أبي بكر الصديق. الطبعة الأولى، بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، رقم الحديث: ٣٠٩٦، ١١٠٣/٢.

وأنظر: أحمد الحوفي، الدكتور: إسلام في شعر شوقي، ص ١١٨.

٣- أحمد الحوفي، الدكتور: الإسلام في شعر شوقي، ص ١٢٠.

٤- الشوقيات: ١/١٩٩.

ونلاحظ هنا أن شوقي يبين هذه الواقعة بصورة حسنة والخيال البارع ، يصور صورة عصابة المشركين التي تطارد النبي دائرة تفتش في كل مقام ، ولكن فشلوا في تفتيشهم ، بل كان هذا مشية الله صاروا عمياً وما ادركوا وجود النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه، حتى ما سمعوا أصواتهم ، عندما وصلوا إلى وجه الغار و كان فيها رسول الله وصديقه ، ولكن رأوا نسج العنكبوت هنا و توهموه قديماً ، وعشش الحمام على وجه الغار، فعادوا خائبين خاسرين ملعونين . وحفظ الله رسوله من الكفار وشرهم .

ومن حفظه الله فلا يمكن لأحد أن يضره . وسافر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من مكة إلى مدينة بكل عافية ومعجزة ويبين شوقي هذا بكل تصريح وبكل افتخار . ويثبت بالبراهين أن الرفعة للحق والذلة للكفر دائماً.

وبعد ذكر هذه المعجزة تحدث شوقي عن معجزته الأخرى وهي نبع الماء من بين أصابع النبي صلى الله عليه وسلم وعن تظليل الغمامة . فيقول:

لما دعا الصخب يستقون من ظمأ فاضت يده من السنيم بالسنم (١)  
وظلته فصار تظليل به غمامة جذبتها خيرة الديم (٢)  
ويقول أحمد الحوفي في هذا الصدد:

”وهنا نلاحظ حرص شوقي على التجنيس بين تسنيم و سنم ، ولا نوافق على أن أجود المطر هو الذي جذب السحابة ، لأنه لا مطر بغير حساب ، وكان الصواب أن يقلب التعبير فيقول إن الغمامة حملت أجود المطر التي تنزل من السماء إلى الأرض كرحمة ويطفي عطش أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم“ (٣)

ولا ريب فكر شوقي هذا جيد وبيدع وأسلوبه يميزه عن الشعراء الآخرين من معاصريه . وشاعرنا إقبال كان عاشقاً للرسول ، حقاً لم يكتب مدائح تقليدية في وصف النبي صلى الله عليه وسلم ، إلا أن في مؤلفاته المتأخرة قصيدة من وحي قصيدة البردة للبوصيري ، إذ ألم به مرض ، فرأى في منامه السيد أحمد خان (ت ١٨٩٧م) المصلح الإسلامي في الهند . يذكره أن يتجه إلى الرسول ويطلب منه المدد، بالضبط كما وقع للبوصيري في القرن الثالث عشر الميلادي من شفاء ، فكتب البردة الرائعة ”في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم“ در حضور رسالت مآب“ (٤) في مدح الرسول . على أن إقبال لم يقتصر على ذلك ، فالرسول عنده أهم آية وتجلّ لروح الإسلام ونجد عبارته واضحة في جاويد نامه : ”يمكن أن تنكر الله لكنك لا تستطيع أن تنكر عظمة الرسول“.

- ١- التسنيم : الامتلاء وماء بالجن يجري ، النسم : المراد المملوء ، أي جاءت يده بماء كثير كأنه إناء من عين عميقة ممتلئة.
- الديم : جمع ديمة وهي المطر مدة في غير برق ولا رعد.
- ٢- الشوقيات : ١٩٦/١ .
- ٣- أحمد الحوفي ، الدكتور: الإسلام في شعر شوقي، ص ١٠٦ .
- ٤- كليات إقبال (فارسي) مثنوي پس چه بايد كرد اي اقوام شرق ، ص ٩٢ .

ويقول إقبال:

”مي توانی منکر یزدان شدن منکر از شان بنی نتوان شدن“ (۱)  
وعلى إنكار ربّ إن قدرنا كلّ فضل المصطفى حتما عرفنا“ (۲)

فالرسول هو الذي قدم الإسلام وفسر ما تلقاه من وحي، ويذهب إقبال مراراً وتكراراً إلى أن الرسول كان الإنسان المثالي، وصفته: عبده (۳) كما ورد في القرآن.

وهو صلى الله عليه وسلم حسب رأى إقبال الشخصية المثالية (هو كذلك عند المتصوفين التقليديين) ومن المهم أن ندرك أن حبه للرسول يشيع في كل إنتاجه، لذا ينبغي أن نظهر ذلك قبل أي جانب آخر من جوانب أعماله، وبطبيعة الحال ذكر إقبال شخصيات الأنبياء السابقين على محمد، وأثنى على إبراهيم إمام الموحدين والصادقين.

فيقول:

تارك آفل براهيم خليل	انبیاء را نقش پائی او دلیل (۴)
آن خدای لم یزل را آیتے	داشت در دل آرزوئی ملتے (۵)
جوع اشك از چشم بیخوابش چكید	تا پیام طهرا بیٹی شنید (۶)
بهر ما ویرانه آباد کرد	طائفان را خانه بنیاد کرد (۷)
تا نهال تب علینا (۸) غنچه بست	صورت کار بهار ما نشست (۹)
تارك الآفل، من قبل الخلیل	هو للرسول على النهج دلیل
إنه لله فینا آية	رُبیّتُ فی قلبه ذی الملة
”طهرا بیٹی“ إليه أنزلا	بعد سیل من دموع سیلا
قفرة من أجلنا قد عمّرا	وبنی البيت الذي قد طهّرا
تب علینا نضرت زهرتها	فتمتُ فی أرضنا روضتها (۱۰)

۱- کلیات إقبال (فارسی) جاوید نامه: ص ۱۳۰.

۲- الترجمة العربية: المصري، الدكتور حسين مجيب: رسالة الخلود، ص ۲۰۲.

۳- سورة الأسراء، الآية: ۱. وانظر: سورة النجم، الآية: ۱۰.

۴- هذا تلميح لآية شريفة: ﴿لَا أَحِبُّ الْإِنْسَانَ﴾ (سورة الانعام، الآية: ۷۶)

۵- ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ (سورة البقرة، الآية: ۱۲۸)

۶- ﴿وَعَهْدُنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهْرًا بَيْنِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (سورة البقرة، الآية: ۱۲۵)

۷- ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ (سورة ابراهيم، الآية: ۳۷)

۸- ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (سورة البقرة، الآية: ۱۲۸)

۹- کلیات اقبال (فارسی) رموز بے خودی، ص ۲۲۶.

۱۰- الترجمة العربية: عزام، عبد الوهاب، الدكتور: رموز نفي الذات، ص ۲۰۶.

ونرى أنه سمى ديواناً آخر له باللغة الأردنية ، ضرب الكلیم ، فكما شق موسى الجبل ليخرج الماء من الصخر ، وكما ضرب بعصاه البحر الأحمر ليعبر شعبه . كان الشاعر يذهب إلى أننا بضربة قوية يمكننا بالتأكيد إنقاذ المؤمنين ، أو على الأقل نقرب من إنقاذ المسلمين في أيامنا هذه ، وفي نظره ، كان موسى ذا اليد البيضاء أنموذجاً للنبي صلى الله عليه وسلم ذي المعجزات ، ويظهر هو وإبراهيم كأسلاف نبي الإسلام .

كما يقول إقبال:

”بندۀ حق وارث پیغمبران او نگنجد در جهان دیگران  
تاجهانی دیگرے پیدا کند ایس جهان کهنه را برهم زند  
پائے او محکم برزم خیر و شر ذکر او شمیر و فکر او سپر“ (١)

(الرجل الحق هو وارث الأنبياء ، لا يتبع أسوة غيره بأنه مؤسس العالم الجديد بعد تدمير العالم القديم هو مثابر في حرب الخير والشر ، وسلاحه في هذا الحرب ذكر وفكر) وشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم هو محور فكر إقبال .

وكتب في عام ١٩١٢م في جواب الشكوى:

”أضئ العالم الذي طال إظلامه باسم محمد المنير“ . (٢)

على أننا نجد أروع وصف لدور الرسول في منظومته الثانية أسرار نفي الذات ، وهو أكثر دواوينه اهتماماً بالسياسة وأكثرها توجهاً نحو القرآن حيث يقول .

حب الرسول يجري كالدم في عروق الأمة ، وكان إقبال يشعر أن روحه موصولة بالنبي ، وكان على يقين أن الرسول هو المثل الأعلى للإنسان ، بصفته ”عبده“ فإن عبد الله ، حرو مقيد إلى الله في نفس الوقت . ووصف صفات ”عبده“ كذلك :

”لا اله تبيغ و دم او عبده فاش تر خواهي بگو هو عبده  
عبده چند و چگون کائنات عبده ، راز درون کائنات  
مدعا پیدا نگرده زین دو بیت تانه بینی از مقام مارمیت (٣)  
لا اله السيف وهي حده ولتصرح ولتقل ”هو عبده“  
”عبده“ كنه جميع الكائنات ”عبده“ فيها معان مغلقات

١- کلیات إقبال (فارسی) مثنوی مسافر ، ص ١١٠ .

٢- کلیات اقبال (الأردنية) بانك در (صلصلة الجرس) ، ص ٣٦٠ .

٣- کلیات إقبال (فارسی) جاوید نامه ، ص ٢٤٠ .



ولهذا الشَّعر معنى ما فهمت قبل فهم قول ربي "مارميت" (١)  
 فهكذا نرى أن يأخذ إقبال صفات "عبده" كمعجزة النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي  
 اصطبغ بصبغة الله ويهزم كل الشر والكفر بنفسه . ثم يذكر إقبال صفات محمد صلى الله عليه وسلم  
 في جاويد نامه ، ويذكر سفره الروحاني إلى الأفلاك مع شيخه جلال الدين الرومي ، فيرد عليهم بأن  
 اسمه "زنده رود" ويعنى "النهر الحي" نجده في قصيدة من قصائده المبكرة يصف محمداً بالنهر ، فهو  
 نهر ذو قوة وجلال ، ويفصل الشاعر والفلسفي الألماني نيتشه (٢) هذه الصورة في أنشودة محمد  
 صلى الله عليه وسلم ، كما يبدأ النهر من ينبوع صغير ، ويكبر ويتسع ، حتى ينتهي إلى المحيط العريض  
 العظيم الذي يشمل الكل ، يمكننا تصور بداية النبي صلى الله عليه وسلم نبعاً صغيراً يتسع ويتسع  
 ليشمل برسالته مزيداً من الناس والأقطار ليعود جميعاً إلى الله ، هكذا يحس إقبال أنه "يحاكي" النبي  
 صلى الله عليه وسلم في كتاباته فهو ليس نبياً بطبعية الحال ، بل هو إنسان يسير في إثره بخطى لصيقة ،  
 وهذه الفكرة إذا حفظناها في ذاكرتنا تساعدنا على مزيد من الفهم لفكره .

تأمل هذه الأشعار:

نوع انسان را بشير وهم نذير	هم سپاهی هم سپهگرهم امير
مدعائے علم الاسماستے	سرّ سبحان الذي اسراسته
چون عنان گيرو بدست آن شہسوار	تيز تر گردد سمنند روزگار
از قم او خيز داند رگورتن	مرده جانها چون صنوبر در چمن
ذات او توجيه ذات عالم است	از جلال او نجات عالم است
جلوه ها خيز در نقش پاء او	صد کلیم آواره سيناء او (٣)
هو في الناس بشير ونذير	وهو جندي وراع وأمير
مقصد من "علم الأسماء" هوه	سر "سبحان الذي أسرى" هواه
محضر من تحته طرف الزمان	حينما يمسك منه بالعنان (٤)
يبعث الأرواح منه قول "قم"	وهي إلى أبدانها مثل الرّم

١- ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ (سورة الانفال، الآية: ١٧)

- الترجمة العربية: المصري ، د. حسين مجيب: رسالة الخلود، ص ٢٦٢-٢٦٣.

٢- نيتشه: فيلسوف ألماني مستفيض الشهرة ، يُعد بحق من أهم قادة الفكر الذين كان لتفكيرهم أثر في العصر

الحديث. وأكثر كتبه سيرورة كتاب بعنوان: "هكذا قال زردشت" وإن كان أشد ما كتب غموضاً. وقد تناول

المسيحية بالنقد ، واختلط عقله قبل وفاته عام ١٠٠٠ م.

٣- كليات إقبال (فارسي) اسرار خودی ، ص ١١٦.

٤- يعدو تحته حصان الزمان ، أي يسير الزمان سريعاً إلى مقصده .

ذاته تتبع ذات العالم سطره يخضر في ييدائه كم كلیم هام في سينائه (١)

ونظراً أن إقبال يجمع خصائص الانبياء في ذات محمد صلى الله عليه وسلم ويشبث أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء والمثل الأعلى للإنسانية بكل جهات ، وبين إقبال المعجزة الكبرى لرسول صلى الله عليه وسلم الاسراء والمعراج ، سنتكلم عن هذا الموضوع بالتفصيل في الصفحات الآتية ولكن بنسبة هذه القصة ينقل حكاية عن متصوف هندي عبدالقدوس الكنكوهي من منتصف القرن السادس عشر الميلادي ، التي نقلتها أنماري شمل في كتابها قائلة :

”محمد النبي العربي عرج إلى أعلى مدارج السماوات ، ثم عاد ، وأقسم بالله لو أنني وصلت إلى ذلك المقام ما كنت لأعود أبداً. (٢)

إن هذا موقف متصوف كبير فهو يود البقاء في نعيم أبدى ، في حضرة الله . وألا يعود إلى العالم ، أما النبي فيعود ليحدث الناس عن تجربته في الجوار القريب من الله ، وليعلم الإنسانية ما تلقى من وحي الله وهذا بطبيعة الحال تطبيق مشير للاهتمام لمقولة في تاريخ الأديان تفرق بين الاتجاه الصوفي والاتجاه النبوي في الدين ، كما يقول :

”تا نبوت حکم حق جارى کند	پشت پا بر حکم سلطان می زند
پخته ساز و صحبتش هر خام را	تازه غوغای دهد ایام را
درس او الله بس باقى هوس	تا نیفتد مرد حق در بند کس
از نم او آتش اندر شاخ تاک	در کف خاک از دم او جان پاک
از نگاهش فرودیس خیز و ذده	درد هر خم تلخ تر گردد زمه
من نمیدانم چه افسون میکند	روح را در تن دگرگون میکند
صحبت او هر حرف را در کند	حکمت او هر تهی را پُر کند“ (٣)
عند ما یصدع النبی بأمر الله جهرأ فی مسمع الأكوان	یتحدی بوحیه کلّ حکم لأمیر فی الأرض أو سلطان
تذکى بنور صحبته النفس ویهدی الرّشاد للحیران	یحدث الضّجّة الرهیبة فی الأيام حتى تسیر طوع الأمانی
معلناً فی الوجود لا رب غیر الله یخشی ویرتجى کلّ آن	کیف یرضی إذلال عبد لعبد و امتهان الإنسان
قطرة من نداء تشعل ناراً فی عروق الكروم والأغصان	ویجلّی فی قبضة من تراث بعث روح یقین والإیمان

- ١- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب الدكتور : أسرار أنبات الذات ، ص ١٥٦ .
- ٢- أنماري شمل : أسرار العشق المبدع ، في كتابات محمد إقبال ، المحاضرة الخامسة في سلسلة محاضرات مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، متحف فيكتوريا والبرت الملكي بلندن ، ١٩٩٦م ، ص ٢٠-٢٢ .
- ٣- کلیات اقبال (فارسی) پس چه باید کرد ای اقوام شرق ، ص ٢٢ .

من جمود الشتاء يحيى ربيعاً باسم الروض ناضر الأفنان  
 وثمان الرّاح المعتق أشهى من رحيق مصفّق في الدّنان  
 قدرة حارت النواظر فيها أي سر بها خفي المعاني  
 يصبغ الروح في الجسوم بلون غير كل الرسوم والألوان  
 حولت كيميائوه الصّدْف البالي عقداً من الداري الحسان  
 يتولى ملء الفراغ بحزم يقهر المستحيل بالإمكان (١)  
 ومن المؤكد أن إقبال يمثل ما يسمي بالإتجاه النبوي صلى الله عليه وسلم ، كان سعيه أن يبشر  
 الناس بمشاعره وتجربته . وفي سلسلة معجزات ذات النبي ، يذكر إقبال معجزته الأخرى بهذه الألفاظ :

آنكه مهتاب از سر انگشتش دونيم  
 رحمت او عام و اخلاقش عظيم (٢)  
 العظيم الخلق من شقّ القمر  
 رحمة عمّت ونورٌ للبشر (٣)  
 ويقول في الموضوع الآخر:  
 پنجه او پنجه حق مي شود  
 ماه از انگشت او شق می شود (٤)  
 در خصومات جهان گردد حکم  
 تابع فرمان او دارا وجم  
 يدها من قوه الحق أثر  
 فإذا ما أو مات شق القمر  
 في خصومات الوري أقوى حکم  
 صاغر في حكمها داراً وجم (٥)

فهكذا يبين إقبال معجزات النبي صلى الله عليه وسلم بمناسبة ذاته وصفاته وأفعاله ، ويذكر  
 بعض نقاط في سلسلة المعجزات التي لا نجد في كلام شوقي وهكذا ما نجد في شعر إقبال بعض  
 النقاط التي يذكرها شوقي في ديوانه .

فهكذا يسعى إقبال وشوقي بتزيين كلامهما بذكر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم حسب  
 استطاعة قلمها وفكرتهما ، ولا ريب أنهما بارعان في مجالتهما ، وفي خلال ذكر معجزات النبي  
 صلى الله عليه وسلم قلوبهما مملوءة من حب النبي صلى الله عليه وسلم .

## الإسراء والمعراج

الإسراء والمعراج هي المعجزة الكبرى من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن تتكلم  
 عن هذا الموضوع بالتفصيل ، ينبغي لنا أن نعرف ما معنى المعجراج ، فنجد معنى المعراج في

- ١- الترجمة العربية: المصري ، صاوي شعلان، الشيخ: والآن .....ماذا نصنع؟ يا أمم الشرق ، ص ٣٤٨-٣٤٩ .
- وانظر أيضاً: صاوي شعلان ، الشيخ : ايوان اقبال : مختارات من شعره ، ص ١٦-١٨ .
- ٢- كلييات إقبال (فارسي) رموز به خودی، ص ٢٩٠ .
- ٣- الترجمة العربية: عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : رموز نفى الذات ، ص ٢٢١ .
- ٤- كلييات إقبال (فارسي) أسرار والرموز، ص ٧٦ .
- ٥- دار و جمشيد من ملوك الفرس القدماء .
- الترجمة العربية: عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : أسرار أثبات الذات ، ص ١٤٣ .

المعارج العربية وهو كالاتي : المعراج : السُّلم وجمعه معاريج ومعارج ، كمفاتيح ومفتاح ، وقيل : واحد المعارج معرج ، مثل مرقة ، فيقال على هذا معراج ، وجمعه معاريج كمفتاح وجمعه مفاتيح ، ومعرج وجمعه معارج كمفتاح وجمعه مفاتيح ، والمعارج المصاعد. (١)

وقوله تعالى:

﴿مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ (٢)

وقيل : أراد به معارج الملائكة ، وقيل ذي الفواصل العالية ، ويقال : عرج في السُّلم ، بفتح الراء يعرج ، بضمها ، إذا ارتقى ، وعرج يعرج أيضاً : إذا غمز من شيء أصابه ، فإذا هو أعرج ، يقال : عرج ، بكسر الراء ، يعرج ، بفتحها ، فإذا قيل كان للنبي صلى الله عليه وسلم معراج فمعناه : أنه عرج في السماء. (٣)

## ذكر المعراج النبوي صلى الله عليه وسلم في القرآن والحديث

وقبل أن نستعرض ذكر معراج النبي صلى الله عليه وسلم في كلام شوقي وإقبال. ننظر ذكره في القرآن الحكيم والحديث النبوي صلى الله عليه وسلم ، لكي نفهم أهمية هذه الحادثة في الإسلام وعند المسلمين ، وقد جاء ذكر المعراج النبوي صلى الله عليه وسلم في آيات القرآن الحكيم مختلفة، فيما يلي :

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ وَمَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ أَفَتَمْرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ (٤)

ويقول الله تعالى في سورة التكويد:

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ مَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ (٥)

كما يسجل القرآن لقاء الرسول له مرة أخرى ، حيث يقول الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ مَا

١- لويس معلوف : المنجد ، للمطبعة الكاثوليكية ، بيروت. بدون التاريخ. وانظر : جبران مسعود : الرائد : الطبعة الثانية ، للطباعة والنشر : دار العلم للملايين ، بيروت: ١٩٦٧ م.

٢- سورة المعارج ، الآية: ٣.

٣- القشيري ، أبي قاسم عبدالكريم بن هوازن : كتاب المعراج : اخرجه وحققه : الدكتور على حسن عبدالقادر. الطبعة الأولى ، للطباعة والنشر دار الكتب الحديثة القاهرة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤ م ، ص ٢٤-٢٥.

- وانظر: طاهر القادري ، الدكتور : فلسفة معراج النبي . الطبعة الحادية العاشرة ، لاهور : منهاج القرآن بليكشنز ، يوليو ٢٠٠٦ م

٤- سورة النجم ، الآية: ١-١٣ .

٥- سورة التكويد ، الآية: ١٩-٢٥ .

زَاغَ الْبَصْرُ وَمَا طَعَى لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴿١﴾

كما جاء "الإسراء" من مكة إلى بيت المقدس موجزاً، كذلك في القرآن الكريم، حيث

يقول تعالى:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٢)

ونجد البحث الطويل عن هذه الحادثة في كتب الحديث المختلفة، نذكر بعضهما

ونستعرض هذه الحادثة العظيمة بالتفصيل:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ .

"قال الإمام أبو عبد الله البخاري، حدثني عبدالعزيز بن عبد الله حدثنا سليمان، هو ابن بلال، عن شريك بن عبد الله قال: سمعت أنس بن مالك يقول ليلة أسرى برسول الله من مسجد الكعبة إنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه، وهو نائم في المسجد الحرام، فقال أو لهم أيهم هو، فقال أو سطمهم هو خيرهم، فقال آخرهم، خذوا خيرهم، فكانت تلك الليلة فلم يرههم حتى أتوه ليلة أخرى، فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل، فشق جبريل ما بين نحره إلى لبتة، حتى فرغ من صدره وجوفه، فغسله من ماء زمزم يده، حتى أنقى جوفه ثم أتى بطست من ذهب فيه نور من ذهب محشو إيماناً وحكمة فحشابه صدره، ثم أطبقه ثم عرج به إلى السماء الدنيا، فضرب باباً من أبوابها، فناداه أهل السماء من هذا؟ فقال: جبريل، قالوا ومن معك؟ قال معي محمد صلى الله عليه وسلم، قالوا وقد بعث إليه؟ قال نعم، قالوا فمرحباً به وأهلاً، يتبشر به أهل السماء لا يعلم أهل السماء بما يريد الله به في الأرض حتى يعلمهم. فوجد في السماء الدنيا آدم، فقال له جبريل، هذا أبوك آدم، فسلم عليه، فسلم عليه ورد عليه آدم، فقال مرحباً وأهلاً يا نبي نعم الدين أنت، فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان فقال، ما هذان النهران يا جبريل؟ قال، هذان النيل والفرات عنصرهما، ثم مضى به في السماء، فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ، فضرب بيده، فإذا هو مسك أدفر فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك، ثم عرج به إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل، فقيل من أنت؟ قال جبريل، قيل ومن معك، قال محمد صلى الله عليه وسلم، قيل أو قد بعث إليه، قال بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا يا بني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا، فرحباي ودعوا لي بخير

١- سورة النجم، الآية: ١٣-١٨.

٢- سورة بني إسرائيل، الآية: ١.

ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة ، فذكر مثل الأول ففتح لنا ، فإذا أنا بيوسف وإذا هو قد اعطى شطر الحسن فرحب بنا ودعالي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة وذكر مثله ، فإذا أنا بادريس ، فرحب بي ودعالي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة ، فذكر مثله فإذا أنا بهارون ، فرحب بي ودعالي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السادسة ، فذكر مثله ، فإذا أنا بموسى ، فرحب بي ودعالي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة ، فذكر مثله ، فإذا أنا براهيم مسندا ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخل فيه كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون إليه ، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى ، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى ، وإذا ورقها كأذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال ، قال صلى الله عليه وسلم . فلما غشيها من امر الله تعالى ما غشي تغيرت مما غشيها فما احد من خلق الله تعالى يستطيع أن ينعتها من حسنها ، فوحي الله اليّ ما وحي ففرض على خمسين صلاة في كل يوم وليلة ، فنزلت إلى موسى ، فقال ، ما فرض ربك على امتك ، فقلت خمسين صلاة ، قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك ، فرجعت إلى ربي فقلت ، رب خفف عن أمتي فحط عني خمسا ، فرجعت إلى موسى ، فقلت حط عني خمسا ، قال ، إن أمتك لا يطيقون ذلك ، فارجع إلى ربك ، فاسأله التخفيف ، قال ، فلم ازل ارجع بين ربي تعالى وبين موسى ، حتى قال تعالى ، يا محمد صلى الله عليه وسلم انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر ، فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشرا ومن هم بسئية فلم يعملها ، لم تكتب شيئا ، فإن عملها كتبت له سيئة واحدة“ . (١)

”وفي حديث ابي هريرة وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء ، فقال قائل منهم يا محمد ﷺ ، وهذا مالك خازن النار فسلم عليه ، فالتفت فبدأني بالسلام ، وفي حديث أبي هريرة ، ثم سار حتى إلى بيت المقدس فنزل فربط فرسة أي البراق إلى صخرة فضلي مع الملائكة ، فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل ، من هذا معك ، فقال هذا محمد رسول الله ، خاتم النبيين ، قالوا ، وقد أرسل إليه ، قال نعم ، قالوا حياها الله من اخ وخليفة ، فنعم الاخ ونعم الخليفة ، ثم لقوا رواح الانبياء فأثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان عليهم الصلاة والسلام ، ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال وأن محمدا صلى الله عليه وسلم اثني على ربه ، فقال كلكم اثني على ربه ، وأنا اثني على ربي ، الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل علي الفرقان فيه تبيان لكل شيء وجعل امتي خير أمة وجعل أمتي أمة وسطا وجعل أمتي هم الأولون وهم الآخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما ، فقال ابراهيم بهذا فضلكم محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر إن عرج به إلى سماء الدنيا

١- أخرجه : مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري : الجامع الصحيح ، كتاب الإيمان ، باب : الاسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات ، ١/٩٩-١٠٦ . وانظر : النبهانى ، يوسف بن اسماعيل ، الشيخ : جواهر البحار في فضائل النبي المختار ، ١/١٥-١٧ .

ومن سماء إلى سماء نحوها تقدم ثم بعد ان ذكر صعوده إلى سدرة المنتهى و وصفها قال، فقال تبارك وتعالى له صلى الله عليه وسلم سل ، قال انك اتخذت ابراهيم خليلاً واعطيته ملكاً عظيماً وكلمت موسى تكليماً واعطيت داؤد ملكاً عظيماً والنت له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت سليمان ملكاً عظيماً وسخرت له الجن والانس والشياطين واعطيته ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده وعلمت عيسى التوراة والأنجيل وجعلته يبرئ الاكمه والابرص واعذته وامه من الشيطان الرجيم، فلم يكن له عليها سبيل وقال له ربه تعالى قد اتخذتك حبيبا ، فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن وارسلتك إلى الناس كافة وجعلت أمتك هم الأولون وهم الآخرون وجعلت امتك لا يجوز لهم خطبة حتى يشهد وإنك عبدي ورسولي وجعلتك اول النبيين خلقاً وآخرهم بعثاً واعطيتك سبعا من المثاني ، ”وهي الفاتحة على الصحيح“ ولم اعطيها نبياً قبلك واعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش ولم اعطها نبياً قبلك وجعلتك فاتحاً وخاتماً .

وفي الرواية الاخرى قال فاعطي رسول الله ثلاثاً ، أعطي الصلوات الخمس وأعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئاً من أمته المقححات أي السيئات المهلكات“ (١).

ذهب معظم السلف والمسلمين إلى أن الإسراء به صلى الله عليه وسلم إسراء بالحسد وفي اليقظة وهذا هو الحق وذكر العلماء أدلة ذلك والقائلين به ، ولكن هل هي الرؤية بعين رأسه أو بعين قلبه ورجح جوازها استدلل لذلك بادلة كثيرة ، ونقل عن ابن عباس في ذلك قولين وقدم منهما رؤيته بعينه قال: ان الله اختص موسى بالكلام وإبراهيم بالخلة ومحمداً بالرؤية وحجته قوله تعالى : ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى أَفَتَمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ (٢) وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿٣﴾ فالضمير على قوله رضي الله عنه راجع إلى الله تعالى.

”فعند أكثر العلماء أنه صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعيني رأسه ليلة الإسراء وإثبات هذا ليس إلا بالسمع منه صلى الله عليه وسلم وهو مما لا يشك فيه وانكار عائشة وقوعها أي الرؤية لم يكن لحديث روته ، ولو كان لحديث ذكرته بل احتجت بقوله تعالى ، ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾“ (٤) المراد

- 
- ١- البخاري ، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل ، العلامة : صحيح البخاري ، كتاب الفضائل . باب: اسراء برسول صلى الله عليه وسلم ، ٣٢٦/٢-٣٢٨.
  - وانظر : ابن كثير ، أبي الفداء إسماعيل ، الامام : تفسير ابن كثير ، ٣/٣-١٥.
  - وانظر: السهيلي : السيرة النبوية لابن هشام ومع تفسير احاديث الروض الأنف ، ص ٢٤٢-٢٤٤.
  - ٢- سورة النجم ، الآية: ١١-١٢ .
  - ٣- نفس المرجع ، الآية: ١٣ .
  - ٤- سورة الانعام ، الآية: ١٠٣ .

بالإدراك الإحاطة إذ ذاته تعالى لا تحاط ولا يلزم من نفي الإحاطة نفي الرؤية بدونها. (١) ولا يمكن

- ١- هنا ثلاث جماعات في الإسراء والمعراج .
- وقد ذكر ابن اسحق عن عائشة ومعوية ، انها كانت رؤيا حق وأن عائشة قالت لم نفقد بدنه وإنما عرج بروحه تلك الليلة ويحتج قائل هذا القول بقوله سبحانه .
- ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ . (سورة بني اسرائيل ، الآية: ٦٠)
- وتقول الجماعة الثانية قد تكون الرؤيا بمعنى الرؤية في اليقظة ويحتجون أيضا بحديث البخاري عن أنس بن مالك ، قال ليلة أسرى برسول الله من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام ، فقال أولهم أبيهم هو فقال أو سطم هو هذا وهو خيرهم..... وقد ذكرنا هذا المثال قبل .
- وقال أصحاب القول الثاني قد تكون الرؤيا بمعنى الرؤية في اليقظة وأنشد والراعي يصف صائداً .
- وكبير للرؤيا وهش فؤاده وبشر قلبا كان حما بلا بله (النبهانية : المجموعة النبهانية)
- وقالوا في بيان أنها كانت في اليقظة ، لأنه قال وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ولو كانت رؤيا نوم ما افتتن بها الناس حتى ارتد كثيرا ممن أسلم وقال الكفار بزعم محمدا أنه أتى بيت المقدس ورجع إلى مكة ليلة والعيبر تطرد إليها شهرا مقبلة وشهرا مدبرة ولو كانت رؤيا نوم لم يستبعد أحد منهم.
- وذهبت طائفة ثالثة منهم شيخنا القاضي ابوبكر رحمه الله إلى تصديق المقاليتين وتصحيح الحديثين . وإن الإسراء كان مرتين ، مرة في نومه ومرة في يقظته بيدنه صلى الله عليه وسلم.
- وقال ابن هشام : وهذا القول هو الذي يصح وبه تتفق معاني الأخبار ، ألا ترى أنه قال في حديث أنس الذي قدمنا ذكره ، أتاه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه ومعلوم أن الإسراء كان بعد النبوة فرضت الصلوة وقيل كان قبل الهجرة بعام ولذلك قال في الحديث فارتد كثير ممن كان قد أسلم ورواة الحديثين حفاظ فلا يستقيم الجمع بين الروايتين إلا أن يكون الإسراء مرتين وكذلك ذكر في حديث أنس أنه لقي ابراهيم في السماء السادسة وموسى في السابعة وفي أكثر الروايات الصحيحة أنه رأى ابراهيم عند البيت المعمور في السماء السابعة ولقي موسى في السادسة وفي رواية ابن اسحق أتى بثلاثة آنية أحدهما ماء فقال قائل أن أخذ الماء غرق وغرقت أمته وفي إحدى روايات البخاري في الجامع الصحيح أنه أتى باناء فيه عسل ولم يذكر الماء والرواة إثبات ولا سبيل إلى تكذيب بعضهم ولا توهينهم فدل على صحة القول بأنه كان مرتين وعاد الاختلاف إلى أنه كان كله حقا ولكن في حالتين ووقتين مع ما يشهد له من ظاهرا القرآن ، فإن الله سبحانه يقول :
- ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْخَى إِلَى عُنُقِهِ مَا أَوْخَى﴾ (سورة التكويد ، الآية: ٢٠) ثم قال : ما كذب الفؤاد ما رأى “ فهذا نحو ما وقع في حديث أنس من قوله فيما يراه قلبه وعينه نائمة والفؤاد وهو القلب ، ثم قال ” ولقد رآه نزلة أخرى “ أي في نزلة نزلها جبريل إليه مرة فراه في صورته التي هو عليها ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى إِذْ يَعْطَى الْبِسْطَ مَا يَعْطَى﴾ (سورة النجم ، الآية: ١٤ ، ١٦) قال يغشاها فراش من ذهب وفي رواية يشر منها الياقوت وثمرها مثل قلال حجر ، ثم قال ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ﴾ (سورة النجم ، الآية: ١٧) ولم يقل الفؤاد كما قال في التي قبل هذه فدل على أنها رؤية عين يُصر في النزلة الأخرى ، وكذلك قال في أكثر الأحاديث أنه رأى عند سدرة المنتهى نهرين ظاهرين ونهرين باطنين وأخبره جبريل أن الظاهرين النيل والفرات وذكر في حديث أنس ، أنه رأى هذين النهرين في السماء الدنيا وقال له الملك هما النيل والفرات أصلهما وعنصرهما ، فيحتمل أن يكون رأى في حال اليقظة منعهما ورأى في المرة الأولى النهر من دون أن يرى أصلهما. والله أعلم. قول رابع في الجمع بين الأقوال ، قال كان الإسراء بجسده في اليقظة إلى بيت المقدس ، فكانت رؤيا عين ثم أسرى بروحه إلى فوق سبع سموات ولذلك شنع الكفار قوله واتيت بيت المقدس في ليلتي هذه ولم يشنعوا قوله فيما سوى ذلك.



إنكار من قول سبحان الله تعالى في القرآن الحكيم . يقول:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ، مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

والعبد مجموع الجسد والروح ، وقد صدرت الآية بلفظ "سبحان" دال على قدرة الله تعالى ، وتنزيهه عن العجز عن الإسراء بالنبى جسداً وروحاً ، ولو كان الإسراء بالروح وحدها ما كانت حاجة إلى تصدير الآية بتنزيهه عن العجز .

على أنه نسب إلى السيدة عائشة ، أن الإسراء كان بالروح لا بالجسد ، وهذا مردود بأن عائشة كانت وقت الإسراء صغيرة ، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قد تزوجها .  
يذكر النبھاني المعراج النبوي في آياته كذلك:

فـسـبـحـانـ الـذيـ اسـرى	”نـبـيـ قـدـ سـرى لـيـلا
اللـهـ مـن آيـاتـه الكـبرى	نـبـي قـد ارآه
ورتبته بها احرى	نـبـي خـص بـالعـليا
ن والإحسان والبشرى	نـبـي جـاء بـالايـما
رفي الدينا وفي الأخرى	نـبـي شـاغ المـقـدا
به مادامت الشعرى“ (١)	سـلام اللـه مـوصـول

في ضوء هذا البحث نجد أن الإسراء والمعراج هي المعجزة الكبرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن مشركي مكة كانوا عاجزين عن فهم هذه الحقيقة ، واتخذتهم الحيرة كيف يمكن لمحمد ﷺ أن يسافر من الأرض إلى السماء ويسير إلى بيت المقدس وغيرها ويرى آيات الله ويعود في ليلة واحدة ، ولهذا كانوا في ريب عن هذه الحادثة ، لأن ننظر موقف المشركين عن هذه المعجزة وتصديق أبي بكر في هذه الحادثة في السطور الآتية .

## موقف المشركين إزاء هذا الحدث المعجز وشهادة أبي بكر في المعراج

يبين الدكتور فتحي الدريني موقف المشركين عن هذه الحادثة في الألفاظ الآتية:

”على أن موقف المشركين حيال هذا الحدث المعجز الذي هو آية من آيات قدرته عز وجل ، ينطوي على منطق بشري ساذج متهافت ، بل كان في الواقع موقفاً مزرباً ، إذ تراهم ، في مما رأتهم ، يقيسون معجزة الخالق في الإسراء ، عجز منهم وحمقاً وجهالة ، بسرعة الإبل في معهودهم ، وهو كما ترى ، إن دل على شيء فإنما يدل على قصر في النظر ، ومحدودية في الأفق ، وضحالة في الفكر ، وتدني في المستوى الثقافي والعلمي والفلسفي ، فضلاً عن المستوى الروحي مما يناط به الاستدلال على عظم قدرة الخالق المدبر العلي القدير ، وسائر صفاته التي ينطق بها مظاهر إبداع الخلق الإلهي

في الكون والإنسان ، إذن كان حادث الإسراء بالرسول ، تكريماً له ، واحتفاءً به ، بعد أن أدلهمت من حوله الخطوب ، واكفهرت الدنيا بشعابها ، طوال عشر سنوات من عمر دعوته أويديد ، مما كان سبباً فيما أنتاب نفسه الشريفة من حسرات“ .(١)

ومن هذه الحادثة أراد ربّ العزة ، أن يشعر رسوله صلى الله عليه وسلم بأنه تعالى معه بالرعاية والعناية ، والألطف الخفية . بل وبالمناجاة في علو السموات ، حتى كان منه قاب قوسين ، أو أدنى ، فأوحى إلى “عبده” ما أوحى ! وهذه حقيقة واقعة لم يزغ فيها البصر ، ولم يكذب فيما رأى الفؤاد ! وعلى هذا ، فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يسره من تلقاء نفسه ، وبقدرته الذاتية ، وبطبيعة البشرية وإنما أسرى به ، بقدره الله تعالى ، ولم ير ما رأى ببصره العادي ، حتى تكون مجرد رؤية بصرية بما أودعت العين من قوة الأبصار البشرية ، وإنما كانت إرادة الله تعالى له حتى رأى ما رأى ، فالإرادة غير الرؤية التلقائية ، كما نرى والنص القرآني صريح في هذا المعنى ، لقوله تعالى . لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ، وعلى هذا ، ففي المعنى الأول ، يقول تعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ فهو صلى الله عليه وسلم ، مسرى به ، وليس سارياً في المعنى الثاني ، يقول تعالى : ”لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا“ ويقول عز وجل . ”وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي آرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ“ فهي إذن معجزة كبرى ، لم يكن للرسول صلى الله عليه وسلم يد في صنعها ، ولا قدرة على أحداثها ، ففيم الجدال إذن ؟ وفيم المماراة ؟ ”أفتمارونه على مايري“ وما كان ليري ما رأى لولا أن اراه الله جل وعلاء هذا من جهة .

ومن جهة أخرى ، فإن هذه المعجزة التي استعلت على قوانين الزمان والمكان والنسب المعهودة في المنطق البشري .

ويقول دكتور فتحي الدريني في مقاله في هذا الصدد:

”أقول: هذه المعجزة التي اطرحت تلك النواميس ، واستعلت عليها ، كانت مادة للابتلاء في دنيا الناس ، يفتن بها كل من المؤمن والمشرك على سواء ، فكانت بذلك فيعلا حاسماً بين صدق الإيمان ، وعمق الروح المؤمنة ورسوخ العقيدة ، وبين النفاق والشرك والسطحية ، والاتداد ، مما لا يتسع المقام لبسطه وتفصيله“ .(٢)

فآمن المسلمون بهذه المعجزة ، والكفار في عالم الحيرة ذهبوا إلى أبي بكر ، فقالوا له ، هل لك يا أبا بكر في صاحبك يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع إلى مكة ، فقال

١- فتحي الدريني ، الدكتور : مجلة نهج الإسلام ، تحت عنوان : البعد الديني والاجتماعي والسياسي لمعجزة الإسراء والمعراج ، ص ٤٦ .

٢- فتحي الدريني ، الدكتور : مجلة نهج الإسلام“ تحت عنوان : البعد الديني والاجتماعي والسياسي لمعجزة الإسراء والمعراج ، ص ٤٧ .

لهم أبو بكر، أنكم تكذبون عليه، فقالوا بل هاهو ذاك في المسجد يحدث به الناس، فقال أبو بكر، والله لعن كان قاله لقد صدق فما يعجبكم من ذلك، فوالله أنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار، فأصدقه فهذا أبعد مما تعجبون منه، ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، يبين ابن هشام هذه القصة كذلك:

”فقال أبو بكر يا نبي الله أحدثت هؤلاء القوم إنك أتيت بيت المقدس هذه الليلة، قال نعم، قال يا نبي الله، فصفه لي فأني قد جئته قال الحسن، فقال رسول الله، فرفع لي حتى نظرت إليه، فجعل رسول الله يصفه لابي بكر ويقول أبو بكر صدقت، أشهد أنك رسول الله كلما وصف له منه شيئاً، قال صدقت أشهد أنك رسول الله قال، حتى انتهى قال رسول الله لابي بكر، وأنت يا أبا بكر الصديق فيؤمئذ سماه الصديق“. (١)

وبعد شهادة أبي بكر آمن السعداء بهذه المعجزة واعترض الأشقياء عليها وأنكر وأعلى من يؤمن بها. ثم إنه لا منفذ للإنكار بعد أن يثبت العلم مقدره الإنسان على نقل الصوت والصور من أقصى الأرض إلى أقصاها في لمح البصر، وبعد أن استطاع الإنسان أن ينتقل من الأرض إلى غيرها في سرعة مذهلة يكاد العقل لا يصدقها.

## الإسراء والمعراج في كلام شوقي وإقبال

الإسراء والمعراج لتعد من أهم المعجزات النبوية وهي أبرز الفضائل الحميدة للنبي صلى الله عليه وسلم وميزته الممتازة، وبسبب أهميتها ركز الشعراء المادحون على هذه الخارقة وتكلموا كثيراً عن عظمتها، مثل السير من مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى، والسرعة الفائقة للبراق، وعجائب التي ظهرت أثناء الإسراء إمامة نبينا صلى الله عليه وسلم للأنبياء عليهم السلام والصلوة، السفر العمودي للمعراج والأحداث التي حدثت ما بين سماء الدنيا والعرش العظيم أثناء المعراج، واعتذار جبريل عليه السلام عن مرافقته عند سدره المنتهى، والاستواء على العرش العظيم، وشرف التخاطب والكلام مع الله ورؤية الحق جل وعلا برأى العين. (٢)

والمراج ضمننت هذه الأحداث الجليلة كلها، ولا ريب أن هذا السفر كان عظيماً وشاهقاً وجليلاً وفيه مجال وسيع وزوايا مختلفة وعديدة للشعراء المادحين من ناحية الفكر والخيال، وهذا

١- السيرة النبوية لابن هشام ومع تفسير احاديث الروض الانف للسهيلى. ملتان، باكستان: المكتبة الفاروقية، ١٣٥٥هـ/١٩٧٥م. ص ٢٤٦-٢٤٧

٢- انظر: الجامع الصحيح البخاري: كتاب الصلوة: باب: كيف فرضت الصلوة في الإسراء، ١/٥٠٧٥. وكتاب بدء الخلق: باب: ذكر الملائكة، ص ٤٥٥، باب: حديث الإسراء، ص ٥٤٨، ٥٥٠. وانظر: الصحيح المسلم، كتاب الإيمان: باب الإسراء برسول صلى الله عليه وسلم، ١/٩٩.

الحدث العظيم مازال يحرض الشعراء ويشير عواطفهم وأحاسيسهم في شعرهم المدح ، حتى وقد نظم بعض الشعراء القصائد المعراجية كتذكار خاص لهذا الحدث الجليل العظيم .

وقد ذكر الشعراء رد فعل الناس على هذه المعجزة ، فأمن بها كثير وصدقوها ، وضل كثير ، وتعصبوا وكذبوا ما صدقوه من قبل ، مثلاً كانت الأرض في رأيهم مركزاً للكون ، والشمس تدور حولها وغبروا على ذلك دهرًا طويلاً لا يدينون غيره ، ولا يتصورون سواه ، ثم تبين لهم أن الأرض ليست إلا ذرة في هذا الكون وأنها من توابع لنجم آخر يدور حوله ، فاستجملوا عقولهم السابقة ، وسخروا من عقائدهم المغابرة . والمؤمن يصدقها مطمئناً إليها ، منشرح الصدر لها ، لأن إيمانه بها موصول بدينه كله ، ورباط يصل حاضره بمستقبله ، وينبوع لطمأنينة نفسه ويؤمن أن المعجزات أعمال خارقة للعادة ، ومنحها الله تعالى أنبياءه يتحدوا بها مكذبيهم ، فتكون دليلهم القاطع على أنها صادقون في دعواهم. (١)

وأن الشعراء في تصويرهم أصحاب افتنان ، ومن حقهم أن يبتكروا صوراً من خيالهم ، وليس عليهم بأس في هذا ولا ذاك ، إذ كان من أغراض الشعر التأثير في النفوس بما يرسمه من صور تضيء على الجمال جمالا ، وتضيف إلى الجلال جلالات ، وتزيد العظيم عظمة وتهبط بالقبيح إلى درك أقبح ، وليس الشعر وثيقة مجردة من الخيال وإلا كان واقعا منظوما ، أو علماً موزوناً مقفى . وقد أشاد شوقي بالإسراء والمعراج في تصوير جليل ، فجعلها مرحلتين متصلتين ، شوقي يبدأ شعره في الإسراء بالإشارة إلى تساؤل الناس عنه : أكان في اليقظة أم في المنام؟ أو بعبارة الشاعر نفسه : أكان بالهيكل أم بالروح؟ ثم يجيب عن هذا التساؤل ، فيذكر أنه كان بهما جميعاً ويزيد أن نظريات العلم ، ومقتضيات الحياة البشرية لا يمنعان وقوعه على هذه الصورة ، ولا يناقضان من تفصيلاته شيئاً . لأن الرسول عليه السلام قد أعدله ، وألف بينه بكل ما تقتفيه طبيعة الحال من صفاء وروحانية وإشراق ، فإذا هو عليه السلام يسمو على حدود الزمان والمكان ، ويتحرر من قوانين الطبيعة وقيد المادة ، فلا حساب للأبعاد ، ولا سلطان للقوي ، ولا ضرورة لشيء من مطالب الحياة على نمطها المعتاد ، ثم ينقلب من هذا التفسير العلمي إلى تسليم الرضا والاطمئنان ، فيرد الأمر كله إلى إرادة الله التي لا ترد ، وقدرته التي لا يعجزها شيء في السماء ولا في الأرض ، ويقول شوقي :

”يا أيها المسرى به شرفاً إلى مالاتنال الشمس والجوزاء  
يتساءلون وأنت اطهر هيكل بالروح أم بالهيكل الإسراء

١- ورد تفصيل الإسراء والمعراج في كثير من كتب السيرة والتفسير والسنة مثل الصحيح البخاري، ٩٦/٣، وصحيح

مسلم، ٢١١/٢، وسيرة ابن هشام، ٣٦/٢، وتفسير طبري ٢/١٥، ٢٤/٢٧، وتفسير الزمخشري، ٢٥٠/٢،

بهما سموت مطهرين كلاهما نور وروحانية وبهاء  
فضل عليك لذى الجلال ومنة والله يفعل ما يرى ويشاء" (١)

ثم صور رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعرج إلى السماوات بأنه كان جمالا فيها، وحلية لها، وقلادة على جيدها، وبأنه كان النقطة الزهراء في مناطق النور، وصور إعجاب الرسول بما رأى تصويراً شعرياً خالصاً لا علاقة بينه وبين أخبار الإسراء والمعراج المأثورة، وليس له نظير في قصيدة البوصيري، إذ كان رسول الله مشدوها بما يرى من جمال وجلال، ولكنه كان هو الجمال والجلال، فكأنما كان وهو يتملى بالنظر إلى جمال السماوات وجلالها يتملى بالنظر إلى نفسه، فهو الحميل، وهو الجمال، وهو الناظر إلى الجمال، وهو الحميل بيده مرآة يرى فيها جماله، وفي هذه الصورة سبحات صوفية، ومبالغة في الوصف الجسدي وتشبيه بالحسناء التي بيدها مرآة، وهو تشبيه لا يناسب هذا المقام، ثم صور شوقي تقريب الله تعالى لرسوله الكريم، بأنه أعد له منزلاً رفيعاً في حاشية من قدسه عند سدرة المنتهى، لم يبلغه أحد غيره، فصار العرش تحته، ومناكب جبريل متكأه، وأحسب أن التحية هنا لا معنى لها، وكان انسجام الصورة يقتضيه أن يقول: العرش امامك أو فوقك أو بجوارك أو بالقرب منك، كما أن تصوير النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتخذ من مناكب جبريل مستنداً له وتكأة فيه لون من الجفوة، لأن هذا التصوير لا يليق بالحامل ولا يليق بالمحمول. فيقول:

"تغشى الغيوب من العوالم كلما طويت سماء قلدتك سماء  
في كل منطقة حواشى نورها نون وأنت النقطعة الزهراء  
أنت الجمال بها وأنت المحتلى والكف والمرآة والحسناء  
الله هياً من حظيرة قدسه نزلاً لذاتك لم يجزه علاء  
العرش تحتك سُلْدَةٌ وقوائمها ومناكب الروح الأمين وطاء  
والرسل دون العرش لم يؤذن لهم حاشى لغيرك موعدو لقاء" (٢)

ويقول ماهر حسن فهمي:

"فقد أثر شوقي الاطالة، وأصح منطقاً من شوقي في إطالته، فقد تحدث في غير فضول عن الإسراء والمعراج حديث تفرقه وتمييز وتحدث شوقي في غير فائدة كبيرة حديث مزج وتخليط، لأنه شغل بالحواشي والذبول ولم يعن بالجوهر والصميم حق العناية، فتحدث في أربعة أبيات عن خلاف الناس في الحال التي كان عليها النبي حين حدثت الإسراء والمعراج، وتحدث عن بقية الموضوع في ستة أبيات، وما نرى بالدين ولا بالناس من حاجة دافعة تقتضيهم أن يقحموا العقل في أمور الدين الغيبية، وبحشموه تطبيق العلم عليها ومحاولة تفسيرها والتماس الأسباب والعلل لها على هداه أو

١- الشوقيات: ٣٩/١.

٢- الشوقيات: ٣٩/١.

بالقياس إلى ما نجد وما نرى في عالمي الحس والمشاهدة ، فالعقل يخطئ ويصيب ، والعلم يتغير ويتحور، وقد ينقض ما أبرم ، ويبرم ما نقض ، فمن الخير أن نرأ بالغيب في الدين عن ضلال العقل ، وتخبط العلم ، وأن نحول في الإيمان بمسائله على نصوص الكتاب والسنة ، حتى تطمئن القلوب وتلج الصدور ، وتكشف الحيرة والشكوك .

والإيمان بأصل الدين يقتضى ، لا جرم ، الإيمان بكل ما يبلغ صاحب رسالته عن الله ، أي ما كان نوعه ، وليس ينالنا من ذلك ضير ولا لوم ، فللعقل آفاق معينة ، ومعالم بينة ، وفي الخروج من تلك ومجاوزه هذه تكلف لا نفع فيه ، ولا ضرورة إليه ، ولا يزال ما نعلم من أسرار الكون أقل جدا مما نجهل وإن كان ما نعلم في الحقيقة غير قليل ، فالزيادة في آيات شوقي ليست ذات قيمة معدودة ولا شأن مذكور ، وإنها لتذهب وحدها مع ذلك بطائفة من المآخذ والملاحظات“ (١) .  
وقال في نهج البردة :

”أسرى بك الله ليلا إذ ملائكة      والرسل في المسجد الأقصى على قدم  
لما خطرت به التفوا بسيدهم      كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم  
صلى وراءك منهم كل ذى خطر      ومن يفز بحبيب الله يأتهم“ (٢)

فصور الإسراء بالنبي صلى الله عليه إلى المسجد الأقصى والرسل قائمين مستعدين للقاءه ، فلم يكذب ينزل بينهم حتى ابتهجوا به ، والتفوا حوله كما تحيط النجوم بالبدر ، وكما يتحلق الجنود حول العلم ، وقد أمهم في الصلاة ، لأنه أفضلهم عند الله .  
ويقول ماهر حسن فهمي :

”ونلاحظ أن في قوله (ومن يفز بحبيب الله يأتهم) قلبا في التعبير ، لأنه أراد أن يقول (ومن يأتهم برسول الله يفز) فقد يفوز أحدهم بلقاء رسول الله ولا صلاة ولا إمامة ، ولكنه إذا ما لقيه وصى وراءه فقد فاز ، أما تصويره الرسل بأنهم كانوا محتشدين بالمسجد الأقصى ، مستعدين للقاء النبي عليه الصلاة والسلام وتصويرهم ملتفسين به كالنجوم حول البدر ، أو الجنود حول العلم ، وبأنهم اقتدوا به وصلوا وراءه ، فإن هذه الصور تتفق مع مكانة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع شريعته وأنه خاتم الأنبياء وخيرهم“ (٣) .

ثم تحدث شوقي عن المعراج وعن البراق ، وعمّا انكشف للمصطفى من أسرار ، وما منحه الله من نعم ، ورفع الشك في الإسراء والمعراج بحجة لا سبيل إلى إنكارها ، وهي أن كل مستحيل علينا حين سهل إذا تدلق بقدرة الله تعالى ، وبعد هذا ضور تقدم النبي على الأنبياء بأنه هو وحده الذي أذن له في أن يتسلم العرش ، ويقول شوقي :

١- انظر: ماهر حسن فهمي ، الدكتور: شوقي شعره الإسلامي ، ص ١٨٦ .

٢- الشوقيات : ١/١٩٨ .

٣- انظر: ماهر حسن فهمي ، الدكتور: شوقي شعره الإسلامي ، ص ١٨٧ .

- جبت السماوات أو ما فوقهن بهم  
ركوبة لك من عزو من شرف  
مشيئة الخالق الباري وصنعته  
حتى بلغت سماء يطارلها  
وقيل: كل نبي عند رتبته  
خططت للدين والدنيا علومهما  
أحطت بينهما بالسر، وانكشفت  
وضاعف القرب ما قلدت من منن
- على منورة درية اللحم (١)  
لا في الجياد ولا في الأنيق الرسم (٢)  
وقدرة الله فوق الشك والتهم  
على جناح، ولا يسعى على قدم  
ويا محمد، هذا العرش فاستلم  
يا قارئ اللوح، بل يلامس القلم (٣)  
لك الخزائن من علم، ومن حكم (٤)  
بلاعداد، وما طوقت من نعم (٥)

وهو في هذا التصوير يزيد على قصة المعراج أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ اللوح المحفوظ، ولمس القلم، يريد أن الله أطلعه على كثير من الخفايا والأسرار.

ويقول دكتور أحمد الحوفي في هذه الأشعار:

”وما من شك في أن شوقي بارع أيما براعة في قوله:

وقيل كل نبي عند رتبته      ويا محمد هذا العرش فاستلم

لأن هذه الصورة جمعت بين القول المجيد والأمر المكرم والاستماع المستجيب والحركة المرتبة ونداء الجيب لحبيبه والقرب الجميل الحلو المأمول، وإنني لأشعر في كل مرة أقرأ فيها هذا

- ١- بهم: أي بملابسة بعضهم فيها، فإنه ورد أنه مر بعضهم في السموات لا كما هو المتبادر من قوله أنهم صاحبه حين جاب السموات، ويريد بقوله ”منورة درية اللحم“ البراق.
- ٢- ”من“ في قوله ”من عزو من شرف“ للتعليل ”أي لأجل عزك وشرفك، والأنيق الرسم: النوق الشديدة الوطاء لقوتها، حتى كأنها ترسم في الأرض بمشيها آثارا ظاهرة والرسم: واحدها رسوم: والجياد: جمع جواد، وهو الفرس الرائع البين الجودة.
- ٣- خطبه علوم الدين والدنيا: كناية عن تعليمها الناس، وبثها فيهم. وقراءه اللوح ولمس القلم: كناية عن اطلاع الله له على ما اطلعه عليه من الغيوب.
- ٤- عن ابن عباس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: ”علمني ربي ليلة الإسراء علو ما شئت. علم أخذ على كتمان، وعلم خيرني فيه، وعلم أمرني بتبليغه“.
- ٥- يجوز أن يكون ”القرب“ فاعلا ”لضعاف“ و”ما“ وما بعدها مفعولا به، والمعنى أن قربه من الله تعالى قد اربى على جميع ما وليه صلى الله عليه وسلم من النعم التي لا يدركها العد، فكانت باضافة القرب إليها أضعاف ما كانت قبله. ويجوز أن يكون مفعولا. والفاعل ”ما“ وما بعدها، والمعنى أن ما تجلى الله تعالى عليه به من النعم التي لا تعدوا ولاه من الفضائل التي لا تحصى، قد زاد قربه لأنه كقرب على قرب، والاول أولى. (الشوقيات:

البيت أو اسمه بجلال المنظر وجمال الصورة وبراعة الرسام". (١)  
أنظر مرة أخرى شعر شوقي في "الإسراء والمعراج" لتفهم معناهم بكل الفهم.  
فكلمة المسرى به في قوله:

يأيهما المسرى به شرفا إلى      مالا تنال الشمس والجوزاء  
ويقول على النجدي ناصف:

"من الكلمات الفنية التي لا نكاد نراها في غير التطبيق والمرانة على الاشتقاق، وكلمة شرفا بعدها تو شك أن تكون مقحمة لغير فائدة ولا قصد سوى إقامة وزن البيت، فالكرامات التي اختص الله بها نبيه كثيرة، وقد ألم الشاعر ببعضها، فما اعتبار هذه وحدها آية الشرف والتكريم، أليست ضرورة الوزن هي التي اقتضته ودعت إليه .

ويظهر أن شوقي لا يفرق بين الإسراء والمعراج، أو أن العبارة لم تسعفه بما يدل على التفريق بينهما، لكن الوجه الأخير بعيد الاحتمال، فقد ذكر الإسراء ثم أدار الحديث كله على المعراج في غير تردد ولا محاولة ولا لبس ولا إبهام، استمع إليه وهو يقول:

يتساء لون وأنت اطهر هيكل      بالروح أم بالهيكل الإسراء  
بهما سموت مطهرين كلاهما      نور وروحانية وبهاء

وألق بالك إلى كلمة سموت، بقولها في أول البيت الثاني بعد كلمة الإسراء في آخر البيت الأول، أو بعبارة أخرى يجيب بها مع ما يجيب به عن تساؤل المتسائلين بالروح أم بالهيكل الإسراء، فتلك قرينة ظاهرة ترجع أن الشاعر يرى الإسراء صعودا في الجو، وسمو إلى الملاء الأعلى .

وتشبيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالكف والمرأة والحسناء في قوله:

أنت الجمال بها وأنت المحتلى      والكف والمرأة والحسناء

تشبيه لا نجد له لهما، ولا نفهم له معنى، بل لا نراه تشبيها جائزا ولا متساغا، فكيف يصح إذ يكون النبي صلى الله عليه وسلم خاصة أبعد ما يكون من البشرية وأدنى ما يكون إلى الروحانية، أن يتخيله متخيل على هذه الصورة الأرضية التي لا تعرف تصونا ولا تدل على توقيير ولا إجلال". (٢)

ثم يقول:

وكلمة حظيرة في قوله :

الله هيا من حظيرة قدسه      نزلا لذاتك لم يُجزه علاء

كلمة نابية، يمجهها الذوق، وينقبض لها الصدر، لسوء موقعها وكرهة المعنى الذي تخطره بالبال في هذا المقام، والخيال الذي ينطوي عليه قوله:

العرش تحتك سده وقوائما      ومناكب الروح الأمين وطاء

خيال سجع سخيف، فهو كما ترى يصورا النبي في الحضرة العلية قائما على مناكب الروح

١- أحمد الحوفي، الدكتور: الإسلام في شعر شوقي، ص ١١١-١١٦.

٢- علي النجدي ناصف: الدين والاخلاق في شعر شوقي، ص ١٣٨-١٣٩.



الأمين، يتطال إلى ربه ، ليكون منه أقرب ما يكون ، صورة لا نكاد نعرفها لغير متسلقة الأسوار  
ومقتحمى الدور على الناس إذا عزت المعارج والسلايم.

وكلمتا الموعد واللقاء في قوله:

والرسل دون العرش لم يؤذن لهم حاشى لغيرك موعدو لقاء  
أشبه بكلام الغزل ، وأحكى لمواقفه ، وما من قارى ، أو سامع ينتهى إليهما في البيت إلا يذكر

قول شوقي في الغزل :

نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء" (١)

فهو من أبياته المشهورة التي لا ينظمها الشاعر وقد رد أحمد شوقي موقف المعارضين على  
سّموه صلى الله عليه وسلم إلى السماوات السبع وحولته فيها مستدلاً بهذه الحقيقة أن هذه الأحداث  
كلها حدثت بصنعة الخالق وقدرته ، فلا يعجز عليه شئ أو حدوث أمر خارق ، وهكذا يعارض شوقي  
معارضى عصره الذين يرفضون تحقيق المعراج جسدياً ووجودياً لأن عقولهم تأبى بهذه الخارقة ،  
ويرد عليهم بقدرة الخالق التي لا تفوقها قدرة كما يقول:

مشيئة الخالق الباري وصنعة وقدره الله فوق الشك والتهم

أما إقبال : فكان رجلاً تقياً وصاحب ثروة عقل وفهم وكان من عاداته أن يقرأ القرآن بفهم  
معانيه وبشرح صدره ، لكي تنكشف أسرار القرآن عليه ، وكان يبدو أن إقبال قد أدرك أخيراً وبعد  
تفكير طويل الحقيقة الجوهرية المعراج النبوي ربما تكون قد خفيت على كثير من المسلمين ، وهي  
أن هذا المعراج أمر متاح لكل إنسان ولكن بشروط . فيحدث إقبال فلسفة المعراج لنا بلسان الشاعر  
الصوفي جلال الدين الرومي في رسالة الخلود .

ويبدو أيضاً أنه بدأ تفكيره في حقيقة المعراج هذه منذ صباه ، فقد كتب قصيدة باللغة الأردية  
في فترة مبكرة من حياته أسماها "القصيدة المعراجية".

ويقول فيها في ذكرى الاسراء والمعراج:

اليوم في كلا العالمين ذكر حبيب الله صلى الله عليه وسلم ،

اليوم على لسان كل زرة "صل على".

لقد فتح معراج المصطفى عقدة الحياة ، اليوم تتجلى روح الله في روح النبي .

وثبت هذا الجذب والشوق يمكن في "قوسين" . (٢)

اليوم درس الخلود كامن في كل لمحة ذكر وفكر .

١- انظر: علي النحدي ناصف : الدين والأخلاق في شعر شوقي، ص ١٣٩-١٤٠ .

٢- اشارة إلى قوله : ﴿ تَمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ (سورة النجم، الآية: ٩)

اليوم محفل الدلال ، اليوم يختلى البلبل بالوردة في ألفة ،  
اليوم فناء لامتيازى عنك وامتيازك عني .

اليوم تحليق ، انني أطوى سعة العالمين ، اليوم قطع  
لخيظ الزمان والمكان“ .(١)

## معنى المعراج عند إقبال

ويحدد إقبال في رسالة الخلود معنى المعراج فيقول:

از شعور است این که گوئی نزد و دور	چیست معراج انقلاب اندر شعور
انقلاب اندر شعور از جذب و شوق	دارها ند جذب و شوق از تحت و فوق
این بدن باجان ما انبار نیست	مشت خاکه مانع پرواز نیست “ (٢)
القريب والبعيد في الضمير	إنما المعراج تغيير الشعور
في الشعور ذاك من جذب و شوق	خَلِّصَنَّ الذات من تحت و فوق
ليس هذا الجسم للروح النظيرا	والتراب مانعا من أن نظيراً (٣)

”فالمعراج في حقيقة إذن تعبير عن نزوع روح المسلم الحق إلى الوصول إلى الله تعالى ، لا  
لكي تفنى في بحر نوره وانما لكي تطلب الشهادة منه تعالى على وجودها وخلودها وتعود بزاد جديد  
إلى العالم كما عاد المصطفى من معراجه لكي يقود امته نحو المجد والخلود“ .(٤)

فالمعراج النبوي إذن هو الذي حل عقدة الحياة ، والنبي صلى الله عليه وسلم قد اكتسب  
الصفات الإلهية ، والعشق الحقيقي يكمن في إدراك النفس الإنسانية لا مكانية قريبا من الله ، حتى  
تكون منه قرب قوسين ، وهنا يتحقق الخلود ، ولا يكون للزمان أو المكان سلطان على الإنسان . هذه  
هي الحقائق التي تبدت لإقبال في هذا الوقت المبكر من حياته من خلال تفكيره في المعراج ، حيث

- ١- لم تنشر هذه القصيدة في أي من دواوين إقبال، ولكن الأستاذ عبدالرحمن طارق عثر عليها أخيرا عند أحد أصدقاء إقبال القدامى ونشرها في الطبعة الرابعة من كتابه ”جهان إقبال“ التي صدرت في لاهور سنة ١٩٦٥ م، على ص ٥٩٠-٥٩١ .
- ٢- كليات إقبال (فارسي) جاويد نامه : ص ٤٢ .
- ٣- الترجمة العربية: المصري ، د. حسين محيب : رسالة الخلود، ص ١٥٢ .
- والتراب هنا هو مادة جسم الانسان .
- ٤- محمد سعيد جمال الدين ، الدكتور : شرح رسالة الخلود (جاويد نامه) . الناشر : رقم الابداع بدار الكتب ، مطبع سجل العرب ، القاهرة، ١٩٧٤ م، ص ١٤، ١٨ .

جعل من الشاعر الكبير "جلال الدين الرومي" (١) دليلاً على الأفلاك وما وراء الأفلاك كما كان جبريل دليلاً للرسول الكريم في معراجه .

ولقد أشار إقبال إلى أن مسألة المعراج في الواقع هي حل لعقدة الزمان والمكان ، حيث نال النفس الإنسانية حريتها من أسرهما .

وفي الذات الإنسانية ، في رأى إقبال ، جانب لا يطرأ عليه تغيير ولا يعتره تبديل بفعل الزمان والمكان ، هو قبس من النور الإلهي ذاته ، فإذا استطاع الإنسان أن ينمى هذا الجانب ويقويه ويدعمه بالعشق الإلهي ، وبالذافع الدائم إلى الرقي فإنه يستطيع أن ينال "السلطان" الذي ذكره الله تعالى في سورة الرحمن في الآية الكريمة:

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُتُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُتُوا ، لَا تَنْفُتُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ (٢)

ويقول الرومي شارحاً معنى السلطان لإقبال:

گفت اگر سلطان ترا آید بدست	می توان افلاک را از هم شکست
باش تا عریان شود ایس کائنات	شوید از دامان خود گرد جهات
در وجود او نه کم بینی ، نه بیش	خویش را بینی از او از خویش
نکته "الابسلطان" یاد گیر	ورنه چون مور و ملخ در گل بمیر (٣)
قلت والسلطان إما كان لك	لاستطعت اليوم تحطيم الفلك
انتظري يوما تعرى الكائنات	والغبار طال من ذيل الجهات
الأقل لا ترى والأكثر ا	أنت منه وهو منك ما ترى
قوله "إلا بسلطان" تذكر	أو فممت في الوحل والذر المبعثر (٤)

ولكن الإنسان الذي يستعمل هذه الثورة في الشعور وذلك "السلطان" ومقدرة النفس

- 
- ١- هو جلال الدين الرومي (شيخ إقبال) أكبر وأشهر شعراء التصوف عند الفرس ، ولد بمدينة بلخ عام ٦٠٤ هـ لأب من العلماء والفضلاء ، رحل به وهو صبي إلى بلاد الأناضول التي كانت تابعة من قبل للروم ، واستقر في مدينة قونية ، ولذلك عرف جلال الدين بالرومي ، كما عرفت بلاد الترك ببلاد الروم لعين السبب ، ولقد تلقى العلم أول ما تلقى على أبيه ، ثم عقد الأسباب بينه وبين العلماء والمتصوفة ، وتصدر للوعظ والإرشاد ، ثم مال إلى التصوف ، وأصبح من شيوخه والتف حوله من المريدين خلق كثير ، وله كتاب منظوم يسمى المثنوي يتضمن حكايات لها مغزى صوفي ، وآيات قرآنية ، وأحاديث نبوية يفسرها ، ويؤولها ، ولكن لا على ظاهرها ، ولا يداني المثنوي كتاب آخر في شهرته ، ونفاسته عند الصوفية ، وكانت وفاة جلال الدين الرومي عام ٦٧٢ هـ .
  - ٢- سورة الرحمن ، الآية : ٣٣ .
  - ٣- كليات إقبال (فارسي) جاويد نامه ، ص ٣٤ .
  - ٤- الترجمة العربية : المصري ، د . حسين مجيب : رسالة الخلود ، ص ١٤٨ ، ١٤٩ هـ .

الإنسانية على الخروج من أمر الزمان والمكان ، كل أولئك رهن بشي واحد هو العشق ، هو التطلع الدائب إلى الرقي وإلى الوصول إلى الذات الإلهية .  
ويقول القرآن:

﴿وَالِى رَبِّكَ مُنتَهَى﴾ (١)

وهذه الآية تنطوي على فكرة من أعماق الفكر التي وردت في القرآن ، لأنها تشير على وجه قاطع إلى أن المنتهى يجب ألا يبحث عنه في حركة الأفلاك ، وإنما يبحث في وجود كوني روحاني لانهاية له ، ورحلة العقل إلى هذا المنتهى الأخير رحلة طويلة وشاقة ، وفي هذا المنزع أيضا يبدو أن التفكير الإسلامي قد اتجه اتجاهها مبينا لاتجاه التفكير اليوناني كل المبينة ، فالمثل الأعلى عند اليونان ، هو التناسب وليس اللانهاية . أما في تاريخ الثقافة الإسلامية فإننا نجد أن المثل الأعلى ، في مجال العقل المحض وفي ميدان علم النفس الديني ، فالروح المسلم الحق تتطلع دائما إلى الخروج من إطار هذه الحركة الكونية والعروج محلقة حتى تصل إلى المنتهى إلى الله تعالى ، وعندئذ تنال الخلود ولا يعترها تغير بمرور الزمان ، ولا يحده من حريتها قيد بوجود المكان .

ولكن الكثيرين ممن أدركوا هذه الحقيقة أخطأ والهدف الأخير من التجربة ، فقد رأى البعض ، وهم أصحاب نظرية وحدة الوجود ، أن الذات لا تملك عندما تصل إلى هذا المقام الرفيع إلا أن تفني في النور و تذوب فيه كما تذوب القطرة في البحر .

أما إقبال فيرى ، على العكس من ذلك ، أنه لا بد للذات من أن تحكم نفسها في مواجهة هذا النور وأن تقاوم نزعة التحلل والفاء فيه ، فهدف الذات من عروجها هو أن تطلب الشهادة على وجودها من الله تعالى ، والوجود يتضمن معنى الخلود ، وهذا الوجود لا يمكن البرهنة عليه .

ويقول إقبال:

ولو لزم أن تعرف أن كنت حيا أو ميتا أوروحك في الحلقوم ، فاطلب الشهادة من ثلاثة شهود:

شاهد اول شعور خوشتن	خویش را دیدن بنور خوشتن
شاهد ثانى شعور ديگرے	خویش را دیدن بنور ديگرے
شاهد ثالث شعور ذات حق	خویش را دیدن بنور ذات حق
بيش اين نور اربمانى استوار	حتى وقائم چون خدا خود را شمار“ (٢)
شاهد فلتتخذه من شعور	أو عيون مالها إلاك نور
واجعل الثاني شعور الآخرين	شاهد الذات بعين الآخرين

١- سورة النازعات، الآية: ٤٤ .

٢- كلييات فارسى : جاويد نامه ، ص ٣٢ .

ولتكن ذات الإله خير شاهد ولها نوره ذاتا فشهد

أنت إن واجهت ذيك الضياء نلت طولاً سرمدياً للبقاء" (١)

فشهادة الله على وجود الذات الإنسانية لا تأتي إلا إذا احكمت نفسها ولم تفن أو تتحلل في هذا النور، كما فعل الرسول في معراجه، ووصفه الله تعالى وهو في هذا المقام بقوله ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ وإذا تمكنت الذات من أحكام نفسها أمام الله، أمكن لها أن تعتبر نفسها خالدة باقية، واكتسبت صفة الخلود من الله ذاته، فما المعراج إلا بحث عن شاهد عادل، مثل الله ذاته.

لابد للذات من أن تثبت في الإمتحان أمامه، وعندئذ تنال صفة من أحص صفاته وهي الخلود. ويقول سيد جمال الدين في هذا الصدد:

وهذه هي الفكرة الأساسية لمنظومته "جاويد نامه" التي اختار لها إقبال هذا الاسم "رسالة الخلود" لكي تعبر عن مضمونها إذا نظر المرء إليها من هذه الناحية، أولكي تكون رسالة إلى شباب الأمة الإسلامية ممثلاً في شخص ابنه "جاويد" كما صرح هو في المقدمات، إذا نظر المرء إليها على أنها "رسالة جاويد".

وربما كان هذا هو السبب في أنه عدل عن تسمية المنظومة، معراج نامه جديد، وسمهاها "جاويد نامه" فالمعراج ليس مقصود الذات وإنما لهدف أبعد وهو الخلود، الخلود الذاتي لروح الإنسان العبقري الذي ينجح في اجتياز تلك التجربة الروحية، والخلود للأمة الإسلامية المتجددة في أجيالها الصاعدة دوماً، وهم الذين يتوجه إليهم إقبال بندائه العميق". (٢)

وهكذا رأينا أن كتب إقبال "رسالة الخلود" وبيّن فيها تجرباته خلال معراجه ولكن كيف فكر إقبال هذا وما المعراج التي تأثر إقبال بها وكتب رسالته. الآن نستعرض هذه المعارج في السطور الآتية.

## المعراج الذي تأثر بها إقبال

فقد تأثر إقبال بالمعارج التالية:

### ١- المعراج النبوي

ألهب المعراج النبوي خيال الشعراء والصوفية من المسلمين وغيرهم على السواء، ويعد النص القرآني الذي تحدث عن هذا المعراج في سورة "النجم" والأثر النبوي الشريف الخاص بوصف رحلة الرسول صلى الله عليه وسلم المعراجية معينا لا ينضب استقى منه جميع من كتبوا في هذا الموضوع حتى الآن.

١- الترجمة العربية: المصري، د. حسين مجيب: رسالة الخلود، ص ١٤٧-١٤٨.

٢- انظر: محمد سعيد جمال الدين، الدكتور: رسالة الخلود (جاويد نامه)، ص ١٤-١٨.

وكان إقبال أحداً ممن تأثروا معنوياً وفنياً بمعراج النبي الكريم وقد سبق لنا أن فكرة المعراج وأهميته في البرهنة على التطور الروحي للإنسان قد تبلورت عند إقبال في شبابه ، ولا حظنا أن هذه الفكرة مازالت تنموه وتدعم حتى صارت في النهاية هدفاً لنظرياته الفلسفية كلها، والواقع أن هذه الفكرة نمت في وجدان إقبال وترعرعت تحت ظلال حبه القوي المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وهو حب ملك عليه فؤاده وأفصح عنه في عديد من أشعاره وخطاباته ولم يزل حب النبي يزيد مع الأيام حتى كان إقبال في آخر عمره إذا جرى ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في مجلسه أو ذكرت المدينة على منورها ألف سلام ، فاضت عينه ولم يملك دمه .

وقد تجلّى حبه للنبي صلى الله عليه وسلم بوضوح لافي ثنايا نص "رسالة الخلود" وحدها وإنما في فكرتها الأساسية ذاتها ، فهذه الرسالة المعراج . وكان إقبال يريد أن يطلق عليها الاسم "معراج نامه جديد" أي رسالة المعراج الجديد". (١)

## ب- المعراج الصوفي ويشتمل معراج أبي يزيد البسطامي (٢)

الذي اشتهر في بلاد فارس باسم بايزيد ، وقد ترجم هذا المعراج إلى الفارسية "الشيخ فريد الدين العطار في تذكرة الاولياء" (٣) ومعراج أبي يزيد رؤيايين فيها الطريق إلى الله .  
معراج سنائي الغزنوي (٤)

وهو معراج سجله في مثنوي فارسي صغير أطلق عليه اسم "سير العباد إلى المعاد" ، ويتفق هذا المعراج مع "جاويد نامه" بأن أول الأفلاك في كليهما هو فلك القمر وأن فكرة التمرد من الزمان موجودة في كليهما أيضاً.  
منطق الطير للعطار

وهو معراج رمزي نظمه بالفارسية الشيخ فريد الدين العطار (٥) ويحث نفس الفكرة الصوفية التي تصور مجاهدات الإنسان للتوصل إلى الله .

- ١- انظر : محمد سعيد جمال الدين ، الدكتور : رسالة الخلود (جاويد نامه) ص ٣٦٠ .
- ٢- وهو بايزيد البسطامي من أهل القرن الثالث الهجري . ومن كبار الصوفية . وأول من نسبت إليه الشطحات .
- ٣- انظر : محمد سعيد جمال الدين ، الدكتور : رسالة الخلود (جاويد نامه) ، ١/٤٣٣-١٤٤٤ .
- ٤- من شعرا التصوف في بلاد فارس ، توفي سنة ٥٢٦م .
- ٥- هو فريد الدين محمد بن ابراهيم عطار ، كان الشاعر المعروف بلغة الفارسية ، ولد في نيشابور (إيران) سنة ١١٤٢م وتوفي ١٢٢٠م بمكة .

## معراج ابن عربي (١)

وقد عرضه ابن عربي في كتابه:

الإسراء إلى المقام الأسمى (٢) وكذلك تحدث ابن عربي عن معراج له في كتابه "الفتوحات المكية" (٣) وإذا نحن أجملنا مظاهر تأثر "رسالة الخلود" بالمعراج الصوفي فسوف نجد لها يسيرة نادرة، وإذا كان هناك من تأثر حقيقي فهو تأثر عكس مضاد في جعل الهدف من المعراج خلوداً كما هو الحال في معراج أغلب الصوفية المتأخرين، وثمة تأثر آخر هو العروج من مرحلة إلى مرحلة وإقبال متأثر في هذا الصوفي الكبير عبدالكريم الجيلي، الذي أثبت معراجه في كتابه "الإنسان الكامل" فقد بدأ "الجيلي" عروجه بفلك القمر وانتهى بفلك زحل، ومر بينها بعطارد والزهرة والشمس والمريخ، والمشتري، وهذا ما فعله إقبال، إلا أنه يمر بالشمس، فبلغ عدد ما مر به من أفلاك ستة فقط.

على أننا نرجع أن معراج الجيلي كان أكثر تأثيراً في تجربة إقبال وخصوصاً من حيث القلب، إلا أن هناك اختلافاً كبيراً في المضمون بين المعراجين. (٤)

## رسالة الغفران

وهي رسالة أملاها "أبو العلاء المعري" (٥) في سنة ٤٢٤ هـ وكتبها في نثر فني رائع صور فيها رحلته إلى الأعلى وسياحته في الجنة والنار، وبين فيها كيف غفر الله للأدباء والشعراء بوجه خاص، وإن كانوا عصاة ملحدين أو كفاراً. (٦)

وقد أجمل الدكتور طه حسين نقاط اللقاء ونقاط الاختلاف بين إقبال والشيخ المعري في قوله، والغريب أن الرجلين اشتركا أيضاً في هذا التفكير المتصل بالملا الأعلى وكلاهما فكر في هذه المعجزة التي جاءت في القرآن وهي معجزة الإسراء، فكر هذا كلاهما، وحاول كلاهما أن يسري

- ١- هو عبدالوهاب بن العربي بن يوسف الفاسي، مولد في سنة ١٠٠٩ هـ/١٦٠٠ م وتوفي ١٠٧٩ هـ/١٦٦٨ م بفاس. (أعلام، ٤/١٨٤)
- ٢- أنظر: على حسين عبدالقادر، الدكتور: كتاب المعراج لأبي القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري. دار الكتب الحديثة لصاحبها، توفيق عفيفي ١٤ شارع الجمهورية، القاهرة، ص ١٢-١٣.
- ٣- نفس المرجع: ٢١/١.
- ٤- أنظر: محمد سعيد جمال الدين، الدكتور: رسالة الخلود، ص ٤٣.
- ٥- هو أحمد بن عبدالله بن سليمان تنوخي، ولد في مصر ٣٥٣ هـ وتوفي ٤٤٩ هـ وكانت من أشهر الكتب: سقط الزند، لزوميات، رباعيات، مجموعة مكاتيب، رسالة الملائكة ورسالة الغفران، ومنها اكتسب "رسالة الغفران" شهرة كاملة.
- ٦- أنظر: محمد سعيد جمال الدين، الدكتور: رسالة الخلود، ص ٤٣.

كما أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم. فأبوا لعلاء فكر في الجنة وفكر في النار، وحرص على أن يسبح في الجنة والنار، وأن يكون متفرجاً وأن يتحدث إلى الناس عن الجنة والنار، وعمما يكون في الجنة والنار فألف "رسالة الغفران" وإقبال تأثر بمحليه إلا أن يعرج في السماء كما عرج محمد صلى الله عليه وسلم مهما يكن من شيء فقد طاف إقبال في السموات كما طاف فيها أبو العلاء ولكن النتيجة لهاتين الزيارتين متناقضة عند الرجلين أعظم التناقض، فأما أبو العلاء فعاد من زيارته للجنان والنار ساخراً منكراً يوشك أن يخرج عن الدين.

وأما إقبال فعاد من زيارته مؤمناً متعظاً يريد أن يملأ الدنيا موعظة وعبرة بعد هذه الزيارة إلى

هذه السموات. (١)

### معراج ويراف

كان ويراف رجلاً تقياً وفي عهد اردشير عرج إلى السماء مع الملكة وبعد عودته اخبر عن أحوال النار والجنة والمبغوضين والمنعمين، هذا الكتاب معروف، وقد نشر في اللغة الانجليزية بلندن، وهذا الأمر العجيب في هذه القصة أن ويراف في أثناء معراجه تمدد في بيت نار ثلاثة أيام، ولكن لم يصله الضرر. على كل حال لم يخل هذه القصة من الشبهات والتوهمات. (٢)

### الجنة المفقودة لملتن (٣)

وهذا نظم ديني هو مأخوذ من واقعة إخراج آدم وحواء من الجنة. (٤)

### الكوميديا الإلهية

وهذا الأمر من المعلوم أن الكوميديا الإلهية قد كتب بعد ستة مائة سنين من المعراج النبوي صلى الله عليه وسلم ومأخوذ بالمعراج النبوي والفتوحات المكية، السبب الكبير الذي أثر إقبال في

- ١- انظر: طه حسين، الدكتور: إقبال شاعر فرض نفسه على الدنيا وعلى الزمان، مطبعة: قسم الصحافة والاستقلامات سفارة الباكستان بالقاهرة، ١٩٥٦م، ص ٢٦-٢٧.
- انظر: أظهر: ظهور أحمد، الدكتور: إقبال العرب على الدراسات إقبال. ص ٣٧.
- وانظر: النجار، فهيم قطب الدين: محمد إقبال وصلته الثقافية بالعالم العربي تأثره وتأثيره، ص ١١٧-١٢٠.
- ٢- عباد الله فاروقى، الحافظ: تحت عنوان: جاويد نامه. إقبال ريويو. مجلة إقبال اكاىمى باكستان، يوليو ١٩٦٣م، ص ٦٨-٨٥.
- ٣- هو الشاعر المعروف بلغة الانكليزية، كان سكرتير "كروميل" ولكن بعد وفاته صارت حياته "حياة قاسية، حتى فقد نور عينيه، واملى ديوانه الشهير "الجنة المفقودة" (ديوان فردوس گم گشته) على بنته وزوجه. وتصنيفه هذه مهم جداً في الأدب الإنكليزى، ولد ملتن في ١٦٠٨م وتوفى ١٦٧٧م.
- ٤- سيد عبد الله، الدكتور: مطالعة إقبال كى چند نئے رخ (الأردية) (جهة جديدة لمطالعة إقبال). الطبعة الأولى. لاهور، باكستان: ظفر سنز برترز، كوبر رود، يونيو ١٩٨٤م، ص ٥٤-٦٦.



كتابة المسرحية السماوية على صورة "الكوميديا الإلهية" كانت تصورات (تفكرات) دانتي. (١) وكانت استعار "دانتي" ذلك الحقائق من المعراج النبوي . ولدى دانتي غاية الإنسان هي ليست فنا في الله بل مشاهدة التحلي الإلهي بدوام الذات ، وفلسفة إقبال أيضا مبني على هذه الحقيقة . كما يقول إقبال:

بر مقام خود رسیدن زندگی است      ذات را به پرده دیدن زندگی است  
مرد مومن در نسا زد با صفات      مصطفی راضی نشد إلا بذات (٢)  
"الحياة هي للذات الوصول      وهي ذات ليس يخفيها سدول  
لم تلائم مؤنقاط الصفات      ما اختيار المصطفى إلا للذات (٣)  
هكذا تصور دانتي تساهل ، كسل ، الحرص وغيرها "الشر" وتصور حركة وصراع "الخير"  
هناك مؤقف إقبال كذلك.

ونجد تفكرات إقبال في تأييد الكوميديا الإلهية ، وبهذا السبب أثنى إقبال الكوميديا الإلهية كثيراً وأنشده جاويد نامه في تقليده واعترف عظمته الأدبية والفنية . (٤)  
فتأثر إقبال بهذه المعارج ونضج فكره وتآلف كتابه ولا نجد له نظيراً من كتب في عصره وبعده واكتسب شهرة كاملة وفي السطور القادمة ، نستعرض كتابه (رسالة الخلود) والمعراج في فكر محمد إقبال بالتفصيل .

### المعراج في فكر محمد إقبال

نحن نعلم أن المعراج النبوي و لقاءه بربه يحرك مشاعر إقبال ويوجه عقله ، وينبته وجدانه ويشحن قريحته الشعرية كي يحدثنا عن هذه الرحلة المعراجية ، ولكنه لا يحدثنا حديثاً مباشراً ، لأن محمد إقبال لا يتحدث عن المعراج حديثاً مباشراً وإنما تصور نفسه وكأنه قد عرج به إلى السماء تأسياً بالنبي صلى الله عليه وسلم ونعلم كان إقبال يحب النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن شعره يقول:

"درجهان زی چون رسول انس و جان      تا چو باد باشی قبول انس و جان  
باز خود را بین همین دیدار اوست      سنت او سرّے از اسرار اوست" (٥)

١- الشاعر المعروف الإيطالي من القرن اربعة عشر الهجري، ولد ١٢٦٥م وتوفي ١٣٤١م.

٢- كليات إقبال (فارسي) جاويد نامه، ص ٣٢.

٣- الترجمة العربية: المصري، د. حسين مجيب: رسالة الخلود، ص ١٤٨.

٤- S.M. Abdullah: The Nature of Dante's influence on Iqbal. p.459to 465.

- Selection from the Iqbal Review. Dr. Waheed qureshi, Iqbal Academy Pakistan Lahore. April 1983.

٥- كليات إقبال (فارسي) جاويد نامه، ص ٢٤٢.

أنت في دنياك عش مثل الرسول ومن الخلق ستحظى بالقبول  
ذاتك انظر إن هذا رويته سره السر العظيم سنته (١)

فهو يحاول هنا أن يسرح بخياله وأن يتصور له الأمر وقد عرج به إلى السماء مثلما عرج  
بالنبي صلى الله عليه وسلم ، تأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذا النوع من التأسي . في سنة  
١٩٣٢م ألف "جاويد نامه" (رسالة الخلود) وهو منظومة مزدوجة القافية (مثنوية) في بحر واحد وهو  
الرميل مثل منظومتي "الاسرار والرموز" وهي من أعمق شعره يحتاج قارئها إلى زاد كثير من المعرفة  
بالتصوف والفلسفة والتاريخ، و جاويد نامه (رسالة الخلود) قصة سفره إلى الأفلاك كقصة دانتى  
الشاعر الايطالي، فيها زهاء ألفى بيت.

قسم إقبال هذا الديوان إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول: ما قبل العروج .

والقسم الثاني: العروج في الأفلاك

والقسم الثالث: ما وراء الأفلاك ، والأفلاك يعني السماوات .

### القسم الأول

يبدأ بدعاء إلى الله عزوجل ، أنه يبحث عن خلّ وفي فلم يجد، ولا يجد أمامه إلا أن يلتمس  
بالدعاء إلى الله ، وهذا الدعاء هو أن يجعله يتخلص من الزمان والمكان ، وأن يعتقه من أسر الزمان  
والمكان ، لأنه لو عتق من أسر الزمان والمكان فإنه يطلق وينطلق سر يعا لعله يستمر ويسير في الأفلاك  
وفيما وراء الأفلاك وليس من هدف إلا رسول الله .

وعندئذ بعد هذا الدعاء تظهر روح الشاعر الفارسي الكبير "جلال الدين الرومي" ويفهم إقبال

مرشده واستاذة وكان أثر الرومي على إقبال عميقا. (٢)

- ١- الترجمة العربية : المصري، د. حسين مجيب : رسالة الخلود ، ص ٢٦٣ .
- ٢- لأثر الرومي على إقبال : أنظر: عبدالحكيم ، خليفة : مولانا روم و إقبال ، في مقالة "اورينتال كالج ميكرين مين  
ذخيرة إقباليات (خزينة إقباليات في مجلة الكلية الشرقية: الباحثة شبانه انجم ، ص ٣٦-٣٧)
- وانظر: السندوي ، صلاح الدين محمد شمس الدين ، الدكتور ، قدم له ، المصري ، د. حسين مجيب : الإتجاه  
الإسلامية في شعر محمد إقبال . الطبعة الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١م ، الناشر ، دارالسلفية ، ص ٢٥٢ .
- Dr.Nazir Qaiser, Rumi's Impact on Iqbal's religious thought, Iqbal Accademy Lahore, 1989, p283 to 297.
- وانظر: مهدي حمود الفلوجي : إقبال شاعراً ومفكراً . (مجموعه من الكلمات والخطيب والمحاضرات التي  
ألقيت بمناسبة الذكرى المئوية لميلاد العلامة محمد إقبال) ١٩٧٧م، ص ٥٣-٥٨ .
- وانظر: رحيم بخش شاهين : مولانا جلال الدين الرومي ، مرشد إقبال : نوائه وقت (نداء الساعة) ٦ ديسمبر ١٩٩٠م.
- وانظر: اسرار خودى: ص ٩، ١٢، ١٣، پیام مشرق ، ص ١٣٢، زبور عجم، ص ١٣، بال جبريل، ص ٢١. إقبال  
كامل ، ص ٣١١، ٣١٨، ٣١٩، فكر إقبال ، ص ٣٧٤، سمير عبدالحميد ، الاسرار والرموز، ص ٤٢ .

وبهذا انتخب إقبال لسفره إلى الأفلاك "الرومي" ويقول إقبال عن روح الرومي كذلك :

«أشكارا می شود روح حضرت رومی	وشرح می دهد اسرار معراج را
عشق شور انگیز بے پرواے شهر	شعله او میرد از غوغاے شهر
خلوتے جوید بدشت و کوهسار	یالب دریاے ناپید اکنار
من کہ دریا راں ندیدم محرمے	برلب دریا بیا سودم دمے
بحر و هنگام غروب آفتاب	نیلگون آب از شفق لعل مذاب
کور را ذوق نظر بخشد غروب	شام را رنگ سحر بخشد غروب
بادل خود گفتگوها داشتم	آرزوها جستجوها داشتم
آنی واز جاودانی بے نصیب	زنده واز زندگانی بے نصیب
تشنه و دور از کنار چشمه سار	می سرودم این غزل بے اختیار» (١)
تلوح روح جلال الدین الرومی	وتتناول بالشرح سر المعراج
شعله للعشق شبت في المدينة	ضجة للقوم تطويها دفينة
تنشد الخلووة في طود أشم	أو على الساحل من بحر خضم
ما وجدت لي حميماً مرّة	فقصدت البحر ألقى نظرة
ورأيت البحر في وقت الغروب	زرقة فيها يواقيت تذوب
للضرير واهب نور البصر	للمساء مكسب لون السحر
ثم ناجيت طويلاً مهجتي (٢)	وطلبت في خيالي مُنتي
إنني الفاني ومالي من خلود	وأنا حي ومثلي في اللحد
ظامئ والنبع عن ثغري بعيد	فإذا بي منشد هذا النشيد» (٣)

فروح الرومي يحدثه عن المعراج ويقول له ، أتريد أن تعرج في السماء ؟ إنك إذا أردت أن تعرج في السماء ، لا بد لك أن تحدث ثورة في الشعور ، فالمؤمن لا يقلع من هذا العالم الذي يعيش فيه ولا يخضع كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم إلا لهداية الإنسانية ، لقد ترك الرسول صلى الله عليه وسلم الكون وما وراء الكون واتجه إلى الله وحده لا يبغي غيره ، فعندئذ تظهر روح ملك من الملائكة ، هو ملك الزمان والمكان ، هذا الملك يمرق إقبال بنظره لم يظهر بعدها إلا وجسده أكثر فضاة وبساطة ايذانا يبدأ رحلته إلى الأفلاك .

١- كليات إقبال (فارسي) جاويد نامه ، ص ٢٨ .

٢- المهجة : دم القلب . والمراد به هنا القلب .

٣- الترجمة العربية : المصري ، د. حسين مجيب : رسالة الخلود ، ص ١٤٥-١٤٦ .

وعند إقبال ينال الإنسان هذا المقام بقوة العشق، ولا يمكن المعراج بدون العشق، يقول إقبال:

- ”نهان اندر دو حرفے سرکار است  
مقام عشق منبر نیست ، داراست  
براهیمان ز نمروداں نترسند  
که عود خام را آتش عیار است“ (١)  
تو خوده وقت قیام خویش دریاب  
نماز عشق و مستی را اذان نیست  
مقام شوق بے صدق و یقین نیست  
یقین بے صحبت روح الامین نیست  
گرا ز صدق و یقین داری نصیبے  
قدم بیباک نه، کس در کمین نیست (٢)  
سوزد مومن از سوز وجودش  
کشود هر چه بستند از کشودش  
جلال کبریائی در قیامش  
جمال بندگی اندر سجودش  
چه پرسی از نماز عاشقانه  
رکوعش چون سجودش محرمانه  
تب و تاب یکے الله اکبر  
نه گنجد در نماز پنجگانه  
دو گیتی را صلا از قرأت اوست  
مسلمان لا یموت از رکعت اوست“ (٣)  
وفي حرفین هذا السریستر  
مقام العشق لا یبدو کممبر  
وإبراهیم نمروداً أیخشی  
لعود نفحة بالنار تنشر“ (٤)  
صلاة العشق میزها بوقت  
فلیس لها المؤذن والخطیب  
مقام العشق یفعمه الیقین  
یقینا یصحب الروح الامین  
إذا حصلت من هذا نصیبا  
فسیر قدما، فما اعترض الکمین  
ویحرق مؤمنا حر الوقید  
من الأبواب یفتح ما یرید  
جلال الکبریاء له قیام  
جلال الصبر یظهره السجود  
أفسأل عن صلاة العاشقینا  
وفیها خفیه هم ساجدونا  
أری ”الله اکبر“ مثل نار  
أفی خمس بدت للناظرینا  
بداء العالمین بها یدوم  
ومنها مسلم خلداً یروم“ (٥)

## القسم الثاني

وهو العروج في الأفلاك ، يشتمل على مراحل متتابعة يتخيل فيها الشاعر نفسه ، وكأنه ينتقل

١- کلیات إقبال (فارسی) ارمغان حجاز ، ص ٢٧.

٢- نفس المرجع ، ص ٢٧٦.

٣- نفس المرجع ، ص ٢٧٨-٢٨٠.

٤- الترجمة العربية : المصري ، د. حسین مجیب : هدية الحجاز ، ص ٤٩٧.

٥- الترجمة العربية : المصري ، د. حسین مجیب : هدية الحجاز ، ص ٤٩٩-٥٠٠.

من فلك إلى آخر بصحبة شيخه ودليله "جلال الدين الرومي" ويقابل في كل واحد من هذه الأفلاك عدداً من أرواح المصلحين الإسلاميين "كالسيد جمال الدين افغاني" (١) والسياسي الكبير التركي "سيد حلیم باشا" (٢) والمهدي السوداني، فيعرض عليهم كل المشكلات التي تواجه العالم الإسلامي المعاصر ويجري بينه وبينهم حوار من أروع ما اشتملت عليه آدابنا الإسلامية من حوارات من الوجهتين المعنوية والفنية، وفي بعض الأفلاك يلتقي بعدد من ممثلي الاتجاه الباطل في الحياة الإنسانية كأبي جهل (٣) ويدلل من خلال حواراه مع أبي جهل، كيف استطاع الإسلام أن يحل المشكلات التي لا زال العالم يعاني منها إلى يومنا هذا كالتعصب الجنسي والتفرقة العنصرية والقومية، وهي مشكلات عالجهما الإسلام العلاج الناجع في بساطة وواقعية وتلقائية فكرية خالية من التكلف والتعقيد.

### القسم الثالث

وفي رحلته المعراجية الخيالية، ينطلق الشاعر ومرشده الرومي إلى ما وراء الأفلاك، فيدخل الفردوس الجنة، ويصف فيها قصرًا للملوك الثلاثة الشهداء، أو لهم، مؤسس الأسرة الفيشارية في إيران "نادر شاه الافشاري" (٤) والثاني، مؤسس أفغانستان الحديثة "أحمد شاه أبدالي" (٥) والثالث، قاهر الجيوش البريطانية في بلاد الهند "السلطان" الشهيد فتح علي تيبو (٦) هؤلاء هم الملوك

- ١- هو جمال الدين الأفغاني، ذلك المصلح الديني، والسياسي، والاجتماعي، ورجل الفكر الحر والأدب العالي، ومن له الزيادة في دعوته إلى الحق ومكافحته للباطل. وكان الداعي إلى التجديد في الإسلام، راغباً في إصلاح العالم الإسلامي بالرجوع إلى القرآن. بعد أن فترت عنه همم المسلمين ولم يأخذوا بتعاليمه الداعية إلى شحذنا لهمم وتحرير العقول، كان الأفغاني عظيم الأثر، واسع النفوذ، دائب العمل في مصر على الخصوص، وتوفي عام ١٨٩٨م.
- ٢- هو سعيد حلیم باشا الصدر الأعظم الذي قتل عام ١٩٢١م في روما، ولقد فرض إجلاله حتى على خصومه لسداد رؤية، ورجاحة عقله، والجامع بينه وبين الأفغاني أن كلا منهما صاحب نزعة إسلامية إصلاحية.
- ٣- عمرو بن هشام، زعيم الجاهلية والنخوة العربية.
- ٤- نادر: هو شاه أفشار الذي كان قائداً في جيش الشاه طهماسب الثاني آخر ملوك الصفويين، وقد أتى له أن يدفع غارة الأفغان على إيران، فتربّع على عرشها عام ١٧٣٦م كان سنياً، وبذل وسعه في التقريب والتوفيق بين المذهب السني والمذهب الشيعي الذي كان المذهب الرسمي للدولة الإيرانية في عهد الصفويين.
- ٥- وأبدالي: هو أحمد شاه دراني المتوفى عام ١٧٧٣م، كان من قادة جيش نادر كما حكم من قبله إقليم مازندران، وبعد مقتل نادر مضى إلى أفغانستان حيث أصبح ملكاً، واتخذ من مدينة قندهار عاصمة له، يعدُّ مؤسساً للدولة الأفغان.
- ٦- السلطان الشهيد هو تيبو سلطان الذي كان له الملك في الدكن، وقد حارب الإنجليز الذين غلبوا على عاصمته، ثم قتل في حومة القتال عام ١٧٩٩م.

الشهداء الثلاثة الذين فضلوا الإقامة في الفردوس، يعقب هؤلاء الملوك على ما يحدث في العالم الإسلامي المعاصرو يعلقون على هذه المشكلات التي تجابه المسلمون ويحاولون الوصول إلى حلول لها، بل إنهم يحسبون على المسلمين المعاصرين تطرفهم وتقليدهم للغرب ونسيانهم لشرعة الجهاد، جهاد النفس، قبل جهاد العدو، ويبين لهم السلطان "تियो الشهيد" أن الحياة هي الإرادة وهي العزيمة يقول لهم:

كيف ينبت الإنسان من حفنة تراب، فليس الإنسان تريباً ولكن معدنه روحي وهو قبس من نفحات الله عزوجل، كيف ينبت الإنسان من حفنة تراب بالقلب بإرادة في ذاك القلب.

وهنا ينطلق الشاعر مع مرشده جلال الدين الرومي ويقول له هذا المرشد:

"قم فيمضى وحده ويستمع إلى صوت صادر من أعماق الكون، يقول له: من أمتي يامن يقول لا إله إلا الله، أن تكون هناك نظرة واحدة بالآف العيون، حيثما وجدت وحدة الفكر وجدت الأمة أن على المسلمين أن يبرهنوا دائماً على تطبيقهم للمثل العربي القائل:

"خيامنا منفصلة وقلوبنا واحدة" وهنا يعم النور الكون فيخر الشاعر صعقا فاقد النطق ثم يضيق على صوت قوي يأمره إلى العودة إلى الأرض". (١)

وكان إقبال في خياله الشعري متأسباً بالنبي صلى الله عليه وسلم في معراجه، لقد اتخذ من معراجه إبطاراً صب فيه روئيته الفلسفية وآراءه الإصلاحية ويقينه الذي لا يتزعزع، لأن الإسلام هو العلاج النافع لآلام البشرية والمتنفس السليم لا حيلة للإنسان وطاقاته.

ويقول إقبال في المعراج:

امتحانے رو بروے شاہدے	"جیست معراج آرزوے شاہدے
زندگی مارا چو گل رارنگ و بو	شاہد عادل کہ بے تصدیق او
وربما ندهست او کامل عیار	در حضورش کس نماند استوار
پخته گیراندر گره تا بے کہ هست	زره از کف مده تا بے کہ هست
پیش خورشید آزمودن خوشتراست" (٢)	تاب خود را بر فزودن خوشتراست
واختیار، وتراه عین شاہد	ماهو المعراج؟ مرجاة لشاہد
عیشنا البستان ازهارله	شاہد عدل و مآقاله

١- محفوظ، حازم محمد أحمد: محمد إقبال، المعلم، الفيلسوف الشاعر الإسلامي الكبير، تحت عنوان: محمد سعيد جمال الدين، الدكتور: المعراج في فكر محمد إقبال، للطباعة والنشر: دار الثقافة، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٥٧-٦٣.

٢- کلیات إقبال (فارسی) جاوید نامہ، ص ٣٤.

ما لإنسان ثبات في الحضور (١) أو هو الكامل لا يشكو القصور  
ذرة لا تلق من هذا للهب ثم صنه مثل تذكار الحبيب  
أن تزيد النور فيك ذاك أحلق أن تضاهيه بشمس ذاك أليق (٢)

ولم يكن لإقبال أن يصل إلى مرتبة النبي الكريم في النضج الذاتي ، فبينما اقترب الرسول صلى الله عليه وسلم من الذات الالهية ، فكان قاب قوسين أو أدنى ، وهو يمتلك زمام نفسه وشعوره ، لولا ما حاله من خشية في بادئ الأمر . فإن إقبال صعق بمجرد "تجلى الجلال" وغاب عن وعيه ، ولكنه آفاق في النهاية على صوت صادر من أعماق العالم الأعلى يفضي إليه بأمر ثم يقول له في النهاية . "إذهب" وهذا الأمر الإلهي بالعودة إلى الأرض من جدير لنشر دعوة الحق بين الناس ، كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم حين تلقى أمره . (٣)

وقد يكون من الطريف المفيد أن نقل لكم في هذا الصدد فقرة من كتاب إقبال : تحديد التفكير الديني في الإسلام" وقد ذكرنا أيضا هذا قبل ، ولكن هذا المقام الجيد لقول هذا ، وهو عن عبد القدوس الجنجوهي الصوفي الهندي قوله : "صعد محمد النبي صلى الله عليه وسلم العربي إلى السموات العلى ثم رجع إلى الأرض . قسماً بربى لو أن بلغت هذا المقام لما عدت أبداً" . وهنا يعلق إقبال ويبين الفرق بين الوعي النبوي والوعي الصوفي في مقام المشاهدة .

الصوفي لا يريد العود من مقام الشهود أبداً ، وحين يرجع ، ولا بد ، فرجعت لا تعني الكثير للبشر عامة ، أما رجعة النبي صلى الله عليه وسلم ، فهي رجعة مبدعة ، إذ يعود ليشق طريقه في موكب الزمان ، ابتغاء التحكم في ضبط قوي التاريخ وتوجيهها على نحو ينشئ به عالماً من المثل العليا جديداً ، فمقام الشهود عند الصوفي غاية تقصد ندااتها ، ولكنه عند النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لما في أعماقه من قوي سيكولوجية تهزّ الكون هزاً . وهكذا قدّر لرجعة الرسول صلى الله عليه وسلم من معرجه أن تغير نظام العالم الإنساني تغييراً تاماً .

ويقول عمر بهاء الدين في هذا الصدد في كتابه كذلك :

"وإن رغبة النبي صلى الله عليه وسلم في أن يرى رياضته الدينية قد تحولت إلى قوى عالمية حية ، رغبة تعلو على كل شيء ، ولهذا كانت رجعة ضرباً من الإمتحان العملي لقيمة رياضته الدينية ، وعندما يتغلغل النبي صلى الله عليه وسلم فيما يواجهه من أمور مستعصية وينفذ إلى أعماقها ، تتجلى

١- الحضور عند المتصوفة هو حضور القلب بدلالة اليقين حتى يصبح الحكم الغيبي عنده كالحكم العيني ، ونقيضه

الغيبي ، وهي غيبة القلب من دون الله حتى يغيب عن نفسه ، ويستطيع مشاهدتها .

٢- الترجمة العربية : المصري ، د . حسين مجيب : رسالة الخلود ، ص ١٤٨ .

٣- محمد سعيد جمال الدين ، الدكتور : رسالة الخلود (جاويد نامه) ص ٣٦-٣٩ .

له حينئذٍ نفسه فيعرفها . ولهذا كان مما يحكم به على قيمة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وحجة رسالته ، البحث في نوع الرجولة التي أبدعها، والبحث عن العالم الحضاري الذي انبعث عن روح دعوته“ (١).

ثم يقول:

”إذا نفخ الشعر في النفوس الحياة وبعث الإنسان فهو وراثه النبوة وأنظر البيتين

التاليين.

”إذا الشعر في النفس شب الحياة وولد في الناس بعثا وقوة

شاملي وأدى رسالة وكان امتداداً للإرث النبوة“ (٢)

لقد وضع إقبال نصب عينيه في إعداد هذا الديوان (رسالة الخلود) كلامن ”الفتوحات المكية“ لمحي الدين ابن عربي “الصوفي الشهير، ”رسالة الغفران“ ”لأبي العلاء المعري“، والكوميديّة الإلهية“ ”لدانتى“ بالإضافة إلى قصة الإسراء والمعراج ، كما وردت في كتب السنة، ولأجل ذلك نجد في هذا الديوان مزايا هذه الكتب جميعاً وخصائصها البارزة ، كما تتجلى أيضاً بوضوح شخصية إقبال وأصالته وفلسفته وإسلامه .

والفرق بين رحلة إقبال إلى السماء والكوميديّة الإلهية لدانتى، أن إقبال حصر سفره في الكواكب الستة فقط ، فلم يرق برحلة واسعة لجهنم والأعراف ، بينما قام لهما دانتى بجولة واسعة وليس معنى ذلك أن إقبال لم يعرض لنا مشاهد جهنم والأعراف ، بل قدمها لنا في رحلته في فلك الزحل حيث نجد فيه المجرمين يعانون أشد أنواع العذاب بسبب عصيانهم لأوامر الله سبحانه وتعالى، وخيانتهم لبلادهم وأوطانهم ، ومن ناحية أخرى لم يتناول إقبال في هذه المرحلة المسائل الوحية والأخروية فقط ، كما هو الشأن في ”الفتوحات المكية“ و”الكوميديّة الإلهية“ تناول المسائل الحية التي من صميم حياتنا المعاصرة ، تلك التي اتخذها إقبال فلسفة له في شعره بوجه عام، وكذلك رأينا إقبال في هذا الديوان لأول مرة شاعراً طبيعياً وفناناً رائعاً ، إذ أن شعره ينبض بالموسيقى والنغمات العلوّة التي تأخذ بمجامع القلوب وتحرك أو تارها كما

١- الأميري ، عمر بهاء الدين : في رحاب الفكر الإسلامي العظيم إقبال والزبيرى، حده، سفارة جمهورية باكستان الإسلامية الرياض . ٤٠٨ هـ ، ص ١٠ .

٢- نفس المرجع ، ص ١٦ .



أنه يقدم لنا صورة حية للمسرحية الفنية بأسلوبها وقوالبها وحوارها. (١)  
 وبعد استعراض نموذج كلام شوقي وإقبال في "الإسراء والمعراج"، نجد هذه الحقيقة البينية  
 أن فكر إقبال في هذا الموضوع مختلف مطلقاً من فكر شوقي، يذكر شوقي معراج النبي صلى الله  
 عليه وسلم وحوادثه خلال معراجه فقط ولا يبالى بالنقاط الأخرى قط.  
 أما إقبال كما ذكرنا، يبين معراج نفسه بأسلوب بديع ويفهم معنى معراج وكيفياته بطريق  
 أحسن وينقل تفكراته وتجرباته على صفحة القرطاس بقوة القلم وقوة الذهن.

- 
- ١- الأعظمي، محمد حسن: اللآلئ الإسلامية الغالية (من أفكار إقبال وسعدي العالية، العربية والأردنية) ترجمها من  
 الأردنية والفارسية. الطباعة والنشر: كراتشي، باكستان: عالمي تنظيم اتحاد العالم الإسلامي، ١٩٣٧م،  
 ص ١٢٨-١٣٠.  
 وللمزيد التفصيل "المعراج في فكر إقبال".  
 - انظر: اله آبادي بهار: تفسير إقبال (الأردنية)، دهلبي، الهند: مطبعة: جمال برنتنگ بريس، ١٩٨٢م، ص ٧٨، ٧٩.  
 - وانظر: المقالة: ارشاد أحمد شاكر: جاويد نامه، مقدمه حواشي و تعليقات (الأردنية)، جامعة  
 المفتوحة لإقبال، ١٩٩٩م، ص ١١١، ١١٢.  
 - وانظر: يوسف حسين خان، الدكتور: روح إقبال (الأردنية)، لاهور، باكستان: مطبعة، اشرف بريس، آئينه ادب  
 ميناء انار كلي، ص ٤٧٥-٤٨٥.  
 - وانظر: حافظ عباد الله فاروقي: جاويد نامه. اقبال رويو، مجلة إقبال أكاديمي باكستان، يوليو ١٩٦٣م،  
 ص ٦٨-٨٧. وانظر: محمد ظريف ايم اے، قاضي: إقبال قرآن كي روشني مين (الأردنية) (إقبال في ضوء  
 القرآن)، الطبعة الثانية، لاهور، باكستان: مطبعة: نقوش بريس، ١٩٦٣م، ٣٠٧-٣٠٠/٢.  
 - وانظر: Dr. Nazir Qaiser, Rumi Impact on Iqbal's Religious thought : Miraj (Ascension) Iqbal Academy  
 Pakistan, Lahore, 1989.

## الفصل الرابع

### الهجرة النبوية وتأسيس الدولة الإسلامية

والأجدر أن نقدم أهمية الهجرة النبوية ودورها في تأسيس أول دولة إسلامية في العالم في ضوء الأحاديث النبوية وآثار الصحابة قبل استعراض نموذج من كلام شوقي وإقبال في هذا الصدد. وننظر أن الله نور أرض مكة بنور الإسلام وأنزل الله فيها بركاته وسعادته. ولكن لا يمكن لبني قريش أن يتركوا دين أسلافهم ويقبلوا دين الإسلام بسهولة ولهذا قاموا على عداوة هذا الدين بقوتهم. وكذبوا محمداً صلى الله عليه وسلم وأذوه صلى الله عليه وسلم وأصحابه بعقوبة جسدية وذهنية. وضيّقوا أرض مكة عليهم.

ولكن بالرغم من هذه الصعوبات لم يتزلزل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق التبليغ وسواء السبيل (سبيل الحق) وكانت حالة أصحابه كذلك.

فقد نصر الله تعالى نبيه وأصحابه، فجاءت وفود من أرض بعيدة إلى مكة لقبول الإسلام، وفي هذه السلسلة جاء وفد من المدينة إلى مكة ونوروا أنفسهم بنور الإسلام ودعوا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة لنشر الإسلام، فلما رأى أن عداوة القريش للمسلمين تجاوزت الحدّ وبدأوا يقتلون المسلمين صباحاً ومساءً. فأذن للمسلمين بالهجرة من مكة إلى المدينة، فأخذ المسلمون يهاجرون سراً من مكة إلى المدينة، ولم يبق بمكة مع الرسول صلى الله عليه وسلم إلا اثنان من السابقين الأولين وهما سيدنا أبو بكر و سيدنا علي رضي الله عنهما.

قال حسن كامل في كتابه في هذا الصدد :

”فخرجوا جماعة بعدها جماعة، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة، وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعجل، لعل الله يجعل لك صاحباً. (١)

**مؤامرة قريش ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهجرة النبي صلى الله عليه وسلم تمثيلاً بأمر الله**

ولما رأت قريش أن أصحاب رسول الله يخرجون من مكة رويداً رويداً، فحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، فاجتمعوا في دار الندوة، وهي كانت دار القصي بن كلاب، يتشاورون فيما يصنعون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم. اطلعه الله تعالى على ما تشاوروا فيه بقوله تعالى :

١- المطلاوي، حسن كامل: رسول الله في القرآن الكريم. طباعة بمصر، ١٩٨٢م، ص ١٨٧.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ

الْمَاكِرِينَ﴾ (١)

فقد اختلف أراؤهم ، فخافوا أن يقاتلهم أهله بدافع العصبية ، ويخلصوه من أيديهم ، ثم يتفقون أن يختاروا من كل بطن من بطون قبائلهم شأبا ليقتلوه قتلا جماعياً فيتفرق دمه في القبائل ، فلا يقوى بنو هاشم على حربهم ، فإذا طلبوا الدية قدموها لهم ، وهذه الرأى الأخير هو الذي استحسناه بعد التشاور في دار الندوة . ولكن انقذ الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم من هذا الفعل القبيح . فأتى جبيرل عليه السلام فقال :

”لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه ، وعلى منتصف الليل اجتمعوا القريش على بابة بالنية الفاسد ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم ، قال لعلي بن طالب ، نم على فراشي وتسبح ببردي (٢) هذا ، فنام علي رضي الله عنه فيه بلا خوف وخطر“ . (٣)

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من البيت ، فأخذ حفنة من تراب في يده ، وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلا يرونه ، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو بعض من آيات من سورة يسين وهي : ﴿يَسْ ، وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ..... فَهَمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (٤)

حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من تلاوة هؤلاء الآيات ، ولم يبق منهم رجل إيقاظا وقد وضع على رأسه ترابا ، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب . وذهب رسول الكريم صلى الله عليه وسلم إلى دار أبي بكر وخرج معه من مكة إلى المدينة ، وبلغهما على فم غار ثور (٥) . وهو الغار (٦) الذي ذكره الله سبحانه وتعالى في القرآن ، وجاءت قريش يطلبون النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا إذ رأوا على باب الغار نسج العنكبوت قالوا : لم يدخل أحد ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قائما يصلي وأبوبكر يرتقب ، فقال أبوبكر للنبي صلى الله عليه وسلم ، هؤلاء قومك يطلبونك ، فقال له النبي الكريم صلى الله عليه وسلم .

﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (٧)

ودعا النبي فنزلت عليه سكينه من الله سبحانه وتعالى . قال الله تعالى :

﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيْدَهُ بِحُنُودِهِمْ تَرَوَهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ

١- سورة الأنفال ، الآية : ٣٠ .

٢- تسبيح بيردي : اجعل ثوبي غطاء لك .

٣- انظر : المطلاوي ، حسن كامل : رسول الله في القرآن الكريم . ص ١٨٨ .

٤- سورة يسين ، الآية : ١- ٩ .

٥- جبل بأسفل مكة ، وقد سُمي الغار الذي يقع فيه باسمه .

٦- ﴿ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْهُمَا فِي الْغَارِ﴾ ، سورة التوبة ، الآية : ٤٠ .

٧- سورة التوبة ، الآية : ٤٠ .

هِيَ الْعُلْيَا، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١﴾

فأرسل أبو بكر عامر بن فهيرة مولى أبي بكر أميناً مؤتمناً حسن الإسلام فأستاجر رجلاً من بني عبد بن عدى يقال له "ابن الأيقط". (٢) وهو هادي بالطريق، وكان يأتيهما عبد الله بن أبي بكر حين يمسي بكل خبر يكون في مكة ويريح عليهما عامر بن فهيرة الغنم في كل ليلة فيحلبان ويذبحان، ثم يسرح بكرة فيصبح في رعيان (٣) الناس ولا يفتن له حتى إذ هدت (٤) عنهم الأصواب، قد مكثا في الغار يومين وليلتين بنصرة الله بلاخوف وخطر.

ثم خرجا من الغار فأخذوا على الساحل، فجعل أبو بكر يسير أمامه، فإذا خشى أن يؤتى من خلفه سار خلفه (صلى الله عليه وسلم) فلم يزل كذلك مسيره، حتى إذ كان بأبيات قديد (٥) وكان على طريقهما جاء رجل وهو سراقه بن مالك بن جعشم على فرسه، فقال أبو بكر: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الطلب قد لحقنا، قال ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾. حتى إذا دنا منهما فكان بينهما وبينه قدر رمح، أو رمحين، فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "اللهم اكفناه بما شئت" فساخت قوائم فرسه إلى بطنها في أرض صلد ووثب عنها وقال سراقه: يا محمد صلى الله عليه وسلم قد علمت أن هذا عملك، فأدع الله أن ينحيني مما أنا فيه، فوالله! لأعوين على من ورائي من الطلب، وهذه كنانتي (٦). فخذ منها سهماً فإنك ستمر بإبلى وغنمي بموضع كذا وكذا، فخذ منها حاجتك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حاجة لي فيها، ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأطلق ورجع إلى أصحابه (٧).

### قدومه عليه السلام المدينة وفرح أهل المدينة بقدومه

وسمع المسلمون بالمدينة بهجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة، فكانوا ينتظرونه كل يوم، فانقلبوا يوماً بعدما أطلوا انتظارهم، فلما آووا إلى بيوتهم، فرجل منهم بصر رسول الله من سقف بيته، فقال بأعلى صوته: يا معشر العرب، هذا جاءكم الذي تنتظرون، فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله بظهر الحرّة، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول، فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا، حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه

١- سورة التوبة، الآية: ٤٠.

٢- كان حليفاً لقريش في بني سهم من بني العاص بن وائل وذلك يؤمّن العدو مشرك.

٣- جمع راع.

٤- أي سكنت.

٥- موضع بين مكة والمدينة.

٦- حجة من جلد أو خشب، تجعل فيها السهام.

٧- انظر: يوسف الكاندهلوي: حياة الصحابة. دمشق، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، ١/ ٤٩٦-٥٠٨.

- وانظر: طبري، ابن جرير: جامع البيان في تفسير القرآن. بيروت: دار المعرفة. وانظر: أحمد بن حنبل: المسند.

دارالمعارف: ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م.

وسلم، فأقبل أبو بكر، حتى ظلل عليه بردائه، وعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك.  
وعن ابن عائشه يقول:

لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، جعل النساء والصبيان يقلن:

”طلح البدر علينا من ثنيات الوراغ

وجب الشكر علينا ما دعا الله داع“ (١)

### الهجرة النبوية في كلام شوقي وإقبال

وتناول شوقي هذه الحادثة (الهجرة النبوية) بكل إيمان وبسرور، وهو يؤمن أن الهجرة كانت ضرورية لبقاء الإسلام ولتأسيس الدولة الإسلامية، بأن كان المسلمون ضعفاء في مكة وكانت حياتهم في الخطر، لا يمكن لهم أن يعيشوا حياة الأحرار والحياة المطمئنة، حتى أهل مكة كانوا يؤذونهم على أداء فرائضهم الدينية، فيؤدون عباداتهم خفية، وفي مكة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم قليلون وأما أعداؤه فهم كثيرون ولا يحبون هذه الكيفية، ثم يؤمن بأن دين الإسلام دين الحق وجاء دين الإسلام لتعلوا كلمة الله العليا على الأديان الأخرى كلها. كما قال الله تعالى في القرآن الحكيم:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (٢)

ولكن لا يمكن كل هذا في أرض مكة المكرمة، بأن أرضها يثبت أرض بور لشجر الإسلام ونموه. فبين شوقي هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأسبابه فيما يلي:

”نال الرسول الضُّرُّ من عداه وبلغ الأذى به مداه

ومات من آوى (٣) وربى واصطنع وذاد عن خير النيين ومنع

وحائط الدعوة في أساسها وركنها قبل اشتداد بأسها

وارت أباطالب الأحجار فأعوز الحامي وعزّ الحجار

وركبت متن هواها هاشم وجال غاويها وصال الغاشم

وكان من أفحشها أبولهب (٤) عمٌ، ولكن مذهب السوء ذهب

١- انظر: يوسف الكاندهلوي: حياة الصحابة، ١/٥٠٩-٥١٠.

٢- وانظر: البخاري، أبي عبدالله محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري بحاشية السندي. بيروت، لبنان: ج ٢.

٣- وانظر: السهيلي، أبي القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد بن أبي الحسن الغنمي. السيرة النبوية لابن هشام ومع تفسير أحاديث الروض الأنف. ملتان، باكستان: ١٣٧٧هـ/١٩٧٧م، ٢/٣٠٢.

٤- سورة التوبة، الآية: ٣٣.

٥- هو عمه أبو طالب.

٦- عمه المذكور في القرآن. سورة لهب، الآية: ١-٥.

فحقت الهجرة وهي مُرّه ما وصفت إلا لنفس حُرّه  
 سبيل موسى في الزمان الأول ومذهب الروح ولما يحول (١)  
 ومركب الأفراد والإعلام وخصماء الظلم والظلام  
 ما أجمل الهجرة بالأحرار إن ضنت الأوطان بالقرر (٢)

وفي البيت الأول يبين شوقي الصعوبات والمشاكل التي تحملها النبي صلى الله عليه وسلم بيد الكفار ويشير في أبياته إلى الصعوبات والتي واجهها النبي على وفاة عمه أبي طالب . والقريش ما أمكن لهم أن يوذوا النبي صلى الله عليه وسلم في حياة أبي طالب .

وكان شخصية أبي طالب كعمود للنبي صلى الله عليه وسلم وبعد إسقاط هذا العمود قامت قريش وغيرهم من الكفار على عداوة المسلمين وخاصة ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد ذكر أبي طالب وحبه للنبي صلى الله عليه وسلم ، يذكر شوقي عمه الآخر "أبا لهب" هو رائد الكفار ، ولا يبالى بالقرابة والنسبة ، بل سبق سبقاً في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم من الآخرين . وتضع امرأته الأشواك حيثما يمر النبي صلى الله عليه وسلم وهو أيضاً التحق بالآخرين في مؤامرة قتل النبي صلى الله عليه وسلم (نعوذ بالله) .

وفي هذه الأحوال يظن شوقي أن لا بد للنبي صلى الله عليه وسلم ولأصحابه أن يهاجروا إلى أرض أخرى لكي يدعوا إلى دعوة الإسلام هادئاً ومطمئناً ، ولا شك أن الهجرة كانت دواً مراً ولكن كانت ضرورية لشفاء الإنسانية ، ثم يبين شوقي أن الهجرة أسوة الأنبياء من اليوم الأول . ثم يضرب مثال موسى عليه السلام في هذا الصدد ، وهو الذي ترك وطنه في سبيل الله وإعلاء كلمته .

وكانت هجرة النبي من شعار الأنبياء وبإذن الله ، فحديث شوقي عنها حديث مصور مفتن . ثم يعرض لنا تصوير سفر النبي صلى الله عليه وسلم خلال هجرة واقعاتها . فيعرض لنا صورة قوية التعبير لعصبة الكفار ، وهي هائمة حول الغار تطارد الرسول صلى الله عليه وسلم . ولعل سبب وقوفهم عند الغار هو رؤيتهم نور النبي صلى الله عليه وسلم يشع منه ، أو سماعهم ، همس التسابيح والقرآن ، لحظة من لحظات الروح العميق تطير فيها الأحلام ، ويقترّب المشركون قليلاً قليلاً ، حتى يرون نسج العنكبوت العتيق وعش الحمام على فوهة الغار فيعودون وهم يجرون أذيال الخيبة ، والدنيا تلعنهم ، كما يرجع الباطل وقد هزمه الحق المبين ، كل هذا والرسول والصديق ترعاهما عين الله فيجدان الأمن والطمأنينة من الله تعالى .

ويبين شوقي هذه الصورة في الأشعار التالية وأشرنا من قبل في "المعجزات النبوية" إلى هذه

١- عيسى عليه السلام ولم يكن اكتمل حولاً .

٢- أحمد شوقي بك : دول العرب وعظماء الإسلام . مصر: ١٩٣٣م ، ص ٢٧-٢٨ .

## الأشعار أيضاً:

ويقول شوقي:

”سل عصبة الشرك حول الغار سائمة  
هل أبصروا الأثر الوضاء أم سمعوا  
وهل تمثل نسج العنكبوت لهم  
فأدبروا، ووجوه الأرض تلعنهم  
لولا يد الله بالجارين ما سلما  
وعينه حول ركن الدين، لم يقم (٢)

وبهذه الأشعار يسخر شوقي من المشركين، ويهزأ بهم، ويمثل ضلالهم وإخفاقهم تمثيلاً بشعاً مخيفاً يخزى له وجه الشرك ويرغم به أنف الجحود.

فأدبروا وجوه الأرض تلعنهم كباطل من جلال الحق منهزم  
فنصر الله أصحابه وهذه سنة الله أن اللعنة للكفار دائماً ورحمة للمؤمنين دائماً. وبالهجرة  
فتحت أبواب الرحمة والرقى للمسلمين ونال المؤمنون مقام العلو والشرف، وعلم الكفار أهمية  
الإسلام والمسلمين بقلوبهم، ولهذا الهجرة النبوية لا بد لتأسيس الإسلام ونموها.

وأما إقبال، فيظن أن هناك ثلاثة عوامل لا بد منها للحضارة الإسلامية وبقاءها، وهي:  
الأول: الهجرة من الأرض غير الملائمة.

الثاني: ”الجهاد“.

الثالث: ”اجتهاد“.

فيظهر لنا أن الهجرة النبوية كانت أول مظهر للدعائم المذكورة آنفاً، فالروح التي انعكست  
في صورة الهجرة، ننظر تلك الروح في دوائر الجهاد والاجتهاد أيضاً. ولا ريب أن دعوة الإسلام إلى  
كافة الناس: وليس الإسلام لا في منطقة خاصة.

كما يقول إقبال:

از حديث مصطفى داري نصيب دين حق اندر جهان آمد غريب (٣)

١- عصبة الشرك: أي عصبة من أهل الشرك الذين ذهبوا يطلبونه صلى الله عليه وسلم يوم هجرته.

٢- الشوقيات: ١/١٦٦.

- وانظر: فهمي، ماهر حسن، الدكتور: شوقي، شعره الإسلامي. ص ١٨٦، ١٨٧.

٣- كليات إقبال (فارسي) جاويد نامه: ص ١٤٤.

- انظر: محمد منور، بروفيسور: برهان إقبال، جهان إقبال، جهان قرآن. لاهور، باكستان، إقبال أكاديمية، ١٩٨٧م، ص ١٥٣.

من حديث المصطفى نلت النصيبا؟ كان دين الحق في الدنيا غريباً“ (١)  
 الإسلام لا يتعلق بمقام أو منطقة وهذا الدين دين خاص ، وكل أرض من الدنيا وطنه، ويثبت  
 النبي صلى الله عليه وسلم هذه الحقيقة بالهجرة أن الوطن ليس بمحدود ومقيد لأن الدين لا حد له  
 والمجتمع الإسلامي يختلف من المجتمعات الإنسانية الأخرى بخصوصياته السامية . ويبين إقبال  
 خصوصية الإسلام هذه قائلاً :

”مسلم استى دل باقلمے بلند گم مشواندر جهان چون وچند  
 می ننگنجد مسلم اندر مرزو بوم در دل او یاوه گردد شام و روم“ (٢)  
 لا تحد الأرض قلب المسلم لا يرى في تيه ”أنى وكم“ (٣)  
 ليس للمسلم في الأرض عطن حائر في قلبه كل وطن“ (٤)  
 وهاجر نبينا صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ليثبت هذه الحقيقة أن الأرض كلها لله  
 والإنسان خليفة الله على الأرض والأرض كلها له وله أن يتصرف فيها كيف يشاء. ويبين إقبال هذه النقطة قائلاً:  
 ”عقدۀ قوميت مسلم كشود از وطن آقائے ما هجرت نمود  
 حکتمش يك ملت گيتى نورد بر اساس كلمۀ تعمير كرد“ (٥)  
 عقدة الأقوات حلّ المسلم هجرالدار الإمام الأعظم (٦)  
 أمة ملء الدننى قد أسسا جعل التوحيد فيها أسسا“ (٧)  
 وبعض من الناس ما فهموا غاية الهجرة وقالوا ، ما ترك النبي صلى الله عليه وسلم وطنه ومولد  
 آباءه إلا خوفاً من أعداءه ولصيانة نفسه .

ولكن كل هذه الدلائل تخلو من الصدق ، ويبين إقبال بيان هذه الجماعة قائلاً:  
 ”پس چرا از مسکن آبا گريخت؟ تو گمان داری که از اعدا گريخت؟“

١- الترجمة العربية : المصري ، د. حسين مجيب ، ص ٢١٢ .

٢- كليات إقبال (فارسی) رموز بے خودی، ص ٢٥٢ .

٣- لایته في عالم العلل والمقادير .

٤- يقول إقبال في ديوان ضرب كلیم .

”إنما الكافر حيرا ن له آفاق تيه

وأرى المؤمن كونا تاهت الآفاق فيه“.

الترجمة العربية: عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور: رموز نفی الذات ، ص ٢٠٨ .

٥- كليات إقبال (فارسی) ، رموز بے خودی، ص ٢٥٤ .

٦- يعني : أن المؤمن المجاهدة لا تعوقه ولا تحيره عقبات هذا العالم ، بل يسخرها كما يشاء .

٧- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور: رموز نفی الذات ، ص ٢٠٩ .



- قصه گویان حق زما پوشیده اند      معنی هجرت غلط فهمیده اند (١)  
 فلما ذا أرض أهليه هجز؟      أتراه خشية الأعداء فرّ؟  
 حجب القصاص معنی القصة      غلطوا في فهم معنی الهجرة (٢)  
 وبعد ذکر هذا البيان يوضح إقبال معنی الهجرة وغاياته قائلا:  
 ”هجرت آئين حیات مسلم است      این ز اسباب ثبات مسلم است  
 معنی او از تنک آبی رم است      ترك شبنم بهر تسخیریم است“ (٣)  
 هجرة شرع حياة المسلم      هجرة سرّ ثبات المسلم (٤)  
 إنها التسيار نحو الوسعة      ولأجل اليمّ ترك القطرة“ (٥)

یعنی الهجرة هي المبادئ التي تقوم عليها حياة المسلم . ولا يتعلق بشرق ولا بغرب ، كما يقول إقبال :  
 ”المسلم الرباني ليس بشرقى ولا غربى ، ليس وطنه دهلي ولا اصفهان ولا سمرقند، إنما  
 وطنه العالم كله“ . (٦)

وقول إقبال هذا يعبر عن الشخصية العالمية الإنسانية التي لا يحدها جنس ولا وطن ، وإنما  
 أرض الله كلها وطنه ، وهذا ما عبر عنه أيضا على لسان طارق بن زياد (٧) . عندما نزل على أرض  
 الأندلس ، لما نزل طارق بالجزيرة الخضراء ، أمر بالسفن بالإحراق ، فأحرق ، فجاءه رجال من  
 الجيش و استعجابوا على فعله وقالوا له : لقد قطعت بنا الحبال ، فكيف نرجع إلى بلادنا ، فوضع طارق  
 يده على السيف وقال : أنا لا أفكر في الرجوع ، وسنبقى هنا ونتخذها وطنا ، فإن كل ما كان لله من  
 أرض وبلاد ، وطن لنا ، لا فرق في ذلك بين العجم والعرب والشرق والغرب .  
 ويقول إقبال :

”طارق چو بر کناره اندلس سفینه سوخت      گفتند کار توبه نگاه خرد خطاست  
 دوریم از سوادِ وطن باز چون رسیم؟      ترك سبب زروے شریعت کجارو است

- ١- کلیات إقبال (فارسی) رموز بی خودی ، ص ٢٥٤ .
- ٢- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : رموز نفی الذات ، ص ٢٠٩ .
- ٣- کلیات إقبال (فارسی) رموز بی خودی ، ص ٢٥٤ .
- ٤- في القرآن الكريم : ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَهَاجَرُوا فِيهَا﴾  
 (سورة النساء ، الآية : ٩٧) فالهجرة ترك المكان الذي يعسرفه العمل إلى المكان الذي يتيسر فيه أداء الواجب .
- ٥- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : رموز نفی الذات ، ص ٢٠٩ .
- ٦- الندوي ، أبو الحسن على الحسيني : روائع إقبال ، بدمشق : ١٩٦٠م ، ص ٨٩ .
- ٧- طارق بن زياد ، فاتح الأندلس سنة ٧١١ هـ ، وتوفي رحمة الله سنة ٧٢٠ هـ .

خنليدو دست خویش به شمشیر برد و گهت  
 هر ملك ملك ماست كه ملك خلك ماست (١)  
 طارق أحرق السفين فقالوا:  
 ليس هذا من فعله برشيد  
 غرباء ومن لنا برجوع  
 ذا خطار في الشرع غير سديد  
 أمسك السيف طارق في ابتسام  
 قائلًا واثقا بعزم شديد  
 ملكنا اليوم خالصا كل ملك  
 إنه ملك ربنا المصود“ (٢)

ولدى إقبال بقاء روح المسلم مضمرة في الهجرة كما يقول في قصيدة ”قرطبة“ ”أن المسلم لا تعرف أرضه الحدود ولا يعرف أفقه الثغور ليست دجلة والنيل ودانوب إلا أمواجاً صغيرة في بحره المتلاطم عصوره عجيبة وأخباره غريبة، نسخ العهد العتيق، وغير مجرى التاريخ وهو في كل عصر ساقى أهل الذوق، وفي كل ميدان فارس، ميدان الشوق شرابه رحيق، وسيفه ماض في كل معركة“ (٣).  
 وفي قصيدة أخرى يعد إقبال الكون كله وطن المسلم، ويقول المسلم في ألفاظ إقبال:

”چين و عرب همارا ، هندوستان همارا

مسلم ہیں ہم وطن ہے سارا جہاں ہمارا“ (٤)

الصين لنا والعرب لنا والهند لنا والكل لنا

أضحى الإسلام لنا ديننا وجميع الكون لنا وطننا“ (٥)

ويظن إقبال أن حب الوطن من طينة الإنسان ويحب الأرض التي ولد وترعرع فيها، وبلاده التي عاش في كنفها، فحب الوطن للإنسان فطري، وأما الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ليست قومية، ودين الإسلام يدعوا إلى الأخوة الإسلامية لا إلى الأوطان والبلاد، يبين إقبال هذا المنطق، يعبر من حبه الشامل للإنسانية جمعاء، الذي يسعى لخيرها ويهديها إلى طريق الحق، كما يعبر إقبال عن نفسه في الشعر التالية:

عجی خم ہے تو کیا مے تو جازی ہے میری نغمہ ہندی ہے تو کیا، لے تو جازی ہے میری“ (٦)

- ١- کلیات إقبال (فارسی) پیام مشرق، ص ٢٣٦.
- ٢- الترجمة العربية: عزام، عبدالوهاب، الدكتور: رسالة الشرق، ص ٢٩٨.
- ٣- الندوي، أبو الحسن علي الحسني: روائع إقبال، ص ٨٩.
- عبارات: ساقی، أهل الذوق، فارس، ميدان الشوق: تعبيرات صوفية رمزية، تشير إلى المعرفة والحب الإلهي.
- ٤- کلیات إقبال (الأردية) بانك درا، ص ٢٨١.
- ٥- الترجمة العربية: المصري، صاوي شعلان، الشيخ: صلصلة الحرس، ص ٩١.
- وانظر: شعلان، صاوي علي، والاعظمي، محمد حسن: الأعلام المخمسة للشعر الإسلامي، ص ٥٥.
- ٦- کلیات إقبال (الأردية) بانك درا، ص ٢٩٩.

أنا أعجمى الدن لكن خمرتى صنع الحجاز كرمها الفينان  
 إن كان لي نغم الهنود ولحنهم لكن هذا الصوت من عدنان (۱)  
 ولو سعى الكفر للتغلب على الحق وانتشرت ظلمته فلا بد للمسلم أن يترك موضع الظلمة  
 والكفر وأن يعلن الحرب ضد الكفر ويسعى لإقامة الثورة . كما فعل رسولنا صلى الله عليه وسلم .  
 ويقول إقبال:

ہے ترک وطن سنت محبوب الہی دے تو بھی نبوت کی صداقت کی گواہی (۲)  
 ترك الوطن من سنة محبوب إلهی فيحب عليك أن تشهد بالنبوة  
 فينصح إقبال المسلمين أن تربط علاقاتهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وأن لا يفخروا على  
 أنسابهم . بأن لا معنى القومية والوطنية عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .  
 كما يقول:

مٹا دیا میرے ساقی نے عالم من و تو پلا کے مجھ کو مئے لا الہ الاہو (۳)  
 ساقی ما حصل الذي أبغيه الذات عالمها متی ناغیه  
 القلب منشغل بما عاطيته عمّن يغنيه ومن يسقيه (۴)  
 ثم يقول:  
 ”بازو تیرا توحید کی قوت سے قوی ہے اسلام تیرا دیس ہے تو مصطفوی ہے“ (۵)  
 يدك القوي بقوة التوحيد الإسلام وطنك وأنت مصطفوي  
 وبالجملة ، كل العالم للمسلمين لكي تغلوا كلمة الحق فيها ويصرف فيها على مشية الخالق  
 سبحانه وتعالى . كما يقول:

”مومنان را گفت آن سلطان دین مسجد من این همه روئے زمین“ (۶)

۱- الترجمة العربية: المصري، صاوي شعلان، الشيخ: صلصلة الحرس، ص ۱۰۰ .

۲- کلیات إقبال (الاردية): بانك درا، ص ۲۸۴ .

۳- کلیات إقبال (الاردية): بال جبریل، ص ۵۵۲ .

۴- الترجمة العربية: زهير ظاظا، الأستاذ: جناح جبریل، ص ۴۱۳ .

۵- کلیات إقبال (الاردية): بانك درا، ص ۲۸۳ .

۶- کلیات إقبال (فارسی) پس چه باید کرد اے اقوام شرق، ص ۳۸ .

قال خير الخلق تاج المرسلين كل أرض مسجد للمؤمنين“ (١)  
 فرأينا خلال دراسة شعر إقبال وشوقي أن الهجرة كانت من سنة الأنبياء السابقين وأن دور  
 الهجرة لها أهمية كبيرة في تقوية رسالة الإسلام وبناء أول دولة إسلامية في المدينة المنورة . ونحس  
 التشابه في فكر إقبال وشوقي حول هذا الموضوع.

- 
- ١- الترجمة العربية: المصري ، صاوي شعلان ، الشيخ : والأن ..... ماذا نضنع . يا أمم الشرق، ص ٣٥٩ .  
 - وانظر: روزنامه امروز (الجريدة اليومية ، امروز) تحت عنوان : كلام إقبال وعشق رسول . ٢٠ نوفمبر ١٩٨٨ م.  
 - وانظر: النجار: فهيم قطب الدين : محمد إقبال وصلته الثقافية بالعالم العربي تأثره وتأثيره ، ص ٩١-٩٢ .  
 - وانظر: هاشمي ، شفيق الرحمن ، بروفيسور: اقبال كا تصور دين (الأردية) (تصور الدين لإقبال) ، لاهور،  
 باكستان: فيروز سنز المحدودة الذاتية، ص ٦١، ٦٢ .  
 - وانظر: سيد عبد الله ، الدكتور: مطالعة اقبال كے چند نئے رخ (الجهات الجديدة لمطالعه إقبال) ، لاهور  
 باكستان، يونيو ١٩٨٤ م، ص ١٨٤-١٩٤ .

## الفصل الخامس

### غزوات وجهاد النبي صلى الله عليه وسلم

إن الجهاد ذروة سنام الإسلام، ولا شك أن الإسلام دين رحمة وسلام إلا أنه يفرض على أتباعه رفع السيف لاعلاء كلمة الله للقضاء على الفتنة وليكون الدين كله لله. قال الله تعالى ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ (١) وقال الله تعالى كلمة في موضع آخر:

﴿اللَّهُ هِيَ الْعُلْيَا﴾ (٢)

وقد غزا النبي صلى الله عليه وسلم معانديه من الكفار والمشركين كما أنه جاهد اليهود والنصارى ليعم الإسلام العالم كله ويتفجع به البشرية أجمعها. الآن نتأمل الأسباب التالية لفهم روح الجهاد عميقاً.

#### محاولات عدو الإسلام لإطفاء نور الله

إذا انتخب الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم للنبوّة فأمره أن يستمر دعوة الإسلام سرياً، فجعل داعياً إلى الله بالسر إلى ثلاثة سنوات، ثم أمره الله الآن جاء الوقت أن يعلن دعوته على رؤوس القريش وأن ينذر عشيرته الأقربين. فقال الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٣)

ومنذ ذلك الحين جهر بالرسالة الإلهية، فناداه قريش وقال لهم:

”هل سمعتموني ذات يوم أقول كذبا، فأجابوه بصوت واحد، أنهم لم يعرفوا منه غير الصدق والأمانة، قال فإنني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين وأني لأملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيباً إلا أن تقولوا: لا إله إلا الله واجتنب الفواحش كلها، والإيمان بوحدانية الله، وعندئذ استبد الغضب بهم جميعاً، ولكن أبا لهب كان أقسامهم عليه وأشدهم وطأة، لقد نهض، فصاح تبالك سائر هذا اليوم، ألهذا جمعنا. وأرتج على محمد صلى الله عليه وسلم، فنظر إلى عمه، ثم مالبت أن جاء الوحي بقوله تعالى:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ..... مِنْ مَسَدٍ﴾ (٤)

وشيناً بعد شينٍ أمست عداوة هذا الرجل للرسول صلى الله عليه وسلم، كان من دأبه ودأب زوجته أن يعذباه بكل وسيلة ممكنة، في أيام الحج، حين يجتمع الناس في بلاد العرب، كان الرسول يطوف بينهم يدعوهم إلى الدخول في دين الله، وكان أبو لهب يحرض الناس أن لا يستمعوا له، لأنه مخالط في عقله، وهكذا بذلت كل جهد مستطاع للقضاء على حياته من طريق المكر والحيلة،

١- سورة البقرة، الآية: ١٩٣.

٢- سورة التوبة، الآية: ٤٠.

٣- سورة الحجر، الآية: ٩٤.

٤- سورة لهب، الآية: ١-٥. وانظر: منير البعلبكي: حياة محمد ورسائله. بيروت: ١٩٦٧م، ص ٩٩.

ولما رأى رغم أن بذل كل جهوده لم يكن له أن يصرف محمد صلى الله عليه وسلم من دعوة الإسلام، يجتمع كل قبائل القريش وذهبوا إلى أبي طالب عم الرسول وحاميه، فخاطبوه على النحو التالي:

”يا أبا طالب . إن ابن أخيك قد سبَّ الهتنا ، وعاب ديننا ، وسفَّه أحلامنا ، فإنذار لأبي طالب بالحرب، وكان الموقف من غير ريب ، بالغ الدقة ، لقد وجد أبو طالب نفسه في مأزق حرج ، كان أمامه سيلان ، إمكانية الحرب ضد أهليه وعشيرته من ناحية، وحبه العميق لابن أخيه من ناحية ، فلم يكن من اليسير عليه أن يقرر أي سبيل يختار، وفي هذه الحال من القلق والحزن استدعى محمدا صلى الله عليه وسلم وشرح له الموقف من نواحيه جميعاً ، وقال له ”يا ابن اخي“ ارحمني ولا تحملني مالا طاقة لنا به ، إنه لا قبل لي بمقاومة قريش كلها مجتمعة ، قال الرسول: ”يا عم“ والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر، لن أترك ، حتى يظهره الله دينه أو اهلك فيه“. (١) وكان شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم كلها من عند الله ، لأن كان إيمانه أن الله لن يتركه مفرداً أبداً . كما قال الله تعالى :

﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدَّتْ تَرَكُنَّ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾ (٢)

فكان أبولهب يتبعه مثل ظله ويحذر الناس من قبول رسالته ولكن كان الإسلام لإنتشار ، فنشر نور الإسلام من قبيلة إلى قبيلة . وبعد الفشل في كل جهودهم فالقريش فكر عن المؤامرة أن يقاطعوا كل صلوات وروابط من بني هاشم ، ثم أنهم كتبوا صحيفة بهذا المعنى وعلقوها في جوف الكعبة ، فلبث بني هاشم في شعب أبي طالب إلى خمسة سنين، وفي غضون ذلك نشأت بين القرشيين معارضة للباساء التي فرضت على بني هاشم ، وكان أصحاب القلوب الرقيقة من القرشيين قد شعروا بقسوة المقاطعة وفدحها ، وهكذا أجمع خمسة منهم أمرهم (هشام بن عمر ، زهير بن أبي أمية ، والمطعم بن عدي، وابو البحري بن هشام وزمعة بن الأسود) وتعاهدوا على رفع الحرم وتمزيق الصحيفة ارباً ارباً ، وفي غضون ذلك تحلَّت علامة من العلامات الإلهية وتفصيل الأمر أن الصحيفة المعلقة في جوف الكعبة اكلتها الأرضة إلا الحرف ”الله“ (٣)

وكان من أمر الله . وبعد جهود هذه النفوس الشريفة يقطع هذه المقاطعة ، ولكن عداوة القريش لم ينتهي ، ويستمرؤ مؤلمين المسلمين ، حتى يكرهوهم أن يهاجروا من مكة إلى المدينة ، ولكن قريش كانوا أصحاب سيئ النية . وسيئ القلوب ، لم تحمّلوا طمانينة المسلمين وريقيهم ، فبدأ

١- وانظر: منير البعلبكي : حياة محمد ورسالته ، ص ١٠٠ .

٢- سورة بني إسرائيل ، الآية : ٧٤ .

٣- منير البعلبكي : حياة محمد ورسالته ، ص ١٠٢ .

القريش مؤامرة ضد المسلمين ، وفي تلك الأحوال رفع المسلمون سيوفهم للدفاع عن الإسلام في حالة الاضطرار . وفي هذه النبذة التاريخية رفع نبينا صلى الله عليه وسلم السيف في يديه ، للدفاع نفسه الذاتية بل للدفاع الأمة المسلمين ودين الله .

## أهمية الجهاد في القرآن والحديث

الآن ننظر أهمية وضرورة الجهاد في الإسلام في ضوء الآيات التالية :  
قال الله سبحانه وتعالى :

- ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ ..... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١)  
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ ..... وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢)  
﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ..... إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٣)  
﴿وَلَا تَهِنُوا ..... عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (٤)  
﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ..... هُمْ الْمُهْتَدُونَ﴾ (٥)  
﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا ..... وَبُئِيتُ أَقْدَامَكُمْ﴾ (٦)  
﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ ..... لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٧)  
﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ ..... لَقَدِيرٌ﴾ (٨)  
﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا ..... لَنْ يترككم أَعْمَلِكُمْ﴾ (٩)  
﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ ..... هُمْ الظَّالِمُونَ﴾ (١٠)

- ١- سورة البقرة ، الآية: ١٩٠-١٩٥ .  
٢- سورة البقرة ، الآية: ٢١٦-٢١٨ .  
٣- سورة البقرة ، الآية: ٢٤٤-٢٤٥ .  
٤- سورة النساء ، الآية: ١٠٤ .  
٥- سورة البقرة ، الآية ١٥٤-١٥٧ .  
٦- سورة محمد ، الآية: ١-٧ .  
٧- سورة الحجرات ، الآية: ٩-١٠ .  
٨- سورة الحج ، الآية: ٣٩ .  
٩- سورة محمد ، الآية: ٣٥ .  
١٠- سورة الممتحنة ، الآية: ٧-٩ .

- وانظر: موضوع "الجهاد" في الآيات التالية :

- سورة البقرة ، الآية: ٢٦١-٢٧٤ ، سورة النساء ، الآية: ٧١-٧٦ ، ٧٧-٧٨ ، ٨٨ ، ٩١ ، ٩٤ ، ٩٥ ، سورة المائدة ، الآية: ٥٤-٥٦ ، سورة الانفال ، الآية: ٣٦-٤٠ ، ٥٥-٥٦ ، ٦١-١٥ ، ٤٥-٤٦ ، ٦٤-٦٦ ، ٧٢ . سورة التوبة ، الآية: ١-٥ ، ٧-١٦ ، ٢٣-٢٤ ، ١١١ ، ١١٩-١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، سورة محمد ، الآية: ٣١-٣٦ ، ٣٨ . سورة الحديد ، الآية: ١٠-١١ ، ١٨-١٩ ، ٢١-٢٧ . سورة الممتحنة ، الآية: ١-٣ ، ٧-٩ . سورة الصف ، الآية: ٢-٤ ، ١٠-١٤ . سورة ال عمران ، الآية: ١١٣ ، سورة الانفال ، الآية: ١-٤ ، ٩-١٤ ، ١٧-١٩ ، ٢٠-٢٨ ، ٣٦-٤٤ ، ٤٥-٤٩ ، ٦٧-٧٢ .

نجد ذكر الجهاد في كتب الحديث كذلك :

عن أبي الزناد ، عن الأعرج عن أبي هريرة ، أن رسول الله قال : "مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم الدائم ، الذي لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع". (١)

وعن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر الأنصاري ، عن عطاء بن يسار ، أنه قال : قال رسول الله :  
"ألا أخبركم بخير الناس منزلاً ، رجل أخذ بعنان فرسه ، يجاهد في سبيل الله ، ألا أخبركم بخير الناس منزلاً بعده ، رجل معتزل في غنيمته ، يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ، ويعبد الله ، لا يشرك به شيئاً". (٢)

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

"أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فمن قال : لا إله إلا الله ، عصم مني ماله ، ونفسه إلا بحقه ، وحسابه على الله".

عن أبي هريرة قال ، لما توفي رسول الله ، واستخلف أبو بكر ، وقاتل من كفر من العرب ، قال عمر : يا أبا بكر ، كيف تقاتل الناس ، وقد قال رسول الله "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فمن قال : لا إله إلا الله عصم مني نفسه ، وماله إلا بحقه وحسابه على الله".

قال أبو بكر : والله ! لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله ! لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ، لأقاتلتهم على منعها ، فوالله ما هو إلا أن رأيت الله عز وجل ، قد شرح صدر أبي بكر للقتال وعرفت أنه الحق". (٣)

عن أنس ، عن النبي "جاهدوا المشركين بأموالكم ، وأيديكم ، وألسنتكم" (٤).

عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من مات ولم يغز ، ولم يحدث نفسه يغزو ، مات على شعبة نفاق". (٥)

- ١- أخرجه البخاري في : ٦٥ ، كتاب الجهاد والسير ، باب : فضل الجهاد والسير ، ومسلم في : ٣٣ ، كتاب الأمانة ، ٢٩ . باب : فضل الشهادة في سبيل الله ، حديث رقم : ١١٠ .
- ٢- هذا حديث مرسل ، وقد وصله الترمذي ، وحسنه في : ٢٠ ، كتاب : فضائل الجهاد ، ١٨ ، باب : ماجاء أي الناس خير ، وكذلك : النسائي في : ٢٣ ، كتاب الزكاة ، ٧٤ ، باب : من يسأل بالله عز وجل ولا يعطى به . وفي ، المؤطا امام مالك بن أنس ، كتاب الجهاد ، ٢١ ، باب : الترغيب في الجهاد : ١/٤٤٣-٤٧٦ .
- ٣- صحيح سنن النسائي ، كتاب الجهاد ، ١ ، باب : وجوب الجهاد ، رقم الحديث : ٢٨٩٤ ، ٢٨٩٥ ، ٢٩٠٠ . ٦٤٦/٢-٦٤٩ .
- ٤- صحيح سنن النسائي ٢٠ ، كتاب الجهاد : ٢ ، باب : التشديد في ترك الجهاد ، رقم الحديث : ٢٩٠١ ، ص ٦٤٩ .
- ٥- صحيح سنن النسائي ٢٥ ، كتاب الجهاد ، ٣ ، باب : الرخصة في النخيل عن السرية . رقم الحديث : ٢٩٠٢ . ص ٦٤٩ .



## الجهاد في كلام شوقي وإقبال

ويؤمن شوقي أن غزوات النبي كلها كانت في سبيل الله وللدفاع عن الإسلام وانتشاره. وغزا صلى الله عليه وسلم كل الغزوات في ضوء آيات القرآن الحكيم .  
كما قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ (١)

ويؤيد شوقي أن جميع الأديان انتشرت بقوة السيف إلا الإسلام. كما يقول شوقي:

”وأبي دين بسوى السيف انتشر كم أيدت بالسيف أديان البشر“ (٢)

وأما الإسلام فلا علاقة له بالسيف في نشره وأن السيف رفعه المسلمون لإقامة السلم ورفع الظلم. فيقول:

”كل غزاة للنبي حقه لم يعد في حرب قريش حقه

ليس سواء كلها العوان لا يستوي الدفاع والعدوان

هم بلغوا نهاية التمرد وطرده الإسلام كل مطرد

فكانت الحرب لدفع الحيف قد يؤخذ السلم بحد السيف“ (٣)

ويذكر شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم وثباته في الغزوات ، ويجعل شوقي هذه الشجاعة موضوعاً لممدح النبي صلى الله عليه وسلم .

فيقول:

”والليث دونك بأسا عند وثبته إذا مشيت إلى شاكي السلاح كمي

محبة الله ألقاها، وهيبته على ابن آمنة في كل مصطدم

كأن وجهك تحت النقع بدر دجى يضى ملتثما، أو غير ملتثم

بدر تطلع في بدر فغرتة كغرة النصر، تجلوداجي الظلم“ (٤)

ويبين شوقي في هذه الأشعار شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم فيسميه اسد الله وهو علامة الجرأة والبسالة. وعندما يخرج صلى الله عليه وسلم إلى ميدان الجهاد ، فيغشى عليه نصره الله ومحبة الله ويغشى على عدوه هيبته ورعبه ، وارتسم خوفه على وجوههم .

ويقول زكي مبارك عن هذا الشعر الأخير :

١- سورة التحريم، الآية: ٩.

٢- فهمي، ماهر حسن، الدكتور: شوقي شعره الإسلامي . دار المعارف بمصر، القاهرة، ص ١٥١.

٣- نفس المرجع، ص ١٥٣.

٤- الشوقيات: ٢٠٠/١.

”وهذا شعر جميل لكنه أزق من أن يوصف به ذوو البأس وهم يقارعون الهول في ميدان الجلاء“ (١). ويرى شوقي أن الجهاد بالسيف لا بد منه في الأحوال التي لا مفر منها ولا يجد فيه الإنسان حيلة أخرى ، لأن إصلاح الفساد الذهني في الأفراد والشعوب التي لا تؤمن بالقرآن ولا بالذي أنزل عليه ، لا يمكن إلا بالجهاد في سبيل الله وليست الأدلة العلمية كافية لانتشار الإسلام ، لأن جذور الشر لا تفلح إلا بالبأس الشديد والقوة المرهبة .

ويكتب الشيخ مقتدي حسن أعظمي في مقاله:

”وقد أجاب شوقي في قصيدته عن أقوال المعارضين للإسلام ، ومنها أن الإسلام والنبي صلى الله عليه وسلم قد استخدم السيف لانتشار دعوته ، مهما أن الأنبياء لم يبعثوا لحقن الدماء لأنهم بعثوا رحمة للعالمين ، وقد ردّ شوقي على هذا الاتهام ردّا عنيفا قائلاً بأنه يجب على المعارضين أن يلفتوا نظرهم إلى المسيحية التي حقن الدماء في كل عصر من عصورهم السالفة“ (٢).

يبين شوقي أهمية الجهاد ووجوبه في هذه الأشعار .

ويقول شوقي:

”قالوا: غزوت، ورسل الله مابعثوا	لقتل نفس ، ولا جاء والسفك دم
جهل ، وتضليل أحلام وسفسطة	فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم
لما أتى لك عفواً كل ذي حسب	تكفل السيف بالجهال والعصم
والشرُّ إن تلقه بالخير ضقت به	ذرعاً وإن تلقه بالشر ينحسم
سل المسيحية الغرّاً ، كم شربت	بالصّاب من شهوات الظالم الغلم
لو لا حماسة لها هبّوا لنصرتها	بالسيف ، ما انتفعت بالرفق والرّحم“ (٣)

وقارن شوقي بين الإسلام والمسيحية ، فأراها لم تنشر إلا عن طريق السيف والقوة .

ويقول الدكتور شوقي ضيف :

”وهذا المقطع الخاص بالدفاع عن غزو الرسول مما يردده المبشرون وبعض المستشرقين

عن الإسلام ، وأنه انتشر بالسيف والدم“ (٤).

فنجد في البيت الأول ، يعرض الموضوع كما يصوره بعض أهل الديانات الأخرى تعصباً أو

١- زكي مبارك ، الدكتور : الموازنة بين الشعراء ، ص ٢٣٣ .

٢- أعظمي ، مقتدي حسن : شوقي كى دينى شاعرى (الشعر الدينى لشوقي) ، ص ٤٦٠ .

٣- الشوقيات : ٢٠١/١ .

٤- شوقي ضيف ، الدكتور : شوقي شاعر العصر الحديث ، ص ١٣٧ .

جهلاً. إذ يذكرون أن القتال همجية وتعذيب وإبطال للحياة . ونشر للخراب والدمار، وما لهذا يرسل المرسلون ولكن لا بالقوة والسيف بل بالأخلاق الحميدة انتشر الإسلام ومن اسباب كانتا إشاعته المودة والرحمة . والأبيات الثلاثة من بعده تكرر على هذه القضية بالنقض والتفنيد ، فيذكر أن الرسول صلوات الله عليه لم يلجأ إلى السيف في بدء دعوته ، ولقد بدأ جهاده بشرح الرسالة ، والترغيب فيها ، والاحتجاج لها، فاتبعته جمهرة أهل الرأي السديد والحسب الشريف عن طواعية أنفسهم ، وأمر أهل الحقد والضلالة والعناد على مناهضة دعوته ، والكيد له ، والافتنان في إيدائه وإيذا أصحابه . ولكن لما اشتد الكفار على المسلمين وحاولوا بضرب الإسلام فاضطر إلى الحرب ضدهم وأصبح استخدام السيف لقلع الشر ضروريا ولمصلحة عامة الناس وأمن المجتمع الإنساني .

أما بقيه الأبيات فتسوق الشواهد من التاريخ على أن القتال ضروري لا مفر عنها في نشر الدعوات وحماتها، وفي إقامة الملك وتثبيت دعائم السلطان ، ولم يتح لها الظهور والأمن إلا في كنف السلطان ، ولا قدر لها الذيوع إلا في أثر الفتوح وتحت ظلال السيوف ، وكانت الأمم ولا تزال تعول على القتال في إحقاق الحقوق وإبطال المظالم وتأسيس الدول ، وإقرار النظام .

ويقول الدكتور زكي مبارك في هذا الصدد:

”أما شوقي فقد أبان عن حكمة الجهاد ، وأفصح عنها إفصاحاً وقد رأى لتأييد حجته أن

يضرب المثل بالمسحية فقد كانت دين سلام ورخاء ، ولكنها لم تقم إلا بالسيف“ . (١)

وقد رسم أحمد شوقي جند النبي صلى الله عليه وسلم في ميدان الحرب في صورة وأفرادها

أقوى من الأسد وهم يلمعون كالبرق الخاطف على رؤوس أعدائهم وعلى الكفر والضلال إذ كانوا سيوفاً من سيوف الله الذي لا يتسطيع أحد أن ينكسر .

ونلاحظ أن شوقي في قوله:

”علمتهم كل شئ يجهلون به حتى القتال ومافيه من الذمم

دعوتهم لجهاد فيه سئوددهم والحرب أسس نظام الكون والأمم“ (٢)

فالإسلام يحث في القتال على الإحسان والوفاء بالعهود ، وينهى عن البغي والكذب ونقض

العهد ، وعن قتل الأطفال والنساء والمنقطعين للعبادة والتبتل ، وعن قتل الماشية ، واتلاف الأشجار

والزروع ، فالمختصر دين الإسلام دين الرحمة والعاطفة . فالرسول صلى الله عليه وسلم كان كالقمر

والصحابة رضوان الله عليهم اجمعين كالنجوم التي تلالأ في السماء وتضي في ظلمات الليل

وتهدي إلى خير السبل فضحوا أنفسهم في سبيل الإسلام ونشر الدين الحنيف والدعوة الإسلامية في

١- زكي ، مبارك ، الدكتور : الموازنة بين الشعراء ، ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ .

٢- الشوقيات ، ٢٠٢/١ .

أقطار العالم كلها، فقال الله سبحانه وتعالى عنهم في القرآن الحكيم:

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (١)

وأعمال المجاهدين جليلة في ميدان الحرب، وقد أهدى الشعراء المادحون عواطف الشكر والامتنان إلى أهل النبي الأطهار والصحابة كرام على خدماتهم العظيمة في هذا السبيل .  
فصور شوقي جميع أعمالهم الحربية بتصوير حسن وألفاظ مبتكرة.

أما إقبال فتناول هذا الموضوع في معنى أوسع، ويؤمن أن حياة المسلم كله عبارة من الجهاد، وهذا الوصف الخاص للإسلام ويقرر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بغزواته أن الجهاد يلزم لبقاء الإنسانية ولبقاء الخير وإن لم يكن المسلمون يتصفون بصفة الجهاد فلا يبقى لهم أي دور في العالم ديناً وسياسة.

فننظر أن حياة محمد صلى الله عليه وسلم كانت مملوءة من وصف الشجاعة والجرأة من ولادته إلى وفاته . وتحمل كل المصائب والنوائب والآلام بأذى الكفار، ولكن لبث بالهدوء أبداً، ولما علم أن الكفار مازالوا يؤذونه وأصحابه فيضع السيف في يده لرفع ظلمهم ولإعلاء كلمة الله . فنزل في ميدان الحرب كالأسد ويغلب على كل العناصر الفاسدة، لا ريب كان محمد صلى الله عليه وسلم شاباً باسلاً، ولا يخاف أحداً إلا الله، وكان يؤمن بأن الله ينصره في كل مجال . كما قال الله تعالى في القرآن الحكيم .

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ (٢)

وغزا صلى الله عليه وسلم الغزوات كلها بالمتانة والوقار وبهدوء القلب وبالإيمان بالله، ونجد الامثلة من التاريخ، عندما وجلت نفوس المسلمين في الحرب الشديد، ففي ذلك الوقت ثبت النبي صلى الله عليه وسلم أمام الكفار وشجع أصحابه في حالة حرجة وخطرة . وقام بنفسه في الصف الأول ورفع الهتاف بالتهليل بكل الإيمان واليقين . وعندما سمع المسلمون هذا الهتاف التفوا حوله وهجموا على الأعداء بكل شجاعة وبسالة . أما سيف النبي صلى الله عليه وسلم فنراه كالبرق اللامع ضد الكافرين .

ويبين إقبال أوصاف سيف النبي صلى الله عليه وسلم ويقول في ميدان الحرب كان سيفه كالحديد الصارم، ولكن مع ذلك الشجاعة والبسل، عندما يؤدي صلاته، انهمرت الدموع من عيونه، وفي أيام الحرب دعا الله بالخشوع والخضوع وبهدوء القلب، ويرطب شفثيه بذكر الله بكرة وأصيلاً . ولدى إقبال كان سيفه صلى الله عليه وسلم في أيام الحرب لا نهزام الكفار وكانت الدموع

١- سورة البينة، الآية: ٨.

٢- سورة الأنفال، الآية: ١٧.

تسيل منه صلى الله عليه وسلم وقت الصلاة التي كانت لشفاء امته . كما يقول إقبال:  
 ”وقت هيجاً تيغ او آهن گداز ديدۀ او اشكبار اندر نماز  
 در دعائے نصرت آمين تيغ او قاطع نسل سلاطين تيغ او“ (١)  
 وفي وقت اليأس والجدل كان سيفه كالحديد و أثناء صلاة سالت عيونه بالدموع ، فدعا  
 للفتح والنصرة وسيفه كأمين الذي قطع نسل السلاطين والامراء .

ثم يبين إقبال أن المؤمن يعرف أهمية الجهاد ويعلم أن كل إقدامه للحق ، ولما يخرج من  
 البيت إلى ساحة الجهاد ، فهو متقين أن الفلاح والفوز له على كل حال ، وأنه إن عاد حيا من ميدان  
 الحرب ، سيتمتع لرؤية عظمة الإنسان ، ولو نال مقام الشهادة في ميدان الحرب ، فيعلم أن الله يشتري  
 نفس المؤمن بعوض الجنة ، كما قال الله سبحانه وتعالى في القرآن الحكيم :

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَلَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ (٢)

فيفرح المسلم بكلتا الحالتين ولا يبالي بنفسه قط في سبيل الله : كما يقول إقبال :

جنگ شاهان جهان غارت گری است	جنگ مومن سنت پیغمبری است
جنگ مومن چیست؟ هجرت سوئ دوست	ترك عالم، اختیار کوہ دوست
آنکه حرف شوق با اقوام گفت	جنگ را رهبانی اسلام گفت
کس نداند جز شهید این نکته را	که بخون خود خرید این نکته را“ (٣)
الملوك حاربوا من أجل سلب	كالنبي مؤمن في خوض حرب (٤)
وبها يمضي إلى دار الحبيب	يهجر الدنيا لوصول من قريب
قال للقوم النبي ذوالمحماد	راهب الإسلام من كان المجاهد (٥)
الشهيد وحده هذا دراه	بدم أجراه في الحرب اشتراه“ (٦)

ويبين إقبال هذه النقطة في موضع آخر كذلك :

تيغ بهر عزت دين است وبس	مقصد او حفظ آئين است وبس“ (٧)
ويستخدم المسلم سيفه لعزة الدين فقط	وغايته حفظ دستور المسلم فقط

- ١- زيب النساء سرويا: مقاله ، كلام إقبال ميں انبياء كرام كا تذكرة، حضرت محمد إقبال كى نظر ميں (الأردنية) تذكرة الأنبياء في كلام إقبال ، سيدنا محمد في عيون إقبال ، ص ٣١٦ .
- ٢- سورة التوبة ، الآية : ١١١ .
- ٣- كلييات إقبال (فارسي) جاويد نامه ، ص ٣٤٨ .
- ٤- أي أن المؤمن يشبه النبي صلى الله عليه وسلم ، ويقتدي به في الجهاد .
- ٥- الإشارة إلى قوله صلى الله عليه وسلم : ”الجهاد رهبانية الإسلام“ .
- ٦- الترجمة العربية : المصري ، د . حسين محيب : رسالة الخلود ، ص ٣١٣ .
- ٧- كلييات إقبال (فارسي) رموز بے خودی ، ص ٢٤٨ .

ولدى إقبال ، السيف والقرآن هما أساسان لازمان لحياة المسلم في الدنيا والآخرة ، وینال العزة والسمو بهما في الدنيا وبهما ينال الكرامة في القبر ورضوان الله في الآخرة .  
كما يقول إقبال:

”مومنان را تیغ با قرآن بس است تربت ما را همین سامان بس است“ (۱)  
الكتاب والحسام حسبنا بهما یزدان حقاً قبرنا“ (۲)

ثم یذكرنا ”إقبال“ بأسلافنا الذين عرفوا قيمة الجهاد وجاهدوا في سبيل الله لنشر دين الإسلام، ففتحوا الممالك وحكموا الدول، بعد أن وطعت خيولهم القلاع والحصون ، وما اشترؤا هذا المجد إلا بدمائهم ، فهو یذكرنا بهذه الحقيقة .

تھے ہمیں ایک تیرے معرکہ آراؤں میں خشکیوں میں کبھی لڑتے، کبھی دریاؤں میں  
دیں اذائیں کبھی یورپ کے کلیساؤں میں کبھی افریقہ کے پتے ہوئے صحراؤں میں  
شان آنکھوں میں نہ جچی تھی جہاں داروں کی کلمہ پڑھتے تھے ہم چھاؤں میں تلواروں کی“ (۳)  
من ذ الذي رفع السيوف ليرفع اسمـ ك فوق هامات النجوم منارا  
كنا جبالا في الجبال أذاننا قبل الكتائب يفتح الأمصارا  
لم تنس إفريقيا ولا صحراؤها سجداتنا والأرض تقذف نارا  
وكان ظل السيف ظل حديقة حضراء تنبت حولنا الأزهارا“ (۴)

ولدى إقبال یولد المسلم فقط لكي یقطع جذور الشر والفساد من الدنيا و یقیم الدولة العادلة، فلهذا الأمر ”الجهاد والعمل“ لازم، وإقبال یشبه ”المسلم“ بالصقر، وهو یطير إلى علو السماء، فیلزم على الشاب المسلم أن یزین نفسه بهذه الخصوصية، فلو اختار العزلة من السماء فهو مجرد عن صفات الصقر، فكذلك لو طرأ على المسلم كيفية الجمود والیأس، ولم یبذل جهوده لا علاء كلمة الله، فمعناه أنه لم یتصف بصفات المسلم، والمسلم الصادق یحب الجهاد (۵) وانتشار الإسلام ولا یبالی بحیاته في میدان الحرب .

ویصف ”إقبال“ المؤمن المجاهد القوي الذي كان ینطلق كالسهم النافذ إلى قلب العدو، بعد أن یکبر تکبیره في میدان الجهاد، فیقول:

- ۱- کلیات إقبال (فارسی) جاوید نامه، ص ۲۹۰.
- ۲- الترجمة العربية: المصري، د. حسین محیب: رسالة الخلود، ص ۲۸۶.
- ۳- کلیات إقبال (الأردنية) بانگ درا، ص ۲۹۱.
- ۴- الترجمة العربية: المصري، صاوي شعلان، الشيخ: صلصلة الحرس، ص ۹۴.
- ۵- هاشمي، شفیق الرحمن بروفسور: إقبال کا تصور دین (الأردنية) (تصور الدین عند إقبال). لاهور، پاکستان: ص ۳۷۷-۳۷۹.

”ذلك المؤمن المجاهد يغشى غمره الحرب، والردى يخشاه  
تحت ظل السيوف ماضي قوي درعه لا إله إلا الله“ (١)  
فتيقن إقبال أن الجهاد لا بد لحياة المسلم ورقى لإسلام، وبدون الجهاد لا يمكن أن يعيش  
المسلمون على الأرض حياة العزة والمجد.  
فهكذا يبين إقبال تصويراً واضحاً لغزوات النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في ميدان  
الحرب، وأشعاره كالمرأة التي ترى تصوير جهاد مسلمي القرون الأولى بكل وضوح.  
ويقول شوقي: قد دعا الإسلام إلى السلم والأمن، فلم يستجب خصومه.  
ولا عجب في أن يكون الإسلام دين الأمن والسلم، وهو يسمي دار السلام (٢) ويجعل  
التحية فيها سلاماً (٣).

كما يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الحكيم:  
﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (٤).  
ودين الإسلام دين الرحمة ودين السلام. وعندما يلتقى المسلمون بعضهم بعضاً يقولون  
”السلام عليكم“ وهو تحية المسلمين كما يرسل في صلاتهم تحية والسلام على المسلمين كلهم.  
وعند شوقي كما ذكرنا من قبل، أن المسلمين لم يحاربوا الخصوم إلا دفاعاً عن النفس  
والعقيدة. ولكن بعضاً من المعترضين وخصومي الإسلام يتهمون الإسلام بدين الحرب وأنه يجبر  
الناس على اعتناقه بالسيف ويسد طرائقهم الحرية لاختيار دينهم ولكن كل ذلك اتهام يخلوا عن  
الحقيقة، فلا تشريب على الإسلام في أن يضطرهم إلى ما فيه خيرهم ورشادهم، فهو دين كالمرابي  
المخلص الحازم، ومن خصائصه، هو يفتح القلوب بأخلاقه وحسن سلوكه، وهذا السبب الخاص  
لانتشاره بالسرعة.

ثم يتجه شوقي إلى التاريخ ويستمد منه البرهان على أن الشر من شأنه أن يتعاصى ويتمرد على  
الخير. فيقول:

إن المسيحية تعرف مقدار ما عانت من تشريد وتقتيل وتحريق، ويستمر هذه السلسلة إلى أن  
تنصر قسطنطين (٣٠٦-٣٣٧م) ولم تستقر ولم تنتشر إلا بقوه ملوكها، فكم من ملك أو أمير أذاع

- 
- ١- الترجمة العربية: شعلان، صاوي على، والاعظمى محمد حسن: إقبال كالفلسفة حيات وموت (بالعربية والأردية) (فلسفة إقبال في الحياة والموت)، كراتشي، باكستان: ١٩٦٩م، ص ٣٤.
  - ٢- سورة الأنعام، الآية: ١٢٧.
  - ٣- سورة الأحزاب، الآية: ٤٤.
  - ٤- سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

المسيحية أو نشر الكاثوليكية بسيفه مثل شارلمان وملوك فرنسا وقيصرة بيزنطة وروسيا وملوك  
المجر وغيرهم ، لهذا يعلم أتباع المسيحية أنفسهم أنهم طالما شربوا كئوس الظلم دهاقا من أيدي  
حكام طغاة ، فلما هب لحمايتها وحمايتهم ملوك أقوياء نكلوا بالوثنية وطاردوا أتباعها أمنت  
المسيحية، ولولا هذه الحماية القومية مانفع المسيحية اعتمادها على الرحمة والرفق  
والاستسلام". (١)

وختم دفاعه ببرهان آخر من حياة السيد المسيح نفسه ، فقال إن أعداءه قبضوا إليه ، لأنهم  
أقوياء وهو ضعيف ، لكن الله نجاه من أيديهم .

كما يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الحكيم :

﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ، وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ، مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ  
عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ، بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (٢)

ثم يعود شوقي في القصيدة إلى الحرب ، فيقول إن النبي صلى الله عليه وسلم عرف قوانين  
الحروب وما تقتضيه من ذمم ويجاهدون في حماية دينهم ووطنهم ، على أن أراء شوقي في الحروب  
الإسلامية الأولى لا تخرج عن أنها حروب للدفاع عن العقيدة والحق ، فهي جهاد عظيم. كقوله في  
مخاطبة الرسول :

”كم من غزاة للرسول كريمة	فيها رضا للحق أو إعلاء
كانت لجند الله فيها شدة	في إثرها للعالمين رخاء
ضربوا الضلالة ضربة ذهبت بها	فعلى الجهالة والضلال عفاء
وعموا على الحرب السلام وطالما	حقنت دماء في الزمان دماء“ (٣)

وفي رأى شوقي أن الحرب كانت علاجاً لتطهير النفوس من أرجاس الوثنية ، وهذا داء عضال  
لا تشفى منه إلا الحرب التي تقضى على بعض الناس لإحياء بعض حياة تليق بالإنسان ، كما يتر  
الطبيب عضواً سرطانياً ، فكذلك الجهاد لا بد لشفاء الإنسانية .

ويقول شوقي :

فرأى الله أن تطهر بالسيـ	ف وان تغسل الخطايا الدماء
وكذلك النفوس وهي مراض	بعض أعضائها لبعض فداء
لم يعاد الله العبيد ولكن	شقيت بالغباوة الأغبياء

١- أحمد الحوفي ، الدكتور : الإسلام في شعر شوقي ، ص ١٨٧ .

٢- سورة النساء ، الآية : ١٥٧ .

٣- الشوقيات : ٤٠ / ١ .



وإذا جَلَّت الذنوب وهالت فمن العدل أن يهول الجزاء“ (١)  
ولا شك أن شوقي يدافع عن الإسلام بشعره وأفكار متلاحقة وبراهين مقنعة. وشوقي يرى  
الحرب ضرورة أحيانا لا مفر عنه ، ويستدل من التاريخ على صدق رأيه ويعرض تصوير غيرة المسلمين  
لدينهم .

ثم يقول شوقي غضب رسول الله لله وحبه لله . كما يقول :

”وإذا غضبت فإنما هي غضبة في الحق لا ضغن ولا بغضاء

الحرب في حق لديك شريعة ومن السموم الناقعات دواء“ (٢)

وفي رأي شوقي هدف الحرب في الإسلام هو تقوية السلم ودعائه لبقاء الإنسانية. ووسيلة  
لحقن الدماء ، ولا نقطاع جذور الشر والفتنة والفساد .

ويؤمن إقبال أن حياة محمد صلى الله عليه وسلم كلها عبارة عن جهاد وهو الذي حرر  
الإنسان من عبادة الأصنام الباطلة ، وأخبرنا أن الإنسان سيد هذه الأرض ، وكل الكائنات  
وموجوداتها مسخرة للإنسان ، فيدرسنا أن نعبد لها واحداً ، وهو الذي خلق السموات والأرض ، فلا  
يجوز لإنسان أن يكون عبداً للكاهن وعابداً للصنم المنحوت ولا يحق له ان يسجد لرام(٣)  
وكرشن(٤) وسيتا(٥) وقطعان القردة(٦) والحياة والأبقار ونهر كنكا وجمنا والشمس والقمر  
والنجوم. فحين قال النبي صلى الله عليه وسلم ”لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ“ حطم جميع الألهة الباطلة ، ولكن ما  
أمكن هذا إلا بالجهاد ، فلهذه وقعت بدر وحنين وفتح مكة وفتح خيبر وتطهير الجزيرة وتحريرها .

١- أحمد الحوفي ، الدكتور : الإسلام في شعر شوقي ، ص ١٩٠ .

٢- الشوقيات ، ٣٨/١ .

٣- رام: هو معبود لمذهب الهندوكية ، وكان رجلا متقيا ، ولد في بيت ”دشرتها“ (ملك ابودها) وكانت أمه  
كوشليا، وهو كان ابنا اكبر لأبيه ، فاختره أبوه للسيادة المملكة ولكن كانت زوج أبيه ”كيكشي“ كانت أرادت  
المملكة لأبنها بهرت ، فلهذا أجبرت زوجه لأبعاد رام عن وطنه ، فأنفاه مع زوجته ”سيتا“ وأخيه ”لكشمن“ .  
وخلال منفاه حارب حربا ضد راون (صورة الظلم والاستبداد) هو الذي اختطف زوج رام ”سيتا“ فقتله وهكذا  
استخلصه الناس من ظلمه ، وقصة حياته موجودة في كتاب المقدس ”رامائن“ .

٤- كرشن: هو معبود لمذهب الهندوكية أيضاً، ولد في دواريتا ، وكانت امه ”ديوكي“ ، ولكن أحها كان عدوها  
وكان يقتل أولادها عند وقت ولادتهم . لأن كان يعرف أن يقتل بيد ابن أختها ، ولكن حفظت أمه ابنها كرشنا،  
وأبعده عنها لحياته . ورعى كرشنا في بيت يشودا ، ولما صار شابا قويا قتل أخ أمه ، وقصة حياته موجودة في  
كتابه المقدس ”مهابهارت“ .

٥- سيتا: هي زوجة وفيه لرام . ونجد قصتها في كتاب ”رامائن“ .

٦- هنومان : وهو معبود هندوكي أيضاً، وساعده رام في حربه ضد راون ، ونجد ذكره أيضا في رامائن .

يعنى الحياة وسرورها كامنة في الجهاد . ويقول إقبال:

”ہر مسلمان رگِ باطل کے لئے نشتر تھا  
جو بھروسا تھا اُسے قوت بازو پر تھا  
باپ کا علم نہ بیٹے کو اگر ازبر ہو  
”جہاد المؤمنین لهم حياة  
عقائدهم سواعد ناطقات  
وخوف الموت للأحياء قبر  
أرى ميراثهم أضحى لديكم  
وليس لوارث في الخير حظ  
وإلا إن الحياة هي الجهاد  
وبالأعمال يثبت الاعتقاد  
وخوف الله للأحرار زاد  
مضاعفا حيث قد ضاع الرشاد  
إذا لم يحفظ الإرث اتحاد“ (١)

وبالروح الجهادي كان المهاجرون والأنصار قادة في السياسة ورواة للحكمة وحفظة للقرآن ومحررين للبشرية .

ويبين إقبال تلك الأوصاف كذلك :

”إذا كانت الأقدار سراً محجبا  
جهاد الفتى يعلو به فوق قدره  
بنور جهاد الحي سار محمد  
يكبر جنده الله حول ركابه  
أرى فرصة الأعمال ومضة بارق  
إلى الفوز جاهدا ما استطعت ولا تتم  
إذا العزم نادى فارم سهمك ساعدا  
على قبة الأفلاك وامض عظيما“ (٣)

وكانت تلك هي التربية ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تولت تربية الأجيال بعد الأجيال وهي التي شهرت سيف صلاح الدين (٤) ، فقاوم أوربا وحيدا وهي تلك المحبة التي أوقدت

١- كليات إقبال (الاردية) بانك درا، ص ٣٥٦.

٢- الترجمة العربية : المصري ، صاوي شعلان ، الشيخ : صلصلة الحرس ، ص ١٠٦ .

٣- امجد حسين ، سيد أحمد ، الدكتور ، و ، ابراهيم محمد ابراهيم ، الدكتور : شاعر الشرق محمد إقبال : القاهرة ، مصر : ١٩٩٧ م ، ص ١٠٧ .

- وانظر : شعلان ، صاوي علي ، الشيخ : ايوان اقبال : مختارات من شعره ، مطابع سجل العرب ، ١٩٧٧ م ، ص ١٢٤ ، ١٢٤ .

٤- خليل ، الأشرف صلاح الدين ، هو كان من سلطان المملوك ، ولد في تنكرت في سنة ١١٣٨ م . وقتل على يد اميره سنة ١١٩٣ م .

نارا العشق في قلب أبي يزيد البسطامي فاجتذب إلى الإيمان والتوحيد في قلوب المئات من الكفار، تلك هي محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، التي فاضت في قلوب الأولياء عشقاً كان من علامته جلال الدين الرومي، (١) والغزالي (٢) وأضاءت للعقول تفكيراً كان من أبطاله أمثال الرازي (٣) وابن رشد (٤) وغيره .

وكان دعوة إقبال دعوة محمد صلى الله عليه وسلم، دعوة إلى الحياة والقوة والأمل والعمل، وترك اليأس والمخاوف والخضوع، فدعا إقبال شباب المسلمين إلى ايقاظ القلب والشعور، وأعلاء همهم، فهلا تدبر الشباب هذه الدعوة واستجابوا لها، فاخترتوا المعالي، وعرفوا شرف الوجود، فحصلوا على أفضل الموجود، ولم يقفوا في السبق إلى الغايات عند حد محدود، أنهم إن يفعلوا هدوا إلى الخير وهدوا إلى صراط مستقيم. (٥)

فأثار إقبال شباب المسلمين باشعاره قائلاً:

لا تسلني الآن عن ثورته	أنها ميدان بدر وحنين
في أبي بكر وفي صاحبه	في علي ثم في صبر الحسين
سيف أيوب وتقوى بايزيد	فيهما مفتاح كنز العالمين
ها هنا الحكمة والدين القويم	وهناك الحكم للدينيا يقيم
لا تقل أين ابتكار المسلمين	وسل الحمراء واشهد حسن تاج
أشعل الإيمان ناراً بالعراء	أوقد النور يكف من تراب
راكب الناقة في صحرائه	سار فيها راكبا خيل القدر
كبرو الله في ظل الحروب	وصفوفاً تحت ظل المسجد“ (٦)

- ١- جلال الدين الرومي، هو شيخ إقبال، وقد سبق ذكره من قبل هذا.
- ٢- غزالي، هو أبو حميد محمد بن محمد الطوسي، ولد في سنة ١٠٥٨م في إيران وتوفي ١٨ ديسمبر سنة ١١١١م، وكتب كتابه المعروف احياء علوم الدين في أربعين مجلدة .
- ٣- هو ابو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين فخر الدين الرازي، هو العالم المسلم، ألف نحو مائة كتب ولكن تأليفه "مفاتيح الغيب" اكتسب شهرة كاملة، ولد في سنة ١١٤٩م في إيران وتوفي سنة ١٢٠٩م في الخوارزم.
- ٤- هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد ابن رشد، وكان فلسفي، ولد في سنة ١١٢٦م في كاردابا (الاندلس) وتوفي سنة ١١٩٨م .
- ٥- انظر: محمد موسى كامل: إقبال، من اولئك الاحاد الذين وهبو نفسه لنتفح الإنسانية، ص ٦١.
- ٦- شعلان، صاوي علي، الشيخ: ايوان إقبال: مختارات من شعره، ص ٥.

ويرى إقبال أن الحياة جهاد دائم. ويقول إقبال لإنسان اليوم:

”ولك الوقت والتصريف فيه ليس ياغراً للنجوم غناء  
أين منك الأفلاك؟ إنك حر وهي قهر ذهاباً والاياب“ (١)

وعندما علم المؤمن هذه الحقيقة نال الحرية الكاملة من العبودية، وعرف أن الإنسان العبد لا عزة له ولا مقام له في المجتمع إلا الضلالة والعجز. وفي رأى إقبال الفرق بين المؤمن والكافر هو أن المؤمن يسخر هذا العالم ويقنح عقباته إلى مقاصده العليا، وتضل فيه الآفاق، أما الكافر فيضل في الآفاق.

يقول إقبال في ديوانه ”ضرب كلیم“.

”كافر کی یہ پہچان کہ آفاق میں گم ہے  
مومن کی یہ پہچان کہ گم اس میں ہے آفاق“ (٢)

إنما الكافر حيران  
له الآفاق تيه

وأرى المؤمن كونا  
تاهت الآفاق فيه“ (٣)

أن المؤمن يكون دائماً متحمساً ومستيقظاً مجدداً للعمل في كل الوقت، والكافر أو العبد عاجز لا يتكرر ولا يجدد.

ويقول في أسرار خودي:

”عبد را تحصیل حاصل فطرت است  
از گران خیزی مقام او همان

دمدم نو آفرینی کار خُر  
نغمه پیهم تازه ریزد تار خُر“ (٤)

فطرة العبد حصول الحاصل  
ليس في تفكيره من طائل

في مقام من همود راكد  
نوحه ليلاً وصباحاً واحد

ومن الحرّ جديد الخلقه  
كل حين، وحديث النعمة“ (٥)

ويبين ”إقبال“ بعد ذلك أن الحالة قد تغيرت، وأفكار الأقوام قد تبدلت، واستحكم الجبن في قلوب كثير من المسلمين، وتركوا العمل والسعي وتخلفوا عن ركب التمدن. ولم يعد لهم دراية بالجوهر الإنساني أو قوة الذات بل يتسوا من الرقي والتمدن ومن هنا كانت دعوته إلى العمل والأخذ

١- عزام، عبد الوهاب، الدكتور: إقبال، فلسفة إقبال، فلسفة إسلامية أساسها القرآن، ص ٥١.

٢- كليات إقبال (الاردية) ضرب كلیم: ص ٨٨٧.

٣- الترجمة العربية: عزام، عبد الوهاب، الدكتور: ضرب كلیم، ص ٤٢.

٤- كليات إقبال (فارسي) اسرار خودي، ص ١٧٢.

٥- الترجمة العربية: عزام، عبد الوهاب، الدكتور: أسرار أثبات الذات، ص ١٧٥.

- وانظر: عزام، عبد الوهاب، الدكتور: محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، ص ١٦٦، ١٧٦.

من الرقي ومقتضيات العصر ما يناسب.

ويصور إقبال تصوير "المسلم الحاضر" في شعره قائلاً:

"لم يبق في يد مسلم درع ولا سيف يصول به ليوم جهاد

ولو أنه وجد السيوف فهل له ذوق الخلود وحب الاستشهاد" (١)

وإقبال يدعو المسلم إلى الجهاد بل إن من أهم معالم رسالته الدعوة إلى الاعتماد على النفس، فإن أكبر داء الشرق عامة والمسلمين خاصة فقدان عزة النفس وضياع علو الهمة. فيقول إقبال يخاطبهم:

"اعرف حقيقتك أيها الزارع، لأنك أنت الحب وأنت المزرعة وأنت الماء وأنت المحصول، هل يرتعش قلبك من خوف الطوفان مع إنك أنت الريان وأنت البحر وأنت السفينة وأنت الساحل، وأسفاه على جهلك لأنك أصبحت محتاجاً إلى الساقى". (٢)

وكان إقبال يؤمن بالدين إيماناً قويا ويعتبره في قمة التجارب الإنسانية، ويحرص كل الحرص على بقاءه وظهوره على صورته الحقيقية وهذا الدين لا يتمثل عنده إلا في الإسلام، ولذلك يحزن إقبال لتأخر ركب الإسلام بسبب تخلف المسلمين وقوعهم في أوهام شتى خرافات وتناسيهم إسلامهم ومجدهم العريق، وآمن إقبال بالجهاد وحين قامت تلك الطائفة التي تنكر الجهاد، فيعلم أنهم يخافون الموت، فهم شاكون في لقاء الله وفي الخلود، ثم هم يعبدون المال ويؤثرون الحياة الدنيا، لذلك يخشون أن يموتوا فيحرموا مما هم فيه من نعيم زائل، ويحكم "إقبال" على هؤلاء بأنهم فقراء، وأن أموالهم لا تساوي التراب، وعلى كل حال سيموتون طوعاً وكرهاً. فيقول:

"المؤمن الحق كان الله غايته والله كان لديه السمع والبصرا

والآن أضحي إله المال كعبته وخوفه الموت أفناه وما شعرا

يا مؤمنا بلقاء الله مالك في ذعر من الموت قد أشجعت من كفرا

قد عاد قلبك ميتاً بين أضلعه كأنه في حنايا الصدر قد قبرا

من كان يحسب أن الموت هاوية وأنه عدم يستأصل البشرا

فناز آماله ينحط عنصرها إلى التراب ويلقى الموت محتقرا" (٣)

١- شعلان، صاوي علي والأعظمي، محمد حسين: الحياة والموت في فلسفة إقبال العربية والأردنية، من قصيدة الأردنية، ص ٣٦.

٢- عبد الحميد إبراهيم، سمير: ديوان ارمغان حجاز، ص ١٦.

٣- شعلان، صاوي علي، والأعظمي، محمد حسن: الحياة والموت في فلسفة إقبال (من قصيدة الأردنية)، ص ٣٩.

فحاول "إقبال" أن يبدد من النفوس استسلامها إلى الدنيا وإخلادها إلى نعيمها الزائل ،  
ودعانا إلى الحذر منها والاحتياط منها، فيقول:

"مثل الحياة كطائر مترنم      غنى فأرقص حوله الأزهارا  
ما كان أعذب لحنه لكنّه      كالحلم حلّق في الفضاء وطارا  
لا يعلم الإنسان كيف أتى إلى      دنيا المتاعب أو متى ما يرحل  
إن الحياة شرارة لم تبتسم      إلا لتجعلنا لها أخطابا  
في عرس دنيانا مأتى للردى      تطوى شيوخا في البلى وشبابا  
إن الحياة على الأنام بخيلة      بدوامها والعيش غير مخلد" (١)

ولا ريب أن الله تعالى هو المنفرد بالبقاء ، أما مخلود الإنسان فهو من تقدير الله في الأزل ، إلا  
أن هذا الهيكل الترابي لا بد أن يمر عليه الموت ، وعند إقبال أفضل الموت هي التي تقع في ميدان  
الجهاد ، فلحظة من عمر الأسد خير من حياة الشاة مائة عام (٢) ، وإلى ذلك المعنى يشير في هذه  
الآبيات ، فيقول:

العمر لا يقاس بالأعوام      والعقل لا يقاس بالأجسام  
واليوم من عمر أسود الأجم      بألف عام من حياة الغنم  
عش ساعة في لجج البحار      ومث شهيد المرح والتيار  
ولا تعش دهرأ كعيش الخامل      مقيداً بين صحورا الساحل" (٣)  
والمؤمن يطلب من الله الموت ، التي تعطيه الحياة الأبدية وهي الشهادة في سبيل الله في  
ميدان الحرب .

كما يقول إقبال :

"مرد مومن خواهد از يزدان پاك      آن دگر مرگي كه بر گيرد ذخاك  
آن دگر مرگ انتهاي راه شوق      آخرين تكبير در جنگاه شوق" (٤)  
ما يرّجّي مؤمن من ربه      موت إطلاق له من ترّبه  
لطريق الشوق هذا الموت غاية      وهو للتكبير في حرب نهاية" (٥)

- ١- شعلان ، صاوي على ، والاعظمي ، محمد حسن: الحياة والموت في فلسفة إقبال (من قصيدة الأردية) ، ص ٤٧ .
- ٢- مقولة ، سلطان تيبو شهيد .
- ٣- شعلان ، صاوي على ، والاعظمي محمد حسن: الحياة والموت في فلسفة إقبال ، ص ١٢٧ .
- ٤- كليبات إقبال (فارسي) جاويد نامه ، ص ٣٤٦ .
- ٥- الترجمة العربية : المصري ، د . حسين محيب : رسالة الخلود ، ص ٣١٢ .

وكان أكثر من مائة وعشرين إصابة على جسم القائد الإسلامي خالد بن الوليد (١) وهو فخور بتلك الجروح ، إلا أن فخره هذا كان ينقصه الاستشهاد ، ونرى إقبال يرثيه ، فيقول:

”مات ولكن لم يمت      فهو مخلد الثناء  
له من الذكرى حياة      لا يشوبها الفناء  
إن الحياة في الجهاد      والخلود للعمل“ (٢)

ثم يتحدث ”إقبال“ عن المؤمنين وصفاتهم ومواقفهم في الحياة وكيف ينبغي لهم أن يكونوا أقوياء ، معززين ومكرمين ، فيقول:

”المؤمنون على عنا      ية ربهم يتوكلون  
لا خوف يفزعهم ولا      هم في الحوادث يحزنون  
لأراك في الإفصاح ها      رونا وفي الإيمان موسى  
إنى رأيت الخوف في      الدنيا عدواً للعمل  
هو مطفى نور الرجاء      ء وسالب كنز الأمل  
يرمى الإرادة بالتنزل      زل والعزيمة بالخور  
ومن احتواه الخوف      لا يجني من الروض الثمر  
المؤمنون لهم من الـ      مولى أمان الأولياء  
بلغوا الكمال عن الد      نيا العريضة أغنياء“ (٣)

فإقبال ينصح أن لا يهمننا أن نعيش طويلا ، ولكن يهمننا أن نعمل عملا جليلا ، بأن الأحياء في الحقيقة هم الذين جاهدوا في حياتهم لازالة السوء من أنفسهم، ويضرب إقبال لنا من حياتهم الأمثال، مشيرا إلى أن حياة الدنيا ميدان العمل والكفاح ، ليكون لنا دور عظيم في الحياة.

فيقول:

”بنور الجهاد الحي سار محمد      بجيش على راياته الفوز اكليل  
إلى الفوز جاهد ما استطعت لا تنم      ففي القبر نوم بعد ذاك طويل

١- خالد بن الوليد ، كان في حياته الاولى من أعداء الإسلام وقام ضد محمد صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد

(٦٢٥م) ولكن شرف بالإسلام بعد فتح مكة ٦٢٩م، وبعد قبول الإسلام نشر الإسلام بقوة عزمه وبقوة إيمانه، ويلقب بسيف الله ، ومضت كل حياته في ميدان الجهاد ، وتوفي ٦٤٢م.

٢- شعلان ، صاوي علي ، والأعظمي ، محمد حسين : الحياة والموت في فلسفة إقبال ، ص ١١٧ .

٣- نفس المرجع ، ص ١١٧ .

منازل وادى الصامتين على البلى      ستبقي بها حتى النشور مقيماً“ (١)

فهكذا إقبال يحث المؤمن على الجهاد ويقرر من الأمثال أن حياة المؤمن في الجهاد و عزة القوم في الجهاد . فنرى أن شوقي وإقبال هما يؤكدان على الجهاد لبقاء المسلمين والإسلام ، وهما يتفقان على أن الإسلام انتشر بقوة الدين وبقوة الأخلاق لا بقوة السيف ، كما يتهمه بعض من أعداء الإسلام والحقيقة أن ما رفع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم السيف لنفسه . ولكن للدفاع عن الدين . ونجد أسلوبهما وفكرهما في هذا الموضوع رائعاً جداً.

- 
- ١- الطرازي ، عبد الله مبشر ، الدكتور : المفكر الإسلامي الكبير العلامة الدكتور محمد إقبال . جلد: ١٧٠٧/هـ ١٩٨٧م ، ص ٣٧ .
- وانظر للتفصيل : ”إقبال والجهاد“ في كتب التالية :
- هاشمي ، شفيق الرحمن ، بروفيوسور : اقبال كا تصور دين ، ص ٣٨٠-٣٨٢ .
- وانظر: سليم اختر ، الدكتور : اقباليات كے نقوش (الأردنية) نقوش الإقباليات . باكستان: اقبال اكاڊيمية ، ١٩٧٧م ، ص ٢٥٩-٢٦٢ .
- وانظر : طاهر سورتى ، عبد الرحمن : إقبال ، پیامبر جهاد : (الأردنية) ، اقبال ريبو ، منجله إقبال اكاڊمي باكستان ، ج ١ ، عدد ٤ ، يناير ١٩٧٤م ، ص ٢٩-٣٦ .



## الفصل السادس

### أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وشماله

لا ريب أن حياة النبي صلى الله عليه وسلم أسوة كاملة وأسوة حسنة للأمة الإسلامية والإنسانية كلها في جميع مجالات الحياة إلى يوم القيامة .

كما قال الله سبحانه وتعالى في القرآن الحكيم :

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ

كَثِيرًا﴾ (١)

ونجد شهادة خلق النبي صلى الله عليه وسلم في كتب الحديث والتفسير والسير أيضاً بالتفصيل .

ويذكر يوسف الكاندهلوي أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في كتابه قائلاً:

وكان خلقه القرآن. هذه كلمات عائشة "زوجة الرسول"، وكلمة "الخلق" هنا، إنما تعنى

حياته كلها، ولقد كانت حياته كلها قرآناً، يرضى برضاه ويسخط لسخطه، وأخرجه البيهقي عن

زيد بن بابنوس قال: قلنا لعائشة: يا أم المؤمنين، كيف كان خلق رسول الله؟ فذكروه، وفي حديثه،

ثم قالت: أتقرأ سورة المؤمنون؟

أقرأ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٢) إلى العشر، قالت: هكذا كان خلق رسول الله صلى الله عليه

وسلم. (٣)

فنجد حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، قد خلصت لله كاملة، في ليله ونهاره، في ضمته

ونطقه، في حركته وسكونه، لله سبحانه وتعالى، ولم تكن حياته وحدها هي التي خلصت لله، وبـ

كان مماته أيضاً. (٤) ويتخلص من كتب التفسير والحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان

أعظم الناس خلقاً وخلقاً

١- سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

٢- سورة المؤمنون، الآية: ١.

٣- الكاندهلوي، محمد يوسف: حياة الصحابة. تقديم: الندوي، أبو الحسن علي الحسيني، ١٢٢٢/٣-١٢٥.

٤- الملطاوي، حسن كامل: رسول الله في القرآن الكريم، ص ١٠٩.

وكان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس (١). أشجع الناس (٢)، وأعدل الناس (٣) وأعف الناس لم تمس يده قط يد امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه (٤) وكان أسخى الناس (٥)

### أخلاق النبي وشمائله في شعر شوقي وإقبال

وبعد الإشارة إلى أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم من كتب الحديث والسير والتفاسير، نجد أن أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم كان أحب الموضوع لمادحي الرسول صلى الله عليه وسلم. والشعراء من العرب والعجم كلهم اختاروا هذا الموضوع بكل سرور ومحبة، وعرضوا أزهارا معطرة في صورة شعر في خدمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه المثل الأعلى للبشر كله، في سلمه، وحرابه، وفي رضائه وغضبه وفي فرحه وحزنه، وفي يسره وعسره، وفي رخائه وشدته، وفي سره وجهره.

وشخصيته النبي صلى الله عليه وسلم متصف بكل الأوصاف الحميدة، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى في عظمة النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٦) وقد اشاد شوقي بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في عدة من قصائده: ونجد ذكر أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في نهج البردة، فوصفه بالكرم والعلاء والبأس

١- أخرج أبو الشيخ في كتاب أخلاق رسول الله من رواية عبدالرحمن بن أبيزى: كان رسول الله من أحلم الناس، الحديث وهو مرسل، وروى أبو حاتم بن حبان من حديث عبداللّه بن سلام في قصة اسلام زيد بن شعث من أحبار اليهود وقول زيد لعمر بن خطاب: يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله حين نظرت إليه إلا اثنتين، لم أخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا تزيد شدة الجهل عليه الا حلما فقد اختبرتهما..... (الحديث)

٢- الحديث: أنه كان أشجع الناس، متفق عليه من حديث أنس .

٣- حديث: كان أعدل الناس، أخرجه الترمذي في الشمائل من حديث علي بن أبي طالب في الحديث الطويل في صفته صلى الله عليه وسلم: لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه، وفيه: قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده في الحق سواء .

٤- أخرجه بخاري ومسلم من حديث عائشة: ما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة إلا امرأة يملكها.

٥- أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث أنس، فضلت على الناس بأربع، بالسخاء، والشجاعة، الحديث، ورجاله ثقات وقال صاحب الميزان، إنه منكر وفي الصحيحين من حديث: كان رسول الله أجود الناس واتفقا عليه من حديث ابن عباس.

٦- سورة القلم، الآية: ٤.

- وانظر: النهاني، يوسف بن إسماعيل، الشيخ: الأخلاق النبي وشمائله في جواهر البحار في فضائل النبي المختار. مصر: ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م، ٣/ ١٠٤-١٠٥، ٢٠٥-٢٠٧.

والبطل ، ويعترف جميع الناس أوصافه حتى أعداؤه ، ثم يذكر شوقي يتمه ، ورعاية الله له ، وهدايته للناس وتعليمه إياهم ، وتحريرهم من أغلال الجهل ، ووازن بين إحياء عيسى عليه السلام ميتا وبين إحياء محمد أجيالا من رقاد الجهالة ، وقال إن الجهل موت ، وإيقاظ الجهال معجزة كإحياء الموتى . فيقول:

والبحر دونك في خير وفي كرم	"البدر دونك في حسن وفي شرف
والأنجم الزهر ما واسمتها تسم	شمّ الجبال إذا طاولتها انخفضت
إذا مشيت إلى شاكي السلاح كمي	والليث دونك بأسا عند وثبته
في الحرب أفئدة الأبطال والبهم	تهفو إليك ، وإن أدميت حبتها
على ابن آمنة في كل مصطدم	محبة الله ألقاها ، وهيبته
يضىء ملتثما أو غير ملتثم	كأن وجهك تحت النقع بدر دجى
كغرة النصر تجلوداجى الظلم	بدر تطلع في بدر فغرتة
وقيمة اللؤلؤ المكنون في اليتم	ذكرت باليتم في القرآن تكرمة
وأنت خُيِّرت في الأرزاق والقسم	الله قسم بين الناس رزقهم
وأنت أحييت أجيالا من الرمم	أخوك عيسى دعاء ميتا فقام له
فابعث من الجهل أوفاء بعث من الرجم" (١)	والجهل موت فإن أوتيت معجزة

يقول أحمد الحوفي:

"وفي رأينا أن خير هذه الأبيات قوله (تهفوا إليك) لأن هذا عن تصوير الأبطال ، لا يخاف من الأعداء ، لأن بطولته كانت إلى شريعته ولدينه ، والكفار معجبون ببطولته ، وكانوا يعترفون عظمتة صلى الله عليه وسلم بالقلب ولكن يصددهم الكبر والعناد لا اعتناق دينه ، وهذا التصوير لا شك في روعته . وكذلك قوله (ذكرت باليتيم) ، ويذكر يتمه بتكريم ، ولا مثيل له في اليتمة" (٢) . ولا شك أن شوقي يؤمن بأن الجهل موت وهذا الشرف كله للنبي كريم صلى الله عليه وسلم أنه علم الناس بقوة الأخلاق وأهداهم إلى سبيل الرشاد وأخرجهم من الظلم إلى النور .

٢- وقال في الهمزية أن إمارات فضل النبي صلى الله عليه وسلم بدت وهو فتى يتيم ، ثم ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم اشتهر في صباه بالأمانة والصدق ، وكان قومه قد عرفوا أمانته ، وعلموا صدقه ، ووثقوا به قبل أن ينفسوا عليه نبوته ويعاندوا دعوته .

ثم وصفه بأنه ذو أخلاق عالية تهواها المعالي ويتعلق بها الإشراف وقال إن هذه الأخلاق

١- الشوقيات : ٢٠٠/١ ، ٢٠١ .

٢- أحمد الحوفي ، الدكتور: إسلام في شعر شوقي ، ص ١٢٦ .

كانت كفيلة بأن تكون ديناً هادياً.

ثم يذكر شوقي جمال النبي صلى الله عليه وسلم ويشبهه وجهه بالقمر، ثم عاد شوقي إلى وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بالسخاء وإلى وصفه بالعفو، ووصفه بالرحمة التي لا نظير لها ولكنه مع عفوهِ ورحمته كان يغضب للحق في غير ما حقد ولا بغض ولا تحرق للتكيل بمن يعاندون الحق، وكان يرضى بالحق ويطمئن إلى مرضاته في الحق عن معرفة وإرادة، على حين أن كثيراً من الناس يرضون متظاهرين بالحلم ومتسترين بالنفاق. ثم يذكر شوقي أنه كان النبي خطيباً عظيم التأثير في قلوب سامعيه، وكان قاضياً عادلاً لا يرتاب المحتكمون إليه في عدالة حكمه، وكان عظيم الحفاوة بما يحمي. وعظيم الرعاية لمن يجير، وكان المثل الأعلى في رعاية حق الإنسان في الحياة والكرامة. وكان رحيماً بالحيوان، كذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم خيراً للناس بعللاً لأزواجه العشرة وخيرهم وفاءً لأصدقائه.

ويذكر أحمد الحوفي عن صفته في كتابه قائلاً:

”وكان أعظم الناس وفاءً بعهوده ووعوده“ (١).

ثم عاد في القصيدة نفسها إلى الإشادة بأخلاق الرسول، فنوه بشجاعته، وأشاد برحمته،

فيقول:

”نعم اليتيم بدت مخايل فضله      واليتم رزق بعضه وذكاء  
في المهدي يستسقى الحيا برجائه      وبقصيدة تستدفع البأساء  
بسوى الأمانة في الصبا والصدق لم      يعرفه أهل الصدق والأمناء“ (٢)

ثم ينتقل بعده إلى امتداح جملة السمائل والصفات، ويقول:

”يامن له الاخلاق ما تهوى العلا      منها وما يتعشق الكبراء  
لو لم تقم ديننا لقامت وحدها      ديننا تضيء بنوره الآناء  
زانتك في الخلق العظيم شمائل      يغرى بهن ويولع الكرماء“ (٣)

فشوقي يضيف بعض الأوصاف الذاتية، فيقول:

”فإذا سخوت بلغت بالجوود المدى      وفعلت ما لا تفعل الأنواء  
وإذا عفوت فقادراً ومقدراً      لا يستهين بعفوك الجهلاء  
وإذا رحمت فأنت أم وأب      هذان في الدنيا هما الرحماء

١- أحمد الحوفي، الدكتور: إسلام في شعر شوقي، ص ١٢٦.

٢- الشوقيات: ٣٥/١.

٣- نفس المرجع.

وإذا غضبت فإنما هي غضبة  
في الحق لا ضغن ولا بغضاء  
وإذا رضيت فذاك في مرضاته  
ورضا الكثير تحلم ورياء  
وإذا خطبت فللمنا برهزة  
تعروا الندى وللقلوب بكاء  
إلى أن يقول:

وإذا بنيت فخير زوج عشرة  
وإذا صحبت رأى الوفاء مجسما  
وإذا أخذت العهد أو أعطيته  
في بردك الأصحاب والخلطاء  
وإذا مشيت إلى العدا فغضنفر  
فجميع عهدك ذمة ووفاء  
وإذا جريت فإنك النكباء  
وتمد حلمك للسفيه مداريا  
حتى يضيق بعرضك السفهاء“ (١)

ونلاحظ أن شوقي يبدأ القول عن كل صفة من جمهرة الصفات النبوية بكلمة (إذا) فأسلوبه فيها هو الأسلوب المتبع في الصفات المتجددة ، يتعاطاها صاحبها وقتا ، ويدعها في حين آخر ، مع أنه يقدرها حق قدرها ، ويراهها جميعاً أمثلة عليا في نوعها.

ويقول:

وإذا سخوت بلغت بالجود المدى  
وإذا مشيت إلى العدا فغضنفر  
وإن له مع ذلك آياتا حسانا  
استطاع على قرب فكرها  
وهو أحسن استخداما في شعره من عذوبة الألفاظ.  
وإذا رحمت فأنت أم وأب هذان في الدنيا هما الرحماء

فقد قاس رحمة الرسول برحمة الوالدين ، وهو المقياس المفضل المألوف لا يمكن لأحد أن ينكره أو يجهل مكانه ، فمن لم يجده من نفسه عاطفة ، رآه من حوله عملا ، والشاعر يقصر الرحمة في الدنيا على هذا النبع ، ويجعل إليه منتهاها ، لأنها يعطفان على الأنباء طبعاً ويعطفان على أشباههم رقة وتأثراً .

٣- وكرر هذا في ذكرى المولد الأولى التي مطلعها :

”به سحر يتيمه كلاجفنيك يعلمه“ (٢)  
وسماه نبي البر في قوله:

١- الشوقيات: ٣٦/١.

٢- الشوقيات: ١٣٨/٢.

”نبي البر عليمه وجاء به يعلمه  
لكل عنده في البر حق ليس يهضمه  
سحاب الجود راحتته وفي برديه عيلمه“ (١)

٤- وأشاد في ذكرى المولد الثانية بلطف النبي صلى الله عليه وسلم إلى الفقراء، وبره بالمحتاجين، قال إنه وضع سبله للناس، وسن لهم دستوره، وهداهم إليه، ثم قال إنه كان الطبيب الذي شفى الناس من داء نفوسهم، كما يقول:

”نبي البر يينه سبيلا وسنّ خلاله وهدى الشعابا  
تفرق بعد عيسى الناس فيه فلما جاء كان لهم متابا  
وشافي النفس من نزعات شر كشاف من طبائعها الذئابا“ (٢)

ويبين شوقي صفات الرسول الكريم للقارئ بكل وضوح، فيقول:

”يامن له الأخلاق ماتهورى العلاء منها وما يتعشق الكبراء  
زانتك في الخلق العظيم شمائل يعزى بهن ويولع الكرماء“ (٣)

وكتب أرجوزة طويلة ”دول العرب وعظماء الإسلام، في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم

فيقول:

”مرتسما في الأدب الإسلام من اجتناب الخمر والازلام  
منحرفا عن الدمى صيبا وهكذا من يجتبي نيبا  
مبأ من نزق وطيش واختلافى بنى قريش  
ملقبافي البدر الأمين دون بنى الاعيان بالأمين“ (٤)

فترى في هذه الأشعار أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر المسلمين باختيار الأوصاف الحميدة التي تقوي المجتمع الإسلامي ونهى عن الأوصاف السئية التي تضعف المجتمع الإسلامي وهكذا درس نبينا درس الأخلاق في كل حياته كما ذكرنا هذا من قبل.

أما كلام إقبال فهو مملوء بحب النبي صلى الله عليه وسلم وبذكر أوصافه وأخلاقه، وباعث شعره كله كان عشق النبي صلى الله عليه وسلم بأنه مؤسس الإسلام، ويتقن إقبال أن إتباع أسوته الحسنة هي وسيلة النجاة لعالم الإنسانية في الدارين، ولهذا ينبغي لنا أن نختار أسوة النبي صلى الله

١- عيلمه، بحره: نفس المرجع.

٢- الشوقيات: ٧١/١.

٣- الشوقيات: ٣٥/١.

٤- شوقي، أحمد بك: دول العرب وعظماء اسلام، ص ٢٣-٢٤.

عليه وسلم في حياتنا كلها ، كما يقول في أوصافه ومحامده صلى الله عليه وسلم :

”لوح بھی تو قلم بھی تو تیرا وجود الکتاب گنبد آ بگینہ رنگ تیرے محیط میں حباب“ (۱)

اللوح أنت وما في اللوح من قدر وكل ما فيه من سطر و من كلم

لو تنطق القبة الزرقاء ما كذبت بأنها ذرة في بحرك العرم“ (۲)

ويثبت إقبال في هذا الشعر أن حسن الكون كله بسبب وجود النبي صلى الله عليه وسلم

وبحسن أوصافه الحميدة تزين موجوداتها كلها . ونجد فكر إقبال هذا في شاعريته كلها.

ويكتب افتخار أعظمي في مقدمة ”ارمغان حجاز“.

”أعطى إقبال شعر مدح الرسول البصيرة الحكيمة والشكل الفلسفي ، ليست في شعره تأثراته

وقتية ، بل شعره يقصّ لنا التدنّي أو العروج للأمة الإسلامية ، وجهود الحركات الإسلامية

للنهضة“.(۳)

ويقول إقبال في موضوع شعره (خلافت إسلامية) : إن رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم

نزلت كالمطر على أرض مكة وغيّرت حالتها وبدّلت نظامه الذي أسس على الظلم والجهور والتكبر

إلى نظام العدل والمساواة ، وظهر إلى حيز الوجود الثقافة الجديدة بأیدی رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، بأنه متصف بنفسه بثروة الأخلاق العالية ، فأقام طبقات الناس كلها من العرب في صف

واحد ، بدون أي امتياز بين الغني والفقير ، ولوالی والمولی ، والمستاجر والأجير وغيرها . (۴)

ثم يذکر إقبال ألفتة صلى الله عليه وسلم وصدافته للبشر وعطفه وعلمه ، وحكمته وعدله ،

وحلمه في شعره .

تھی تو موجود ازل سے ہی تیری ذات قدیم پھول تھازیب چمن پر نہ پریشان تھی شمیم

”شرط انصاف ہے اے صاحب الطاف عمیم بوئے گل پھیلتی کس طرح جو ہوتی نہ نسیم

ہم کو جمعیت خاطر یہ پریشانی تھی ورنہ امت تیرے محبوب کی دیوانی تھی“ (۵)

قد كان هذا الكون قبل وجودنا روضا و أزهارا بغير شمیم

والورد في الأكمام مجهول الشذا لا يرتجى ورد بغير نسیم

بل كانت الأيام قبل وجودنا ليلا لظالمها وللمظلوم

۱- کلیات إقبال (الأردنية) : بال جبریل ، ص ۷۲۶ .

۲- الترجمة العربية: زهير ظاظا ، الأستاذ : جناح جبریل ، ص ۵۰۱ ، ۵۰۲ .

۳- أعظمي ، افتخار : أرمغان حجاز ، ص ۳۵ .

۴- انظر: إقبال کی نثری تحریروں میں عشق رسول کی ضیا باریان (ضوء عشق النبی فی تحریر نثر إقبال) مجلہ

الكلية الشرقية: مدير : بریلوی ، د. عبادت . ط، الكلية الشرقية ، بلاهور پاکستان ، ۱۹۷۷ ، ص ۵۵۷-۵۵۸ .

۵- کلیات إقبال (الأردنية) : بانگ درا ، ص ۲۹۰ .

لما أطل محمد زكت الربى واخضرفي البستان كل هشيم  
وأذاعت الفردوس مكنون الشذا فإذا الورى في نضرة ونعيم (١)  
ويقول د، تحسين فراقي في هذا الصدد:

”وكل الشعر الذي تقرب به إلى النبي صلى الله عليه وسلم هو المدح في رأينا، والمدح في الحقيقة، لا معنى له أن نبين الأوصاف المحمدية صلى الله عليه وسلم بالألفاظ فقط بل يجب علينا أن نعلم غاية النبوة بقلوبنا ونتبع أوامره، ولما نعلم ونعرف أهمية وضرورة النبي صلى الله عليه وسلم لموجودات العالم، فتستحق شخصيته أن نمدحه في صورة الشعر والنظم أو القصيدة أو المثنوي، أو الرباعي أو المثلث، أو المخمس أو المسدس حسب استطاعتنا الشعرية“ (٢)

ولدى إقبال السيرة المحمدية صلى الله عليه وسلم وأخلاقه المثل الأعلى في الحرب والسلام، مع الأصدقاء والأعداء، وبمعنى آخر كانت أخلاقه القرآن، ومتى يفهم الإنسان هذه الحقيقة. فيعشق فضيلته وميزاته بقلبه.

ويقول الدكتور نجيب الكيلاني مخاطبا المسلم:

”ولا شك أن حبك لمحمد صلى الله عليه وسلم وعشقتك إياه، سيدفعك حتما إلى السير في طريقة، واقتفاء أثره في حياتك، وهذا هو الهدف والغاية للإنسان“ (٣)

فكتب ”غالب“ (٤) مثنويا بعنوان ”بيان ظهور شأن النبوة والولاية التي في الحقيقة شعاع نور الأنوار الالهي“.

ويأتي إقبال هنا بسؤال سائلاً ”غالبا“ عن معنى قوله: إن لكل عالم أولياؤه وانبيأؤه، فيجيب غالب قائلاً:

دقق النظر فستجد أن عملية الخلق مستمرة ومتجددة على الدوام، وفي كل حين يظهر عالم جديد، فيكون هناك أيضا رحمة للعالمين، أي أنه لا بد لكل عالم من هذه العوالم التي خلقها الله في الكون من وجود رحمة للعالمين فيه.

١- الترجمة العربية: المصري، صاوي شعلان، الشيخ: صلصلة الجرس، ص ٩٣.

٢- فراقي، تحسين، الدكتور: جستجو (الاردية) (البحث) تحت عنوان: علامة إقبال اور ثنائى خواجه، لاهور، باكستان: ١٩٨٧، ص ١١٠.

٣- الكيلاني، نجيب، الدكتور: إقبال، الشاعر والناثر، ص ٦٧.

٤- هو أسد الله خان غالب، هو من أعظم شعراء القارة الهندية، نظم بالفارسية والأردية، ويتسم شعره ببعده الخيال، ودقة التصوير، وهو مفكر عميق التفكير في تحليل النفوس ووصف الطباع، ولد في ٢٧ ديسمبر ١٧٩٧ م، في آگره (إحدى المدن من الهند) وتوفي ١٥ فبراير ١٨٦٩ م بدلهي (الهند).



اقرأ هذه المكالمة بين إقبال وغالب في رسالة الخلود يسأل إقبال أي زنده رود:

صد جهان پيدا درين نیلی فضا است هر جهان را اولیاء و انبیاء است (١)  
 ألف دنیا فی الفضاء الأزرق وبها كل نبی متقی“ (٢)  
 ويحب غالب لإقبال أي زنده رود:

نيك بنگر اندريس بود ونبود په به په آيد جهانها در وجود  
 هر كجا هنگامه عالم بود رحمة للعالمين هم بود“ (٣)  
 أنظرن في الوجود والعدم كم دنى تأتي لنا مندا القدم  
 نحن دنيا في الوجود إن رأينا رحمة للعالمين قدر رأينا“ (٤)

ولدى غالب الخلق والتقدير والهداية هذه كلها بداية ، ورحمة للعالمين هي النهاية ، فهو إذن

يشرح هنا معنى رحمة للعالمين التي اتصف بها الرسول قائلا:

”خلق وتقدير وهدايت ابتداست رحمة للعالمين انتها است (٥)  
 إن خلقا وقضاء ابتدا (٦) رحمة للعالمين انتهاء“ (٧)

محمد صلى الله عليه وسلم هو غاية الخلق وذروة كماله ، وهذا العالم قد حصل على رونقه بنور المصطفى ، فكل الأشياء في أي عالم ، نراه لا قيمة لها ولا رونق فيها إن لم تكن قد استنارت بعد بنور المصطفى .

وقد عبر إقبال عن تأثير ظهور النور المحمدي في هذا الكون وتأثير شخصيته السعيدة. ولدى إقبال الشخصية المحمدية صلى الله عليه وسلم سبب النجاة للضعفاء والمحتاجين من أيدي رؤوسا مكة ، وهي التي غيرت التقاليد بمثل عليا السيئة ، ونبت كل أشواك الشر والفساد من حدائق مكة المطهرة ، ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ (٨) ، ومع الحق اندثرت كل الميزات والفوارق بين إنسان وإنسان آخر .

ويذكر إقبال وصفه الخاص هذا قائلا:

- ١- كليات إقبال (فارسي) جاويد نامه ، ص ٢٣٢ .
- ٢- الترجمة العربية : المصري ، د. حسين مجيب : رسالة الخلود ، ص ٢٦٠ .
- ٣- كليات إقبال (فارسي) جاويد نامه ، ص ٢٣٢ .
- ٤- الترجمة العربية : المصري ، د. حسين مجيب : رسالة الخلود ، ص ٢٦٠ .
- ٥- كليات إقبال (فارسي) جاويد نامه ، ص ٢٣٦ .
- ٦- يلمع الشاعر إلى قوله تعالى في سورة الأعلى ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ، وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ (سورة الأعلى ، الآية: ٢-٣)
- ٧- الترجمة العربية : المصري ، د. حسين مجيب : رسالة الخلود ، ص ٢٦١ .
- ٨- سورة الاسراء ، الآية: ٨١ .

تا امینے حق بحقداران سپرد	بندگان را مسند خاقان سپرد
شعلہ ہا از مردہ خاکستر کشاد	کوهکن را پایہ پرویز داد
اعتبار کار بندگان را افزود	خواجهگی از کار فرمایان بود
قوت او هر کهن پیکر شکست	نوع انسان را حصار تازه بست“ (۱)
و آمینا بعث المولى به	سَلَّم الحق إلى أصحابه
رفع العبدان بالحق إلى	سرر الخاقان والزور قلی
بِتَّ في برد الرَّماد الشعلا	فعلى برویز فرهاد دعا (۲)
سلب السلطان حزب الآمرین	فسمما بالحق قدر العاملين
عزمه هذَّ قديمات الصور	وبنى حصناً جديداً للبشر“ (۳)

ولاریب أن محمداً صلى الله عليه وسلم الانسان المثالي والى انسان الكامل، واتباعه يمكن لنا أن نحصل على مقام رفيع في الدنيا والآخرة، ونجد الأمثلة من التاريخ الإسلامي أن الناس نالوا مقام العزة والاحترام باتباعه في حياتهم .

كما يقول إقبال:

اقبال کس کے عشق کا یہ فیض عام ہے رومی (۴) فنا ہوا، حبشی (۵) کو دوام ہے“ (۶)  
بعشق من عمّت هذه البركات يا إقبال؟ فقد فني فيها الرومي ونال الحبشي بها اللوام

ويقرر إقبال رحمته صلى الله عليه وسلم للعالمين بمثال إحسان إلى أخت عدی بن حاتم (۷)، وهي التي حضرت أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم كأسيرة من قبيله طي، فقالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أنا أخت سيد القوم وبنت محسن القوم، وكان أبي معروفافي رحم، كان يطعم الجيعان الطعام، ويرحم على الضعفاء، فأرحموني، عندما سمع النبي صلى الله عليه وسلم كلماتها ورأى حالتها، سالت الدموع من عيونها، فقال، كان في أبيك صفات المؤمنين،

- ۱- کلیات إقبال (فارسی) رموزی خودی، ص ۲۳۴.
- ۲- برویز ملك عظیم من ملوك الفرس، وفرهاد مهندس فارسی له مع برویز وجاریته شیرین رائعة في الأدب الفارسی.
- ۳- الترجمة العربية: عزام، عبدالوهاب، الدكتور: رموز نفي الذات، ص ۲۰۴.
- ۴- رومی، هو سکندر رومی (۳۵۵ ق م - ۳۲۳ ق م) ملك اليونانی، المعروف سکندر أعظم.
- ۵- سيدنا بلال، وكان أحد من عبید القریش، وعندما أسلم أذاه أمية بن خلف (مولی بلال) صباحاً ومساءً. فحرّره محمد صلى الله عليه وسلم من أعداء الإسلام وأعزه، ويقال مؤذن الإسلام.
- ۶- کلیات إقبال (الاردية): بانك درا، ص ۴۳۰.
- ۷- المعروف الحاتم الطائي، (ت نحو سنة ۶۰۵ م) أجود الناس في أيام الجاهلية.

وكان هو رجلاً متقياً، فأمر رسول الله بتحريرها، وأعطاهما زاداً لسفرها“ (١).

وبين إقبال أوصافه الحميدة في شعره قائلاً:

حريت ز او از ضمير پاك او	اين مے نوشين چكيد از تاك او
عصر نو كايں صد چراغ آورده است	چشم در آغوش او وا کرده است
نقش نو بر صفحه هستي كشيد	أمتے گيتي كشاءے آفريد
امتے از ماسوا بيگانه	بر چراغ مصطفى پروانه
ناشكيب امتيازات آمده	در نهاد او مساوات آمده
همچو سرو آزاد فرزندان او	پخته از قالوا بلي پيمان او
سجده حق گل بسمايش ذده	ماه وانجم بوسه بريايش ذده“ (٢)
ازهر التحرير في روضته	هذه الصهباء من كرمته
عصرنا اللألاء في أنواره	فتح الأعين في أحجاره
خط في العالم سطرأ مبدعا	أمة فاتحة قد أبدعا
صدرها من وقدة الحق أضاء	ذرة منها أنارت في ذكاء
المساواة لديها فطرة	ومن التميز فيها نفرة
نسلها كالسرو حرقد علا	عهدها أحكم من “قالوا بلي“ (٣)
سجدة الحق بسماها غرر	قَبْل النجم تراها والقمر“ (٤)

وبعد ذكر أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم الحميدة، يذكر إقبال بعض أوصافه الأخر ويقول، أسس النبي صلى الله عليه وسلم المجتمع الإسلامي على الأخوة والمساواة وأعطى المسلمين دستور الإسلام، وأمرهم بإطاعة الله ورسوله في جميع مجالات الحياة، وأمر الناس أن يطهروا جسدتهم وملابسهم من كل الرجس ولسانهم من اللغو، وقلوبهم من الأخيلة الفاسدة، لأن دين الإسلام دين الطهارة والأمن، ثم أمر الناس بإيفاء العهد في جميع شؤون حياتهم، وأن لا

- ١- الفاخوري، حنا: الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب الحديث، الأدب القديم. الطبعة الأولى. دار ذوي القربي: ١٤٢٢هـ، ص ٢٢٣.
- وانظر: سرويا، زيب النساء: كلام إقبال من انبياء كرام كما تذكره، حضرت محمد إقبال كي نظر مين (الاردية) ذكر الأنبياء في كلام إقبال وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في عيون الإقبال)، ص ٣٢٣-٣٢٤.
- ٢- كليات إقبال (فارسي) رموز به خودي، ص ٢٣٤-٢٣٦.
- ٣- إشارة إلى الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ (سورة الأعراف، الآية: ١٧٢)
- ٤- الترجمة العربية: عزام، عبد الوهاب، الدكتور: رموز نفي الذات، ص ٢٠٤-٢٠٥.

يخدعوا الآخرين في التجارة ، فيدعوا الله ويؤمنوا بالله للنفع وللبركة في تجارتهم، ويزينوا أنفسهم بالصفات الربانية وبصفات رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم لكي ينالوا حب الله وحب رسوله صلى الله عليه وسلم.

فيقول إقبال:

در جهان آئین نو آغاز کرد      مسند اقوام پیش در نور  
از کلید دین در دنیا کشاد      همجو او بطن أم گیتی نژاد“ (۱)  
سننافی کوننا قد جددا      ومن المعاضین ملکا بددا  
فتح الدنيا له مفتاح دین      عقت عن مثله ام السنین“ (۲)

ثم يذكر إقبال شجاعة النبي ويقول هي صفته الخاصة ، وبهذه الصفة انتشر الإسلام في الدنيا، ولم يخف رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه أبداً ، لأنه كان واثقاً بالله ونصرته. فبين إقبال صفته وصفة المسلمين هذه بلسان شعر كذلك :

”پاؤں شیروں کے بھی میدان سے اکھڑ جاتے تھے  
تجھ سے سرکش ہوا کوئی تو بگڑ جاتے تھے  
تج کیا چیز ہے ہم توپ سے لڑ جاتے تھے“ (۳)

لو أن أساد العرين تفزعت      لم يلق غير ثباتنا الميدان  
وكان نيران المدافع في صدو      ر المؤمنین الروح والريحان“ (۴)  
وبعد هذا يذكر إقبال عظمتة عليه الصلاة والسلام وفضائله العديدة ، مثلاً فقره واستغناءه ، وخلوته وخضوعه وحكمته في الأمور السياسية .

فيقول:

طور موجے از غبار خانہ اش      کعبہ را بیت الحرم کاشانہ اش  
بوریا ممنون خواب راحتش      تاج کسری زیر پائے امتش“ (۵)  
موجة من نقعة الطور الأشم      داره الكعبة العظمى حرم  
أثرت سحق حصير عفته      وعلت تيجان كسرى أمته“ (۶)

۱- کلیات إقبال: (فارسی) اسرار خودی ، ص ۶۰ .

۲- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : أسرار أثبات الذات ، ص ۱۳۹ .

۳- کلیات إقبال (الاردنية) بانك درا ، ص ۲۹۱ .

۴- الترجمة العربية : المصري ، صاوي شعلان : صلصلة الحرس ، ص ۹۵ .

۵- کلیات إقبال (فارسی) اسرار خودی ، ص ۶۰ .

۶- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : أسرار أثبات الذات ، ص ۱۳۸-۱۳۹ .

ويتقين إقبال أن رحمة النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن للمسلمين فقط بل سبحانه فضله  
وكرمه كالمطر الواسع على أعدائه أيضاً .

فيقول:

لطف وقهر او سراپا رحمتي      آن يياراڻ اين باعدا رحمتي“ (١)

لطفه والقهر كل رحمة      لصدیق وعدو رأفة (٢)

ثم يقول:

نسخة كونين را ديباجه اوست      جملة عالم بندگان وخواجه اوست“ (٣)

هو عنوان كتاب العالمين      سيد الكونين، مولى الثقلين“ (٤)

ثم يحذر إقبال المسلمين من أن يكونوا عالة على الغير وعن السؤال من غير الله ، لأن الرسول  
صلى الله عليه وسلم نهانا عن السؤال من دون الله ، لأنه يضعف قوة الذات أو قوة النفس ، ويكون  
سبب الخجالة أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم القيامة .

كما يقول:

تانه باشى پيش پیغمبر خججل      روز فردائي كه باشد جان گسل“ (٥)

احذر الخزي أمام المصطفى      يوم يخزي كل ساع ماوفى“ (٦)

ويؤ من المسلم أن رحمة النبي صلى الله عليه وسلم هي ستر عيوبنا في الدنيا وفي الآخرة .

كما يقول إقبال:

روز محشر اعتبار ماست او      در جهان هم پرده دار ماست او (٧)

هو في الدنيا علينا ساتر      وهو في الحشر إلينا ناظر“ (٨)

وبالحملة ، لدى إقبال الإسلام هو الدين الكامل ، ومؤسسه هو الإنسان الكامل .

وشخصيته متصفة بالأخلاق العالية وتهدى الناس إلى الفوز والفلاح والنور والرشد والنجاة

١- كليات إقبال (فارسي) أسرار خودي، ص ٦٤ .

٢- الترجمة العربية: عزام ، عبد الوهاب ، الدكتور: أسرار أثبات الذات ، ص ١٣٩ .

٣- كليات إقبال (فارسي) أسرار خودي ، ص ٦٦ .

٤- الترجمة العربية: عزام ، عبد الوهاب ، الدكتور: أسرار أثبات الذات ، ص ١٤٠ .

٥- كليات إقبال (فارسي) أسرار خودي ، ص ٧٢ .

٦- الترجمة العربية ، نفس المرجع ، ص ١٤٢ .

٧- كليات إقبال ، نفس المرجع ، ص ٦٤ .

٨- الترجمة العربية : نفس المرجع ، ص ١٣٩ .

ويبين إقبال هذه النقطة في أشعاره التالية :

هست دين مصطفى دين حيات	شرع او تفسير آئين حيات
گرمينى ، آسمان سازد تيرا	آنچه حق مى خواهد آن سازد تيرا
صيقلش آئينه سازو سنگ را	از دل آهن ربايد زنگ را“ (١)
إن دين المصطفى دين الحياة	شرعه للناس قانون الحياة
إن تكن أرضا يصيرك السماء	ويرتبيك كما الحق يشاء
يصقل المرأة من صخر شديد	وينقى الرّين من قلب الحديد“ (٢)

فهيكذا لاحظنا أن شوقي وإقبال قدما شخصية النبي صلى الله عليه وسلم وأوصافه وأخلاقه

بكل وضوح.

وتناول شوقي كمحب صادق لرسول الله صلى الله عليه وسلم شخصية النبي وأوصافه من حياته الطيبة ، وعرض شخصيته كالمثل الأعلى ، ولكن لا نجد عنده تلك الجدة والفكر البديع والابتكار في الأسلوب مثل ما نجده في كلام إقبال كما نجد في كلام إقبال .

١- كليات إقبال (فارسي) رموز بے خودی، ص ٢٨٢.

٢- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : رموز نفي الذات ، ص ٢١٩.



بك يا بن عبد الله قامت سمحة  
بنيت على التوحيد وهو حقيقة  
وجد الزعاف من السموم لأجلها  
ومشى على وجه الزمان بنورها  
إيزيس ذات الملك حين توحدت  
أخذت قوام أمورها الأشياء" (١)

فالتوحيد وهو أساس عقيدة المسمين ، ومتجه العبادة ، قد هدى به الناس من الأولين ، آمنوا به ، ودعوا إليه ، واستشهدوا في سبيله منهم خلق كثير ، إذ فالذين كذبوا بالإسلام ، وأثروا الوثنية عليه ، إنما كانوا في سفاهة عمياء وضلال فوقه ضلال ، وهو قول كان يمكن قبوله لو لم يكن في كلام شوقي نفسه ما يردده ، ويقول شوقي :

"لما دعوت الناس لبي عاقل وأصمّ منك الجاهلين نداء  
أبو الخروج إليك من أوهامهم والناس في أوهامهم سجناء" (٢)  
وفي هذه الأبيات يبين لنا شوقي دعوة الإسلام ويقسم المجتمع الإنساني إلى طبقتين .  
١- العقلاء ٢- والجهلاء

أمن العقلاء الأحرار ، وكفر الجهال المقلدون ، ثم يتحدث شوقي عن فضل الإسلام في إصلاح حال البشرية ، وإقامة الحكم بين الناس على قواعد المساواة والشورى ، ثم عن الشريعة الإشتراكية المحمدية ، وطريقتها في علاج الفقر وإصلاح حال الفقراء ، وفضلها على الأديان الآخرين . فيقول :

"داء الجماعة من أرسطاليس لم  
فرسمت بعدك للعباد حكومة  
الله فوق الخلق فيها وحده  
والدين يسر والخلافة بيعة  
الإشتراكيون أنت إمامهم  
داويت متئدا ، وداووا ظفيرة  
الحرب في حق لديك شريعة  
والبر عندك ذمة ، وفريضة  
جاءت فوحدت الزكاة سبيله  
يوصف له حتى أتيت دواء  
لا سوقة فيها ولا أمراء  
والناس تحت لوائها أكفاء  
والأمر شورى والحقوق قضاء  
لولا دعاوى القوم والغلواء  
وأخفّ من بعض الدواء الداء  
ومن السموم الناقعات دواء  
لامنة ممنونة وجباء  
حتى التقى الكرماء والبخلاء

١- الشوقيات : ٣٨/١ .

٢- نفس المرجع .



أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى فالكل في حق الحياة سواء

فلو أن إنساناً تخير ملة ما اختار إلا دينك الفقراء" (١)

وأن الإسلام يرفع حقوق الفقراء ويهمل مصالح الأغنياء ، ودين فقره والأمرء ، ودين كل طائفة وطبقة من الناس ، لأنه دين الأخوة والمساواة ، بأنه لا يسمح للأمرء أن يستبدوا بالرعية ويفرضوا عليهم حقوقاً ما أنزل الله بها من سلطان ، ولكنه لا يسمح للرعية أن يتجاهلوا الحدود المرسومة ، وإذا أخذ الزكاة للفقراء من الأغنياء ، فيشعر الفقير أن الغنى لا ينساه ويرحم عليه ، ويترك بنصيب من النعمة التي أنعم الله بها عليه والأغنياء يستشعر طمأنينة ، وفي قصيدة عنوانها "مرحبا بالهلال" يتحدث شوقي كذلك عن الإسلام ، فيذكر أنه يقدر العاملين ، وأصحاب الهمم البعيدة والعزائم الصادقة ، ويفسح لهم المجال .

كما يقول شوقي :

"أمم الهلال مقالة من صادق والصدق أليق بالرجال مقالا

متلطف في النصح غير مجادل والنصح أضيع ما يكون جدالا

من عادة الإسلام يرفع عاملا ويسود المقدم والفعالا

ظلمته السنة تؤاخذكم بكم وظلمتوء مفرطين كسالى" (٢)

وبهذه الخصائص الحضارة الإسلامية جديرة بأن تعلقو على الحضارات العالمية كلها.

ويقول شوقي :

"سرت الحضارة حقبة في ضوئه ومشى الزمان بنوره مختالا

وبنى له العرب الأجاود دولة كالشمس عرشا والنجوم رجالا

رفعوا له فوق السماك دعائما ومن علمهم ومن البيان طوالا" (٣)

ثم يقبل على العرب ، فيمدحه في بيانه وأخلاقه . وسياسته بما هو أهل له ، ويقول :

"الله جل ثناءه بلسانهم خلق البيان وعلم إلا مثالا

وتخير الأخلاق أحسنها لهم ومكارم الأخلاق منه تعالى

كالرسل عزموا والملائك رحمة والأسد بأسا والغيوث نوالا

عدلوا فكانوا الغيث وقعا كلما ذهبوا يميناً في الورى وشمالا

والعدل في الدولات أسس ثابت يغنى الزمان وينفد الأجيالا

١- الشوقيات : ٣٨/١ - ٣٩ .

٢- الشوقيات : ٢٣٢/١ .

٣- الشوقيات : ٢٢٣/١ .

أيام كان الناس في جهلاتهم مثل البهائم أرسلت إرسالا  
من جهلهم بالدين والدنيا معا عبدوا الأصم وأهوا التمثالا“ (١)  
فهكذا يبين شوقي خصائص الإسلام ويؤمن أن هذا الدين هو دين الأخلاق الحسنة ويفتح  
أبواب الرحمة للإنسان. ثم يذكر شوقي خصوصية أخرى للإسلام.

ويوقن أن الصلوة أساس لدين الإسلام وهي الفارقة بين المسلم وغير المسلم، والصلوة  
تقرب الإنسان من الله وتفتح أبواب الخير والرزق، وتكشف كل الأسرار بين الخالق والمخلوق،  
وعندما يصلى المسلم الصلاة يشعر بفرحة وسكون خلال الصلاة وبعد الصلاة يخاف سخط الله  
وغضبه في جهره وسره. وتنقطع جذور الشر كلها من المجتمع بفيض صلاة الجماعة.  
ويقول د. أحمد الحوفي:

”والصلاة من صالحة العبادات، رياضة أبدان، وطهارة أردان، وتهذيب وجدان، وشتى  
فضائل يشب عليها الجوارى والغلمان“ (٢).

ثم يذكر الزكوة ويبين هي النعمة العظمى لمتبعي الإسلام وبالتالي تدور الثروة بين الأغنياء  
والفقراء، ونظام الكون يجري على الخطوط السديدة، وبالزكاة يمكن لأمرأ حفظ أموالهم.  
ثم عاد يرغبهم في الإنفاق، ويدلل على المساواة، فقال:

”إن الهواء يخترق الأكواخ كما يخترق القصور، وأن الشمس ترسل أشعتها إلى الخصب  
والجديب، وإلى الغنى والفقير وأن الماء يروى الأسود والكلاب، وأن الموت حتم لا يهرب منه  
ثرى ولا معدم، وأن الناس جميعا يتساوون بعد الموت فيرقدون في الثرى، ليزهدهم في اكتناز المال،  
ويذكر الأغنياء البخلاء بأن الموت مدرك لهم، ويستركون مالهم لغيرهم، وكان الخير لهم أن يقدموا  
من مالهم عملا صالحا ينفعههم عند الله“ (٣).  
ويقول شوقي:

”يريد الخالق الرزق اشتراكا وإن يك خص أقواما وحابى  
فما حرم المجد حتى يديه ولا نسى الشقى ولا المصابا  
ولولا البخل لم يهلك فريق على الأقدار تلقاهم غضابا  
تعبت بأهله لو ما وقبلى دعاة البرقد سئمو الخطابا  
ولو أنى خطبت على جماد فجرت به إلينا بيع العذابا

١- الشوقيات: ٢٢٣/١.

٢- الحوفي، أحمد، الدكتور: إسلام في شعر شوقي، ص ٤٠، ٤١.

٣- نفس المرجع، ص ٤٢.

ألم تر للهواء جرى فأفضي إلى الأكواخ واخترق القبابا  
 وأن الشمس في الآفاق تغشى حمى كسرى كما تغشى اليبابا  
 وأن الماء تروى الأسد منه ويشفى من تلعلعها الكلابا (١)  
 وسوى الله بينكم المنابا ووسدكم مع الرسل الترابا (٢)  
 وأنكر في القصيدة الأخرى على بعض المسلمين بخلهم بالزكوة وتهاونهم في أدائها، كأنها  
 ليست ركنا من أركان الدين.

فيقول:

أكل في كتاب الله إلا زكاة المال ليست فيه بابا  
 ولولا البر لم يبعث رسول ولم يحمل إلى قوم كتابا (٣)  
 ثم يذكر الركن الثالث لدين الإسلام، وهو "الصوم" ويتيقن أن الصوم أحسن الوسيلة  
 لإحساس جوع الجوعان.

وقال في الصوم:

"وحرمان مشروع، وتأديب بالجوع، وخشوع لله، وخضوع، يستشير الشفقة، ويحض  
 على الصدقة، ويكسر الكبير، ويعلم الصبر ويسن خلال البر". (٤)

ثم يذكر الحج ويقول:

إن الحج ركن من أركان الدين وفرض الله على عباده أن يحجوه البيت الحرام . كما قال الله  
 سبحانه وتعالى:

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (٥)

وبيته مظهر الجلال والحشمة، والحق حائطه وجداره، والتوحيد مظهره ومنازه والنبيون  
 بناته وعماره، والله عز وجل ربه وجاره. (٦) ثم يدل أن الحج مظهر المساواة والأخوة بين المسلمين  
 كلهم في العالم .

ثم أتى بذكر الحج فريضة يدل على هذا قوله في شكواه سنة ١٩٠٤م من مظالم حاكم مكة:

١- التلعلع: خروج لسان الكلب من العطش.

٢- الشوقيات: ٦٠/١.

٣- الشوقيات: ٥٧/١.

٤- الحوفي، أحمد، الدكتور: إسلام في شعر شوقي، ص ٤٤.

٥- سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

٦- انظر، أحمد الحوفي، الدكتور: إسلام في شعر شوقي، ص ٤٥.

خليفة الله شكوى المسلمين رقت      لُسُدَّةَ اللَّهِ هَلْ تَرْقَى لَكَ الْكَلِم  
الحج ركن من الإسلام نكبره      واليوم يوشك هذا الركن ينهدم  
عز السبيل إلى طه وتربته      فمن أراد سيلا فالطريق دم“ (١)  
ونظم قصيدة ”إلى عرفات بسنة ١٩١٠م:

لك الدين يا رب الحجيج جمعتهم      لبيت طهور السّاح والعرصات  
أرى الناس أشتاتاً ومن كل بقعة      إليك انتهوا من غربة وشتات (٢)  
فهكذا يصور لنا شوقي خصائص الإسلام بطريق أحسن، ويثبت عظمته بدلائله القوية.

وعندما نستعرض كلام إقبال فنجد أن جذور حبه للإسلام عميقة، ولم يبين عظمة الإسلام  
بلسانه فقط بل يثبت حقانية الإسلام بعد مطالعة أفكار وفلاسفة العرب والعجم.

ولبت إقبال في بلاد الغربية مدة طويلاً وقرأ علم الأوربا بالتفصيل، وبعد الغواص في بحر العلم  
والعرفان وصل النتيجة أن الإسلام دين الحق وهو دستور العمل، وهو دين الرحمة من اليوم الأول إلى  
اليوم الآخر، ويفتح أبواب رحمته للعالم الإنساني كله. وهو دين التذكير والتبليغ، ودين الفلاح  
والحياء، ودين كل الأنبياء وهودين حي. والدين الذي غلب على أديان العالم كلها.

كما قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ

الْمُشْرِكُونَ ﴾ (٣)

ثم يقول:

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ (٤)

فالإسلام دين حق جاء ليحطم كل باطل. والباطن لا بد أن يزول كما أتى في القرآن:

﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (٥)

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٦).

ولقد كان إقبال شديد الإيمان بأن للدين أهمية عظيمة فعال الأثر في توجيه حياة الفرد

والجماعة على السواء، وكان يرى أن الدين الإسلامي دين الأخلاق، بمعنى أن رسالته رسالة إنسانية

١- انظر، أحمد الحوفي، الدكتور: إسلام في شعر شوقي، ص ٤٥.

٢- الشوقيات: ص ٩٩.

٣- سورة التوبة، الآية: ٣٣.

٤- سورة آل عمران، الآية: ١٩.

٥- سورة بني إسرائيل، الآية: ٨١.

٦- سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

ليس لها حدود زمانية أو مكانية ، وأن به قوة كامنة تستطيع أن تحرر نفوس البشرية من قيود الأجناس والألوان. فرسالة الإسلام عند إقبال هي قرار الحرية وتدعيم العدالة وتوطيد المحبة بين البشر كله. وهو يقول في هذا الصدد:

”وليس غاية الإسلام منحصرة في الواردات الذاتية التي تجعل المرء بمعزل عما حوله من الأشياء وعمن حوله من الناس ، بل بناء للتربية التي تجعل الفرد صالحاً لأن يكون منه ومن غيره مجتمع صالح وأن العصبية التي تدعوا إلى البغضاء والتفجير هي وضیعة مهينة، ليس لها في الإسلام وجود“ (١)

ثم يذكر إقبال من أوصاف الإسلام ”الأخوة“ ويؤمن أن أساس هذا الدين على المساواة والأخوة ، ولا يفرق هذا الدين بين الإنس ويرعى حقوق الناس كله. ثم يضرب مثال لنا من التاريخ الإسلامي ليثبت الأخوة في الإسلام ويقول:

”ایک ہی صف میں کھڑے ہو گئے محمود و ایاز نہ کوئی بندہ رہا نہ کوئی بندہ نواز“ (٢)

محمود (٣) مثل ایاز (٤) قام کلامهما لك بالخشوع مصلياً مستغفراً“ (٥)

ولدى إقبال الحضارة الغربية تظهر كمثال اللؤلؤ اللامع والساطع من البعد ، وضيء ها تعجب بالأنظار ، والقلب يميل إليها ، ولكن في الحقيقة وهي كالجسد بدون الروح وكالثمر بدون حلوة ، والحياة بدون الألوان ، لأن أسست على تعصبات من النسل واللون والوطن وغيرها من التعصبات الأخرى الدنية.

كما يقول إقبال:

”فساد قلب ونظر ہے فرنگ کی تہذیب کہ روح اس مدیت کی رہ سکی نہ عقیف

رہے نہ روح میں پاکیزگی تو ہے ناپید ضمیر پاک و خیال بلند و ذوق لطیف“ (٦)

أرى تثقیف إفـرنج فسادا القلب والنظر

فروح حضارة لهم خلت من عفة الوطر

١- عثمان أمين ، الدكتور : إقبال ، رسالة محمد إقبال . القاهرة: ١٩٥٦ ، ص ٧٨ .

٢- کلیات إقبال (الاردية) بانك درا ، ص ٢٩٢ .

٣- محمود غزنوی ، يقال له حاطم الاصنام وحطم الاصنام في الهند في سنة ٤١٦ هـ وتوفى ٤٢١ هـ / ١٠٣١ م .

٤- وهو كان العبد المحبوب للملك محمود الغزنوي وهو كان مصاحبه خلال سفره إلى الهند وخلال أدائه لفريضة الحج والعمرة أيضاً .

٥- الترجمة العربية : المصري ، صاوي شعلان ، الشيخ : صلصلة الجرس ، ص ٩٦ .

٦- کلیات إقبال (الاردية) ضرب کلیم ، ص ٩٢٩ .

إذا ما الروح جانبها جمال الصفو والطهر  
فأين جمال وجدان ولطف الذوق والفكر (١)  
وننظر الفرق الواضح بين الإنس في هذه الحضارة الغربية وهي تقسم مجتمعا في طبقات  
مختلفة ، فهكذا تسبب الاضطراب والانتشار في المجتمع .

ويذكر إقبال نظام الحضارة الغربية قائلا:

غريبان گم کرده اندر افلاك را	در شكم جويند جان پاك را
رنك و بواز تن نگیرد جان پاك	جذبہ تن كاري ندارد اشتراك
دين آن پیغمبر حق ناشناس	بر مساوات شكم دارد اساس
تا اخوت را مقام اندر دل است	بيخ او در دل نه در آب و گل است
هم ملوكيت بدن را فریبی است	سينه بے نور او از دل تهی است (٢)
إن أهل الغرب أفلاكاً أضاعوا	طلبوا الروح بیطن حين جاعوا
ما استمد الروح حسنا من جسد	وعلى الجسم الشيوعی اعتمد
قوله في كفره هذا المبين	ليس إلابي مساواة البطون
في صميم القلب ذياك الإخاء	ما احتوى أضلاله طين وماء (٣)
الجسوم بالثراء سُمنت	والصدر من قلوب جردت (٤)

ولكن الإسلام لا يحب النظام القائم على العصبية مثل ما ذكرنا فيما سبق.

ويقر أن هذا النظام السامي للإنسانية ويقضي كل الفوارق بين الطبقات والإسلام. يفتح أبواب  
القوة والرزق لكل رجل على حسب جهده واستطاعته . ويدرس درس الأخوة والمساواة والمحبة بينهم.  
ولدى إقبال أفضل الفخر للإنسان هو أن يكون قلبه معموراً بثروة الإيمان والمساواة.  
ويقول إقبال:

نه افغانيم و نه ترك و تاريم	چمن زاديم ويك شاخساريم
تميز رنك و بو ما حرام است	كه ما پرورده يك نو بهاريم (٥)
رايتك لا تزال أسير طين	إلى ترك وأفغان ترد

١- الترجمة العربية: عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : ضرب كلم ، ص ٦٣ .

٢- كليات إقبال (فارسی) جاويد نامه ، ص ١١٨ .

٣- يقول: إن الأخاء في الروح لا في الجسد .

٤- الترجمة العربية: المصري ، د. حسين محيب : رسالة الخلود ، ص ١٩٧ .

٥- كليات إقبال (فارسی) پیام مشرق ، ص ٨٦ .

أنا بشر بلالون وريح ولتوران أو لهند بعد (١) ويأتى إقبال شواهد من أمثال بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي ، الذين ما كانوا من العرب ولكن نالوا المقام الرفيع والمكانة السامية في المجتمع الإسلامي بينما لم يحصل على هذه المنزلة كثير من أبناء العرب .

وهذا مثال واضح أن دين الإسلام لا ينحصر على حسب ونسب ، وعندما سئل سلمان فارسي عن نسبه ، فقال بالافتخار سلمان بن الإسلام ، لأن الإسلام لم يحفل اللون والنسل والوطن. (٢)

ومؤسسي الإسلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، دعا إلى هذا المساواة وجمع الناس كله على رصيف واحد وحصّ الأمراء على انفاق مالهم لنصر الضعفاء في سبيل الله . وهو أيضاً بذل متاعه كله في سبيل الله متاع الدنيا كله كانت تحت قدميه ولكن لم يحفل بها أبداً ، وقسم كلها قبل المساء بين المستضعفين من أصحابه رضوان الله عنهم.

ونجد من خصائص الإسلام احترام آدم وبنى آدم بدون أي تعصب وتميز كالحسب والنسب واللون والعقيدة وغيرها . كما جاء في القرآن الحكيم .

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (٣)

وجاء في موضع آخر.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ . إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ . (٤)

ويبين إقبال مقام آدم واحترامه في شعره .

برتر از گردون مقام آدم است اصل تهذيب احترام آدم است (٥)

وعن الأفلاك أعلى قدره فكالحميد من تغنى شكره (٦)

ثم يقول في موضع آخر:

- 
- ١- الترجمة العربية: عزام ، عبد الوهاب ، الدكتور: رسالة الشرق ، ص ٢٧٣ .
  - ٢- أنظر: هاشمي ، شفيق الرحمن ، بروفيسور: اقبال كا تصور دين (الاردية) (تصور الدين لإقبال) ، ص ٦٤-٦٥ .
  - وانظر: سرويا ، زيب النساء : كلام إقبال مين انبياء كرام كا تذكرة، حضرت محمد اقبال كى نظر مين (تذكرة الأنبياء كرام في كلام إقبال ، سيدنا محمد في عيون إقبال)، ص ٣٣٢ .
  - ٣- سورة بني اسرائيل ، الآية: ٧٠ .
  - ٤- سورة الحجرات ، الآية: ١٣ .
  - ٥- كليات إقبال (فارسي): جاويد نامه ، ص ١٢٨ .
  - ٦- الترجمة العربية: المصري، د. حسين مجيب: رسالة الخلود ، ص ٢٠١ .

حرف بدرا بر لب آوردن خطاست کافرو مومن همه خلق خداست  
 آدمیت احترام آدمی با خیر شوازم مقام آدمی  
 آدمی از ربط و ضبط تن به تن بر طریق دوستی گامه بزن (۱)  
 تنطق العوراء؟ اذا كل الخطا کافر أو مومن ربی برا  
 أنت إنسان؟ أخاك فاحترم لیس منا غیر هذا من علم  
 تربط الناس جميعاً عروۃ منک فی هذا الطريق خطوة“ (۲)  
 ثم يقول إقبال أن الإسلام هي النعمة العظمى لنبي آدم ووسيلة النجاة من النوائب في الدنيا  
 وسبب الفلاح في الآخرة.

ثم يذكر أركان الإسلام وخصائصه ويؤمن أن معالجة داء الإنساية كلها مضمرة في أداء  
 أركان الإسلام بخشوع وبخضوع .

كما قال إقبال:

لا اله باشد صدف گوهر نماز قلب مسلم راحج اصغر نماز  
 در کف مسلم مثال خنجر است قاتل فحشاء وبغی ومنکر است  
 روزه بر جوع وعطش شبخون زند خیر تن پروری را بشکند  
 مومنان را فطرت افروز است حج هجرت آموز وطن سوز است حج  
 حب دولت را فنا ساز و زکوة هم مساوات آشنا ساز و زکوة“ (۳)  
 درة التوحید، فاحفظها الصلاة حجک الأصغر، فاعرفها الصلاة  
 فی ید المسلم هذا الخنجر یقتل الفحش به والمنکر  
 یفتک الصوم بجوع وصدی ضابطا بالقسط هذا الجسدا  
 وینیر الحج قلب المؤمن هجرة الأهل به والوطن  
 بالزکاة العابد المال اذکر علمت حب المساواة البشر“ (۴)  
 وفي هذه الأبيات يبين إقبال أن بكلمة التوحيد يدخل الإنسان في حصن الإسلام ويقال له

- ۱- کلیات إقبال (فارسی) جاوید نامه، ص ۳۸۴.
- ۲- الترجمة العربية: المصري، د. حسين محيب: رسالة الخلود، ص ۳۳۲.
- وانظر أيضا: ملك، مظفر حسين، الدكتور: مكارم أخلاق اور إقبال، في مجلة إقبال ۸۴، مدير، عشرت وحيد،  
 الدكتور، إقبال أكاديمية باكستان ۱۹۸۴م، ص ۳۲۱، ۳۲۲.
- ۳- کلیات إقبال (فارسی) اسرار خودی، ص ۱۱۲.
- ۴- الترجمة العربية: عزام، عبدالوهاب، الدكتور: أسرار أثبات الذات، ص ۱۵۵.



المؤمن، ثم يؤدي الصلاة، وهي تعين الحدود بين المؤمن والكافر والمسلم والمنكر وتفرق بين الحضارة الإسلامية والحضارة الملحدية، ويذكر أركان الإسلام الأخرى كالصوم، والزكاة والحج ويؤمن أن أساس الإسلام على هذه العناصر الخمسة.

فيقول:

اين همه اسباب استحكام تست      پخته محكم اگر اسلام تست (١)

تلك أسباب بها تستحکم      إن يكن في القلب دين محكم (٢)

ويشترك إقبال في رأيه هذا برأى شوقي، وهما يعدان أركان الإسلام من خصائصه الأساسية وأسلوبهما وفكرهما رائع جدا.

ولدى إقبال الإسلام دين الضياء وأشرفت الأرض بنوره وهذا الدين يضمن للبشرية الفوز والنجاة في الدنيا والآخرة وبتعاليم هذا الدين قام أتباع النبي صلى الله عليه وسلم وقضوا على الوثنية الجاهلية وحطموا الأصنام ورفعوا ألوية التوحيد في العالم أجمعه.

فيقول إقبال:

حكمة الدين أن تسلم للشرع      وترضى بكل حكم قضاة

عش بأحكامه ترا العيش صفوا      ورخاء أو نضرة ونعيما

قد جباك الآله أحسن تقويم      لتحيا خلقا سويا كريما

إن إرث الخليل إيمانه الصادق      فاحفظ ميراث إبراهيم

كل قلب له من الحق نور      وله من هدى النبي نصيب

قم وأنذر به الخلائق طرا      تجد الكون كله يستجيب

وتقبل أوامر الدين بالرغبة      والشوق والرضا كل آن

حكمة الدين في العدالة والحب      ليست في البغض والطغيان

وبأن لا يحتاج في الأرض إنسان      ليحظى بالرزق من إنسان (٣)

ثم يذكر إقبال وصف الإيثار والمحبة في الإسلام ويؤيد ذلك بمثال الأنصار الذين عرضوا أنفسهم ومتاعهم للذين صاروا اخوانهم في الدين بعد الهجرة تاركين أموالهم في مكة والذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا، أولئك هم نجوم مكة نزلت منهم مواطنها ليشرفوا مرة أخرى في سماء دار الهجرة وقد أسكنهم الأنصار في الصدور قبل الدور، وفي ظل

١- كليات إقبال (فارسي) أسرار خودي، ص ١١٢.

٢- الترجمة العربية: عزام، عبد الوهاب، الدكتور: أسرار أثبات الذات، ص ١٥٥.

٣- شعلان، صاوي علي، الشيخ: ابوان إقبال، مختارات من شعره، "رسالة إلى شباب الإسلام"، ص ١٨٩.

المجتمع الإسلامي الجديد وتحت راية الحق والتوحيد وحفرت القبر للجاهلية الوثنية، ثم يعلو آذان بلال، وقد حان الحساب ولكنه حساب رحيم وفتح عظيم وصلح عميم، أخ كريم وابن أخ كريم أسدل من العفو ستاراً وأفاض الرحمة مدراراً وأرسلها آية دوت بها الأرجاء.

﴿قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (١)

وبهذه الأوصاف سيطر المسلمون على العالم وحول سراج الملة التفت القلوب جندا وانتظمت الأرواح من المحبة عقدا وإذا بالجزيرة كلها قافلة واحدة في طريق المجد الصاعد، ويحيى النور القادم من السماء، شاع الإيمان والإسلام حتى غير بنى سام وحام والتقى شمل العروبة الموحدة بخالقها المؤمنة بربها أنها تدعن لله إيمان وإسلاما وتستعير نشيدها من الجنة إلى سكان الأرض سلاماً سلاماً. (٢)

ولكن لما ترك المسلمون العمل والجهد وحرموا على أنفسهم هذه الأوصاف ونسوا أسوة نبيهم فشلوا في مجالات الحياة كلها. والأقوام الغربية غلبت عليهم وبين إقبال سبب هذا التغيير ويقول: أن الأمم الغربية قد تفوقت على الأمم الشرقية بقوة العمل وفي سحاب القنوط المظلم يدعو إقبال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقول:

يا رأس مال البائسين ويا منار الحائرين	ادع الآله يهب لأمتك الشجاعة واليقين
ويعينهم من شر خوف الموت من قبل الممات	الخوف يفني البائسين وهم على قيد الحياة
يا من هلمت اللات والعزى وحررت الحرم	وبنيت أعلى أمة تهدى بسيرتها الأمم
ذكراك ورد سائغ يحلوه العيش المرير	وبغيرة الإيمان صار الدين كنز للفقير
يا منتهى كل المنازل في طريق السالكين	يامن إلى أنواره تهفو قلوب العاشقين
أنت الهداية والدليل وأنت عرفاني وفكري	وسفيتي في الدين والدنيا وطوفاني وبحري
زادت بي الانات والعبرات حتى عيل صبرى	فإلى متى هذا اللهب يظل مطوياً بصدري
لم يبق للأرواح في شوق العبادة من أثر	لم يبق لطف تلاوة القرآن في وقت السحر (٣)

وكان إيمان إقبال واثقا بحقانية الإسلام، ويتأكد أن المسلم اليوم مريض، ولا دواء له إلا الرجوع إلى الإسلام وإتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

١- سورة يوسف، الآية: ٩٢.

٢- أنظر: شعلان، صاوي علي، الشيخ: إيوان إقبال، مختارات من شعره، "رسالة إلى شباب الإسلام"، ص ١٩١.

٣- شعلان، صاوي علي، الشيخ: إيوان إقبال: "مختارات من شعره"، ص ٩١.

فبقول:

بتان رنگ و خو کو توڑ کر ملت میں گم ہو جا نہ تورانی رہے باقی نہ ایرانی نہ افغانی“ (۱)  
 عليك أن تخلع من عصبية اللون والدم وغيرها من التعصبات وصر جزواً للأمة الإسلامية  
 ناسياً علاقات الوطنية حتى لا تكون تورانيا وإيرانيا وأفغانيا بل رجلاً إسلامياً .  
 ويعتمد إقبال على أن المسلمين سيحصلون على مقامهم الفاقد بقوة العمل والجهد ، ان شاء  
 الله . فبقول:

شب گریزاں ہوگی آخر جلوہ خورشید سے یہ چمن منور ہوگا نعرہ توحید سے“ (۲)  
 سينور هذا الليل المظلم بظهور الشمس سيشرق هذا البستان بالهتاف التوحيدي  
 ويحس إقبال هذه الحقيقة أن المسلمين اليوم أكثر حاجة إلى أن يزينوا أنفسهم بقوة الأخوة  
 الإسلامية والمساواة مثل ما كانوا في القرون الأولى .

فبقول:

یہی مقصود فطرت ہے یہی رمز مسلمانی اخوت کی جہانگیری محبت کی فراوانی“ (۳)  
 وهوية المسلم أن يكون المجتمع الإنساني مبنياً على الأخوة والمحبة.  
 ثم يدرسنا بقوله:

ہوس نے کر دیا ٹکڑے ٹکڑے انسان کو اخوت کا بیان ہو جا محبت کی زبان ہو جا“ (۴)  
 قد فرق الحرص الإنسان في طبقات فكن تصریح الأخوة ولسان المؤدة  
 وهكذا لاحظنا أن إقبال يبين أوصاف الإسلام وخصائصه بكل وضوح ويوقن بأن كل الرقى  
 والعروج لا سبيل إليها إلا الخصائص الحميدة التي أتى بها الإسلام ولهذا يدرسنا أن نختار أوصافه  
 الحميدة بكل القوة. وهكذا أراد شوقي بشعره اتباع الأسوة المحمدية صلى الله عليه وسلم في حياتنا  
 كلها للفوز والفلاح ، وأن الإسلام دين الفلاح ودين الرحمة ويتضمن كثيراً من الخصائص كما أشار  
 إقبال وشوقي في شعرهما.

۱- کلیات إقبال (الاردية) بانك دراء، ص ۴۸۰ .

۲- کلیات إقبال (الاردية) بانك دراء، ص ۳۳۸ .

۳- نفس المرجع ، ص ۴۸۰ .

۴- نفس المرجع، ص ۴۸۳ .

- وانظر: هاشمي ، ایم یعقوب : مقالات ، اقبال عالمی کانگریس ، اقبال اتحاد عالمی اسلامی کا نقب . لاہور ،  
 پاکستان: ۳/۶۷، ۸۵، ۸۶ .

- وانظر: طارق ، عبدالرحمن ، پیام اقبال . لاہور ، پاکستان: اقبال اکادمی ، ص ۱۹۲-۱۹۴ .

## الفصل الثامن

### القرآن الحكيم والحديث النبوي والسنة النبوية

إن القرآن الكريم هو كلام الله ومعجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم التي ستبقى إلى الأبد وهو الحجة القاطعة لتحقيق نبوته عليه الصلاة والتسليمات .

والقرآن المجيد أيضاً أعلن بالصراحة عن عظمته وإيجازه:

﴿قُلْ لَّعِنَ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ (١)

وهذه الآيات صريحة في أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يملك لنفسه شيئاً وأن الأمر كله لله وأن في القرآن هدى وتبصرة لقوم يعقلون ، وأصرح من هذا قوله تعالى في سورة العنكبوت :

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ ، قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ، أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لِرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٢)

وقد كان العرب عجزوا عن معارضته و عن الاتيان بسورة واحدة على نهجه ، وقال الله تعالى:

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ، قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ، وَأَدْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣)

وقال سبحانه وتعالى:

﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (٤)

ونظم شوقي الشعر الديني وذكر في قصائده عظمة القرآن وصيانته وبقاءه إلى القيامة بكونه نكتة رئيسية للدعوة الإسلامية ، وهو الإيمان به ، ويعلن الشاعر بأبدية هذه المعجزة بين المعجزات . وفي نهج الباردة يذكر أحمد شوقي القرآن الكريم من ناحية البلاغية في الأدب العربي وتأثيراته المعنوية للعصر الحديث ، فيقول:

وجئنا بحكيم غير منصرم	جاء النبيون بالآيات ، فانصرمت
يزينهن جلال العتق والقدم	آياته كلما طال المدى جدد
يوصيك بالحق ، والتقوى وبالرحم“ (٥)	يكاد في لفظه منه مشرفة

١- سورة بني إسرائيل ، الآية: ٨٨.

٢- سورة العنكبوت ، الآية: ٥٠ ، ٥١.

٣- سورة يونس ، الآية: ٣٨.

٤- سورة الطور ، الآية: ٣٤.

٥- الشوقيات ، ١/١٩٧.

وأما البيت الأخير فيقول على نجدى ناصف عنه :

”وكل ما في البيت الأخير أن القرآن بارع الإيجاز ، حتى تكاد اللفظة منه تتسع لما لا يتسع له إلا الكثير من ألفاظ غيره ، كأنما القرآن ليس فيه سوى الإيجاز أو كأنما ايجازه هو وحده المزية التي لا يحارى فيه ، فإذا لم يكن هذا من القرآن هو بلة إلا صبع من البحر ، أو احتياز اليسير من زبده فما يكون“ . (١)

فبيّن شوقي عظمة وأوصاف القرآن الحكيم ، بأنه يؤمن أن القرآن فيه آيات بينات ودلائل واضحة وأخبار صادقة ، وآداب عالية . كما قال الله تعالى فيه :

﴿ كَتَبَ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ (٢)

ثم يذكر أسلوبه ويقول أن أساليب القرآن ليس للإنسان يمكن أن يأتي بمثلها فصاحة وبلاغة . كما يقول الله تعالى :

﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلَ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (٣)

وصفات القرآن الحكيم غير محدودة ، وهو المعجزة الكبرى لا يستطيع أحد أن يجاريه أو يأتي بشي من مثله ، فيقول :

”الذكر آية ربك الكبرى التي	فيها لباغى المعجزات غناء
صدر البيان له إذا التقت اللغى	وتقدم البلغاء والفصحاء
نسخت به التوراة وهي وضئية	وتخلف الإنجيل وهو ذكاء
لما تمشى في الحجاز حكيمة	فُضت عكاظ به وقام حراء
أزرى بمنطق أهله وبيانهم	وحى يقصّر دونه البلغاء
حسدو فقالوا : شاعر أو ساحر	ومن الحسود يكون الاستهزاء
قد نال بالهادى الكريم وبالهدى	مالم تنل من سئودد سيناء
أمسى كانك من جلالك أمة	وكانه من إنسه بيداء
يوحى إليك الفوز في ظلماته	متابعات تجلى به الظلماء“ (٤)

ثم انظر إلى قوله :

لما تمشى في الحجاز حكيمة فضت عكاظ به وقام حراء

١- علي نجدى ، ناصف : الدين والأخلاق في شعر شوقي ، ص ٨٢ .

٢- سورة هود ، الآية : ١ .

٣- سورة فصلت ، الآية : ٤٢ .

٤- الشوقيات : ٣٧/١ .

ويقول على نجدى ناصف عن هذا الشعر:

”فحراء هنا كلمة تطلبها القافية أشد مما تطلبها المقابلة بينها وبين عكاظ ، فلم يكن حراء وحده متنزل القرآن ، ولكنه موضع من مواضع تشاركت في ذلك بخطوط مختلفات ، وإنما فضله عليها من هذه الناحية أنه أول موضع نزل فيه قرآن ، وهو قدر من المناسبة لا يرفع المقابلة بينه وبين عكاظ كما ترى إلى مرتبة الكمال“ . (١)

ويظهر من أبيات شوقي أنه لم يقم بأداء حق القرآن كما حقه في شعره ، فأرنا هنا ضيق الأفق كما نلاحظ في قصيدته ”نهج البردة“ .

وأحمد شوقي يطالع القرآن عن طريق العقل لأنه يتكلم عن محاسنه اللغوية والمعنوية فقط ، فذكر القرآن في البردة يسند إلى الدين والأحاسيس القلبية ، وشوقي لا يفصل بين القرآن وصاحب القرآن ، فهو يعد أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم وشماله وكماله إسناداً إلى القرآن الكريم وشوقي يمزج عظمة القرآن وفضله بمدح النبي صلى الله عليه وسلم ويبين فضيلة القرآن الكريم ببيان فضل النبي صلى الله عليه وسلم وكرمه ، لأنه هو صاحب القرآن ، والقرآن لا يفصل عن صاحبه وقد أشير إلى هذه العلاقة القطعية الدائمة في القرآن الكريم عدة مرات .

- ١- ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ﴾ (٢)
- ٢- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (٣)
- ٣- ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ (٤)
- ٤- ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ (٥)
- ٥- ﴿يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (٦)

ثم يقول:

آيات حق من الرحمن محدثة      قديمة صفة الموصوف بالقدم  
لم تقترن بزمان وهي تخبرنا      عن المعاد وعن عاد وعن ارم  
ويقول الدكتور زكي مبارك عن هذه الأشعار:

- ١- على النجدى، ناصف: الدين والأخلاق في شعر شوقي ، ص ١٠٧-١٠٨ .
- ٢- سورة الأنعام ، الآية: ١٩ .
- ٣- سورة الحجر ، الآية: ٨٧ .
- ٤- سورة الشورى ، الآية: ٧ .
- ٥- سورة الشعراء ، الآية: ١٩٣-١٩٤ .
- ٦- سورة البقرة ، الآية: ١٢٩ . سورة آل عمران ، الآية: ١٦٤ . سورة الجمعة ، الآية: ٢ .

”وفيه إشارة إلى ما اختلف فيه المتكلمون عن قدم القرآن وحدثه ، وهي إشارة مهمة لا تغنى في دفع ولا تأييد ، والبيت الثاني غير جيد المعنى ، لان أخبار القرآن عن عاد وعن ارم ، ليس حجة إلا عند المسلمين ، أما جمهور العالم ، فلم يصدق من أخبار العهود الأولى غير تشهد به الآثار ، فنجد أن هذه الأشعار ضعف ونقض العلاقة القلبية بالقرآن الحكيم ، ولهذا لم يؤدي شوقي حقه القرآن الحكيم كما حقه “ . (١)

أما إقبال فكان القرآن في قلبه وروحه ووجدانه وشعوره . وغاية حياته كان تفهيم القرآن كله بشمول أسرارهِ ورموزه ، فبدأ قراءة القرآن الكريم ، وكان إقبال يقرأ القرآن الحكيم بعد صلاة التهجد ويتدبر آياته ويتفكر فيها وتسيل دموعه غزيرة من التأثر والخشوع أمام كتاب الله حتى خادمه الوفي على بخش كان يضع المصحف في الشمس لتجف أوراقه .

فقد اتضح له بعد مطالعته للقرآن الحكيم أن هذا الكتاب يحث على العمل الصالح أي الجهاد بل أنه لا يوضح طريق النجاة في الآخرة فحسب ، بل يوضح أيضاً سر الرفعة في حياة الدنيا . ولقد كانت قراءة محمد إقبال للقرآن قراءة تختلف عن قراءة الناس ولهذه القراءة الخاصة فضل كبير في تذوقه للقرآن ، وقد حكى قصة لقراءته القرآن ، وهذه القصة مذكورة في عدة من الكتب كما أشرنا إليه في الباب الثاني من قبل .

ويقول إقبال:

”وقد كنت تعمدت أن أقرأ القرآن بعد صلاة الصبح كل يوم ، وكان أبي يراني ، فيسألني ماذا أصنع ؟ فأجيبه بأني أقرأ القرآن وظل على ذلك ثلاث سنوات متتاليات يسألني سؤاله ، فأجيبه جوابي ، وذات يوم قلت له : ما بالك يا أبي ! تسألني نفس السؤال وأجيبك جواباً واحداً ، ثم لا يمنعك ذلك عن إعادة السؤال من غد؟ فقال : إنما أردت أن أقول لك : يا ولدي ، إقرأ القرآن كأنما نزل عليك . (٢)

ولم يزل محمد إقبال إلى آخر عمره يغوص في بحر القرآن ، ويطير في أجوائه ، ويسير في آفاقه ، فيخرج بعلم جديد ، وإيمان جديد ، وإشراق جديد ، وقوة جديدة ، وكلما تقدم دراسته ، واتسع آفاق فكره ، إزداد إيمانا بأن القرآن هو كتاب الخالد ، والعلم الأبدى وأساس السعادة ، ومفتاح الأفعال المعقدة وجواب الأسئلة المحيرة ، وأنه دستور الحياة . يرفع الله به أقواما ، ويضع به آخرين .

١- زكي مبارك ، الدكتور: الموازنة بين الشعراء ، ص ٢٣٥-٢٣٦ .

٢- الندوي ، أبو الحسن : روائع إقبال ، ص ٣٠ ، ٣١ .

- وانظر : النجار ، فهيم قطب الدين : محمد إقبال وصلته الثقافية بالعالم العربي تأثره وتأثيره ، ص ٩٣ .

- وانظر : شعلان ، صاوي علي ، الأعظمي ، محمد حسن : الأعلام الخمسة للشعر الإسلامي ، ص ٨ .

ويقول في مقطوعة شعرية:

”إنك أيها المسلم لا تزال أسيراً للمتزعمين للدين ، والمحتكرين للعلم ، ولا تستمد حياتك من حكمة القرآن رأساً ، أن الكتاب الذي هو مصدر حياتك ومنبع قوتك ، لا إتصال لك به إلا إذا حضرتك الوفاة ، فتقرأ عليك سورة ”يس“ لتموت بسهولة ، فواعجبا ، قد أصبح الكتاب الذي أنزل ليمنحك الحياة والقوة ، يتلى الآن لتموت براحة وسهولة“ .(١)

وتأمل هذه الشعر في هذا الصدد:

به بند صوفى وملا اسيري	حيات از حكمت قرآن نغيري
بآياتش ترا كارے جز اين نيست	كه از ياسين ، او آسان ميرى
ز قرآن پيش خود آئينه آويز	دگر گون گشته از خویش بگرير
ترازوى بنه كرد از خود را	قيامت هاء پيش را بر انگيز“ (٢)
لملا أو لصوفى أسير	وفي القرآن للعيش الكثير
من الآيات ما أدركت شيئاً	ومن ياسين بغتتك الحفير (٣)
لك القرآن كالمرأة فانصب	ونفسك دع إذا غيّرت واهرب
لما قدمت ميزاننا لتصنع	وفي الماضي قيامات لتطلب“ (٤)

ولدى إقبال ”القرآن الكريم“ هو الأصل للشرعية الإسلامية على أن القرآن ليس مدونة في القانون ، فغرضه الرئيسي أن يبعث في نفس الإنسان أسمى مراتب الشعور بما بينه وبين الله وبين الكون من صلوات ، ولا شك في أن القرآن يقرر بعض المبادي والأحكام العامة في الشريعة الإسلامية، وبخاصة فيما يتعلق بنظام الأسرة التي هي الركن الركين للحياة الاجتماعية ، ويقرر القرآن وجوب الجمع بين الدين والدولة وبين الأخلاق والسياسة في تنزيل واحد ، والجدير بالملاحظة في هذا الصدد أن القرآن يعتبر الكون متغيراً، بل هو ينطوي أيضاً على عناصر تنزع إلى الإبقاء على القديم ، ومن الواضح كذلك أن أسس المبادي التشريعية في القرآن تعمل في حقيقة الأمر كمنبه للفكر الإنساني ، ولقد كان الرحيل الأول من فقهاءنا أكثر اعتماداً على هذه الأسس التي جاء بها القرآن

١- الندوي ، أبو الحسن : روائع إقبال ، ص ٣٢ .

٢- كليات إقبال (فارسي) أرمغان حجاز ، ص ١٤٠ .

٣- يدعو إقبال إلى النظر في القرآن الكريم وتدبر آياته البينات التي تهب بالناس ليحيوا حياة حرة كريمة وتهدى إلى ما تصلح به الدنيا والدين وفيها الوازع عن حياة الخمول والجمود ويسخر ممن لاهم له إلا سورة ”يس“ فقد جرت العادة بقراءتها في المقابر .

٤- الترجمة العربية : المصري ، د. حسين محيب : هدية الحجاز ، ص ٤٦٤ .



ويرى إقبال كذلك ، أن ما ينادى به الجيل الحاضر من أحرار الفكر في الإسلام ، من تفسير أصول المبادئ التشريعية تفسيراً جديداً ، وعلى ضوء تجاربهم وعلى هدى ما تقلب على حياة العصر من أحوال متغيرة ، وهو رأى له ما يسوغه كل التشويغ . والحق في أن يتهدى بما ورثه من آبائه وأسلافه من غير أن يعوقه ذلك التراث في تفكيره ، وحكمه وحل مشكلاته الخاصة. (١)

وفي ١٩١٧م كتب إقبال في مقال له :

”وإن القرآن يفيض بفرحة الحياة وبالنور ، وليس فيه مكان لتصوف متشائم أو أمور مظلمة

منقبه“ . (٢)

وهذه الجملة ملفتة للانتباه حقاً في ضوء فلسفته المتأخرة ، وفرحة الحياة ، والحماس الخالص لألفاظ القرآن ، كما أوحى بها للنبي صلى الله عليه وسلم ، من أبرز ما يميز رواه وهذا بطبيعة الحال يؤدي بنا إلى دور رسول الله في أعمال إقبال .

وجعل إقبال القرآن مصدراً لدعوته لأنه كان يؤمن بالقرآن إيماناً لا حد له وأشار إلى هذا

سمير عبدالحميد فقال:

”إن كل ما كان يفكر فيه إقبال كان يفكر فيه بعقل القرآن وكل ما كان يراه كان يراه بعين

القرآن ، وكان إقبال شاعر القرآن وقرآن الشعر“ . (٣)

وإن إقبال ليحمل القرآن في عقله الثاقب ، حمله في قلبه المؤمن ولما كان مفهوم الدين عنده

السعى الدائم للفوز والنجاح ، اعتمد الدين في نظره على أساس من التجربة ، والحق أنه اتخذ من

القرآن جوهرأ لكتابه هذا الذي ينطوي على محاضرات ألقاها في مدينة مدراس وحيدرآباد وعليگر،

ويرى أن بشعور الإنسان يتسامى القرآن الكريم نحو الرحمن وهذا ما يشكل تلك النزعة التعليمية

لكتاب الله التي أعجب بها الشاعر الألماني جوته وهو يتأمل الدين الإسلامي قوة تهذيب . وقد بلغ

التهذيب الإسلامي إلى حد الكمال ، لأنه يفقه منه أن القرآن الكريم يصور ما للإنسان من قدرة على

الابداع الذي لا ينتهي عند حد ، وماله من روح تسمو به وتنقله من حال إلى أخرى . (٤)

ويقول إقبال:

١- إقبال ، محمد: تحديد التفكير الديني في الإسلام، الترجمة العربية: عباس محمود ، ص ١٩٠-١٩٣ .

٢- أنماري، شمل: أسرار العشق المبدع ، في كتابات محمد إقبال ، المحاضرة الخامسة في سلسلة محاضرات مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، ص ١٧ .

٣- إبراهيم، سمير عبدالحميد ، الدكتور : إقبال و ديوان ارمغان حجاز ، ص ٢١ .

٤- انظر: المصري، د. حسين محيب : إقبال والقرآن . القاهرة ، مصر: ١٩٧٧م، ص ١٣٤ .

از تلاوت بر تو حق دارد کتاب تو ازو کامی که می خواهی بیاب (۱)  
 لکتاب الله حق، فاقرآن کل ما تبغیه منه فاطلبن (۲)  
 أما فلسفة إقبال فجميعها مأخوذة من القرآن الحكيم، إذا تأملنا آياته أخذنا أن أساس كل  
 شعره على تعليمات القرآن.

كما يظهر من الأبيات التالية :

آن کتاب زنده، قرآن حکیم	حکمت او لا یزال است وقدم
نسخهٔ أسرار تکوین حیات	بے ثبات از قوتش گیرد ثبات
حرف او را ریب نے تبدیل نے	آیه اش شرمنده تأویل نے
پخته تر سود ای خام از زور او	در فتد با سنگ جام از زور او
می برد یا بندو آزاد آورد	صید بندان را بفریاد آورد
نوع انسان را پیام آخریس	حامل او رحمة للعالمین
ارج میگیرد از ونا ارجمند	بنده را از سجده سازد سر بلند
رهزنان از حفظ او رهبر شدند	از کتابے صاحب دفتر شدند
دشت پیمایان زتاب یک چراغ	صد تجلی از علوم اندر دماغ
آنکه دوش کوه بارش برنتافت	سطوت او زهرهٔ گردون شکافت
بنگراں سرمایهٔ آمال ما	گنجد اندر سینۂ اطفال ما (۳)
الکتاب الحي والذکر الحکیم	حکمة في الدهر تبقى لا تریم
إنّ فيه سر تکوین الحیاة	یستمذّ النکس أیداً من قواه
لفظه لا ریب أو تبدیل فيه	آیه لا لبس أو تأویل فيه
قوة فيه تشدُّ الخورا	وبها یرمی الزجاج الحجر
قطّع الأشراک عن صید کسیر	فدعا الصیاد منه بالثبور
ذ ابلاغ آخر للمرسلین	قد تلاه "رحمة للعالمین"
ترفع الخامل فيه رفعة	وتقیم الرأس منه سجدة
قاطعوا الطرق هداة صیروا	من کتاب، کم کتاب سطرّوا
والبوادی من سراج زهرا	قد أضأوا بالعلوم الفکرا

۱- کلیات إقبال، رموز بے خودی، ص ۲۷۲.

۲- عزام، عبدالوهاب، الدكتور: أسرار نفي الذات، ص ۲۱۶.

۳- کلیات إقبال (فارسی) رموز بے خودی، ص ۲۷۰.

الذي يصدع منه الجبل وعلى الأفلاك منه وجل (١)  
 ذلك الينبوع من آمالنا قد حواه الصدر من أطفالنا (٢)  
 والقرآن الكريم يحكي كثيرا من قصائص الأنبياء كي يرشد به الناس في الأزمان القادمة وفي  
 قصة كل النبي نجد الحكمة والهداية وطريق النجاة في الدنيا والآخرة . والكتب مملوءة بقصص  
 الأنبياء وهناك كثير من الشعراء الذين نظموا أشعارهم مبنيا على تلك القصص وكذلك ذكر إقبال  
 قصص الأنبياء في شعره لإبراز الحقيقة والفرق بين الحق والباطل والأمثال الأبدية لهداية الناس من  
 أسوة الأنبياء السابقين خلال قصصهم .

ويذكر إقبال قصة آدم وخلافته كذلك :

حرف أني جاعل تقدير او از زمين تا آسمان تفسير او  
 من چه گويم ازيم به ساحلش غرق اعصارو دهور اندر دلش  
 آنچه در آدم بگنجد عالم است آنچه در عالم نگنجد آدم است (٣)  
 قول "إني جاعل" تقديره بين أرض وسما تفسيره (٤)  
 ياله بحرأ بلا شط يفور قلبه قد اغرقت فيه الدهور  
 إنما الإنسان دنيا قد وسع هذه الدنيا له لم تتسع (٥)

وأشار إقبال إلى قصة آدم ليثبت شرف الإنسان ، إن الإنسان يستحق الخلافة في الأرض ،  
 فهكذا يبين لنا قصة يوسف عليه السلام من القرآن الحكيم ، أن إخوته الذين غاظهم منه أن يؤثره أبوه  
 عليهم وذهبوا به وجعلوه في الحب ، ثم تركوه فيه وقدموا على أبيهم باكين أن الذئب أكله ، ولكن  
 الله نصر يوسف وأوقاه، حيث مرت بالحب قافلة ، فلما أد لوالد لو فيه تعلق يوسف به وأنجاه الله من  
 الهلكة ، فيبين إقبال تلك الواقعة في أبياته كذلك :

لعلها از سنك ره آيد برون يوسفان روز چه آيد برون  
 رستخيزه در كنارش ديده ام لرزه اندر كوهسارش ديده ام (٦)

- ١- الاشارة إلى الآية : ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ سورة الحشر، الآية: ٢١.
- ٢- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور: أسرار نفي الذات ، ص ٢١٤-٢١٥.
- ٣- كليات إقبال (فارسي) جاويد نامه ، ص ١٢٦.
- ٤- قال الله تعالى في سورة بقره : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقره ، الآية: ٣٠)
- ٥- الترجمة العربية : المصري ، د. حسين محيب : رسالة الخلود ، ص ١٦٤.
- ٦- كليات إقبال (فارسي) جاويد نامه ، ص ٦٦.

يظهر الياقوت من صغر الطريق يوسف يخرج من جب عميق  
ويولى عن ديار من كفر (١) ليرى من ذلك الكفر المفر (٢)  
ثم يقول قصة يوسف مع أبيه حين أرسل إليه من مصر قميصه و وجد فيه ريح يوسف فارتد  
إليه بصره الذي كان الحزن قد أذهب، وطالما قال شعراء التصوف في هذا المعنى ليرمزوا به إلى ما  
يعرف لديهم بتلقى الإلهام من عالم الغيب .  
إلا أن إقبال يريد بذلك نقيض ما يريد الصوفية ، لأنه يرمز به إلى طلب المعرفة والثقة في  
الذات واستعداد كل قدرة خفية تكمن فيها.  
ويقول إقبال:

نصيب خود زبوء پيرهن گير	به کنعان نگهت از مصر ويمن گير
خودی صیاد و نخچیرش مه ومهر	اسیر بند تدبيرش مه ومهر (٣)
ومن ریح القمیص فنل نصیبا	تسنم من ضفاف النيل طيبا (٤)
وذاتک نیـرين بهما تصيد	ومن تدبيرها لهما القيود (٥)

فهكذا يبين قصة سليمان والنملة التي جاءت في سورة النمل . فيقول:

جهاں غير از تجلی هاء ما نيست	که به ما جلوه نور و صدا نيست
توهم از حجتش ياری طلب کن	نگه را از خم و پيچش ادب کن
يقين می داں که شیران شکاری	دریس ره خواستند از موریاری (٦)
تجلینا به الدنيا تكون	بنا نور تجلی او رنين (٧)

- ١- في الأصل إشارة إلى إبراهيم عليه السلام وما جاء في سورة الانعام وهو ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لَأَبِيهِ إِزْرًا اتَّخِذْ أَصْنَامًا إِلَهَةً إِنِّي أَتَىٰ أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (سورة الانعام ، الآية : ٧٤).
- ٢- الترجمة العربية : المصري ، د. حسين محيب : رسالة الخلود ، ص ١٦٤ .
- ٣- كلييات إقبال (فارسی) گلشن راز جديد ، ص ٣٠٦ .
- ٤- قال تعالى في سورة يوسف : ﴿إِذْ هَبُوا بَقَمِيصِي هَذَا فَلَئِمُّهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأُنْتِنِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (سورة يوسف ، الآية : ٩٣) وقد أرسل قميص يوسف من مصر إلى أرض كنعان ، ووجد فيه يعقوب رائحة يوسف ، فارتد إليه بصره .
- ٥- الترجمة العربية : المصري ، د. حسين محيب : روضة السر الجديد . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ١٦٥ شارع محمد فريد . ١٩٧٧ م . ص ٣٨٠ .
- ٦- كلييات إقبال (فارسی) گلشن راز جديد ، ص ٣٠٦ .
- ٧- إقبال لا ينكر الوجود ، بل ما يبدو من مظاهر الموجودات ، وهو يؤكد أثر العقل على ما يقع تحت الحس ، ويشير إلى أن العالم يحتمل طابع الإنسان عليه .

ومنها العون في الأواء جرب بأحوال لها نظرافأد  
 وأيقن أن أساد الفلاة أرادت عون نمل(١) للنجاة (٢)  
 ولإيضاح هذا من كلام إقبال نقول أن النملة لما شاهدت جنود سليمان قادمين في العنيف  
 من هجومهم نفرت من وجههم فتبعها نمل غيرها، وصاحت فيها منبهة محذرة، وبذلك أنجت  
 النمل وأنجت جنود سليمان من ظلم كانوا على أوشك ارتكابه وهم لا يشعرون، ألا وهو سحق  
 تلك النمل سحقاً. ثم يذكر قصة موسى عليه السلام ومعجزاته بالتفصيل ولا حاجة لنا أن نقل هذه  
 الواقعة بالتفصيل لشهرتها.

فيتحدث إقبال عن هذه القصة في الأبيات التالية:

”تو شمشیری ز کام خود برون آ      برون آ از نیام خود برون آ  
 نقاب از ممکنات خویشن برگیر      مه و خورشید و انجم را به برگیر  
 شب خود روشن از نور یقین کن      يد بیضا برون از آستین کن“ (٣)  
 لیشهر منک ذیاک الحسام      بغمدک لا یطیب لک المقام  
 وتملك قدرة فارغ نقابا      تنل شمسا وبدرا والسحابا  
 دجاک آنر بانوار الیقین      بدأ بیضا(٤)، أظهر للعیون (٥)  
 وبعد ذلك يبين إقبال قصة رؤية الله على كوه طور ويبين اضطرابه كذلك:

١- هذا مذكور بقوله تعالى في سورة النمل: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّى إِذَا  
 اتَّوَا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنُكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ .  
 فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَوَالِدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً  
 تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ . (سورة النمل، الآية: ١٧-١٩)  
 فلما رأت النملة جنود سليمان فرت منهم فتبعها غيرها وصاحت محذرة منبهة، وهذا منها شبيه بمخاطبة العقلاء  
 ومناصحتهم وكأنها بذلك أنجت النمل كما أنجت جنود سليمان من ظلم كادوا يرتكبونه وهم لا يشعرون  
 وهو سحق تلك النمل، فعجب سليمان لها على ضعفها كيف كانت سبباً في نجات جنود من ظلمهم النمل من  
 هلاكها.

- أساد الفلاة: أسود الصحراء، وهم هنا جنود سليمان.

٢- الترجمة العربية: المصري، د. حسين محيب: روضة السر الجديد، ص ٣٨٠.

٣- كليات إقبال (فارسي) گلشن راز جديد، ص ٣٥٠.

٤- الدجى: الليل، واليد البيضاء: المشعة. قال تعالى في سورة طه: ﴿وَأَضْمُ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ

غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ، لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَىٰ، إِذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ (سورة طه، الآية: ٢٢-٢٤)

٥- الترجمة العربية: المصري، د. حسين محيب: روضة السر الجديد، ص ٤٠١.

”چشم موسی خواست دیدار وجود      ایس همه از لذت تحقیق بود  
 لن ترانی نکته ها دارد دقیق      اند که گم شو درین بحر عمیق  
 در نگرهنگامه آفاق را      زحمت جلوت مده خلاق را“ (١)  
 عین موسی رؤیة الدنيا أرادت      وإلیها رغبة التحقیق ساقط  
 (لن ترانی) أنها المعنى الدقیق      ولتضع فی ذلك البحر العمیق (٢)  
 هذه الآفاق بالعین ارمقن      وتجلی ربها لا تطلبن“ (٣)

ويتحدث إقبال عن الأنبياء الآخرين في أشعاره وزين أشعاره بذكر تلك القصص التي جاءت في القرآن الكريم . وغاية شعر إقبال كان تفهيم القرآن الحكيم بالقلب والروح . وفي الحقيقة كان شعر إقبال تفسير القرآن ، بأن فتح إقبال بصره على القرآن ولقد شرح مفهوم القرآن الكريم للزمان ، ويفسر إقبال القرآن بالمأثور المستقيم في الفهم ، ولا يميل إلى تأويل ولا تمثيل .

وما كان إقبال صاحب فرقة دينية ولا شيخا لطريقة خاصة لبحث لها عما يؤيدها من براهين في القرآن ، بل كان ذلك المؤمن الذي فهم القرآن ما ينبغي أن يفهم ، فما معنى حرف من معانيه كان منه ولذلك رأى أن تكون الهداية به ، واستلزم قيام الدعوة الإصلاحية في الإسلام على أساس منه (٥) وفلسفة إقبال ”الإنسان الكامل“ أخذها من القرآن الكريم . أما أولئك الذين يزعمون أن فلسفة إقبال مأخوذة من الفلسفة الغربية . فرأيهم ليس بمصيب . ويبين إقبال لهم أن القرآن هو مصدره الوحيد لكل ما نظم ، وقولهم هذا يدل على جهلهم بالإسلام .

فيقول إقبال:

گفت برما بند و افسون فرنگ      هست غوغايش ز قانون فرنگ  
 ذوق حق ده ایس خطا انديش را      اینکه نشناسد متاع خویش را  
 گر دلم آئینه بے جوهر است      در بحر خم غیر قرآن آمضمراست  
 له فروغت صبح اعصار و دهور      چشم تو بیننده مافی الصدور  
 پرده ناموس فکرم چاک کن      ایس خیابان راز حارم پاک کن

١- کلیات إقبال (فارسی) جاوید نامه ، ص ١٣٠ .

٢- الشاعر يريد قوله تعالى في سورة الاعراف : ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَلَكِن نُنظُرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرِيكَ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَبُعًا فَلَمَّا آفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الأعراف ، الآية : ١٤٣)

٣- الترجمة العربية: المصري ، د. حسين مجيب : رسالة الخلود ، ص ٢٠٢ .

٤- المصري ، د. حسين مجيب : إقبال والقرآن ، ص ٢٨٤ .

- تنگ کن رخت حیات اندر برم      اهل ملت را نگهدار از شرم“ (١)  
 قيل اهدى سحر أوبة لنا      وبقانون الفرنج اقتنا (٢)  
 إهدى للحق الذي أفكا      الذي يجعل ما قد ملكا (٣)  
 إن يكن قلبي غوي لا يبصر      أو سوي القرآن لفظي يضم  
 أنت يا من نوره صبح العصور      أنت يا عالم أسرار الصدور  
 أهتكن أسرار فكري وافضحن      طهرن من شوكتي روض الزمن  
 وحياتي أقطع لأجل الأمة      واكفين شري أهل الملة“ (٤)
- ويشير إقبال إلى قوله تعالى:

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ (٥)

ويدعو إقبال المسلمين إلى التمسك بالقرآن . لأنه سبيل الحرية ، ولعله يشير بطرف خفي إلى فهم هذه الآية التي تشير إلى أهل الكتاب من النصارى واليهود والكفار عامة ، وإدراك أخطاءهم ومؤامراتهم ضد الإسلام والمسلمين .

ويقول إقبال:

- رشته بالم يكن بايد قوی      تا تو در اقوام بهیمتا شوی“ (٦)  
 ”لم يكن“ أمسك بها وأشد ديدا      لتري في الناس حراً أو وحدا“ (٧)
- والقرآن الكريم عند إقبال نعمة عظيمة للمسلمين ، وهو جبل الله المتين ، من تمسك به نجا ومن أفلته وانحرف عنه هلك .

فيؤكد إقبال أن تمسك كتاب الله ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بقوة . كما يقول:

- اے کہ از اسرار دیس بیگانہ      باریک آئین سازا گرافرزانه  
 از یک آئینی مسلمان زنده است      پیکر ملت زقرآن زنده است  
 ماہمہ خاک و دل آگاہ اوست      اعتصامش کن کہ جبل اللہ اوست

١- کلیات إقبال (فارسی) رموزی خودی ، ص ٣٦٤ .

٢- القانون: آلة موسيقية ، وفي كلام تورية بالقانون الذي معناه الشرع .

٣- اهد من ادعى أن فلسفتي مأخوذة من الفرنج ، لأنه يجهل ما في دينه من قوانين .

٤- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : رموز نفى الذات ، ص ٢٤٥ .

٥- سورة البينة ، الآية : ١ .

٦- کلیات إقبال (فارسی) رموزی خودی ، ص ٣٥٦ .

٧- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : رموز نفى الذات ، ص ٢٤٢ .

چون گهر در رشتۀ او سفته شو      ورنه مانند غبار آشفته شو“ (۱)  
 قد جهلت الدين عنه حائدا      الزمن يا حرُّ نهجا واحدا  
 و حدة الشرع حياة الأمة      فمن القرآن روح الملة  
 نحن طين وهو قلب لا جرم      هو حبل الله من شاء اعتصم  
 فانظّم في سلكه كالدرر      أو غباراً في الرياح انتشر“ (۲)  
 ومشيروا إلى قوله تعالى:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (۳)

وهكذا أعطانا إقبال الدليل الصادق على تأثير القرآن في فكره وثقافته وفلسفته كلها، مما لا يترك مجالاً لريب مستريب أبداً .

فدعا إقبال الأمة الإسلامية إلى القرآن الحكيم بكل إخلاص بأنه يتيقن أن نجاة المسلم مضمرة في التعليمات القرآنية ويعترف معترضوا إقبال ببداعة فلسفته وكلامه وجهده الذي بذل لإيقاظ شعور الإنسان. (۴)

- ۱- کلیات إقبال (فارسی) رموز بے خودی، ص ۲۷۶.
- ۲- الترجمة العربية: عزام، عبدالوهاب، الدكتور: رموز نفی الذات، ص ۲۱۷-۲۱۸.
- ۳- سورة آل عمران، الآية: ۱۰۳.
- ۴- انظر: حامد، محمد: أفكار إقبال. لاهور، باكستان: يناير ۱۹۸۶م، ص ۱۰-۳۸.
- وانظر: صديقي، شمس الدين، الدكتور، ومرتضى، سيد، الدكتور، وجعفري، اختر: في "خيابان دانائے راز" تحت عنوان آبروئے مازمام مصطفیٰ است، شاه محمد یونس، سيد. بشاور، باكستان: عدد اکتوبر ۱۹۷۷، ص ۲۶۴-۲۸۵.
- وانظر: M.S. Rashid, Iqbal and Quran: Published by London and Bostan, 1981. p 47-49.
- وانظر: نیازی، نذیر، سيد: انتخاب مقالات إقبالیات: إقبال اور قرآن، اشاریہ جرائد (جرنل تافکرو نظر) ۱۹۸۸م، ماخوذ من میثاق، يناير، فبرائر ۱۹۷۴م.
- وانظر: روزنامه مشرق (الجريدة اليومية، الشرق) علامه إقبال اور قرآن حکیم، ۲ سبتمبر ۱۹۸۸م.
- وانظر: إقبال نامه، بنام سرراس مسعود، ۳۶۲/۱.
- وانظر: مقالة: الرحمن، عتیق: إقبال کی شخصیت اور شاعری مکاتیب کے آئینے میں (شخصية إقبال و شاعریتہ فی مرآة مکاتیب) وانظر: عشرت وحید، الدكتور: إقبال ۸۴م، لاهور، باكستان: إقبال اکادیمیہ، ۱۹۸۶م، ص ۵۰۷-۵۱۵.
- وانظر: المصري، د. حسين محيب: اندلس بين شوقي وإقبال. بيروت: ۱۹۹۹م، ص ۱۳۷.
- وانظر: وحید الدين، سيد: روزگار فقیر (الاردية)، ۱/۱۸۷.
- وانظر: عزيز احمد، أستاذ: أفكار إقبال، اربع محاضرات حول الدكتور إقبال. سفارة جمهورية باكستان الإسلامية بدمشق، ص ۲۷-۲۸.
- وانظر: اله آبادی، بهار: تفسير إقبال. سرینگر، کشمیر: ۱۹۸۲م، ص ۱۳-۱۶.



أما الحديث والسنة النبوية صلى الله عليه وسلم فكان رسول الله أفصح الناس وأبينهم وأحكمهم، وكانت حياته كلها هداية ونوراً. وأفعاله وأقواله رشداً للعوام والخواص ووجوده كان سراجاً منيراً، ولهذا حرص المسلمون على حفظ ذلك الأثر العظيم، فجمعوا كلامه ووصف أفعاله وأحواله الأسفارية الضخام ووعوا منها في صدورهم ما لا يدخل تحت حصنه وكلامه صلى الله عليه وسلم منزّه عن اللغو والباطل وإنما كان في توضيح قرآن أو تقرير حكم أو إرشاد إلى خير أو تنفير من شر وفي حكمة ينتفع الناس بها في دينهم ودنياهم بعبارة هي في الفصاحة والبلاغة والإيجاز والبيان بعد القرآن الكريم ولذلك كان تأثيرها في اللغة والأدب جديداً.

فشوقي يتحدث عن فصاحة الأحاديث، ويذكر أثر القرآن فيه. فيقول:

يا أفصح الناطقين الضاد قاطبة      حديثك الشهد عند الذائق الفهم

حليت من عطل جيد البيان به      في كل منتشر في حسن منتظم

بكل قول كريم أنت قائله      تحي القلوب، وتحى ميت الهمم" (١)

وفي هذا الأبيات يبين شوقي أن حديث النبي صلى الله عليه وسلم عذبة وكريمة وتأثر أثراً كبيراً في قلوب السامعين. وتحى القلوب الموتى، وفيها أصول المعرفة، وآداب المعاملة والسلوك.

وقول شوقي:

أما حديث في العقول فمشرع      والعلم والحكم الغوالي الماء

هو صبغة الفرقان نفحة قدسه      والسين من سوراته والراء

جرت الفصاحة من ينابيع النهى      من دوحه وتفجر الإنشاء

في بحر له للسابحين به على      أدب الحياة وعلمها إرساء

أتت الدهور على سلافته ولم      تفن أسلاف ولا سلا الندما" (٢)

ويقول النجدي ناصف في هذا الصدد:

"فالحديث النبوي صلى الله عليه وسلم مورد للعلم والحكمة، ثم دوحه، ثم ينبوع، ثم بحر،

ثم خمر، ما نأخذه على الشاعر في هذه الأبيات الحميلة إلا أنه يشبه عمل الأحاديث الشريفة في نفس قارئها بعمل الخمر في عقول شاربها، ويشبه أصحاب روايتها المقطعين لها، لأن المقام أجل، ولأن الخمر حرام في الإسلام وهي رجس من عمل شيطان ويرى فيها اثم كبيراً، فليس يجوز إذا في مقام المدح لنبي الإسلام أن تشبه بها صفة من صفاته أو حال من أحواله، بل لا يجوز أن تذكر أبداً في مثل هذا المقام إلا على الصورة التي يصورها هو بها، ووفق الرأي الذي يراه هو فيها أيضاً". (٣)

١- الشوقيات: ١٩٧/١.

٢- الشوقيات: ٣٧/١.

٣- علي النجدي ناصف: الدين والأخلاق في شعر شوقي، ص ١١٢.

فشوقي يصور لنا صفات الرسول صلى الله عليه وسلم التي كانت له أكبر عون على تحقيق دعوته ، والتي مكنة من أن يحول أمة جاهلة متفرقة إلى دولة إسلامية عزيزة الجانب ، يصور لنا حتى تكون مثلاً أعلى يقتدى به المسلمون في حاضرهم ويتخذ من حياة الرسول ما يذكر المسلمين بدبتهم المسع وماضيهم المجيد .

فيقول:

بسوى الأمانة في الصبا والصدق لم يعرفه أهل الصدق والأمناء  
يامن له الأخلاق ما تهوى العلا منها وما يتعشق الكبراء  
والحسن من كرم الوجوه وخيره ما أوتى القواد والزعماء“ (١)  
فبين أحسن الصورة لصفات وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يقول عن الشريعة  
المحمدية ويؤمن بأنها هي التي تقيم دين الحق وشريعته تبين الفرق الواضح بين الحق والباطل.

بك يا ابن عبد الله قامت سمحة بالحق من ملل الهدى غراء  
بنيت على التوحيد وهي حقيقة نادى بها السقراط والقدماء“ (٢)  
وكان الأخوة والمساواة من المبادئ السامية التي دعا إليها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.  
فرسمت بعدك للعباد حكومة لا سوقة فيها ولا أمراء  
الله فوق الخلق فيها وحده والناس تحت لواءها أكفاء“ (٣)  
ثم يقول:

والبر عندك ذمة وفريضة لأمنة ممنونة وجباء  
جاءت فوحدت الزكوة سبيله حتى التقى الكرماء والبخلاء  
أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى فالكل في حق الحياة سواء (٤)  
ثم يتحدث عن أثمار الشريعة المحمدية ويثبتها من الحقائق التاريخية، أنه كيف صار الضعفاء  
والجهال من رعاة الإبل والشاء أغنى الناس بثورة الشريعة المحمدية على صاحبها الصلوة والسلام  
وصاروا سراة العلم والعدل بهذه الشريعة.

فيقول:

شريعة لك فجرت العقول بها من زافر بصنوف العلم ملتظم

١- الشوقيات: ٣٥/١.

٢- الشوقيات: ٣٨/١.

٣- الشوقيات: ٣٨/١.

٤- الشوقيات: ٣٨/١-٣٩.

وعلمت أمة بالقفر نازلة رعى القياصر بعد الشاء والنعم  
 للعلم والعدل والتمدين ما عزموا من الأمور وما شدوا من الحزم  
 ساروا عليها هداة الناس فهي بهم إلى الفلاح طريق واضح العظم (١)  
 وهذا الأمر واضح أن شوقي يريد أن يعرض أسوة حسنة للقوم بكتابة المدح النبوي صلى الله  
 عليه وسلم ولهذا في أواخر مدحه هو يدعوا الله ورسوله العافية لقومه ويؤمن أن كل نواب القوم هي  
 بسبب الغفلة من الشريعة المحمدية صلى الله عليه وسلم ، فلهذا يقول :

أدرى رسول الله أن نفوسهم ركبت هواها والقلوب هواء  
 ثم يقول:

ظلموا شريعتك التي نلنا بها مالم ينل في رومة الفقهاء (٢)  
 ففي الهزمية النبوية أشاد شوقي ببعض شمائل النبي صلى الله عليه وسلم وبها كذلك توسل  
 للمسلمين وشكا من ضعفهم ، وبعد ذلك عاد إلى الإشادة بالشريعة.

بيان جل موحيه وعلم عز ملهمه  
 حكيم الذكر بين الكتا ب مظهره وميسمه  
 وكم للحق من غاب رسول الله ضيعمه  
 له الغزوات لا تحصى ولا يحصى تكرمه  
 تكاد تقيد الأسرا ء قبل السيف أنعمه  
 ثم أشاد بأمانته قبل البعثة في قوله :

أمين قريش ما اختلفت صيبا بين فتيها  
 فجاءته تحكّمه إليه الأمر يرسمه (٣)

وفي ذكرى المولد يمدح "نبي البر" ويذكر المسلمين بتعاليم الرسول وكيف نبهنا إلى طريق المجد  
 وهو الإقدام ، ثم يسأل الله أن يزيل الضر عن المسلمين ويتوسل إلى الله برسوله ، أن يحقق هذا الأمل :

"نبي البر بينه سيلا وسن خلاله وهدى الشعابا  
 وشافي النفس من نزعات شر كشاف من طبائعها الذئابا  
 وعلمنا ببناء المجد حتى أخذنا إمرة الأرض اغتصابا  
 وما استعصى على قوم منال إذا الإقدام كان لهم ركابا

١- الشوقيات: ٢٠٤/١.

٢- الشوقيات: ٤١/١.

٣- الحوفي ، أحمد ، الدكتور: الإسلام في شعر شوقي ، ص ٢٦٥.

سألت الله في أبناء ديني فإن تكن الوسيلة لي أجابا  
وما للمسلمين سواك حصن إذا ما الضرر مسهم ونابا (١)  
ثم أوصى المسلمين أن يتبعوا أسوة الرسول الكريم الحسنة صلى الله عليه وسلم ، لأنه  
متصف بجميع الصفات الحسنة ، فينبغي لنا أن نتبع أسوته الحسنة في مجالات الحياة كلها.  
فيقول:

خذ بالكتاب وبالحدِيث	وسيرة السلف الثقات
وارجع إلى سنن الخليفة	واتبع نظم الحياة
هذا رسول الله لم	ينقص حقوق الأمهات
العلم كان شريعته	لنساءه المتفقهات
رضن التجارة والسياسة	والشؤون الأخريات
روت الحديث وفسرت	أي الكتاب البيّنات
وحضارة الإسلام تنطق	عن مكان المسلمات (٢)

وكذلك انتهز ذكرى مولد النبي (٣) صاحب الرسالة التي رفعت من شأن العلم والفكر ،  
فحضر على التعليم ، وبين أن الأمة إذا علمت الفقراء من بينها فإنها قد تجني ثمرات من العزة والمجد ،  
وهذا كل فيض من ينبوع الخير الذي يخرج من نهر رحمة الرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشوقي  
يصور لنا أحسن التصوير بصفات النبي الظاهرية والباطنية وأوصنا لاتباع أسوة الرسول صلى الله عليه  
وسلم بذهن العاقل وبقلب المؤمن.

وصاحبنا إقبال كما أخذ فلسفته من القرآن الحكيم ، فكذلك اقتبس كثيراً من أفكاره من  
السنة النبوية الشريفة بأن أحاديث الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم هي الوسيلة العظمى لفهم  
الشريعة المحمدية صلى الله عليه وسلم ، ومن يفهم الشريعة المحمدية صلى الله عليه وسلم يقترب  
إلى الله سبحانه وتعالى . ومن يقترب إلى الله فهو الشخص الأفضل وهو يعيش حياته بإذن الله ويتبع  
أسوة رسول الله ويحب العمل في حياته ، فهذا هو أساس فلسفة إقبال .

كما قال الله سبحانه وتعالى في القرآن الحكيم :

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ (٤)

١- الشوقيات : ٧٢، ٧١/١ .

٢- الحوفي ، أحمد ، الدكتور: الإسلام في شعر شوقي ، ص ١٧٨ .

٣- الشوقيات ، ٧٠/١ .

٤- سورة آل عمران ، الآية: ١٦٤ .

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ (١)

يرى إقبال أن النبي صلى الله عليه وسلم خير أسوة للناس إلى يوم القيامة ولا يمكن للبشرية الفوز والفلاح إلا باقتفاء أثره المبارك.

يقول إقبال:

”نسخة كونين را ديباچه اوست جمله عالم بندگان وخواجه اوست“ (٢)

هو عنوان كتاب العالمين سيد الكونين ، مولى الثقلين“ (٣)

ويقول أبو الحسن عن شعر إقبال في النبي صلى الله عليه وسلم:

”فكان شعر إقبال في النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، من أبلغ أشعاره وأقواها ، وكان

حشاشه نفسه وعصارة عمله وتجاربه ، وكان تصويرا لعصره وتقريراً عن أمته وتعبيراً عن عواطفه.“ (٤)

وفي معنى حاجة المسلمين إلى التمسك بتعاليم السنة النبوية ، يقول إقبال في رموز نفى

الذات تحت عنوان ”الرسالة“.

از رسالت در جهان تکوین ما	از رسالت دین ما آئین ما
آن که شان اوست یهدی من یرید	از رسالت حلقه گرد ما کشید
حلقه ملت محیط افزاستی	مرکز او وادی بطحاستی
ماز حکم نسبت او ملتیم	اهل عالم را پیام رحمتیم
از میان بحر او خیر بم ما	مثل موج از هم نمیریزیم ما
امتش در حرز دیوار حرم	نعره زن مانند شیران دراجم
معنی حرفم کنی تحقیق اگر	بنگری با دیده صدیق اگر
قوت قلب و جگر گردد و نبی	از خدا محبوب تو گردد نبی
قلب مومن را کتابش قوت است	حکمتش جبل الوریذ ملت است“ (٥)
بالرسالات بدا تکویننا	شرعنا منها ومنها دیننا
ذاک من ”یهدی إليه من یرید“	حلقه منها حوالینا یشید“ (٦)

١- سورة الجمعة ، الآية: ٢.

٢- کلیات إقبال (فارسی) أسرار خودی ، ص ٦٦.

٣- الترجمة العربية: عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور: أسرار أثبات الذات ، ص ١٤٠.

٤- الندوي ، أبو الحسن علي : روائع إقبال ، ص ١٧٤.

٥- کلیات إقبال (فارسی) رموز بے خودی ، ص ٢٢٨.

٦- إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ، وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾ (سورة الحج، الآية: ١٦)

حلقة ذات محيط يعجز  
نحن مما جمعتنا أمة  
موجنا في بحرها متصل  
أمة في حرز سور الحرم  
إن تحقق ممعنا في كلمي  
فالنبي الروح فينا والعصب  
سفره في القلب نبع القوة  
ويقول إقبال تحت عنوان "إن حسن سيرة الأمة المسلمة من التأدب بالآداب المحمدية":

"غنحجه از شاخسار مصطفی  
از بهارش رنگ و بو باید گرفت  
مرشد رومی چه خوش فرموده است  
مگس از ختم الرسل ایام خویش  
فطرت مسلم سراپا شفقت است  
آنکه مهتاب از سر انگشتش دونیم  
از مقام او اگر دور ایستی  
أنت کم في فروع المصطفی  
نظرة من روضه فالتمس  
مرشد الروم الذي قطرته  
لا تجد الجبل من خیر البشر  
فطرة المسلم طرا رافة  
العظیم الخلق من شق القمر  
گل شو از باد بهار مصطفی  
بهره از خلق او باید گرفت  
آنکه یم در قطره اش آسوده است  
تکیه کم کن برفن و برگام خویش  
در جهان دست وزبانش رحمت است  
رحمت او عام و اخلاقش عظیم  
از میان معشعر بالیتی" (٤)  
فتفتح في ربيع المصطفی  
وسنما من خلقه فاقتبس  
قد حوت بحرا، سمت قولته  
لا تقل عندي فنون وبصر  
قوله والفعل كل رحمة  
رحمة عمّت ونور للبشر (٥)

- ١- "وأسد الأجم" إشارة إلى بيت البردة:
- ٢- أحل أمته في حرز ملته كالليث حل مع الأشبال في أجم  
وأما ما قال إقبال من أن النبي قد يكون أحب إلى قلوبنا من الرب فلعل قصده به أن النبي صلى الله عليه وسلم أقرب إلى شعورنا ومشاعرنا لكونه من جنسنا، فالقلب يعشق إليه بسهولة وبأدبي معرفة به بينما الله تبارك وتعالى أحب إلى المؤمنين من كل شيء. فقد قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا، وَآشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ (سورة البقرة، الآية: ١٦٥) فيمكن أن الرسول أحب كل المسلمين كذلك.
- ٣- الترجمة العربية: عزام، عبد الوهاب، الدكتور: رموز نفي الذات، ص ٢٠٢، ٢٠٣.
- ٤- كلييات إقبال (فارسی) رموز بے بودی، ص ٢٩٠.
- ٥- ونسب شق القمر إلى الرسول مجازا والمعنى الحقيقي أن الله تعالى شق القمر معجزة لرسوله صلى الله عليه وسلم.

لست من معشرنا فاعتزل إن تكن منه بعيد المنزل“ (١)  
 فصور إقبال سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الأبيات بأجمل صورة ، ويبين أن من  
 خصائص رسالته تقويم الصلوات والعلاقات بين العبد والمعبود ، وقد أرسل الله سبحانه وتعالى رسوله  
 كالبشر الكامل ، فأعطانا دستور الحياة الكاملة لكي نعيش حياتنا تحت هذا الدستور، وبفضل الله  
 دستور نبينا موجود عندنا كسراج منير في ظلمة حياتنا. (٢)

ومن مراحل تربية الذات لدى إقبال الطاعة والتزام أحكام الشرع وإتباع الرسول المبين أمر  
 لا بد منه، كما يأمر الله تعالى به لنفع الإنسانية ونجاتها في الآخرة .  
 كما قال الله تعالى:

﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ اطَّاعَ اللَّهَ﴾ (٣)

وقال الله تعالى في موضع آخر:

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا  
 وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٤)

وقال الله تعالى:

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥)

ويقول إقبال:

بازاء آزاد دستور قديم	زينت پاكن هما زنجيرسم
شكوه سنج سختی آئين مشو	از حدود مصطفى بيرون مرو“ (٦)
ارجعن يا حر دستور قديم	زينن رجلك بالقيد الوسيم
شلة في شرعنا (٧) لا تشكون	وحدود المصطفى لا تعدون“ (٨)

وفي الديوان الأسرار والرموز يبين الشاعر أن من مقومات الأمة الإسلامية إتصالها الدائم

١- الترجمة العربية: عزام ، عبد الوهاب ، الدكتور: رموز نفي الذات ، ص ٢٢١ .

٢- فراقى ، تحسين ، الدكتور: جستجو (الأردية). لاهور: ١٩٨٧م ، ص ١٢٠ .

٣- سورة النساء ، الآية: ٨٠ .

٤- سورة النور ، الآية: ٥١ .

٥- سورة النحل ، الآية: ٦٤ .

٦- كلييات إقبال (فارسي) أسرار خودي، ص ١٠٨ .

٧- وينصح المسلم بالتزام الشرع واحتمال شدته ، فهذا قانون لا يسعد الإنسان بدونه ، ويقول للمسلم كنت حرا  
 باتباع دستورك القديم فارجع وقيد رجلك بهذا القيد الجميل ، ففي هذا القيد حريتك لا عبوديتك .

٨- الترجمة العربية: عزام ، عبد الوهاب ، الدكتور: أسرار أثبات الذات ، ص ١٥٤ .

بمحمد صلى الله عليه وسلم يقول في رسالته إلى نيكلسون :

”أن في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة للمسلم ، فقد كانت حياته خير مثال

للسعي الدائم ، فقد كانت حياته كلها صورة للعمل “ . (١)

فشخصية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم شخصية كاملة ، فهو دياجه كتاب العالمين

وسيد العالمين ، ووجوده كربيع وحديثه كالأزهار وسنته كالنور ، فيجب علينا أن نطبع سيرته وحياته

في حياتنا للنجاح في العالم الدنيا والعالم الآخرة . (٢)

ونصلى على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الصلاة والسلام وبالحيقة حياة المسلم عبارة

عن حياة النبي و وجدنا أن أسلوب إقبال الذي استخدم في شعره مادحاً النبي الكريم صلى الله عليه

وسلم يفوق أسلوب شوقي في هذا الصدد ويسود إقبال بمنهجه الرائع على شوقي .

١- انظر مقدمة ديوان الأسراء والرموز من رسالة إقبال إلى نيكلسون، ص ١٦ .

٢- هاشمي ، شفيق الرحمن ، بروفيسور : إقبال كا تصور دين (الأردية) . لاهور ، باكستان: ص ٤٦ ،

٤٧، ٤٨، ٥٤، ٥٥ .

- وانظر: رسالة الخلود (جاويد نامه) ص ٢٣٤، ٢٣٥ .

- وانظر : محمد إقبال : تجديد التفكير الديني في الإسلام، الترجمة العربية: عباس محمود، ص ١٩٦-١٩٧ .

- وانظر : الاعظمي محمد حسن ، شعلان ، صاوى علي ، فلسفة إقبال والثقافة الإسلامية في الهند والباكستان .

داراحياء الكتب العربية ، ١٩٥٠ م . ص ١٧١ .



## خاتمة البحث

هناك أراضى عديدة في الدنيا اشتهرت بالخصائص المتنوعة، بعضها اشتهرت بزراعتها وأخرى امتازت في مجال اللعب وبعضها تفتخر بمبانيها وبعضها اكتسبت شهرة من حيث رجال العلم والفنون والفلاسفة، أما أرض مصر، فهي اكتسبت شهرة من نواحي شتى، لأنها هي مهد العلم والأدب والحضارة والثقافة منذ العصور القديمة، فقد نبغ فيها رجال العلم والأدب، والعالم اعترف لهم الفضل والمجد في ميادين مختلفة من العلوم والفنون، وهؤلاء رجال قد نوروا المناطق العديدة بنور علمهم وفضلهم، ولا تزال مصر الحديثة تفتخر بهذه الرتبة الرفيعة العالية في العالم العربي وفي العصر الحديث هناك عدة رجال تعد من الشخصيات الجليلة في مجال الأدب، ولا ريب أن أحمد شوقي من أبرزها وأشهرها في العرب، وهو أحد من أعماد الأدب. هو الشاعر الذي مزج القديم بالحديد وأضاف المواضيع البديعة إلى الشعر العربي، مكّنه على الرتبة الرفيعة المرموقة في الفن والخيال حتى صار نطاقه أوسع وأشمل، وظهر كزهرة جميلة التي عطرت جميع أنحاء مصر من عطرها.

ومن تلك الشخصيات التي تركت آثاراً عميقة في مجال العلم والأدب على المستوى الدولي شخصية إقبال، فقد ظهرت شخصية إقبال على سماء العلم والأدب كالشمس في آخر القرن التاسع عشر وفي بداية القرن العشرين ولم تشرق شبه القارة الهندية فحسب بل العالم الإسلامي كله. إن هذا البحث يقوم على أساس دراسة مقارنة لشعر شوقي وإقبال في المديح النبوي صلى الله عليه وسلم. والمديح النبوي صلى الله عليه وسلم غرض سام من أغراض الشعر عبر القرون ونجد أوليات الشعر في مدح النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب وكان عمه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. وبعد هذا نجد اهتماما خاصا لمدح النبوي صلى الله عليه وسلم عند كل الشاعر. ونجد محب موضوعات المدح النبوي عند الشعراء فيما يلي:

خَلَقَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَخُلِقَ ، وَشَعْرَهُ ، وَجَسَدَهُ ، وَوَجْهَهُ ، وَسَيْفَهُ ، وَمِعْرَاجَهُ ، وَأَوْصَافَهُ  
النَّبَوِيَّةَ ، وَأَوْصَافَهُ الْبَشَرِيَّةَ ، وَإِيْفَاءَهُ ، وَمَحَبَّتَهُ لِكُلِّ الْبَشَرِ ، وَسَخَاهُ كَالْمَطَرِ ، وَعَهْدَهُ وَغَيْرَهُ مِثْلَ كَذَلِكَ :  
أَمَّا شَاعِرُنَا شَوْقِي فَقَدْ تَنَاوَلَ مِنْ تِلْكَ الْمَوْضُوعَاتِ . أَوْصَافَهُ خُلُقَهُ وَالْخَلِيقَةَ وَأَوْصَافَهُ  
الدَّعْوِيَّةَ/النَّبَوِيَّةَ .

وَفِي ضَمَنِ هَذِهِ الْمَوْضُوعَاتِ يَعْرِفُ شَخْصِيَّةَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَرَحْمَةِ  
وَبَرَكَةِ لِكُلِّ الْإِنْسَانِ وَلَدِيهِ هُوَ سَبَبُ تَخْلِيْقِ الْكَائِنَاتِ . وَيُظْهِرُ شَوْقِي عَقِيدَتَهُ وَمَحَبَّتَهُ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ كُلِّ جَوَانِبٍ وَيُفَضِّلُهُ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .  
وَيَذْكَرُ شَمَائِلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قِصَائِهِ (الْهَمْزِيَّةَ النَّبَوِيَّةَ ، نَهَجَ الْبُرْدَةَ ، ذَكَرَى  
الْمَوْلِدَ الْأَوَّلِيَّ وَذَكَرَى الْمَوْلِدَ الثَّانِيَةَ) بِالتَّفْصِيلِ .

وَلَدَى شَوْقِي هَذَا مِنْ فِضَائِلِ النَّبِيِّ وَصِفَاتِهِ الْخَلْقِيَّةِ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَهُ مِنْ قَبْلِ تَخْلِيْقِ آدَمَ وَبَعَثَهُ مِنْ  
آخِرِ الْمُرْسَلِينَ وَأَكْمَلَ دِينَهُ الْإِسْلَامَ عَلَى بَعَثَتِهِ ، فَهُوَ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ وَأَحْسَنُ الْخَالِقِينَ وَأَسْوَدُ أَسْوَدِ  
حَسَنَةِ لِكُلِّ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِدُونِ تَخْصِيصِ مُسْلِمٍ أَوْ غَيْرِ مُسْلِمٍ ، وَهَدَايَتَهُ كَالنُّورِ فِي ظِلْمَةِ  
هَالِكَةٍ وَوُجُودَهُ كَرَحْمَةٍ وَسَعَادَةٍ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِ الْمُسْلِمِينَ وَأَتَمَّ اللَّهُ نِعْمَتَهُ فِي صُورَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيُقَالُ لَهُ سَيِّدُ الْبَشَرِ ، وَرَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ ، وَلَا مِثْلَ لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ .

وَلَدَى شَوْقِي جُودُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَكْثَرَ وَأَعْظَمَ وَيُفَضِّلُ جُودَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ عَلَى الْمَطَرِ . ثُمَّ يَذْكَرُ عَفْوَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَقُولُ عَفْوُكَ ظَاهِرٌ مَبِينٌ حَتَّى الْجُهْلَاءُ  
يَعْتَرِفُونَ بِعَفْوِكَ وَأَنْتَ تَعْفُو حِينَ تَكُونُ قَادِرًا عَلَى الْإِنْتِقَامِ وَيَكُونُ الْعَدُوُّ تَحْتَ سَيْفِكَ . ثُمَّ يَذْكَرُ شَوْقِي  
غَضَبَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ لِلْحَقِّ دَائِمًا وَلِحِمَايَةِ الدِّينِ وَالِدِفَاعِ عَنِ الْحَقِّ وَيَذْكَرُ شَوْقِي  
شَجَاعَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ كَالْغَضَنْفَرِ فِي تَقْدِيرِ شَجَاعَتِهِ وَهَيْبَتِهِ ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ يَفْتَخِرُونَ  
بِشَجَاعَتِهِمْ وَبِسَالَتِهِمْ وَثَبَاتِهِمْ فِي الْحَرْبِ ضِدَّ الْعَدُوِّ ، وَأَنْهُمْ لَا يَخَافُونَ مِنَ الْمَوْتِ ، ثُمَّ يَذْكَرُ شَوْقِي  
فِي قِصَائِهِمْ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ خَطِيْبًا مَفْرَدًا عَظِيمَ الثَّأْرِ فِي قُلُوبِ سَامِعِيهِ ، وَكَانَ  
قَاضِيًا عَادِلًا لَا يَرْتَابُ الْمُحْتَكُونَ إِلَيْهِ فِي عَدَالَةِ حُكْمِهِ ، وَكَانَ عَظِيمَ الْحِفَاوَةِ مِمَّا يَحْمِيهِ ، وَعَظِيمَ  
الرِّعَايَةِ لِمَنْ يَجِيرُ ، وَكَانَ الْمِثْلَ الْأَعْلَى فِي رِعَايَةِ حَقِّ الْإِنْسَانِ فِي الْحَيَاةِ وَالْكَرَامَةِ ، فَإِذَا أَمْتَلَكَ عَبْدًا أَوْ  
أَسِيرًا بَرَّهُ وَرَعَاهُ ، وَكَانَ رَحِيمًا لِأَصْدِقَائِهِ ، وَكَانَ أَعْظَمَ النَّاسِ وَفَاءً بِعَهْدِهِ وَدَعْوَدِهِ ، وَكَانَ أَعْظَمَ

الناس هيئته في النفوس . وقد أشاد شوقي بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في نهج البردة، فوصفه بالكرم والعلاء، والبأس . ثم ذكر يتمه ، ورعاية الله له ، وهدايته للناس ، وتعليمه إياهم ، وتحريرهم من أغلال الجهل وكان هذا العمل صعباً جداً ، كل العرب كانوا مستغرقين في ظلام الكفر وعبادة الأصنام ، ولا يمكن لهم أن يتركوا دينهم الذي كانوا عليه بسهولة ، وكان رسول الله يفهم هذه الحقيقة ، فبدأ دعوته من أسرته ، فدعاهم إلى دين الحق ، ولا يبالي النبي صلى الله عليه وسلم أقوالهم ، وكان يتوكل على الله وعلى ثبات همته ، وصبر على كل إيذاء أعداءه ، وتحمل كل النوائب ، وبلغ رسالة الإسلام بالعزم والتوكل ، فأيده الله وجعل دينه غالباً على كل الأديان العالمية .

وأما شاعرنا إقبال فقد تناول موضوعات مدح النبي صلى الله عليه وسلم بكل احترام ، وكان قلب الشاعر يخفق بذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، وحب النبي صلى الله عليه وسلم كان يجري كالدم في روحه وجسده ، ولدى إقبال مقصود إيجاد الخلائق هو الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكل العالم الإنساني يدور حول هذا المحور . ويتقن إقبال أنه بعث الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين وخاتم النبيين ومقامه بين الأنبياء كالقمر بين الكواكب وزين الله الأرض والسموات بوجود نبيه صلى الله عليه وسلم ويقول إقبال أن الشر والضرر والظلمة تتحول إلى الخير والنفع والنور بسبب أخلاق النبي الكريم ويسلك كل إنسان بدون الامتياز في خيط واحد وينمحي آثار الظلم والاستعباد وتغلق أبواب التفاخر بالحسب والنسب ويقوى الضعفاء وداس النبي الكريم العبودية تحت أقدامه وبدله من قوة العزة والأمن وحطم أصنام الباطل وحرر الإنسان من عبودية الإنسان وكان هذا إحساناً عظيماً على الإنسان .

ثم يذكر إقبال شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم بكل افتخار ، وهو الذي قام في بحر العداوة والبغض والعناد بقوة الإيمان واليقين وتحمل كل الإيذاء من السباب والفحش والمقاطعة من الكفار بطلق الوجه ولم تهافت قدمه من صراط المستقيم .

ثم يذكر إقبال هجرة النبي وجهاد النبي صلى الله عليه وسلم يتقن إقبال أن كل خطوته صلى الله عليه وسلم كان إلى صراط المستقيم وإلى سبيل الحق .

وبعد ذكر موضوعاتهما في المدح النبوي ، فنذكر أنهما يتفقان في الموضوعات التالية:

ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم ، البعثة النبوية ، والوحي الرباني ، الخوارق والمعجزات ،  
الهجرة النبوية وتأسيس الدولة الإسلامية ، غزوات وجهاد النبي صلى الله عليه وسلم ، أخلاق النبي  
صلى الله عليه وسلم وشمائله ، إسلام وخصائصه ، القرآن الكريم والحديث النبوي .

وفي ولادة الرسول الكريم صور شوقي أن أسماء الرسل في اللوح المحفوظ صحيفة واسم  
النبي محمد صلى الله عليه وسلم طغراء لهذه الصحيفة ، ولديه إن الله بشرَّ به السماء فأزينت ، وأنعم  
به على الأرض فتعطرت ، بشيرا بنصرة الحق وهداية البشر وتجميلهم بمكارم الأخلاق ، فهو مولدى  
الهدى الذي ليس كمثلته هدى ، الهدى الذي سطع على الكائنات ، فبين شوقي تصويرا حسنا بمولد  
النبي صلى الله عليه وسلم في قصائده .

ولدى إقبال ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم موجب بركة وسعادة ، وقبل ولادته كان  
العرب كله في فضاء المنافرة والبغضاء ، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم جعلهم أسوة مودة وشفقة  
واختارلهم صبغة التوحيد والرسالة وصاروا نفس واحدة على أساس كلمة التوحيد ونسوا اختلافهم  
من الحسب والنسب واللون والوطن .

ويظن إقبال وجوده صلى الله عليه وسلم كشمعة الهداية والقمر المنير ، ولديه دينه حتف  
للوطنية والقومية . هو رجل حر من القريش ولكنه لا يفضل حراً على عبد ، وغنيا على فقير ، وعربيا  
على عجمي ، يجلس مع موله على مائدة واحدة ويأكل معه ، ولقد اختلط الأحرار الأبيض بالعبيد الأسود  
ويمحو الفرق بين الغني والفقير . ولاشك أن هذه المؤامرات بسبب بعثة النبي صلى الله عليه وسلم .

وأما الهجرة النبوية فتناول شوقي هذه الحادثة بكل الإيمان والسرور وهو يؤمن أن الهجرة  
كانت ضروريا لبقاء الإسلام ولتأسيس الدولة الإسلامية .

ثم يعرض لنا تصوير سفر النبي صلى الله عليه وسلم خلال هجرة وأحداثها ، ويبين أن الهجرة  
فتحت أبواب الرحمة والرقى المسلمين ونال المؤمنون مقام العلو والشرف في العالم .

وعلم الكفار أهمية الإسلام والمسلمين وكانت الهجرة النبوية لابد لتأسيس الإسلام ونموها .  
ولدى إقبال الإسلام لا يتعلق من مقام أو منطقة خاص وأثبت النبي صلى الله عليه وسلم هذه  
الحقيقة بالهجرة أن الوطن محدود ومقيد وأن الدين لا حد له ، وأن الأرض كلها لله والإنسان خليفة  
الله على الأرض .

ثم يذكرهما جهاد النبي صلى الله عليه وسلم وهما يتأكدان أن رفع نبينا سيف في سبيل الحق.

وبعد هذه أشاد شوقي بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في عدة قصائده ويذكر لطف النبي صلى الله عليه وسلم إلى الفقراء، وبره بالمحتاجين، وقال انه وضع سبيله للناس، وسن لهم دستوره، وهداهم إليه وهو كان الطبيب الذي شفى الناس من داء نفوسهم، ولدى إقبال إتباع أسوته الحسنة هي وسيلة النجاة لعالم الإنسانية في الدارين وأن رحمة الرسول نزل كالمنطر على أرض العرب وتغيرت حالتها وبدل نظامه الذي أسس على الظلم والجور والتكبر إلى نظام العدل والمساواة. وأسس النبي صلى الله عليه وسلم المجتمع الإسلامي على الأخوة والمساواة وأعطاه المسلمين دستور الإسلام.

ويبدو من كلامها (شوقي وإقبال) ثقة روحية والحب العميق للإسلام. وهما يفخران على معارك الإسلام في عهد الماضي وهما حزين على أحوال المسلمين في عهد الحاضر ويصدر من أقلامهما شعر الحرية والعزيمه والعظمة ولم يقنطا من مستقبل المسلمين.

ونجد مماثلة أيضاً بينهما في حب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ويظهر تخيلات وعواطف القلوب لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في كلامهما ونظما اشعار في حبه على نهج البوصيري وكتب البوصيري قصيدته في اثنتا وستين ومئة بيت في كيفية المفلوج، وأعطاه محمد صلى الله عليه وسلم جائزة في منامه البردة، وكتب شوقي تسعين ومئة بيت في ١٩١٠م وسماها "نهج البردة" وكتب إقبال اثنتين عرائض في اللغة الفارسية على نهجه، الأولى "عرض حال مصنف بحضور رحمة للعالمين" تشتمل على اثنتين وستين بيتاً، والثاني "در حضور رسالت مآب" وتشتمل هي على خمسة وستين بيتاً.

ويتفرقان فيما يلي حيث انفرد شوقي:

قال شوقي عدة من الشعر لحصول التظاهر والتفاخر والعزة، وهذه من المحركات لشاعريته، وفي كثير من جوانب شعر شوقي يتردد هذا اللحن الديني وما يتصل به من تمجيد الإسلام وعاش شوقي حياة لهو ولعب ولكنه كان يؤمن بالقيم الإسلامية، فهكذا بدأ نزاع في قلبه بين العمل والنظرية، فحاول شوقي إنهاء هذا النزاع فقال الشعر في مدح النبي صلى الله عليه وسلم واعترف

تقصيره وتسيل دموع الندامة عن عينيه.

ويتفرقان فيما يلي حيث انفرد إقبال:

كان كل شعر إقبال مملوءاً بحب النبي وبمدح النبي صلى الله عليه وسلم ، ونجد الموضوعات التالية في شعر إقبال التي لم نجد في شعر شوقي مثل : يذكر إقبال معرفة الذات ويرى إقبال أن معرفة الذات مهما جداً لحياة الإنسان ، لأنها هي قوة الإيمان ، وهي سبب معرفة النفس التي هي درج السلم للمعرفة الالهية. ولما يفقد الإنسان هذه النعمة ، فكأنه ميت لديه .

ثم يذكر إقبال "الفقر" ويبين معناه في شعره بكل وضوح . والفقر لدى إقبال علم معرفة الأسرار والقوة . وصاحب الفقر لا يخاف من الطاغوت وأصطدم الكفر. ثم نجد ذكر الأمة الإسلامية والوحدة المتكاملة في شعر إقبال.

ثم يصف إقبال صفات المؤمن ، ولدى إقبال هو صاحب الإرادة والاختيار ، والذي يغلب الدنيا ولا تغلبه ، ولا يهاب الموت بل يتسم له . ولدى إقبال المسلم حي خالد ، لأنه يحمل رسالة خالدة . ويحتضن أمانة خالدة ، ويعيش لغاية خالدة .

ثم يدعو إقبال الأمة الإسلامية إلى حب النبي صلى الله عليه وسلم في شعره ويثبت أن حب النبي صلى الله عليه وسلم هو السبيل الواحد للفوز والمجد في الدنيا وللعزة والكرامة في الآخرة. نجد أيضاً حقيقة "عبده" في شعر إقبال ، وعبده ليس سوى سر الا الله ، أن سره هو لا اله الا الله ، أنه سر إلهي ، ومعرفته معرفة الله ذاته .

ثم يذكر إقبال مدينة الرسول في شعره ويتخيل إقبال أنه سافر إلى مكة والمدينة لرفعة فكره وشعره العذب وقلبه الحنون وحلق في أجواء الحجاز . وتحدث إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم بما شاء قلبه ووجه ، وأخلصه ووفاءه .

وبعد الذكر موضوعاتهما في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، نذكر الميزات الفنية التي يتصف بها شعر شوقي ، فنجد عنده ، خصائصه الخصائص التقليدية والخصائص الأصلية.

ولا ريب شوقي كان لبقاً في تصريف أغراضه ، مدح أناساً ولم يغضب خصومهم ومدح الإسلام وانتقد المسلمين ، وأجاد شوقي التركيبية والفرنسية وأكثر من الاطلاع على ما فيهما من أدب أصيل أو منقول إليهما . وفي شعر شوقي موازنات كثيرة بين الأدبين العربي والغربي من حيث المعاني

والأسلوب . ثم نجد عاطفة في شعر شوقي . ثم إن عاطفته الصادقة السامية تتصف بالقوة ، أما أسلوبه، فعكف شوقي على النماذج العباسية الحية عند أبي نواس والبحتري وأبي تمام والمنتبني والشريف الرضي وأبي فراس وأمثالهم ، وكان إعجابه شديداً بالبحتري والمنتبني خاصة ، وسرعان ما اهتدى إلى أسلوبه ، وهو أسلوب يسلك نفس الدروب التي سلكها البارودي من قبله ، يذكر شوقي التشبيه والاستعارات والأخيلة والصور والمعاني في شعره . ومع ذلك استخدم شوقي في شعره الجناس ، الطباق ، حسن النسق ، الموسيقى ، القافية والعروبة وإيجاز وأطناب وصناعات وبدائع أيضاً .

ولإقبال ميزات تميزه عن غيره من الشعراء المعاصرين ومنها - أسلوبه - وكان إقبال شاعراً منفرداً في تاريخ المسلمين كله ، وأنشد أيضاً في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم كشعراء الإسلام الذين سبقوه ويظهر في شعره ولوعة حبه للرسول وكذلك قلقه الشديد لما آل إليه أمر الأمة وكذلك مؤثرات الحضارة الأوربية ، وتصوراتهم لمفهوم الوطنية الضالة ومستعمرات المسلمين وتدهور أحوال الأمة الإسلامية ومخاطبته للرسول صلى الله عليه وسلم عن هذه الأحوال .

نجد العاطفة أيضاً في شعر إقبال ، ثم نجد الوزن والقافية والموسيقى والبلاغة والفصاحة في شعر إقبال .

وميزة إقبال خاصة وهي قال إقبال شعره في اللغة الفارسية والأردية أيضاً واستخدم ابتكارات التجديد في شعره . ولا يخلو كلام إقبال من رومانية وكلاسيكية هما جز ولا ينفك لشعره، ونجد التشبيهات الجمالية في شعر إقبال منتشرة . وفكره الديني أيضاً مملوء بحسن التشبيهات وكان إقبال يحب الجمال والحسن في الكلام نثراً وشعراً ونجد في شعره ميزة إقبال هذه صراحة وواضحة .

وبعد ذكر ميزاتهما فنذكر أن شوقي وإقبال مع كون أحدهما شاعراً عربياً والآخر شاعراً أردياً، يتفقان في صدق الحاسة وابتكار الأسلوب ، وجدة المعاني وقوة الإقناع والتأثير في النفوس .

فقد توصلت خلال بحثي إلى نتائج هامة منها :

- ١- أن شوقي وإقبال شاعران معاصران .
- ٢- أن شوقي يحتل مكانة عظيمة في الأدب العربي الحديث وكذا إقبال يحتل مكانة مرموقة من بين شعراء الأردية والفارسية ، أما الذي يجعل إقبال يفوق على صاحبه هو أنه قد ترجم كثير من شعره إلى العربية ونال الإيجاب والتقدير من العرب أجمعه ولم يقدر لشوقي ذلك ، فمع

مكانته السامية في العرب لم يترجم شعره إلى لغة أخرى.

٣- إنهما يتفقان في كثير من الموضوعات والأغراض الشعرية وخاصة في موضوعات المدح

النبي .

٤- إن دراسة متانية لشعر كل من شوقي وإقبال يضمن الأمة العودة إلى ما فيها الذهبي التليد.

٥- إن شعرهما تعبير صادق عن أحوال الأمة المسلمة وأسباب ضعفها ، وشعرهما رسالة صادقة

للأمة الإسلامية للتقدم والنجاح في جميع المجالات.



## الفهارس الفنية

فهرس الآيات القرآنية	—
فهرس الأحاديث النبوية	—
فهرس الأعلام	—
فهرس الأماكن	—
فهرس الكتب العربية	—
فهرس الأحاديث النبوية	—
فهرس الكتب الأردنية	—
فهرس الكتب الفارسية	—
فهرس الرسائل العربية	—
فهرس الرسائل الأردنية	—
فهرس المجلات العربية	—
فهرس المجلات الأردنية	—
فهرس الجرائد	—
فهرس الكتب الإنجليزية	—

## فهرس الآيات القرآنية

### سورة البقرة

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيات
٤٧٩،٢٧١،١٣١	٣٠	١- واذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة
١٦٧	٣٥	٢- يادم اسكن انت وزوجك الجنة
٢٨٦	٣٨	٣- لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
١٣٦	٧٤	٤- وان منها لما يهبط من خشية الله
١٣٤	١١٥	٥- ولله المشرق والمغرب
٣٧٩	١٢٥	٦- وعدهنا إلى ابراهيم واسماعيل.....والركع السجود
٣٧٩	١٢٨	٧- ربنا واجعلنا مسلمين لك.....انت التواب الرحيم
٤٧٤	١٢٩	٨- ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ..... انك انت العزيز الحكيم
٤٥٩	١٣٦	٩- لا نفرق بين احد منهم
٢٧٢	١٥٣	١٠- ان الله مع الصابرين
٤٢٧	١٥٧-١٥٤	١١- ولا تقولوا لمن .....هم المهتدون
٤٩٠	١٦٥	١٢- والذين امنوا واشد حبا لله
٤٢٧،٤٢٥	١٩٥-١٩٠	١٣- وقتلوا في سبيل الله..... ان الله يحب المحسنين
٤٢٧	٢١٨-٢١٦	١٤- كتب عليكم القتال.....والله غفور رحيم
٤٢٧	٢٤٥-٢٤٤	١٥- وقتلوا في سبيل الله..... اليه ترجعون

### سورة ال عمران

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيات
٤٦٤	١٩	١- ان الدين عند الله الإسلام
٢٩٥	٣١	٢- ان كنتم تحبون الله..... ويحبكم الله
٣٧٥	٤٩	٣- انى قد جئتكم بأية.....احى الموتى باذن الله
١٦٧	٥٥	٤- يعيسى انى متوفيك ورافعك الى
٤٦٤	٨٥	٥- ومن يبتغ غير الاسلام.....من الخسرين
٢٧١	٩٢	٦- لن تنالوا البر.....مما تحبون

٤٦٣	٩٧	ولله على الناس ..... اليه سبيلاً	٦-
٤٨٤	١٠٣	اعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا	٧-
١٣٢	١١٠	كنتم خیر امة اخرجت للناس.....	٨-
٣٦٨	١٢٨	ليس لك من الامر شيء	٩-
٢٩٥	١٣٢	اطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون	١٠-
٢٦٨	١٣٩	ولا تهنوا ولا تحزنوا.....ان كنتم مؤمنين	١١-
٤٨٨،٤٧٤	١٦٤	لقد من الله على المؤمنين ..... لفي ضلل مبين	١٢-

### سورة النساء

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيات	
٢٨٠،١٦٣ ٤٩١،٢٩٥	٨٠	من يطع الرسول فقد اطاع الله	١-
٤٢١	٩٧	قالوا كنا مستضعفين.....فتهاجروا فيها	٢-
٤٢٧	١٠٤	ولا تهنوا ..... عليماً حكيماً	٣-
٤٣٦	١٥٧	وما قتلوه وما صلبوه..... كان الله عزيزاً حكيماً	٤-

### سورة المائدة

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيات	
٤٥٩	٤٤	ان انزلنا التوراة فيها هدى ونور	١-
٤٥٩	٤٦	واتينه الانجيل فيه هدى .....موعظة للمتقين	٢-
٢٧٢	٥٦	فان حزب الله هم الغالبون	٣-
١٦٧،١٦٤	٦٧	والله يعصمك من الناس	٤-

### سورة الأنعام

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيات	
٤٧٤	١٩	واوحى اليّ هذا القرآن لا نذركم به	١-
٤٨٠	٧٤	واذ قال ابراهيم .....في ضلل مبين	٢-
٣٧٩	٧٦	لا أحب الافلين	٣-
٣٨٧	١٠٣	لا تدركه الابصار	٤-

٤٣٥	١٢٧	لهم دار السلم عند ربهم	-٥
١٣١	١٦٥	وهو الذى جعلكم خلائف الارض	-٦

### سورة الاعراف

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيات	
٣٧٥	١٢٢-١١٥	قال القوا فلما القوا سحرروا.....رب موسى وهرون	-١
٤٨٢،٣٠٦	١٤٣	ولما جاء موسى.....اول المؤمنين	-٢
٤٥٥	١٧٢	واذ اخذ ربك.....قالوا بلى	-٣

### سورة الانفال

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيات	
٣٨١،٣٠٢ ٤٣٢	١٧	وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى	-١
٤٢٧	٢٠	ياايها الذين امنوا.....انتم تسمعون	-٢
٤١٥	٣٠	واذ يمكر بك.....والله خير الماكرين	-٣
١٦٤	٣٣	وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم	-٤

### سورة التوبة

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيات	
٤٦٤،٤١٧	٣٣	هو الذى ارسل رسوله.....ولو كره المشركون	-١
٣٧٧،٢٨٥،٢٣٤ ٤٢٥،٤١٥	٤٠	لا تحزن ان الله معنا	-٢
٤٣٣	١٢٨	ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم.....لهم الجنة	-٣

### سورة يونس

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيات	
٤٧٢	٣٨	أم يقولون.....كنتم صادقين	-١
٢٦٨	٦٣	الا ان اولياء الله.....ولا هم يحزنون	-٢

## سورة هود

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيات	
٤٧٣	١	كتب احكمت ..... حكيم خبير	-١
١٦٧	٧٦	يا ابراهيم اعرض عن هذا	-٢

## سورة يوسف

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيات	
٤٧٠، ٢٣٤	٩٢	لا تريب عليكم اليوم	-١
٤٨١، ٤٨٠	٩٣	اذهبوا بقميصي هذا ..... باهلكم اجمعين	-٢

## سورة الرعد

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيات	
٣٥٩	٧	ولكل قوم هاد	-١
١٣٧	١٣	ويسبح الرعد بحمده	-٢
٣٦٨	٤٠	وان ما نرينك ..... وعلينا الحساب	-٣

## سورة ابراهيم

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيات	
٣٦٨	١١	قالت لهم رسلهم ..... من يشاء من عباده	-١
٣٧٩	٣٧	ربنا انى اسكنت ..... عند بيتك المحرم	-٢

## سورة الحجر

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيات	
٤٧٤، ١٦٤	٨٧	ولقد اتينك سبعا من المثاني	-١
٤٢٥	٩٤	فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين	-٢

## سورة النحل

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيات	
٤٩١	٦٤	وما انزلنا عليك الكتب ..... لقوم يؤمنون	-١
٣٦٦	٦٨	واوحى ربك الى النحل ..... مما يعرشون	-٢

## سورة الاسراء

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيات	
٤٥٣،٣٨٥،٣٧٩	١	سبحن الذى اسرى بعبده..... انه هو السميع البصير	١-
١٣٧	٤٤	تسبح له السموات..... انه كان حلوما غفورا	٢-
٤٦٧	٧٠	ولقد كرمنا بنى ادم	٣-
٤٢٦	٧٤	ولولا ان ثبتك..... شيئا قليلا	٤-
٤٦٤،٤٥٣	٨١	جاء الحق وزهق الباطل..... كان زهوقا	٥-
٤٧٢	٨٨	قل لئن اجتمعت..... لبعض ظهيرا	٦-
٣٨٨،٣٧٥	٦٠	وما جعلنا الرؤيا التى اريناك إلا فتنة للناس	٧-

## سورة مريم

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيات	
١٦٧	٧	يذكر يا انا نبشرك بغلم	١-
١٦٧	١٢	ييحى حذ الكتب بقوة	٢-

## سورة طه

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيات	
٣٦٧	١٣	وانا اخترتك فاستمع لما يوحى	١-
١٦٧	١٧	وما تلك بيمينك يموسى	٢-
٤٨١	٢٤-٢٠	واضم يدك الى جناحك..... انه طغى	٣-
٢٨٦،٢٦٨	٦٨	قلنا لا تخف انك انت الاعلى	٤-
١٣١	١٢٢	ثم اجتبه ربه فتاب عليه وهدى	٥-

## سورة الانبياء

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيات	
١٣٧	٧٩	وسخرنا مع داؤد..... وكنا فعلين	١-
١٦٣،١٦٢	١٠٧	وما ارسلناك الا رحمة للعلمين	٢-
٣٧٤،٢٣٤			

## سورة الحج

رقم الآية	رقم الصفحة	الآيات
١٦	٤٨٩، ٣٦٥	١- وكذلك انزلته ايت ..... الله يهدى من يريد
٣٩	٤٢٧	٢- أذن للذين يقتلون .....لقدير
٤١	٢٧١	٣- الذين إن مكّتهم فى الارض ..... ونهوا عن المنكر

## سورة المؤمنون

رقم الآية	رقم الصفحة	الآيات
١	٤٤٥	١- قد افلح المؤمنون
١٢-١٤	١٣٦	٢- ولقد خلقنا ..... فتبرك الله احسن الخالقين

## سورة النور

رقم الآية	رقم الصفحة	الآيات
٤٤	١٣٢	١- يقلب الله الليل والنهار ان فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار
٥١	٤٩١	٢- انما كان قول المؤمنين ..... هم المفلحون
٥٥	٢٧١	٣- وعد الله الذين امنوا ..... الذين من قبلهم
٥٦	٢٩٥	٤- اطيعوا الرسول لعلكم ترحمون

## سورة الفرقان

رقم الآية	رقم الصفحة	الآيات
٦٣	٤٣٥	١- وعباد الرحمن ..... قالوا سلاما

## سورة الشعراء

رقم الآية	رقم الصفحة	الآيات
١٩٣-١٩٤	٤٧٤	١- نزل به الروح الأمين ..... لتكون من المنذرين

## سورة النمل

رقم الآية	رقم الصفحة	الآيات
١٧-١٩	٤٨١	١- وحشر لسلمين جنوده ..... عبادك الصالحين

## سورة القصص

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيات	
٣٦٨	٥٦	انك لا تهدي ..... هو اعلم بالمهتدين	١-
٣٦٨	٨٦	وما كنت ترجوا ..... ظهيراً للكافرين	٢-

## سورة العنكبوت

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيات	
٤٥٩	٤٦	ولا تجادلوا أهل الكتاب ..... بالتى هى احسن	١-
٤٧٢	٥١-٥٠	انما الايات عند الله ..... لقوم يؤمنون	٢-

## سورة الأحزاب

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيات	
٤٤٥	٢١	لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة	١-
٤٣٥	٤٤	تحيتهم يوم يلقونه سلم	٢-
٣٧٦،١٦٣	٤٦-٤٥	يا أيها النبى انا ارسلتك ..... سراجاً منيراً	٣-
٢٨٧،١٦٤	٥٦	ان الله وملكته يصلون على النبى ..... وسلموا تسليماً	٤-
١٣١	٧٢	انا عرضنا الامانة ..... كان ظلوما جهولا	٥-

## سورة يس

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيات	
٤١٥	١	يس ، والقرآن الحكيم ..... فهم لا يبصرون	١-
٤١٥	٢	انك لمن المرسلين	٢-

## سورة الصافات

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيات	
١٦٧	١٠٤	ونادينه أن يا براهيم	١-

## سورة فصلت

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيات	
٤٧٣	٤٢	لا ياتيه الباطل ..... من حكيم حميد	١-



## سورة الشورى

رقم الآية	رقم الصفحة	الآيات
٧	٤٧٤	وكذلك او حيناً اليك قرانا عربيا ومن حولها
١٣	٣٦٧	الله يحببى الله من يشاء

## سورة محمد

رقم الآية	رقم الصفحة	الآيات
٧-١	٤٢٧	الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ..... ويثبت اقدامكم
٣٥	٤٢٧	فلا تهنوا وتدعوا ..... لن يترككم اعمالكم

## سورة الفتح

رقم الآية	رقم الصفحة	الآيات
٢٩	٢٧١	محمد رسول الله والذين معه ..... رحماء بينهم

## سورة الحجرات

رقم الآية	رقم الصفحة	الآيات
٩-١٠	٤٢٩	وان طائفتان ..... لعلكم ترحمون
١٣	٢٦٣، ٣٦٤، ٤٧٦	يا ايها الناس انا خلقنكم ..... ان الله عليم خبير

## سورة الطور

رقم الآية	رقم الصفحة	الآيات
٣٣-٣٤	٤٧٢	فلياتوا بحديث ..... ان كانوا صادقين

## سورة النجم

رقم الآية	رقم الصفحة	الآيات
٩	٣٩٧	ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى
١٠	٣٧٩	فاوحى الى عبده ما اوحى
١١	٣٨٧	ما كذب الفؤاد ما رأى
١٢-١	٣٨٧، ٣٨٤	والنجم اذا هوى ..... افتمرونه على ما يرى
١٣	٢٨٥، ٣٨٧	رأه نزلة أخرى

٣٨٥،٣٨٨	١٨٧	وهو بالافق الاعلى ..... من ايت ربه الكبرى	-٦
---------	-----	---	----

### سورة الرحمن

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيات	
٣٩٩	٣٣	يا معشر الجن والانس ..... الا بسلطن	-١

### سورة المجادلة

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيات	
٢٧٦	٢٢	الا ان حزب الله هم المفلحون	-١

### سورة الحشر

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيات	
٤٧٩	٢١	لو انزلنا هذا القران ..... من خشية الله	-١

### سورة الممتحنة

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيات	
٤٢٧	٩-٧	عسى الله ان يجعل بينكم ..... هم الظلمون	-١
٤٥٩	٨	لا ينهكم الله ..... ان الله يحب المقسطين	-٢

### سورة الصف

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيات	
٣٥٩	٦	واذ قال عيسى ابن مريم ..... اسمه احمد	-١
٢٧٢	١١	تؤمنون بالله ورسوله ..... ان كنتم تعلمون	-٢

### سورة الجمعة

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيات	
٤٧٤،٤٨٩	٢	هو الذى بعث فى الامين رسولا ..... يعلمهم الكتب والحكمة	-١
٣٦٨	٤	يؤتبه من يشاء والله ذو الفضل العظيم	-٢

### سورة المنافقون

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيات	
٢٧٢	٨	ولله العزة ولرسوله ..... المنفقين لا يعلمون	-١

## سورة التحريم

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيات	
٤٢٩	٩	يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلق عليهم	١-

## سورة القلم

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيات	
٢٣٣، ١٦٥	٤	وانك لعلى خلق عظيم	١-
٤٤٦			

## سورة المعارج

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيات	
٣٨٤	٣	من الله ذى المعارج	١-
١٣٢	٤١-٤٠	انا لقدرون على ..... وما نحن بمسبوقين	٢-

## سورة المزمل

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيات	
١٦٧	١	يا ايها المزمل	١-

## سورة النازعات

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيات	
٤٠٠	٤٤	وان الى ربك المنتهى	١-

## سورة التكويد

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيات	
٣٨٨، ٣٨٤	٢٥-١٩	انه لقول رسول كريم..... بقول شيطان رجيم	١-

## سورة الاعلى

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيات	
٤٥٣	٣-٢	الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى	١-

## سورة التين

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيات	
٢٨١	٤	لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم	١-

## سورة العلق

رقم الآية	رقم الصفحة	الآيات	
٤-١	٣٦١	اقرأ باسم ربك الذي خلق ..... الذي علم بالقلم	١-

## سورة البينة

رقم الآية	رقم الصفحة	الآيات	
١	٤٨٣	لم يكن الذين كفروا ..... تأتيهم البينة	١-
٨	٤٣٣، ٢٧٢	رضى الله عنهم ورضوا عنه	٢-

## سورة الكوثر

رقم الآية	رقم الصفحة	الآيات	
١	١٦٤	انا اعطيتك الكوثر	١-
٣	١٦٤	إن شانئك هو الابتر	٢-

## سورة لهب

رقم الآية	رقم الصفحة	الآيات	
٥-١	٤٢٥، ٤١٧	تبت يدا ابي لهب ..... جبل من مسد	١-

## فهرس الأحاديث النبوية

رقم الصفحة	الأحاديث
١٣٢	لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر
١٣٤	أحسن الناس اسلاماً أحسنهم خلقاً
١٦١	ولا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبده ، فقولوا عبد الله ورسوله
٢١١	قال رسول الله عصابتان من أمتي ، حرزهما الله من النار، عصابة تغزو الهند وعصابة تكون مع عيسى ابن مريم عند يوم القيامة
٢٢٩	قال رسول الله نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأحللت لي الغنائم وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة واعطيت الشفاعة
٢٣	والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده
٢٣	لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده ، وولده والناس أجمعين
٢٣١	سئل البراء ، أكان وجه النبي مثل السيف؟ فقال: لا بل مثل القمر
٢٣٢	أحسن الناس وجهها وأحسنهم خلقاً
٤٢٨	قال : مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم الدائم ، الذي لا يفتر من صلاة ولاصيام حتى يرجع

- ٢٣١ مارأيت شيئاً أحسن من رسول الله ، كأن الشمس تجري في وجهه
- ٢٣١ قال: فنظرت إلى وجهه كأنه ورقة مصحف
- ٢٣٢ أنا سيد البشر ولا فخر، أنا أفصح العرب
- ٢٣١ هو أجمل الناس وأبهاهم من بعيد وأحسنهم واملحهم من قريب
- ٤٢٨ قال رسول الله : "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله . فمن قال: لا إله إلا الله عصم مني نفسه وماله إلا بحقه وحسابه على الله .
- ٤٢٨ قال رسول الله : جاهدوا المشركين بأموالكم ، وأيديكم وألسنتكم
- ٤٢٨ قال رسول الله : من مات ولم يغز، ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة نفاق
- ٢٣٢ بين كتفيه خاتم النبوة وهو خاتم النبيين
- ٢٣٣ وأصدق الناس لهجة
- ٢٦٣ المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة ، فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة
- ٤٢٨ قال رسول الله : ألا أخبركم بخير الناس منزلاً؟ رجل أخذ بعنان فرسه ، يجاهد في سبيل الله، ألا أخبركم بخير الناس منزلاً بعده، رجل معتزل في غنيمته، يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ، ويعبد الله لا يشرك به شيئاً .

٢٣٢ كان النبي أشد حياء من العذرا في حدرها ، فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفنا في وجهه

٢٥٦

رجعنا من الجهاد الاصغر إلى الجهاد الأكبر. قالوا: وما الجهاد الأكبر يا رسول الله! قال: جهاد بالنفس.

٣٦٠

إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد اسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشا. واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم

## فهرس الأعلام

رقم الصفحة	الأعلام
٤٠٩	أبدالي، أحمد شاه
٣٨٥،١٦٧	آدم عليه السلام
١٥٧	آزاد، أبو الكلام
٢٠٨	آفندي، عبد الباقي
١٩١	آمنة رضى الله عنها (السيدة)
٢٥٤	إبراهيم عليه السلام
١٤٠	إبراهيم باشا
٢٠٠	الأيوردي
٢٨٩	أحمد خان، سرسيد
٢١٦	أحمد رضا خان
١٣٣	ارسطاليس
١٩٢	أروي بنت عبدالمطلب (السيدة)
١٤٠	اسماعيل باشا
١٧٣	الأعشى
٤٠٩	الافشاري، نادر شاه
٤٠٩	افغاني، جمال الدين
٩٧،٨٣	امام بي بي
٢٢١،٢٨	امرؤ القيس
١٥٥،٨٥	أورنگ زيب عالمكير
٤٦٥	اياز
٤٣٧	أيوبي، صلاح الدين
٢١٧،٢٠٩	البارودي، محمود سامي باشا



٢١٩	البحثري
٢٠٤	البرعي، الشيخ عبدالرحيم
١٣٩	برغسون
٤٥٤،٢٨٣	برويز، ملك
٤٠٢،٢٥٧	بسطامي، بايزيد
٢١	البيسوني، الشيخ محمد
٢٥٧	البغدادى، جنيد
٤٦٧،٤٥٤	سيدنا بلال رضي الله عنه
٢١٥،١٠٤	البلكرامي، غلام علي آزاد
٢٨٩،٢٢٢،٢٠٢	البوصيري، امام
٢٦٠	بيدل، عبدالقادر
٢٠٣	أبو تري
٢١٩	أبو تمام
١٥	تمراز
١٠٨	توماس آرنولد
٢١٢	التهانيسري، الشيخ أحمد
٢١٢	التهانيسري، القاضي عبدالمقتدر
٤٧،٣٨	توت عنخ آمون
٤٠٩	تيبو، فتح علي
٢١٦	الجالندهري، حفيظ
٢١٣	الجمالي، الشيخ حامد
٢١٣	الجوهري، الشيخ أحمد بن محمد
٢٠١	الجيلاني، شيخ عبدالقادر
٤٥٤	الحاتم الطائي

٢٠٨	حازم القرطاجني
٢٧٩، ٢١٦، ١٠٤	الحالي، الطاف حسين
١٨٥	حسان بن ثابت <sup>رضي</sup>
٤٠٩	حليم باشا، السيد
١٩١	حليمة سعدية <sup>رضي</sup> (السيدة)
١٩٦	أبو حنيفة، الإمام
١٩٩	ابن الحيان
٢٦٠	خاقاني، افضل الدين
٤٤٣	خالد بن وليد
٢١	الخديوي توفيق
٢٠١	الخوارزمي، علي بن محمد الصمداني
٣٨٣	دارا وجمشيد
١٠٤	داغ الدهلوي
٤٠٥	دانتة
٢٠٧	الدمشقي، عبدالحليم اللوجي
٢١٣	الدهلوي، الشيخ عبدالحق محدث
١٥١	ذوالفقار علي خان
٤٣٩	رازي، فخر الدين
٤٣٧	رام
٤٣٩، ١٤٣	ابن رشد
٣٩٩، ٢٩٠، ٢٥٩، ١٤٢، ١٢٠، ٨٩	رومي، جلال الدين
٣٨٥	زكريا عليه السلام
٢٠٩	زكي مبارك
٢٠٠	الزمخشري

٨٣	زين العابدين ، السلطان
٢٢١	زهير بن أبي سلمى
١٧٧	أبو سفيان بن الحارث
٤٥٤	سكندر رومي
٢٥٧	سلطان سليم
٤٩	سلطان حسين كامل
١٥٠	سلطان شاه محمد ، آغا خان
٤٠٢	السنائي ، طيب
٢٥٧	سنجر
٤٣٧	سيتا
٩١	السر رأس مسعود
١٤٣	ابن سينا
٢١٩	الشريف الرضي
١١٩	الشقراطيسي
٣٠	شيكسبير
٢٥٩،١٤٢	شوبنهاور
١٤٣	الشيرازي
١٩١	السيدة شيما بنت الحارث
١٨٨	الصديق، أبو بكر
١٩٩	السيدة صفية بنت عبدالمطلب
١٩٨	الصنوبري
٢١٧	الصبري، إسماعيل باشا
٤٢١	طارق بن زياد
٤٢٦،٤١٨	أبو طالب

١٩٢	عاتكة بنت عبدالمطلب
٤١٦	عامر بن فهيرة
١٨٢	عباس بن مرداس
٢١٠	عبد الحميد الخطيب
٢٠٥	عبدالرحمن بن خلدون
١٧٥	عبدالله بن رواحة
١٧٦	عبدالله بن الزبيري
١٩٧	أبو العتاهية
١٨٩	عثمان بن عفان <sup>رض</sup>
٢١٢	العراقي ، الشيخ فخر الدين
٢٠٦	العسقلاني ، ابن حجر
١٥٣	علي بنخش
١٩٠	علي بن أبي طالب <sup>رض</sup>
١٨٩	عمر الفاروق <sup>رض</sup>
٤٠٩	عمرو بن هشام
٢٠٦	عمر اليافي
٢٢١	عمرو بن كلثوم
٤١٨، ٣٨٥	عيسى عليه السلام
٤٥٢	غالب ، اسد الله خان
٤٣٩	غزالي ، امام
٤٦٥	غزنوي ، محمود
١٩٣	السيدة فاطمة الزهراء <sup>رض</sup>
٢٨	أبي فراس
١٩٤	الفرزدق

٤٥٤	فرهاد
٤٠٢،٢٥٩	فريد الدين عطار
٢١٣	الفيضي، الشيخ أبو الفيض
٣٠	فيكتور هوجو
٢٢١	قيس بن الملوخ
٤٣٧	كرشن
٢٢١،١٧٨	كعب بن زهير
١٨٣	كعب بن مالك
١٨٧	الكميت
١٤٠	كنط (Kant)
١٣٤،١١٩	كوته
٤٧،٣٠	لافونتين
٣٠	لامرتين
٢١٦	اللاهوري، مفتي غلام سرور
٤١٧	أبو لهب
١٣٥	ليبنتز
٢٢٢،٢٢٠،٢١٩،٤٠،٢٨	المتنبي
٢٥٩	محمد بن إبراهيم
١٩٧	محمد بن مستنير بن أحمد
١٥٦	محمد علي جناح، القائد الأعظم
٤٠٢،٢٥٩،١٤٣	محي الدين ابن عربي
٤٠٣،٢٢٢،٢١٩،١٩٨،٢٨	المعري، أبو العلا
٢٠٦	المقري، امام شهاب أحمد
٢١٢	الملتاني، الشيخ أبو الفتح ركن الدين

٤٠٤	ملتن
٣٠٠	منصور حلاج
٣٨٦،٢٥٧	موسى عليه السلام
١٠٧	ميرحسن ، السيد
١٨٦	النايعة الجعدي
٢٠٣	ابن نباته المصري
٢٤٨	النبهاني ، العلامة يوسف
٢١٦،١٠٤	النعمانى، مولانا شبلي
٢١٩،٢٠٥	أبو نواس
٩٦،٨٣	نور محمد ، الشيخ
٣٨١،١٤٢،١٣٧	نيتشه
١٣٨	نيكلسون
٢١٤	الشاه ولي الله
٤٠٤	ويراف
٤٣٧	هنومان
٢٥٩،١٤٢	هيجل
٣٨٥	يحيى عليه السلام
٣٨٦	يوسف عليه السلام

## فهارس الأماكن

رقم الصفحة	الأماكن
٥٠،٤٨،٤٣	اسبانيا
١٨٦	اصفهان
٤٣٤	افريقية
٤٧١،٢٢٠،١٢٠،١١٧	افغانستان
١١١،٩٥،٤٨	المانيا
٥٤،٥٣،٤٩،٤٨	اندلس
٢٢٠،١١٠،٩٥	أوربا
٤٧١،١٣٧،١١٧	ايران
١٢٠	ايطاليا
٤٢،٣٦	باريس
٩٥	باكستان
٥٤،٥٢،٥٠	برشلونة
١٩٤	بصرة
٢١٩	بغداد
١٤٩،١١٥،٩٥	بنجاب
١٤٩	بيت المقدس
١١٧	تركستان
٢٠١،١١٧،١٤	تركي
٤٦٧	توران
٤٤	جنيف
٤٧٣	حجاز
١٢١	حيدرآباد
١٢٧	حيدرآباد (دكن)
٤٣٩	خوارزم
٦٩	دمشق

١١٤	دهلي
١١٧	روس
١١٦	روم
٤٢١	سمرقند
٢٢١،١٠٦،٩٥،٨٣	سيالكوت
٣٣	شام
٩٠	شيراز
٤٢٢	الصين
٤٢٢،١٤	العرب
١٢١،٣٣٨	علي كره
٥٦	غرناطة
٢١٢،١٢٦،١١١	فارس
٤٣،٤١	فرانس
٥٦	قرطبة
٤٣٥،٤٨	قسطنطين
١٢٥	كراتشي
٨٥،٨٣	كشمير
١٤٩،١٢٦،١١١،١٠٧	لاهور
١٤٩،١١١،٩٥	لندن
١٢١	مدراس
١٢١	مدينة
٥٢،٤٩،٤٤،٤٣،٣٦	مصر
١٧٥	مكة
١٤	المورة



٤١  
١٥  
١٢  
٤٢٢،١٢٥،١١٥،١٠٦،٩٥  
٢١٢،١٣٣  
٤٣٤

مونبيلية

نجدة

قاهرة

الهند

يونان

يورپ

## فهرس المصادر والمراجع

### الكتب العربية

- ١- آزاد ، ابو الكلام ، (مولانا) : ترجمان القرآن . الطبعة الرابعة . لاهور ، باكستان: ١٩٨٩ م.
- ٢- ابراهيم ، سمير عبدالحميد :  
 اقبال وديوان هدية الحجاز . الطبعة الأولى . لاهور: المكتبة العلمية ١٥ شارع مدرسة  
 البنات ، ١٩٨٦ م.
- ٣- ديوان الاسرار والرموز . الطبعة الأولى ، لاهور: مكتبة العلمية ١٥ شارع مدرسة البنات ،  
 ١٩٧٨ م.
- ٤- ابراهيم ، (حافظ) : ديوان حافظ ابراهيم . مصر ، الجزء الأول في سنة ١٩٣٩ م ، والجزء  
 الثاني في سنة ١٩٤٣ م.
- ٥- ابراهيم ، محمد اسماعيل: الصلوات على النبي . الطبعة الثامنة . مصر: مطبعة الاعتماد ؛  
 ١٣٧٠هـ / ١٩٥١ م.
- ٦- ابن الأثير ، عزالدين علي الحزري ، (الحافظ): أسد الغابة في معرفة الصحابة . طهران :  
 المطبعة الاسلامية . الجزء الأول والجزء الثاني ١٣٨٥ هـ ، والجزء الثالث والرابع ١٣٨٦ هـ.
- ٧- ابن ادريس ، عبدالرحمن ، عبدالله : الأدب والنصوص . الطبعة السابعة ، جدة : دار  
 الاصفهاني وشركانه للطباعة، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م.
- ٨- ابن سلام : طبقات الشعراء . ط : القاهرة.
- ٩- ابن جرير، الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن . بيروت : دار المعرفة .  
 ابن الجوزي ، عبدالرحمن بن علي : العلل المتناهية في الأحاديث الواهية . الطبعة الأولى .  
 لاهور، باكستان : دار نشر الكتب الإسلامية ، ١٩٧٩ م.
- ١٠- ابن سعد : طبقات الكبرى . بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر دار صادر بيروت . ١٣٧٦ هـ /  
 ١٩٥٧ م.
- ١١- ابن عبدالبر ، ابو عمر يوسف بن عبدالله ، (الحافظ): الاستيعاب في معرفة الاصحاب . حيدر  
 آباد: مطبعة دائرة المعارف النظامية، ١٩٣٦ م.

- ١٢- ابن عبدربه ، شهاب الدين أحمد أندلسي: العقد الفريد . مصر: مطبعة الازهر. ١٣٤٦هـ / ١٩٢٨م .
- ١٣- ابن عبد الوهاب ، عبد الله بن الشيخ : مختصر سيرة الرسول . الطبعة الأولى . لاهور: جامعة العلوم الاثر، المكتبة السلفية . ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .
- ١٤- ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق الكبرى . بيروت : دار الميسرة، ١٩٧٩م .
- ١٥- ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم : الشعر والشعراء . بيروت، لبنان: دار الثقافة للنشر والتوزيع . بدون التاريخ .
- ١٦- ابن قيم ، (الامام) : زاد المعاد . بيروت : مؤسسة الرسالة . ١٩٨٥م .
- ١٧- ابن كثير ، أبو الفداء اسماعيل ، (الإمام) :  
 أ- السيرة النبوية . بيروت، لبنان : دار احياء التراث العربي ، بدون التاريخ .  
 ب- البداية والنهاية . الطبعة الأولى . لاهور ، باكستان : المكتبة القدوسية . أهل الحديث  
 مار كيت اردو بازار . ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
- ١٨- ابن هشام : سيرة النبي . بيروت : ١٩٦٩م .
- ١٩- ابو الحسنات ، قطب الدين أحمد: ديوان بديع البيان لعلي عليه السلام ، الترجمة الأردنية .  
 كانبور : المطبع المجيدي . ١٣٤١هـ .
- ٢٠- أبو شادي ، زكي أحمد ، شوقي أحمد: اعلام الشعر العربي الحديث . بيروت : المكتبة التجارية للطباعة والنشر والتوزيع .
- ٢١- احسان حقي ، (الدكتور): نداء إقبال ، مؤتمر اقبال بدمشق . الطبعة الأولى . دمشق : دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر . ١٩٨٦م .
- ٢٢- أحمد أمين ، طه حسين: المنتخب من الأدب العربي . القاهرة : المطبعة الأميرية ببولاق .  
 ١٩٣٤م .
- ٢٣- أحمد توفيق ، (الدكتور) : الصلوة والسلام . لاهور : مكتبة جديد بريس ، فاطمه جناح .  
 بدون التاريخ .

- ٢٤- أحمد سعيد والآخرون: نجمة من آراء مفكري العرب دول محمد إقبال. القاهرة: السفارة الباكستانية . بدون التاريخ .
- ٢٥- احمد بن محمد: المواهب الدينية . بيروت: المكتب الإسلامي . ١٣٧٣هـ/١٩٩١م.
- ٢٦- أحمد ، عبد الوهاب : اثنا عشر عاما في صحبة امير الشعراء . القاهرة: مصر. ١٩٣٢م.
- ٢٧- احمد معوض ، (الدكتور) : العلامة محمد إقبال ، حياته وآثاره . مصر: مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٩٨٠م .
- ٢٨- الاسكندري ، أحمد ، (العلامة) : تاريخ الأدب العربي وتاريخه . مصر: دار المعارف . ١٣٣٥هـ/١٩١٦م .
- ٢٩- الاصفهاني ، راغب ، (الامام) : محاضرات الأدباء . ط : القاهرة ، بدون التاريخ .
- ٣٠- أظهر ، ظهور أحمد ، (الدكتور) :
- ١- إقبال العرب على دراسات إقبال . لاهور: المكتبة العلمية . ١٥ شارع مدرسة البنات، ١٩٧٧م .
- ٢- حياة إقبال ، لاهور ، باكستان : مطبعة إقبال أكاديمي ١٩٨٥م .
- ٣١- الاعشى ، أبو بصير ميمون بن قيس : الصبح المنير في شعر أبي بصير . مطبعة آدلف هلز معوسن بيانه . ١٩٢٧م .
- ٣٢- الاعظمي ، محمد حسن ، والشعلان ، الصاوي علي ، الشيخ :
- ١- الحياة والموت في فلسفة إقبال (بالعربية والأردية) . كراتشي ، باكستان: ١٩٦٩م .
- ٢- فلسفة إقبال والثقافة الإسلامية في الهند والباكستان . الطبعة الأولى . القاهرة: دار احياء الكتب العربية . ١٩٥٠م ، الطبعة الثانية ، دمشق: دار الفكر . ١٩٧٥م .
- ٣- الاعلام الخمسة للشعر الإسلامي . القاهرة: دار احياء الكتب العربية . بدون التاريخ .
- ٤- الألي الإسلامية الغالية ، من أفكار إقبال وسعدي العالية . (العربية والاردية) . كراتشي ، باكستان : عالمي تنظيم اتحاد العالم الإسلامي .
- ٣٣- أكرم ، محمد أحمد علي ، (الحافظ): الأمة الإسلامية العربية في شعر محمد إقبال . القاهرة: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م .

- ٣٤- الأميري ، عمر بهاء الدين : في رحاب الفكر الإسلامي العظيم إقبال والزبيري . مطبعة جدة ، الرياض : سفارة جمهورية باكستان الاسلامية . ١٤٠٨ هـ .
- ٣٥- أنماري ، شمل : أسرار العشق المبدع ، في كتابات محمد إقبال المحاضرة الخامسة في سلسلة محاضرات مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي . لندن : متحف فيكتوريا وألبرت الملكي . ١١ نوفمبر ١٩٩٦ م .
- ٣٦- ايلتاني ، محمد : محمد إقبال ، مفكراً اسلامياً . مطبعة . النجاح الجديدة . الدار البيضاء ، ط . دار الثقافة . ١٩٧٨ م .
- ٣٧- ايليوي : أعلام الشعر العربي الحديث . الطبعة الأولى . بيروت : المكتبة التجارية للطباعة والنشر . ١٩٧٠ م .
- ٣٨- باني بتي ، محمد إسماعيل ، الشيخ : تذكرة الشعراء المتغزلين . لاهور : مطبوعة نقوش ، المعهد رواج الاردية . ١٩٥٦ م .
- ٣٩- بدايوني ، نظامي : قاموس المشاهير . ١٩٢٣ م .
- ٤٠- البرعي ، عبدالرحيم بن أحمد : ديوان البرعي في المدائح الربانية والنبوية والصوفية . مصر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده . ١١ يونيو ١٩٥٠ م .
- ٤١- بروكلمان ، كارل : تاريخ أدب العربي . مصر : دار المعارف .
- ٤٢- البعلبكي ، منير : حياة محمد ورسائله . الطبعة الثانية . بيروت : دار العلم للملايين . ١٩٦٧ م .
- ٤٣- بك ، شوقي أحمد : الشوقيات . الطبعة الثانية . مصر : مطبعة الاصلاح شارع محمد علي . ١٣٢٥ هـ / ١٩١١ م .
- ٤٤- بك ، شوقي احمد : دول العرب وعلماء الإسلام . مصر : ١٩٣٣ م .
- ٤٥- بك ، مردم الخليل : محاضرات خليل في انشاء العربي . سوريا ، دمشق : شارع مسلم البارودي . بدون التاريخ .
- ٤٦- بهجت أحمد : انبياء الله . الطبعة الثالثة . القاهرة : دار الشرق . ابريل ١٩٧٥ م .
- ٤٧- البوصيري ، شرف الدين أبي عبدالله محمد بن سعيد : ديوان البوصيري . الطبعة الأولى . مصر : شركة مكتبة والمطبعة المصطفى البابي الحلبي . ١٩٥٥ م .

- ٤٨- البيهقي: دلائل النبوة . القاهرة : دار النصر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ، ١٣ شارع سعد الله بالدرب الاحمر . ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .
- ٤٩- تفضل علي ، (السيد) :
- أ- لمحة عن حياة إقبال . القاهرة : قسم الصحافة والاستقلات سفارة باكستان . ١٩٥٦م .
- ب- إقبال ، رائد من رواد الحركة الإسلامية . القاهرة : قسم الصحافة والاستقلات سفارة باكستان .
- ٥٠- الحبور ، عبدالنور : المعجم الأدبي ، بيروت : دار العلم للملايين .
- ٥١- جلوآنوي ، غلام محمد: مديحة النبي . فيصل آباد: محمد يار وتو كتب خانة دهدي والا ، ١٢٨١هـ / ١٩٧٨م .
- ٥٢- جمال الدين ، محمد سعيد ، (الدكتور) : رسالة الخلود . (شرح جاويد نامه) . القاهرة: مطبع سجل العرب . رقم الابداع بدار الكتب . ١٩٧٤م .
- ٥٣- الجوهري ، عبداللطيف : مع إقبال شاعر الوحدة الإسلامية . الطبعة الأولى ، مصر : مكتبة النور، ٥ شارع الأهرام ، او كسى . ١٩٨٦م .
- ٥٤- الحاوي ، ايليا : أحمد شوقي أمير الشعراء . الطبعة الثانية . بيروت: دار الكتاب اللبناني . ١٩٨٠م .
- ٥٥- حسين ، امجد، والآخرون : نخبة من آراء مفكري العرب دول محمد إقبال . القاهرة : سفارة باكستانية . بدون التاريخ .
- ٥٦- حسان بن ثابت : ديوان حسان بن ثابت . بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .
- ٥٧- حسب ارشاد : مولود النبي . لاهور ، باكستان : ملك دين محمد تاجر كتب ، السوق الكاشميري . ١٩٢٦م .
- ٥٨- خان، مفتي أحمد يار ، الحاج: شان حبيب الرحمن من آيات القرآن . كراتشي: ازهر بكذبو، آرام باغ . بدون التاريخ .

- ٥٩- الخطيب ، عبدالحميد ، السيد : في حب الله ورسوله (مجموعة قصائد). الطبعة الرابعة .  
مصر: مطابع دار الكتاب العربي. ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م.
- ٦٠- خليل الرحمن ، عبدالرحمن : محمد إقبال وموقفه من الحضارة العربية . الطبعة الأولى . مكتة  
المكرمة : دار حراء . ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
- ٦١- دروزه ، محمد عزه : سيرة الرسول . مصر: عيسى البابي الحلبي وشركاه . ١٣٨٤هـ /  
١٩٦٥م .
- ٦٢- الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمانى ، (الامام): الاعلام النبلاء . الطبعة الاولى .  
مصر: شركة مكتبة والمطبعة المصطفى البابي الحلبي . بدون التاريخ .
- ٦٣- الرفاعي ، مصطفى صادق : تاريخ آداب العرب . ط . القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية . بدون  
التاريخ .
- ٦٤- الريحاني ، (الأستاذ): العربية وشاعرها الاكبر . مصر: مطبعة المعارف ومكتبها .  
١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م .
- ٦٥- الزركلي ، خير الدين :  
i- الاعلام . الطبعة السابعة . بيروت ، لبنان : دار العلم للملايين . مايو ١٩٨٦م .  
ii- قاموس تراجم لاشهر الرجل والنساء من العرب والمتوبين والمستشرقين . الطبعة  
السابعة، بيروت ، لبنان: دار العلم للملايين ، مايو ١٩٨٦م .
- ٦٦- زكي مبارك ، (الدكتور) :  
i- المدائح النبوية في الأدب العربي . مصر: مصطفى البابي الحلبي وأولاده . ١٩٣٥م .  
ii- ديوان زكي مبارك . الطبعة الأولى . القاهرة : مكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد  
علي ، مطبعة حجازي بحوار قسم الجمالية . ١٩٣٣م .
- ٦٧- الزمخشري ، جارالله محمود بن عمر ، (الامام) : تفسير الزمخشري . بيروت ، لبنان : دار  
الكتب العربي ، بدون التاريخ .
- ٦٨- زهير ظاظا ، (الأستاذ): جناح جبريل . لاهور ، باكستان: دار الإقبال للطباعة والنشر .  
١٩٨٩م .

- ٦٩- الزيات ، أحمد حسن : تاريخ الأدب العربي . لبنان : مكتبة الأنجلو المصرية . ١٦٥ شارع محمد بك فريد . بدون التاريخ .
- ٧٠- السبكي ، أبو نصر عبدالوهاب : طبقات الشافعية الكبرى . مصر : المطبعة الحسينية . ١٣٣٤هـ .
- ٧١- السريوني ، محمد صبرى : الشوقيات المجهولة . مصر : دار الكتب . ١٩٦١م - ١٩٦٢م .
- ٧٢- سعيد ، أحمد امجد حسين ، (الدكتور) : شاعر الشرق محمد إقبال . الطبعة الأولى . مصر ، القاهرة : سفارة جمهورية باكستان ١٩٩٧م .
- ٧٣- السعيد ، جمال الدين ، سعيد ، احمد ، امجد حسين : نخبة من آراء مفكري العرب حول محمد إقبال . القاهرة : سفارة باكستانية ، بدون التاريخ .
- ٧٤- سميع ، عاطف الزين : قصص الأنبياء في القرآن الكريم المختار من مجمع البيان الحديث ، خاتم النبيين محمد . بيروت ، لبنان : دار الكتاب اللبناني مكتبة المدرسة . ١٩٨٢م .
- ٧٥- السهيلي ، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن احمد بن أبي الحسن الخثمي : السيرة النبوية لابن هشام ومع تفسير احاديث الروض الأنف . ملتان ، باكستان : المكتبة الفاروقية . ١٣٧٧هـ / ١٩٧٥م .
- ٧٦- سيد علي : ديوان علي بن أبي طالب . كانبور : المطبع المجيدي . ١٣٤١هـ .
- ٧٧- السيوطي : جلال الدين عبدالرحمن ، (الإمام) : الخصائص الكبرى . بيروت : دار الكتب العلمية ١٣٢٠هـ ، حيدرآباد ، دكن ، دهلي : المطبع المحتسباني . ١٣٧٨هـ .
- ٧٨- شاه ولي الله ، ابن عبدالرحيم الدهلوي : حجة الله البالغة . القاهرة ، بغداد : دار الكتب الحديثة ومكتبة المثني . بدون التاريخ .
- ٧٩- شرارة ، عبداللطيف : شعراؤنا شوقي . بيروت : دار صادر دار بيروت للطباعة والنشر . ١٩٦١م .
- ٨٠- شفيح ، شيخ محمد ، (مولانا) : نفحات . كراتشي ، باكستان : دار المعارف . رجب ١٣٩٣هـ .



- ٨١- الصالحي ، محمد بن يوسف ، (الامام): سبل الهدى والرشاد . بيروت : دار الكتب العلمية . ١٩٩٣م .
- ٨٢- الضبي ، أحمد بن محمد بن الحسن : ديوان الصنوبري . بيروت ، لبنان : دار الثقافة . ١٩٧٠م .
- ٨٣- الضيف ، شوقي ، (الدكتور) :
- أ- الأدب العربي المعاصر في مصر . الطبعة الثامنة . القاهرة : دار المعارف ١١٩ كورينش النيل . بدون التاريخ .
- ب- شوقي شاعر العصر الحديث . مصر : دار المعارف . بدون التاريخ .
- ج- تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي . القاهرة : دار المعارف ١١٩ كورينش النيل . ١٩٦٣م .
- ٨٤- IV- فصول في الشعر ونقده . الطبعة الثالثة . مصر : دار المعارف . بدون التاريخ .
- ٨٥- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير : تاريخ الطبري ، (حقيقه محمود محمد شاكر) ، مصر ، القاهرة : دار المعارف . ١٩٦٠م .
- ٨٦- الطرازي ، عبد الله مبشر ، (الدكتور) : المفكر الإسلامي الكبير العلامة الدكتور محمد إقبال . جدة : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- ٨٧- طه حسين ، أحمد أمين : المنتخب من الأدب العربي . القاهرة : المطبعة الأميرية ببولاق ، ١٩٣٤م .
- ٨٨- طه حسين : من حديث الشعر والنثر . مصر : دار المعارف . ١٩٥٧م .
- ٨٩- طه حسين ، (الدكتور) :
- أ- إقبال شاعر فرض نفسه على الدنيا وعلى الزمان . مطبعة القاهرة : قسم الصحافة والاستقلات سفارة باكستان . ١٩٥٦م .
- ب- في الشعر الجاهلي . القاهرة : قسم الصحافة والاستقلات سفارة باكستان .
- ج- حافظ وشوقي . الطبعة الأولى . مصر : مطبعة الاعتماد . ١٩٢٣م .

- ٩٠- طه وادي، (الدكتور):  
 i- شعر شوقي الغنائي والمسرحي. الطبعة الخامسة. القاهرة: دار المعارف ١١٩ كورينش النيل.  
 ii- الشعر والشعراء المجهولون. الطبعة الثالثة، القاهرة: دار المعارف ١١٩ كورينش النيل. ١٩٩٥م.
- ٩١- عباس حسن: المتنبي وشوقي. القاهرة: دار المعارف بمصر. ١٩٦٤م.
- ٩٢- عباس، محمود: التجديد التفكير الديني في الإسلام. الطبعة الثانية. لاهور: المعهد الثقافي الإسلامية، باكستان. ١٩٨٦م. الطبعة الأولى. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. ١٩٥٥م.
- ٩٣- عبد الباقي، محمد فواد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. لاهور: مكتبة رحمانية اقرأ سنز غزني ستريت اردو بازار، بدون التاريخ.
- ٩٤- عبد الوهاب، أحمد: اثنا عشر عاما في صحبة امير الشعراء. القاهرة، مصر: ١٩٣٢م.
- ٩٥- عبيد، أحمد: ذكرى الشاعرين، شاعر النيل وأمير الشعراء. الطبعة الأولى. دمشق: المكتبة العربية لأصحابها عبيد أخوان. بدون التاريخ.
- ٩٦- عثمان امين، (الدكتور): رسالة محمد إقبال. القاهرة: قسم الصحافة والإستقلامات. سفارة باكستان. ١٩٥٦م.
- ٩٧- عزام، عبد الوهاب، (الدكتور):  
 i- ديوان الاسرار و الرموز. مصر: دار المعارف. ابريل، ١٩٥٦م.  
 ii- أسرار أثبات الذات ورموز نفي الذات. (من ديوان إقبال). الطبعة الأولى. دمشق، بيروت: دار ابن كثير. ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.  
 iii- ضرب كلیم (من ديوان إقبال). الطبعة الأولى. دمشق، بيروت: دار ابن كثير. ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
- iv- رسالة الشرق. كراتشي: اقبال أكادمي ١١٦ ميكلود رود. بدون التاريخ.

- ٧- إقبال ، فلسفة إقبال، فلسفة إسلامية أساسها القرآن . ماخوذ من إقبال العرب علي دراسات إقبال . تقديم: أظهر، ظهور أحمد : الطبعة الأولى . لاهور: المكتبة العلمية، مدرسة البنات . ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
- ٩٨- عزيز أحمد، (الأستاذ): أفكار إقبال أربع محاضرات حول الدكتور إقبال . دمشق: سفارة جمهورية باكستان الإسلامية . بدون التاريخ.
- ٩٩- العسقلاني ، ابن حجر ، شهاب الدين أحمد: الاصابة في تمييز الصحابة . مصر: دار الكتب المصرية . ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م.
- ١٠٠- علي ، امام: مناهل الأدب العربي ، مختارات من أحمد شوقي . بيروت: المكتبة العلمية ١٥ ليك رود . بدون التاريخ.
- ١٠١- علي ، سيد: ديوان علي بن أبي طالب . كانبور: المطبع المجيدي . ١٣٤١هـ.
- ١٠٢- العقاد ، محمود عباس:
- أ- مجموعة أعلام الشعر . الطبعة بيروت، لبنان : دار الكتب العربي . ١٩٧٠م.
- ب- شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي من مجموعة أعلام الشعراء . بيروت: دار الكتاب ١٩٧٠م.
- ١٠٣- الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد ، (الإمام): احياء علوم الدين . بيروت، لبنان: دار المعرفة . بدون التاريخ .
- ١٠٤- الغوري ، عبدالماجد : ديوان محمد إقبال . الطبعة الأولى ، دمشق ، بيروت: دار ابن كثير . ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
- ١٠٥- الفاخوري ، حنا: الجامع في تاريخ الأدب العربي ، الأدب الحديث . الأدب القديم . الطبعة الأولى ، دار ذوي القربى . ١٤٢٢هـ .
- ١٠٦- فاروقي ، محمد طاهر: سيرة إقبال . الطبعة الثالثة ، لاهور: ١٩٤٩م.
- ١٠٧- فرح ، عبدالفتاح يوسف :
- أ- والأن .....ماذا نصنع يا أمم الشرق . الطبعة الأولى . القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة . ٢٠٠٢م.

- ii - محمد إقبال : مثنوي ، مسافر ، الترجمة العربية ، يوسف منصور ، محمد علاؤ الدين .  
الطبعة الأولى . القاهرة : المجلس الاعلى للثقافية . ٢٠٠٢ م .
- ١٠٨ - فروخ عمر ، (الدكتور) :  
i - كلمة في أحمد شوقي . الطبعة الثانية . بيروت : مطبعة منشورات مكتبة ميمنة المعرض .  
١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م .
- ii - تاريخ الأدب العربي . بيروت : دار العلم للملايين . بدون التاريخ .
- ١٠٩ - الفلوجي ، مهدي الجمود : إقبال شاعراً ومفكراً . جدة : دار الاصفهاني وشركانه للطباعة .  
١٩٧٧ م .
- ١١٠ - الفهمي ، ماهر حسن ، (الدكتور) : شوقي شعره الإسلامي . القاهرة : دار المعارف بمصر ،  
٥ شارع ماسيرو . بدون التاريخ .
- ١١١ - فهيمي شماً : محمد في كتاب المقدس . ترجمة : عبدالأحد داؤد ، البروفيسور ، الطبعة  
الأولى . قطر : لرساسة المحاكم السريعة والشؤون الدينية . ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- ١١٢ - القادري ، محمد حسين ، (الأستاذ) : حديث النفس . لاهور ، باكستان : المطبعة العربية ، ٣٠ ،  
ليك رود انار كلي . ١٩٩٥ م .
- ١١٣ - القرطاجني ، حازم : ديوان حازم القرطاجني . بيروت ، لبنان : دار الثقافة . ١٩٦٤ م .
- ١١٤ - القسطلاني ، احمد بن محمد (ت ٩١١) : المواهب الدينية ، بيروت : المكتب الاسلامي ،  
١٣٧٣ هـ / ١٩٩١ م .
- ١١٥ - القشيري ، أبو قاسم عبدالكريم بنى هوازن : كتاب المعراج . تخريج وتحقيق : عبدالقادر  
علي حسن ، (الدكتور) : الطبعة الأولى . القاهرة : دار الكتب الحديثة . ترتيب : محمد سعيد  
اللحام . لاهور : مكتبة رحمانية . اقرأ سنز ، غزني ستريت اردو بازار . بدون التاريخ .
- ١١٦ - كامل ، محمد موسى : إقبال من اولئك الاخاد الذين وهبوا نفسه لنفع الانسانية ، ماخوذ من  
إقبال العرب على دراسات إقبال . تقديم : اظهر ، ظهور أحمد . الطبعة الأولى . لاهور ،  
باكستان : مطبعة المكتبة العلمية ١٥ شارع مدرسة البنات . ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .

- ١١٧- الكاشفي ، معين ، ملا: مدارج النبوة في مدارج الفترة. سكهة ، باكستان : مكتبة نورية رضوية وكتورية ماركيه و مطبعة سراهي منشي نولكشور ، لكهنو، ١٩٢٦م.
- ١١٨- الكاندهلوي ، يوسف : حياة الصحابة . دمشق: دار القلم جلبوني ، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م.
- ١١٩- كحالة ، عمر رضا : معجم المؤلفين . بيروت : دار احياء التراث العربي . بدون التاريخ .
- ١٢٠- كيرانوي ، وحيد الزمان القاسمي ، مولانا: القاموس الوحيد . تقديم : مولانا عميد الزمان قاسمي كيرانوي ، لاهور ، كراتشي : اداره اسلاميات . بدون التاريخ .
- ١٢١- الكيلاني ، نجيب ، (الدكتور) : إقبال الشاعر الثائر . الطبعة الثالثة . القاهرة : مؤسسة الرسالة ، شوارع سوريا . ١٩٥٩م .
- ١٢٢- الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد : أعلام النبوة . تقديم : طه عبد الرؤوف . الأزهر : مطبعة شمس الحرية ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ٩ شارع الصادقية ميان . ١٣٩١هـ / ١٩٧١م .
- ١٢٣- مبارك ، زكي ، (الدكتور) :
- ١- الموازنة بين الشعراء . الطبعة الأولى . مصر : المصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مارس ١٩٣٦م / ١٣٥٥هـ .
- ٢- المدائح النبوية في الأدب العربي . مصر: مصطفى البابي الحلبي وأولاده . ١٩٣٥م .
- ٣- ديوان زكي مبارك . الطبعة الأولى . القاهرة: مكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي ، مطبعة حجازي بحوار قسم الجمالية . ١٩٣٣م .
- ١٢٤- مبار كفوري ، صفي الرحمن : الرحيق المختوم . الرياض : مكتبة دار الاسلام .
- ١٢٥- محفوظ ، محمد أحمد حازم ، (الدكتور) :
- ١- محمد إقبال وقضيته الفلسطينية . القاهرة : دار الهداية للنشر والتوزيع ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .
- ٢- الحكيم الأمة وشاعر الإسلام علامة محمد إقبال . القاهرة : دار البيان للطبع والنشر . ١٩٩٧م .

- iii - محمد إقبال ، المعلم ، الفيلسوف ، الشاعر الإسلامي الكبير . تحت عنوان : المعراج في فكر محمد إقبال ، للدكتور جمال الدين ، محمد سعيد . القاهرة : دار الثقافة . ١٩٩٩ م .
- iv - العلامة محمد إقبال في مصر الأزهر . القاهرة : دار الثقافة ، شارع سيف الدين المهراي . ١٩٩٨ م .
- v - إقبال شاعر الإسلام . القاهرة : دار البيان للطباعة والنشر . ١٩٩٩ م .
- vi - دراسات إقبال في مصر . القاهرة : دار البيان للطبع والنشر . ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م .
- ١٢٦ - مرزباني ، أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى : معجم الشعراء . تحقيق : أحمد فراج عبدالستار . مصر : عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ١٩٦٠ م .
- ١٢٧ - مسعود ، جبران : الرائد . الطبعة الثامنة . بيروت : دار العلم للملايين . ١٩٦٧ م .
- ١٢٨ - المصري ، اديب : المختار من شعر أمير الشعراء أحمد شوقي . الطبعة الثالثة . مصر : مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر . بدون التاريخ .
- ١٢٩ - مصري ، حسين مجيب ، (الدكتور) :
- i - الأندلس بين شوقي وإقبال . الطبعة الأولى . بيروت : المطبعة العصرية . ١٩٩٩ م .
- ii - قرآن وإقبال . القاهرة ، مصر : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٦٥ شارع محمد فريد . ١٩٧٧ م .
- iii - روضة الأسرار لمحمد إقبال . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ١٦٥ شارع محمد فريد . ١٩٧٧ م .
- iv - هدية الحجاز . القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ١٦٥ شارع محمد فريد .
- v - رسالة الخلود (من ديوان إقبال) . الطبعة الأولى . دمشق ، بيروت : دار ابن كثير . ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م .
- vi - روضة السر الجديد . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ١٦٥ شارع محمد فريد . ١٩٧٣ م .
- vii - إقبال والعالم العربي . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية . ١٩٧٦ م .

١٣٠- مصري ، صاوي علي شعلان:

i- ايوان اقبال . مختارات من شعره . مطابع سجل العرب . مصر: اللجنة الباكستانية المصرية.

١٩٧٧م.

ii- صلصلة الجرس (من ديوان إقبال) الطبعة الأولى . دمشق ، بيروت : دار ابن كثير.

١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

١٣١- المقري ، أحمد بن التلمساني ، الشيخ : نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب . بيروت ،

لبنان : دار الكتب العربي . بدون التاريخ .

١٣٢- الملطاوي ، حسن كامل : رسول الله في القرآن الحكيم . القاهرة : دار المعارف بمصر

١١١٩ كورنيش النيل . ١٩٧٢م .

١٣٣- معلوف ، لويس : المنجد . المطبعة الكاثوليكية ، بيروت : بدون التاريخ.

١٣٤- منور ، محمد ، (بروفيسور):

i- أبحاث ذكرى إقبال المثوية . لاهور : جامعة بنجاب ، قسم الاقباليات . مطبعة المكتبة

العلمية ، ١٥ شارع ليك : ١٩٨٢م .

ii- إيقان إقبال . الطبعة الأولى . ١٩٧٧م . الطبعة الثانية . لاهور ، باكستان : إقبال أكاديمي .

١٩٨٤م .

١٣٥- الناصف ، علي النجدي ، الدكتور: الدين والأخلاق في شعر شوقي . مطبعة كوستانسوني

وشركاه . ١٩٤٨م .

١٣٦- النبھاني ، يوسف بن اسماعيل ، الشيخ (ت ١٣٥٠هـ):

i- جواهر البحار في فضائل النبي المختار . مصر: مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

١٣٧٩هـ/١٩٦٠م .

ii- المجموعة النبھانية في المدائح النبوية (أربع مجلدات) بيروت ، لبنان : المطبعة الأدبية.

بدون التاريخ.

iii- حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين . لائل بور : المكتبة النورية الرضوية.

بدون التاريخ.

- iv- الأنوار المحمدية من المذاهب الدينية . بيروت : المطبعة الأدبية ، مجلس معارف ولاية بيروت الحليلة ١٣١٢هـ .
- ١٣٧- نييله إسحاق ، المحفوظ ، حافظ : دراسات إقبال في مصر . القاهرة : دار البيان للطبع والنشر . ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .
- ١٣٨- النجار ، فهميم ، قطب الدين : الشاعر الإسلامي محمد إقبال والشعر العربي الجندي المسلم . النشر والناشر : مجهول ١٩٩١م .
- ١٣٩- الندوي ، أبو الحسن علي الحسيني : روائع إقبال . دمشق : دار الفكر . ١٩٦٠م .
- ١٤٠- الندوي ، سعيد اعظمي ، والندوي واضح رشد : البعث الإسلامي ، شعارنا الوحيد ، إلى الإسلام من جديد . العدد الثامن . لكهنؤ ، الهند : البعث الإسلامي ندوة العلماء . ١٩٨٦م .
- ١٤١- الندوي ، سليمان ، السيد : رسالة المحمدية . الطبعة الثانية . دمشق : مكتبة دار الفتح ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م .
- ١٤٢- الندوي ، صلاح الدين محمد شمس الدين ، (الدكتور) : الإتجاه الإسلامية في شعر محمد إقبال . تقديم : المصري ، حسين مجيب ، الدكتور . الطبعة الأولى . مصر : دار السلفية . ١٤١١هـ / ١٩٩١م .
- ١٤٣- الندوي ، واضح رشيد ، وسعيد اعظمي : البعث الإسلامي شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد . العدد الثامن ، لكهنؤ ، الهند : البعث الإسلامي ندوة العلماء . ١٩٨٦م .
- ١٤٤- الهاشمي ، أحمد : جواهر الأدب . مصر : دار السلفية . بدون التاريخ .
- ١٤٥- الهوفي ، أحمد ، (الدكتور) :
- ١- اسلام في شعر شوقي . جمهورية مصر العربية . المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة التعريف بالأمم . ١٩٧٢م .
- ii- أضواء على الأدب الحديث . الطبعة الأولى . القاهرة : دار المعارف ١١١٩ كورنيش النيل . ١٩٨١م .
- ١٤٦- الهيكل ، محمد حسين ، الأستاذ : إقبال الحركة الإسلامية عند إقبال الدعوة لإعادة عز الإسلام ومجده ماخوذ من إقبال العرب على دراسة إقبال - تقديم : أظهر ، ظهور أحمد .



الطبعة الأولى. لاهور، باكستان: المكتبة العلمية. ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

١٤٧- يمانى محمد عبده، (الدكتور): علّموا أولادكم محبة رسول الله. بيروت، دمشق: دار

القبلة للثقافة الإسلامى المملكة العربية جده، مؤسس علوم القرآن. ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١٤٨- مجهول: ذكرى محمد إقبال. دمشق: دار الفكر، بدون التاريخ.

١٤٩- مجهول: فنون الأدب العربى الفن الغنائى: المديح، مصر: دار المعارف. ج ٤.

## فهرس كتب الأحاديث النبوية

- ١- ابن حنبل، عبدالله، أحمد الشيباني المروزي (الإمام) ت ٢٤١هـ: المسند (تحقيق: الدرويش عبدالله محمد). الطبعة الأولى. دار الفكر. ١٩٩١م.
- ٢- ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، أبو عبدالله (ت ٢٧٣هـ): سنن ابن ماجه. تعليق: محمد فؤاد عبدالباقي. بيروت: دار احياء التراث العربي. ١٩٧٥م.
- ٣- أبو داؤد، سليمان بن اشعث السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥هـ): سنن أبي داؤد. شرح: عزت عبدالدغاس. الطبعة الأولى. سوريا: دار الحديث، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.
- ٤- الانباري، كمال الدين أبو البركات عبدالرحمن: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. ليدن: مكتبة بريل. (بدون التاريخ)
- ٥- البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل (الإمام): الصحيح البخاري. شرح: الدكتور محمد مصطفى ديب البغاء. الطبعة الرابعة. دمشق: بيروت. ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- ٦- تبريزي، محمد بن عبدالله الخطيب (ت ٧٤٢هـ): مشكوة المصابيح تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. الطبعة الثالثة. بيروت: المكتب الإسلامي. ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- ٧- الترمذي، أبو علي، محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩): جامع الترمذي. الطبعة الأولى. مصر: مصطفى البابي الحلبي وأولاده. ١٣٨٥هـ/ ١٩١٦م.
- ٨- مالك، ابن أنس بن مالك، (الإمام): المؤطا. (تحقيق محمود فؤاد عبدالباقي). (بدون الطبعة). بيروت: دار احياء التراث العربي. ١٤٥٦هـ/ ١٩٨٥م.
- ٩- مسلم، أبو الحسن ابن الحجاج القشيري (الإمام) (ت ٢٦١هـ): صحيح مسلم (شرح: الإمام النووي). الطبعة الأولى. بيروت: دار احياء الكتب العربية. ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٥م.
- ١٠- النسائي، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب (الإمام) ت ٣٠٣هـ: سنن النسائي. (شرح الحافظ جلال الدين السيوطي). الطبعة الأولى. بيروت: دار الجبل. ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

## الكتب الأردية

- ١- آغا يمين، (الدكتور): اقبال اور نژاد نو. مجموعہ مقالات . الطبعة الأولى . لاهور، باكستان: ظفر سنز برنترز، کوبر روڈ . ۱۹۸۶م.
- ٢- أحمد عربي، ضياء الدين: اقبال از عطيه بيگم. الطبعة الثالثة . لاهور، باكستان: زرين آرت بريس ٦١ الشارع السكة الحديدية . ۱۹۸۱م.
- ٣- اختر راهي: اقبال سيد سليمان ندوي كي نظر ميں . الطبعة الأولى . لاهور، باكستان: بزم اقبال، كلب روڈ : مارس: ۱۹۷۸م.
- ٤- اشفاق، رفيع الدين، (الدكتور): اردو ميں نعتيه شاعري . كراتشي، باكستان: اردو اكادمي . ۱۹۷۶م.
- ٥- اصغر يعقوب: ذكر اقبال . لاهور، باكستان: شاه ايند سنز بروسييس برنترز، نوفمبر، ۱۹۷۷م.
- ٦- أظهر، ظهور أحمد: اقبال عرب شعر كي نظر ميں . لاهور، باكستان: مطبعة المكتبة العلمية، ١٥ اليك روڈ : ٣٠ نوفمبر: ۱۹۷۷م.
- ٧- اعظمي، عبداللطيف، (السيد): اقبال دانائے راز . الطبعة الأولى . دهلي: مكتبة جامعة . يوليو: ۱۹۷۵م.
- ٨- افضل، محمد رفيق: گفتار اقبال . الطبعة الثالثة . لاهور، باكستان: ادارة تحقيقات، جامعة بنجاب . سبتمبر: ۱۹۸۶م.
- ٩- اقبال، محمد، (العلامة):  
 i- كليات اقبال (اردوية) . لاهور، باكستان: شيخ غلام علي . ۱۹۷۳م.  
 ii- بال جبريل (من كليات اقبال الاردية) . لاهور، باكستان: مكتبة جمال . ۲۰۰۵م.  
 iii- ارمغان حجاز (من كليات اقبال الاردية) . لاهور، باكستان: مكتبة جمال . ۲۰۰۵م.  
 iv- ضرب كلیم (كليات اقبال الاردية) . لاهور، باكستان: مكتبة جمال . ۲۰۰۵م.  
 v- بانگ درا (من كليات اقبال الاردية) . لاهور باكستان: مكتبة جمال، المنزل الثالث حسن ماركيٹ، اردو بازار . ۲۰۰۵م.

vi- جاوید نامہ . الطبع الأول . لاہور: ۱۹۳۶م.

- ۱۰- اکرام، شیخ محمد: رود کوثر. لاہور: فیروز سنز. ۱۹۵۸م.
- ۱۱- اکبر علی، الشیخ: اقبال، اس کی شاعری اور پیغام. الطبعة الأولى. لاہور، پاکستان: کمال پبلشرز. ۱۹۴۶م.
- ۱۲- الہ آبادی، بہار: تفسیر اقبال. مطبعة دہلی: جمال برنتنگ پریس. ۱۹۸۲م.
- ۱۳- باقر، محمد، (الدكتور): أحوال و آثار اقبال. ج: دوم، الطبعة الأولى. لاہور، پاکستان: بزم اقبال. نومبر: ۱۹۸۸م.
- ۱۴- تھانوی، اشرف علی، (مولانا): حبیب خدا. الطبعة الثانية. لاہور، پاکستان: ایم ثناء اللہ خان، ۲۶ ریلوے روڈ. ۱۳۶۸ھ/۱۹۴۹م.
- ۱۵- تونسوی، طاہر، (السید): احوال اقبال. لاہور: ندرت پریس. بدون التاريخ.
- ۱۶- جاوید اقبال اور مشاہیر. دہلی، الہند: مکتبہ نعیمیہ. ۱۹۸۱م.
- ۱۷- جاوید اقبال، (الدكتور): زندہ رود. الطبعة الثالثة. لاہور، پاکستان: شیخ غلام علی ایند سنز. ۱۹۸۴م.
- ۱۸- چغتائی، عبداللہ (الدكتور): اقبال کی صحبت میں. لاہور، پاکستان: ۱۹۷۷م.
- ۱۹- حامد، محمد: أفكار اقبال. الطبعة الأولى. لاہور، پاکستان: اقبال اکادمی، مستر و برنٹرز، مزنک. ینایر: ۱۹۸۶م.
- ۲۰- حمید، نسیم: علامہ اقبال، ہمارے عظیم شاعر. کراچی، پاکستان: فضلی سنز برائیویٹ لیمٹید. دسمبر: ۱۹۹۳م.
- ۲۱- خان، غلام مصطفیٰ، (الدكتور): اقبال اور قرآن. الطبعة السادسة. لاہور، پاکستان: اقبال اکادمی. ۲۰۰۶م.
- ۲۲- خان، یوسف حسین، (الدكتور): روح اقبال. مطبعة لاہور، پاکستان: اشرف پریس، آئینہ ادب، میناء انار کلی. بدون التاريخ.
- ۲۳- الدرانی، س۔ الف: اقبال یورپ میں. لاہور، پاکستان: اقبال اکادمی. ۱۹۸۵م.

- ۲۳- دیدہ مری ، اعظم شاہ ، محمد : تاریخ کشمیر اعظمی . کشمیر : سرینگر . ۱۷۵۵ م .
- ۲۴- دار - بی - اے : کلام اقبال پر عربی ادب کے اثرات . (اقبال ریویو) . لاہور : اقبال اکادمی پاکستان . ۱۳۸۸ھ / ۱۹۶۸ م .
- ۲۵- رام ، سری رام : ضمنخانہ جاوید . مطبوعہ نولکشور . ۱۹۰۸ م .
- ۲۶- رضوی ، آل احمد ، (السید) : مذاہب عالم میں تذکرہ خیر الأنام . الطبعة الأولى . اسلام آباد ، پاکستان : مادر ن بک دبو آب بارہ . ۱۹۹۱ م .
- ۲۷- رضوی ، واجد : دانائے راز . لاہور ، پاکستان : مقبول اکادمی . ۱۹۶۷ م .
- ۲۸- رشید دستگیر ، غلام : آثار اقبال . حیدر آباد : المعهد الطباعة الأردنية .
- ۲۹- سالک ، عبدالمجید : ذکر اقبال . لاہور ، پاکستان : بزم اقبال . ۱۹۵۵ م .
- ۳۰- سدید ، انور ، (الدكتور) : اقبال شناسی اور ادبی دنیا . الطبعة الأولى . لاہور ، پاکستان : بزم اقبال ، اظہر سنز برنترز . ۱۹۸۸ م .
- ۳۱- سلیم اختر ، (الدكتور) : اقبالیات کے نقوش ، الطبعة الأولى . لاہور ، پاکستان : ابراہیم سنز برنترز . ۱۹۷۷ م .
- ۳۲- شاہ ولی اللہ ، عبدالرحمن : محمد اقبال ، ۱۸۷۷-۱۹۳۸ م . اسلام آباد ، پاکستان : مجمع البحوث الإسلامی . ۱۹۷۷ م .
- ۳۳- شاہ نشاۃ احمد : ثناء خوان رسول . لاہور : عمیر برنترز . ۱۹۹۴ م .
- ۳۴- شمس تبریز خان ، (مولانا) : نقوش اقبال . الترجمة الأردنية : الندوي أبو الحسن ، (مولانا) : روائع اقبال . کراتشی ، پاکستان : مجلس نشریات اسلام ناظم آباد . ۱۳۹۶ھ / ۱۹۷۳ م .
- ۳۵- شوکت علی ، بروین : اقبال کا فلسفہ سیاسیات . لاہور : شیخ غلام علی ایند سنز . جامعة اشرفیة ، اجہرہ . بدون التاريخ .
- ۳۶- صدیقی ، افتخار احمد :  
 ا- عروج اقبال . لاہور ، پاکستان : بزم اقبال . جون : ۱۹۸۷ م .  
 ب- عروج اقبال . شخصیت اور فکرو فن کے ارتقاء کا دور بدور جائزہ . الطبعة الأولى . لاہور ، پاکستان : بزم اقبال . زرین آرت بریس ریلوے روڈ . ۱۹۸۷ م .

- iii۔ شذرات فکرِ اقبال . ترتیب : جاوید اقبال . لاہور ، پاکستان : مجلس ترقی ادب . ۱۹۷۳ م .
- ۳۷۔ صوفی ، خالد نظیر : اقبال درونِ خانہ . الطبعة الأولى . لاہور ، پاکستان : اقبال اکادمی ، ۲۰۰۳ م .
- ۳۸۔ طارق ، عبدالرحمن : پیامِ اقبال . لاہور ، پاکستان : اقبال اکادمی ، ایک روڈ ، انارکلی . بدون التاريخ .
- ۳۹۔ عابد ، علوی عابد ، السيد : شعرِ اقبال . لاہور : اظہر سنز برنٹرز ۲۰۰۸ . التّن روڈ . سبتمبر : ۱۹۹۳ م .
- ۴۰۔ عبد اللہ ، السيد ، (الدكتور) : مطالعہ اقبال کے چند نئے رخ . الطبعة الأولى . لاہور ، پاکستان : ظفر سنز برنٹرز ، الشارع الكویز . یونیو : ۱۹۸۴ م .
- ii۔ مقاماتِ اقبال . الطبعة الثانية . لاہور : منصور بریس . ۱۹۶۴ م .
- ۴۱۔ عثمانی ، طیب : حدیثِ اقبال . الطبعة الأولى . پاکستان : تاج بریس . ۱۹۶۱ م .
- ۴۲۔ عزام ، عبدالوہاب ، (الدكتور) : پیامِ مشرق . الطبعة الأولى . ۱۹۵۱ م ، الطبعة الثالثة . لاہور ، پاکستان : اقبال اکادمی فالکن برنٹنگ بریس . ۱۹۸۱ م .
- ۴۳۔ عشرت وحید ، (الدكتور) : اقبال ۸۴ م ، الأردنية . الطبعة الأولى . لاہور ، پاکستان : اقبال اکادمی . ۱۹۸۴ م .
- ۴۴۔ عطاء اللہ ، الشيخ : اقبال نامہ . الطبعة و الجزء الأول . لاہور : ۱۹۴۵ . والطبعة والجزء الثاني . لاہور ، پاکستان : دین محمد بریس . ۱۹۵۱ م .
- ۴۵۔ فاروقی ، لطیف : اقبال و آرت . لاہور ، پاکستان : کتاب محل اندرون لوہاری دروازہ . بدون التاريخ .
- ۴۶۔ الفاروقی ، محمد طاہر ، (الدكتور) : اقبال اور محبت رسول . الطبعة الثالثة . لاہور ، پاکستان : طیب اقبال برنٹرز . ۱۹۹۵ م .

- ۴۷- فتح بوري، فرمان، (الدكتور): اردو كى نعتيه شاعرى . لاهور، باكستان: آئينه ادب چوك  
مينا اناركلي ۱۹۷۴م.
- ۴۸- فراقى، تحسين، (الدكتور): علامة اقبال اور ثناء خواجه . ماخوذ من جستجو. الطبعة  
الثانية. لاهور، باكستان: يونيورسل بكس گنج شكر برنترز. ۱۹۸۷م.
- ۴۹- فقير، وحيد الدين، (السيد): روزگار فقير (الاردية). الطبعة السادسة، كراتشي، باكستان:  
لائن آرت بريس ليمتيد. اپريل: ۱۹۶۶م.
- ۵۰- فوق، محمد دين: تاريخ اقوام الكشمير . سرينگر، كشمير. ۱۹۴۳م.
- ۵۱- فيوض الرحمن، ايم- اے (حافظ): ترجمة الهمزية النبوية، امير الشعراء أحمد شوقي.
- ۵۲- القادري، طاهر، الدكتور: فلسفة معراج النبي . الطبعة الحادية العاشرة . لاهور: منهاج  
القرآن بيليكيشنز. يوليو: ۲۰۰۶م.
- ۵۳- قاسم، محمود، سيد: اسلامي انسائيكلو بيديا . لاهور: الفيصل ناشران وتاجران كتب،  
اردو بازار .
- ۵۴- قريشي، عبد اللہ:
- ۱- روح مكاتيب اقبال . لاهور: اقبال اكادمي باكستان. ۱۹۷۷م.
- ۲- مقالات اقبال . الطبعة الثانية، لاهور: طفيل آرت برنترز، سركلر روڈ . ۱۹۸۲م.
- ۵۵- قريشي، وحيد، (الدكتور): علامه اقبال كى صحيح تاريخ ولادت . نقوش اقبال، عدد  
۱۲۳.
- ۵۶- گيلاني، خورشيد احمد: علامه اقبال جن كا سرمايه هستي نها فقط عشق رسول  
(مجموعه مقالات بين الاقوامي فكر اقبال سيمينار) . اسلام آباد: بالتعاون اسلامي  
جمهورية ايران. ۱۹۹۶م.
- ۵۷- محمد ظريف، ايم- اے، القاضي: اقبال قرآن كى روشني ميں . الطبعة الثانية . مطبعة لاهور  
باكستان: نقوش بريس. ۱۹۶۳م.
- ۵۸- معين الرحمن، السيد، (الدكتور): جهان اقبال. الطبعة الأولى . لاهور، باكستان: سفارت  
بريس. ۱۹۹۷م.

- ۵۹۔ معین، وقار، السید: اقبال شناس اور نیا زونگار۔ لاہور، پاکستان: ظفر سنز برنٹرز شمع بلازہ۔ ۱۹۸۸ م۔
- ۶۰۔ معینی، عبدالواحد، ایم۔ اے، السید: مقالات اقبال۔ الطبعة الثانية۔ لاہور: طفیل آرت برنٹرز سرکلر روڈ۔ ۱۹۸۲ م۔
- ۶۱۔ ملک، عزیز: تذکار نبی قرآنی آیات کی روشنی میں۔ الطبعة الأولى۔ راولپنڈی، پاکستان: دیا بلیکیشنز، اسلام آباد برنتنگ پریس۔ جنوری: ۱۹۹۹ م۔
- ۶۲۔ منصور بوری، محمد سلیمان، قاضی: رحمة للعالمین۔ لاہور، پاکستان: شیخ غلام علی اینڈ سنز۔ بدون التاريخ۔
- ۶۳۔ منور محمد، بروفیسور: برهان اقبال، جہان اقبال، جہان قرآن۔ الطبعة الثانية۔ لاہور، پاکستان: اقبال اکادمی۔ اقرأ برنتنگ پریس۔ ۱۹۸۷ م۔
- ۶۴۔ مہر، غلام رسول، مولانا: اقبالیات۔ ترتیب: امجد سلیم نوي۔ لاہور: ۱۹۸۸ م۔
- ۶۵۔ ندوی، عبدالسلام، مولانا: اقبال کامل۔ لاہور، پاکستان: آتش فشاں بلیکیشنز ۴، غزنی سٹریٹ۔ ۱۹۹۲ م۔
- ۶۶۔ ندوی، عبداللہ عباس: عربی میں نعتیہ کلام۔ کراتشي، پاکستان: ایوب بیکجز۔ ۱۹۸۲ م۔
- ۶۷۔ نیازى، نذیر، السید: دانائے راز۔ الطبعة الثانية۔ لاہور، پاکستان: اقبال اکادمی، ایمان برنٹرز۔ ۱۹۸۸ م۔
- ۶۸۔ ہارون، عبدالسلام، (الدكتور): سرگزشت اقبال: (الأردنية)۔ لاہور، پاکستان: ۱۹۷۷ م۔
- ۶۹۔ ہاشمی، رفیع الدین، (الدكتور):
- ۱۔ علامہ اقبال اور میر حجاز۔ لاہور، پاکستان: بزم اقبال، اظہر سنز برنٹرز۔ لنتن روڈ۔
- ۱۹۹۴ م۔
- ۲۔ خطوط اقبال۔ لاہور: اقبال اکادمی پاکستان۔ ۱۹۷۶ م۔
- ۷۰۔ ہاشمی، شفیق الرحمن، بروفیسور: اقبال کا تصور دین۔ لاہور، پاکستان: فیروز سنز لیمیتڈ۔



- ۷۱۔ ہاشمی ، ایم یعقوب : اقبال عالمی کانگریس ، اقبال اتحاد عالم اسلامی کا نقیب . لاہور : دانش گاہ پنجاب . بدون تاریخ .
- ۷۲۔ واحد ، س۔ الف : فکر اقبال کا تعارف . الطبعة الثالثة . لاہور ، پاکستان : منظور احمد برنتنگ پریس . نیاز احمد سنگ میل بلیکیشنز . ۱۹۸۴ م .
- ۷۳۔ واجد ، رضوی : دانائے راز . لاہور ، پاکستان : مقبول اکادمی . ۱۹۶۷ م .
- ۷۴۔ وقار عظیم ، سید : اقبال شاعر اور فلسفی . الطبعة الثالثة . لاہور ، پاکستان : اقبال اکادمی . ۱۹۷۷ م .
- ۷۵۔ مقالات : اقبال عالمی کانگریس . ۲ دسمبر إلى ۸ دسمبر ، ج ۳ ، دانش گاہ پنجاب . ۱۹۷۷ م .
- ۷۶۔ اردو دائرہ معارف اسلامیة . لاہور : جامعة پنجاب ، مكتبة علمية .

## الكتب الفارسية

١- إقبال محمد، العلامة :

i- كليات إقبال (الفارسية)، الطبع الأول . لاهور: شيخ غلام علي ايند سنز (برائيويت) لميتيد بيلشرز ١٩٩٩ سركلر رود، چوك اناركلي. ١٩٩٢م.

ii- پیام مشرق (من كليات إقبال الفارسية). الطبع اول . لاهور: شيخ غلام علي ايند سنز (برائيويت) لميتيد بيلشرز ١٩٩٩ سركلر رود . چوك اناركلي. ١٩٩٢م.

iii- اسرار ورموز (من كليات إقبال الفارسية مع سليس اردو ترجمة). طبع اول، لاهور: شيخ علي ايند سنز (برائيويت) لميتيد بيلشرز ١٩٩٩ سركلر رود، چوك اناركلي. ١٩٩٢م، ج اول.

iv- زبور عجم (من كليات إقبال الفارسية مع سليس اردو ترجمة). طبع اول، لاهور: شيخ علي ايند سنز (برائيويت) لميتيد بيلشرز ١٩٩٩ سركلر رود، چوك اناركلي. ١٩٩٢م، ج اول.

v- جاويد نامه (من كليات إقبال الفارسية مع سليس اردو ترجمه). طبع اول، ج دوم. لاهور: شيخ علي ايند سنز (برائيويت) لميتيد بيلشرز ١٩٩٩ سركلر رود، چوك اناركلي. ١٩٩٢م.

vi- پس چه بايد كرد اے اقوام شرق (من كليات إقبال الفارسية مع سليس اردو ترجمة). طبع اول . ج دوم، لاهور: شيخ علي ايند سنز (برائيويت) لميتيد بيلشرز ١٩٩٩ سركلر رود، چوك اناركلي. ١٩٩٢م.

vii- ارمغان حجاز (من كليات إقبال الفارسية مع سليس اردو ترجمة). طبع اول، ج دوم. لاهور: شيخ علي ايند سنز (برائيويت) لميتيد بيلشرز ١٩٩٩ سركلر رود، چوك اناركلي. ١٩٩٢م.

٢- عزام، عبد الوهاب، (الدكتور): پیام مشرق. (من ديوان إقبال). دمشق، بيروت: دار ابن

كثير: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

## فهرس الرسائل العربية

- ۱- توصيف أحمد: المدح النبي في شعر إقبال. رسالة الماجستير، جامعة بنجاب، باكستان. ۱۹۹۹م.
- ۲- قريشي، اسحاق، (الدكتور): المدائح النبوية في باكستان، رسالة الدكتوراه، جامعة بنجاب، باكستان. ۱۹۷۹م.
- ۳- قطب الدين، النجار فهم: محمد إقبال وصلته الثقافية بالعالم العربي تأثيره وتأثير. مقالة للدكتوراه، الجامعة المفتوحة لإقبال، باكستان. ۱۴۰۸هـ / ۱۹۸۸م.
- ۴- نصير الدين، سلطان أحمد: علامة إقبال شاعر الإسلام. مقالة الماجستير، جامعة بنجاب، باكستان. أغسطس: ۱۹۸۵م.

## فهرس الرسائل الأردية

- ۱- اعظمي، مقتدي حسن: شوقي كى ديني شاعرى. رسالة الماجستير، جامعة بنجاب، باكستان.
- ۲- رياض مجيد: عصر حاضر كى نعت گو. مقالة للدكتوراه. جامعة بنجاب باكستان.
- ۳- زينت فردوس: مولانا غلام رسول مهر بحیثیت إقبال شناس. مقالة ايم فل، شعبه إقباليات، الجامعة المفتوحة لعلامة إقبال. ۲۰۰۱م.
- ۴- سرويا، زيب النساء: كلام إقبال ميس أنبياء كرام كا تذكرة. مقالة ايم فل، (شعبه إقباليات) الجامعة المفتوحة لإقبال. نوفمبر: ۲۰۰۱م.
- ۵- شاکر، ارشاد أحمد: جاويد نامہ، مقدمة، حواشي وتعليقات. رسالة الماجستير. الجامعة المفتوحة لإقبال. ۱۹۹۹م.
- ۶- شبانه انجم: اورينٹل كالج ميگزين ميس ذخيره إقباليات. رسالة الماجستير، جامعة بنجاب، ۱۹۸۱م.
- ۷- صديقي، افتخار أحمد، (الدكتور): إقبال كا ذهنى ارتقاء. رسالة الماجستير، جامعة بنجاب.

- ۸۔ عتیق الرحمن: اقبال کی شخصیت اور شاعری مکاتیب کے آئینے میں . مقالہ ایم فل ، (شعبہ اقبالیات) ، الجامعة المفتوحة لإقبال .
- ۹۔ منیر حسین ، سید : اقبال کی دعائیہ شاعری . مقالہ الماجستير، جامعة بنجاب . ۱۹۹۵ م .

### فهرس المجالات العربية

- ۱۔ جاوید اقبال (الدكتور) : ”آباء اقبال واصلہ“ . اقبالیات : ع ۱، ۱۹۹۲ م .
- ۲۔ الدرینی ، فتحی (الدكتور) : ”البعء الديني والاجتماعي والسياسي لمعجزة الاسرار والمعراج“ . نهج الإسلام .
- ۳۔ الطرازي ، عبد الله مبشر: ”الشاعر الإسلامي الكبير ، محمد اقبال ، سيرته وشعره وفلسفته في الحياة والموت“ . اقبالیات : ع ۱، ۱۹۹۲ م .
- ۴۔ قريشي وحيد (الدكتور) : ”اقبال وأسرته“ . اقبالیات : ع ۲، ۳، ۱۹۹۴ م .
- ۵۔ محمد منور (بروفيسور) : ”حياة اقبال“ (تعريب: اظهر، ظهور احمد، الدكتور) . اقبالیات : ع ۱، ۱۹۹۲ م .
- ۶۔ الولي ، الشيخ : ”محمد اقبال شاعر الإسلام“ . اقبال : ع ۱، ۱۹۹۲ م .

### فهرس المجالات الأردنية

- ۱۔ اظهر ، ظهور أحمد (الدكتور) : ”أحمد شوقي کی نعتیہ شاعری“ . ماهنامه شام و سحر: نعت نمبر. لاهور ، باكستان .
- ۲۔ خادم حسين ، تحمل حسين : ”اقبال کی نثری تحریروں میں عشق رسول کی ضیاباریان“ . مجلة الكلية الشرقية . (۱۹۷۷ م)
- ۳۔ صديقي ، شمس الدين (الدكتور) ، وجعفری ، مرتضى اختر (الدكتور) : ”خیابان دانائے راز“ بشاور : (اکتوبر: ۱۹۷۷ م) .
- ۴۔ سورتی ، عبدالرحمن ، طاهر : ”اقبال ، پیامبر جہاد“ ، اقبال ریویو: ع ۱۴، (ینایر: ۱۹۷۴ م)
- ۵۔ الفاروقی ، عباد الله (الحافظ) : ”جاوید نامہ“ . اقبال ریویو: (یولیو: ۱۹۶۳ م)

- ۶- ملک ، مظفر حسن (الدكتور) : "مكارم أخلاق اور إقبال" . اقبال ريويو: (۱۹۸۴م)
- ۷- قريشي ، وحيد (الدكتور) : "نقوش إقبال نمبر ۳" نقوش إقبال : ع ۱۲۳، (۱۹۷۷م)
- ۸- نيازى ، نذير (السيد) : "انتخاب مقالات إقبال ، حياة وسيرة إقبال . ايك اجمالى خاكة" .  
اشاريه جرائد (جرنل تا فکرو نظر) : (يناير ، فبرائر : ۱۹۷۴م)
- ۹- وقار عظيم (السيد) : "اقبال حضور بارى ميں" . اقبال ريويو مجله إقبال . (يناير: ۱۹۶۴م)
- ۱۰- "محمد إقبال والثقافة الألمانية" ، مجلة فکروفن (الصادرة من ميوانح بالمانيا الغربية) :  
ع (۱۹م) ، ص ۲۴ .

## فهرس الجرائد

- ۱- الجريدة : ادبيات من ابريل ۱۹۸۰م .
- ۲- الجريدة اليومية امروز باکستان (روزنامه امروز باکستان) . ۲۰ من نوفمبر ۱۹۸۸م .  
نفس المرجع ، ۲ من نوفمبر ۱۹۹۰م .  
نفس المرجع ، ۲۵ من مايو ۱۹۹۰م و ۲۷ من نوفمبر ۱۹۹۱م .  
نفس المرجع ، ۲۱ من اكتوبر ۱۹۸۸م .  
نفس المرجع ، ۷ نوفمبر ۱۹۸۵م .
- ۳- الجريدة اليومية "الشرق" لاهور (روزنامه مشرق لاهور) . ۱۲ من يوليو ۱۹۸۸م ، و ۲  
سبتمبر ۱۹۸۸م ؛
- ۴- نفس المرجع ۱۵ من يوليو ۱۹۹۱م .
- ۵- الجريدة "ليدر" آله آباد . ۴ من اكتوبر ۱۹۳۰م .
- ۶- الجريدة نوائى وقت لاهور ، ۳ من ابريل ۱۹۸۸م .
- ۷- نفس المرجع ، ۱۲ من اكتوبر ۱۹۹۵م ، ۱۵ من دسمبر ۱۹۹۶م .

## فهرس الكتب الإنجليزية

- 1- Abdullah,S.M."The Nature of Date's Influence on Iqbal". Iqbal Review: Auditer, Dr.Waheed Qureshi. Lahore: Iqbal Academy, April,1983.
- 2- Bukhari Shohrat: "A Comperative Study of Iqbal and Shawqi". Iqbal Review: Lahore: Iqbal Academy Pakistan.
- 3- Grover, Varinder: Muhammad Iqbal Political Thinker of Modern India. New Dehli: Deep and deep Publication, E.159. Rajouri Garden.
- 4- Iqbal Muhammad , Allama: The Reconstrution of Religious thought in Islam. Lahore: Iqbal Academy, Institute of Islamic culture. 1986.
- 5- Jairazbhoy, Al Hajj Qasim Ali: Muhammad a Mercy to all the Nations. London: Luzac and Co Oriental and foreign book seller 46 great Rusell Street, 1937.
- 6- Malik, Abdul Latif : The work of Muhammad Iqbal. Lahore: People's Publishing house Dec,1983.
- 7- Muhammad Munawwar, prof: "The Potrait of Ahmad Shawqi". Iqbal Review: Pakitan: Iqbal Academy.1987.
- 8- Iqbal and Quranic wisdom lahore, pakistan: Islamic Book Foundation. 249 Sammanabad.
- 9- Nazir Qaisar: Rumi's Impact on Iqbal's Religious Thoughts. Lahore, Pakistan: Iqbal Academy.1989.
- 10- Qazi: Iqbal was a true Muslim. The Pakistan: No.14, 1995.
- 11- Raschid Kegan Poul, M.S: Iqbal Concept of God. London: Boston 1981.
- 12- The Oxford History of India. Third Edition.1961.

## فهرس المحتويات

رقم الصفحة	الموضوعات
	الاهداء
١	المقدمة
١٠	<b>الباب الأول: لمحة سريعة عن حياة شوقي</b>
١١	الفصل الأول: نسبه وولادته
١٧	الفصل الثاني: نشأته الأدبية والثقافية
٢٤	الفصل الثالث: رحلاته العلمية
٤١	الفصل الرابع: منفاه وعودته إلى وطنه
٦٥	الفصل الخامس: اتصاله بالشعب ووفاته
٨١	<b>الباب الثاني: لمحة سريعة عن حياة إقبال</b>
٨٢	الفصل الأول: نسبه وولادته
١٠٠	الفصل الثاني: نشأته الأدبية والثقافية
١٠٦	الفصل الثالث: رحلاته العلمية وعودته إلى وطنه
١٣٠	الفصل الرابع: العوامل التي كونت شخصية محمد إقبال
١٤٥	الفصل الخامس: اتصاله بالشعب ووفاته
١٥٨	<b>الباب الثالث: موضوعات المدح النبوي عند شوقي وإقبال</b>
١٥٩	الفصل الأول: نبذة عن المدح النبوي عبر العصور
٢١٧	الفصل الثاني: البيئة والأحوال التي دفعت شوقي وإقبال إلى المدح النبوي
٢٢٦	الفصل الثالث: الموضوعات التي تناولها شوقي وإقبال في المدح النبوي
	الفصل الرابع: الخصائص اللغوية والبلاغية في مدحهما للنبي صلى الله عليه
٣١١	وسلم مثل الصورة والخيال والعاطفة والموسيقى وغير ذلك
	<b>الباب الرابع: المقارنة بين المديح النبوي لشوقي والمديح</b>
٣٤٧	<b>النبوي لإقبال</b>
٣٤٨	الفصل الأول: ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم
٣٥٩	الفصل الثاني: الخوارق والمعجزات
٣٧٤	الفصل الثالث: البعثة النبوية والوحي الرباني

٤١٤	<b>الفصل الرابع:</b> الهجرة النبوية وتأسيس الدولة الإسلامية
٤٢٥	<b>الفصل الخامس:</b> الغزوات النبوية والجهاد في الإسلام
٤٤٥	<b>الفصل السادس:</b> أخلاق النبي وشمائله
٤٥٩	<b>الفصل السابع:</b> الإسلام وخصائصه
٤٧٢	<b>الفصل الثامن:</b> القرآن الحكيم والحديث النبوي والسنة النبوية
٤٩٣	خاتمة البحث
٥٠١	<b>الفهارس الفنية</b>
٥٠٢	فهرس الآيات
٥١٣	فهرس الأحاديث
٥١٦	فهرس الأعلام
٥٢٣	فهرس الأماكن
٥٢٦	فهرس المصادر والمراجع
٥٥٥	فهرس المحتويات